

THE
AL-
THE
AL-
ABR

BOBST LIBRARY



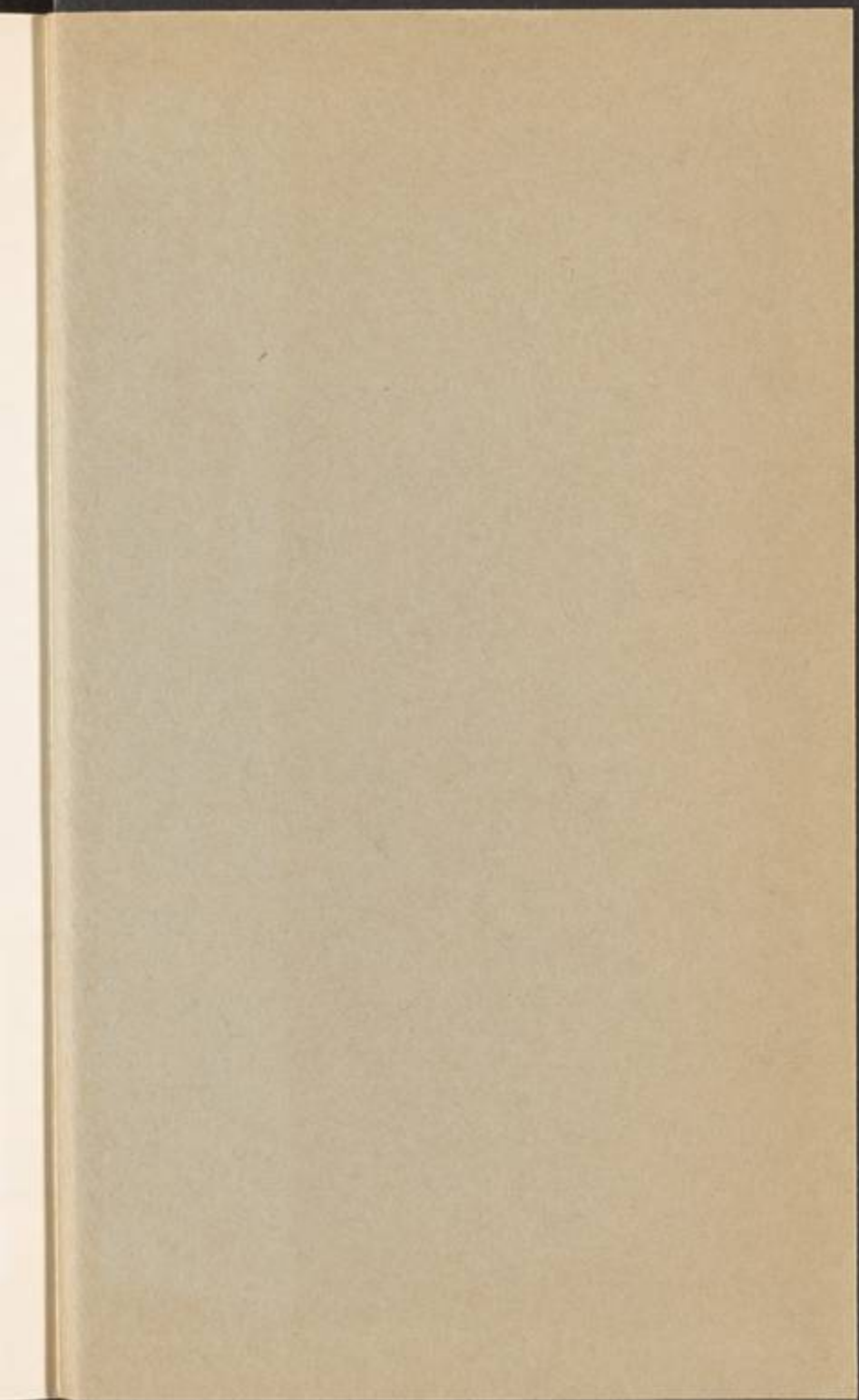
3 1142 02824 0821



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY





THE UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY
540 EAST 57TH STREET
CHICAGO, ILL. 60637

or the
me
ARE

NOTE TO THE READER

The paper in this volume is brittle or the inner margins are extremely narrow.

We have bound or rebound the volume utilizing the best means possible.

PLEASE HANDLE WITH CARE

Faint, illegible text on a page, possibly bleed-through from the reverse side. The text is too light to transcribe accurately.

LIBRARY

N. Y. UNIV.

Abkhāriyūs, Nasīb Yuhanna

Kitāb qatf al-zūhūr
fī tarīkh ^{كتاب} al-duhūr.

قطف الزهور

في
تاريخ الدهور

تأليف

المرحوم يوحنا ابكار يوس

عني عنه

طبعة رابعة

بالرخصة الرسمية من نظارة المعارف الجليلة

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٨

Near East

D

22

.A2

1898

c. 1

Нели

170

1888

173

ву-сирна

$\frac{22}{1}$

35

Стар дара ит-шур. 2. 27 селти иуниина

В

вирална, деагр дара, 1838-1848

Alphonsus, Maria Yobana, 1878-1888
Litho part of - 2

$\frac{1}{22}$

1888
SA.
1888

I. a

Hours

فهرس الكتاب

وجه

١

الفاصلة

٣

المقدمة . في وصف التاريخ والجغرافية

القسم الاول

في ممالك قارة اسيا وشعوبها ودولها وما يتعلق بها وفيه ثلاثة عشر فصلاً

١٠

الفصل الاول . في مناخ اسيا وحواصلها وجبالها وحيواناتها

١٢

الفصل الثاني . في الخليفة والطوفان وتشعب الارض ثانية

الفصل الثالث في مملكة اشور وفيه خمسة ابواب

١٧

الباب الاول . في نينوى وبابل

١٩

الباب الثاني . في اخبار الملكة سميراميس

الباب الثالث . في ذكر الملك نبناس وولاية الملك مردنقول

٢٢

وخراب مملكة اشور الاولى

٢٤

الباب الرابع . في ذكر بعض ملوك اشور

٢٧

الباب الخامس . في ديانة الاشوريين وفنونهم

الفصل الرابع في تاريخ العبرانيين وفيه سبعة ابواب

٣٠

الباب الاول . في ذكر ابراهيم وارتحال يعقوب واولاده الى مصر

الباب الثاني . في خروج بني اسرائيل من مصر تحت رياسة موسى

٣٣

واستيلائهم على ارض كنعان مع جدول قضاتهم

٣٧

الباب الثالث . في ذكر جدعون وشمشون من قضاة الامرائيليين

وجه

٤١

الباب الرابع . في ذكر شاول وداود وسليمان
الباب الخامس . في انقسام مملكة اليهود والاسر البابلية مع جدول

٤٦

ملوك يهوذا وامرائيل

الباب السادس . في تغلب ملوك مصر وسوريا على اليهودية

٥٠

واستيلاء الرومانيين عليها الى حين خراب اورشليم

الباب السابع . في ذكر بعض انبياء اليهود ومجيء المسيح وتفريق

٥٤

اليهود في العالم

الفصل الخامس . في تاريخ الماديين والفرس وفيه ستة ابواب

٥٦

الباب الاول . في بعض ملوكهم واحوال ميلاد كورش

الباب الثاني . في اصل الاعجام وتدمير كورش مملكة بابل

٦٣

ومغازيه المشهورة وموته

٦٦

الباب الثالث . في ولاية الملك كميذ بن كورش

الباب الرابع . في ولاية الملك داريوس وهودارا الاول

٧٠

ملوك الفرس وابنه زر كسيس

الباب الخامس . في اكسرة العجم

٧٤

الباب السادس . في الكلام على شاهات العجم

الفصل السادس في مملكة الصين وفيه بابان

٨٠

الباب الاول . في وصف بلاد الصين ومدنها واهلها وعوائدها

٨٦

الباب الثاني . في تاريخ مملكة الصين

الفصل السابع في تاريخ العرب وفيه ستة ابواب

٩٥

الباب الاول . في جغرافية بلاد العرب

٩٧

الباب الثاني . في اصل العرب وصفاتهم وما يتعلق بهم

١٠٠

الباب الثالث . في ذكر العرب قبل الاسلام

- وجه
- ١٠٧ الباب الرابع. في ذكر دول العرب الاسلامية واولها دولة الصحابة
- ١١١ الباب الخامس. في ذكر بني امية
- ١١٥ الباب السادس. في ذكر الدولة العباسية
- الفصل الثامن في تاريخ سوريا وفيه ثلاثة ابواب
- ١٢٨ الباب الاول. في جغرافية سوريا وسكانها الاولين
- ١٣١ الباب الثاني. في الدولة السلوقدية ومن خلفها الى هذه الايام
- الباب الثالث. في شعوب سوريا ومدائنها الشهيرة مع ذكر المملكة
زينب المعروفة عند اليونان واللاتين بزينويا وشيخ من
- ١٣٤ اخيار لبنان
- الفصل التاسع في تاريخ فينيقية وفيه بابان
- الباب الاول. في اصل الفينيقيين وعوائدهم واديانهم
- ١٤١ واكتشافاتهم
- الباب الثاني. في ذكر مدائن فينيقية وتقومها وتجاريتها وتقدمها
- ١٤٤ ثم المخطاطها
- الفصل العاشر في الحروب الصليبية وفيه بابان
- الباب الاول. في منشأ الحروب الصليبية الى نهاية اعمال التجريدة
- ١٤٨ الثانية
- الباب الثاني. في ذكر الحوادث والوقائع التي جرت من بداية
- التجريدة الثالثة الى نهاية التجريدة التاسعة التي هي ختام
- ١٥٢ الحروب الصليبية
- ١٦٠ الفصل الحادي عشر. في اسيا الصغرى
- ١٦٤ الفصل الثاني عشر. في وصف بلاد الهند وتاريخها
- الفصل الثالث عشر. في باقي ممالك اسيا كبلاد التبر و يابان وارمينيا ١٧٣

القسم الثاني

وجه

- في قارة افريقية ويشتمل على ستة فصول
 ١٧٩ الفصل الاول . في جغرافية افريقية واهليها وهوائها
 الفصل الثاني في تاريخ مصر وفيه احد عشر باباً
 ١٨٢ الباب الاول في جغرافية مصر
 الباب الثاني . في تاريخ مصر واعم الحوادث المتعلقة بفراعنتها من
 سنة ٢٣٠٠ ق م الى خروج الاسرائيليين
 ١٨٤ الباب الثالث في ولاية فرعون شيشق سنة ٩٩٠ ق م الى بداية
 حكم الدولة البطلموسية ٣٢٣ ق م
 الباب الرابع . في تمدن المصريين القدماء وصنائعهم وعقائدهم
 وما يتعلق بهم
 ٢٠١ الباب الخامس . في الدولة البطلموسية التي تغلبت على الديار
 المصرية بعد الفراعنة
 ٢٠٥ الباب السادس . في من تولى مصر من اوائل ظهور الاسلام الى
 الدولة الفاطمية
 ٢١٠ الباب السابع . في الدولة الفاطمية
 ٢١١ الباب الثامن . في الدولة الايوبية
 ٢١٤ الباب التاسع . في الدولة الجركسية احدى فروع الدولة التركية
 ٢١٨ الباب العاشر . في العائلة المحمدية العلوية وهي الخديوية المصرية
 ٢١٩ الفصل الثالث في تاريخ قرطاجنة وفيه بابان
 الباب الاول . في وصف قرطاجنة وحروبها مع الرومان من
 سنة ٨٤٠ الى سنة ٢٦٤ ق م
 ٢٢٥

وجه

- الباب الثاني . في الحروب بين قرطاجنة ورومية من سنة ٢٦٤
 ق م الى وقت خرابها الاول سنة ٤٥٠ ق م ثم تجديدها
 ٢٢٧ ثانية وخرابها الاخير سنة ٦٩٣ بعد المسيح
 ٢٣٠ الفصل الرابع في بلاد الحبشة
 الفصل الخامس في بلاد المغرب وفيه بابان
 ٢٣٣ الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد واخبار شعوبها الاقدمين
 الباب الثاني . في دخول المسلمين الى بلاد الغرب وافتتاحهم
 مدنها واقايمها وباقي ولاياتها مع ذكر بلاد تونس ودخولها
 ٢٣٧ تحت حماية فرنسا
 ٢٤١ الفصل السادس في جزيرة مداكسكر

القسم الثالث

في قارة اوربا وفيه ثمانية عشر فصلاً

- ٢٤٨ الفصل الاول . في مقدمة هذه القارة وما يتعلق بها
 الفصل الثاني في تاريخ سلطنة آل عثمان وفيه ستة ابواب
 ٢٥١ الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد ووصفها الحالي
 الباب الثاني . في اصل تاسيس الدولة العثمانية وذلك من سنة
 ٢٥٦ ١٣٠٠ م الى وفاة السلطان مراد الثاني سنة ١٤٦١ م
 الباب الثالث . في قيام السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية
 وفي ما جرى بعد ذلك من الحوادث من سنة ١٤٥١ الى
 ٢٦٣ وفاة السلطان سليم الاول سنة ١٥٣٠
 الباب الرابع . في الكلام على حكم سليمان الاول وفتح جزيرة
 رودس وما حدث بعد ذلك من سنة ١٥٢٠ الى وفاة محمد

وجه	
الباب	الثالث سنة ١٦٠٣
٢٦٩	الباب الخامس . في الكلام على حكم السلطان احمد الاول وما وقع له وخلفائه من الحوادث من سنة ١٦٠٣ الى وفاة السلطان مصطفى الثاني سنة ١٧٠٣ بم
الباب	٢٧٦
الباب	الباب السادس . في ما جرى من الامور والحوادث منذ خلافة السلطان احمد الثالث سنة ١٧٠٣ الى سنة ١٨٩٠
٢٨٨	الفصل الثاني في تاريخ اليونان وفيه ثمانية ابواب
الباب	٣٠٣
الباب	الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد
٣٠٥	الباب الثاني . في اخبار الاعصر الخرافية واوآ في اصل نشأتها وشعوبها الاولين
٣٠٩	الباب الثالث . في حرب طروادة ورجوع الهيرا كليدية وحروبهم
٣١٢	الباب الرابع . في جمهوريتي سبارطه واثينا
الباب	الباب الخامس . في ما جرى بين اليونان والفرس من سنة ٥٠٠
الباب	تقريباً الى حين تولي فيلبس على مملكة مكدونية سنة
الفصل	٣٦٠ ق م
٣١٧	الباب السادس . في مملكة مكدونية وقيام فيلبس سنة ٦٠ ق م
الفصل	الى موت اسكندر
٣٢٧	الباب السابع . في ما حدث بعد موت اسكندر الى هذه الايام اي من سنة ٣٢٣ ق م الى سنة ١٨٧٢ بم
٣٣٥	الباب الثامن . في ذكر بعض شعراء اليونان وفلاسفتهم وطوائفهم
الباب	٣٤٠
الباب	الفصل الثالث في تاريخ الرومانيين القدماء وفيه ثمانية ابواب
و	الباب الاول . في تاسيس رومية واخبار ملوكها الاولين الى
الباب	سنة ٥٠٩ ق م حين اقيمت الحكومة القنصلية
٣٤٢	

وجه

- الباب الثاني . في ذكر كور يولانوس واستيلاء الغالين على رومية وحروب قرطاجنة الثالث ٣٤٧
- الباب الثالث في اخبار سلا وماريوس الى قتل يوليوس قيصر ٣٥١
- الباب الرابع . في حكم اوغسطس قيصر وامتداد السلطنة في ايامه مع ذكر الوسائط التي سببت لها هذه الشهرة والقوة ٣٥٦
- الباب الخامس . في تعداد امبراطرة الرومانيين وبعض اخبارهم ٣٦٠
- الباب السادس . في اخبار باقي قياصرة رومية الى انقراض السلطنة ٣٧١
- الباب السابع . في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض الغريبة منهما ٣٨٣
- الباب الثامن . في عوائد الرومانيين القدماء وبعض اصطلاحاتهم ٣٨٦
- الفصل الثالث في اخبار ايطاليا وفيه بابان
- الباب الاول . في جغرافية ايطاليا ٣٩٦
- الباب الثاني . في تاريخ ايطاليا ويتضمن بعض اخبار البندقية ٣٩٩
- الفصل الرابع . في اخبار رومية وبعض اجبارها ٤٠٦
- الفصل الخامس . في اخبار الدولة الرومانية الشرقية بعد انفصالها عن السلطنة الغربية وذلك من سنة ٣٩٥ الى سنة ١٤٥٣
- عبارة عن ١٠٥٨ سنة ٤١٤
- الفصل السادس في مملكة اسبانيا وفيه ثلاثة ابواب
- الباب الاول . في جغرافية هذه البلاد ٤٢٩
- الباب الثاني . في تاريخ اسبانيا منذ منشأها الى ظهور فردينند وايزابله في القرن الخامس عشر للميلاد ٤٣١
- الباب الثالث . في اخبار الملك فردينند والملكة ايزابله والتفتيش

- الديني الذي حصل في ابامها وخروج المسلمين من اسبانيا
 وحوادث اخرى الى سنة ١٨٢٤ ٤٣٦
- الفصل السابع . في وصف مملكة بورتوغال وتاريخها
 الفصل الثامن في تاريخ فرنسا وفيه سبعة ابواب
 ٤٤٥
- الباب الاول . في وصف فرنسا الخالي
 الباب الثاني . في اصل فرنسا وشعوبها القدماء واديانهم وعوائدهم
 وتغلب الرومانيين ثم الافرنك عليهم وتأسيس الدولة الاولى
 الملكية المعروفة بالميروفنجية سنة ٤٨١م ثم سقوطها
 ٤٥٠
- واقراضها سنة ٧٥٢ ٤٥٢
- الباب الثالث . في قيام الدولة الفرنسية الثانية وانقراضها
 وهي المعروفة بالكارولوفنجية من سنة ٧٥٢ الى ٩٨٧ ٤٥٩
- الباب الرابع . في قيام الدولة الثالثة المعروفة بالكايتيانية
 وسقوطها من سنة ٩٨٧ الى سنة ١٧٨١ ٤٦٣
- الباب الخامس . في الثورة الفرنسية واسبابها وقيام الجمهورية الى
 الامبراطورية الاولى من سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٠٤ ٤٧٧
- الباب السادس . في قيام الامبراطورية الفرنسية الاولى وسقوطها
 وارجاع الملكية وسقوطها ايضا الى قيام الجمهورية الثانية
 والامبراطورية الثالثة وذلك من سنة ١٨٠٤ الى سنة
 ١٨٤٨ ٤٨٩
- الباب السابع . في قيام الجمهورية الثانية من سنة ١٨٤٨ الى
 ١٨٥٢ وقيام الامبراطورية الثالثة من سنة ١٨٥٢ الى
 ١٨٧١ وسقوطها وقيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١ الى
 سنة ١٨٩٠ ٤٩٦

- وجه
- الفصل الثامن . في تاريخ مملكة الانكليز وفيه احد عشر باباً
- ٥٠٥ الباب الاول . في جغرافية انكلترا ووصفها الحالي
- ٥٠٩ وتملك الرومانيين على بلادهم الى سنة ٤٢٠ ليلاد
- ٥١٤ الباب الثالث . في ذكر تملك الدولة السكسونية وحكم الدولة
الدينباركية وذلك من سنة ٤٢٠ الى سنة ١٠٦٦
- ٥٢٠ الباب الرابع . في ذكر تملك العائلة النورمنديية البلانجاينية
من سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٣٩٩
- ٥٣٠ الباب الخامس . في ذكر ملوك لانكستر وعائلة يورك من سنة ١٣٩٩
الى سنة ١٤٨٥
- ٥٣٤ الباب السادس . في تملك العائلة التيودرية من سنة ١٤٨٥
الى سنة ١٦٠٣
- ٥٣٩ الباب السابع . في تملك عائلة استوارت
- ٥٤٧ الباب الثامن . في ملوك برتانيا العظمى من عائلة هانوفر
- ٥٥٥ الباب التاسع . في ذكر مقاطعة ويلس اي غال
- ٥٥٧ الباب العاشر . في تلميح اخبار اسكوتلاندا اي اسكوتسيا
- ٥٦٠ الباب الحادي عشر . في تلميح اخبار ايرلاندا
- ٥٦٢ الفصل العاشر . في وصف مملكة البلجيك وتاريخها
- ٥٦٤ الفصل الحادي عشر . في وصف هولاندا المعروفة ببلاد الفلمنك
وتاريخها
- الفصل الثاني عشر . في الممالك الجرمانية والسلطنة الالمانية وفيه اربعة ابواب
- ٥٦٩ الباب الاول . في وصف هذه البلاد واقسامها
- ٥٦٩ الباب الثاني . في اخبار الجرمانيين القدماء وما حدث في ايام

وجه

- سلاطينهم من سنة ٩١٢ مسيحية الى ظهور مرتينوس لوثيروس ٥٧٤
 الباب الثالث. في بعض اخبار مرتينوس لوثيروس والاضطراب
 الذي حدث في جرمانيا بسبب ارائه الدينية ٥٨٦
 الباب الرابع. في اخبار الامبراطور كارلوس الخامس المعروف
 بشارلكان ٥٩٣
 الفصل الثالث عشر. في وصف سويسرا اي بلاد السويس وتاريخها ٦٠١
 الفصل الرابع عشر. في بلاد النمسا اي اوستريا وفيه بابان
 الباب الاول. في وصف هذه البلاد ٦٠٥
 الباب الثاني. في تاريخ بلاد النمسا ٦٠٧
 الفصل الخامس عشر. في مملكة بروسيا وفيه بابان
 الباب الاول. في وصف بروسيا واهلها ٦١٢
 الباب الثاني. في تاريخ مملكة بروسيا ٦١٤
 الفصل السادس عشر. في تاريخ روسيا وفيه ستة ابواب
 الباب الاول. في جغرافية هذه المملكة ٦٢١
 الباب الثاني. في اصل الروسيين وبداءة مملكتهم وديانتهم
 وعوائدهم من قبل الميلاد الى سنة ١٤٦٢ للميلاد ٦٢٤
 الباب الثالث. في ما جرى منذ تولى ايفان الثالث من سنة ١٤٦٢
 الى سنة ١٥٨٤ ٦٣٠
 الباب الرابع. في ما حدث منذ وفاة ايفان الرابع واقراض سلالة
 رور بك الى ظهور بطرس الاكبر من سنة ١٥٨٤ الى سنة
 ١٦٨٢ ٦٣٥
 الباب الخامس. في استيلاء بطرس الكبير واعماله العظيمة وما
 حصل من المشاجرات والفتن في ايامه والحروب الى غير

وجه

- ٦٤١ ذلك من سنة ١٦٨٢ الى سنة ١٧٢٥
- الباب السادس . في ذكر ما حدث بعد موت بطرس الكبير
- واقطاع سلالة رومانوف وقيام الدولة الهولستينية من
- ٦٤٨ سنة ١٧٢٥ الى سنة ١٨٨٤
- ٦٥٤ الفصل السابع عشر . في وصف بلاد اسوج ونروج وتار يخها
- ٦٥٩ الفصل الثامن عشر . في وصف مملكة دنبارك وتار يخها

القسم الرابع

- ٦٦٧ في تاريخ اميركا وفيه تسعة فصول
- ٦٦٤ الفصل الاول . في وصف قارة اميركا واهلها القدماء
- ٦٦٧ الفصل الثاني . في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت الكاشف
- ٦٦٧ كريستوفوروس كولومبس سنة ١٥٠٦
- ٦٧٧ الفصل الثالث . في مداومة اكتشافات الاسبانبولين وسبب
- ٦٧٧ تسمية القارة اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو
- ٦٨١ الفصل الرابع . في الاستيطان الاوربية
- ٦٨١ الفصل الخامس . في البلاد المتحددة الاميركانية وفيه بابان
- الباب الاول . في وصف البلاد المتحددة وذكر الاسباب التي
- ٦٨٦ هيأت انفصالها عن انكلترا
- ٦٩٠ الباب الثاني . في استقلالية البلاد المتحددة وحدادتها الى هذا اليوم
- ٦٩٨ الفصل السادس . في وصف بلاد مكسيكو وتار يخها
- ٧٠٤ الفصل السابع . في الكلام على الهند الغربية
- ٧٠٨ الفصل الثامن . في اميركا الوسطى
- ٧٠٨ الفصل التاسع . في الكلام عن اشهر اناس اميركا الجنوبية

وجه

- وفيه اربعة ابواب
- ٧١٠ الباب الاول . في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها
- ٧١٢ الباب الثاني . في جمهورية كولومبيا
- ٧١٤ الباب الثالث . في سلطنة برازيل
- ٧١٦ الباب الرابع . في بلاد بيرو

القسم الخامس

في اوسيانكا او اوسيانيا وفيه ثلاثة فصول

- ٧١٩ الفصل الاول . في الكلام على ماليزيا
- ٧٢٣ الفصل الثاني . في اوستراليا
- ٧٢٦ الفصل الثالث . في بولنيزيا
- ٧٣٣ جدول يتضمن ملخص الاختراعات والاكتشافات الكلية
- ٧٤٣ جدول تاريخي يتضمن اشهر حوادث العالم



[Faint, illegible handwritten text, possibly bleed-through from the reverse side of the page.]

4
Y
Y
Y
Y

Y
Y
Y
Y
Y
Y

بسم الله المبدي المعيد

الحمد لله الواحد الجبار . المتعجب عن ذوي البصائر والابصار . الذي
له علم ما كان وما سيكون . في كل الدهور والقرون . اما بعد فاذا كان في
فن التاريخ للانسان فوائد عظيمة . ومنافع جسيمة . لانه يبيِّن عن احوال
الممالك والبلدان . وحوادث ابناء الزمان . وما يتعلق بالحروب والوقائع .
واختراع الفنون والصنائع . فضلاً عن انه لذيد مقبول . لا تملة الاذان
ولا تأباه العقول . شرعت في تأليف هذا الكتاب . في فن التاريخ المستطاب .
الذي لم يسبق بمثله في لغة العرب في هذا الباب . وضمنته اخبار دول
العالم . والآثار المتعلقة ببني آدم . منها ما استخرجته من المؤلفات الاجنبية .
ومنها ما اقتطفته من امهات الكتب العربية . متجنباً فيه التطويل . قاصداً
بذلك التقريب والتسهيل . لينطبع في ذاكرة المطالع . واذن السامع . خبر
مختصر . عن تاريخ البشر . ويكون للعامة ولشبان المدارس الملم علم . الى
معرفة ما حدث في سالف الايام . من الامور التي تستحق الذكر والاهتمام .
استغناء بهذه الصفحات القليلة . عن مطالعة المؤلفات الطويلة . آملاً ان
يكون ذلك واسطة ووسيلة لانهاض هممة كل اديب بارع . للتقدم الى هذا
الميدان الواسع . والمبادرة الى التحاف ابناء الوطن . في هذا الزمن . بمؤلفات

وافية شافية . في فن التاريخ وعلم الجغرافية . ليكون قطر الشام . متقدماً
عاماً بعد عام . في زيادة التقدم وكال الانتظام . ولما تم جمعه . وطاب سمعه .
سميته قطف الزهور في تاريخ الدهور . وقسمته الى خمسة اقسام بحسب اقسام
الكرة الارضية يتضمن كل منها تاريخ دول كل قارة . والى فصول يتضمن
كل منها تاريخ دوله منذ منشأها الى الوقت الحاضر . وانا التمس من اطالع
عليه . ونظر بعين البصيرة اليه . ان يغض الطرف عما يرى فيه
من الخلل والتقصير . ويسبل ذيل المذرة على ما حذف
عمداً او سهواً فان العصمة والكمال لله وحده

وهو العليم الخبير

المقدمة

في وصف التاريخ والجغرافية

التاريخ قصة الجنس البشري ويتضمن ذكر الوقائع والاحبار المتعلقة بالقبائل والاقاليم منذ خليقة العالم ولولاه انظمت اخبار الاولين وجيبت حوادث الملوك الماضين ولم يعلم شي من عوائدهم واصطلاحاتهم وعقائدهم . وقد قسم العلماء التاريخ الى ثلاثة اقسام كبرى . فالاول تاريخ الازمنة القديمة من عهد الخليقة الى انقراض السلطنة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ ليلاد المسيحي وهو يتضمن تاريخ اليهود واشور وبابل والفرس والصين والهند ومصر وطوائف اليونان والرومان وذكر نهوضهم وسقوطهم وما يتعلق بعوائدهم واديانهم وحروبهم واحكامهم الى غير ذلك . والثاني تاريخ القرون المتوسطة من سنة ٤٧٦ الى سنة ١٤٥٣ حينما سقطت السلطنة الشرقية ودخلت الدولة العثمانية الى القسطنطينية . ويشتمل هذا القسم على ظهور الاسلام وامتداد سطوة اهله وشوكتهم وعلى اخبار البرابرة وغزواتهم في اوربا وعلى تاريخ التزامات الامراء وسلطنة شارلمان وانقسامها وقيام السلطنة الالمانية ومنازعات ملوكها مع احبار رومية وعلى الخصام والاختلاف

الذي وقع بين الاحبار المذكورين وبين ملوك اوربا وامراتها من جهة حقوق تسمية الاكليسوس ونصرفهم ويحتوي على تاريخ الحروب الصليبية وغيرها من الاضطرابات والوقائع التي حدثت في جهات اوربا. واما الثالث فهو من سنة ١٤٥٣ الى يومنا هذا ويشتمل على الاكتشافات العظيمة كما ميركا والمهند وغيرها والاصلاح الديني الذي نبغ في المانيا وبلاد السويس وامتد الى اكثر الاقطار الاوربية وعلى حروب فرنسا و المانيا في زمن شارلكان وخلفائه وعلى الثورة الانكليزية التي حدثت في القرن السابع عشر واستقلالية اميركا وظهور نابوليون الاول ومعازيه الى غير ذلك مما لا يسعنا ذكره هنا . ولكننا لم نسلك في هذا الكتاب على هذا الترتيب العام نظراً لصعوبة مناوئته في المطالعة لان التصد بالمطالعة هو الاستفادة والنكاهة معاً فلا يجدها القاري في مؤلف ترتبت صفحاته على النسق المذكور لانه يضطر في اكثر الاحيان ان ينتقل من قصة الى قصة ومن ذكر دولة الى اخرى بحسب وقوع الحوادث وتوارىخها بدون ان يستوفي الكلام عليها الا بعد مطالعة الكتاب بامرته فلذلك فتحنا لكل دولة فصلاً مخصوصاً يتضمن اخبارها منذ منشأها الى الان تسهيلاً للمطالع

اما الجغرافية فعلم مداره هيئة الارض واقسامها وانواع اهلها ووصف مدنها وانهرها وجبالها واقاليها وما يتعلق بمواصلها وغلاتها . فالتاريخ من شأنه ان يسجل الحوادث التي جرت والجغرافية من شأنها ان تبين عن الاماكن والبلدان التي حدثت فيها تلك الحوادث . واذ كانت بينهما علاقة كلية زائدة فلا بد من معرفتها ولو على سبيل الايجاز وهذا هو المقصود من هذا المختصر وفي اثناء الكلام على اخبار الدول وما حدث فيها من التغييرات والحروب سنذكر ان شاء الله اعمال بعض افراد الرجال الذين اتصفوا بالمعارف واشتهر نغمهم بين الناس وما ينسب اليهم من الاعمال الغريبة والاختراعات العجيبة . واذ كانت تواريخ الناس القدماء الذين عاشوا قبل

الطوفان مجبولة الخال ولا يعلم المؤرخون شيئاً عنهم اذ لم يمتدوا الا في
 قسم صغير من اسيا فقد ضربنا عنهم صفحاً . وقبل ان نتقدم في الكلام
 على اخبار الامم وتواريخ الممالك والدول التي اشتهرت من بعد الطوفان
 الى هذا العصر يجب ان نذكر شيئاً من جهة الارض واقسامها وعدد اهلها
 وسكانها على طريقة مختصرة اتماماً للفائدة فنقول

الارض جسم مستدير على شكل كرة وتنقسم الى يابسة ومياه فالمياه
 مشتملة على مقدار سبعة اعشار منها والباقي اي ثلثة اعشار يابسة . وتنقسم
 اليابسة الى برين كبيرين شرقي وغربي فالشرقي يشتمل على اوربا وافريقية
 واسيا والغربي على اميركا الشمالية والجنوبية

اما المياه فهي غمر واسع يسمى باسماء مختلفة بحسب اقسامه فالتقسيم
 الذي بين اوربا واميركا يدعى الاوقيانوس الاطلانتيكي يبلغ عرضه من
 الشرق الى الغرب نحو خمسة الاف ميل والتقسيم الذي بين اميركا واسيا
 يقال له الاوقيانوس الباسيفيكي او المحيط وعرضه نحو اثني عشر الف ميل
 ثم الاوقيانوس الهندي وهو الواقع جنوبي اسيا ثم الاوقيانوس الشمالي
 حول القطب الشمالي وهو مغمور غالباً بالجليد ثم الاوقيانوس الجنوبي ثم
 البحر المتوسط او بحر الروم وهو واقع بين اوربا وافريقية . وهذه البحور
 جميعها متصل بعضها ببعض وقد سميت بالاسماء المذكورة لسهولة الحفظ
 والاستدلال . وفي العالم ايضاً انهر كثيرة نذكر البعض من اكبرها واشهرها
 كهر النيل في افريقيا ونهر الكتك في بلاد الهند ونهر فولكا في اوربا
 ونهر مسوري في البلاد المتحدة ونهر امازون في اميركا الجنوبية ونهر
 الدانوب في الطونا وهو يخرج من باد في جرمانيا ويصب في البحر الاسود
 وفي كل هذه الانهر تجري سفن كبيرة مشحونة بالركاب والبضائع من جهة
 الى اخرى

وينقسم العالم الى اربعة اقسام كبرى يقال لها قارات اولها قارة اسيا

وهي قسم متسع من الارض تشمل على ممالك ومدائن كثيرة مسكونة من ام وطوائف وشعوب مختلفة وعدد سكانها سبع مئة وستون مليوناً تقريباً وذلك أكثر من نصف اهل العالم . واشهر شعوب هذه القارة الصينيون ثم الهنود اى سكان الهند ثم التتر ثم العرب ثم الاتراك ولم يملك متسعة في قارة اوربا وسياقي ذكرهم مفصلاً

ثانيها قارة افريقيا وهي بلاد العبيد وتشمل على بلاد نوبيا والحبشة ومصر وغيرها وعدد اهلها نحو مئة مليون

ثالثها قارة اوربا وهي تنقسم الى جملة ممالك كبيرة كانكترا وجرمانيا وفرنسا وقسم من المملكة العثمانية والمسكوب والنمسا وايطاليا وغيرها وفيها اكبر مدن العالم واحسنها وعدد سكان هذه القارة لا يزيد عن ٣٠٠ مليون رابعها اميركا وهي قارة متسعة جداً وفيها جملة جمهوريات كجمهوريات البلاد المتحدة والمكسيك والبرازيل وممالك كالاملاك الانكليزية وغيرها واعظم هذه البلاد واشهرها الولايات المتحدة في اميركا الشمالية واهلها المعروفون بالاميركانيين الذين اشتهروا بالحرية وجودة العقل حتى انهم يعدون بين شعوب العالم من الرتبة الاولى ويوجد في هذه القارة جملة مدائن كبيرة وجميلة . واكثر من نصف هذه القارة خال من السكان . وعدد اهلها نحو مئة مليون

وبقي غير القارات المذكورة عدة جزائر في البحر المحيط تعد كقسم خامس للعالم منها جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي كجزيرة جاوا وسومطرا وبورنيو واكبر جزيرة بين جزائر العالم جزيرة يقال لها اوستراليا سياقي الكلام عليها في محلها ان شاء الله تعالى وعدد سكان هذه الجزائر نحو ٣٠ مليوناً

اما الاديان في العالم فتقسم اربعة اقسام كبرى وهي وثنية ومسيحية واسلامية ويهودية كما ترى مجموعها

عدد اهل العالم بوجه التقريب

		بحسب القارات	بحسب الاديان
		مليون	مليون
		٧٦٠	٧١٥
		اسيا	وثنية
		١٠٠	٢٠٠
		افريقيا	باباوية
مسيحية	{	٣٠٠	٠٩٠
		اوربا	روم
		٠٩٠	١٣٠
		اميركا	بروتستانية
		٠٣٠	١٤٠
		جزائر البحر	اسلامية
			٥
			يهودية
		١٢٨٠	١٢٨٠

في اقسام رتب الجنس البشري ولغاتهم الاصلية

ومع ان العدد المذكور اعلاه جميعه من اصل واحد ترى بين الناس
 اخلافاً وتفاوتاً عظيماً في اللون والشكل والطباع والعوائد . ويقسم الجنس
 البشري باعتبار اللون ثلاثة اقسام وهي الابيض والاصفر والاسود
 اما الابيض فنه تقريباً كل سكان اوربا واميركا الشمالية ثم سكان
 غربي اسيا وبعض اهالي اميركا الجنوبية وهذا القسم هو اعظم واشهر
 الاقسام المذكورة واليه تنتسب الرئاسة على باقي طوائف العالم . وهو ينقسم
 ايضاً الى عائلتين كبيرتين هما السامية والياضية نسبة الى سام ويافت
 ابني نوح فالعائلة السامية تتضمن كل شعوب غربي اسيا كالعرب والفرس
 والترك والتتر واليهود والكلدان والسيريان الذين كانت منازلهم بقرب
 برج بابل بعد التبليل واستمروا محافظين على معيشتهم في المرعي والجلولان
 وهي العائلة التي اصطفها الله سبحانه وتعالى واختصها بالاعلانات الالهية
 وبقيت معرفته معلومة ومفهومة بين شعوبها زمناً طويلاً حتى انها من

بعد فقد هذه المعرفة وتوغل شعوبها في العبادات الاصنامية كانت اصنامها
اسمى من اصنام باقي طوائف العالم فانهم اتخبوا آلهتهم من الاجرام
الساوية كالشمس والقمر والنجوم بينما كانت آلهة غيرهم من دبابات الارض
وصخور البحر. اما العائلة اليابسية فتتضمن كل الشعوب التي تتكلم باللغات
المعروفة بالهندية الجرمانية او الهندية الاوربية كاللغة السنسكريتية وهي
لغة مقدسة عند الهنود القدماء واللغة الزندية وهي من اللغات المقدسة
ايضاً عند الفرس الاولين ثم اللغة السلاوية التي منها تشتق اللغات
المسكوية والبولونية والسربية وغيرها ثم اللغتين الالمانية والكلتية اي
الغالية القديمة ثم اليونانية واللاتينية وغيرها. وهذه الشعوب اليابسية لم
تبق على حالها الاولى متفرقة في البوادي ومشتغلة بالملاهي ورعي المواشي
كالشعوب السامية بل انعكف اكثرها على الزراعة واكتساب الصنائع
والعلوم وانشاء العمار والابنية ففاقوا على باقي اخوانهم تمدناً وقوة وشهرة
غير ان معتقداتهم الدينية كانت في رتبة ادنى من الساميين فانهم لتفرقهم
وهجرهم مواطنهم وتوغلهم في البراري والقفار نسوا تلك المعارف الدينية
المتصلة اليهم من نوح واولاده فاشركوا بالله بان عبدوا معه القوت
الطبيعية والمناظر الرائقة التي كانت تراءى لهم كالرعد والبحر والنور
والظلام وغير ذلك

اما القسم الثاني وهو الاصفر فيمتاز باصفرار البشرة التي هي اشبه بزي
الزيتون ولا يعلم الى من من اولاد نوح ينسب هذا الجنس من البشر على
انه بالنظر الى المعارف والآداب هو ادنى جداً من القسم الاول مع انه
كثير العدد ويتضمن كل شعوب اسيا الشرقية كالغول الذين هم جنس
من التتر ثم التتو والهنود واهل الصين وياپان وبعض شعوب روسيا في
اوربا وسكان شمالي اميركا المعروفين بالاسكيمو وغيرهم
واما القسم الثالث وهو الجنس الاسود فتعني اشكاله عن الوصف

ومنه أكثر سكان اواسط افريقيا وجنوبها وسكان اميركا الاصليون
الذين وجدوا قبل دخول الاوربيين الى تلك القارة ثم سكان استراليا
والجزائر المجاورة لها. وكان عدد كثير من هذا الجنس قد اتى وسكن في
غرب اسيا وجنوبها كبايلونيا وبلاد العرب وكنعان وفينيقية ومصر واختلط
مع العائلة السامية فنتج من ذلك الاختلاط فروع عديدة . وهذا الجنس
اقل تمدناً من الجنس المغولي وكثير منه في حالة التوحش التام وهم يعبدون
الاصنام من الدرجة الدنيا كالحيوانات والذبابات والاشجار وكهنتهم من
الصحرة اهل الخداع والنفاق الذين يضرّون كثيراً بالشعب ويتصرفون في
اموالهم ونفوسهم بزعمهم ان ذلك مما يصرف غضب الآلهة عنهم
وقد قسم العلماء اهل العالم الى اربع مراتب وكل رتبة تمتاز عما سواها
بالمعارف والفنون فاصحاب الرتبة الاولى يقال لهم المتنورون والثانية المتمدنون
والثالثة النصف المتمدنين والرابعة المتوحشون او البرابرة

اما المتنورون فهم الذين في اعلى درجة من التمدن والمعارف وعندهم
انواع الكتب النفيسة والمدارس الكلية والابنية الفاخرة والمراكب البخارية
والسكك الحديدية . واما المتمدنون فهم الذين عندهم نوع من التنوير
ولكنهم لم يصلوا الى درجة الكمال فلهم عناية ومعرفة بالصنائع والمهن وبعض
العلوم غير ان مدارسهم قليلة والعلوم فيها بسيطة حتى ان كثيرين منهم
لا يتعلمون القراءة والكتابة ومنهم اهل الصين والهند والبعض الآخر من
اهالي اسيا وافريقيا واوروبا . واما النصف المتمدنين فهم الذين في الحال
البربرية يسكنون في اكواخ من طين وليس عندهم معابد ولهم عوائد غليظة
ردية ومنهم اغلب العبيد في افريقيا وغيرهم من عشائر اسيا . واما المتوحشون
فهم الذين يعيشون كالوحوش والبهائم بين الالجام والغابات ويقفون من
الصيد بالقوس والشاب ومنهم هنود اميركا وبعض العبيد في افريقيا وبعض
سكان اسيا وجزائر الاوقيانوس

القسم الأول

في قارة اسيا وشعوبها ودولها وممالكها وما يتعلق بها

الفصل الاول

في مناخ اسيا وحواصلها وجبالها وحيواناتها

قد ذكرنا فيما سبق ان اسيا هي بلاد متسعة جداً تحوي على مدن عديدة وشعوب كثيرة وبلاد واسعة وتكلم عليها الآن باوضح بيان فنقول ان هذه القارة واقعة في الجهة الشرقية من الكرة الشرقية والموله في جنوبها حار جداً وأكثر اراضيها مخصبة ينمو فيها البن والفلفل والفتسق واللوز والزيتون وقصب السكر والارز والموز والكافور والعود والند وغير ذلك من الاصناف كالرياحين والتوابل والافيون والصبر والازهار البهجة ذوات الروائح الذكية وفي جنوبي هذه القارة مملكة الصين والهند والعجم والاتيراك والعرب

وفي اواسط اسيا جبال شاهقة رؤسها مغمورة بالثلج الدائم وهي من اعلى جبال الدنيا يبلغ ارتفاع بعضها نحو ستة اميال تقريباً وفي شمال هذه الجبال اراض باردة فيها سهول متسعة واهلها قبائل من التتر ينتقلون من مكان الى مكان في طلب المرعى لجمالهم وخبولهم ومواشيهم . وليس في تلك السهول المقفرة سوى قليل من المدن والقرى وأكثر اهلها يسكنون في الخيام ويقتاتون من لحوم مواشيهم والبانها ويقتنصون الابل وحمار الوحش وغير ذلك من الحيوانات البرية في تلك النواحي والاقليم

وفي هذه القارة اجناس كثيرة من الحيوانات التي تستحق الاعتبار كالقيل في الغياض والكركن على شطوط الانهر والاسد في البراري والسهول والنمر والنهد في الاجام. وفيها ايضا اجناس هائلة من الافاعي يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين قدماً او نحو خمس عشرة ذراعاً وانواع كثيرة من السعادين والقرود في الاماكن الحارة وفيها ايضا الخيول الحسان والجمال والهجن المستظرفة وغيرها من الحيوانات المختلفة لم نذكرها خوف الاطالة وفي الجهات الجنوبية من اسيا تحدث زوايع عظيمة جداً فنقصف الاشجار احياناً. وحياناً تجف الارض وتيبس من قلة المياه فيحدث من جرى ذلك جوع شديد. وحياناً تأتي مع الرياح ربوات عديدة من الجراد فتفسد الزرع وتبتلع كل نبات اخضر. وحياناً يأتي الربأ ويهلك الوفك كثيرة من الناس. اما الآن فقد ضعفت قوة الامراض الوبائية اولاً بسبب اعتناء ولاة الامور بالكورتينا والتدابير الحسنة لحفظ الصحة العامة ثانياً بسبب تقدم الناس في هذا العصر الى درجة سامية من التمدن في المعيشة والرفاهية فترى مما تقدم ان اسيا هي ارض العجائب والغرائب في تاريخها وجغرافيتها وانها اكبر اقسام الارض. فيها اعلى الجبال واكثر انواع الحيوانات والمحصولات وفيها تظهر احسن الفصول وسكانها اكثر عدداً من بقية القارات. ومما يزيد بها اعتباراً وشرقاً انها هي الارض التي خلق الانسان فيها ومنها امتلأت الارض سكاناً وتفرقت في العالم وفيها حدثت اغرب الحوادث المتعلقة بتاريخ البشر وفيها ايضا ولد اعجب واعظم الاشخاص الذين عاشوا في هذا العالم وفيها ظهرت الانبياء وانتشرت اكثر المذاهب الدينية وفيها ايضا صنع الله القدير عجائبه العظيمة. وهي التي ارنق اهلها في سالف الازمنة الى درجة سامية في الصنائع والمعارف بينما كانت باقي اهل العالم تائهاً في قفر الجهالة والتوحش

الفصل الثاني

في الخليفة والطوفان وتشعب الارض ثانية

كان خلق العالم منذ نحو ستة الآف سنة وتفصيل حديثه مذکور
بعبارات رائعة واضحة في الاصحاح الاول من سفر التكوين

اما آدم وحواء فخلقهما الله عز وجل وكانا الشخصين الوحيدين في هذا
العالم ولم يكونا يشعران بالوحدة لان الله كان معهما . ثم ولد لها الاولاد
وعلى توالي الايام كثر نسلهما جدا وابتنوا له قومي ومدناً في تلك الجهات
المجاورة للفرات وسكنوها ولكنهم زاغوا اخيراً وارتكبوا الشرور وتركوا
عبادة الله حتى امتلأت الارض ظلماً منهم

ولما رأى الله ان شر الانسان قد كثر على الارض وان كل تصور
افكار قلبه انما هو شرير قصد اهلاكهم وبادتهم بالطوفان ولم تكن تلك
الدينونة التي تزلت بهم قصاصاً لم فقط بل موعظة وانذاراً لجميع شعوب
الامم في القرون المستقبلية ليعلموا بان الشر والويل يعقبان الخطية

ومما يستحق العجب انه لم يكن بين تلك الطوائف المذكورة رجل
صالح غير نوح فاراد الله ان ينجيه مع عائلته من ذلك البلاد فاعلمه
بقصده وامره ان يبني لنفسه فلكاً ليعوم على الماء وان يدخل ذلك الفلك
هو وبنوه وامراته ونساء بنيه ويدخل معه ازواجاً من اجناس الحيوانات
والدبابات والطيور لكي يملا الارض ثانية بعد اتمام حكمه . ففعل نوح كما
امره الله وبعد ان صاروا جميعاً داخل الفلك انفتحت كوى السماء وانفتحت
كل ينابيع الفجر وغطت المياه جميع الارض ومات كل ذي جسد كان

يدب على الارض من الطيور والبهائم وجميع الناس واما الفلك فكان عائماً بدون خطر على وجه المياه.

فكذا انقطعت جميع الشعوب واندرست واصبحت الارض ثانية بعائلة واحدة من جنسنا البشري. وكان وقوع هذه الحادثة المخيفة بعد الخليقة بالف وست مئة وست وخمسين سنة. وكان حدوث الطوفان على راسه الاكثرين في شهر تشرين الثاني وان الامطار كفت في شهر اذار وبعد ذلك جفت المياه.

وكان الفلك قد استقر على راس جبل عال في بلاد ارمينية يقال له اراراط لم يزل الى يومنا هذا. فخرج حينئذ نوح مع عائلته من الفلك ومنهم تشعبت الارض ثانية. اما الحيوانات فتفرقت الى كل الجهات وفي مدة اجيال قليلة ملأت الارض.

فانطلق بنو نوح مع عيالهم الى ارض شنعار الواقعة في جنوب جبال اراراط بالقرب من نهري الفرات ودجلة واستوطنوا هناك وكانوا يزدادون يوماً فيوماً حتى انهم في مدة مئة سنة بعد الطوفان صاروا شعباً عظيماً. وكان الى ذلك الوقت لم يزل اكثر اهل بيت نوح احياء فكانوا يخبرون اولادهم كيف طافت المياه وغطت وجه الارض وكيف اهلكت جميع الناس والحيوانات ما عدا الذين التجأوا الى الفلك وكان الذين بلغهم خبر الطوفان يخافون جداً ان يجلب شر البشر عليهم قصاصاً ثانياً نظير ذلك فاجتمع رايهم على بناء برج عظيم لكي يتجنبوا اليه وقت الحاجة ويخلصوا به من الغرق والهلاك فشرعوا في تأسيسه على شاطئ نهر الفرات الى جهة الشرق واجتهدوا في اقامته غاية الاجتهاد حتى رفعوه عن الارض مسافة ليست بقليلة وربما كانوا ناصدين بجهلهم ان يصلوا به الى الجو ومن هناك الى السماء ولكن مع اجتهادهم وتقدمهم في البناء كانت الشمس والنجوم لا تزال بعيدة عنهم كبعدهم عنها عند بداءة مشروعهم في هذا العمل.

فاتفق ذات يوم انه يبتا كان هولاء الجيلة منهمكين في ذلك حدث
امر عجيب يستحق الذكر وهو ان الله سبحانه وتعالى بلبل الستهم حتى لم
يعد بينهم احدهم كلام الآخر ومن الاختلاف في الفهم نتج الاختلاف في
الاراء بين الروساء والمرؤوسين

فهذه الحادثة العجيبة افلقتهم وشوشت افكارهم حتى اضطروا ان يكفوا
عن بناء البرج والصعود الى السماء. ولما خاب املهم وحبط عملهم تأسفوا
غاية الاسف على عدم نجاحهم وعزموا على الانتقال من هناك والجلولان في
اقطار العالم. والمظنون ان كل فرقة منهم ممن كانت تكلم بلغة واحدة
تجمعت وانضم بعضها الى البعض وذهبت الى جهة معلومة من الارض.
ودعي اسم ذلك البرج برج بابل الى يومنا هذا

وقد سبق القول ان الارض تشعبت بعد الطوفان باولاد نوح وهم
سام وحام ويافت. وكان ليافت هذا سبعة بنين

الاول جومر وهو الذي هاجر الى الشاطيء الشمالي من البحر الاسود
ومن ثم تفرق نسله غربا وسكنوا في الجنوب الغربي من اوربا وفي جزائر
بريطانيا واكثر الاوربيين من نسله. وقد كان لجومر ثلاثة بنين الاول
اشكناز ومحلته الشاطي الجنوبي من البحر الاسود. الثاني ريفاث ومحلته
شرقي اشكناز. الثالث تجرمة ومحلته الجانب الشرقي من ريفاث

الثاني ماجوج ومحلته بلاد التراي الشاطيء الجنوبي من بحر الخزر
واكثر سكان اواسط اسيا من نسله كالغول. الثالث مادي ومحلته شمالي
بلاد العجم. الرابع ياوان ومحلته بلاد اليونان وباسمه سمي دانيال النبي اهالي
هذه البلاد. وكان لياوان هذا اربعة بنين الاول اليشة ومحلته هيلاس وهي
الولاية الجنوبية الغربية من بلاد اليونان. الثاني ترشيش ومحلته كيليكيا
في اسيا الصغرى في الاناضول وباسمه سميت مدينة ترسيس وذهب بعضهم
الى ان من نسله من سكن ايضا في بلاد اسبانيا. الثالث كتيم ومكانه عند

شطوط بحر ايطاليا وبلاد اليونان . الرابع دودانيم ومكانه البانيا اي بلاد
الارناوط جنوبي مدينة تريسته ويظن ايضا انه سكن في نواحي مرسيليا
في جنوب فرنسا . الخامس توبال ومحلّه بجوار ماجوج وبين البحر الاسود
وبحر الخزر . السادس ماشك ومكثه في جوار توبال وماجوج وقد سكن
بعض نسله على شواطئ بحر البتيك ومنه تسلسل بعض المسكويين .
السابع تيراس ولا يعلم محل سكناه والمظنون ان نصف اهل الارض من
نسل يافث

واما حام فكان له اربعة بنين . الاول كوش وكان له ستة بنين
ومحلّه غربي بلاد العرب وقد سكن عند الشطوط الشمالية من خليج العجم
وامتد شمالاً الى ما بين النهرين . ويظن ان اكثر اهالي افريقيا من نسله
لانهم كانوا ينسبون اليه وان بنيه جميعاً سكنوا بلاد العرب وافريقيا ما
عدا نمرود فانه سكن على الفرات وهو الذي اسس مدينة بابل . الثاني
مصرام ومحلّه مصر ولذلك سميت مصر نسبة اليه وقد تفرع منه سبع
قبائل الاولى لوديم ومحلها غربي مصر . الثانية عناميم وهذه كانت من القبائل
الرحل . الثالثة لهايم سكنت جنوبي لوديم . الرابعة نتوحيم ومحلها على شاطئ
البحر في الجهة الغربية من مصر والمظنون ان نبتون (اله البحر عند الاقدمين)
ماخوذ منها . الخامسة قروسيم ومحلها مصر العليا . السادسة كسلوچيم ومحلها
بين مصر وارض كنعان على شطط البحر ومنها الفلسطينيين . السابعة كفتوريم
ومحلها جزيرة قبرس . الثالث فوط وقد سكن شمالي افريقيا ونسله مذكور
مع كوش ولود . الرابع كنعان ومحلّه الارض المنسوبة اليه وهي هذه
البلاد . وكان له اثنان الاول صيدون وهو الذي بنى المدينة المدعوة باسمه
اي صيدا ويظن انها اقدم مدن العالم . والثاني حث . وقد خرج منه غير
هذين الولدين تسع قبائل سكنت ارض كنعان الى ايام يشوع بن نون
واما سام فكان له خمسة بنين . الاول عيلام ومحلّه جنوبي بلاد

العجم . الثاني اشور ومنه الاشوريين كانوا مستعبدين لعمود وكوش .
 الثالث ارفكشاد وقد توطن بين النهرين ومن نسله خرج ابراهيم خليل
 الله . وكان له ولد وهو شالح الذي ولد عابر المأخوذ منه اسم العبرانيين
 وله فالج ويقطان وكان ليقطان اخي فالج ثلثة عشر ولداً منهم قبائل بلاد
 العرب الخصبة وسكن الاسماعيليون بينهم . الرابع لود ومنه اللواديون ومحلهم
 بر الاناضول . الخامس ارام ومحلّه بين النهرين ولذلك سميت هذه الارض
 سهل ارام وكان له اربعة بنين . الاول عوض ومحلّه عند راس خليج
 العجم . الثاني حول ومحلّه عند مخرج نهر الاردن حيث يدعى باسمه . والثالث
 جاش . والرابع ماش وقد سكنوا في بر الاناضول

فيتين لنا بما تقدم ان اكثر اهالي اوربا وشمالى اسيا ايضا من نسل
 يافث وان اهل اواسط اسيا من نسل سام واما اكثر اهالي افريقيا فمن
 نسل حام . واما بلاد اميركا وجزائر البحر فقد عمرت من اسيا وافريقيا
 بانتقال بعض الناس اليها وتوطنهم بها ما بين بيوغاز بيرين الذي يظن
 انه كان برزخاً

قد اكتشف بعض السياح المتأخرين على شاطي الفرات تلة كبيرة
 من اللبن مجبولاً بالحدّر مجففاً بالشمس والارجح ان هذه التلة من آثار
 خراب برج بابل الذي شرع اولئك القوم بينونه من نحو اربعة الاف سنة

الفصل الثالث

في مملكة اشور

الباب الاول

في نينوى وبابل

اشتهرت هذه الدولة بالدولة الاشورية نسبة الى اشور بن سام بن نوح اول ملوكها وكان من امرها انه عند تفرق الناس في العالم كما سبقت الاشارة استوطن منهم جماعة في بلاد شنعار بالقرب من برج بابل وتمكنوا فيها وكانت حارة الهواء مخصبة التربة فكسوها بالمدن والقرى . ولما حسنت احوالهم وانتظمت امورهم اتحدوا وارتبطوا معاً وصاروا امة مستقلة وكانت اول مملكة في العالم . وكان موقعها شرقي دجلة يحدها شمالاً بلاد الارمن وغرباً ما بين النهرين وشرقاً بلاد مادي وجنوباً بابلونيا وكانت وقتئذ منفصلة عن مملكة اشور . واول ملوك هذه الدولة اشور المذكور وباسمه دُعيت البلاد كما مر . وكان ملكاً مقتدرًا ذا شوكة عظيمة وهو الذي بنى مدينة نينوى سنة ٢٢٢٩ ق م وبنى لها سوراً متيعاً بلغ ارتفاعه ٥٠ ذراعاً واقام لوقايتها وصيانتها خمسة عشر برجاً علو كل منها مئة ذراع . قيل ان المدينة كانت كبيرة متسعة حتى لم يكن احد يستطيع ان يدور حولها ماشياً باقل من ثلاثين ساعة . وقد اكتشف احد السياح مؤخراً بين خرائبها بعض عاديات مردوفة وتصاوير منقوشة ومرسومة على التايل والاحجار فنقلت بعضها الى بلاد الانكليز وبعضها الى فرنسا وغيرها من البلاد الاوربية

واما بابل عاصمة بابلونيا فهي مدينة كبيرة شهيرة اعظم من فينوى
 اتساعاً واجملها رونقاً وحسنًا بناها نمرود حفيد حام اي الابن السادس
 لكوش بن حام الذي كان معاصراً لاشور المذكور . وكانت هذه المدينة
 قائمة في وسط سهلٍ فسيحٍ وارضٍ مخصبة جداً يخرقها نهر الفرات جارياً في
 وسطها من الشمال الى الجنوب . ويحيط بها سوران عظيمان يبلغ محيطهما
 ستين ميلاً وعرضهما سبعة وثمانين قدماً بحيث تجري فوقهما ست مركبات
 صنفاً واحداً وارتفاعها ثلاث مئة وخمسين قدماً وكان لها مئة باب من نحاس
 من كل جهة خمسة وعشرون باباً وكان لها ايضا خمس وعشرون سوقاً تمر
 من جانب الى جانب شرقاً وغرباً وكذا شمالاً وجنوباً اي سوق ممتدة من
 كل باب الى ما يقابله في الجهة المقابلة واتقسمت المدينة بهذه الاسواق
 الى ٦٧٦ مربعاً بنيت البيوت حولها وفي وسطها احسن البساتين والمنتزهات .
 وكان في وسطها هيكل يعل اله الاشوريين بنته الملكة سميرامس الآتي
 ذكرها واقامت فيه تمثالا من ذهب للضم المذكور علوه ٤٠ قدماً وكان من
 اعظم الهياكل واعلى من كل ما بناه البشر يبلغ ارتفاعه ٦٦٠ قدماً وهو
 اعلى من اعظم الاهرام المصرية وقد وصفه هيرودوتس المؤرخ اليوناني فقال
 انه كان مربع الشكل ومساحته من كل الجهات ٤٠٠ ذراع وفي وسطه
 برج عظيم يبلغ ارتفاعه ست مئة قدم . ويعلو هذا البرج سبعة ابراج علو
 كل واحد منها ٧٥ قدماً . وكان في البرج الاخير مسجد فيه مائة من
 ذهب وفي البرج الاسفل مسجد آخر فيه تمثال من ذهب وبقره مائة
 وكرسي من ذهب يساوي ثمنها نحو ٢٢٥ مليوناً من الفروش وكان خارج
 هذا المسجد مذبحان احدهما من ذهب يقدمون عليه الذبايح وهي من اناث
 الحيوانات واما الآخر فكان عظيم جداً قد اعدوه لتقديم الذبايح المعتادة .
 وكانوا يوقدون عليه كل سنة في عيد الاله المذكور ٣٠٠٠٠ انة يخور

الباب الثاني

في اخبار الملكة سميرامس

وكانت الملكة سميرامس المقدم ذكرها زوجة الملك نينوس الذي كان قد اتفرد باحكام مملكة اشور واستولى على جميع الممالك الواقعة بين نهر الهند والبحر المتوسط فنزلت على المملكة بعد وفاة زوجها وبذلت الهمة في تحسين مدينة بابل وتزيمها فاقامت فيها الابنية العظيمة والهياكل المنتظمة وانشأت القصور والبساتين والترع والقناطر وغير ذلك من المباني المزخرفة والمنزهات البهجة

ومن العجائب ان هذه الملكة لم تكثف بما كانت عليه من العظمة والجاه وطيب العيش بل اهاجها الطمع الى الاستيلاء على باقي ممالك الدنيا فجمعت جيشا عظيما وزحفت به الى بلاد هندستان في الجنوب الشرقي من مملكة اشور بعد ان كانت قد استظهرت على بلاد مصر والحبشة واستولت على جميع مدن فلسطين

وكان ملك الهند يومئذ ملكا غنيا مقتدرا فلما بلغه قدوم الملكة سميرامس لافتتاح بلاده تأثر من ذلك فجمع جيشا جرارا وحصن القلاع بالعاكر والجنود واستعد لدفعها. وكان عنده افيال كثيرة قد تمررت من صغرها على الهجوم في معارك الحرب والدخول بين صفوف الاعداء فكانت تأتي بخر اطيها الابطال وتدوسهم بارجلها. ولما اشرفت الملكة سميرامس على مدينة ملك الهند وبلغها خبر تلك الافيال ارتابت وخافت من انتصار الهنود عليها واذا لم يكن عندها قوة تضاهيها اجتمهت ان تدفع عنها هذه البلية بطريقة احيائية فامرت قواد العسكر بذيبح ثلاثة الاف بقرة من

سبع اشوري براس انسان واجنحة طائر دلالة على القوة والمعرفة في مملكة اشور



ذوات اللون الاسمر وان يسلخوها ويفصلوا جلودها على هيئة الايغال
ويلبسوها للجمال فامتثلوا ما امرت وفعلوا كما ذكرت وعلى هذه الصورة
انزلتها الى ميدان الحرب لتلقى الرعب في قلوب الاعداء باظهارها لهم
استعداداتها الحربية وشوكتها القوية . فلما انتشب القتال بين الفريقين
انعطف ملك الهند باياله الحقيقية على عسكر الاشور بين وتقدمت الملكة
سميرامس بجمالها وفرسانها وجلود ثيرانها ولما اقترب العسكران والتقى
الجيشان انكشفت للهنود تلك الحيلة وتحقق عندهم انه لا يوجد عند الاعداء
ايغال كما فياهم وان كل ما يرى انما هو حيلة وخداع فتشجعوا وهجموا على
صفوف الاشور بين هجمة هائلة فالتقتهم الملكة سميرامس برجالها وابطالها
فاشتد القتال وعظمت الاحوال ودخلت ايغال الهنود بين صفوف
الاشور بين فكانت تحطف الرجال عن خيولها وتدوسها فما لبثت الجمال
المصنعة ان ولت الادبار وطلبت النجاة والفرار ولم تكن الا برهة يسيرة
حتى انكسر جيش الاشور بين وتفرق وتشتت شمله وانتصرت الهنود انتصاراً
عظيماً وكسبت غنائم جسيمة وكانت الملكة سميرامس قد جرحت جرحاً عميقاً
ولكنها فازت بالهزيمة بسبب خفة فرسها ورجعت الى بلادها بالخبية بعد
تلك السطوة والهيبة وتقاعدت عن الحروب ولكنها لم تلتذ فيما بعد بنتزعاتها
وسباتيتها التي كانت قد انشأتها لنفسها وذلك لقصر مدتها لانها لم تلبث
الأزمناء يسيراً حتى قتلها ولدها نيناس على ما قيل وتولى مكانها وهكذا
انقضت حياة هذه الملكة العظيمة التي كانت دأبها الغزو والحروب طبعاً
بالفتوحات والغنائم عوضاً عن ان تصرف مدتها في تنظيم مملكتها ونجاح امته

الباب الثالث

في ذكر الملك نيناس وولاية الملك سردنقول
وخراب مملكة اشور الاولى

ولما قتل نيناس امه كما تقدم جلس على سرير المملكة ونقلد زمام
الاحكام وكان جلوسه قبل المسيح بالني سنة او ٣٥٠ بعد الطوفان وكان
رجلاً شريراً قبيحاً ذمياً فامر الهمة ضعيف الراي يميل الى الكسل والانفراد
لا يلتفت الى الحكومة ولم يكثرث بحفظ ناموس السلطنة بل صرف زمانه
داخل قصره في اللذات والشهوات فمقته الشعب وردوه واحرقوه وتكلموا
فيه كلاماً قبيحاً واذ كان لا يجيل ما تقول الناس فيه حاذر على نفسه من
العدو والحيانة فاقام حراساً على ابوابه للحفاظ عليه ولا نعلم بالحقيقة كيف
انتهت ايامه لان التاريخ لا يفيدنا عن ذلك شيئاً

ثم مضى على ذلك مدة ثمان مئة سنة لانعلم ماذا جرى في مملكة اشور
فان المؤرخين لم يذكروا شيئاً من اخبارها ولذلك ضربنا عنها صفحاً
والمفطنون ان اكثر ملوكها الذين استولوا عليها في اثناء هذه المدة ليس
لهم ما اثر ولا فضائل بل كانوا اشبه بيناس يصرفون اوقاتهم بالملاهي
والرذائل ولم يكن لهم من الشهرة ما يستحق الذكر

وتبوءاً بعد ذلك سرير مملكة اشور الملك سردنقول فكان شاباً جميلاً
ولكنه كان متوانياً مماناً لا يبالي بامر المملكة ولا يهتم بنجاح الشعب وكان يقضي
ايامه ولياليه في السكر واللذات ويتسلى بمجالسة النساء والمحادثة معهن
ويخلق باخلاقهن ومن غريب اعماله انه كان يتزين بلبسهن في اكثر
الاحيان وبهذه الصفة المضحكة كان يجلس بينهن ويساعدهن في الغزل

فصار مرذولاً ومهتماً عند أكثر الناس ولهذا اعتمد رئيسان من اكابر
قوادى ان يهدما سلطته ويستوليا على مملكته وهما ار باسيس رئيس عسكر
بلاد مادى التي كانت يومئذ من جملة الولايات التابعة لمملكة اشور
وبيليزيس قائد جيوش مدينة بابل وما يليها فاشهرا راية العصيان وجمعا
ار بعين الف مقاتل وهجما على مدينة نينوى واقاما عليه حرباً وحاصراه
اشد الحصار حتى لم يمكنه الفرار. فلما يس من السلامة ولم ير لنفسه
وجياً للهزيمة داخله الخوف وعلم انه اذا بقي في قيد الحياة ربما يؤخذ
اسيراً ويصير عبداً فلم يسعه الا ان جمع خزان امواله وما ملكت يده
من الذخائر في قاعة كبيرة وجعلها
كومة واحدة واضرم فيها النار
فاحترقت به مع كل من كان في
القصر من محافظيه ونسائه
ومرانيه . وكانت حدوث هذه
الواقعة الهائلة سنة ٧٦٠ ق م



عسكري اشوري مدرع

وهكذا انتهت مملكة اشور الاولى واقتسمها المشتركان في هذه الدسية
فنقلد ار باسيس المذكور زمام بلاد مادى ونسب عليها ملكاً مستقلاً .
واستولى بيليزيس على مدينة بابل وسبى ملكاً عليها الى سنة ٧٤٧ ق م .
وكان لسردنقول ولد اسمه فول فلم يبق له من مملكة اشور سوى
مدينة نينوى فجلس عليها ملكاً من سنة ٧٥٩ الى سنة ٧٤٢ . وهو الذي
اقام حرباً على الاسرائيليين في ايام منجم احد ملوك امراييل واخذ منه
الف وزنة من الفضة حتى رجع عنه . وخلف الملك فول على نينوى ابنته
تغلت فلاصر من سنة ٧٤٢ الى سنة ٧٢٤ وكان شجاعاً مرهوباً ظافراً سيفه

حروبه ومغازيه ولا سيما في وقائعه مع ملوك سورية واسرائيل . وهو الذي انتصر للملك آحاز بن يوثام من ملوك يهوذا وامداه بالعساكر والمعات على قتال الاراميين وافتتح دمشق وسبي اهلها

الباب الرابع

في ذكر بعض مشاهير ملوك اشور

وخلف تغلث فلاصر المذكور ابنه شلناصر سنة ٧٢٤ قبل المسيح . وكان جباراً مقتدرًا فاقام حرباً على ملوك سورية وحاصر مدينة صور زمناً طويلاً وعجز عن الاستيلاء عليها . وله دفع هوشع ملك اسرائيل الجزية . وهو الذي سبي عشرة اسباط اسرائيل الى اشور واتى بقوم من اهل مملكته واسكنهم مدن السامرة واليهم انتسبت طائفة السامرة وخلف شلناصر ابنه سنحاريب سنة ٧١٢ قبل المسيح وسلك مسلك ابيه في المغازي والحروب المتتابعة فحارب اليهود وانتصر على ملوك مصر والحبشة وخرب مدنها ونهبها مدة ثلاث سنين واتى منها بغنائم عظيمة واموال جسيمة ثم حاصر القدس في ايام الملك حزقيا وتهدد شعب اليهود وضايقهم فارسل الرب ملاكه ليلاً وقتل من جيشه ١٨٥٠٠٠ رجل فارتد راجعاً الى بلاده مهزوماً مقهوراً وعند وصوله الى نينوى بنى ابنية جديدة وانقنها . واتفق انه بينما كان ذات يوم ساجداً في هيكله امام الالهة دخل اثنان من اولاده وقتلاه . ولكن لم ينجحاً بهذا العمل فانهما التزما ان يهربا الى بلاد ارمينيا ويتركا الملك لاختيما اسرحدون . وقد

اكتشف العلامة الحاذق مستر ليرد الانكليزي في هذه الايام صورة
 سنخاريب الملك مع بعض التاثير وصور اخرى بين خرب مدينة نينوى
 وهي الان في قصر الاثار القديمة في مدينة لندن . ويقال ان الصورة
 المنقوشة على الصخرة تجاه نهر الكلب شرقي بيروت هي صورته
 ثم استقل بالملك بعده ابنه اسرحدون المذكور من سنة ٧٠٣ الى
 سنة ٦٦٧ ق م وفي سنة ٦٨٠ استولى اسرحدون على بابل ونسلط على
 جميع اقاليمها ولما قويت شوكته جهز جيشا عظيما وزحف به الى سورية
 فحارب ملوكها نظير اسلافه وقهرهم وادخلهم تحت الطاعة والاتقياد ثم
 سار الى فلسطين فاسر الملك منسى بن حزقيا وارسل قوما من اهل بلاده
 للاقامة في مدن السامرة . ومن اشهر ملوك بابل الملك نبوخذنصر الاول
 نبواً سرير الملك سنة ٦٠٥ ق م وكان ملكاً عظيماً ذا قوة وشوكة وثروة
 جسيمة ولم يكن دابه الا توسيع مملكته بالفتوحات والانتصارات وقد بلغ
 من درجة المجد والفخار مبلغاً عظيماً وهو الذي استظهر على بلاد اليهودية
 وافتتح مدينة القدس واسر يهوياكيم ملك يهوذا وسبي كل شعب اليهود
 مع ملكهم صدقيا بعد ما قلع عينيه واحرق المدينة بالنار . وكان قد افتتح
 مدينة صور بعد حصار ثلاث عشرة سنة واخضعها ثم سار الى مصر وغلبها
 واخذ منها غنائم وافرة استخدمها في تحسين بابل وضرب على اهلها خراجاً
 معلوماً يدفعونه كل سنة ووضع عليها النواب والعمال . ولما رأى ذاته
 مكلاً بفتح لامزيد عليه اعتر بشوكته وعظمته فبغى وتجبهر وطفى
 وتكبر ونظم نفسه في سلك الآلهة وطلب من الشعب ان يعبدوه ويسجدوا
 لتمثاله الذهبي الذي اقامه لنفسه فصر به الله بالجنون فكان يظن انه
 تحول الى صورة بقرة فخرج الى البرية واقام بين الآجام والغايات مدة
 سبع سنين وتولت مكانه زوجته الملكة نيتوكريس . وعند نهاية تلك
 المدة تاب ورجع الى الله فحكم سنة واحدة ثم توفي سنة ٥٦٢ ق م



صورة ملك اشوري وجدت في خرائب نينوى

وتولى بعده ابنه اويل مرووخ وكان هذا الملك محبا لدانيال النبي وهو
الذي اطلق سبيل يهوياكيم ملك يهوذا من الامر وقدمه على سائر الملوك
الساقطين ومنحه المكان الاول في الجلوس على المائدة وانتهى الحال بهذا
الملك انه مات قتيلاً في حرب اقامها عليه الفرس والماديون تحت قيادة
كورش بعد ان حكم نحو ثلاث سنين ثم اجلس على سرير المملكة بعده
باشاصر ابنه وكان منعمكاً في اللذات لا يلتفت الى الاحكام ولا يسأل
عن احوال الرعايا وصرف اوقاته بالولائم واللذات ولذلك سلم عنان
الاحكام للملكة نيتوكريس فكانت تنوب عنه وتشاركه في الحكم وليث
اشتركا معه مدة عشرين سنة وانتق في اواخر هذه المدة انه يبغض هو مولد

وليمة عظيمة ذات يوم وعاكف على الشرب والانشراح امر باحضار الاواني الذهبية التي كان نبوخذنصر جده قد سلبها من هيكل اورشليم فاستخدمها في شرب الخمر فظهرت له يد كتبت على الحائط بعض كلمات غير مفهومة فدهش هو وجميع الحاضرين من تلك الكتابة المبهمة واستدعى اليه جميع السحرة ليفكوها ويفسروها له واذا لم يمكنهم تفسيرها احضر اليه النبي دانيال وطلب منه ان يبين له معانيها فوبخه النبي على تجييس اسم الله ثم فسر له معنى تلك الكلمات الدالة على فقد حياته وفقد المملكة ايضاً من ايدي ذريته عن قريب ففي تلك الليلة نفسها قتل بلشاصر بسبب فتنة اهاجها رجلان من اشراف المملكة كان قد اساء اليهما واضرهما جداً وتولى بعده ابنه لابورا سوارخاد سنة واحدة واستبد بزمام المملكة بعده كياسار الثاني وهو داريوس المادي ابن استياج سنة ٥٣٨ ق م وداريوس هذا هو الذي امر بطرح دانيال في جب الاسود بسبب وشاية بعض القواد الذين كانوا يحسدونه ولكن لما اتقده الله من تلك التهلكة زادت كرامته في عيني الملك واظهر له ميله الخاص وقلده الوزارة العظمى على جميع الروساء والقواد وجعله من اكبر ولاة الامور كما سنبين ذلك في الكلام على اخبار العبرانيين

الباب الخامس

في ديانة الاشوريين وفنونهم
 وكان الاشوريون يعبدون الكواكب ويعظمونها ويعتقدون الوهية بعض افراد الرجال وكان عندهم لكل كوكب صنم منها صنم بعل الذي بنت

له الملكة مميرامس الهيكل الكبير وهو من اعظم معبوداتهم ومموة اله
الارض الاكبر لانه كان رمزاً عن الشمس . ومن جملة آلهتهم نسروخ
ومعناه نسر عظيم



نسروخ اله اشوري

ومنها ايضاً ما كان على صورة السمك . وكانوا يعبدون الملكة مميرامس
المقدم ذكرها واقاموا لها صوراً منقوشة بهيئة حمامة لزعيمهم انها تحولت الى
هذا الجنس من الطيور بعد موتها . وكان لهم معرفة تامة بالصنائع وانواع

الفنون وكانت ابنتهم عظيمه كابنية المصريين مزخرقة بانواع النقش والحفر والتصوير وهم الذين اخترعوا المزاويل وعرفوا حركات الكواكب . وكان لهم في علم الطب باع طويل فكانوا ياتون بالمرضى ويضعونهم في الازقة ومعابر الطرق بقصد انه اذا مر عليهم احد ممن قد اصاب بذلك الداء المصاب به المريض حينئذ يعلمهم سبب شفائه من تلك العلة وبهذه الوساطة مارسوا علم الطب جيداً حتى برعوا فيه والقنوه غاية الاتقان وكانوا يكتبون اسماء العلاجات المفيدة على الواح ويعلقونها في هيكل اله الطب



اله مملك من الهه الاشوريين

اله
روح

رامس
ت الي
وانواع

الفصل الرابع

في تاريخ العبرانيين

الباب الاول

في ذكر ابراهيم وارتحال يعقوب واولاده الى مصر

راس العبرانيين وجدتم ابراهيم بن تارح وُلد بعد الطوفان بنحو ٢٠٠ سنة في بلاد الكلدانيين في الجهة الجنوبية من مملكة اشور وكانت تابعة لها. والمحقق ان اليهود من نسل سام كما يستدل من لغتهم التي هي قرية من العربية والسريانية والكلدانية

واشتهر الكلدانيون قديماً بالمعارف والفنون وبرعوا في علم الهيئة والنجوم حتى كان الرومانيون في الازمنة الاخيرة يستدعونهم ويستخدمونهم في الامور ذات الشأن. وكانوا مع حداقتهم وبراعتهم يعبدون الاوثان ويسجدون للشمس والقمر والنجوم دون الحي القيوم. واما ابراهيم فكان يعبد الاله الحقيقي. وكان في اول امره يرعى الغنم في سهول تلك البلاد واستمر على ذلك حتى توفي ابوه ثم امره الله ان يخرج من وطنه ويذهب غرباً الى ارض كنعان شمال بلاد العرب وشرقي بحر الروم وهي الارض المعروفة اليوم بفلسطين ووعدته بان تلك الارض سوف تكون ملكاً لذريته فامتثل ابراهيم امر الله وارتحل مع زوجته سارة وباقي خدمه ومواشيه وكانوا ييجولون من مكان الى مكان ساكنين في الخيام. ولم يكن لابراهيم ولد فزقه الله اسمعيل من هاجر ثم اسحق من سارة وكان يحبه كثيراً فامتحنه الله وامره ان يذبحه فقدم له فاجاب بالسمع والطاعة ولما رأى



بيع يوسف للاسماعيليين

٢٠
بعه
ية
يسنة
نهم
ثان
عبد
ستر
قربا
وفا
يته
شبه
هم
فيرا
أى

الله قوة ايمانه ارسل له ملاكاً يامرهُ ان لا يفعل ذلك . ولا يسعنا المقام في هذا المختصر ان نذكر بالتفصيل اخبار ابراهيم فنقول بوجه الاختصار انه كان خليل الله عاش من العمر ١٧٥ سنة وتوفي في حبرون وهي المعروفة الان بمدينة الخليل ودفن بجانب زوجته سارة في مغارة المكشيلة وهي لم تزَل الى يومنا هذا ويقصدها كثير من السياح

واما اسحق بن ابراهيم فرزق ولد في وها عيسو ويعقوب ورزق يعقوب اثني عشر ولداً وهذه اسماؤهم روبين . شمعون . لاوي . دان . يهوذا . نفتالي . جاد . اشير . يساخر . زبولن . يوسف . بنيامين . ومن هؤلاء تسلسلت اسباط بني اسرائيل الاثنا عشر . اما يوسف احد اولاد يعقوب فكان اخوته قد باعوه للاساعيليين فاخذوه الى مصر وباعوه عبداً سنة ١٧٢٩ ق م وبعد ما اقام ١٤ سنة في الاسر تقدم في باب فرعون طوطميس الثالث احد ملوك الدولة الثامنة عشرة كما سنبين ذلك بأكثر وضوح في الكلام على تاريخ مصر وكان الواسطة في حفظ حياة ابيه واخوته من الموت بالجوع . وفي سنة ١٧٠٦ ق م انحدر ابوه يعقوب مع اولاده الاثني عشر الى مصر وسكنوا هناك وتكاثروا حتى صاروا امة عظيمة . ومات يعقوب سنة ١٦٨٩ ق م ويوسف سنة ١٦٣٥

ولما توفي فرعون ملك مصر الذي كان يحب يوسف خلفه فراغته آخرون لم يكونوا يعرفون الاسرائيليين فاساءوا اليهم وظلموهم وساموهم اعمالاً شاقة جداً وعاملوهم كالعبيد . وكان من جملة القساوة البربرية التي اجراها احد الفراغنة المذكورين مع العبرانيين اصداره امراً بان كل ذكر يولد لهم ياتي حالاً في نهر النيل . وقصد في ذلك ان يقطع نسلهم لئلا يكثروا وتقوى شوكتهم على المصريين ويقتصبوا منهم البلاد

الماب الثاني

في خروج بني اسرائيل من مصر تحت رئاسة موسى
واستيلائهم على ارض كنعان

وما زال بنو اسرائيل يكابدون المشقات والمتاعب حتى ولد موسى
فجعلته امه في تابوت والقتته بين الحلفاء على حافة النهر ووقفت اخته من
بعيد لتتنظر ما يكون من امره وبعد ذلك بقليل حدث ان ابنة فرعون
جاءت الى النهر مع جوارها لتغتسل فرأته واستخرجته من التابوت ورفقت
له وقالت هذا من العبرانيين فمن لنا بمن ترضعه فقالت لها اخته انا اذهب
وادعوك مرضعة من العبرانيات فقالت اذهبي فذهبت الفتاة وجاءت
بامه فسلمتها ابنة فرعون الصبي فاخذته وارضعته ولما ترعرع اتت به اليها
واسلمته لها ونشأ عندها ودعت اسمه موسى وعلمته كل علوم المصريين
وفنونهم التي كانوا قد امتازوا بها على باقي اهل العالم فاتقنها اتقاناً جيداً
ولكنه مع ما كان عليه في بيت فرعون من الرفاهية والصلوة لم ينس
مشقات العبرانيين وتنهدياتهم متذكراً انهم اخوته فكان يشفق عليهم
ويود خلاصهم

ثم اعطى الله موسى وهرون اخاه قوة من السماء على ان ياتيا فرعون
ويطلبا اليه اطلاق العبرانيين من عبودية المصريين وجور فراعتهم
ويصنعا العجائب امامه ليعلم بان هذا الطلب هو من الله فخرجا اليه
وصنعا عجائب كثيرة وضربا المصريين بالضربات العشر المعلومه واحده
بعد اخرى فسلم فرعون اخيراً باطلاق سبيلهم فساروا حتى انتهوا الى
ساحل البحر المعروف ببحر السويس الفاصل بين بلاد مصر وبلاد العرب

ولكنه بعد خروجهم بقليل ندم على ما فعل فجمع فرسانه وجنوده وتبعهم
ليعيدهم للذل والعبودية فامر الله موسى ان يضرب البحر بعصاه فضر به
فانفلق قسمين فعبروا الى اليابسة حتى انتهوا الى الشط الثاني ولما ادركهم
فرعون اتبعهم وحاول ان يعبر وراءهم ولما صار في وسط البحر امر الله المياه
ان ترجع كما كانت فانطبقت على فرعون فغرق في البحر هو وكل جيشه
وفرسانه ومركبانه

وكان عدد العبرانيين الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى نحو
مليونين ونصف وكان خروجهم منها في زمن منطفا الثاني احد فراعنة
الدولة التاسعة عشرة بعد ان اقاموا فيها مدة ٢١٥ سنة وذلك من نزول
يعقوب الى وقت خروجهم وكان عمر موسى وقتئذ ثمانين سنة وكان على
جانب عظيم من الحلم والتواضع والحكمة

وان قال قائل كيف جازت بان الاسرائيليين اقاموا في مصر ٢١٥
سنة وموسى يقول ان اقامتهم كانت ٤٣٠ سنة وبواقفه على ذلك بولس
يقوله ان الناموس الذي صار بعد ٤٣٠ سنة لا ينسخ عهداً قد سبق فتممكن
من الله فنقول ان المراد في هذا القول اعتباراً من يوم تغرب ابراهيم في
ارض كنعان وليس المقصود فيه التغرب في مصر وواقعة الحال توأيد
الخبير وهاك بيان ذلك

سنة

٢٥ من وصول ابراهيم الى بلاد كنعان الى ولادة ابنه اسحق

٦٠ من ولادة اسحق الى ولادة ابنه يعقوب

١٣٠ من ولادة يعقوب الى نزوله الى مصر

٢١٥ مدة اقامة الاسرائيليين في مصر كما تقدم القول

٤٣٠

وان قال آخر ان المدة الموحى بها من الله الى ابراهيم بالوعد هي اقصر

من المدة المحكي عنها من موسى وبولس بثلاثين سنة فالجواب ان كلام
الوحي لا يشير الى ذات ابراهيم بل الى نسله حيث يقول ان نسلك سيكون
غريباً في ارض ليست لم اربع مئة سنة واما موسى وبولس فيشمالان غربة
ابراهيم ايضاً اذ يحسبان انه كان غريباً مثل نسله فاذا قد تقرر ذلك
وجب علينا ان نحذف من الحساب المتقدم ذكره الخمس والعشرين سنة
المنسوبة الى غربة ابراهيم حين ولادة اسحق فيكون الباقي ٤٠٥ سنين
ولاجل التخلص من فرق الخمس سنين نقول انه كان من عادة اليهود في
تلك الايام ان تقطع اطفالها في نهاية الوقت الذي انتقلوا به من سن
الطفولية الى سن الصبا اعني بعد مرور خمسة اعوام من تاريخ الولادة
فترى اذاً ما تقدم ان المدة التي حددها الله لابراهيم يتبدى تاريخها من
ذلك اليوم الذي كان محفوظاً لاحتفال فطام الولد وعلى هذه الكيفية
تكون الموافقة تامة

وكان قصد الله في اخراج العبرانيين من مصر ان يذهبوا الى ارض
كعان التي وعدان يملكهم اياها على لسان ابراهيم وكان طريقتهم على اطراف
بلاد العرب التي هي شرقي بلاد مصر والبحر الاحمر ولكي لا يضلوا عن
الطريق اقام لهم عموداً من سحاب ليروشداهم في مسيرهم نهراً وعمود نار
يضئ لهم ليلاً في رحلاتهم واذ كانت تلك البراري المقفرة بلا نبات ولا
ماء كان الله يقيتهم بالمن عوض الخبز والساوى عوض اللحم ويأتيهم
بالماء من وسط الصخرة وقد اعانهم ونصرهم في محاربتهم عالىق

ولكنهم مع كل هذه المراحم لم يعتبروا احسانات الله فصعوا وتمردوا
عليه بانواع مختلفة وكثيراً ما تركوا عبادته وعبدوا الاصنام وبينما كان
الله متجلباً لموسى على جبل سيناء الزم الشعب هرون ان يصنع لهم عجلاً من
ذهب ليعبدوه عوضاً عن الخالق الذي اخرجهم واتقدهم من عبودية
المصريين بنذراع رقيقة وقوة عظيمة

ولسبب مخالفتهم وتعدياتهم الكثيرة غضب الله عليهم وانتقم منهم اشد انتقام فامات بعضهم بالوبا وجعل الارض تفتح فاها وتبتلع بعضهم واصل الاخرين عن الطريق اربعين سنة فتأهوا في بيرة بلاد العرب مع ان المسافة بين مصر وارض كنعان لا تبعد اكثر من مئتين وخمسين ميلاً وهي عبارة عن اثنتي عشرة مرحلة فقط وزد على ذلك انه لم يدخل الى ارض كنعان احد من ذلك الجيل الذين خرجوا من مصر الا يشوع بن نون وكالب بن يفتة والباقون ماتوا في البرية ولم يدخلها غير اولادهم واولاد اولادهم حتى ان موسى ايضاً لم يسمح له بالدخول بل اراد الله تلك الارض الواسعة من راس القسيحة في جبل نبو وهناك مات ولم يعرف قبره الى هذا اليوم

ثم اقام الله للاسرائيليين بعد موسى يشوع بن نون فقادهم الى ارض الميعاد واخضع لهم اهل تلك البلاد وقتل ملوكها واحرق مدينتها بالنار وقسم املاكها وارضاها على اسباط اسرائيل الاثني عشر. وبعد موت يشوع ارتد بنو اسرائيل عن الله وعبدوا الالهة الغريبة فسلط الله عليهم الفلسطينيين واسلمهم بيدهم فكانوا يضايقونهم ويدلونهم ويسبونهم وكانوا عندما يلتجئون الى الله ويصرخون اليه في وقت الضيق والشدة يقيم لهم قواداً من ذوي الاهلية واللباقة في السياسة والحروب وكان يزينهم بشجاعة وحكمة لكي يتقدم من مصائبهم وشدائهم ويكونوا ولاة امورهم. وتلقب هؤلاء القواد بالقضاة اذ كانوا يقضون ويحكمون بين الشعب وذلك في المدة المتوسطة بين موت يشوع المذكور وقيام المملك الاول وكانت سلطة هؤلاء القضاة اقل من سلطة الملك فلم يكن لهم سلطان ان ينظمو احكاماً او قوانين جديدة بل كانوا يحامون عن الشرائع ويحافظون على حقوقهم وينظرون لكليات مصالحهم وينتقمون من المجرمين ولا سيما الذين يتوغلون في العبادة الوثنية. وكان عدد هؤلاء القضاة اربعة عشر واستمر

حكهم بحسب رأي الاكثرين نحو ثلث مئة وعشر سنين وذلك من بعد موت يسوع بعشرين سنة الى نتويج شاول الملك الاول والجدول الآتي يبين اسماءهم وتاريخ حكمهم

جدول اسماء القضاة وتاريخ حكمهم

١٣٩٤ ق م	عثنيل بن قناز اخو كالب	٠١
١٣٣٦	اهود بن جيرا البنياميني	٠٢
	شمجر بن عناة	٠٣
١٢٩٦	باراق بن ايننوم ومعه دبورة النبية	٠٤
١٢٤٩	جدعون بن يواش ويقال له يربعل	٠٥
١٢٠٦	تولع بن فوأة بن دودو	٠٦
١١٨٣	ياثير الجلعادي	٠٧
١١٤٣	يفتاح الجلعادي	٠٨
١١٣٧	ابسان من بيت لحم	٠٩
١١٣٠	ايلون الزبلوني	١٠
١١٢٠	عبدون بن هليل الفرعتوني	١١
١١٤٠	شمشون بن منوح	١٢
١١٨٣	عالي الكاهن	١٣
١١٤١	صموئيل النبي	١٤

السبب الثالث

في ذكر جدعون وشمشون من قضاة الاسرائيليين
 وحيث كان بعض اولئك القضاة ذوي شجاعة وبأس رأينا ان
 نذكر بعض افعالهم تذكراً لهم فنقول انه في مدة قضاء جدعون اتى
 المديانيون بجيوش عظيمة وجموع كثيرة وضابقوا الاسرائيليين وحاصروهم

مدة سبع سنين واذلواهم كثيراً فامر الله جدعون المذكور ان ينزل اليهم
 بثلاث مئة رجل فنزل اليهم بهذا العدد وكان كل واحد منهم حاملاً بيده
 الواحدة جرة فارغة داخلها مصباح وبالآخرى بوقاً فلما اشرافوا عليهم وجدوهم
 نياماً وهم في غاية الاطمئنان غير مباينين بشيء فامر جدعون رجاله ان
 يكسروا جرارهم ويشهروا مصابيحهم يسارهم وبقوا بابواقهم ففعلوا كما امرهم
 فنتاولوا المصابيح باليسار وبقوا بالابواق ونادوا باعلى اصواتهم للرب ولجدعون
 فانتبه المديانيون من رقادهم بغتة وهم يظنون ان عسكر الاسرائيليين قد
 هجم عليهم ودهمهم فخافوا واضطربوا وتمضوا في الحال لا يعلمون ماذا
 يفعلون وكانوا يزاحمون بعضهم بعضاً على الهزيمة والفرار ويقتل كل منهم
 صاحبه وهو لا يعرفه واشتدت بينهم المعركة طول ذلك الليل حتى قتل
 بعضهم من البعض عدداً كثيراً وولى من بقي منهم الى بلادهم غير
 مصدقين بنجاتهم

ومن اعظم قضاة اسرائيل واشهرهم شمشون الجبار وكان من اشد
 جبابرة العالم واقدرهم لم يات الزمان بمثله ولم يفعل احد كفعله وما
 يستحق العجب ان سبب قوته كانت ناشئة من شعر رأسه لانه كان اذا
 اطلق شعره تضاعف قوته قوة مئة رجل واذا حلقه تضعف ويصير كباقي
 الناس ومن افعاله انه التقى يوماً باسد كاسر فقبض عليه وشقه تصفين
 كما يشق الرجل الجدي وليس في يده شيء والتقى يوماً بثلاثين رجلاً
 فقتلهم واخذ ثيابهم وامتعهم وفي ايامه تغلب الفلستينيون على
 الاسرائيليين واضروا بهم فغضب شمشون من ذلك ونهض لمقاومتهم والانتقام
 منهم فامسك مرة ثلاث مئة ابن آوى واخذ مشاعل وجعل ذنباً الى ذنب
 ووضع مشعلاً بين كل ذنين سيفه الوسط ثم اضرم المشاعل ناراً واطلقها
 بين زروع الفلستينيين فاحرق الاكداس والزروع وكروم الزيتون وقتل
 مرة منهم الف رجل بلك نجاز من بعد ما قطع الوثيق التي كان مقيداً بها

وهي جبلان جديدان . ونزل يوماً الى غزة فاصد عليه الناصطيبيون
ابواب المدينة لكي يقتلوه عند الصباح ولما علم بذلك قام عند نصف الليل
وتزع مصراع باب المدينة مع القائميتين والعارضة وبلغها على كنفه
وصعد بهما الى راس تلة بعيدة



وكان شمشون مع شدة بغضه للفاصطيبيين ومواظبته على اضرارهم

قد احب امرأة منهم اسمها دليلة فكانت تظهر له المحبة والوداد وهي في
 الباطن عاملة على اهلاكه لان الفلسطينيين كانوا قد وعدوها بمبالغ وافرة
 لتخذه وتعلم منه بماذا تقوم قوته العظيمة فاخذت دليلة تمقلقه بانواع الخداع والحيل
 لكي يقر لها بهذا الامر تخدعها شمشون وقال لها انه اذا ربط بسبعة اوتار
 طرية تذهب قوته فخربت ذلك وربطته بسبعة اوتار ثم قالت له
 الفلسطينيون عليك يا شمشون وكانت فرسانهم كامنة عندها في البيت
 فقطع الاوتار كما يقطع فتيل المشافة اذا شم النار ثم الحت عليه ثانية
 بتشديد ان يعلمها الصحيح فقال اذا اوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل اضعف
 واصير كواحد من الناس فربطته بحبال جديدة ونادته كالاول فقطع
 الحبال عن ذراعيه كما يقطع الغلام الخيط فاغتاضت دليلة اخيراً وكررت
 عليه السوال واذ لم يمكنه مخالفتها اخبرها بواقعة الحال ولما انكشف لها
 الامر وعرفت باطن الطوية وان قوته قائمة باطلاق شعره وعدم رفع
 موسى على راسه لانه كان نذيراً لله من بطن امه ارسلت فدعت اليها
 وجوه آل فلسطين ووقفتهم على الحقيقة واخذت منهم الفضة التي وعدوها
 بها ثم جعلتهم في كمين وانامت شمشون على ركبته ودعت رجلاً حلق له
 شعره ففارقته قوته وبهذه الوسيلة اسلمته لاعدائه فاخذه الفلسطينيون
 واثقوه بسلاسل من نحاس وقلعوا عينيه وسجنوه وجعلوه يطحن الشعير
 والحنطة وابتدا شعر راسه ينبت بعد ان حلق فعدت اليه قوته كما
 كانت وصار من اشد الناس واتفق في بعض الايام بينا كان الفلسطينيون
 مجتمعين يوم عيد المههم داجون وهم في غاية الفرح والخبور على امر شمشون
 انهم دعوا شمشون من السجن ليلعب امامهم ويسطهم فجاء الى القاعة التي
 كانوا مجتمعين فيها وكان البيت مملواً من الرجال والنساء وعلى السطح
 نحو ثلاثة الاف نسمة يتفرجون على لعبه وكان في وسط القاعة المذكورة
 عمودان كبيران كان البيت قائماً عليهما فلما فرغ شمشون من لعبه قبض

على العمودين المذكورين الواحد يمينه والآخر يساره وانحنى عليهما بقوته من بعد ما استعان بالله فسقط البيت على من فيه وماتوا جميعاً فكان الذين امامتهم بموته أكثر من الذين امامتهم بحياته

الماب الرابع

في ذكر شاول وداود وسليمان

اذ لا يسعنا في هذا المختصر ان نستوفي كل اخبار ملوك اسرائيل ووقائعهم وحرورهم راينا ان نذكر اعظمهم واشهرهم على وجه الاختصار فنقول . لما نفرّ شعب اليهود من احكام القضاة اخذوا يسعون في اقامة ملك عليهم ليسوسهم ويدبر امورهم فاجتمع جمهورهم وقصدوا النبي صموئيل وكان يومئذ قاضياً ورئيساً عليهم واتمسوا منه ان يختار لهم ملكاً من اهل الدراية والاستقامة فاشار عليهم ان يكفوا عن هذا الطلب واطهر لهم المظالم والمتاعب التي كانت الملوك تجربها في تلك الايام المظلمة . واذ كانوا لا يسمعون له ولم يقدر على ردهم اتخبت لهم شاول بن قيس ومسحه ملكاً عليهم سنة ١٠٩٥ ق م وهو اول ملوك اسرائيل . وكان جميل الصورة

طويل القامة فحكم نحو اربعين سنة وكان في اول امره سالكاً طريق الحكمة والاستقامة ممتازاً بمكارم الاخلاق والتقوى لكنه اخيراً تجبر وتكبر اذ اتخذ لنفسه وظيفة الكهنوت المحصورة في الكهنة فقط وعصى الله باستبقائه اجاج ملك عماليق واعفائه عن خيار الغنم والبقر خلافاً لامر الله



كاهن عبراني يمسح ملكاً

الذي كان قضي بجرمها وقتلها

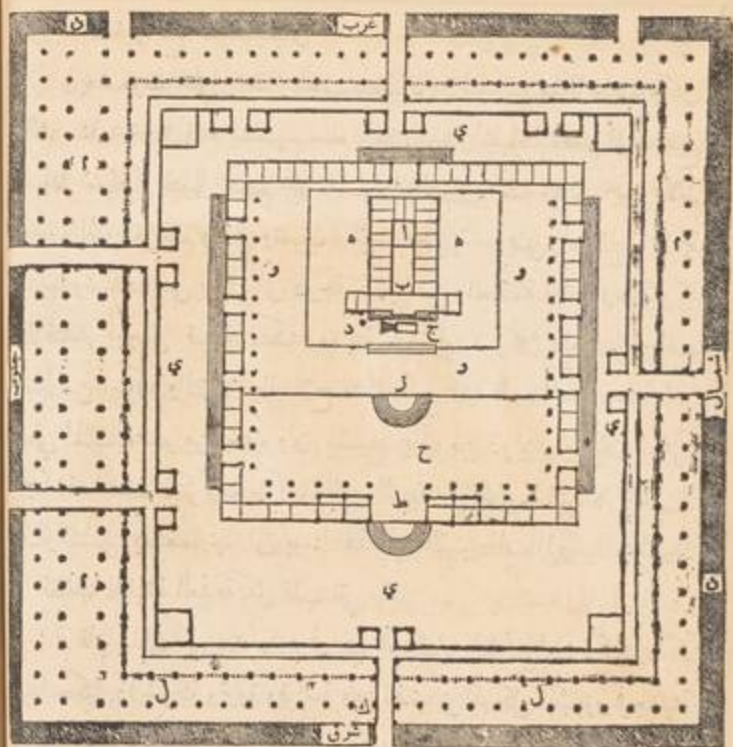
وكان في ايامه بين الاسرائيليين وباقي الشعوب المجاورة لهم حروب متصلة واجتمع الفلسطينيون يوماً لقتال الاسرائيليين فالتقاهم شاول بجمع اسرائيل وكان في معسكر الفلسطينيين شخص من الجبابرة الطغاة اسمه جليات طوله ست اذرع وكان متدرعاً بالحديد ومسلحاً بالاسلحة المانعة ووزن سنان رمحه احدى عشرة افة وكان ينزل كل يوم الى ساحة الميدان ويتهدد الاسرائيليين بالكلام ويستدعيهم للمبارزة والقتال فيتأخرون عنه ويخافونه كما تخاف الشاة من الذئب ولم يزل على ذلك حتى اقبل على اسرائيل داود بن يسي من سبط يهوذا من مدينة بيت لحم وكان شاباً صغير السن يرعى الغنم لايه وكان مع صغر سنه شجاعاً جسوراً فلما سمع الفلسطيني استاذن من الملك شاول لمبارزته فاذن له بذلك فاسرع وتزل الى ميدان الحرب بثيابه المعتادة ولم يكن مع داود سلاح سوى مقلاع وخمسة احجار من زلط في كفه فلما رآه ذلك الجبار صاح عليه صيحة عظيمة واخذ يتهدده ويشتمه فلم يكثرث داود بكلامه بل تقدم لاستقباله واخذ حجراً من كفه ووضع في المقلاع وقال انت تاتي الي بالسيف والرمح وانا آتي اليك باسم رب الجنود ثم برم المقلاع وقذفه بالحجر فارتز في جبهته وسقط على وجهه الى الارض فبادر داود اليه واستل سيفه وقطع به راسه فلما رأى الفلسطينيون ان جبارهم وعميدهم قد مات انهزموا وتفرقوا في اقطار الفلاة فتبعهم الاسرائيليون وقتلوا منهم عدداً كثيراً ثم رجع داود من الحرب ويده راس جليات فاكتسب بذلك فخرًا ومدحاً من جميع الناس وزوجه شاول بابنته وجعله حامل سلاحه ثم حسده وابتل منه بالغيرة وصمد على قتله فهرب داود من امام وجهه ولحق باهل فلسطين واقام عندهم اياماً ثم التجأ الى الجبال والكهوف وبقي على هذه الحال نحو ٢٤ سنة حتى قُتل شاول مع ابنه يوناناث في

حروبه الاخيرة مع الفلسطينيين

و بعد موت شاول اخنار شعب يهوذا داود المذكور ملكا عليهم وكان ذلك سنة ١٠٥٥ ق م فسامهم سبع سنين وستة اشهر ثم انضم اليه جميع اسباط اسرائيل فتولى عليهم نحو ثلاث وثلاثين سنة وقاتل جميع الامم المجاورة له وظفر بهم واذلم وضرب عليهم الجزية واعنى باصلاح المملكة فهدبها وشيدها حتى بلغت الى درجة سامية من العظمة والتخار والثوكة والافتداز وجعل قسبة مملكته مدينة اورشليم وكان داود على جانب عظيم من الحكمة والتقوى والصالح مستقيماً مع الله فاحبه الله ووعد انه يعطي الملك لنسله من بعده وان المسيح يأتي من ذريته وكان شاعراً فصيحاً وقد خفف ذكراً مؤيداً بنشائده الزبورية المطربة التي لا يزال أكثر الناس يستعملونها الى يومنا هذا في التسيحات الروحية ويشترك في الفاظها الرقيقة العذبة كل قلب تقي

ثم قام بالملك من بعد داود في بني اسرائيل ابنه سليمان وكان ملكاً مهيباً حكيماً ذا شوكة وثروة وفراصة وهو الذي بنى الهيكل المشهور في مدينة اورشليم لعبادة الله عز وجل وكان قد مضى على اليهود نحو اربع مئة وثمانين سنة منذ خروجهم من مصر ولم يكن لهم مسجد فاعتنى ببنائه وانفق عليه اموالاً جزيلة وكانت اخشابه من شجر الارز والسرو الذي استجلبه من لبنان بواسطة حيرام ملك صور وزين الهيكل من داخله بانواع النقوش والتايل الملبسة بالذهب بما لا يستطيع لسان القلم ان يصفه او يحصي قيمة نفقته واستمر في بنائه نحو سبع سنين وكان الفراغ منه بعد اخليقة بثلاثة الاف سنة وقبل المسيح بالف سنة وحسب هذا البناء من عجائب الدنيا

وكان سليمان شاعراً مثل ابيه وله مؤلفات في الفلسفة الادبية وقضى كل مدة ملكه في راحة تامة مع الملوك جيرانه وكان محبوباً ومكرماً من الجميع



معنى الاشارات في هذه الصورة

دار النساء	ح	١	قدس الافداس
رواق سليمان	ل	ب	القدس
الباب الجميل	ط	ج	مذبح المحرقة
دار الامم	ي	د	مرحضة النحاس
الباب الشرقي	ك	هـ	دار الكهنة
الرواق السلطاني	م	و	دار اسرائيل
الحائط الخارجي	ن	ز	باب نيكانور

ومما ذكر من امر فراسته انه بينا هو ذات يوم في مجلسه دخل عليه امرأتان تتنازعان على طفل صغير تدعي كل امرأة منهما انه ولدها واذا كان الامر ملتبساً امر سليمان باحضار سيف وان يقطع الطفل الى قطعتين ويعطى لكلٍ منهما النصف لاجل فض المشكل فلما رأت ام الطفل



ارذليبار

الحقيقية بريق السيف فوق راس ابنها تحركت عواطف قلبها بالشفقة

والرافة وصرخت قائلة لا تفعل ياسيدي ضرراً بالولد بل اعطه الى هذه
المرأة الشريرة ودعه يحيا اما المرأة الثانية فقالت بدون شفقة اني لا اريد
الاحقني فليقطع الولد وانا آخذ نصفه فعلم حينئذ سليمان من تصرفها الام
الحقيقية وامر باعطائها ابنها

واوصل سليمان بلاد اليهودية الى درجة عليا من المجد فكانت ممتدة
الى حدود مصر وقسم من البحر الاحمر جنوباً وغرباً والى نهر الفرات
شمالاً وشرقاً . وكانت اليهودية يومئذ منقسمة الى قسمين . الاول اليهودية
التي استولى عليها الاسرائيليون في ايام يشوع وقسمها بينهم كما هو مذکور
في سفره والثاني اليهودية المفتوحة المتضمنة ممالك الشام وتدمر وبلاد
الادوميين والعمونيين والموابيين وغير قبائل عربية للجنوب والشرق . ولجل
تسهيل ادارة الاحكام قسم سليمان هذه البلدان الى اثني عشرة ولاية
واقام عليها اثني عشر والياً من رجاله الامناء . وكان له ايضاً سفن بحرية
كانت تسافر مع سفن الصوريين الى شرقي افريقيا والبعض يقولون انهم
وصلوا الى بلاد الاندلس

وتوفي سليمان لاربعين سنة من ملكه ودفن بجانب ابيه داود فهولاء
هم الملوك الثلاثة الذين استولوا على كل اسباط اسرائيل

الباب الخامس

في اتقسام مملكة اليهود والاسر البابلي

وبعد موت سليمان تولى ابنه رحبعام سنة ٩٧٥ ق م وحسب انباء
الله السابقة ما لبث في المملكة حتى اتقسمت قسمين فالنحاز الى يوربعام
بن تاباط عشرة اسباط اسرائيل واقاموه عليهم ملكاً واتخذوا مدينة السامرة

كرسياً ملكهم وبني رجبام بن سليمان ملكاً على سبطي يهوذا وبنيامين
في مدينة اورشليم وما يليها . وكان السبب في ذلك ابتاعه مشورة اصدقائه
الاحداث ورفضه راي الشيوخ في مسالمة الشعب ومعاملتهم بالرفقة واللين .
وكانت اكثر ايامه حروباً مع يزبعام وبني اسرائيل . وفي ايامه زحف
شيشق ملك مصر الى اورشليم ونهب الهيكل

اما عدد الملوك الذين تولوا على اسرائيل فكانوا تسعة عشر ملكاً
وكان اكثرهم يعبدون الاصنام واستمر ملكهم مدة مئتين واربعة وخمسين
سنة الى ان زحف على المملكة شلناصر ملك اشور سنة ٧٢١ ق م وحاصر
السامرة واسر الاسباط العشرة مع ملكهم ونقلهم الى بلاده فكانوا مستعبدين
في جوف اجيا وهكذا انقرضت مملكة الاسباط العشرة وتلاشى امرهم ولم
يسمع لهم خبر ولا ذكر بعد ذلك . ثم اتى ملك اشور بقوم من بلاده من
قبيلة الكوفيين واسكنهم مدن السامرة عوضاً عن الاسرائيليين ومن
هؤلاء نشأت طائفة السامرة

واما ملوك يهوذا فكان عددهم تسعة عشر ملكاً ما عدا عثليام
آخرها كما ترى بيان ذلك في الجدول الآتي وهم من ذرية داود وكان بعضهم
من اهل التقوى والصلاح كحزقيا ويوشيا الذي قتله نحو ملك مصر .
وكانت حروبهم متصلة مع مصر واشور ومملكة اسرائيل حتى التزم الملك
احازرة ان يستدعي ثغلت فلاسر ملك اشور لمساعدته على ملكي الشام
واسرائيل المتحدين عليه فاتي وخرّب دمشق ثم ضرب الجزية على مملكتي
اسرائيل ويهوذا وبقي ذلك الى ان قام حزقيا فاعتق اليهودية من نير
الاشوريين وتخلص من غزو سنحاريب على اورشليم كما ذكر في تاريخ اشور .
وفي ايام الملك يهوياقيم احد ملوكهم الذي كان قد دفع الجزية الى فرعون
ملك مصر زحف نبوخذنصر ملك بابل الى اورشليم سنة ٦٠٦ ق م وسبي
جانباً من الشعب وهذا هو السبي الاول ثم بعد ذلك بثلاث سنين زحف

ثانية في ايام يهوياكين بن يهوياقيم المذكور واسره مع رؤسائه وقسم من الشعب ونهب الهيكل وكل ما فيه من التحف النفيسة والاواني الثمينة وهذا هو السبي الثاني ثم بعد ذلك بعشر سنين زحف نبوخذنصر ثالثة في ايام الملك صدقيا كما مر وحاصر اورشليم فافتتحها واسره الى بابل بعد ان اذله وقلع عينيه واحرق المدينة والهيكل بالنار وسبي كل شعب يهوذا ما عدا المساكين والفقراء وهذا هو السبي الثالث والاخير وهكذا انقرض مجد هذه المملكة سنة ٥٧٨ ق م وكانت مدتها ٣٨٧ سنة بعد انفصال مملكة اسرائيل عنها

ولما استولى كورش ملك فارس على بابل اذن لليهود في اواخر حكمه ان يرجعوا الى بلادهم بعد ان اخذ عليهم عهداً انهم لا يبخنون بل يكونون تحت الطاعة والالتقياد خاضعين للاوامر الفارسية فرجعوا وبنوا الهيكل ومارسوا طقوس عبادتهم وكانوا تحت سلطة ملوك الفرس الى زمن اسكندر الكبير سنة ٣٣٠ ق م وذكر يوسفوس المؤرخ ان اسكندر الكبير لما تقدم بجيوشه نحو القدس ليفتحها انتقاماً لامدادهم اهل صور بالذخائر والعلوفات عند ما كان محاصراً المدينة ظهر له ملاك في الطريق وتهده على ما كان قصده من خراب اورشليم فخاف اسكندر وعدل عما كان صمم عليه وعند وصوله الى المدينة دخلها كزائر وسجد لاله اسرائيل في الهيكل واتحف الكهنة بهدايا فاخرة ثم تحول عنها قاصداً دار يوس ملك الفرس

ملوك اسرائيل			ملوك يهوذا		
مدة	تاريخ	اسم الملك	مدة	تاريخ	اسم الملك
حكمة	حكمة		حكمة	حكمة	
ق م	ق م		ق م	ق م	
٩٧٥	٢١ سنة	يربعام	١٧٩٧٥		رجبعام
٢٩٥٤		ناداب	٣٩٥٨		ايبام
٢٤٩٥٣		بعشا	٤١٩٥٥		آسا
٢٩٣٠		ايله	٢٥٩١٤		يهوشافاط
١٩٢٩		زمرى	٨٨٩٤		يهورام
١٢٩٢٩	(بنى مدينة السامرة)	عمري	١٨٨٥	أخزيا	عثليا
٢٢٩١٨		اخاب	٦٨٨٤		أخزيا
٣٨٩٨		اخزيا	٤٠٨٧٨		يواش
١٢٨٩٦		يهورام	٢٩٨٣٨		امصيا
٢٨٨٨٤		ياهو بن نمشي	٥٢٨١٠	يا	عزر يا
١٧٨٥٦		يهو آحاز	١٦٧٥٨		يوثام
١٦٨٤٠		يواش	١٦٧٤١		آحاز
٤١٨٣٥		يربعام الثاني	٢٩٧٢٦		حزقيا
١٢٧٨٤		قتره بدون ملك	٥٥٦٩٧		منسى
٦٧٧٢	٦ اشهر	زكريا	٢٦٤٢		آمون
١٧٧٢	١ شهر	شلوم	٣١٦٤٠		يوشيا
١٠٧٧١	١٠ سنين	منحيم بن جاري	٣٦٠٩	اشهر	يهو آحاز
٢٧٦٠		فقحيا	١١٦٠٩	سنة	يهو ياقيم
٢٠٧٥٨		فقح	٣٥٩٨	اشهر	يهو ياكين
٩٧٢٩		هوشع	١١٥٩٨	سنة	صدقيا

السب الساس

في تغلب ملوك مصر وسورية على اليهودية واستيلاء

الرومانيين عليها الى خراب اورشليم

وكان المصريون قد تغلبوا على اليهودية بعد موت اسكندر واستمرت شعوب اليهود تحت تسلطهم مدة طويلة ثم اتى بعدهم السوريون تحت راية انتيوخوس الرابع احد ملوك الدولة الساقدية فافتتحو البلاد واستخلصوها واسروا الاهالي واذلوا امة اليهود وجاروا عليها جوراً عنيفاً وقتلوا من الشعب خلقاً كثيراً فهرب من بقي منهم الى الجبال والبراري واقاموا فيها ثم رحل انتيوخوس راجعاً بجيوشه الى بلاده وكان قد اقام نائباً له على اورشليم رجلاً من قواده يقال له فيلكس وامره ان يازم اليهود ويحبرهم على اكل لحم الخنزير وان يسجدوا لاصنامهم ويمتنعوا عن الختان وعن حفظ يوم السبت وان يقتل كل من خالف امره ففعل فيلكس كما امره سيده ويقال انه قتل خلقاً كثيراً من اليهود ممن كانوا لا يمتثلون لهذه الاوامر . وفي سنة ١٦٦ ق م قام على اليهود قائد جبار يدعى متثيا بن يوحانان الكاهن المكابي وهو اول من قام من المكابيين وانتصر لليهود وتولى امرهم ثم خلفه ابنه يهوذا فطرد السوريين من البلاد واستبد بالمملكة وما بلغ هذا الخبر مسامع انتيوخوس المذكور ملك سورية شق عليه ذلك واقسم انه لا بد من ان يمحوا آثار اليهود عن وجه الارض ويطفى اخبارهم فيجيز من يومه في جيش عظيم وسار فاصداً البلاد اليهودية فيبينها هو في اثناء الطريق وقع من مركبته الى الارض فمات وارتدت عساكره راجعة الى بلادها وكان القائد يهوذا بن متثيا المذكور قد توفي قتيلاً في معركة

حد
على
اطر

القائ

من

وبأ

صدر

احكا

هذا

له

لحم

وك

لحم

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

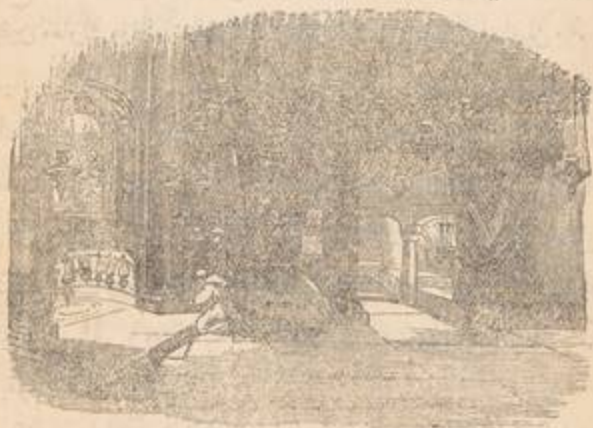
و

و

و

حدثت بينه وبين نيكيروس احد قواد الرومانيين وبموته استولت ذريته على اليهودية وصاروا ملوكاً غير ان الفتن والحركات كانت لم تزل قائمة في اطراف البلاد

وكان الرومانيون قد ارسلوا جيشاً لافتتاح بلاد القدس تحت رئاسة القائد بومبي فحاصرها وفتحها بنحوار بعين سنة ق م ثم سلم زمامها الى رجل من بلاد ادوم يسمى انتيباتر وكان من عظماء اليهود واشرفهم ذا شجاعة وبأس وجعله نائباً للدولة الرومانية على المملكة اليهودية . وسنة ٣٧ ق م صدرت الاوامر من مجلس رومية بعزل انتيباتر المذكور عن ولاية احكام بلاد اليهودية واقام المجلس مكانه ابنه هيرودس الكبير . وهيرودس هذا هو الذي امر بقتل الاطفال في بيت لحم لكي يميت سيدنا يسوع المسيح له المجد الذي جاء في ملء الزمان مولوداً من مريم العذراء في مغارة بيت لحم وكان قد أنبيء بمجيئه ملكاً لليهود



مغارة الميلاد في بيت لحم

وكان هيرودس هذا ملكاً مقبلاً مهيّباً مظفرّاً ذا سطوة وشوكة وكان مع هذه الاوصاف خبيثاً عسوقاً متمرداً حتى انه قتل في مدة ولايته من

الخلق ما لا يحصىه الا الله سبحانه وتعالى وقد قتل ايضا زوجته وثلاثة
 من اولاده وكان قد اوصى ابنه بان يقتل بعد موته جميع من في السجون
 لكي يكون في كل بيت عويل ونحيب بعده لثلاثي الناس وتنتج بفقدته
 اما ابنه فلم يفعل ذلك وكانت مدة ملكه سبعا وثلاثين سنة ومات وله من
 العمر سبعون سنة وخلفه ابنه ارخلاوس الذي سمي نفسه هيرودس ايضا
 وهكذا كانت ملوك اليهود خاضعة للدولة الرومانية واستمروا على مثل ذلك
 الى بعد صعود المسيح بنحو اربعين سنة ثم انهم عصوا وتمردوا وخرجوا عن
 الطاعة وامتنعوا من حمل الخراج المرتب فلما نفي خبرهم الى قيصر رومية شق
 عليه الامر واستدعى اليه في الحال القائد وسبسيانوس وكان من عطاء
 رؤسائه وامره ان يسير بالعاكر والجنود الى بلاد اليهودية فيستاصه
 ويحرب مدنهم ويهدم حصونهم وقلاعهم فامثل وسبسيانوس امره وسار
 اليهم مع ابنه تيطس بالجيوش الرومانية فالتقاهم اليهود وحدث بين
 الفريقين معارك ووقائع هائلة كان اكثر الانتصار فيها للرومانيين . ثم سار
 وسبسيانوس بجنوده الى طبرية وجبل الجليل وبعث الى اليهود يدعوم
 الى الصلح ويعدم بالجميل ان اطاعوه فلم يجبه اليهود الى سؤاله . وكان
 قد حدث بين اليهود في تلك الاثناء انشقاق وانقسام حتى آل الامر
 بينهم الى حروب اهلية اضعفت شوكتهم وعجلت على خرابهم ودمارهم .
 وفي ذلك الوقت ورد الخبر الى وسبسيانوس بوفاة نيرون قيصر فارس
 وسبسيانوس الى رومية ليأخذ الملك لذنسه وولي ابنه تيطس مكانه
 لكي يقوم بحصار اورشليم

وعظمت الحروب والفتن بين اليهود واشتد حنق بعضهم على بعض
 فاغتم تيطس تلك الفرص وهاجم اورشليم وحدث بينه وبين اليهود
 وقائع هائلة قُتل فيها من الفريقين خلق كثير وكان تيطس قد ارسل
 الى اليهود مرّات كثيرة يدعوم الى التسليم شفقة عليهم من الهلاك و

يبتنعون وكثيراً ما خاطبهم بنفسه مشافهةً ووعدهم بالاحسان والعفو
والجميل فلم يجد ذلك نفعاً بل كانوا يزدادون عصاوةً ويحييونه بالشتائم
والكلام المهين فغضب اخيراً منهم وعزم على اعدامهم فشدّد الحصار على
اورشليم واحاط بها من كل الجهات وقطع عنها الامداد فاشتد الجوع بين
الاهالي ومات أكثر اليهود وكانوا يأكلون الجلود ولحوم الكلاب حتى
اضطرت احدى نسايتهم ان تأكل ابنها حياً . وكان تيطس قد زاد في
القتال والحصار وياشر بنفسه الحرب ونصب آلات القتال واقام ابراجاً
من حديد وشحنها بالمقاتلين ونقدم تجاه المدينة بقوة ونشاط وهدم اسوارها
وافتحها عنوةً بعد مقاومة عظيمة وهلك في اثناء هذا الحصار من اليهود
حسب قول يوسيفوس المؤرخ نحو الف الف نفس واحترق الهيكل
والمدينة بالنار وجرى دم القتلى في الاسواق كالسواقي وكان عدد المسيبين
والاسارى سبعة وتسعين الفا . وكان تيطس عند رحيله من القدس يلقي
منهم في كل منزلة للسباع والوحوش الضاربة فتمزقهم والباقون يعوا
عبداً في رومية

وكان قد بقي جانب من اليهود في اورشليم فاخذوا يرمون المدينة
بعد رحيل الرومانيين واقاموا منها جانباً عظيماً فادركهم فيما بعد
الامبراطور اديان الروماني فهدم ما كانوا قد جددوه من اسوار المدينة
ويوتها وجعلها مساحة واحدة على الارض وفلحها وزرعها ملحاً وبهذه
الحروب انتهى خراب اورشليم وانقرضت دولة اليهود اجمع وتفرق شملهم
وانتشروا في الاقطار ولم يبق لهم بعدها قائم وكان ذلك اتماماً لما انذر المسيح
رسله حيث قال لا يبقى من هذه المدينة حجر على حجر

الباب السابع

في ذكر بعض انبياء اليهود ومجيء المسيح وتفرق
اليهود في العالم

فلنرجع الان وتكلم قليلاً عن بعض انبياء اليهود الذين كان الله
يكلمهم ليرشدوا الشعب وينهونهم عن العبادة الاصنامية فمنهم النبي ايليا
الذي اقام ابن الارملة من الموت وكان نبياً عظيماً وهو الذي كانت تاتيه
الغربان بالقوت وهو الذي نطق بغضب الله الذي كان مزماً ان يحل على
الملك اخاب الشرير وتنبأ بان الكلاب سوف تأكل جثة زوجته ايزابل
وهو الذي انزل ناراً من السماء وابتلعت رجلين من القواد مع عسكرها
وهو الذي ضرب نهر الاردن بردائه فشقه واجتاز على اليابسة
ومنهم اليسع النبي الشهير الذي من جملة عجائبه انه عندما لعن
الاولاد الذين استهزأوا به ظهرت دبتان واقترستا منهم ٤٢ ولداً وبعد
موت هذا النبي باشهر قليلة حدث انه وُضع ميت في نفس المكان الذي
كان قد دُفن فيه فخالما مست جثة الميت عظام النبي نهض وعاش
ومنهم يونان النبي الذي ابتلعه الحوت وبقي في جوفه ثلاثة ايام ثم
قذفه الى البر سالماً ومنهم اشعيا وحزقيال وارميا الذي تنبأ بالمصائب
التي كانت مزعومة ان تأتي على اسرائيل ويهوذا . ومنهم دانيال الذي
اختصه الله بحكمة فائقة وكان قد اخذ الى بابل اسيراً في السبي الاول
و بمساعدة الله فسّر للملك نبوخذنصر حلماً فنال نعمة في عينه وسلطه على
كل ولاية بابل وهو الذي فسّر ايضاً لبشاصر الملك ليلة الوليمة الكلمات
المبهمة التي كتبت على الحائط التي كانت تشير الى اقراض مملكة اشور

وهو الذي طُرح في جب الاسود بامر الملك داريوس المادي لتسكده
 بديانته الله وعدم انكار ايمانه واذ لم يصبه ادنى ضرر اخرجهُ الملك من
 الجب وامر بطرح الذين كانوا قد وشوا عليه فزقتهم الاسود وقد ارتقى
 الى اعلى درجة سامية من الكرامة والجِد في زمن داريوس المذكور والملك
 كورش

اما نبوات هذا النبي فهي من اغرب واوسع من كل ما سواها لانها
 تتضمن انباء باحوال العالم عموماً وبمجال المسيح الى نهاية الزمان واشهر
 نبواته الوحي بمجيء المسيح وتعيين الوقت سبعين اسبوعاً اي ٤٩٠ يوماً
 باعتبار كل يوم سنة فاذا اعتدنا ببدء هذه المدة من تاريخ صدور
 الامر المذكور في نبوة عزرا ٧ : ٢٥ الذي كان بنوع خصوصي لاجل
 اقامة التاموس والحكومة وثبتيهما لا من الاوامر الصادرة قبلاً من الملك
 كورش وداريوس لانها كانت لاجل بناء الهيكل فقط تكون
 المدة الى ميلاد المسيح ٤٥٧ سنة واذا اضفنا اليها ٣٣ سنة
 وهي المدة من ميلاده الى موته فيبلغ مجموعها ٤٩٠ سنة
 وهذا العدد يساوي المدة المعينة في نبوة دانيال
 وذلك من خروج الامر بتشديد اورشليم
 الى الوقت الذي تصنع فيه كفارة
 الاثم ويوثق بالبر
 الابدی

الفصل الخامس

في تاريخ الماديين والفرس

الباب الاول

في بعض ملوكهم واحوال ميلاد كورش

اذ كان الماديون والفرس من نسل واحد ولغة وديانة واحدة
وبين كل منهما علاقة في الانساب وكانت بلادها متجاورة استصوبنا ان
نضم هاتين المملكتين في فصل واحد وتكلم عنهما كملكة واحدة فنقول
ان بلاد مادي المعروفة الان باذربيجان والعراق العجمي الواقعة
جنوباً بين الجبال المحيطة ببحر الخزر كانت قديماً تحت حكم مملكة اشور
واستمرت خاضعة لها الى سنة ٧٥٩ ق م عندما نهض ارباسيس قائد
جيوش سردنقول ملك اشور واتحد مع بيليزيس واهاجا تلك الثورة التي
تقدم خبرها عند ذكر مملكة اشور واقسما البلاد

فبعد وفاة ارباسيس المذكور اقام الماديون عليهم ملكاً اسمه ديجوسيس
وكان حكيماً عاقلاً يقضي بالعدل والاستقامة بين الجميع ولما استقر له
الملك شرع في بناء مدينة عظيمة سماها اكبانا قيل هي همدان وجعل لها
سبعة اسوار متينة وحصينة بنوع ان كل سور من هذه الاسوار لا يعول عن
الثاني الا بمقدار شرفه فقط وكانت تختلف هذه الشرف في الالوان ما بين
ايض واسود وازرق واحمر وارجواني وكان السادس من فضة والسابع
من ذهب وداخل السور السابع كانت سراية الملك ديجوسيس المذكور

وقد صنع بها محلاً حصيناً لحفظ خزائنه وكوزره واما الشعب فكان
يسكن بين الاسوار. وحكم ديجوسيس ٥٣ سنة من دون ان يقيم حرباً
وكان مهيباً عند الجميع لانه لم يكن يتنازل لمخالطة الشعب ومجالسة
الكبار بل كان يتعاطى اشغاله على انفراد وكانت الدعاوى تعرض عليه
بالورق فكان يقضيها ويرسلها باتاً الحكم عليها. وكان له جواسيس في كل
اطراف المملكة يلاحظون اعمال الرعايا ويقررون له عن احوالهم. وجلس
بعده على تخت الملك ابنه فراورت فاقام حروباً عديدة واخضع لسلطنته
بلاد فارس وجملة ممالك في اسيا ثم اقام الحصار على نينوى ولكن مع
ضعف شعوبها في ذلك الوقت لم يتيسر له امتلاكها وقتل امام اسوارها
مع جانب عظيم من جنوده وكانت مدة ملكه ١٢ سنة

ثم تولى بعده ابنه كياكسار وكان محباً للحرب اكثر من ابيه وهو
اول من شرع في ترتيب نظام العساكر فقسمها الى فرق وصفوف كشاة
وخيالة ورماة قوس فان هذا الترتيب لم يكن قبل ذلك بل كانت تختلط
فرق العساكر بعضها مع بعض عند الحرب

ومن اشهر انتصارات هذا الملك افتتاحه مدينة نينوى وقد اخذ بشار
ايه من اهلها فانتقم منهم واستعبدهم ثم جال بجنوده واستولى على شمالي
ما بين النهرين وجعل له مدخلاً الى اسيا الصغرى فاخضعها واذلها وازادها
الى ملكه ثم تقدم الى ما وراء نهر هاليس وحارب الليديين وكان السبب
في ذلك ان قسماً من السكيثيين كانوا قصدوه ملتجئين اليه فقبلهم
واحترمهم وعلى الخصوص لما رأهم يحسنون رمي السهام فامرهم ان يعلموا
اولاد مادي لغتهم مع هذا الفن ووكل اليهم مائدته الخاصة فكانوا
يذهبون الى البرية في كل يوم ويصطادون له من الطيور والغزلان
ويصنعونها طعاماً له فاتفق انهم خرجوا يوماً كعادتهم ورجعوا من الصيد
ولم ياتوا بشيء واذ كان كياكسار سريع الغضب عاملهم بقساوة شديدة

فغضبوا منه وارادوا ان ياخذوا بثارهم فجاهوا باحد الاولاد الذين وكل
اليهم تعليمهم وتربيتهم وقطعوه وصنوه طعاماً للملك كما كانوا يصنعون
بالصيد ووضعوه على مائدته وذهبوا حالاً الى بلاد ليديا واستغاثوا
بملكها فاغاثهم ولما اكل كياكسار ومن عنده من ذلك الطعام
المذكور وعلم بحقيقة الحال غضب غضباً شديداً وارسل يومئذ سفيراً الى
ملك ليديا وكان اسمه آليات يطالب منه تسليم القوم فأبى وامتنع فخذ
عليه كياكسار واضمر له سوء وزحف اليه بجنديه لينتقم منه ولما اقترب
من تلك البلاد استقبله ملك ليديا بجيوشه وجنوده وانتشبت الحرب
بينهم مدة خمسة ايام متوالية ولم يغلب احد. وفي اليوم السادس بينما
كان القوم في اشد القتال انكسفت الشمس انكسافاً عظيماً وتحول نور
النهار الى ظلمة دامسة حسبما كان اخبر عن ذلك طاليس الفيلسوف
اليوناني الذي كان معدوداً من الحكماء السبعة وهو اول من اشتهر بين
اليونان في علم الفلك والهندسة. ولما شاهد ملك مادي وملك ليديا تلك
الحادثة المخيفة كفتاً عن الحرب وعقدا صلحاً ولاجل تثبيت هذا الصلح
وتأكيد عهد المحبة بين الطرفين زوج ملك ليديا ابنته بالامير استياج
ابن الملك كياكسار وجعل وزراء الدولتين جراحاً خفيفة في ايديهم
وشربوا بالتبادل الدم الذي جرى منها علامة للارتباط والتحاب حسب
عادتهم في ذلك الزمان ثم رجع كياكسار الى بلاده ومات عقيب ذلك
وكانت مدة حكمه نحو اربعين سنة وخلفه ابنه استياج المذكور
سنة ٥٨٥ ق م

وكان قد ولد للملك استياج ابنة اسمها مندان فلما كبرت زوجها بكبير
ملك فارس وكانت مملكة فارس يومئذ خاضعة للماديين. فحدث بعد
ذلك بايام قليلة ان استياج راي حليماً وهو ان الكرمة التي كانت في
بستانه خرجت من قصر ابنته المذكورة وامتدت غصونها حتى انها ظلمت

كل اقليم اسيا فنهض من فراشه خائفاً مذعوراً وعند الصباح استدعى اليه السحرة وقص عليهم تلك الرواية فاجابوه ان ابنته مندان ستلد ابناً يحكم على جميع ممالك اسيا ويستولي على مملكة مادى ايضاً فراعته ذلك وتأثر من هذا الكلام واستدعى ابنته من بلاد فارس وحججها عنده فاصداً اعدام الطفل الذي يولد منها ولم يمض الا اشهر قليلة حتى وضعت ولداً ذكرًا فتحقق استياج كلام السحرة ودعا اليه رجلاً من خواص قواده يقال له ارباغوس وكان يعتمد عليه في جميع اموره وقال له اريد منك الان ان تاخذ هذا الطفل الصغير الى بيتك وتقتله وتستر قتله ولا تخالفني في هذا الامر فتندم ثم سلمه اياه وكانت امه قد البسته ملابس فاخرة وثمينة فاخذ ارباغوس ورجع الى بيته حزيناً كثيراً واخبر زوجته بما كان من امر استياج بخصوص الولد فقالت له ماذا عولت انت ان تفعل قال قد اجبرت على قتله وانا اخاف ان قتله بيدي اكون قد سفكت دمًا برياً لا سيما انني من اهل الولد والامر الاعظم من ذلك هو ان الملك استياج قد تقدم في السن وليس له ولد يرث سير المملكة من بعده الا ابنته مندان أم هذا الطفل فلاشك انها ستقتلني انتقاماً على قتلي ولدها ولكي اكون مطمئناً من هذا القليل فليجر هذا الامر على غير يدي ثم انه استدعى اليه احد رعاة مواشي استياج وكان اسمه ميترارات واسم زوجته سباكو التي معناها كلبة في اللغة المادية وقال له قد امرني الملك ان اقول لك ان تاخذ هذا الطفل وتلقيه على اوعر الجبال ليهلك ويموت واعلم يقيناً انك اذا ابقيته حياً سيميتك في الحال باشنع ميتة فاخذ ميترارات الولد ورجع الى بيته واتفق ان زوجته ولدت في ذلك اليوم ابناً ميتاً وكانت في قلق واضطراب عظيم عندما استدعى ارباغوس زوجها اليه اذ لم يكن له عادة ان يستدعيه فلما رجع اليها واعلمها بواقعة الحال نوسلت اليه ان لا يقتل الولد فقال لا بد من قتله لان ارباغوس سوف

يرسل اناساً ليكشفوا له الخبر فيقتلني فقالت له انا ادبر لك طريقة مناسبة
تفيك من هذا الخطر قال وما هي قالت اني ولدت ابناً ميتاً فخذته وضعه
على بعض الجبال ونحن نربي ابن مندان ابنة الملك استباح كابننا وبهذه
الواسطة لا يقدر احد ان يقول لك انك خالقت امر ساداتك ويكون لنا
بذلك حظ وافر وشرف رفيع فاستصوب الراعي راي زوجته ودفع اليها
الولد ووضع ابنه الميت في سريره ذلك الامير الصغير مع كل ما كان عليه
من الثياب النفيسة واخذه الى جبل عال والقاه هناك ورجع فاخبر
ارباغوس بانه قد تم كل ما كان امره به فارسل ارباغوس من يعتمد
عليه ليتحقق ذلك ولما علم بموته امر بدفنه واما الامير الصغير فربته سباكو
زوجة الراعي ودعت اسمه كورش . فهذا هو الملك كورش المشهور الذي
شاع ذكره في تلك القرون وتغلب على ممالك كثيرة وافتتح مدناً حصينة
وهو كسرى الاول من ملوك الفرس

فنشا كورش واداً نجيباً وكان يلعب مع اولاد تلك القرية التي ربي
فيها فلما بلغ سن العشر اقامه الاولاد رئيساً عليهم فكان يحكم بينهم ويجري
اوامره عليهم ويقيم منهم حراساً على بلاطه الوهمي حسب عوائد الملوك
ويختار منهم قواداً ونظاراً ويقدمهم الوظائف والمصالح وينظم بعضهم في
زمرة جنود وعساكر واعوان وكان احياناً يامر على بعضهم بالضرب وبعضهم
بالجس ويقول قد حكمت بذلك وكان من جملة الاولاد غلاماً من اهل
اشراف مادي فاتفق انه رفض بعض اوامر كورش فامر الاولاد ان
يقبضوا عليه واخذ يضربه بالعصا ضرباً مؤلماً فذهب الغلام الى المدينة
واخبر اباها بما فعل به ابن الراعي فغضب ابوهُ جداً واخذ ابنه واجتمع
بالمملك استباح وقص عليه تلك القصة وراه اثار الضرب على اكتاف
ابنه فبعث الملك رسولاً ياتي له بمبتمرات الراعي وابنه . فلما مثلاً بين
يديه قال الملك لكورش ناظراً اليه بعين الاحقار كيف تجامرت ان

ترفع يدك وتضرب من هو اعظم واشرف منك فاجابه كورش وقال
 يا مولاي اني لم افعل ذلك الا بالعدل والانصاف لانه كما لا يخفى على
 عظمتك ان اولاد القرية الذين كان بينهم هذا السيد الشريف اقاموني
 ملكاً عليهم لما كانوا يلعبون وفوضوا الي امرهم وكانوا كلهم يطيعون اوامري
 وانا انصف بينهم ولما كان هذا الغلام قد خالف شروط الترتيب والقوانين
 بعصيانه وعدم امتثاله لاوامري واحكامي فاصصته على مخالفته فاذا كان
 ذلك ذنباً يستحق العقاب ايها الملك فما انا بين يدك من جملة العبيد
 فافعل بي ما تريد فلما سمع الملك هذا الكلام واحدق جيداً بالولد اندهش
 وحار من سرعة جوابه وعذوبة كلامه وعرف انه ابن مدان ابنته لانه
 كان اشبه الناس بها ولا سيما ان عمره كان موافقاً لتلك الحادثة التي
 ذكرناها فلبث برهة لم يتكلم ثم امر بادخال كورش الى البلاط واستدعى
 الراعي اليه وسأله على انفراد من اين اخذ الولد ومن استلمه فاجاب انه
 ابوه وان امه حية فتهدهه بالكلام فاقر الراعي بما كان واعاد عليه
 القصة من اولها الى آخرها ولما وقف استياج على الحقيقة لم يحاسب على
 الراعي ولكنه غضب على القائد ارباغوس فامر حراسه ان ياتوا به حالاً
 فلما اتى قال له اعلمي الحقيقة ماذا فعلت بالولد الذي دفعته اليك لتيمته
 فاقر ارباغوس بما كان ولم يكتم عنه شيئاً خوفاً من العواقب فسكن
 الملك ارتعاشه وقال له ان الولد باقٍ في قيد الحياة ثم قال يا ارباغوس
 ان صنيعك هذا قد سرفني جداً لان ابنتي كانت قد عنفتني على ذلك
 فندمت على ما صدر مني واذا ذلك سأعتني من الآن وصاعداً بترتيبه
 وتهذيبه فارسل ابنك الآن الى داري ليلعب معه ويوانسه وانت تعال
 في هذه الليلة وتعيش معي فاني اريد ان اقدم نقداً للآلهة شكراً لهم لانهم
 رحموني وردوا علي حفيدي بالسلامة
 فشكر ارباغوس الملك على ملاطفته له وارسل ابنته في الحال الى

البلاط وكان وحيداً وله من العمر ثلث عشرة سنة . فلما رآه الملك امر
الخدام بذبحه وان يقطعوا لحمه ويطحخوه ويجمعوا منه الواناً مختلفة من
الطعام ويضعوها وقت العشاء امام ابيه ارباغوس وان يضعوا الراس
والرجلين في سلة مغطاة ويفردوها في ناحية لوقت الطلب فامتثلوا امره
وذبحوا الغلام وباشروا في امر الوليمة وهياً واكل شيء فلما حان وقت
العشاء اتى المدعوون ومعهم ارباغوس وعند جلوسهم على المائدة قدموا
الى استياج والباقيين الاطعمة المطبوخة من لحوم الضان والطيور والى
ارباغوس لحم ابنه فاكل وهو لا يعلم ولما فرغوا من الطعام قال الملك
كيف رأيت هذا العشاء فاجابه انه سر به احسن سرور فامر حينئذ
الخدام ان ياتوا بتلك السلة ويضعوها امام ارباغوس فاحضروها ووضعوها
امامه فقال له الملك ارفع غطاءها فرفع عنها الغطاء واذا به يرى من
داخلها بقايا ابنه فانكسر قلبه واقشعر جسمه وغاب عن الصواب ولكنه
اظهر الجلد واخفى حزنه وغمه وقال ان كل ما صنعه الملك هو مقبول لديه
ثم رجع الى بيته حزينا كثيراً ودفن عظام ابنه

وكان استياج قد صنع عن قتل كورش وارسله من ذلك اليوم الى
اهله في بلاد فارس وكان ابوه كبيراً ومنداداً قد ظننا انه مات فلما
اشرف عليهما واخبرها بواقعة الحال وكيف ربه سباً كزوجة راعي
البقر التي لم يزل يشكر فضلها ولا ينسى معروفها كل مدة حياته فرحاً
بسلامته . وكان كورش ينجو في القامة والقوة والجسارة حتى صار من
انجب شبان عصره وانبهم

الباب الثاني

في اصل الاعجام وتدمير كورش مملكة بابل ومغازيه
المشهوره وموته

اصل شعوب الفرس من ذرية عيلام بن سام بن نوح وكانوا يدعون
عيلاميين نسبة الى عيلام المذكور ولكننا لانعلم من امرهم شيئاً واضحاً الا
بعد مضي نحو الف وثمان مئة سنة من الطوفان وذلك من وقت ظهور
الملك كورش المذكور

وكان ارباغوس المقدم ذكره يتربص الفرص لياخذ بثارته من
استياج الذي قتل ولده واطعمه من لحمه فاخذ يسعى في هلاكه ويدبر
على اقتراض مملكته بواسطة تهمبيج وزراء الدولة عليه بالدسائس الخفية
فراسل كورش مرثاً وحثه على النهوض لاختد بلاد مادي ووعده بالمساعدة
والامداد واذا كان يخاف من وقوع رسائله بين ايدي المحافظين والحراس
وانكشاف امره كان ياتي بالارنب ويشق بطنه بدون ان يجز صوفه
ويضع الكتاب في جوفه ثم يخيطه ويلقيه في شبكة ويعطيه لاحد
خداه الذي يثق به حتى كل من يراه لا يشك بانه من جماعة
الصيادين ثم يامر ان يذهب به الى كورش على تلك الصورة

وكان كورش في تلك الايام قد عظم شأنه وارتفع مكانه واحترمه
جميع اهالي فارس نظراً لتجارتهم وعلو همته فلما وقف على رسائل
ارباغوس اخذ يستميل قلوب عظماء الاعجام اليه ويحثهم وينهض همهم
ليوافقوه على قتال الماديين واستخلاص مملكة الفرس من حكمهم فاجابوه
الى ذلك لانهم كانوا يريدون الاستقلال والتخلص من جورهم وظلمهم

وفي ايام يسيرة انضمت اليه القبائل والطوائف واخذ يجمع الجيوش
والعساكر حتى صار عنده جيش عظيم من الفرسان والشجعان
ولما بلغ الملك استياج ذلك الخبير ارتاب وخاف عاقبة الامر فارسل
بعض معتمديه الى كورش يستدعيه اليه على سبيل الزيارة فاجاب كورش
وقال لذلك الرسول ارجع الى مولاك وقل له يقول لك كورش انه
سيزورك عن قريب بالابطال والفرسان واعيان الفرس فلما وقف استياج
على هذا الخطاب تحذّر من ذلك اليوم فجمع الجيوش والجنود وجعل ضباط
المشاة والخيالة تحت قيادة ارباغوس

واما كورش فانه بعد ذلك الكلام الذي كان قد ارسله الى الملك
استياج بايام يسيرة زحف اليه بجموعه وابطاله . فلما تقابل الجمعان
وانتشيت الحرب بين الفريقين فالعساكر الذين لم يكن ارباغوس اعلمهم
بمقاصده حاربوا بشجاعة وبساله بخلاف الاخرين فانهم تاخروا عن
القتال وانضم بعضهم الى صفوف الاعداء . وكان ذلك يوماً عظيماً بين
القوم اشتد فيه القتال واتسع المجال وسفكت الدماء وكان قد داخل
الفرس الحماسة فقاتلوا بقوة ونشاط وانعطفوا على اعدائهم فكسروهم وهزموهم
بعد ان قتلوا منهم عدداً كثيراً واسروا جماً غفيراً وكان من جملة المأسورين
الملك استياج فبقي في اسر كورش الى ان مات وكانت مدة ملكه ٣٥ سنة
وبعد وفاة استياج نبواً تحت ملك مادي ابنه كياكسار الثاني وهو
داريوس المادي خال كورش فكان كورش ملكاً على فارس تحت يده
وقائد جيوش كل بلاد مادي وكان صاحب الامر والنهي مكرماً ومهابباً
عند الجميع ولم يكن لداريوس من الولايات والسلطنة الا مجرد الاسم فقط
وجميع الامور بيد كورش

وكانت مدة ولاية داريوس على بابل نحو سنتين وبعد وفاته
اختلفت المملكة رجل من اشراف بابل يدعى نابونادبوس وكان كورش

ابن اخت دار يوس يومئذٍ ملتجئاً في حروبهِ وافتتاحاته ممالك اسيا فلما
اتصل اليه ذلك الخبر حوّل وجهه نحو بابل لينتقم من ذلك الخنلس
واحاط بها بجيوشه مدة سنتين ولم يقدر عليها تحصيلها بأسوار مرتفعة
وقوية حتى كان هدمها او افتتاحها من اصعب الامور وماذا تفعل الشجاعة
او الأدوات الحربية كالمنجنيق وغيره في سور عرضه ثلثون قدماً او
خمسون على قول البعض فكان السبيل الوحيد للدخول الى المدينة هو
تحويل نهر الفرات عن مجراه فانه كان يمر في وسط بابل ويقسمها الى
شطرين . فاعتمد على هذا العمل سرّاً وامر بفتح ترع وخليجان كبيرة حول
المدينة ولما تمت اختار وقتاً مناسباً لاتمام مقاصده فامر بفتح المنافذ التي بين
النهر والترع المذكورة آنفاً فتحوّت كل مياه الفرات الى تلك الخللجان
وصار النهر ارضاً يابسة فدخلت عساكر الفرس وكورش في مقدمتهم
بعضهم من عند مدخل النهر والبعض من عند مخرجه منها وهجموا على
اهل المدينة بغتة وفتكوا بهم فتكاً عظيماً فكانت ساعة مهولة لم يعرف فيها
صوت العدو من صوت الصديق فاستولى كورش على المدينة وامتلكها
واذ لم يكن لدار يوس المذكور اولاد ورث كورش من خاله مملكتي ماداي
وبابل وضمهما الى مملكة فارس وصارت هذه الممالك من ذلك الوقت
مملكة واحدة تحت تسلط كورش . وظن اكثر المؤرخين القدماء ان
افتتاح كورش مدينة بابل كان في زمن الملك بلشاصر غير انه قد ظهر
وتحقق من الاكتشافات الحديثة انه بعد موت بلشاصر المذكور تناوب
كرمي المملكة ابنه لابورا سوارخاد وحكم مدة سنة واحدة فلو كان
كورش قد افتتح بابل في ايام بلشاصر لما سمح لابنه ان يملك بعده بل
كان من باب اولي ان يقيم خاله دار يوس ملكاً بعد افتتاح المدينة وهذه
دلالة قوية تؤيد صحة ما اوردها

وكان الملك كورش موفقاً منصوراً في جميع وقائعه فاحضع الترتبيين

وجميع البلاد التي بين النهرين وارمينيا وسورية واسيا الصغرى وجانباً عظيماً من بلاد العرب وضرب الخراج على ملوكها وولاتها وكان قد عبر بجيشه الجرار نهرسي دجلة والفرات وجعل معسكره في اقليمي خوزستان والعراق . ومن جملة انتصاراته العظيمة استيلاؤه على مملكة ليديا واذلاله ملكها كريسوس الذي كان افتتح جملة ولايات في اسيا

ولكن اذ لم يكن للانسان دوام ولومهما ساد وظفر انتهت حياة كورش في حرب اقامها على السكيثيين المعروفين الآن بالنتر القاطنين تجاه بحر الخزر فالتقتهم الملكة طوميريس بجيوشها وابطالها وحدث بين الفريقين قتال شديد قتل فيه ابن هذه الملكة وكانت الدائرة على الفرس فانهمزوا اقبج هزيمة واسر منهم عدد كثير وكان من جملة المأسورين الملك كورش فقتلته الملكة بولدها وكانت مدة ملكه ٣٠ سنة

الباب الثالث

في ولاية الملك كميز بن كورش وقد سمي

نفسه بخنصر الثاني

ثم جلس بعد كورش على سرير المملكة ابنه كميز وكان عاتياً جداً جافي الطبع سفاكاً للدماء عديم الشفقة محباً للحروب وافتتاح الممالك مغزماً بشرب الخمر ومما يحكى عنه انه طلب يوماً من احد ندمائه المسمي بركزاسيس على ان يخبره بما تقول الناس عنه فقال له انهم يمدحون احكامك وحسن اوصافك ويرون انه لا عيب فيك الا الانهماك بالخمر ولولا ذلك لفضلك على جميع الناس ثم اخذ ينصحه ويبين له الاضرار الناتجة من ادمان المسكرات فلما سمع كميز كلامه غضب وطلب ان يؤتى اليه بكية وافرة

من الخمر فشرب منها مقداراً كثيراً ثم امر باحضار ابن براكسيس وامره ان يقف في آخر القاعة وقال لايه اريد ان تعلم الآن ان كانت الخمر قد اضعفت بصري او غيبت فكري وارجفت يدي ثم طلب قوساً ونشاباً ورمى الولد بسهم في فواده فوقع قتيلاً

وقد ذكرنا هذه القصة المحزنة واثبتناها هنا اولاً لصحتها وثانياً ليتخذ القاري والسامع الامثلة المفيدة من جهة تعاسة تلك العصور المظلمة وسعادة هذه الايام المتنورة التي يبذل فيها الملوك غاية العناية والمهمة في نجاح امور شعوبهم ورعاياهم ومعاملتهم لم كبنين وليس كعبيد وهذه المعاملات الحسنة ليست ناتجة الا من نور الديانة التي تأمر بان تعامل الناس كما نريد نحن ان يعاملونا

وكانت افكار كمبيز ومقاصده متجهة نحو افتتاح بلاد مصر في زمن فرعون اماسيس وقد نقل المؤرخون في شان ذلك اخباراً مختلفة فمنها ان اماسيس المذكور كان قد تمرد على الدولة الفارسية وعصى عليها واستقل بالمملكة بعد ان كان قد افتتحها الملك نبوخذنصر الاول واقام عليها عمالاً ويقال ان الذي حمله على ذلك رجل يوناني اسمه فانيس كاتب قائده جيوش اماسيس وكان قد حدث بينه وبين مولاة تزاع ونفوز فخطب عليه وانتهاز هذه الفرصة وقصد الملك كمبيز واغراه بقتال اماسيس وافتتاح المملكة المصرية وأشار عليه ان يخاطب ملك العرب ويطلب اليه المساعدة والامداد بجلب الماء الى العساكر في البرية التي كان مزعماً ان يمر بها فارسل كمبيز رسالاً الى ملك العرب يطلب اليه المعونة على قطع تلك القنوات التاسعة وعاهده بقسم انه يكون له صديقاً واميناً كل ايام حياته فتعاهد الاثنان على ذلك وتحالفا على عدم الخيانة ونقض العهود وبعد ذلك جهز كمبيز الجيوش وقادها بنفسه وزحف قاصداً الديار المصرية وارسل ملك العرب يومئذ كل الجمال الموجودة في مملكته الى البرية

بجملة زقاقاً مملوء ماء

وفي اثناء ذلك توفي فرعون اماسيس ملك مصر وتولى مكانه ابنه
سمانتيوس فلما بلغه قدوم كبيبز اليه جهز جيوشاً لمقاومته فالتقى جيش الفرس
وجيش مصر عند مصب النيل الشرقي في مكان يدعى سين واشتبك
القتال بين الفريقين واشتدت بينهم الحرب وكان يوماً هائلاً قتل فيه
من الطرفين عددٌ كثيرٌ فانتصرت الفرس انتصاراً عظيماً وانهمزم الجيش
المصري بمخسرة جسيمة الى مدينة منفيس فتبعهم كبيبز بجيوش فارس الى
هناك وحاصر المدينة وافتتحها عنوة بعد وفائع وهجمات هائلة وقبض على
سمانتيوس وقتله وابنه معاً

وقال هيرودوتس في تاريخه اني رأيت في الميدان الذي وقعت فيه
الحرب الاولى عند مصب النيل الشرقي عظام الذين قتلوا في ذلك اليوم
مكومة من كل جهة فكانت جماجم الفرس لينة بهذا المقدار حتى انها
كانت تثقب بوقع حجر صغير واما جماجم المصريين فكانت صلبة لا تكسر
ولا بضربة حجر كبير فسألت عن السبب ف قيل لي ان المصريين يخلقون
شعور رؤوسهم وهم صغار السن فتشدد الجمجمة وتصلب بواسطة حرارة
الشمس واما الفرس فلم يعتادوا ذلك فبقيت جماجمهم ضعيفة لينة
واذ كان كبيبز يعلم ان المصريين يعظمون الكلاب والمهرة ويوقرونها
ويعتبرونها كآلهة امر بجمع كل الكلاب والمهرة التي في تلك النواحي
ووضعها في مقدمة العسكر عند حصاره بعض المدن المصرية فتوقف
المصريون عن اطلاق نبالهم على الفرس خوفاً من ان يصيبوا احدى تلك
الحيوانات المقدسة فموت ولبثوا في اماكنهم محنارين وكانت الفرس
تتقدم عليهم رويداً رويداً والكلاب تنبح والمهرة تموء حتى دخلوا المدينة
وتملكوها بدون مقاومة

ولما اخضع كبيبز كل بلاد مصر قصد مدينة هايس التي فيها مدافن

ملوك مصر فاخرج جثة الملك امايس من قبرها وهو الملك الذي كان متولياً على مصر عند ما نهض لمحاربتة وبعد ان ضربها بالعصا وعاملها بكل نوع من الاهانة والتعير امر بطرحها في النار فاحترقت في الحال وكان ذلك مضاداً لعوائد الفرس والمصريين جميعاً وكان قد نهب مدينة تيبس في بلاد الصعيد وهدم ابراجها وهياكلها واحرق تقوشها وختم ذلك بذبح الثور ايس الذي هو بحسب اعتقاد المصريين الاله المعظم وفرق لحمه على قواد عسكره فكان هذا العمل مما يعد عند المصريين من التعديات الكفرية ومن ذلك الوقت لم تكن افعال هذا الملك الا ذميمة فيبحة حتى انه تزوج باختة وقتل اخاه سمرديس ثم قتل زوجته المذكورة حيث كانت تندب اخاها الى غير ذلك من الامور الوحشية

وفي آخر ايامه في مصر حدثت فتنة عظيمة في بلاد فارس وهي ان النائب الذي كان قد اقامه كبيز وكيلاً عنه على المملكة في غيابه طمع في اختلاس الملك وعمد ان ينقله الى عائلته فاقام اخاه ملكاً وكان من السحرة واشبه الناس بسمرديس اخي كبيز الذي قتله كما ذكرنا فبايعه الفرس وملكوه عليهم لثقتهم بانه ابن كورش اذ كان قد ادعى بذلك فلما بلغ كبيز هذا الخبر خرج من مصر بعد ان صيرها ولاية فارسية ودخل بلاد سورية واشرع قاصداً بلاد فارس فاتفق يوماً انه وهو يركب جواده اندلق سيفه من غمده فجرحه في جنبه جرحاً بليغاً والزعم فراشه فمات بعد ايام قليلة بعد ان حكم مصر خمس سنين وكانت مدة ملكه سبع سنين ونصفاً

الباب الرابع

في ولاية الملك دار يوس وهو دارا الاول احد ملوك

الفرس وابنه زر كسيس

وكان قد تولى على تخت فارس ذلك الساحر المذكور الذي ادعى انه سمرديس ابن كورش كما امر الآ انه لم تطل مدته حتى انكشف امره وتحقق عند اكثر الاهالي ان تلك الدعوى كانت حيلة منه وان ولايته لم تكن الا مجرد خداع وطغيان فاتفقوا على خلعه واجتمع ستة انفار من اكابر اعيانهم منهم دار يوس بن هيستب احد امراء تلك الولايات وهجموا على قصر الملك وقتلوا سمرديس الساحر المعتصب ولم يحكم الا ستة اشهر فقط ثم اختلف هولاء الاعيان الستة في من يتولى منهم زمام المملكة الفارسية فاتفق رايهم اخيراً على ان يركبوا خيولهم عند الصباح ويقصدوا مكاناً معلوماً خارج المدينة وان الرجل الذي يصلح حصانه اولاً يكون هو الملك وبهذه الوسيلة لا يقع بينهم نزاع . وكان لدار يوس سائس نبيه ماهر فلما بلغه ذلك الخبر لبث حتى اظلم الليل ثم نهض وركب حصان مولاه واخذ معه جانباً من العشب والاطعمة التي كانت الحصان يود اكلها وقصد ذلك المكان المذكور والقاهها هناك ثم جعل يجول نحوها بالحصان تارة من خلف وتارة من قدام واستمر على مثل ذلك نحو نصف ساعة ثم نزل عن ظهر الحصان واطلقه على تلك الاطعمة فاكلها ثم ارتد راجعاً الى المدينة ولم يطعم الحصان شيئاً طول ذلك الليل . ولما كان الصباح ركب الامراء الستة خيولهم حسب الشرط الذي وقع عليه الاتفاق وقصدوا ذلك المكان المعهود الذي اكل فيه حصان دار يوس

تلك الاطعمة وعند وصولهم اليه رفع الحصان اذنيه وصهل فترجل حينئذ اصحاب داريوس الخمسة وخروا ساجدين عند قدميه وهنأوه بالنصب الملكي واقاموه يومئذ ملكاً على سلطنة الفرس وكان الملك كورش وابنه كبيز قد حسنا هذه المملكة ووسعها ونظما امورها في اقل من عشرين سنة فلما اتسعت اقاليمها وتكاثرت مقاطعاتها قسمها داريوس الى عشرين كورة وصرف همته وعنايته ليمهد لها اسباب الثروة والغنى بواسطة اتساع دوائر التجارة بين بلاد الفرس وباقي الممالك واقام داريوس حروباً كثيرة افتتح في احداها مدينة بابل ثانية لان اهلها كانوا قد تمردوا وعصوا على الفرس وكان افتتاحه لهذه المدينة بطريفة عجيبة احتيالية وهي ان احد قواد جيوشه زوير احذق اهل زمانه وانبههم قطع يوماً اذنه وهشم وجهه بالجراحات وذهب الى بابل واستغاث باهلها من جور داريوس الذي كان يومئذ يحاصر المدينة فسألوه عن سبب ذلك فاخبرهم انه من جملة قواد الفرس وانه عندما نصح داريوس ونهاه ان يرجع عن حرب بابل لانها حصينة جداً احتقره واهانه بقطع اذنه ونهشيم وجهه وقد كاد يقتله فهرب ليلاً واقسم على نفسه انه لا يلد له اب يسعى في اهلاك الفرس . فترحب به اهل بابل واقاموه قائداً على فرقة صغيرة . وكان زوير قد اتفق مع داريوس ان يرسل له في اول الامر طليعة مؤلفة من الف نفر من اوباش العجم وصعاليكها لتجهم على المدينة من احدى جهاتها وانه يخرج اليها ويمحوها كلها ايضاً ثم يرسل اليه الثاني كتيبة اخرى تحتوي على النبي مقاتل فيهلكها ايضاً ثم يرسل اليه في اليوم الثالث فرقة اخرى مؤلفة من اربعة الاف فيلحقها برفقاتها وبعد ذلك يهجم هو بنفسه على المدينة بجميع عساكره وابطاله هجمة واحدة فيسلمه اياها . ففعل داريوس كل ما اشار به زوير وكان اليباليون عند ما رأوا زوير قد فتك بطلائع الفرس في ثلاث وقائع

متتابعة وقتل سبعة الاف نفر من الاعجام احبوه وائتمنوه واقاموه رئيساً عاماً على جيوشهم وسلوه زمام محافظة المدينة فلما كان اليوم الرابع هجمت جموع الفرس على المدينة واحاطوا بها فخرج اليهم زوبير ولكنه عوض ان يقاتلهم ويصدحهم فتح لهم الطريق للدخول فدخلوا وامتلكوها على اهورن سبيل بعد ما حاصروها ستة عشر شهراً

ومن حروب داربوس ايضاً حربه مع السكيثيين الذين قتلوا الملك كورش وبعد عدة وقائع هائلة ارتد راجعاً مهزوماً وقتل من عسكره عدد كثير ثم حارب بلاد الهند وافتتح منها جانباً وكان هذا الملك قاسي القلب سفاكاً للدماء

ومما يحكى عن قساوته انه بينما كان متجهزاً لقتال السكيثيين المذكورين ازم رجلاً عاجزاً ان يقدم اولاده الثلاثة للعسكرية واذ لم يكن للرجل اولاد غيرهم توسل اليه ان يبي له واحداً منهم ليعينه على ضعفه وعجزه لانه كان فقيراً جداً فاجابه داربوس قائلاً ما دام الامر كذلك يجب علينا ان نبقي لك اولادك الثلاثة ليعولوك في ضعفك ثم امر احد اتباعه بذبح اولاد ذلك الرجل المسكين وان ياتي برؤوسهم الى والدهم وكان داربوس قد ارسل جيشاً جراراً تحت قيادة داتيس وارتافرنيس لمحاربة اليونان وبعد وقائع وحروب شديدة انهزموا اقبح هزيمة وفقد من عسكرها نحو مائتي الف ولما بلغه خبر هذه الكسرة اشتد غضبه واخذ يجنح الجنود ويحيش الجيوش ليقم حرباً على اليونانيين وعلى المصريين الذين كانوا قد خلعوا طاعته واطهروا العصيان وبينما كان مهتماً بهذا الامر مرض ومات سنة ٤٨٠ ق م

وبعد موت داربوس خلفه ابنه زركسيس وهو الملك الخامس من ملوك فارس ومادي تبواً تحت الملك عوض اخيه الاكبر ارتبزان وعند جلوسه على كرسي السلطنة ارسل جيشاً الى الديار المصرية فاخضعها

وعاقب ارباب الفتنة عقاباً اليماً ولما اتقادت مصر لحكمه جهز جيشاً عمره ما
 مائة ألفاً من مليونين من الخيالة والمشاة وزحف بنفسه الى محاربة اليونان
 ليتم مقصد ابيه الذي كان قد عوّل عليه واصحاب معه بوارج كثيرة العدد
 واذا كان لا بد له ان يجتاز بوغاز الدردنيل الفاصل بين اسيا واوربا
 الذي يبلغ عرضه مسافة نصف ساعة تقريباً امر بصف مراكبه على شكل
 جسر بين البرين وربط بعضها ببعض لاجل مرور العساكر فهاجت الامواج
 وكسرتها فساء الملك زرکيس ذلك الامر وامر بضرب البحر لاجل عدم
 توفيره او امره وبعد مشقات عظيمة وحروب شديدة اخضع اكثر مدن
 اليونانيين ما عدا سبارتا واثينا فانهما مع كل ضعفها وقلة عساكرها
 قاومتاه اشد مقاومة لان شعبيهما كان من اشجع الناس . ولما اقترب
 زرکيس من ليكوستوموس الذي ترجمته فم الذئب وهو معبر ضيق بين
 الجبل والبحر وصمم ان يعبره اعترضه ملك سبارتا المدعو ليونيداس
 بسنة الاف مقاتل وحاربه وقتك بعسكره فتكاً عظيماً وقتل منهم نحو
 سبعين الف نفر واذا كان عسكر الفرس كثير العدد لانهما له خافت
 جموع اليونان من عاقبة الامر فصرفهم ليونيداس الى اماكنهم وبقي
 هو مع ثلثمائة نفر ماسكاً راس ذلك المضيق المسمى ثرموييلي واخيراً هلك
 هو ومن معه ولم يسلم من جيشه الا رجل واحد فقط فذهب الى سبارتا
 واخبر اهلها بما جرى على اصحابه

اما انتصارات زرکيس فلم تطل في بلاد اليونان فان اكثر مراكبه
 انكسرت في سلاميس وعساكره انهزمت في حصار مدينة بلانيا فاضطر
 اخيراً الى ان يرجع مع من بقي معه من الجيش الى بلاد فارس وعند
 وصوله قتله اربطبانيس رئيس حراسه وكان ذلك في سنة ٧٠٠ ق م
 وبعد وفاة زرکيس تولى ابنه ارتكزرکيس ثم تولى بعده
 داريوس قدمانس ثم غيره من الملوك مما لا يسعنا ذكرهم في هذا المختصر

وبقيت ملوكهم لتوارث الملك الواحد بعد الآخر الى سنة ٣٣٠ ق م عند ما قام اسكندر المكدوني في حكم الملك داريوس الثاني فحاربه واستظفر عليه وتغلب على جميع البلاد والاقاليم الخاضعة للفرس كاسيا الصغرى وصور ومصر وانتهى الحال بداريوس انه في بعض حروبه مع اسكندر انهزمت الفرس وقتل منها خلق كثير وكان هو من جملة المنهزمين فاقتفى اسكندر اثره ليعلم خيره فوجده قتيلاً وكان قاتله رجلاً من اكابر قواده فحزن عليه اسكندر وتأسف على فقدته واقام له مسلات شهيرة في جملة اما كن تذكراً له . وبعد وفاة اسكندر وقعت بلاد العجم في نصيب سلوقس احد قواد جيوش اسكندر وصارت بعده في قبضة ذريته الى ان نهض الفرثيون وطردوا اليونانيين من بلاد فارس ومادي وتولوا عليها نحو خمسمائة سنة

الباب الخامس

في اكاسرة العجم

وفي سنة ٢٣٠ مسيحية وثب رجل من الاعجم يقال له اردشير فهيج الاهالي وحارب الفرثيين وطردهم واستقل بالمملكة وهو اول الطبقة الساسانية ورأسها وهذه الطبقة هي الرابعة من ملوك الفرس المعروفين باكاسرة العجم واسم اردشير مركب من كلمتين فارسيتين احدهما ارد بمعنى الغضب والثانية شير اسم الاسد فسمي الملك بهذا المركب ومعناه اسد الغضب
ثم تولى بعده ابنه سابور وهو غير سابور ذي الاكتاف الذي هو تاسع الاكاسرة بعد اردشير واسمه بالفارسية شاپور بالثين مركب من

شا مختصر شاه بمعنى سلطان او ملك و بور بمعنى ولد يعني ولد السلطان
 فمرته العرب بلفظ سابور بالسين المهملة . كان ملكاً عظيماً شديد الباس
 كثير المغازي والغارات ذا سطوة قاهرة حارب الديار الشامية واخضعها
 وحاصر مدينة انطاكية وكان بها يومئذ ثالريانوس احد قياصرة رومية
 فانتحما عليه وامره وسار به الى بلاده وبقي في اسره الى ان فدى
 نفسه باموال كثيرة . واما سابور ذو الاكتاف فهو بعد سابور عدا بنحو
 اربعين سنة وانما سمي ذا الاكتاف لانه لما حارب عرب الحجاز وظفر
 بهم كان كلما اسر اعرابياً يتقب كتفه ويدخل فيه حبلاً ليقوده فسعي
 ذا الاكتاف وصار لقباً عليه وكان قد حارب الرومانيين من زمن
 مكسيمينوس الثاني الى زمن طيودوسيوس الاكبر ونجح في اكثر حروبه
 معهم وما يدل على انتظام مملكة العجم وقوتها وشوكتها في ايامه انها
 استمرت منذ ولادته الى زمن وفاته مدة اثنين وسبعين سنة ولم يحصل
 فيها قن ولا نزاع ولا حروب

وتولى بعده جملة من الملوك الى سنة ٥٨٠ للمسيح تقريباً ومن
 هؤلاء الاكاسرة كسرى انوشروان وهو من اشهرهم واعظم ملوكهم كان
 ملكاً عادلاً عاقلاً مهيئاً محسناً ومن كثرة عدله وشفقته على رعاياه من
 الظلم والعدوان امر بوضع سلسلة نافذة من سرايته الى الطريق وجعل فيها
 اجراساً فكان كل رجل مظلوم يأتي ويحرك السلسلة فتدق الاجراس
 فيعلم به ويامر باحضاره اليه وينصفه ولذلك كثر العدل والامان في
 ايامه وهو الذي صادم الرومانيين واقام عليهم حروباً كثيرة واستولى
 على اكثر ولاياتهم في اسيا فهابته الملوك وهادوه بالهدايا النفيسة وكان قد
 ورد عليه رسول قيصر امبراطور الروم بهدايا وتحف ثمينة فنظر الى ايوانه
 وحسن بنائه فاندشش وتعجب وكان قد راي فيه اعوجاجاً فسأل عن
 سبب ذلك فقال له بعض الوزراء ان عجوزاً لها منزل بجانب هذا

الاعوجاج فرغها الملك في الثمن فابت يبعه ولم يغبها عليه وبقي
الاعوجاج من ذلك على ما ترى . وكانت مدة حكم كسرى انوشروان
نحو اربعين سنة وقيل اكثر

ثم تولى بعده ابنه هرمز وكان عاقلاً عادلاً كايه ينصف الحقير
من الشريف ولا يجاني بالوجه وكان قد صنع صندوقاً وجعل فيه شقاً
يلقي المتظلم قصته فيه وكان يختم قفل الصندوق بخاتمه لئلا تصل اليه
ايدي وزرائه وكان الحجاب ياخذون ذلك الصندوق في كل صباح
ويلقونه على مفارق الطرق وينادون باعلى اصواتهم قائلين كل من له
دعوى او كلام يرفعه الى الملك فليكتبه على رقعة ويلقيه في هذا
الصندوق من هذا الشق . وفي السنة العاشرة من ملكه زحف اليه
طيبار يوس قيصر في ثمانين الف فارس فخاف هرمز من عواقب الامر
واحضر اليه تائداً له بمملكة الري يقال له بهرام وكان شجاعاً مقداماً
وبطلاً هماماً واعداه لقتال اعدائه فانصر جند طيبار يوس على جند
فارس في جملة وقائع ثم تصالحوا . وكان بهرام المذكور قد اتخذ له حزباً
واعواناً من رجال المملكة حتى صار في سطوة وصولة عظيمة فخاف هرمز
على ملكه من بهرام وحسب حسابه وجرى بينهما قتال وكان الجند من
حزب بهرام وكان ابرويز بن هرمز يومئذ مطروداً من ابيه مقيماً باذربيجان
فلما بلغه ضعف امر ابيه خاف من استيلاء بهرام على الملك فقصد اياه
وامسكه وقلع عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك وجرى بينه
وبين بهرام عدة وقائع واخيراً تغلب بهرام على اقطار المملكة ولبس التاج
واذ خاف ابرويز من ان بهرام يعيد والده الاعمي ملكاً موقتاً الى ان
يكون قد تمكن من الملك اتفق مع خواصه على قتل ابيه هرمز فخنقه
وقصد ملك الروم موريكوس مستنجداً به على بهرام ولما اجتمع به واعلم
بواقعة الحال لاهه قيصر على ما فعل بابيه اولاً وثانياً ولكنه انف من

ان يردده خائباً فارسل تجدته جيشاً جراراً ولم تنزل الحرب بينهما وبين
بهرام ثلاث سنين متتابعة وانتهت بانتصار ابرويز على بهرام وعاد ملك
الفرس الى ابرويز فانعم على عسكر الروم باموالهم جزيلة ثم اعادهم الى
بلادهم بعد اقامة اربع سنين . واستقرت له بعد ذلك ولاية فارس ولكن
الله قد انتقم منه على قتله ابيه بتسليط ابنه شبرويه عليه فخلعه عن
الاحكام وقتل جميع اخوته بحضور ابيه ثم امر به فالتقي في جب عميق
وضربه بانواع العذابات الى ان مات

وفي سنة ٣٠ مسيحية تولى يزيدجرد ملكاً وهو آخر ملوك الفرس وفي
ايامه انتحمت العرب بلاد العجم وقتل يزيدجرد في الحرب واستولى المسلمون
على البلاد العجمية مدة طويلة كما سيأتي تفصيل ذلك في الكلام على
دول العرب

الباب السادس

في الكلام على شاهات العجم

وفي سنة ١٢٥٨ م دخلت التتار الى بلاد العجم وطردت دولة العرب
منها وتولت مكانها عدة قرون . ثم في سنة ١٥٠٠ قام عليها ملوك من
اهل فارس وتلقبوا بالشاهات اي السلاطين وكان اول هؤلاء الملوك
الشاه اسماعيل الاول وهو من نسل العرب فتغلب على البلاد واستولى
عليها ٢٢ سنة . ومن اعظم هؤلاء الملوك الشاه عباس ثبوا سرير المملكة
١٥٨٩ تخارب الاتراك وظفر بهم مراراً عديدة ومنع البرتوكاليين من
الاستيلاء على جزيرة اورموز في خليج العجم
ومن افضل ملوك هذه العائلة الشاه حسين الذي هو آخرهم وكان

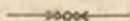
مع ادارته وحسن تصرفه قليل الحظ من رعاياه جلس على سرير الملك سنة ١٦٩٤ الا انه لم يطل زمانه حتى اضطر ان يتنازل عن كرسي الاحكام لخصم له يدعى محموداً ولكنه قبل ان يخلع نفسه عن تحت المملكة نزل الى الاسواق حافياً واخذ يطوف في شوارع اصبهان التي كانت يومئذ عاصمة البلاد وهو يصبح قائلاً لا تحزنوا ايها الناس على فراقنا عنكم لان الشاه محموداً هو اخبر مني وادري في تدبير اموركم واصلاح شأنكم لاسباب في ادارة الحروب وسياسة الاحكام وكان أكثر سكان المدينة يمشون وراءه وهم يبكون ويتحبون على فراقه ثم في سنة ١٧٣٥ قام كولي خان وتناوب كرسي المملكة وسمى نفسه نادر شاه وكان جباراً عنيداً ظالماً غشوماً كثير الحروب والغارات وكان قد غزا الجهات الشمالية من بلاد الهند سنة ١٧٣٩ فتغلب عليها ونهبها وعاد منها بغنائم وافرة واموال متكاثرة وكان مبغضاً من أكثر رعاياه لكثرة ظلمه وجوره فوثب عليه يوماً جماعة من قومه وقتلوه وكانت مدة حكمه سبع عشرة سنة واتفق في ايام كريم وكيل شاه انه حدث هياج واضطراب في المملكة واستمرت الحروب بين الاهالي نحو ١٥ سنة وذلك من سنة ١٧٧٩ الى سنة ١٧٩٤

ثم تولى زمام المملكة بعده افا محمد خان ثم فتح الله شاه ثم محمد شاه ثم ابنه نصر الدين شاه الذي صعد على سرير السلطنة سنة ١٨٤٨ مسيحية وهو من افاضل ملوك العجم بوصف بحسن السياسة والتدبير والمحبة لرعاياه وقد انشأ عدة مدارس كلية لدرس العلوم والفنون واكتساب المعارف والآداب لتجراح الاهالي وفي سنة ١٨٦٣ اذن بادخال السلك البرقي ابي التلغراف الى اقطار بلاده ثم مظفر الدين مرزا شاه وهو الملك الحالي وولد في ٢٥ اذار سنة ١٨٥٣ وارثي الى الملك في ١ ايار سنة ١٨٩٦ وهو سائر على خطة ابيه مهتماً في ترقية شؤون مملكته في الداخل

والخارج

اما عاصمة دولة ايران الحالية فتدعى طهران وهي كرسي المملكة
 والملك قصر عظيم في مدينة اصبهان يقال له قصر الاربعة عموداً وكل
 عمود منها قائم على اربعة سباع من نفيس المرمر وفيه من النقش البديع
 وانواع التحف والصور المزخرفة ما يدهش النظر ويحير العقل
 وهذه البلاد يحدّها شمالاً بحر الخزر والمالك الروسية وبلاد التتر
 المستقلة وشرقاً افغانستان وبلوخستان وجنوباً خليج العجم وخليج عمان
 وغرباً تركيا في اسيا وعدد اهلها نحو ١٤ مليوناً

وقد فاق اهل هذه المملكة ما سواهم من الناس في نسج الحرير
 والصوف كالخمل وشالات الكشمير والبسط والطنافس وفيها ابنية فاخرة
 وقصور عظيمة شاهقة ولكنها لا تقاس بتلك الابنية الهائلة التي كانت في
 ايام الملك زركيس . وليس لاهل العجم في هذه الايام ميل الى الحروب
 وسفك الدماء كما جرت لهم العادة في الايام السابقة وذلك لانعكاسهم
 على المطالعات وانشغافهم ببرد القصص والاخبار المفيدة المكتوبة من
 عصور قديمة وهي في غاية الظرف والحسن ولهم ايضاً ولوع وذوق في نظم
 الشعر والنثر وقد اشتهر منهم في هذه البلاد جملة من الشعراء كالحافظ
 الشيرازي والسعدي والفردوسي وغيرهم



الفصل السادس

في مملكة الصين

الباب الاول

في وصف بلاد الصين ومدنها واهلها وعوائدها

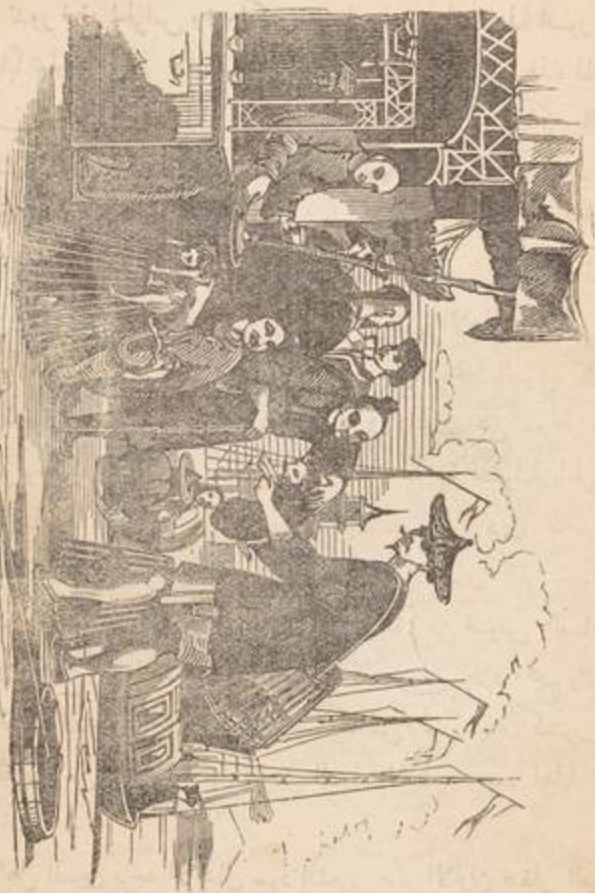
هذه المملكة يحدها شمالاً بلاد سيبيريا اي روسيا في اسيا وشرقاً
الاقيانوس الباسيفيكي وجنوباً بحر الصين والهند وغرباً افغانستان وبلاد
التتر المستقلة. وهي بلاد واسعة جداً ذات املاك وافرة يتبعها بلاد كثيرة
من بلاد المغول والمانشو وغيرها وعدد اهلها ٤٤٦ مليوناً منها ٤٢٠ في
نفس سلطنة الصين و٢٦ في البلاد المجاورة مثل منشوريه وبلاد المغول
وثبت وغيرها التابعة السلطنة الصينية. وللصينيين شهرة عظيمة في بعض
الصنائع كنسج الحرير والقطن والكتان ولاسيما حفر العاج وعمل الخزف
المعروف بالصيني وغير ذلك من الانواع

اما مدن بلاد الصين فمنها نانكين وكانت سابقاً عاصمة البلاد واما
في هذه الايام فقد انحطت عن عظمتها القديمة لانتقال تحت الملك منها
وعدد اهلها الآن نحو خمس مئة الف نسمة ومن غريب ابنتها البرج
العظيم الذي انشاه بعض الملوك في مدة ١٩ سنة واثقنه غاية الاتقان
وهو مبني من الآجر ومحيط اسفله مئة وعشرون قدماً يعلوه تسع طبقات
شاهقة وله من داخله درج على شكل لولب يصعد فيه الى السطوح

وخارج البرج ملبس بالخزف الصيني الملون. ثم مدينة باكين وهي قاعدة
 المملكة ودار اقامة السلاطين وعدد سكانها نحو مليونين وهي على شكل
 مربع مستطيل يحيطها سور ارتفاعه نحو مئة قدم وعرضه ثلثون قدماً
 بحيث تدور فوقه الحراس وهم راكبون خيولهم وفي جوانب هذا السور اثنا
 عشر باباً تعلوها ابراج لاقامة الحراس والمحافظة. وتنقسم هذه المدينة
 قسمين جنوياً وشمالياً اما القسم الجنوبي ففيه أكثر مساكن العامة
 واما الشمالي ففيه بلاط الملك وبساتينها وجنائنها التي هي في غاية البهجة
 وفي هذا القسم ايضاً كثير من البحيرات الصناعية والازهار البهية والاشجار
 المختلفة. ومن مدنها ايضاً مدينة سنغغو وهي بعد باكين في الاتساع
 والحسن. وفي سنة ١٦٨٥ من الميلاد عثر بعض الاهالي بالقرب منها
 على لوح من المرمر تحت الارض مكتوب عليه بالخط الصيني كلمات
 سريانية فوقها صورة صليب فاجتهد العلماء في البحث عن معرفة هذه
 الكلمات فوجدوها مشتملة على اثنتين وستين علامة منقوشة بالحروف
 الصينية فنامولها فاذا هي عبارة عن رسالة تتضمن اصول دين النصرانية
 وعدة مسائل تتعلق بقوانين القسوس واسماء الملوك الذين كانوا سبباً في
 نشر هذه الديانة التي اظهرها في تلك الجهة دعاء من قسوس النساطرة
 سنة ٦٣ للمسيح وكانوا قد قصدوا هذه المملكة من بلاد العجم والشام
 وكان هؤلاء الدعاء في بلاد الصين عدة كنائس. ثم مدينة كنتون
 وهي بالقرب من البحر يسكنها قناصل الدول الاجنبية وعدد اهليها نحو
 مليون نفس

واهل الصين بوجه الاجمال سود الشعر صفر الالوان صغار العيون
 وأكثرهم يلبسون اقمصة طويلة اشبه شيئاً بالارنب ويتمنطقون باحزمة
 حريرية وينقلون سكانين وختاجر في احزمتهم وهم على جانب عظيم
 من الفس والخداع ولم من العوائد والاصطلاحات الذميمة القبيحة ما

تأنف منها السماع . ومنها انه اذا كان لاجد الوالدين عدة اولاد لا يقدر
ان يقوم بمعاشهم يجوز له ان يلقينهم في النهر ليختصص منهم ولا يعترضه
احد . ومنها انهم ياكون لحوم النار والجوزان وبيعون الكلاب المائنة



مبيع النار والجوزان

جهرآ في الاسواق . ومن عوائدهم ايضا انه اذا اراد الرجل منهم ان
يتزوج بصبية يرسل رسولا من قبله ليخاطب والدتها بذلك فاذا قبلا
يفحصون عن ساعة ولادتها وولادته ليعرفوا في اي يوم وفي اية ساعة

كانت ولادتها معرفة طالعها فاذا وجدوا ان كل شيء موافق يرسل اليها الخطيب بعض جواهر نفيسة على سبيل الخطبة حتى اذا كان يوم العرس ينصبون خيمة قدام دار العروس ويذرون ارضها بالقمح ويدعون الاصحاب والمعارف ويجلس اهلها بجانبهم بحسب رتبهم ومقامهم ثم ينهض اهل العروس جميعا ويذهب بهم مع العروس الى بيت العريس ويرشونهم في اثناء الطريق بالقمح والشعير وعند وصولهم يجلسون العروس بجانب العريس فيقوم ذوو العريس ويقدمون لهم الشاي والعرق والحلويات وعند انصرافهم يقدمون الهدايا للعريس والعروس على سبيل النقوط. ومن عوائدهم انهم يحلقون شعور رؤوسهم ويقومون منها خصلة في اعلاها فيجدلونها ويرخونها على ظهورهم. ومنها انهم يستظرفون صغر ارجل النساء وتلك يعملون قوالب من حديد ويضعون فيها ارجل



البنات في صغرهن حتى اذا كبرن تكون ارجلهن صغيرة
وفي هذه المملكة كثير من الجبال الشامخة والانهر الكبيرة المشهورة
كمنهركيان الذي يصب في البحر الاصفر وهو يعد من اعظم انهرها يبلغ
طوله ثلاثة الاف ميل وفيه تجري سفن كبيرة وصغيرة لخدمة النقل
وفيها كثير من الترع التي توصل المياه الى داخل البلاد لاجل سقي
المزروعات ونقل الحاصلات من جهة الى اخرى. وفيها جملة معادن منها
الجنص واللازورد الذي يلونون به الصيني واليشب والبلور والمنطيس
والزبيق والفضة. وفيها الماس والزمرد والياقوت وغيرها من الحجارة الكريمة
ومن اشجارها الكافور وعود الند الذي يضاهي في الصورة والارتفاع
شجر الزيتون ثم الشاي وهو من اشهر نباتها وافضله ومن العجب انهم
يقطفونه ثلاث مرات في كل سنة وكيفية ذلك انهم يقطفون اولاً
اغصانه ويضعونها بقرب نار خفيفة حتى تجف قليلاً ثم يلقونها ورفاً
ويجعلونها في صناديق من رصاص ويرسلونها الى اوربا وباقي الجهات
وقد يبلغ مؤخراً معدل ما يرسل منه الى الخارج وما ينقطع داخل البلاد
سنوياً التي مليون افقة تقريباً. ومن حاصلات الصين الثمينة الحرير فانهم
يعتنون بتربية دوده وهم اول من اكتشفوه ومن عندهم خرج الى باقي
الاماكن. وللصينيين اختراعات كثيرة لم تعرف في البلاد الاخرى الا
بعد ازمة طويلة من وقت اختراعها مثل عمل القرطاس والخزف والمطابع
والبارود وغير ذلك مما يوجب لهم الافتخار والمدح. ويراود السلطنة يبلغ
من ٦٠ الى ٧٠ مليون ليرة انكليزية في السنة واكثره يؤخذ عيناً من
حاصلات البلاد

اما لغاتهم فهي من اقدم اللغات وقلما تغيرت عن حالتها الاصلية كما
يحدث غالباً في اكثر اللغات. واما كتابتهم فليس لهم حروف معتمدة
يكتبون بها كما في سائر اللغات وانما لهم علامات واشارات اصطلاحوا عليها

وإذا كتبوا ابتداءً أو بالسطر من فوق وتزلوا به إلى أسفل ناحية صدورهم
 خلافاً لباقي الكتابات



صحن صيني يستعملونه قبل شروقهم في احوالهم

بوزة
 يبلغ
 مل
 ستي
 منها
 ليس
 كرية
 تفام
 انها
 اولاً
 ورفه
 سات
 البلاد
 فانهم
 ياتي
 الأ
 اعطاه
 يبلغ
 ق
 لية ك
 معتمد
 وا على

واما ديانتهم فهي الوثنية واعظمها البوذية. ومن اصطلاحات كهننتهم في الاحتفالات الدينية انهم يلبسون بدلات مختلفة ثم يوقدون الشموع وعلقون في اعناقهم المسابح ويحمان بايديهم الاجراس ويطوفون في المساجد والهياكل والبعض منهم يمتنعون عن الزواج ويسكنون في صوامع منفردة عن الناس وعندهم كثير من القصص والتواريخ التي لا يوثق بها ولا يلبق بشأن المؤرخ ذكرها واعتمدها. ومن عوائدهم ايضا انه مباح لهم ان يتخذوا لانفسهم ما شاؤوا من النساء بشرط ان لا يكون للرجل اكثر من زوجة شرعية واما البقية فيعتبرون بمنزلة خادما

الباب الثامن

في تاريخ مملكة الصين

ان هذه المملكة من اقدم ممالك الارض واعظمها وقد اختلف المحققون وارباب التاريخ في من اسسها فزعم الاكثرون انه فوهي الذي يظنونوه نوحاً. ومما يؤيد قدميتها كثرة ملوكها وقد عد المؤرخون دولها الى هذا اليوم فكانت اثنتين وعشرين دولة حكمت في مدة اربعة الاف سنة. واما تاريخها فيمتد من سنة ٢٣٠٠ ق م وهو بالحقيقة من اسقم تواريخ الدنيا واظلمها لا يعتمد عليه نظراً لما يتضمنه من الخرافات والحكايات الغريبة البعيدة عن التصديق حتى لو شرع احد ان يستوفيه على وجه التفصيل لاستلزم عدة مجلدات كبيرة مع انه ليس بين اخبار ملوكها القدماء شيء يستحق الذكر الا الى زمن دولة تشاو التي استولت على السلطنة من سنة ١١٠٠ ق م الى سنة ٢٤٩ ق م. ومن ملوكها الامبراطور تشاوس الذي جلس على الكرسي قبل المسيح بنحو الف سنة وكان مغرباً بالصيد

والقتص وكان يصرف أكثر أيامه في الجولان بين الغياض والبساتين حتى
انه كان اذا طارد غزالاً او ارنباً يتبعه ولا يميل عنه حتى يصيده . وكان
كثيراً ما يدوس الاراضي المزروعة مع حواشيه وخدمه وقت الصيد
وهو غير مبال بالاضرار الناتجة من ذلك حتى مقتته شعبه وازدروا به
واضمر وزراء دولته التخلص من رياسته بقتله فحرضوا بعض الاتباع
على ذلك . وكان في تلك النواحي نهر عظيم من عادة الملك ان يعبره في
طلب الصيد فاعدوا له في بعض الايام قارباً مكسوراً من قعره ووضعوه
له على الشاطئ فلما حضر الملك وراه استحسنه ثم نزل به هو واتباعه
ولما صاروا في نصف النهر انفصت الواح القارب فسقط في الماء وغرق
الملك ومن معه

وفي زمن تملك هذه الدولة ظهر كونفوشيوس العالم الشهير الذي
كتب جملة تأليف في الدين والآداب والسياسة لم تزل موجودة الى
هذا اليوم و يعتبرها الصينيون اعتباراً عظيماً كاساس ديانتهم وآدابهم .
ولولاها لما علم عند المتأخرين شي من تاريخ الصين القديم . وكانت ولادة
هذا الشخص سنة ٥٥٠ ق م تقريباً من عائلة معتبرة فانصب على العلوم من
صغره ولما بلغ سن الاربع والعشرين سنة انعكف على اصلاح عوائد
بلادها فاخذ يجول بين ولايات السلطنة وينذر الناس بتعاليمه فالتصق
به كثير ون وذاصيته بين الجميع حتى دعاه ملك «لو» وسلمه وزارة مملكته
فاصلح شرائعها واصطلاحاتها وانى فيها اسباب التجارة والزراعة ولكن بما
ان الملك كان مغرمًا بالماهي واللذات نفر اخيراً من كونفوشيوس ولم
يثبت في اتباع مشوراته الحكيمة فاضطر هذا الفيلسوف ان يترك دار
الملك ويرجع الى اعتزاله مواظباً على الانذار والتعليم والتأليف . ومع كل
احترام الناس له كان لين الجانب وديعاً ومتواضعاً الى الدرجة القصوى
غير محب المال . وكان كونفوشيوس قريباً من عصر هيرودتوس ويحسبهما

العلماء ابوي التاريخ ولكن الاكثرين يفضلون الاول على الثاني لانه ما عدا كتاباته التاريخية ترك لبلاده تعاليم اديبة اتت بفوائد كثيرة من وقت مماته الى الان

ومن ملوك دولة تسن التي خلفت الدولة السالف ذكرها من سنة ٢٤٩ الى سنة ٢٠٥ ق م الملك سيوانكي وعند جلوسه على تخت المملكة شرع في بناء سور عظيم حول البلاد ليقبها من هجوم التتر ولم يزل السور الى الان يبلغ ارتفاعه ٢٠ ذراعاً وعرضه تسع اذرع وهو يشغل مسافة الف واربعائة ميل وعند فراغه من هذا السور ازداد تعجباً بنفسه وانفخر على من تقدمه من الملوك والسلاطين فاخذ يعامل الناس بالقساوة والجهروت. واذ كان يريد اطفاء خبر الاولين ومن سلفه من الملوك ويظهر للمتأخرين انه اول سلاطين الصين لم ير سبيلاً الى ذلك الا اعدام المؤرخين واتلاف قيود المملكة فامر احد الايام بدفن اربع مئة رجل من العلماء وهم في قيد الحياة ثم امر بحرق سائر الكتب والتواريخ التي في مكاتب المملكة. وبعد موت هذا الملك تولى ابنه مكانه وبوته اقرضت دولتهم

ثم قامت دولة اخرى تعرف بدولة هان وذلك من سنة ٢٠١ ق م الى سنة ٢٢٤ للميلاد وفي كل مدة تملكهم لم يحصل للبلاد راحة من غزوات التتر المتكررة. ومن ملوك هذه الدولة الامبراطور قاتي وقال البعض انه كوانك كان على غاية من الخفة والطيش يميل الى الملاهي والطرب منعكفاً على اللذات والسكر ولذلك كان يكره الموت ويود الحياة فاخذ يبحث ويفتش عما يدفع عنه كاس الموت ولكنه بعد ان صرف زماناً طويلاً في الامتحانات المحالية كتركيب المعاجين المقوية واستخراج المشروبات المنعشة ادركته المنية فضا ب سعيه واخطاه الامل قبل اتمام العمل

ثم خلفه ملك آخر كان مغرمًا ببطالة التواريخ والاخبار ولذلك
اشمل مصالح المملكة وانعكف مواظبًا على الدرس والقراءة وكان وزيره
يبغضه ويتقنى هلاكه فاغتنم الفرصة وهيج عليه الشعب ليفتكوا به فلما سمع
الملك اصوات العصاة وهياجهم بادر في الحال ولقده سلاحه وخرج من
الكتابة ليقف على حقيقة الخبر فوجد اكثر الشعب قائمين عليه يريدون
هلاكه فعلم ان سبب ذلك اشتغاله عن معاطاة الاحكام بالمطالعات
الكثيرة ولما رأى نفسه عرضة للهلاك وانه لم يبق امكان للدافعة ارتد
الى مكتبته واخرم بها النار فاحترقت وكان عددها نحو مئة واربعين الف
مجد ثم هجم عليه الشعب فقتلوه

وفي سنة ٦١٧ للمسيح جلس ملك آخر يدعى سيكويين وكان قد بنى
لنفسه قصرًا عظيمًا من ابريق القصور المزخرفة واتقنه اتقانًا خارجًا عن حد
العادة وطلعي حيطانه بماء الذهب وفرشه بانواع الفرش النفيسة والامتعة
الفاخرة الزاهية فلما مات دخل ابنه الى هذا القصر فدهش من فرط
حسنه وجماله وقال في نفسه ان هذا القصر مما يفسد عقول الملوك ويزيدهم
تكبرًا ونخفة فامر باحراقه

وجلس سنة ١٠٠٠ مسيحية على كرسي المملكة ملك شهير بالمعارف
والاداب يدعى شوانكتسون وكان على جانب عظيم من الزهد والورادة
وكال الاستقامة وكان ذا حكمة وفراسة مطبوعًا على مكارم الاخلاق
حريصًا ساهرًا على جلب الراحة للبلاد والعباد فاحبه رعاياه ومالوا اليه
لتصرفاته وحسن سلوكه ومن جملة مزاياه الغربية انه كان يتام على
بساط الارض بلا مثال ولا دنار ويربط في عنقه جرسًا حتى اذا تحول من
جهة الى جهة وهو مستغرق في نومه يستيقظ بزنين الجرس معتبرًا ذلك
الوقت وقتًا مناسبًا لقيامه من النوم

وسنة ١٢١٠ للمسيح زحف جنكيز خان ملك التتر والمغول بم جيش

عظيم على هذه المملكة وافتتحها بعد وقائع متعددة وهجمات هائلة واستولى على جانب عظيم منها وقام بعده ابن ابنه قوبلاي خان فأكمل استفتاح البلاد وأسس مدينة بأكين وسمى نفسه خان الصين الكبير واستمرت البلاد في ايدي ذريته الى سنة ١٣٦٨ حين استخلصتها منهم العائلة المعروفة بدولة مينك . وكانت احكام الترتيب في كل مدة استيلائهم على الصين قاسية جداً ومعاملة المغول بربرية لم تتحملها الاهالي الا بكرب شديد وقيل انه في مدينة واحدة نهض مرة ٤٠ الف نفس من اهاليها واماتوا انفسهم بايديهم بنية التخلص من جور ظالمهم . وفي مدة تسلط هذه الدولة دخل البورتوغاليون اولاً الى الصين وذلك سنة ١٥١٦ وفتحوا الباب لدخول باقي الدول الافرنجية ثم تبعهم الفلمنكيون سنة ١٦٢٤ ثم الانكليز في ذلك القرن عينه ثم المسكوب ثم الفرنسيون والاميركانيون ولكنهم لم يخذوا مركزاً ثابتاً في تلك البلاد نظراً لبغض الاهالي مخالطة الاجانب . ومن سلاطين هذه الدولة الامبراطور شنكتا جلس على سرير الملك سنة ١٥٢٢ وفي ايامه ظهر معدن من الحجارة الكريمة في تلك البلاد فقصده الناس من جميع النواحي واخذوا يشتغلون بحفره وتقطيعه وكان احد الناس قد جاء الى الملك ذات يوم ببعض فضوص ثمينة من ذلك المعدن فلما شاهدها التفت الى من حوله من الناس واراها ثم صاح عليهم باعلى صوته قائلاً لهم اتظنون ايها الناس ان هذه الحجارة كريمة قالوا نعم انها كريمة ونفيسة قال اذا كان الامر كما تزعمون فلا بد ان يكون لها نتائج مفيدة فاخبروني اذا ما هي فوائدها استطيع ان تشيع جائعاً او تكسو عرياناً ثم امر بتعطيل ذلك المعدن وردمه وان يشتغل اولئك الناس في عمل آخراهم وانفع . فدام تسلط هذه الدولة الى سنة ١٦٤٥ حين طردها قبيلة من التتر المانشو المعروفة بدولة تانسينك وهي الباقية الى ايامنا هذه . ومن ملوكها الامبراطور ككهي من اعظم

ولاية الصين سطوة وشوكة وفي ايامه دخلت الديانة النصرانية الى البلاد بواسطة مرسلين يسوعيين واذا كان يميل اليها اصدر امراً ملكياً سنة ١٦٩٢ يمنح به معلمها جملة امتيازات . وقد قرب اليه احد هولاء الاباء وجعله مستشاراً له فكان نفوذه عظيماً في البلاد . واجتهد اليسوعيون في تهذيب الناس وتعليمهم ونجحوا نجاحاً عظيماً في وقت وجيز والعالم مديون لهم لاجل معرفة احوال الصين الداخلية اذ كانت قبل ذلك مجهولة وبعد توفي كهنه سنة ١٧٢٣ خلفه ابنه يون شينك وكان اذ ذلك صغير السن فتسلم زمام السلطنة اربعة وكلاء وفي مدة وكالتهم سنوا سنة هي ان يمنع اخصيان المتولجين حراسة الحرم من الارتقاء والتوصل الى وظيفة من وظائف البلاد وكانوا قبل ذلك الوقت يرتقون الى اعلى المناصب ونقشوا تلك السنة على الواح من حديد وزن كل منها نحو اربع مئة افة والى الان يتسك بها كل ولاية الصين اذ بواسطتها حصل من ذلك الوقت السلام والراحة في كل السلطنة . ولما بلغ يون شينك المذكور سن البلوغ واستلم زمام الاحكام لم يعامل اليسوعيين كعاملة ايده ولا سباب غير معلومة مقتهم وابعدهم عنه ثم نفاهم من العاصمة اولاً الى كنتون ثم الى مكاو فنقدت كل نتائج اتعابهم . وفي ايامه حدثت زلزلة عظيمة في بلاد الصين لم يسمع بمثلها منذ خلقية العالم فهدمت اكثر بيوت باكين ومات بها نحو مئة الف نسمة وشمل الخراب والموت باقي الحدود المجاورة

ثم خلف يون شينك الامبراطور كيان لونك وكان سلطاناً عظيماً وحاذقاً حكيماً يود الاجانب ويميل اليهم اكثر من سلفائه وبعد موته جلس ابنه مكانه واذا كان غير اهل للاحكام خلع نفسه عن كرمي السلطنة واقام ابنه تاوكوانك مكانه سنة ١٨٢٠ وكانت البلاد في ايامه بلا راحة من جرى الثورات الداخلية والاضطرابات الخارجية ولا سيما حرب الانكليز سنة ١٨٠٤ المعروفة بحرب الافيون . وكان السبب في

ذلك ان الحكم الصيني منع ادخال هذا الصنف الى بلاده واصدر امرًا
جازمًا سنة ١٨٣٢ بمنع الاتجار به اما الافرنج فلم يكونوا يعتبرون هذا
التنبيه بل استمروا يتعاطون هذه التجارة خفية ولما اشتهر امرهم عند
الحكومة ارسلت في الحال معتمدين من باكين الى مدينة كنتون ووكلت
اليهم استعمال ما يلزم لتبديل تلك التجارة فالتقوا القبض حالاً على رجلين
من ابناء البلاد ممن وقعت عليهم الشبهة في تهريب الافيون وقتلواهما
بمضور الافرنج ثم احاطوا بالمنازل الافرنجية وهجموا عليها دفعة واحدة
واخذوا منها ٢٠ الف صندوق من الصنف المذكور . فهذه الوسائط
جعلت تجارة الافيون تنحصر في الفرض البحرية حيث ترسو المراكب
الحرية ولكن اذ كانت حكومة الصين متشبثة باتمام مقاصدها لم تغفل عن
مراقبة اعمال تجار الافرنج واستمرت على مقاومتهم لمنع جلب الافيون الى
الاقطار الصينية فوقع بينها وبين الافرنج لذلك معركتان في نهر كنتون
اشهرها بين بارجتين انكليزيتين وبين ٢٩ مركبًا صينيًا تحت رياسة
الادميرال كوات فكانت الدائرة على الصينيين فانسحبوا بعد ما حرق
مركب من يوارجهم وغرق منها عدة سفن فعظم ذلك الامر على مملكة
الصين واصدرت امرًا بابطال كل معاملة تجارية مع انكلترا وسعت في
احراق البوارج الانكليزية وهي راسية في مينائها فالتزم حينئذ رئيسها
ان يلتجئ الى قوة الاسلحة واشهر الحرب على الصينيين واحاط بمدينة
كنتون بالمراكب والعساكر وضايقها فاضطر الامبراطور عند ذلك ان
يصرف ذلك المشكل بتادية ٦ ملايين من الريالات كتضمنين على ما
تكبدوه من الخسائر في اثناء الحرب وتنازل لهم عن جزيرة هون كونك
وتعهد بارجاع المعاملات التجارية بين الامتين كما كانت سابقًا . ولكن اذ
لم يفسد الامبراطور بهذه العهود عاجلاً اضطرت انكلترا ان تلزمه جبراً
على اجرائها فارسلت عليه البوارج ثانية تحت قيادة السار هنري بوتينجر

سنة ١٨٤١ فضرب موانئها واستولى على أكثرها تخاف الامبراطور من عواقب الامر وعقد صلحاً مع دولة انكلترا في السنة التالية تحت شروط معلومة وهي ان الدولتين تكونان في صلح وسلام مدى الدوام وان سلطنة الصين تؤدى للانكليز ٢١ مليون ريال في مدة اربع سنوات وان مواني كمتون وآموي وفوشو وينيكبو وشنغاي تكون مفتوحة للتجارة الانكليزية وينصب فيها قناصل وان جزيرة هون كونك تعطى عطاء مؤبداً الى جلالة الملكة فيكتوريا وخلفائها من بعدها وان المكاتبات بين الدولتين تكون على نسق المساواة

وسنة ١٨٥٠ توفي تاو كوانك المذكور وجلس مكانه ابنه هيان فونك فتوانى عن القيام بحق العهود المذكورة وحاول من جهة منع دخول الانكليز الى داخل مدينة كمتون فادعى ذلك الى مناظرات عديدة بين الطرفين استمرت الى سنة ١٨٥٢ حينما وقعت حادثة السفينة الانكليزية المسماة «ارو» اذ هاجمها بعض ضباط الصين ومزقوا رايتها وقبضوا على جانب من رجالها ظلماً وعدواناً ورفض الامبراطور بعد ذلك اعطاء الترضية للانكليز عن هذا الفعل الذميمة فالتزمت انكلترا ان تشهر حرباً على الصين مرة ثانية واذ كانت صوالح فرنسا التجارية وقتئذ ومحاماتها عن الاكليسوس الكاثوليكي في تلك البلاد تستدعيان المداخلة اتحدت هاتان الدولتان وارسلتا قوة بحرية وبرية تحت رياسة البارون كرو من قبل فرنسا والورد الجين من قبل انكلترا وذلك سنة ١٨٥٨ او بعد دخولهم الى تيان تسين فهراً وهدمهم نلع مدينة تاكو التي على فم نهر ييهو عقدوا مع حكومة الصين معاهدة تشتمل على ٥٦ بنداً منها ان يكون لسفراء فرنسا وانكلترا حق السكن في مدينة باكين وان لا يكون مانع لجولان رعاياهم في كل انطار السلطنة وتخصص تسع مدن غير المدائن التي كانت تخصصت بالمعاهدة الاولى لتكون موانئها مفتوحة لتجارهم وان لا يبصر ادنى تعرض

الديانة المسيحية ولا لبناء الكنائس او البيوت وغير ذلك من الشروط. فلما ثبتت الحكومة الانكليزية تلك المعاهدة وكان اخو اللورد الجين ذاهباً بها الى باكين سنة ١٨٥٩ ليستبدلها بالنسخة الصينية وجد ان الحكومة حصنت قلاع مدينة تاكو واقامت ايضاً حواجز لمنع مرور المراكب من فم النهر. وبينما كانت المراكب الانكليزية تريد ان تغتصب الدخول الى النهر اطلق الصينيون عليها النار من القلاع وأضروا بها ضرراً جسيماً فعند ذلك وافاهم اللورد الجين والبارون كرو مرة ثانية سنة ١٨٦٠ بمراكب كثيرة واغتنصبوا الدخول في النهر المذكور بعد ما هدموا الحصون المحامية ودخلوا منتصرين الى مدينة باكين وحرقوا قصر الملك الصفي وعقدوا شروط الصلح وحصل اللورد الجين على تثبيت المعاهدة المار ذكرها. اما الامبراطور هيان فونك فانه هرب الى منشوريا وهناك توفي بعد سنة وهو في سن الثلاثين

ثم خلف هيان فونك الامبراطور الحالي تشي سيانك ومعناه المسعد جلس في ٢٢ آب سنة ١٨٦٢ وهو في سن الثلاث عشرة وفي ايامه تمكنت المحبة والالفة بينه وبين الدول الافرنجية وجعلوا بينهم روابط ومعاهدات باقامة السفراء والنواب بين الطرفين ولذلك ترى الان سفراء الممالك الاوربية ووكلاءها منقشرين في اكثر المدن الصينية ولا سيما في المواني البحرية ولا بد ان الصينيين يرون قريباً فوائد هذا التغيير لانفسهم ويحتمون بهذه الوسطة ثمار الارباح المادية والادوية الناتجة عن هذا الاختلاط

الفصل السابع

في تاريخ العرب

الباب الاول

في جغرافية بلاد العرب

هذه البلاد يحدها شمالاً فلسطين وسورية وشرقاً العراق والجزيرة
وخليج العجم . وجنوباً بحر الهند . وغرباً بؤغاز باب المندب والبحر الاحمر
وبؤغاز السويس . واهلها اثنا عشر مليوناً . وهي خمسة اقسام اليمن والحجاز
وتهامة ونجد واليمامة

اما بلاد اليمن فتتقسم الى خمسة اقسام وهي حضرموت وشحر ومهرة
وعان ونجران . ومن اشهر مدنها مدينة صنعاء وهي قصبه البلاد ودار
الامامة وكانت كرسي لوك اليمن في الازمنة السالفة وهي ذات بساتين
واشجار كثيرة وبها ثمار لذيذة خصوصاً العنب وبقرب صنعاء معادن شحم
الحجر . ومن مدن اليمن مدينة عدن ونجران وزبيد ومدينة مخا وهي
فرضة مشهورة على شاطئ البحر الاحمر ومحط تجارة اليمن وعدد اهلها ١٨٠٠٠
ومنها يجلب البن الذي تنسبه العامة الى مكة ويقولون له الحجازي ثم
مدينة مارب وغير ذلك من المدن

واما الحجاز فهو ما يلي البحر الاحمر من تهامة وسمي حجازاً لانه
حاجر بين نجد وتهامة . ومن مدنه مكة وجدة والمدينة وفيه الطائف

الواقع في شرقي مكة وهو ابرد اقليم واجود مكان في الحجاز كثير الفواكه
والبساتين وفيه عيون جداول كثيرة . وفي جبال الحجاز عدة ولايات
صغيرة لا يعيش سكانها في الخيام كباقي عرب السهول بل لهم مدن وقرى
مبنية بالحجارة وهم يدفعون عن انفسهم بمحصون وقلاع صغيرة . ومن
هذه الولايات ولاية خيبر وهي على الشمال الشرقي من المدينة واهلها يهود
مستقلون بانفسهم

واما تهامة فموقعها على شط البحر الاحمر بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً
واما نجد فهي ما يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقاً والحجاز غرباً
واليامه جنوباً وهي ارض واسعة عظيمة كثيرة الجبال والمدن والقرى
مشحونة بالأراضي الالتزامية حتى ان اكثر مدنها قد تكون التزام شيخ
يحكمها ويتصرف باهلها كما يشاء وارضها مخصبة الى الغاية يخرج منها سائر
الفواكه خصوصاً التمر وبها تربى الخيول العظيمة . ومن مدنها رياض وهي
قصة البلاد ذات سور وجنائن وبندر يجتمع اليها التجار من سائر الجهات
للبيع والشراء وسكانها على اشد ما يكون من التعصب في المذهب الوهابي .
ثم مدينة ايانا وهي التي نشأ بها محمد بن عبد الوهاب الذي انشأ
هذا المذهب

واما اليمامة فهي بين نجد واليمن وهي تتصل بالبحرين شرقاً والحجاز
غرباً وتسمى العروض لاعتراضها لليمن ونجد

اما غلال بلاد العرب فمنها الحنطة والذرة والشعير والقوة والبن
والفلفل والقطن والسنامكي والبلسم والعود والمر والبخور والمن والتمر وهذا
الاخير هو اساس قوت اهل هذه البلاد . وفيها من الحيوانات الاسد
والضبع والتمر والذئب والوعل والجواميس والغزلان والحمير والقردة
والجمال والهنج والخيول وهي اجود خيول الارض موصوفة في الحسن
والخفة . والمعادن في هذه البلاد قليلة جداً وفي بعض الاماكن معادن

حديد ونحاس وورصاص والعقيق واللؤلؤ في خليج فارس . واما الفنون
فمجهولة في بلاد العرب والصنائع مهملة وفن الموسيقى يكاد لا يعرف فلا
يسمع هناك الا صوت الطبول والمزامير

الباب الثاني

في اصل العرب وصفاتهم وما يتعلق بهم

ان العرب هم اقدم الامم من بعد الطوفان واشدهم باسا واعزهم نفسا
وهم فرقتان بدو وحضر اما البدو فهم سكان البراري والقفار الذين يعيشون
من الابل والغنم ولحومها وينتقلون من مكان الى مكان في طلب
العشب والمياه

واما اهل الحضرة فهم سكان المدن والقرى . وكان لبعضهم عصور
ودول وقبائل ولم يكن دابهم الا شن الغارة والغزو على الممالك حتى انهم
غاروا على فراغة مصر قبل المسيح بنحو النفي سنة وانتصروا عليهم وتملكوا
مصر الوسطى والسفلى وتولى منهم جملة ملوك في مدة ثلاث مئة سنة وكانوا
يدعون ايام دولتهم في مصر بالملوك الرعاة وهذا اقوى دليل وبرهان على
قدميتهم وشدة باسهم في ذلك الزمان . وقد استولت ملوكهم ايضا على
الشام والعراق واليمن ونجد والحجاز والبحرين واليمامة كما سيأتي بيان ذلك
في محله . وجميعهم ينقسمون الى اربع طبقات متعاقبة

الطبقة الاولى العرب العاربة ويقال لها البائدة اي المالكة وكانوا
شعوبا وقبائل كثيرة العدد كهاد وطسم وجديس وغيرها فاتقروا جميعا
واندرسوا ولم يبق من نسلهم احد على وجه الارض
ثم الطبقة الثانية وهم العرب المستعربة من ولد قحطان الذين منهم

التبابعة ملوك اليمن ويقال ان قحطان المذكور هو اول من تكلم بالعربية
من اهل هذه الطبقة تعلمها من العرب البائدة الذين كان معاصراً لهم وكان
ابنه يعرب بن قحطان من اعظم ملوك عرب اليمن

ثم الطبقة الثالثة وهم العرب التابعة للعرب المستعربة من ولد عدنان
الذي هو من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الذي اختلط مع العرب المستعربة
ونشأ بينهم وربى في احيائهم وتزوج منهم وتعلم لغتهم العربية بعد ان
كان ابوه اعجمياً ومن هذه الطبقة المناذرة ملوك الحيرة والعراق

ثم الطبقة الرابعة وهم العرب المستجمعة اي عرب هذا العصر الذين
فسدت لغتهم على تمادي الايام والسنين بمخالطتهم الاجانب وانقراض ما
كان لهم من الدولة والسطوة في الجاهلية والاسلام وبقي خلفهم الى الان
وهم طوائف عديدة وشعوب كثيرة يسكنون الخيام ويجولون في البراري
المقفرة واشهرهم عرب صخر وعنزة

ومن صفات العرب الشهامة والنجدة وحفظ العهود والذم والافتخار
بشدة الباس وعلو الهمة كانتصارهم على الاعداء وكسب الغنائم ومن اطعم
على اشعارهم استدل على احوالهم واخبارهم. ومن صفاتهم ايضاً المحافظة على
شرف ناموسهم وعرضهم فكان عندهم الموت اسهل من العار والفضيحة
ولفرط احترازهم ومحاماتهم عن شرف العرض توصل بعضهم على ما قيل
الى عادة ذميمة ومكروهة جداً كدفن البنات بالحياة التي هي من اقيع
العوائد وافظعها فمنهم من كان يفعل ذلك تجنباً للعار ومنهم من القلة
والفقر فكان الرجل منهم اذا وُلدت له بنت واراد ان يبقياها في قيد
الحياة البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى له الابل والغنم في
البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت من العمر تسع سنين يقول
لامها طيبها وزينها حتى اذهب بها الى زيارة اهلها فيذهب بها الى
الصحراء حيث يكون قد حفر لها بئراً وعند وصوله بها الى ذلك المكان

يدفعها من خلفها وياقيها في البئر ثم يهيل عليها التراب ويزدهب الى
حال سبيله

ومن صفات العرب ايضاً السخاء والكرم والضيافة للقريب والغريب .
وكان منادي عامر بن الطفيل العامري ينادي في سوق عكاظ هل من
جائع فنطعمه او خائف فنؤمّنه او راحل فنحمله . وكان ايضاً عبد الله
بن جدعان يذبح في داره كل يوم جزوراً و ينادي مناديه من اراد الشحم
والحم فعليه بابن جدعان فلا عجب اذا مما يحكى عن حاتم الطائي وكعب
بن مامة واوس بن حارثة ومعن بن زائدة من الاخبار والقصص في
الكرم والجود

ومما يحكى عن فراستهم وحذاقتهم انهم كانوا يستدلون بأثار الاقدام
والخوافر استدلالاً عجيباً فيعرفون قدمي الشاب من الشيخ والرجل من
المرأة والغريب من المتوطن وكان اذا هرب منهم هارب او دخل عليهم
سارق اتبعوا آثار قدمه حتى ظفروا به

وكانوا على انواع مختلفة في المذاهب والاديان وكان لهم آلهة واصنام
كثيرة فعبد بنو حمير الشمس و بنو كنانة القمر و بنو غلم و جذام المشتري
و بنو طي سهيلاً و بنو اسد عطار و بنو ثقيف اللات والعزرى

وكان للعرب قديماً شهرة عظيمة في الفصاحة والبراعة ونظم الشعر
وبهم تضرّب الامثال الى يومنا هذا وكانوا يجتمعون في اوقات معلومة
معينة يبيعون ويشترون ويتفاخرون ويتناشدون الاشعار التي تدل على
اباهم ووقائعهم التاريخية وعلى ما كان عندهم من العوائد والاصطلاحات
فيجتمع كل سنة بسوق عكاظ ساداتهم وملوكهم وقوادم وقبايلهم ويجلسون
في مكان معلوم ثم يقوم الشاعر من بينهم ويصعد الى محل مرتفع وارباب
الجلس جالسون في مراتبهم فينشدهم تفائس اشعاره ومتى فرغ من
اشاده قام غيره من الشعراء وانشد ما عنده وهكذا الى النهاية . وكان

للناطقة الذياني التقدم في هذا الاجتماع فكان ينصف بينهم ويفضل بعضهم على بعض. ومن اجود اشعارهم واشهرها المعلقات السبع التي اعتنوا بها وكتبوها وزركتوها بحروف الذهب على المنسوجات الحريرية وعلقوها على الكعبة في مدينة مكة وقد اعنت علماء الاسلام بشرحها وذلك لما فيها من الفصاحة والبلاغة والصناعة الشعرية ومن تأمل في قصيدة عنترة بن شداد الذي يقول فيها

اذا بلغ النظام لنا وليدٌ تحرُّ له اعدينا سجدوا
 فمن يقصد بداهية الينا يرى منا جيازةً اسودا
 ويوم البذل نعطي ما ملكنا ونملا الارض احساناً وجودا
 عرف شجاعة العرب ونخوتهم وكرم اخلاقهم وعلو همتهم. ومن اطاع على قصيدة السمائل التي منها

تعبينا انا قليلٌ عديداً فقلت لها ان الكرام قليلٌ
 وما ضرنا انا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلٌ
 فنحن كماء المزن ما في نصابنا كهامٌ ولا فينا بعدٌ بجيلٌ
 وننكر ان شئنا على الناس قولم ولا يتكرون القول حين تقولٌ
 وما خمدت نارنا دون طارق ولا ذمنا في النازليت تزيلٌ
 واسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلولٌ
 معودةٌ ان لا تسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيلٌ
 استدل ايضاً على احوالهم اذ اكثر اشعارهم على هذا النسق

الباب الثالث

في ذكر العرب قبل الاسلام

وكانت مملكة العرب منقسمة الى دول متفرقة وملوك كثيرة المتعدد

ومن اعظم دولها في ذلك الزمان التبابعة ملوك اليمن واول ما ملك منهم
 قطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نوح وكان ملكه قبل
 المسيح بنحو النبي سنة ثم ملك بعده ابنه يعرب وفي السنة الاولى من ملكه
 غزا بلاد الحجاز فتغلب عليها وامر عدة من ملوكها وضرب عليهم الخراج
 ثم فوض ولاية البلاد الى اخيه جرم ورجع الى بلاده ظافراً منصوراً
 وكان يعرب مغرماً بالبناء وهو اول من ابتداء بعبارة المدن في اليمن
 وكانت مدة حكمه ٣٣ سنة ثم ملك بعده ابنه يشجب ثم ابنه عبد شمس
 الملقب بسبا وكان ملكاً ظافراً مقتدرًا كثير المغازي والحروب غزا غزوات
 كثيرة وافتتح مدناً حصينة وحمل السبايا الى بلاد اليمن وكانوا عدداً
 كثيراً ولذلك قيل له سبا وهو الذي اغار على بابل وفتحها وفيه
 يقول الشاعر

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها الى الغرب منها عبد شمس بن يشجب
 سعى بالجياد الاعوجية والقنا الى بابل في مقتب بعد مقتب
 وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة ثم ملك بعده عدة ملوك لا يعلم لهم اخبار
 ولا وقائع ولذلك ضربنا عنهم صفحاً واكتفينا بذكر اشهرهم فمنهم الملك
 شمر يرعش وهو في الحقيقة من اعظم ملوك هذه الدولة جلس على سرير
 المملكة سنة ٨٠٠ ق م كان جباراً مقتدرًا كثير الغارات والمغازي قصد
 بلاد الشرق في جيش مؤلف من نحو ثلاث مئة الف مقاتل فدخل ارض
 العراق ثم ارتحل طالباً بلاد الصين وجعل طريقه على بلاد فارس فتغلب
 عليها وافتتح المدن والحصون ودخل مدينة السغد فهدمها وخربها فقبل لها
 بالفارسية شمر كد اي شمر اخرجها ثم اعيد بناؤها فبقي عليها ذلك الاسم
 لكنهم تصرفوا فيه فقالوا سمرقند وهي من المدن المشهورة في تلك البلاد
 وقد وجد في بعض قصورها المنهدمة عموداً مكتوب عليه بالحيرية هذا
 ما بناه شمر يرعش لسيدة الشمس

ولما استخلص شمر يرعش بلاد فارس سار طالباً بلاد الصين فخاف ملكها من خبر قدومه وارتبك في امره وكان له وزير من اعقل الناس فقال له انا افدي هذه المملكة بنفسى واكفيك شر هذا الملك وجنوده فقال قد فوضت هذا الامر اليك فافعل ما تريد فجدع الوزير انفه وسار طالباً الملك شمر يرعش وكان بينه وبين المدينة مسافة ست مراحل ولما اشرف عليه تمثل بين يديه واعلمه بنفسه وشكا اليه ظلم الملك وقال قد فعل بي ما ترى علي غير جناية تستحق ذلك وخفت ان يقتلني فخرجت اليك هارباً وارجوان يكون افتتاح هذه المملكة عن يدي فسر معي وانا ضمين لك بذلك . فاعتز شمر يرعش بكلامه وبما رآه من جدع انفه واتقاد له فنهض بجيشه وسار معه الوزير فقادم في تلك القفار على طريقة غير مستقيمة حتى دخل بهم في فوات معطشة مهلكة بعيدة عن الماء فاجهدم العطش وهم يجردون في طلب الماء ولا يدركونه حتى هلكوا جميعاً وهلك شمر يرعش والوزير ايضاً وكانت مدة ملك شمر يرعش المذكور سبعة وثلاثين سنة . وقام بالملك بعده ابنه ابو مالك وبموته انتقل الملك من ذريته الى ولد اخيه كهلان وتولى منهم جملة ملوك ثم رجع الملك الى ذرية شمر يرعش وكان آخر ملوكهم سيف بن ذي يزن الذي استخلص المملكة من ايدي الحبشة بمساعدة الملك كسرى انوشروان بعد ان كانوا قد استولوا عليها نحو سبعين سنة وكان ذلك بعد المسيح بخمسة مئة وستين سنة

ومن ملوك العرب ايضاً الفساسنة ملوك الشام اصلهم من اليمن ثم انتقلوا الى نواحي الشام ونزلوا على ماء يقال له غسان فاشتهروا به حتى غلب اسمه عليهم فقبل لهم آل غسان ثم تغلبوا على الشام وتملكوها فكان اول ملوكهم جفنة بن عمرو واخرهم جبلة بن الايهم وهو الذي بنى مدينة جبلة بين طرابلس واللاذقية وسماها باسمه وكان قد اسلم في زمن

عمر بن الخطاب عند افتتاح الشام فسار الى مكة يريد الحج بمئتين وخمسين نفراً من اصحابه فلما قرب من المدينة قلد اعناق خيله بقلاند الفضة والذهب ووضع تاجه على راسه ولما بلغ عمر بن الخطاب قدومه النقاء بموكب عظيم ورفع مقامه حتى كان يوم الطواف فبينما جيلة يطوف بالبيت اذ وطىء رجل من بني فزارة طرف ازاره فانحل عنه الازار فغضب جيلة من ذلك ولطم الفزاري لطمه هشم بها انفه فتعلق به الرجل وانطلق الى عمر ودمه يسيل على وجهه وشكا اليه حاله . فقال عمر لجيلة انت في خيرة اما ان يلطمك هذا الرجل كما لطمته او تفندي اللطمه منه بالمال فقال جيلة لعمر ا فلا يفضل عندكم ملك على سوقه قال كلاً بل كلاهما في الحق سواء فغضب جيلة من ذلك وصبر الى الليل فاجتمع بغلمانه وخرج بهم حتى لحق بالشام ثم سار من هناك الى قيصر واقام عنده فتشعبت اولاده في تلك البلاد وتسموا بالارناوط

ومن ملوك العرب ملوك بني كندة الذين منهم امره القيس الشاعر المشهور وهو صاحب المعلة التي يقول في مطلعها

ففا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وهي من افصح كلام العرب وابغه يذكر فيها بعض قصص واخبار تتعلق
بوقائع حاله الخصوصية وقد اشتهرت بين الناس بهذا المقدار حتى ضرب
بها المثل دون غيرها فيقولون اشهر من قفا نبك وذلك لما فيها من
التشبيهات المتنوعة والمعاني البديعة المخترعة . وكانت بنو اسد وهي قبيلة
من كندة قد قتلت اباة في خبر مشهور فخرج الى قيصر ملك الروم يستعين
به ويستجده على قتال القوم فلم يجده ومات في اثناء الطريق عند
رجوعه من القسطنطينية بقرب جبل يقال له عسيب وكان ذلك سنة
تسع وثلاثين وخمسمائة للمسيح

ومن ملوك العرب ايضاً ملوك العراق الذين اولهم مالك بن فهم

وآخراً المنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء الذي حاربه خالد بن
 الوليد واخذ منه مدينة الحيرة وكانت المناذرة يومئذ عمالاً للاكامرة على
 عرب العراق كما كانت ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام. ومن
 اشهر ملوكهم جذيمة الابرش صعد على سرير المملكة بعد المسيح بثلاثين
 سنة وكان مسكنه الحيرة وهي بلدة قديمة على ساحل البحر بقرب الكوفة
 وكانت منزلاً لملوك العراق في تلك الايام. وكان جذيمة المذكور ذا شوكة
 وبأس وهو اول من اوقد الشمع ونصب الجانيق للحرب وجي الاموال
 وكان بينه وبين عمرو بن الظرب ملك الجزيرة عداوة عظيمة فاستظهر
 عليه جذيمة بعد حروب طويلة وقتله وملكت بعده ابنته الزبابة واسمها
 نائلة وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت لها هناك مدينة وقصراً
 عظيماً وكانت عاقلة اديبة فاجمعت على اخذ الثار من جذيمة بابيها فارسلت
 اليه مع احد قوادها تخطبه لنفسها وتقول له انها امرأة لا يليق بها الملك
 وانها تريد ان تضيف ملكها الى ملكه فطمع في ذلك واستشار وزراؤه في
 هذا الامر فوافقوه جميعهم الا وزيره قصير بن سعد فانه قال له ايها
 الملك لا تفعل ولا تغتر بكلامها وما ارادت بذلك الا تتخذك وتاخذ
 بثار ابنيها منك فلم يلتفت جذيمة الى كلامه واستشار ابن اخته عمرو بن
 عدي فوافقته على ذلك فاستخلفه على المملكة وركب يومئذ في جماعة من
 خواصه وسار اليها ومعه وزيره قصير المذكور فلما اشرف عليها قبضت عليه
 وقتلته وهرب قصير حتى اتى عمراً ابن اخت جذيمة واخبره بما كان
 وحرصه على اخذ الثار

ثم ان قصيراً قطع انفه واذنيه ولحق بالملكة المذكورة ودخل عليها
 واخبرها ان عمراً اتهمه بقتل خاله ففعل به ذلك ولم يزل ييخدها
 بالكلام حتى اطمانت له ثم طلب منها ان تاذن له بالاقامة عندها فاذنت
 له وقدمته على جميع غلمانها وصارت ترسله الى اليمن والحجاز بمال للتجارة

فياقي الى عمرو فياخذ منه ضعف المال الذي معه ويشترى به الخبز
والديباج والزبرجد والياقوت ويأتي به اليها الى ان تمكن منها وصار
عندها بمنزلة عظيمة فسلمته مفاتيح الخزان وقالت له خذ ما احببت منها
فاخذ جانباً عظيماً من مالها واتى عمراً وقال له قد عملت ما عليّ وبني ما
عليك قال وما هو قال الرجال بالصاديق فانخب عمرو من فرسانه الف
رجل والبسهم السلاح واتخذ معه الف صندوق وجعل يسير بهم ولم يزل
كذلك حتى اقرب من قصر نائلة ومدينتها فامر جماعته فتأهبوا
بسلاحهم ودخلوا الى الصاديق وقتلوه من داخل ووضعت الخدام
الصاديق على ظهور الجمال وربطوها بالخيال حتى لا يشك كل من يراها
انها قافلة ثم سبقهم قصير الى المدينة وكان ذلك وقت العصر ودخل عليها
وحياها بالسلام وقال لها قد اتيتك ايتها الملكة بتجارة عظيمة واموال
جسيمة بما لم يات احد قط بمثله فصعدت الى سطوح القصر وجعلت
تنظر الجمال وهي تدخل المدينة فانكرت مشيها وجعلت تقول
ما للجمال مشيها ويديها أجندلاً يحملن ام حديدا
ام صرفاناً بارداً شديدا

فقال قصير في صرو
ثم امرت بالصاديق فأدخلت قصرها وقت المساء وقالت اذا كان الغد
نظرنا الى ما اتيتنا به فلما تنصف الليل فتحت الرجال الصاديق وخرجت
وفي ايديها السيوف فجمعوا على القصر وقتلوا جميع من كان فيه من
الغلمان والجواري وكان لنائلة سرداب في ناحية من قصرها قد اعدهت
لخوف يحل بها لتخرج من المدينة وكان قصير يعرفه ووصفه لمعمرو فسار
اليه فلما احست بالامر بادرت الى ذلك السرداب وكانت قد رأت عمراً
وهو يطلها فصمت ممتاً كان في خاتمها وماتت من وقتها وساعتها وغنم عمرو
المدينة وازادها الى مملكته وانتقل بموت خاله جذيمة المذكور ملك العراق

اليه والى ذريته من بعده

والعرب حروب مشهورة اعظمها حرب البسوس التي هاجت بين بني بكر وتغلب بسبب قتل كليب بن ربيعة سيد القبيلتين المذكورتين وكان من خبرها ان رجلاً من بني جزم يقال له سعد قصد ديار بني تغلب ونزل على البسوس خالة جساس ابن عم كليب وكان للبحري ناقة اسمها مراب فوجدها كليب ترعى ذات يوم في حماه فرماها بسهم فخرحها وجاءت الناقة الى صاحبها بجروحة فصرخ بالويل فلما سمعته البسوس صاحت واذا له لانه تزيلها فانصر جساس نخالته وقصد كليبا وهو منفرد في حماه فطعنه بالرمح فقتله وهرب ولما شاع امر كليب في القبيلة نهض اخوه المهلهل وكان من جبايرة العرب لينتقم من بني بكر فشمس للحرب واجتمعت اليه فرسان تغلب وجرى بين القبيلتين عدة وقائع يطول شرحها كان اكثر النصر فيها للمهلهل وما زالت الفتنة بينهما تاثرة حتى انتهى الحال بقتل جساس فعند ذلك كف المهلهل عن القتال ورحل الى اليمن ليطفي حجرة الحرب بعد ما كانت قد دامت على قول الاكثرين مدة اربعين سنة

ومن حروب العرب ايضاً حرب سباق الخيل بين بني عبس وفزارة بسبب السباق بين داحس فرس قيس بن زهير سيد بني عبس والغبراء فرس حذيفة بن بدر سيد بني فزارة واختلفوا بسبب هذا السباق فثارت الحرب بينهم واشتدت وطالت سنين كثيرة ثم اصطلحت عبس وفزارة وانفرد قيس عن بني عبس وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فتنصر بها ومات

الماب الرابع

في ذكر دول العرب الاسلامية

وسنة ٦٢٢ للمسيح ظهر في مكة محمد بن عبدالله صاحب الشريعة الاسلامية فدعا العرب الى الاسلام وعبادة الخالق لانهم كانوا على ضلال يعبدون الاوثان ولا يعرفون الحلال من الحرام و يصرفون اوقاتهم بالحروب والغارات وارتكاب المعاصي فشق عليهم ذلك الامر واستعظموه وجمهروا عليه و حاربوه فنصره الله عليهم فقهر جبابرتهم و فرسانهم وكسر اصنامهم واوثانهم ثم فتح الفتوحات الجليلة وظهر على بلاد العرب

وتولى امر الاسلام بعد محمد ابو بكر الصديق سنة ٦٣٢ بعد الميلاد وكان من سادات بني هاشم و اشرفها وفي اول خلافته ارتدت عدة قبائل من العرب عن الاسلام و اظهروا الخلاف والعصيان فقاتلهم وانتصر عليهم و ادخلهم تحت الطاعة والاقبياد ولما تمهدت له البلاد العربية شرع في المغازي والفتوحات فارسل الامير خالد بن الوليد المدعو سيف الله و ابا عبيدة بن الجراح في جيش عظيم لافتح الممالك والبلدان وفي مدة قصيرة افتتح خالد جانباً من بلاد العجم وتغلب ابو عبيدة على اطراف سورية بعد ان كسر جيشاً عرمرماً من جنود الرومانيين كان قد ارسلها الملك هرقل للدفاع والحمامة عن تلك البلاد واختلف المؤرخون في وفاة ابي بكر فمنهم من قال انه مات مسموماً وقال آخرون انه اغتسل في يوم شديد البرد ثم خم خمسة عشر يوماً ولما حضرته الوفاة عهد بالخلافة الى عمر ثم توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة الموافقة لسنة ٦٣٥ مسيحية وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر

وتولى بعده عمر بن الخطاب سنة ٦٣٤ وكان من احسن الناس سيرة وعدلاً موصوفاً بالزهد والاستقامة بويح بالخلافة يوم وفاة ابي بكر وقال في اول خطبته يا ايها الناس ما فيكم احد اقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه وهو اول من سمي امير المؤمنين وكان اول شيء امر به عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش وولى مكانه ابا عبيدة بن الجراح وكانت همته متجهة الى الغزوات والحروب وفي ايام خلافته فتحت بلاد العجم وانهمزم كسرى يزدجرد واحتى بهلك الاتراك ثم فتحت الشام وبعابك وحلب وانطاكية والقدس وجميع مدن فلسطين وانتهى الامر اخيراً انه افتتح الديار المصرية على يد عمرو بن العاص بعد قتال شديد واستمر عمر بن الخطاب في خلافته الى آخر سنة ٦٤٤ وفيها طعنه رجل يقال له ابو لؤلؤة وهو يصلي في المسجد بمنجبر في خاضرته وتحت سرته وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وثمانية ايام

وكان هذا الخليفة بمكان عظيم من العدالة شديد الحرص في حماية الدين وحقوق الخلافة فقال ذات يوم وهو يخاطب على المنبر ايها الناس من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومه فقام رجل من وسط الجماعة وقال والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيفونا فقال الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

وتولى بعده عثمان بن عفان وفي ايامه امتدت فتوحات الاسلام الى بلاد المغرب وكان قد وقع بين المسلمين اختلاف وانقسام من جهة عثمان ونفر اكثر الناس منه حتى كادت تضرم بينهم نيران الحروب وسبب ذلك انه كان قد ولى قوماً من اقاربه واهل بيته على المحافظات والاقاليم الاسلامية من لا يصلحون للرياسة ولا لهم معرفة في امور السياسة وكان قد عزل ابا موسى الاشعري احد اعيان الصحابة عن ولاية البصرة وتولى

عوضاً عنه خاله عبد الله بن عامر ثم عزل عمرًا بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله بن ابي السرح اخا عثمان من الرضاعة فهاج اعيان الشعب من جرسة ذلك وحقدوا عليه ورفعوا راية الخروج عن طاعته واجتمع به الاشراف والسادات وطلبوا منه ان يعزل لم كاتبه مروان وعبد الله المذكور عن ولاية الديار المصرية فاجابهم الى ذلك باتفاق الامام علي وعزل لم عبد الله عن ولاية مصر وولى عليها محمد بن ابي بكر وكتب له امرًا بالولاية فاخذ محمد الامر وتوجه يومئذ الى مصر في نفر من قومه فبينما هم في الطريق اذا بعبد على هجين آتياً من ورائهم وهو محمد في مسيره فقالوا له الى اين انت قاصد قال الى العامل بمصر قالوا هذا عامل مصر يعنون محمد بن ابي بكر قال بل العامل الآخر يعني عبد الله بن ابي السرح ففتشوه فوجدوا معه كتاباً بخت عثمان فلما وقف محمد بن ابي بكر على هذا الكتاب اندهش وحار ورجع في الحال بمن معه الى المدينة وجمع اعيان الصحابة واقفهم على ذلك الخطاب فازداد خنقهم على عثمان ودخلوا عليه وسألوه عنه فاعترف بالخطم وخط كاتبه وحلف بالله انه لم يامر بذلك ولا عنده اطلاع هذا الامر فطلبوا منه ان يسلمهم كاتبه مروان لينتقموا منه فاجب وامتنع ثم عظمت الفتنة وتحزب الناس واشهروا السلاح وهجم على داره جمهور من الشعب منهم محمد بن ابي بكر واحاطوا بها وصمموا على قتله وبعد ان حاصروه اياماً قليلة كسروا ابواب القصر ودخلوا عليه وقتلوه سنة ٣٥ من الهجرة وكانت مدة خلافته اثني عشرة سنة الا اثني عشر يوماً ومكث ثلاثة ايام ولم يدفن^(١)

ثم جلس بعده على سرير الخلافة علي بن ابي طالب سنة ٦٥٥ بويح بالخلافة يوم قتل عثمان ولما سأله البيعة قال لا حاجة لي في امركم فاخثاروا لكم رجلاً غيري واياً اخترتموه رضيت به واكون وزيراً خيراً من ان

(١) عن ابي النداء المطبوع في الاستانة جلد اول صفحة ١٧٩

اكون اميراً فابوا الا مبايعته ثم انهم بايعوه وجعلوه خليفة عليهم . وكان
 الامام علي من الفرسان المشهورين والابطال المعدودين وهو ابن عم
 صاحب الرسالة الاسلامية وصهره وزوج ابنته فاطمة . وكان قد وقع
 بسببه بين الاسلام اختلاف ومنازعات من جهة ترتيب الخلافة بعد عمه
 فاهل السنة يعتبرون ان هذا الترتيب الذي جرى لغاية خلافة الامام علي
 كان على حقه والشيعية يقولون ان علي بن ابي طالب كان الاحق
 بالتقدم في الخلافة وكل فرقة تورده دلائل وبراهين تؤيد مدعاها
 وكانت مدة خلافة الامام علي كلها عبارة عن تكميل فتوحات
 ومغازي فازدادت احكامه وامتدت ولايته بافتتاح مملكة العجم وجميع
 بلاد مصر والعرب . وكان كسرى يزدرج قد نهض لاسترجاع بلاده
 ولكنه لم ينجح بمشروعه لان القبائل والشعوب التي كانت قد تعصبت
 له قد خذلته وتركته وبينما كان عازماً على الهزيمة والفرار خانه خادمه
 وقتله . وكانت خلافة علي خمس سنين الا ثلاثة اشهر وسبب موته انه
 وثب عليه جماعة من الخوارج فضربه احداهم بسيف في جبهته فمات كما
 سيأتي بيان ذلك في ترجمة معاوية بن ابي سفيان راس الدولة الاموية
 وتولى بعده ابنه الحسن بن علي بن ابي طالب فحكم نحو ستة شهور ثم
 جاءت دولة بني امية

الماب الخامس

في ذكر بني أمية

كان هؤلاء القوم وبنو هاشم حياً واحداً ينتمون لعبد مناف وهم من اشرف عرب قريش وساداتها الا ان بني أمية كانوا اكثر عدداً من بني هاشم واوفر رجالاً وكان لهم قبل الاسلام شرف وفخر فلما مات عثمان بن عفان وهو الخليفة الثالث من بني هاشم اختلف الناس على خلافة علي بن طالب لانه من آل هاشم ورجعوا الى امر العصبية الطبيعية التي لا تفارق الانسان الا ان عساكر علي كانت في ذلك الوقت اكثر عدداً لتوطيد كرمي الخلافة فلم يكن سبيل لبني أمية او غيرها من طوائف العرب ان تقتصب الخلافة منه ولكن لسبب كثرة حروبه الخارجية مع الانشقاقات والتخربات الداخلية ضعفت شوكة بني هاشم فنهض معاوية بن ابي سفيان الاموي في طلب الرياسة والاختد بشار عثمان بن عفان من علي بن ابي طالب مع ان علياً لم يكن له شركة في قتله ورفض حق علي للخلافة فوافقته على ذلك جماعة من الاشراف والاكابر من اهلهم وعمرو بن العاص الذي كان يومئذ عاملاً في مصر وبايعوه بالخلافة وجرت بين علي ومعاوية وقائع هائلة يطول شرحها تتل فيها الوف كثيرة من القواد والفرسان واكابر الاعيان ثم تهادنا وافترقا وكان قد هاج غضب ائمة الاسلام وامرائها في مكة وغيرها من البلاد واشتد حنقهم بسبب هذه المشاحنة والفتنة العظيمة وذكروا اصحابهم واخوانهم المقتولين وقالوا لو قتلنا اكابر القواد لارحنا منهم العباد واتقذنا الامة الاسلامية من هذه البلية فانئذ لمجد لهذا العمل ثلاثة اشخاص وهم عبد الرحمن بن ملجم وعمرو بن

بكير والبرك بن عبد الله فقال ابن ملجم انا اكفيكم علياً وقال البرك انا اكفيكم معاوية وقال ابن بكير انا اكفيكم عمرو بن العاص وتواعدوا لسبع عشرة تمضي من شهر رمضان فقتل بن ملجم علياً كما تقدم واما البرك فوثب على معاوية تلك الليلة وضره بالسيف فاخطأه فامسكوه فقال لمعاوية ابي ابشرك فلا تقتلني قال بماذا فقال ريفي قتل علياً هذه الليلة فقال كيف ذلك فاخبره بواقعة الحال فقتله معاوية واما ابن بكير فجلس تلك الليلة بترقب عمرو بن العاص فلم يخرج من منزله

وبعد موت علي قويت شوكة معاوية وانحطت منزلة الحسن بن علي فخلع الحسن نفسه من الخلافة خوفاً من العواقب وانتقت الجماعة على يعة معاوية فبايعوه في منتصف سنة احدى واربعين من الهجرة

ولما استقام الامر لمعاوية وتمكن من سرير الخلافة جعل كرمي مملكته بمدينة الشام وامتدت احكامه على مصر والحجاز وخراسان وسائر اقطار الاسلام ثم نهض لمحاربة الرومانيين وافتتاح مدينة القسطنطينية ويقال انه غزاها خمسة اعوام متتابعة في جموع كالجراد المنتشر فكان يقصدها في زمن الصيف ويرجع عنها في فصل الشتاء ولم يتمكن منها وكان احد اليونانيين المدعو كلينيكوس من مدينة هيليو بوليس قد اخترع حراريق نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت وجاء بها الى القسطنطينية ومن عجيب خواصها انها كانت اذا اشتعلت لا تطفأ واذا مست الخشب اشعلته في الحال واعدمته واذا القيت على عسكر اهلكته وفي المرة الاخيرة من هذه الغزوات خسر معاوية جميع مراكبه وجيوشه بواسطة هذه الحراريق واضطر ان يتحول عن المدينة رغماً وقهراً بعد ان عقد صلحاً وتمهد الملك القسطنطينية ان يدفع له خراجاً عن ثلاثين سنة وكانت مدة خلافة معاوية المذكور نحو عشرين سنة

ومن افاضل ملوك هذه الدولة عبد الملك بن مروان جلس على

مرير الخلافة سنة ٦٩٢ مسيحية وهو اول من ضرب السكة الاسلامية
سنة ٧٦ هجرية وبالغ في تخليص الذهب والفضة من الغش فكانت الهبيرية
والخالدية واليوسفية اجود نقود بني امية وكانت مدة حكمه ثلاث
عشرة سنة

ثم تولى بعده ابنه الوليد بن عبد الملك وهو الذي بنى الجامع الكبير
بدمشق المشهور بالجامع الاموي وكان بجانب الجامع كنيسة للنصارى تعرف
بكيسة ماريوحنا فهدمها الوليد وادخلها في الجامع. وفي ايام هذا الخليفة
امتدت فتوحات الاسلام الى داخل افريقية وتوغلت جيوشها في سهولها
وصحاريها واتصلت غزواتها الى جبل الاطلس واخضعت قبائل المغاربة
الكائنة على الشطوط البحرية واستولت على مدنها وقلاعها وادخلت اهلها
في الديانة الاسلامية واخافت قلوب الناس بقوة سطوتها وغاراتها. ولما
تهددت لها تلك الديار علققت املها بافتتاح بلاد الاندلس اي مملكة
اسبانيا المجاورة لها وشرعت في الاستعداد للتغلب على سواحل اوربا
الكائنة تجاه شطوط افريقية فجدت الجنود وجهزت المراكب وقصدت
تلك النواحي والاطراف ولكنها بعد حروب كثيرة ارتدت راجعة الى
الوراء بدون فائدة وما زالت تتربق الفرص من وقت الى وقت حتى
حدث بعض اضطرابات داخلية في اسبانيا بين ملوكها واشرافها ففتحت
الباب لدخول الاسلام اليها كما سنبين ذلك في تاريخ تلك الامة لان
ذلك من متعلقاتها. اما هنا فنقول بانه في اوائل القرن الثامن اذ كان
موسى بن نصير عاملاً على بلاد المغرب من طرف الوليد بن عبد الملك
والملك رودريك عاملاً على اسبانيا عبر قوم من اشراف الاسبانيين الى
افريقية واتوا موسى وطلبوا منه ان يقيم حرباً على الاندلس و ينتقم من
ملكها رودريك الذي كان اغتصب تاج الملك بدون حق. فاجابهم موسى
الى طلبهم من بعد ما استأذن الوليد في ذلك وارسل طارق بن زياد

وهو قائد من قواد العرب بجمهور من الابطال والفرسان لافتتاح تلك البلاد فسار بهم الى تلك الاطراف ورسا بسفنه تحت جبل الفتح الذي تسمى باسمه اي جبل طارق الى يومنا هذا . وكان الكونت جوليان احد اشرف اسبانيا من جملة خصوم رودريك وذا سطوة وصولة فاتخذ سراً مع المسلمين ومهل لهم مساعيمهم فاستولى طارق على المدينة التي على حافة الجبل المذكور ثم احرق جميع سفنه بالنار ليقطع امل عسكره من الرجوع قبل الغلبة والانتصار فاشتبك حينئذ القتال بينه وبين الاسبانيين وحدث بينهما عدة وقائع بسيطة الى ان دهمه ملك اسبانيا بتعين الف مقاتل فاتحمت الحرب بينهم في مكن يقال له سهل نهر كودالت وذلك يوم الاحد قبل غاية شهر رمضان بيومين سنة ٩٢ للهجرة وكان يوماً هائلاً انتشب فيه القتال عند طلوع الفجر وكانت لوائح الثبات والنشاط تلوح على اوجه الفريقين مع ان عدد الاسبانيين كان اربعة اضعاف عدد العرب وكانت عساكر الاسلام اكثرها من المغاربة فتجلدت وصبرت وقاتلت قتالاً فوق طاقتها فالجأت عساكر الاسبانيين الى الهرب والفرار بعد ان قتل منها مقتلة عظيمة وغرق ملكها رودريك في النهر ولما بلغ موسى بن نصير خبر هذا الانتصار تجهز بجيش جرار وسار بنفسه الى تلك الديار وجال بجنوده تجاه مدينة طليطلة التي كانت يومئذ عاصمة المملكة فافتحها وملكها وما زالت الاسلام تفتح المدن والحصون حتى انها في اقل من خمسين سنة استولت على جميع اقطار اسبانيا وصارت المملكة في قبضة ايديهم لا مشارك لهم فيها ولا منازع ما عدا جبال استوريا التي التجأ اليها الامير يلاجيوس احد رجال العائلة الملكية مع جمهور عظيم من اتباعه فعصوا فيها واستقلوا بانفسهم . وكان حكم الاسلام منذ ان البحر المتوسط الى جبال البرن الواقعة في شمالي البلاد ومع كل ذلك لم يكتب المسلمون بهذه الانتصارات العظيمة بل تقدموا وقطعوا تلك الجبال المذكورة

ودخلوا تخوم فرنسا فاصدين ان يملكوها ويستولوا على باقي ممالك اوربا فاستعد لقتالهم الملك كارلوس مارتل خوفاً من غائلتهم والتقاها بعسكر عديد بالقرب من مدينة طور وبعد وقائع هائلة من الجانبين ظفر ملك فرنسا بهم وشتت شملهم وقتل منهم على ما ذكر مؤرخو الافرنج نحو ثلاث مئة الف نسمة وانهزم المسلمون ومن ذلك الوقت ضعفت شوكتهم في تلك البلاد ولم يعد يمكنهم ان يثيروا حرباً ثانية على تلك الجهات الشمالية وكانت مدة خلافة الوليد بن عبد الملك تسع سنين وتولى بعده اخوه سليمان ثم غيره وكان آخر خلفاء هذه الدولة مروان بن محمد بن مروان فتحكم نحو خمس سنين ومات قتيلاً سنة ١٣٣ هجرية الموافقة لسنة ٧٥٠ مسيحية وبموته ظهرت الدولة العباسية فكان عدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر

الباب السادس

في ذكر الدولة العباسية

وكانت دولة الاسلام دولة واحدة في ايام الخلفاء الاربعة وبني امية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب ثم ظهر من بعد ذلك امر الشيعة من سلالة العباس عم محمد فادعوا بان لهم حقاً بالامامة ووافقهم على ذلك حزب كبير من الناس في ايام مروان آخر خلفاء بني امية . فكان الامويون يضعون على ثيابهم شارة بيضاء والعباسيون علامة سوداء . واما الفاطميون الذين ينتسبون الى علي وفاطمة فانهم كانوا قد تنازلوا عن حقوقهم في الرياسة والتملك والتصقوا بالامور الدينية وانكفوا عليها واشتهروا بالتقوى والصلاح بين الناس وامتازوا عن الحزبين المذكورين بسمات خضراء

ولما كثرت التجزبات والانقسامات واشتدت العداوة بين الحزب الاسود
والحزب الابيض انتهى الامر بمحدث حرب بين مروان والعباس الملقب
بالسفاح الذي هو اول ملوك الدولة العباسية فكانت الدائرة على بني امية
فقتل مروان المذكور ولم يسلم من ذرية بني امية غير رجل واحد يقال
له عبد الرحمن فهرب الى بلاد الاندلس فترحب به الاهالي واحترموه
وتبواً هناك تحت قرطبة سنة ٧٥٦ وتولى ذريته من بعده ما ينيف
عن مائتين وخمسين سنة. ثم اغتصب الخلافة بعدهم بعض امراء المغرب
وانحصرت ولايتهم في مقاطعة غرناطة وضعفت شوكتهم شيئاً فشيئاً الى
ان انقرضت اجسامهم من تلك البلاد سنة ١٤٨١ كما سيأتي الكلام
عليهم في تاريخ اسبانيا

وتبواً السفاح سرير الخلافة سنة ٧٥٠ للمسيح وكان رجلاً شجاعاً
مهاباً عالي الهمة محبوباً من جميع الناس وكان مسكناً بالبحيرة واستمر
بالملك الى ان توفي بعد اربعة اعوام من حكمه وتولى بعده اخوه المنصور
ابو جعفر وكان رجلاً كريم الاخلاق موصوفاً بالذكاء والفراصة وهو الذي
بنى مدينة بغداد خوفاً من ثورة الاعداء عليه بالكوفة فشرع في بنائها
وكتب الى بلاد الشام وطبرستان والكوفة والبصرة في طلب الصناع والتعلم
واختار جماعة من اهل الامانة والمعرفة بالهندسة ممن يعتمد عليهم لمباشرة
هذا العمل فخطها وامر بحفر اسمها فاقبعت المدينة وجعلها المنصور دار
الخلافة وكانت اول مدينة عظيمة في مملكة الاسلام وكان عدد سكانها
على ما قيل نحو مليونين. ومات المنصور سنة ٧٧٥ للمسيح بعد ان حكم مدة
عشرين سنة وتولى بعده ابنه المهدي بن المنصور عشر سنين ثم ابنه
المهدي بن المهدي وكانت مدة حكمه سنة وثلاثة اشهر ثم قام بالخلافة
بعده اخوه هرون الرشيد بن المهدي جلس على سرير الخلافة سنة ٧٨٦
للمسيح. وكان هذا الخليفة من اشهر وافضل ملوك هذه الدولة عاقلاً مهاباً

عالي المهمة موصوفاً بالحلم وحسن التدبير راوياً للاخبار والتواريخ يجب
 الشعر والشعراء ويميل الى اهل العلم حتى قيل انه لم يجتمع على باب ملك
 اوسلطان من الشعراء والعلماء والندماء ما اجتمع على بابيه وكانت دولته
 من اعظم الدول الاسلامية واكثرها وقائع واجملها رونقاً امتدت فيها
 التجارة واتسعت دوائر العلوم والاداب في جميع البلاد وكتبت الكتب
 التاريخية والادبية وترجمت المؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية
 الى العربية وتنافس الكتاب في ترجمتها وكتابتها . وفي مدة حكمه كان
 على فرنسا الملك كارلوس الكبير المسمى شارلمان وكان بينهما مودة والفة
 وكان الرشيد كثيراً ما يكاتبه ويهديه ومن جملة ما اهداه شطرنجاً
 ثميناً وساعة شمسية من مخترعات بلاد الشرق وانواعاً كثيرة من البنور التي
 لا توجد في البلاد الافريقية وارسل له ايضاً مفاتيح كنيسة القيامة في
 القدس مع امر لنوابه ان يعاملوا الزوار الذين ياتون لزيارة الاراضي
 المقدسة احسن معاملة

ومن مناقب هذا الخليفة انه كان انيساً وديعاً الى الغاية غير محتجب
 عن اصحاب الدعاوي والحاجات محافظاً على جلب راحة رعاياه وكان
 يطوف في اكثر الليالي متخفياً في اسواق بغداد وشوارعها ليقف على
 احوال الناس فاذا رأى احداً منهم مظلوماً اعانه وانصفه . قيل ان امراة
 دخلت عليه يوماً وشكت له عن الاضرار والحسائر التي لحقت بها بمرور
 جيوشه في اراضيها فاجابها الرشيد قائلاً انه من عادة العسكر ان يضر
 بالاراضي عند مروره بها للغزو والجهاد فيجب على اصحاب الاملاك ان
 يتحمل اضرارهم ويقوم بخدمته فقالت له على الفور وقد قيل ايضاً ان
 الملوك التي تسمح بظلم رعيتهما تجلب خراباً على مملكتها فاستحسن الرشيد
 خطاياها وامر الخازن ان يدفع لها من بيت المال اضعاف خسارتها . وكان
 الرشيد قد استوزر يحيى بن خالد البرمكي عند جلوسه على تخت المملكة

وكان يحيى قبل الخلافة كاتبه ونائبه فنهض باعباء الدولة اتم نهوض
واظهر رونق الخلافة وكان كاتباً بليغاً اديباً لييباً موصوفاً بالجلود والكرم
وفيه يقول القائل

لا تراني مصاحفاً كف يحيى اني ان فعلت ضيعت مالي
لو يس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه يذل التوال

وكان ولده جعفر والفضل ابنا يحيى من كرماء الناس وكان الرشيد يميل
الى جعفر اكثر من اخيه الفضل لسهولة اخلاقه وفصاحة لسانه فجعله
وزيراً ثانياً بعد ابيه يحيى وقدمه على جميع خواصه وعظائمه حتى انه
كان يستشير في جميع اموره واحواله ولا يفعل شيئاً الا باطلاعه ورايه
فيل صنع الرشيد وليمة عظيمة ذات يوم وزخرف مجالسه واحضر
ابا العتاهية الشاعر وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا
فقال الشاعر

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
فقال الرشيد احسنت ثم ماذا فقال
يسعى عليك بما اشتيت لدى الروح ابو البكور
فقال حسن ثم ماذا فقال

فاذا النفوس تقعقت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنت الا في غرور

فيكى الرشيد فقال جعفر بن يحيى لابي العتاهية ارسل اليك الخليفة لتسره
فأخزنته فقال الرشيد دع فانه رآنا في سرور ونعيم عظيم فذكره
يزيدنا منه

وكان الرشيد يحب جعفرًا حباً عظيماً وكان كثيرون من حشابه
ومبغضيه قد وشوه الى الخليفة وذكروه بالتبجح حتى مقته ونفر منه
قتله بعد ذلك وقبض على ابيه واخوته واهله وكانوا خمسين نفر

فجسهم وقتلهم واستوزر بعد جعفر الفضل بن الربيع ولكنه فدم اخيراً
على ما فعل

وكان الرشيد مع كل هذه الاوصاف والمناقب ذا شجاعة وبأس لا
يبالي بالمخاطر والاهوال ويقال انه انتصر في ثمان حروب حضرها بنفسه
وقاتل فيها قتالاً حسناً . وكان قد ارسل رافع بن الليث حكمداراً على
اعمال خراسان فبوصوله اليها خلع الطاعة واطهر العصيان ولم يكتف
بذلك بل اغار على مدينة سمرقند وافتتحها وقتل عاملها وملكها فلما بلغ
الرشيد هذا الخبر ساءه جداً وخرج الى قتاله وعند وصوله الى مدينة
طوس من اعمال خراسان مرض مرضاً شديداً ولما زاد عليه الحال التفت
الى وزيره النضل وقال

أحين دناما كت اخشى دنوه رمثني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وقد كنت محسداً فصبراً على مكروه من العواقب
سابكي على الحب الذي كان بيننا وانذب ايام السرور الذواهب
ثم مات ودفن هناك وكانت وفاته سنة ٨٠٩ للمسيح وتولى بعده
ابنه الامين . ومما يحكى عنه انه كان ضعيف الراي منهماك بالذات
والملاهي مدمناً الخمر مشتغلاً بولائمه ومسراته غير ملتفت الى امور الخلافة
وكان قد وقع بينه وبين اخيه المامون فتنة وعداوة فحزب مع المامون
كثير من العساكر وقواد الجيوش وجرى بين الاخوين حروب ووقائع
يطول شرحها قتل فيها الامين وكانت مدة حكمه نحو اربع سنين وتولى
بعده اخوه المامون فكان رجلاً شجاعاً مهيباً موصوفاً بالحذافة والادب
متخافاً بجميل الاخلاق مشغولاً بمطالعة التواريخ والسير وكان له مشاركة
في كثير من العلوم والفنون ولاسيما في علم الافلاك والنجوم وكان ديوانه
مشحوناً بالعلماء والشعراء وارباب الانشاء ويقال انه عند جلوسه على
مريز الخلافة جمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية المفيدة وامر بترجمتها

الى اللغة العربية من جملتها كتاب اقليدس في فن الهندسة لامتداد
المعارف بين الناس حتى فاق على ابيه وامتاز في انتشار الفوائد والآداب وكان
مع هذه الاوصاف والصفات من ارباب الغزو والفتوح فهو الذي غزا
بلاد صقلية في اوربا وتغلب عليها وافتتح جزيرة كريت وغيرها من مدائن
الشرق التي كانت تحت تسلط الرومانيين واستمر بالخلافة نحو عشرين سنة
الى ان توفي وقام بالخلافة بعده المعتصم بالله فاستخدم في بابه نحو خمسين
الف نفر من الاتراك التتيرية لمحافظة الثغور والحدود الاسلامية وكانوا
يزدادون في العدد والقوة يوماً بعد يوم الى ان قويت شوكتهم وصار
يخشى من باسهم وسطوتهم وصاروا على تمامي الايام اصحاب النهي والامر
فكانوا يقتلون ويولون من شاءوا من الولاة والعمال حتى لم يعد للخليفة
في ايامهم من الحكم الا مجرد الخطبة والاسم وجميع الامور في ايديهم كما
كانت في ايدي المماليك في الديار المصرية واستمر الحال على مثل ذلك
الى ايام المعتضد بالله سنة ١٩٢ للمسيح حينما وقعت المفاسد والفتن في
الدولة العباسية وضعفت شوكتها بعد ذلك العز والافتقار وما زالت في
الخطا وسقوط حتى تضععت اركانها واختل عقد نظامها وفقدت اكثر
املاكها ولم يبق مملوكها من الولايات والمحقات غير بغداد واطرافها
وتغلب عملها على اكثر اقطارها فخلعوا الطاعة واغضبوا الاحكام بطريق
التعدي والعدوان وصاروا دولاً متفرقة وولاة متعددة فكانت خراسان
وما وراء النهر لابن سامان وذريته وبلاد البحرين للقرامطة واليمن لابن
طباطبا واصبهان وفارس لبني بويه والاهواز وواسط لمعز الدولة وحلب
لسيف الدولة وديار مصر لاسم بن طولون وغيره من الدول والملوك
الذين تغلبوا عليها ايضاً واستقلوا باحكامها في ازمته مختلفة كالاخشيد بين
والفاطميين والابويين والمماليك الجراكسة كما سيأتي الكلام على دولهم
وملوكتهم مفصلاً في ذكر تاريخ مصر

وما زالت احوال الدولة العباسية في انقسام واختلال الى ان ظهرت الدولة السلجوقية وكانت مساكن اهلها فيما وراء نهر الفرات في مكان يبعد عن بخارى مسافة عشرين فرسخاً وكانوا شعوباً كثيرة وطوائف عديدة وهم قوم من جنس الاتراك التبرية وتلقبوا بالسلجوقية نسبة الى جد هم سلجوق من بلاد تركستان ولما عظم شأنهم واشتهر بين الناس حالم قصدوا بلاد خراسان بجيش جرار سنة ١٠٣٧ مسيحية تحت راية طغرل بك حفيد سلجوق وهو اول سلاطينهم وجرت لهم مع ولاية خراسان حروب يطول شرحها فاحضعوا الدولة الغزنوية التي كانت قصبها مدينة غزنة اي افغانستان ثم تغلبوا على خوارزم وطبرستان وغيرها من ممالك الشرق وخلاصة الامر انهم استظفروا على كثير من البلاد ثم امتلكوا نيسابور احدي قواعد خراسان واتسع لهم الملك واقسموا البلاد ثم ملكوا بغداد والعراق سنة ١٠٥٧ في زمن خلافة القائم بامر الله ولكنهم لم يتعرضوا له بسوء وبعد هذه الفتوحات دعا طغرل بك نفسه امير الامراء وتزوج ابنة الخليفة المذكور وجعله نائباً له في بغداد كباقي العمال والنواب ثم توفي طغرل بك سنة ١٠٦٣ وقام بالسلطنة من بعده ابن اخيه الب ارسلان وهو اسم تركي معناه شجاع اسد فاحضع بلاداً كثيرة ثم قام بعده ابنه ملك شاه ابن الب ارسلان ففتح الولايات والاقاليم واتسعت عليه المملكة وملك ما لم يملكه احد من ملوك الاسلام فامتدت مملكته من شطوط بلاد الصين الى نواحي القسطنطينية وخطب له على جميع منابر الاسلام وكان الملك شاه المذكور ابن عم يدعى سليمان وهو الذي اسس ولاية قونية السلجوقية سنة ١٠٧٨ التي دعيت عاصمتها بعد ذلك بمدينة نيقية وكانت هذه الولاية تضمن كل بلاد اسيا الصغرى تقريباً مع كيليكيا وارمينيا وكانت يومئذ حلب والشام وانطاكية والموصل جميعها ولايات سلجوقية مستقلة. وفي ايام هذه الدولة جاءت طوائف الافرنج الصليبية الى الاراضي المقدسة

وكانت أكثر حروبهم ووقائعهم مع هذه الدولة . وسنة ١١٧١ تغلبت الدولة الايوبية الصكرديية على الاقطار المصرية والشامية ثم بعد ذلك بعشرين سنة نهض احد خانات خراسان بجيوش كثيرة واستخلص جميع الممالك السلجوقية فانقرضت واضمحلت وكانت مدة ايامها نحو ١٥٦ سنة وذلك من سنة ١٠٣٨ الى سنة ١١٩٤ وفي زمانها كانت الخلافة باقية في بغداد لتعاطى الامور الدينية فقط ولم يكن لها ادنى سطوة في الامور السياسية

وعند نهاية احكام الدولة المذكورة ظهر جنكيز خان الشهير وهو من قبائل المغول فاخضع كل البلاد الاسلامية ومن ذريته قام هولاء كوك ملك التتر وزحف بمئتي الف مقاتل الى العراق ففتح بلاد الري واصبهان وهمدان واستولى عليها ثم قصد مدينة بغداد سنة ١٢٥٨ فحاصرها وافتتحها وقتل المستعصم بن المستنصر وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وامر بنهب المدينة فخرج النساء والصبيان يستغيثون به فداستهم العساكر وماتوا جميعاً وكانت مصيبة عظيمة على المسلمين لم يسمع بمثلا قط ويقال ان الذي احصي ذلك اليوم من القتلى الف الف وست مئة الف نسمة وان يكن هذا النقل من مبالغة المؤرخين الاقدمين فلا اقل من كونه يفيد ان الخسارة كانت جسيمة جداً ونهبت عساكر التتر من قصور الخلفاء وخزائنها اموالاً و ذخائر لا تعد ولا تحصى والقوا جميع كتب العلم في نهر دجلة وكانت عدداً عظيماً وانتقل منصب الخلافة ببغداد من بني العباس الى ملوك التتر من ذلك اليوم وكان عدد من تولى من العباسيين بمدينة بغداد من يوم يوبع للسفاح الى ان قتل المستعصم سبعة وثلاثين واستولى التتر بعد ذلك على سائر الممالك الاسلامية ومحكمهم انقرضت العائلة العربية الملكية واستمرت الحكومة بايديهم الى نحو سنة ١٣٥٠ مسيحية حين جاءت دولة الاتراك من آل عثمان فنزعت من ايديهم المملكة واستولت عليها

شيثاً فشيئاً حتى اخضعت بلاد العراق واستولت على الشام والحجاز واليمن
ومصر والمغرب واسيا الصغرى وبعض اطراف اوربا كما سيأتي
بيان ذلك في محله ان شاء الله تعالى وما زالت
البلاد باقية تحت تصرفها وخاضعة
لقوانينها واحكامها الى

هذا اليوم

١١	٣٧٧	
٢١	٣٧٧	
٣٦	٣٨٢	
٤٧	٤٥٢	
٥٣	١٤٢	
٦٣	١٤٢	
١٢	٥٨٢	
٢٧	٦٨٢	
٤٥	٣٤٢	
٥٢	٥٨٢	
٧٨	٥٠٧	
٧٤	٥١٧	
٦٦	٧١٧	
٦٠١	٠٦٧	
٦٠١	٣٧٧	
٦٦١	٦٢٧	
٧٦١	٣٣٧	
٧٦١	٣٣٧	
٧٦١	٣٣٧	

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها
من ابتداء ظهور الاسلام

	اسم الخليفة	تاريخ التملك بعد المسيح	تاريخ التملك بعد الهجرة
الخلفاء الراشدون في مكة	ابو بكر الصديق	٦٣٢	١١
	عمر بن الخطاب	٦٣٤	١٣
	عثمان بن عفان	٦٤٤	٢٤
	علي بن ابي طالب	٦٥٥	٣٧
	الحسن بن علي بن ابي طالب	٦٦١	٤٢
بنو امية قاعدة ملكهم الشام	معاوية بن ابي سفيان	٦٦١	٤٢
	يزيد بن معاوية بن ابي سفيان	٦٨٠	٦١
	معاوية بن يزيد	٦٨٣	٦٤
	مروان	٦٨٤	٦٥
	عبد الملك بن مروان	٦٨٥	٦٦
	الوليد بن يزيد	٧٠٥	٨٧
	سليمان بن عبد الملك	٧١٥	٩٧
	عمر بن عبد العزيز	٧١٧	٩٩
	يزيد بن عبد الملك	٧٢٠	١٠٣
	هشام بن عبد الملك	٧٢٤	١٠٦
	الوليد بن يزيد	٧٤٣	١٢٦
	يزيد بن الوليد	٧٤٤	١٢٧
	ابراهيم بن الوليد	٧٤٤	١٢٧
مروان بن محمد بن مروان	٧٤٤	١٢٧	

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها
من ابتداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ التملك بعد المسيح	تاريخ التملك بعد الهجرة
العباس الملقب بالسفاح	٧٥٠	١٣٣
ابو جعفر المنصور	٧٥٤	١٣٧
المهدي	٧٧٥	١٥٩
الهادي بن المهدي	٧٨٥	١٦٩
هرون الرشيد	٧٨٦	١٧٠
الامين	٨٠٩	١٩٤
المأمون	٨١٣	١٩٨
المعتصم بالله	٨٣٣	٢١٨
الواثق بالله	٨٤٣	٢٢٨
المتوكل على الله	٨٤٧	٢٣٣
المستنصر بالله	٨٦١	٢٤٧
المستعين بالله	٨٦٣	٢٤٨
المعتز بالله	٨٦٦	٢٥٢
المهتدي بالله	٨٦٩	٢٥٦
المعتمد بالله	٨٧٠	٢٥٧
المعتضد بالله	٨٩٢	٢٧٩
المكتفي بالله	٩٠٢	٢٩٠
المقتدر بالله	٩٠٨	٢٩٦
القاهر بالله	٩٣٢	٣٢٠
الراضي بالله	٩٣٤	٣٢٣

بنو العباس
فاطمة ملكهم بغداد

جدول الدول الاسلامية العربية واسماء ملوكها وتواريخ احكامها
من ابتداء ظهور الاسلام

اسم الخليفة	تاريخ التملك بعد المسيح	تاريخ التملك بعد الهجرة
المتقي بالله	٩٤٠	٣٢٩
المستكفي بالله	٩٤٤	٣٣٣
المطيع لله	٩٤٦	٣٣٥
الطائع لله	٩٧٤	٣٦٤
القادر بالله	٩٩١	٣٨١
القائم بامر الله	١٠٣١	٤٢٣
المقتدي بالله	١٠٧٥	٤٦٨
المستظهر بالله	١٠٩٤	٤٨٧
المسترشد بالله	١١١٨	٥١٢
الراشد	١١٣٥	٥٣٠
المقتفي امر الله	١١٣٦	٥٣١
المستنجد بالله	١١٦٠	٥٥٥
المستضي بنور الله	١١٧٠	٥٦٦
الناصر لدين الله	١١٨٠	٥٧٦
الظاهر بالله	١٢٢٥	٦٢٢
المستنصر بالله	١٢٢٦	٦٢٣
المستعصم بالله	١٢٤٣	٦٤١
	الى	الى
	١٢٥٨	٦٥٧

تابع بني العباس

خلفاء الفاطميين في مصر

خلفاء قرطبة في الاندلس

اسم الخليفة	هجري	مسيحية	اسم الخليفة	هجري	مسيحية
(١) { عبيد الله القائم ابو القاسم المنصور	٩٠٩٢٩٧	١	عبد الرحمن	٧٥٦	١٣٩
	٩٣٦٣٢٥	١	هشام	٧٨٧	١٧١
	٩٤٥٣٣٤	١	الحكم	٧٩٦	١٨٠
المعز لدين الله	٩٥١٣٤٣		عبد الرحمن	٨٣٢	٢٠٧
العزیز بالله ابي النصر	٩٧٥٣٦٥		محمد	٨٥٢	٢٣٨
الحاكم بامر الله	٩٩٦٣٨٦		المنذر	٨٨٥	٢٧٢
الظاهر لاعزاز دين الله	١٠٢١٤١٣		عبد الله	٨٨٩	٢٧٦
المستنصر بالله	١٠٣٦٤٢٨	٣	عبد الرحمن	٩١٢	٣٠٠
المستعلي بالله	١٠٩٤٤٨٧	٢	الحكم	٩٦١	٣٥٠
الآمر باحكام الله	١١٠١٤٩٥	٢	هشام	٩٧٦	٣٦٦
الحافظ لدين الله	١١٣٠٥٢٥		محمد المهدي	١٠٠٦	٣٩٧
الظافر باعداء الله	١١٤٩٥٤٤		سليمان المستعين	١٠٠٩	٤٠٠
القائز بنصر الله	١١٥٥٥٥٠		محمد المهدي ثانية	١٠٠١	٤٠١
العاقد لدين الله	١١٦٠٥٥٥		هشام من جديد	١١٠٢	٤٠٣
			حمود العلوي	١٠١٥	٤٠٦
			القاسم :	١٠١٧	٤٠٨
			بجيجي :	١٠١٨	٤٠٩
			هشام ٣	١٠٢٧	٤١٨
			الى		
			الى		
(١) هولاء الثلاثة استقلوا				١٠٣١	٤٢٢
باحكام بلاد الغرب قبل					
افتتاح الديار المصرية					

الفصل الثامن

في تاريخ سورية

الباب الاول

في جغرافية سورية وسكانها الاولين

هذه البلاد يحدها شمالاً اسيا الصغرى وشرقاً نهر الفرات وبلاد العرب وجنوباً فلسطين وقسم من بلاد العرب وغرباً بحر الروم وانقسمت قديماً الى قسمين سورية وفلسطين ولكن عند استيلاء الرومانيين عليهما بمدة يسيرة قبل المسيح اطلقوا على القسمين اسم سورية ولما افتتحها المسلمون سنة ٦٣٢ للمسيح لقبوها ببلاد الشام . وكانت تدعى في سالف الازمنة باسماء مختلفة منها ارض كنعان نسبة الى كنعان بكر حام بن نوح التي انقسمت البلاد بين اولاده الاحد عشر بعد التبليل ثم دُعيت بعد ذلك ارض اسرائيل نسبة الى بني اسرائيل الذين امتلكوها واستقلوا بها وطردها الكنعانيين منها ثم قيل لها ايضاً الاراضي المقدسة لان الله عز وجل اتخضا واصطفاها لشعبه وخصها لعبادته ولا سيما ان المسيح ظهر فيها بالجسد وفيها تم عمل الفداء فحق لها ان تدعى بهذا الاسم وكان يقال لها ايضاً ارض الميعاد بالنظر الى وعد الله لابراهيم انه سيعطيه اياها ولنسله من بعده . ولا يخفى ان هذه الالقب المذكورة لم تكن تنسب وتطلق على جميع بلاد سورية بل اقتصت بالجهات الجنوبية فقط

واما الجهات الشمالية فكانت مسكناً للتينقيين
وفي ايام ابراهيم والآباء الاولين كانت فلسطين منقسمة بين قبائل
وانحاذ من طوائف الكنعانيين فكانت القينيون والقزبيون والقدمونيون
يسكنون الاراضي الشرقية من نهر الاردن وكان الحثيون والنزيبون
واليبوسيون والاموريون يسكنون غربي النهر في الاماكن الجنوبية
المرتفعة واما الكنعانيون الاصليون فكانت مواطنهم في اواسط البلاد
وهي محدودة من شاطئ البحر الى نهر الاردن وكانت مساكن الجرجاشيين
واقعة على شرقي بحيرة جنيسارت المعروفة الآن ببجيرة طبرية واما الحويون
والجلبليون فكانوا يسكنون تجاه الشمال بين ربوع لبنان الجنوبية

وفي ايام موسى عند ما قارب الاسرائيليون الدخول الى ارض كنعان
لم يكن حدث تغيير يذكر بين القبائل القاطنة يومئذ في الجهات الغربية
من نهر الاردن غير انه كان في شرقي النهر ثلاثة منازل لم تكن معروفة
قبلاً وهي ارض باشان الواقعة في الشمال شرقي بحيرة طبرية ثم ارض
جلعاد في الوسط ثم ارض مواب في الجنوب شرقي بحر الميت اي بحر لوط .
وبعد استيلاء الاسرائيليين على تلك البلاد اقتسموها فيما بينهم بالقرعة
فكان سهم سبط يهوذا و بنيامين وشمعون ودان واقعا في الاراضي الجنوبية
التي سميت بعد ذلك باليهودية نسبة الى مملكة يهوذا عقب انفصالها عن
العشرة الاسباط وكان منهم افرايم ونصف سبط منسى ويساكر ممتداً في
الاراضي المتوسطة المعروفة بالسامرة ومهم زبولون وبنيتالي واشير في
الاراضي الشمالية التي يقال لها الجليل واما روبين وجاد ونصف سبط
منسى الثاني فكانت منازلهم في عبر الاردن في ارض باشان وجلعاد التي
عرفت فيما بعد باسم بيرية

اما الاراضي الواقعة على شطوط البحر فسكنها الفلسطينيون والتينقيون
والمويون والعمونيون والمدبانيون والادوميون والعاليقيون واما

الفلسطينيين مع انهم كانوا قاطنين في سوريا في ايام الآباء القديما
 فليسوا بكنعانيين بل نزلاء غربلة والمرجح ان اصلهم من مصر جاءوا الى
 هذه البلاد وقاتلوا الحويين فتغلبوا عليهم وطردهم وسكنوا مكنهم
 وامتدت منازلهم من مدينة يافا الى غزة وبقية البلاد في ايديهم عدة
 قرون وكانوا اشداء الباس واتجهت قوتهم دائماً لمصادمة بني اسرائيل بعد
 دخولهم الى ارض كنعان وكثيراً ما حاربهم . واما الفينيقيون فقع انهم
 من بني كنعان لم يحاربهم بنو اسرائيل وكانت ايامهم معهم في صلح وسلام
 واذ اشتهر هؤلاء القوم في الازمنة القديمة بالتجارة والغنى وشدة الباس
 وتقدموا في انواع الفنون والصنائع على غيرهم من الناس ولا سيما ان
 تاريخهم هو من التواريخ المهمة قد افردنا لهم فصلاً مخصوصاً لاجل زيادة
 المعرفة في اخبارهم وتفصيل احوالهم . واما بنو مواب وبنو عمون فهم من
 ذرية ابنتي لوط ابن اخي ابراهيم سكنوا الاراضي المجاورة شرقي الاردن
 بعد ما طردوا اهلها منها وكانوا من القوم الجبابرة العتاة . واما المديانيون
 فهم من ذرية مديان بن ابراهيم الرابع من زوجته الثانية قهاورة وكانوا
 مجاورين الموايين ومخدين معهم في حروبهم ومغازيهم وقد انقرض منهم
 جماعة وسكنوا شرقي البحر الاحمر وعتدهم اختبا موسى عند ما هرب من
 مصر . واما الادوميون فهم من نسل آدم او عيسو بن اسحق اخي يعقوب
 وكانت منازلهم في جبال سعير الممتدة على شرقي وادي عربة بين بحر لوط
 وخليج عيلان وعند سبي اليهود الى بابل اتى الادوميون وسكنوا في
 الجهات الجنوبية الشمالية من اليهودية ومن ذلك الوقت تسمت تلك
 الاماكن ادومية اي بلاد الادوميين . واما العمالقة فهم من نسل عماليق
 بن حام وكانت مواطنهم في الاودية التي في اسفل جبل سيناء ثم انتقلوا
 منها وسكنوا في حدود فلسطين الجنوبية وكانوا من اشد الناس عداوة
 لبني اسرائيل ولم معهم جملة وقائع وحروب وبداولة الايام تمكن بنو

اسرائيل منهم وبددوا شملهم واطفأوا خبرهم . فجميع هذه القبائل المقدم ذكرها انقرض اكثرها في زمن الاسرائيليين وبعضها اندرس بعد سبي اليهود الاخير

الباب الثاني

في الدولة السلوقدية ومن خلفها الى هذه الايام

وبعد توفي الاسكندر دخلت سورية تحت حكم سلوقس وهو اول ملوك الدولة السلوقدية واحد قواد جيوش الاسكندر الاربعة الذين اقساموا بينهم كل البلاد التي اخضعها سيدهم ورئيسهم . فتحكم سلوقس عقب وفاة الاسكندر على بلاد ماديس وبايلونيا ثم طرد من تلك البلاد سنة ٣١٥ ق م بواسطة مقاومة انتيغونوس احد القواد الاربعة الذي كان سهمه في اسيا الصغرى فهرب الى مصر مستعصماً ببطليموس فاعانه على محاربة انتيغونوس وانتصر عليه في موقعة عظيمة جرت بينهما في غزة سنة ٣١٢ ثم رجع الى بايلونيا فقبله الاهالي بفرح وسرور ثم ضم الى ولايته ولاية اشور ومادي فصار ملكاً على الولايات الثلاث ولما فويت شوكته اخضع بلاد فارس وكل اسيا العليا وسار من هناك الى الهند لاجل استخلاص البلاد التي كان قد تغلب عليها الاسكندر فالتقاه ملكها ساندروكوتوس بست مئة الف مقاتل وعدد كثير من الافيال ولكنه لم يقع بينهما حرب لان ملك الهند كان قد خاف سطوته فعقد معه صلحاً تحت خمس مئة فيل اعطاه اياها حتى انسحب عنه وعند رجوعه الى بلاده جهز جيشاً عظيماً وسار بنفسه الى قتال انتيغونوس المذكور سنة ٣٠١ ق م فانتصر عليه وقتله وازاف مملكته الى بلاده وكان من

جملة ولاياتها سورية وفريجية وارمينية وما بين النهرين ومدينة انطاكية
وهو الذي دعاها بهذا الاسم تذكراً واعتباراً لايه الذي كان اسمه
انطيوخوس وجعلها كرسي مملكته

ويقال ان سلوقس كان متزوجاً بابنة ديمتريوس بوليوكريت احد
ملوك اسيا الصغرى وكانت جميلة المنظر فاحبها انطيوخوس ابنه وتعلق
بها تعلقاً شديداً حتى مرض ولزم الفراش وكان الطبيب يتعجب عن عدم
تقدمه للصحة مع كل المعالجة التي كان يستعملها له فلما وقف اخيراً على
حقيقة الخبر اعلم اباه سلوقس بواقعة الحال وان مرض ابنه ناتج من شدة
غرامه بابنة ديمتريوس المذكورة فمن فرط محبته لابنه تنازل له عن
زوجته وزوجه بها

ومن ملوك الدولة السلوقدية انطيوخوس الثالث او الكبير الذي غزا
الديار المصرية واسر ملكها واساء كثيراً الى اليهود في اورشليم وجوارها
لسبب تمنعهم عن ان يذبحوا للاصنام فقتل منهم عدداً كثيراً. وقام
اخيراً بين اليهود رجالان من المكابيين وهما متاتياس ويهوذا مخاربا
جيوش انطيوخوس وكسراه واستقلاً باقتساعها على مملكة اليهودية ولما اتصل
الخبر بانطيوخوس استشاط غضباً وبيتما كان زاحفاً على اورشليم ليشتتم
من اليهود وقع عن مركبته فمات

وهذه هي المدة التي فيها كانت سورية في ازهى وابهى رونق لانها
بعد ذلك ضعفت شوكتها وانحطت منزلتها وصارت ملحقه بغيرها وكثيراً
ما تفرعت وانقسمت. واستمرت تحت احكام الدولة السلوقدية الى سنة
٦٤ ق م حين اتى الرومانيون واستولوا عليها الى نحو سنة ٦٣٨ للمسيح
ثم افتتحها المسلمون ومن ثم صارت مركزاً لخلفاء الدولة الاموية التي جعلت
تحت كرسياها في مدينة الشام ثم انتقلت من بعدهم الى الخلفاء من بني
العباس واستمرت تحت قبضة احكامهم الى سنة ٨٣٣ حين دخلت تحت

تسلط بني طولون الذين كانوا حكاماً في مصر من طرف الدولة العباسية واستقلوا فيها مدةً وبقيت تابعة لهم الى سنة ٩٠٥ حين انقلبت الدولة الطولونية عن تحتها وقامت مكانها الدولة الفاطمية فصارت سورية من جملة ملحقاتها وتوابعها الى سنة ١٠٧٨ حين جاءت الدولة السلجوقية التركمانية وتغلبت على البلاد العربية الشامية الى سنة ١١٥٤ وفي مدة الدولة السلجوقية تمت طوائف الافرنج المعروفة بالصليبية وذلك سنة ١٠٩٨ وطردوا المسلمين من بعض جهات البلاد واستولوا على انطاكية والقدس وصور وطرابلس اما الشام وحلب مع باقي البلاد الداخلية فاستمرت في ايدي المسلمين

وفي مدة اقامة الصليبيين في الديار الشامية كانت حروبهم مع المسلمين متصلة بدون انقطاع ولا انفصال تارة تؤخذ منهم القدس والبلاد المجاورة لها وتارة يسترجعونها كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً في الكلام على الحروب الصليبية الى ان طردوا اخيراً سنة ١٢١٠ في زمن دولة المماليك فصارت سورية من ذلك الوقت تابعة لدولة مصر وبقيت خاضعة لاحكامها الى سنة ٤٠٠ حينما افتتحها تيمورلنك المغولي الشهير ثم رجعت بعد ذلك الى سلطة دولة المماليك المصرية واستمرت في ايديهم الى سنة ١٥١٧ حين اتى السلطان سليم الاول من بني عثمان فاستخلصها منهم ونزع احكامهم ومن ذلك الوقت صارت سورية تابعة للدولة العثمانية ما خلا بعض مدائن وجيزة حين تظاهرت فيها العصاة تارة في زمن الامير فخر الدين المعني سنة ١٦٣٥ وتارة في زمن احمد باشا الجزائر البشناقي المشهور بالظلم والعدوان الذي ذقت الناس في مدة حكمه ٢٨ سنة عذاباً شديداً

وسنة ١٧٩٩ اتى الفرنسيون من مصر لافتتاح الديار الشامية تحت قيادة الجنرال نابليون بونابرت فاستولوا على غزة وعسقلان ويافا

وغيرها ثم وصلوا الى عكا فحاصروها مدة فقاومهم احمد باشا الجزائر براً
والادميرال سروليم سدني سميث الانكليزي بجرماً فانصرفوا عنها بعد ان
كادوا يمتلكونها

ثم في سنة ١٨٣١ اتى ابراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في زمن
السلطان محمود وحاصر عكا التي كانت يومئذ مركز اولاية الشامية وافتتحها
بعد ما حاصرها ثمانية اشهر وقبض على واليها عبدالله باشا وارسله الى
مصر وشرع في تحصينها وتحصين باقي المدن الشامية وما زالت تحت تصرف
احكامه الى سنة ١٨٤٠ حين استرجعتها الدولة العلية بمساعدة انكلترا
وغيرها من الدول الاجنبية ولم تزل الى الآن باقية تحت تسلطها

الباب الثالث

في شعوب سورية ومدنها الشهيرة مع ذكر المملكة
زينب المعروفة عند اليونان واللاتين بزينايا
وشيء من اخبار لبنان

اما شعوب سورية فهي ممزجة من اجناس كثيرة يعسر تاصيلها
والمرجح انهم من نسل مختلط اي عربي وتري وتركي وفارسي واوربي
والادبان فيها كثيرة فانه ما عدا المذاهب النصرانية ومذهب الحكومة
فيها جملة طوائف قلما توجد او تعرف في باقي ممالك العالم كالدروز
والتاولة والنصيرية والاماعيلية والسمرية وفيها ايضا قبائل كثيرة من
عرب البادية شرقي سورية وجنوبيها الذين الى الآن مع كونهم من تبة
الدولة العلية لا يزالون بعيدين عن المدنية وهم جموع وقبائل كثيرة متفرقة

متى تم تهذيبهم ينشأ عن ذلك فوائد عظيمة للسلطنة لانه فضلاً عن
 تقدمهم بالمعرفة والتقدم ونجاح البلاد بالمكاسب والغني تزداد المملكة قوة
 اذ يمكنها عند الحاجة ان تقيم منهم نحو ثلاث مئة الف مقاتل
 ومن مدن هذه البلاد مدينة انطاكية وهي من اشهر واعظم مدنها
 القديمة بناها ساوقوس سنة ٣٠٠ ق م وفيها ولد لوقا الانجيلي وبها تسمى
 النصارى مسيحين اولاً ومن مدنها ايضاً دمشق وهي قديمة من عهد
 ابراهيم سكنها ملوك غسان وفي سنة ١٤ للهجرة افتتحها عمر بن الخطاب
 تحت قيادة خالد بن الوليد ونقل بنو امية تحت الخلافة اليها سنة ٦٣٤
 مسيحية وقد تكرر ذكرها في التوراة في جملة اماكن تحت اسم ارام. وفي
 هذه المدينة كان اهداه بولس الهجيب الى الديانة المسيحية وفيها كانت
 تصنع قديماً الاسلحة الفاخرة المشهورة كالسيوف والحراب والخنجر وغيرها
 واما الان فقد فقدت منها هذه الصناعة لان تيمورلنك نقل الى بخارى
 جميع صناع هذه المهن والصنائع ولم يزل لها شهرة الى الان في نسج
 بعض الأقمشة الحريرية وفي شغل الصدف الملبس على الخشب المعروف
 بعرق اللؤلؤ.

ومنها تدمر والافرنج يسمونها بالميرا اي محل النخل . قيل بناها الملك
 سليمان بن داود وقد انكر بعضهم صحة هذا الخبر مستشهداً بكلام المؤرخ
 يوسفوس حيث يقول ان سليمان مد حدود مملكته الى اماكن بعيدة
 واخذ تدمر وحصنها بالاسوار وسماها تدمر فلولم تكن تدمر حينئذ
 مدينة كبيرة متجربة لما هم سليمان امتلاكها . ومع ان هذه المدينة قد
 اندرست وليس لها وجود الان فان خربها وآثارها القديمة تدل على
 عظمتها السالفة . ومن ملوك تدمر اوديناتوس زوج زنوبيا الشهيرة فانه
 في اول امره كان مساعداً لسابور ملك الفرس عند استفتاحه بلاد
 سورية سنة ٢٥٦ للميلاد ولكنه اتحد اخيراً مع الرومانيين وسعى في

طرده من البلاد . فلما وقع الامبراطور فالريان في ايدي الفرس طلب
 اوديناتوس ان يعقد صلحاً مع سابور فلم يستجب طلبه ودعا سابور خائناً
 فاعتاظ اوديناتوس من ذلك وخرج على سابور وحرابه وقهره على شطوط
 الفرات ثم استظهر ايضاً على بعض قواد الرومانيين الذين كانوا قد جاهروا
 بعصيان ضد السلطنة في ايام الامبراطور غلينوس ونكس مشروعاتهم .
 فلاجل مكافاته على تلك الصداقة لقبه غلينوس رئيس كل الولايات
 الشرقية ولكن لم يقبل اوديناتوس ذلك اللقب والزم الامبراطور ان يقر
 له بالشركة في السلطنة فجعله شريكاً له سنة ٢٦٤ وبعد ثلاث سنين
 توفي قتيلاً

وبعد موت اوديناتوس تبوأ تحت الملك زوجته زنوبيا وانفردت
 بزم الامحكام وجددت كثيراً من القصور والابنية العظيمة حتى صارت
 مدينة تدمر في ايامها جنة من جنات الدنيا وامتدت حدود مملكتها من
 ساحل بلاد صور والشام الى نهر الفرات والعراق وكانت قوية الجنان
 نادرة الزمان تحطبت على العساكر والابطال وتحضر معهم الى ساحة
 الحرب والقتال فقويت شوكتها واشتهرت صولتها ودعت نفسها ملكة
 الشرق ولما بلغ مسمع اورليان قيصر ان مملكة تدمر كادت تفوق مملكته
 عظمة وغنى داخله الحسد فاخذ يستعد لمحاربتها وحضر الى الشام بجيش
 جرار وكانت هي ايضاً قد زحفت بجيوشها لقتاله فانشب بينهما نار
 الحرب بقرب انطاكية فانصر عليها نصرة عظيمة ثم صدمها مرة اخرى
 بالقرب من مدينة حمص فاثنت راجعة الى تدمر فنبعها الى هناك وضيق
 عليها الحصار ومنع عنها الامداد وبعد عدة وقائع افتتح المدينة عنوة وامر
 زنوبيا واخذها الى رومية وعوضها عن مملكتها قصرًا عظيمًا واقام لها نفقة
 لتعيش بها مدة حياتها

وكان اورليان لما فتح تدمر سنة ٢٧٢ للميلاد قد ترك فيها عددًا قليلاً

من العساكر برسم المحافظة فقتلهم الاهالي ولما اتصل باورليان هذا الخبر شق عليه فعاد راجعاً الى تدمر وقتل اهليها ونهب المدينة ثم رمها بعد ذلك بمدة قصيرة ولكنها لم ترجع تظ الى رونقها وبهاثها الاول ومن ذلك الوقت اخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً حتى انه لم يبق في هذه الايام من تلك المدينة العظيمة سوى رسوم دارسة واطلال بالية وبعض اكواخ حقيرة مكان تلك الحصون الشاهقة والمرايح والقصور المبهجة المزخرفة والمزينة باجمل اعمال البشر

ومن مدن سورية ايضاً مدينة بعلبك التي كانت تدعى هليو بوليس اي مدينة الشمس وكانت من اعظم الابنية القديمة ولا سيما هيكلها الكبير الذي بناه انطونيوس بيوس احد قياصرة رومية سنة ١٤٥ بعد المسيح وكان قد حوله الملك قسطنطين الى كنيسة مسيحية وقد بقي رونقه وبهجته زمناً طويلاً واما في هذه الايام فلم يبق الا خرابه وبعض اعمدة عظيمة منتصبة لا يقدر على اقامة مثلها من الملوك الا من كان صاحب ثروة وبأس ثم استولى على بعلبك ابو عبيدة بن الجراح احد فواد عمر بن الخطاب ثم افتتحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ وفي سنة ١٧٥٩ حدثت زلزلة عظيمة هدمت الجانب الاعظم منها ومنها مدينة حلب الشهباء وهي قديمة العهد مبنية في برية خالية من الاشجار باقي ماؤها من مكان شمالي المدينة يبعد نحو ثلاث ساعات ويكثر في غياضها شجر التستق ومن ابنتها المشهورة قصر قديم يقال له سراية بني جنبلاط كانت لاسلاف المشائخ بني جنبلاط الذين هم من اعيان مناصب جبل لبنان وقد هدمت الزلازل اماكن كثيرة من هذه المدينة وقتلت اناساً كثيرين ولا سيما الزلزلة التي حدثت سنة ١٨٢٢ فانه قد مات بها نحو عشرين الف نفس ومنها بيروت احدى مدن فينيقية الذي ولد فيها سانخونياتون المؤرخ الشهير صاحب المؤلفات في ديانة الفينيقيين والمصريين والرسائل

النانعة في الطبيعات وغيرها وقد ترجم بعضها الى اللغة اليونانية في القرن الثاني بعد المسيح ولم يبق منها الا بعض حواشٍ وقطع طبعت على حداثها سنة ١٨٢٦ وقد ظن البعض ان هذا المورخ كان معاصراً للملكة سميراميس وقال اخرون انه كان في عهد موسى ومنهم من جعله قبل المسيح بالف ومثي سنة وقيل ست مئة فقط. ومما يعرف من امر بيروت انه وقت تملك الرومانيين البلاد الشرقية قصدوا جماعة منهم وسكنوها في زمن الملك اوغسطس فيصر الذي اعطاها كل حقوق المدن الرومانية الاصلية وسماها جوليا فيلكس على اسم ابنته وفي القرن الثالث بعد المسيح اشتهر فيها مدرسة لعلم الفقه فكانت تأتي اليها التلاميذ من مصر وبلاد اليونان ولقبت يومئذ بمدينة العلماء. وقد تناول هذه المدينة كل من استولى على فينيقية من الاشوريين والفرس واليونان والرومان والمسلمين. وفيها بعض آثار تدل على قدميتها وقد دخلت في القرون المتأخرة تحت ايدي الامراء التنوخية والامراء بني معن والامراء بني شهاب ولم فيها ابنية تعرف باسمائهم الى الآن

واما جبل لبنان المتمدن من شرقي طرابلس الى مرج ابن عامر فكانت سكانه قديماً على حسب نص الكتاب المقدس من طوائف الحويين والجبليين ثم خصه يسوع بن نون لسبط اشير من بني امرايل ولكنه لم يتيسر لهم ان يمتلكوا منه الا جانباً فقط وكانت بعض اقاليمه في مدة حكم اليهود تحت تسلط الفينيقيين الذين كانوا ياتون منه بخشب الارز والسرور وغير ذلك ويتاجرون فيها. وقد تناول هذا الجبل قديماً امم كثيرة لم تزل اثارهم فيه الى هذا اليوم فانه وجد في بعض قرى جبل الشوف صنم مصري وصنم اشوري وتقود ضرب الدولة السلوقدية وتقود رومانية وعربية. ويوجد منقوشاً على صخور نهر الكلب بعض التماثيل والكتابات تدل على غلبة المصريين القدماء وولاية الاشوريين ويوجد ايضاً سيفدري

القلمة وغير جهات رسوم واثار رومانية واعمدة وقنوات عظيمة دالة على
الامم الذين استولوا عليه. وكان لاهالي هذا الجبل شوكة قوية في اوائل
النصرانية حتى انهم كانوا ينجدون قياصرة الروم وسنة ٦٩٤ للمسيح ارسل
الامبراطور يوستنيان اثنين من قواده مع جيش عظيم لتقصاص اللبنانيين
لانه كان قد طلب امدادهم في حروبه ببلاد الغرب فلم ينجدوه فحاربوا
جيشه وكسروه وقتلوا قواده فسموا مرادة وهم امراء المردة وكانت بداية
ولايتهم تحت هذا اللقب من سنة ٦٠٠ للمسيح وسنة ٨٢٠ أقبل الامير
تنوخ الملقب بالمنذر من اطراف بلاد العرب في قبيلة تنوخ وهي اسم
لثلاث قبائل من نصارى العرب وتوطن بعشائره في نواحي لبنان الخالية
من السكان وبنوا فيها القرى وسكنوها وكان الامير تنوخ يحكم فيما بينهم
وبنوه من بعده الى سنة ١٦٣٣ حين انقرضت السلالة التنوخية . وسنة
١١٢٠ كان قد جاء الامير معن الابوي مع عشيرته الى الشوف ونزل
في صحراء بعقلين وظهر مودة عظيمة لآل تنوخ امراء العرب وانفرد
بولايات الشوف واستمر اميراً وحكماً مدة ٣٠ سنة الى ان مات وهو
جد الامراء المعنية واليه ينتسبون واستمرت احكام الشوف في ايدي
الامراء من بني معن الى ان انقطعت سلالتهم سنة ١٦٩٧ وكان آخر
من تولى منهم الامير احمد . ثم تولى من بعده الامراء آل شهاب وكانوا
جميعهم يتقادون الى طاعة وزراء الدولة العلية المنتصبين على ايالة صيدا
وكان الوزير يولي منهم من يشاء وهم يولون ويعزلون على القطائع والاقاليم
من شاءوا من المشايخ والامراء . والشهابيون هم من شرفاء العرب وينتسبون
الى بني قريش كانوا قد حضروا قديماً الى هذه الديار وسكنوا وادي التيم
فتنصر بعض كبرائهم واخذوا مركزاً في لبنان
ومن افاضل حكام لبنان الذين اتصفوا بالادارة والسياسة الامير
بشير الشهابي كان رجلاً مهاباً فطناً تناول ولاية لبنان من ابن ٤٤

الامير يوسف وهو في سن الثانية والعشرين وكان السبب في انتخابه حاكماً سواه تصرف الامير يوسف المذكور وظلمه في البلاد على ما قيل واستمر الامير بشير في ولايته الى سنة ١٨٤٠ حين استولت الدولة العلية على سورية فخرج من البلاد مع من يلوذ به الى جزيرة مالطة وذلك لسبب عدم تسليمه عند ما دعوه الى التسليم ثم توجه الى القسطنطينية وتوفي هناك وتولى مكانه الامير بشير قاسم وكان المذكور لا يعتبر مناصب البلاد ولا يحسب حسابهم ويقال انه كان يسيء الادب في مجالسهم ويتفوه بكلام تكرهه ائمه فكرهوه واضمروا له السوء فحاصروه في دير القمر وبقي تحت الحصار الى ان حضر السيد عبد الفتاح اغا حماده بامر المشير في بيروت واخرجه من دير القمر وحضر به الى بيروت ومن هناك انقضت احكام الامراء الشهابيين في جبل لبنان. واذا كانت الفتنة قد اتسعت بين الدرروز والنصارى في تلك الايام قسمت الدولة العلية احكام البلاد الى شطرين فاقامت قائماً نصرانياً على النصارى في القسم الشمالي وقائماً درزي على الدرروز في القسم الجنوبي

الفصل التاسع

في تاريخ فينيقية

الباب الاول

في اصل الفينيقيين وعوائدهم واديانهم واكتشافاتهم

انه لا يعلم بالتحقيق اصل هذا الشعب غير انه من نحو اربعة الاف سنة اخذت سواحل بحر الروم تعمم بسكان جاؤوا اليها من بلاد الشرق ولكن من اين جاءوا ولم كان عددهم ومن هم السكان الذين كانوا قبلهم لا نعرف من ذلك شيئاً ولا نعلم ايضاً حقيقة الاسم الذي عرفوا به في الاصل ولكننا نعلم انهم اشتغلوا نحو النبي سنة في هذه السواحل وبنوا فيها المدن والحصون وفاقوا من سواهم في الفنون والصنائع وانفردوا بالشوكة والبأس وصاروا من اشهر القبائل وشاع ذكرهم في افطار العالم

ولقبوا بالكنعانيين نسبة الى كنعان بن حام بن نوح كما يشير الى ذلك التاريخ الموسوي ثم لقبوا بالفينيقيين وهو امم يوناني غلب عليهم فان لفظة فينيكيس التي نسبوا اليها انما هي اسم للنخل في اللغة اليونانية او بالحري التمر وهي تدل في الاصل على اللون لا الجوهر اي على لون اسمر مائل الى الاحمرار كلون ثمر النخل في بعض احواله وهي ايضاً اسم لرداء ارجواني كان الفينيقيون يلبسونه وكان النخل في تلك الايام كثيراً جداً في فينيقية حتى صارت صورة هذه الاشجار رمزاً الى الاهالي والبلاد فكانوا يصورونها على نقودهم ويقال ان تجارهم اختلطوا كثيراً مع اليونان

وحملوا الى بلادهم اثمار الفينيقيس اي النخل برسم التجارة فغلب عليهم هذا اللقب ثم على بلادهم الى ان اصبح اخيراً يدل على لوئهم المائل الى الحمرة. ويظن الاكثرون ان هذا اللون كان لون الفينيقيين الحقيقي وذلك مما يؤيد القول بانهم كانوا من اصل حاز او افرنجي. وكانوا من اعظم الشعوب تمدناً ومن اشهر قدماء الامم وكان تجارهم من اغنى الناس حتى قيل انهم لغناهم كثرت عندهم الفضة واثقلتهم في اسفارهم فكانوا يضعونها في الزنايل ويتخذونها لتعديل المراكب عوضاً عن الرصاص



عشروت الالهة السوريين والفينيقيين

وهم الذين اخترعوا بناء السفن واول من سافروا بجرأ وكانت تجارة العالم البحرية في ايديهم. وقد ارسلت ملوكهم جماهير عديدة الى اماكن

بعيدة من الارض ليستوطنوها ويعمروها وبذلك انتقلت اثار صنائعهم
وامتدت دائرة لغتهم ومعارفهم الى جميع الجهات. وقد اجمع رأي الاكثرين
على انهم هم الذين اعطوا اليونان والرومان احرف كتاباتهم واقدم
علومهم. ومن العجب انهم مع قدميتهم وكثرة فروعهم في جهات مختلفة
من العالم قد تلاشوا وانقرضوا من زمان طويل ولم يبق لنا من اثارهم
الا القليل

اما صنائعهم فكانت متنوعة وكانوا يصوغون كل انواع الخلي من الذهب
والفضة وغير ذلك من انواع النقوش والزينة والمعادن والعاج وينسجون
اجناس الاقمشة فان الانسجة الفينيقية كانت ذات شهرة رواج في كل
العالم وقيل انهم اول من اخترعوا عمل الزجاج. اما عوائدهم فكانت
ذميمة وقبيحة فكانوا يخبون النخضة والترفه ويحرقون الغرباء. وقد تنبأ



مولوك اله بني عمون عند الفينيقين

الانبياء على صور عاصمتهم بالتهديد الهائل والخراب وتم ذلك فيها فيما بعد

عند ما كانت في ايهجر ونقها واعظم سطوتها واقتدارها . واما ديانتهم فكانت وحشية بربرية ايضا كبعض عوائدهم فكانوا يعبدون الاصنام والنحوتات ومن اعظم آلهتهم بعل ويدعى مولوك ايضا اي اله الشمس . واشهر ما قدموا لهذا الاله الذبائح البشرية من الاولاد الصغار فكانوا يطرحونهم احباء على ذراعيه المحماتين بالنار . وكان ذلك الاله مصنوعا من نحاس وله راس عجل مكالم بتاج ملكي وذراعه ممدودتان كأنه مستعد لاحتضان من يقدم له . فكانوا يضرمون تحته نارا مهلكة الى ان يحشى فيلقوا الولد التعميس الحظ على ذراعيه فلا يلبث ان يموت لشدة الحرارة فيالها من قساوة بربرية

الباب الثاني

في ذكر مدائن فينيقية وتخومها وتجارتها وتقدمها ثم انحطاطها ان التاريخ الموسوي بين لنا ان صيدون اي صيدا كانت في تلك الايام اقصى حدود فينيقية شمالا وغزة اقصى حدودها جنوبا وان عيالا كثيرة من الاهالي الاصليين امتدت في داخلية البلاد الى نواحي فلسطين الجنوبية وسكنت في جبال اليهودية وفي السهول المجاورة بحيرة لوط والاردن ولم يزلوا ساكنين في تلك الجهات الى ان حاربهم بنو اسرائيل وطردوهم في زمان يسوع بن نون وتملكوا اراضيهم ولم يعد لهم ذكر بعد ذلك كقبائل ممنازة . واذ كان الفلسطينيون قد اخذوا من ايام ابراهيم وربما قبله يزاخون الفينيقيين المستوطنين في الجهات الجنوبية حتى ازاحوهم عن مواطنهم وابعدوهم بالتدريج نحو الشمال الى دور عند جبل الكرمل كان يلزمنا ان نجعل اول حدود فينيقية الجنوبي من جبل

الكرمل واما من جهة الشمال فان موسى لم يذكر الا صيدون ولكن ذلك لا يحدد تخمهم الشمالي لان صيدون كانت في تلك الايام عاصمة كل الامة. واما باقي قبائل الفينيقيين الذين كانوا مقيمين شمالي صيدون فربما كانوا ضعفاء لا يستحقون الذكر الخاص ومن ثم دخلوا تحت اسم صيدون العام

واما تخوم الفينيقيين الى جهة الشرق وان تكن غير معروفة تماماً فليس لنا دليل على انها امتدت الى مسافة اكثر من عشرين الى ثلاثين ميلاً عن شاطئ البحر. فبناء على ذلك تكون المملكة الفينيقية التي اشتهرت بهذا المقدار قديماً قد انحصرت في رقعة ضيقة من الارض ممتدة من سواحل البحر الى قاعدة الجبال من جهة الغرب

ففي هذه الرقعة الضيقة بنيت جميع تلك المدائن الشهيرة التي خاضت سفنها جميع البحار. اعني عكا واكريب التي يقال لها اليوم الزيب وصور وصرفند وصيدون وبيروت وجبيل والبترون وعرقا وارواد وجبله وزمرة وسين ومدناً اخرى كثيرة قد فقدت اسماؤها الاصلية وسميت باسماء يونانية ورومانية كطرابلس واللاذقية وغيرها واعظم هذه المدائن واقواها واوسعها تجارة مدينة صور فانها كانت اقواها واغناها وهي وحدها التي نعلم بعض انباء ملوكها كخيرام الذي كان بينه وبين الملك داود وولده سليمان عهود ومواصلات. ولم تكن فينيقية جميعها ملك واحد بل كان لكل مدينة منها ملك خصوصي والمرجح ان الجميع كانوا خاضعين لمجلس واحد عمومي كما هو جار الان في الاتحاد الالمانى على انه لم يكن لملوكها سلطة مطلقة نظراً لسطوة اشرانها وكننتها

والذي اوصل فينيقية الى هذه الدرجة من التقدم والشهرة اولاً وجودها على شاطئ البحر ووجود وواني متعددة فيها. ثانياً اشتغال الامم المجاورة لها بحروب متصلة بحيث لم يكن لهم فرصة لمزاحمتها في تجارتها.

ثالثاً لقلة خصب اراضيها التي لم تكن تكفي عدد سكانها فاضطروا ان
يهتموا بامر معيشتهم في الاماكن الخارجة عن بلادهم وكان ذلك
موضوعاً لا يراز همتهم وواسطة لغناهم وساعدهم على ذلك احتياج البلاد
المجاورة لهم الى ما كان عندهم من انواع اصناف التجارة نظراً لتأخير تمدنهم
وهكذا غنيت في مدة وجيزه واغنت مدناً كثيرة حتى لم يبق في مجاورة
بحر الروم فرصة او مملكة الا وصل اليها اهل فينيقية وليس ذلك فقط بل
امتدوا الى البحر المحيط ودخلوا جبل طارق ووصلوا الى بلاد الانكليز
وسموا ارض القصدير بعد ان مروا بايطاليا وفرنسا واسبانيا فاتسعت
بذلك تجارتهم وكثر غناهم ثم امتدوا ايضاً الى البحر الاحمر وتوسعوا مع
اهل مصر والخليج العجمي واسيا الصغرى حتى الى الهند هذا اذا ذكرت
الامم المجاورة لهم التي انقادت طبعاً لتجارة معهم. فكانت فلسطين تقدمهم
بالحاصلات الزراعية مثل اصناف الجيوب والزيت والخمر. وبابل بانواع
المنسوجات من القطن والحريز والصوف والكتان. وقرطاجنة بالذهب والفضة
وانواع المعادن الثمينة. وبلاد روسيا واليونان بالتحاس وانواع المعادن
الثقيلة. وكبدوكيا واسيا الصغرى بالخيول وانواع المواشي والهند والعرب
بانواع الجواهر والآلات والعاج والعطريات والافاويه والانسجة الثمينة
والخلاصة انه لم يبق صنف من الاصناف المعهودة بتلك الازمنة الا
وادخلوه بتجارتهم ولا سيما مدينة صور لانها كانت اما لتلك المدائن
واعظمتها سطوة وغنى ومجداً

فمن المعلوم انه بوجود وسائط كهذه للتقدم والغنى عظمت صور
وغنت وزهت وسميت ام البحور وكثرت سكانها وشعبها بهذا المقدار حتى
ضافت بها البلاد فاضطر اكثرهم للخروج الى جهات مختلفة وسكنوها
وفي مدة قصيرة ظهرت منهم ثلاث مدن وهي اوتيك وكاديشا وقرطاجنة
ومن ذلك الحين اخذت تجارة صور تتحول شيئاً فشيئاً الى مدينة قرطاجنة

وما زالت صور بمجالة النجاح والنمو الى ان زحف اليها شلنصر ملك
اشور سنة ٧٣٤ ق م فحاصرها مدة خمس سنوات ولم يمتلكها وما برحت
في عظمتها وسطوتها الى زمن نبوخذنصر عند ما دهم فينيقية سنة ٥٧٢ ق م
وفتح جميع مدنها في مدة قصيرة الا مدينة صور فانها ثبتت نحو ثلاث عشرة
سنة تحت الحصار ولكنها اخيراً خضعت لعدوها ثم بعد ذلك استولت
الفرس عليها وعلى جميع جهات فينيقية وكان كثيرون من الاهالي
يهاجرون من بلادهم ويقصدون قرطاجنة وما زالت على هذه الحال الى
سنة ٣٣٢ ق م حين جاء الاسكندر المكدوني وفتح فينيقية وحاصر
صور حصاراً شديداً مدة سبعة اشهر وخرّب الجانب الاعظم منها وقتل
وباع كثيرين من اهاليها فمن ذلك الوقت ضعفت شوكتها ولم تعد
تقدر على منازعة قرطاجنة من الجهة الواحدة والاسكندرية الناشئة
حديثاً من الجهة الاخرى فاخذ متجرها يتنازل ويتقمر ويتنقل رويداً
رويداً الى هاتين المدينتين وبعد موت الاسكندر اقسام قواده
الاربعة ممالك التسعة فكانت فينيقية تابعة للولايات البطليموسية
المصرية ولكنها من ذلك الزمان لم تعد تنمو وما زالت في انحطاط وهبوط
من وقت الى آخر حتى وصلت الى الدرجة المعروفة بها الآن ولم يبق من
اكثر تلك المدن العظيمة الشان كصور وصيدا وجبيل والبترون وغيرها
سوى رسوم دارسة وابراج دائرة واسوار متهدمة وقرى حقيرة من
بقايا تلك الامة الشهيرة التي تلاشت وانقرضت فسبحان من يغير ويقلب
الاحوال ولا يعترى ملكه تغيير ولا زوال

الفصل العاشر

في الحروب الصليبية

الباب الاول

في منشأ الحروب الصليبية الى نهاية اعمال التجريدة الثانية
ان السبب في اثار تلك الحروب رجل اسمه بطرس الناسك كان
متزوجاً وذا اولاد ولكن لاسباب لا يعلمها الا الله ترك عائلته وترهب
وانفرد سائحاً متنسكاً وبعد مدة التصق ببعض الزوار كانوا ذاهبين
لزياره الاراضي المقدسة في فلسطين فزار مدينة القدس وعناك اخذته
الحمية على ان يسعى في استخلاص تلك الاماكن من ايدي المسلمين
فبرجوعه الى ايطاليا اجتمع مع البابا اوربانوس الثاني وخطبه في ذلك
باسطاً امامه حالة المسيحيين الشقية في الشرق فوافق البابا على افكاره
وعزم في الحال على اتخاذ الوسائل المقتضاة لانقاذ هذا المشروع فامر بطرس
ان يجول في اقطار البلاد منادياً ومبشراً للشعوب بانقاذ النصارى
واستخلاص اورشليم من ايدي المسلمين
فاخذ بطرس يجول من مكان الى آخر منذراً ومحرّكاً قلوب الناس
للاشتراك في هذا العمل فاجاز من ايطاليا الى فرنسا والى اكثر جهات
ممالك اوربا زارها بين الجميع هذه الافكار ومهيّجاً اياهم للنهوض والقيام
وفي اثناء ذلك عقد البابا اوربانوس عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح
فيها هذه المسئلة امام جمهور الحاضرين منهم ما همتمهم للبادرة والا-تعداد

في هذا المشروع . ولجل ترغيبهم في ذلك وتشجيعهم اشهر انعامات
 خصوصية لكل من يشترك في هذا الامر . فكان الانعام الاول ابطال
 التاديبات القسافية المنروضة بقوانين ثقيلة على الخطاة الذين بذلوا
 الى بلاد فلسطين كانوا يعقون عن ثقل وصرامة قوانين التوبة التي كانوا
 ملتزمين بممارستها . الانعام الثاني ان المحاربين الصليبيين يعفون من دفع
 الفوائد . الانعام الثالث ان كل من يصدر منه اغنصيات غير عادلة نحو
 جنود الصليبيين يكون تحت الحرم الكبير الاثانيا . الانعام الرابع ان جميع
 الصليبيين واغراد عيالهم مع كل نوع من ارزاقهم وامتعتهم يكونون تحت
 حماية الكنيسة الجامعة والرسولين بطرس وبولس . فنهض حينئذ احد
 الاساقفة وطلب من البابا انه يكون اول من يجاهد في هذا السبيل
 فسمي البابا راية الصليب وتبعه جملة من رؤساء الدين ومن عامة الناس
 ورسموا جميعاً على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه الاشارة
 على الاسلحة والالوية والرايات والبنود . ومن ذلك الوقت سمو صليبيين
 وحرورهم دعيت الحروب الصليبية

فبعد ذلك ارتحوا في اثناء سنة ١٠٩٦ للميلاد طالبين القسطنطينية
 وكانوا اجتاساً عديدة وفرقاً كثيرة من الايطاليين والفرنساويين
 والنمساويين وغيرهم من سكان اوربا . وكان بطرس الناسك المقدم ذكره
 وهو متوشح بثوبه الرهباني قائداً للفرقة الاولى فسار بهم عن طريق
 المانيا وهونكاريا وبلغاريا . فكانوا ينهبون ويخطفون من سكان المدن
 والسواحل وهم سائرهم فوشب عليهم الاهالي وقتلوا منهم عدداً كثيراً
 وبعد ان قاسوا اهوالاً شديدة انتهوا الى القسطنطينية وكان ملكها يومئذ
 يدعى الكسيوس كومنينوس فاذن لهم ان يقيموا في المدينة الى ان يحضر
 رفقائهم . وقد اصاب الفرقة الثانية ما اصاب الفرقة الاولى في الطريق وقتل

منها عددٌ وافر بسبب تعدياتهم ولكنهم وصلوا اخيراً الى القسطنطينية وانضموا مع البقية فكان عدد من سلم منهم مئة الف مقاتل فنقلهم الملك الكيسوس المذكور في مراكبه الى سواحل اسيا ولما انتهوا اليها التقطهم عساكر الاسلام في نواحي نيقية واحاطوا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً فاستظهروا عليهم وتمكنوا منهم واستولوا على مضاربهم وذخائرهم ولم ينج منهم الا القليل فهكذا كانت نهاية الواقعة الاولى

اما بطرس الناسك فكان قد رجع الى القسطنطينية قبل حدوث هذه المعركة متشكياً من عدم انتظام الصليبيين وعدم طاعتهم واقتيادهم الى روسائهم ولكن لما بلغت هذه الاخبار المحزنة اقسم بانه لا يرجع قط عن عزمه حتى يشاهد حرباً صليبية ثانية

فلما بلغ اهالي اوربا ما حل باصحابهم من النكال حزنوا جداً وتحركت عزائمهم الى اخذ الثار وازالة الدل والعار والاستيلاء على تلك الديار فتجهز منهم جيش جرار تحت راية غودفروا دوك برابانن وبوليون ورافقه اخواه اوستاس وبودوين وغيرها من القواد المشاهير منهم روبرتس اخو فيليب ملك فرنسا وروبرتس دوك نور منديا وغيرها من الذوات وساروا قاصدين القسطنطينية واستمروا في طريقهم الى ان وصلوا اليها بعد ان فقد منهم جانب عظيم بسبب الامراض والجوع وفنك اهالي البلاد التي كانوا يرون فيها ومن هناك اجتازوا الى شطوط اسيا وعند وصولهم الى نيقية التقطهم جيوش الاسلام ووقع بينهم عدة معارك شديدة انتصرت فيها طوائف الافرنج فاستولوا على المدينة ثم تقدموا بجمعهم الى انطاكية فاحضموها وتملكوها بعد هجمات هائلة ووقائع متعددة ولما دانت لهم ولاية تلك الاطراف ملأوها بالجنود والفرسان وزحفوا بياقي ابطالهم الى القدس فحاصروها واستفتحوها سنة ١٠٩٩ للميلاد بعد حروب شديدة وصدقات رائعة وجعلوها دار ملكهم

وبعد استيلائهم على اورشليم بثانية ايام نودي بامم غودفروا ملكاً على فتوحات فلسطين الا انه لم يمض عليه اكثر من خمسة عشر يوماً حتى وافاه سلطان مصر بعسكر جرار فالتقاه غودفروا عند عسقلان بجيوش الصليبية فكسره وشتت شمله . ومن ثم اخذ الصليبيون في توسيع دائرة فتوحاتهم فحاصروا جميع المدن الكائنة على الشطوط البحرية وتغلبوا عليها كمدينة اللاذقية وطرابلس وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا وعسقلان وغيرها فكانت حدود فتوحاتهم شمالاً الاسكندرونة وجنوباً ذيار مصر ولم يبق في يد الاسلام سوى حمص وحماة والشام وحلب مع بعض القرى الحقلية

وسنة ١١٠٠ توفي غودفروا المذكور وخلفه اخوه بودوين الاول الذي كان والياً على أرفا فحكم ببسالته ونشاط الى ان ادركته الوفاة سنة ١١١٨ فخلفه ابن عمه بودوين الثاني الذي كان والياً على ولاية أرفا في زمن بودوين الاول واستمر حكمه الى سنة ١١٣١ ثم اسر في حرب مع الاتراك وبقي اسيراً عندهم جملة سنين الى ان انقذه امير أرفا . ثم تولى بعده الامير فولك انجو وهو صهره زوج ابنته فحكم ١٢ سنة ومات بسبب سقطه عن فرسه . ثم خلفه ابنه بودوين الثالث وامتدت ايام ولايته عشرين سنة وفي مدة احكامه ضعفت شوكة الافرنج وقلت سطوتهم واستظهر المسلمون عليهم في حروبهم المتواترة واسترجعوا منهم أرفا وبعض الاماكن الاخرى . فاستغاث بودوين المذكور باهالي اوربا وطلب منهم المساعدة والامداد فامدوه بنجدة عظيمة تحت قيادة كونراد الثالث ملك جرمانيا ولويس السابع ملك فرنسا سنة ١١٤٧ للمسيح وهذه هي التجريدة الثانية

وقبل قدوم ملك فرنسا بايام يسيرة وصل ملك جرمانيا الى فلسطين في حالة يرثى لها اذ كان قد تلف اكثر من نصف جيشه في الطريق

بعضهم بالجوع والمرض وبعضهم بالسيف في المعارك التي اثارها عليهم
الاعداء في اثناء الطريق فلما بلغ سواحل سورية وافته مواكب الاسلام
وفتكت بعساكره فانسحب مع باقي جيشه وبينما كان راجعاً التقى بلويس
السابع وجنوده الذين وصلوا في حالة احسن من حالته فالتقتهم الاتراك
في نواحي انطاكية وانشب بينهم نيران القتال مدة ايام وكانت الدائرة
على الملك لويس وجنده فانقلب راجعاً ببقية قواده وجيوشه وتزلوا سيف
الشن وساروا الى القدس وانضموا الى العساكر اللاتينية مع بقايا العساكر
الجرمانية تحت راية ملكها كونراد المذكور ثم زحفوا الى دمشق الشام
بقصد الاستيلاء عليها املآ بانهم متى تمكنوا منها يفوزون بالانتصار التام
فنتهي ثورات اعدائهم المتابعة وتهدم اركان سطوتهم . وكان الوالي عليها
يومئذ وقائد جيوشهم الامير ايوب مقدم الدولة الايوبية وجدّها فلما
وصلوا اليها اقاموا عليها الحصار ونصبوا على ابراجها المنجنيق والالات ونازلوها
مدة طويلة بدون نتيجة ولا فائدة . ولما يشؤا من استحصالها انكفؤا عنها
راجعين فبهذه كانت اعمال التجريدة الثانية

الباب الثاني

ذكر الحوادث والوقائع التي جرت من بداية التجريدة الثالثة
الى نهاية التجريدة التاسعة التي هي ختام الحروب الصليبية
فضعفت شوكة الصليبيين في فلسطين ونزعزت دعائم مملكتهم
بسبب انكسار العساكر الافرنجية وثبتت شملهم ولكن مع كل ذلك لم
يكنوا عن مواظبة الحروب والغارات وحفظ مراكزهم الى سنة ١١٧٤ .

توفي بودوين الرابع وبعد وفاته نهضت امه سيبيللا وتزوجت برجل ذميم
 الاخلاق قبيح السيرة الا انه كان جميل الصورة وجعلته ملكاً على
 اورشليم فساء هذا الامر جداً في اعين الامراء ووزراء الدولة الصليبية
 فنفر اكثرهم وخلعوا الطاعة واظهروا الخلاف والعصيان وكان من جملتهم
 الكونت ريموند الذي لسبب عدم تحويل تابع الملك اليه دخله الحسد
 فخان ابناء وطنه وكتب الاعداء سراً منفضاً همتهم على الحروب وافتتاح
 البلاد على ما قيل

ففي اثناء هذه الحوادث والتقلبات الداخلية ظهر عدو آخر للصليبيين
 وهو صلاح الدين الايوبي سلطان مصر وكان شاباً شجاعاً وبطلاً مقداماً
 وقد اسس في مصر مملكة جديدة بعد انقراض الدولة الفاطمية فلما كثرت
 تعديات الافرنج على قوافل المسلمين واهانتهم ايامهم وتهددهم بافتتاح مكة والمدينة
 وتمنعهم عن اعطائهم الترضية اللازمة حاجت حمية الاسلام واشتد حنقهم
 فنهض صلاح الدين من مصر بثمانين الف مقاتل فاصداً فلسطين وجعل
 طريقه على مدينة طبرية فلما اشرف عليها احاط بها وحاصرها فوافاه ملك
 القدس بجيوش كثيرة للمدافعة والحماية عنها لانها كانت من اهم مراكز
 البلاد وهناك التقى العسكران والتحم الجيشان فاجت الارض بالعسكر
 وكانت معركة دموية هائلة استمر القتال فيها بين الفريقين نحو يومين
 كاملين وكانت الدائرة على الصليبيين فانقلبوا راجعين على الاعقاب
 طالبين النجاة بعد ان فقد منهم نحو ثلاثين الف مقاتل ووقع الملك اسيراً
 مع خواصه واكابر روائه في ايدي المسلمين وعند نهاية الحرب قتل
 صلاح الدين ٢٤٠ رجلاً من اعيان الافرنج المأسورين وهكذا اصبحت
 البلاد بدون راس ومدبر في قبضة المنتصر
 وبعد هذه الحادثة بنحو ثلاثة اشهر زحف صلاح الدين بجيوشه على
 مدينة القدس ونازلها ولم يكن فيها سوى الملكة وقليل من الجنود مع نحو

١٠٠ الف رجل كانوا قد التجأوا اليها بسبب الثورة المذكورة واذ لم تستطع الملكة الثبات أكثر من اسبوعين ولا سيما ان افكارها كانت مضطربة من جهة امر زوجها اضطرت اخيراً الى التسليم تحت شروط معلومة ونع عليها الاتفاق بين الفريقين وهي ان جميع طوائف الافرنج واللاتينيين يخرجون من المدينة ويرحلون بعيالهم واثقالهم وتكون لهم الحماية فيصالح آمنين الى سواحل سورية او مصر وان كلاً من الاهالي يعطي صلاح الدين مبلغاً معلوماً فدية عن حياته والذي لا يقدر على ذلك يبقى كجدي واسير. ولكن صلاح الدين اظهر من علو الهمة والكرم والشفقة والرحمة ما لا مزيد عليه لانه كان يرضى من الفقراء والمحتاجين بما تيسر عندهم حتى انه اطلق سبيل ٣٠٠٠ رجل بدون فدية. وعند مقابلته الملكة اظهر من الرقة واللطف وكرم الاخلاق ما لا يوصف وكان يعزيها بكلامه ودموعه معاً ويوزع الاحسان على ارامل واطفام القتلى وسمح للمتولجين على المستشفيات ان يقوا في المدينة سنة اخرى لملاحظة المرضى والعاجزين والاعتناء بهم وكان حدوث ذلك سنة ١١٨٧ للميلاد.

فخرج المنفيون من اورشليم وكانوا ثائمين في اراضي سورية ياتمسون لانفسهم المعونة والمساعدة وكثيراً ما كانوا يطردون من نفس اخوتهم المسيحيين بتوبيخات مرّة. وقد توجه اناس من هؤلاء المنكودي الحظ الى القطر المصري فحركت احوالهم التعيسة قلوب المسلمين للشفقة عليهم وآخرون سافروا بجرأ الى اوربا حاملين اخبار ما اصابهم من الدواحي والنكبات

وسنة ١١٩٠ قامت التجريدة الثالثة تحت راية فيليب ملك فرنسا والامبراطور فريدريكوس ملك جرمانيا وريكاردوس الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعاً وقصدوا بلاد فلسطين بمبني سفينة مشحونة بالعاكر والمهات وعند وصولهم الى صور

وهي المدينة الوحيدة الباقية يومئذ في ايدي الصليبيين تقدموا منها الى مدينة عكا الحصينة وحاصروها غير مبالين بالاخطار المحدقة بهم . فاستمر القتال بين الفريقين نحو سنتين وخسر الجمعان عدداً كثيراً من عساكرها ولكن لما اشتد القتال والحصار على المسلمين وانقطع عنهم الامداد ونفذ ذخائرهم سلوا اخيراً تحت هذه الشروط وهي انهم يعطون الافرنج ٢٠٠ الف ربال من الذهب ويسلمونهم الف وخمس مئة اسير من عامة الصليبيين ومئة اسير من الاشراف كانوا في مجنهم وان يردوا لم خشبة الصليب التي أخذت منهم في حرب طبرية فتسلم الافرنج عكاه في ١٢ تموز سنة ١١٩١ بعد ان كان فقد منهم نحو ٢٠٠ الف رجل بين قتيل وجريح ومريض وغريق وكان عدد المحاصرين نحو ٦٠٠ الف مقاتل ثم بعد افتتاح عكا عزم ريكاردوس ملك انكلترا على حصار عسقلان التي هي على مسافة مئة ميل من عكا فرحف اليها ولما اشرف عليها وافاه الملك صلاح الدين بثلاث مئة الف مقاتل وانتشبت بينهما حروب هائلة لم يسمع بمثلها في الايام السابقة وكانت الدائرة على عساكر المسلمين فانهمز صلاح الدين بعد مقتلة شديدة فقد فيها من جيشه نحو اربعين نفر من شجعان العسكر وفاز الملك ريكاردوس بالنصر والظفر واستولى على عسقلان وباقى مدن اليهودية . اما صلاح الدين فالتجأ الى مدينة القدس وحصن قلاعها وارجحها وملاها بالعساكر والجنود وكان فصل الشتاء قد دخل وبسبب قسوة البرد توقفت الحروب بين الفريقين . وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيشه على القدس التي كانت جل قصده وغاية اربه فيهاج الاهالي واعتراهم الخوف والرعب عند قدوم هذا الجبار فاقام الحصار على المدينة وضيق عليها من كل الجهات ولكنه لم يلبث طويلاً حتى انسحب عنها اذ وجد صعوبات كثيرة في افتتاحها وكانت عساكره قد ضجرت من الحروب ومشقات الاسفار

وفي خلال ذلك زحف صلاح الدين في ستين الف مقاتل لاستخلاص مدينة يافا وعندما اوشك ان يفتحها وافاه ريكاردوس فخاربه وهزمه . ثم ان ريكاردوس وصلاح الدين بعد هذه الحادثة اخذا بالمراسلات والمخاطبات في شان الصلح وترك هذه الحروب المهلكة . وكان اول شيء طلبه ريكاردوس تسليم القدس وفلسطين وترجيع خشبة الصليب فرفض صلاح الدين هذا الطلب ولم يسمح بتسليم فلسطين . ثم وقع الاتفاق على توقيف الحرب ثلاث سنين وانه في اثناء هذه الهدنة يسمح للمسيحيين ان يزوروا القدس في اي وقت ارادوا بدون دفع جزية وان تهدم قلعة عسقلان وان يافا وصور والبلاد الواقعة بينهما تبقى بيد الافرنج . فبعد اتمام هذه المعاهدة سافر ريكاردوس الى اوربا وبعد ذلك بقليل توفى صلاح الدين وقام بالسلطنة مكانه اخوه سيف الدين سنة ١٢٠٣ حين جيز البابا سلاستينوس الثالث تجريدة رابعة ولكنها انحصرت اعمالها في محاربة ملك الروم في القسطنطينية فتغلب عليه اللاتينيون وامتلكوا منه المدينة وبقيت تحت تصرف احكامهم مدة ٥٧ سنة .

وسنة ١٢١٦ تجند في اوربا تجريدة خامسة مولفة من مجر وجرمانيين فاجتازوا البحر وجاؤوا الى مدينة عكا ونزلوا فيها . وكان حكام سورية يومئذ اولاد سيف الدين المذكور فقاوموهم اشد مقاومة ولم يدعواهم يتقدمون ثم وقع بين الافرنج انشقاقات واختلافات فرقتهم وسببت هلاكهم فرجع ملك المجر الى بلاده وتوقفت حركة الجنود الصليبية الى ان اتاه نجدة في السنة الثانية نحو ٣٠٠ سفينة مشحونة بالمعدات والرجال فشددت عزائمهم ومكثتهم في الانتصارات ولكن لاسباب غير معلومة تركوا بلاد فلسطين وتوجهوا الى الديار المصرية فاستظفروا على بعض اقاليمها واستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاهالي تخافهم وتهاجمهم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدوا معهم صلحا تحت شروط مرضية للصليبيين

ولكنهم رفضوا ولم يجيبوا طلبهم . واستمروا منتشرين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائط فاضطروا ان يضازلوا للمصريين عن تلكاكنهم في مصر ليسمحوا لهم بالرجوع الى فلسطين

وسنة ١٢٢٨ تجهزت التجريدة السادسة تحت قيادة فريديريكوس الثاني ملك المانيا الذي كان قد نذر على نفسه من مدة طويلة ان ينهض لمساعدة الصليبيين ونجدتهم ولكن بسبب ابطائه وتأخره حزمه البابا غريغوريوس التاسع فاغتاظ فريديريكوس من هذه المعاملة واستعد لمقاومة البابا المذكور فذهب الى رومية واهانه واذله ثم الزمه ان يخرج من رومية قهراً وكان في اثناء ذلك قد تولد بين المسلمين بلبلة وانقسامات مع امراءهم والمتقدمين فيهم فاضطر الملك الكامل ناصر الدين ابن سيف الدين والي مصر ان يعقد معاهدة مع الملك فريديريكوس المذكور فارسل يستدعيه اليه واعداً اياه باعطاء اورشليم . فنهض فريديريكوس بأربعين الف مقاتل الى عكا ومنها الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا ينازعه منازع . وبعد ذلك عقد بيته وبين المسلمين عهداً وهي ان القدس ويافا وبيت لحم والناصرة وتوابها تكون في ايدي المسيحيين وتحت تصرف احكامهم وان كلاً من الامتين المتحاربتين يسمح لها ان تمارس فروض مذهبها ومنتهى بكل حرية وبدون معارضة

اما عامة الصليبيين فلم يسروا باعمال فريديريكوس ولم يقبلوا شروطه ومعاهداته السلمية لانهم كانوا يعتبرونه محروماً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته . ولما دخل بطريرك اللاتينيين الى القدس لم يرتض ان يحضر استقبال لتويجه فحينئذ مد فريديريكوس يده واخذ التاج عن قبر المسيح ووضع على راسه وبعد ذلك بمدة عاد راجعاً الى بلاده

ثم في سنة ١٢٣٩ تجند لمقاومة الصليبيين بسبب ثورات ومقاومات

اعدائهم تجريدة سابعة مؤلفة من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الاشراف. فسبق الفرنسيون الى سورية و حاربوا فيها جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين. وفي السنة الثانية حضرت العساكر الانكليزية وكان قائدها الاميرال كورنوال وعند ما وجد هذا الاميران تملكات الصليبيين وحقوقهم الممنوحة بموجب عهود وشروط من المسلمين عن يد ملك جرمانيا قد تقضت ورُفضت وان خصومهم قد سلخوا معهم مسلح الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين. واذ كان السلطان يومئذٍ مشتغلاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الاميرالمشار اليه وتنازل له عن القدس وبيروت والناصره وبيت لحم وجبل نابور وقسم كبير من الاراضي المجاورة

هذا وبينما الصليبيون في ارغد عيش ومرور باسترجاع الاراضي المقدسة دهمتهم مصيبة اخرى لم تخطر قط على بال وهي ظهور جنكيز خان الذي اشتهر بين الاكراد في ذلك الزمان. فانه اقام الحرب على ساق وقدم بين طوائف العرب والتتر والعجم فازعج تلك البلاد واقلق بغاراته العباد فترأضت الشعوب والقبائل مهزومة من امام وجهه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين احاطوا بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا باهاليها ولم يرحموا شيخاً ولا امراً ونهبوا بيت المقدس ركادت غاراتهم تصل الى الديار المصرية. وبقي الخوارزميون في سورية ولم تقدر عساكر المسلمين والمسيحيين على ردهم الى سنة ١٢٤٧ حين قهرهم وكسروهم الملك المظفر سلطان مصر بقرب الشام وطردهم الى تخومهم ومواطنهم التي على شطوط بحر الخزر

واذ كان الصليبيون لا يزالون في ضنك عظيم تحركت غيرة لويس التاسع ملك فرنسا عليهم فنهض اولاً لتجديدهم بعدة سفن مشحونة بالمهمات والادوات العسكرية الحربية مع خمسين الف مقاتل وقصد اولاً

مصر سنة ١٢٤٩ للميلاد وهذه هي التجريدة الثامنة فوصل الى دمياط
وامتلكها ومنها تقدم الى جهة القاهرة ولكن قبل بلوغ اماله انقضت
عساكره بالمرض والجوع فوقع هومع من بقي من جيوشه اسيراً في ايدي
الاعداء وبقي في امرهم الى ان فدى نفسه وسار يباقي رجاله الى فلسطين
ومن هناك توجه الى اوروبا وبعده ذلك بنحو ١٥ سنة زحف الملك
الظاهر بيبرس البندقداري احد سلاطين دولة المماليك التركية بمصر
بجيش جرار على بلاد فلسطين وكانت الافرنج قد ضعفت قوتها فاضع
مدينتي صفورة وازوت ووقع بالمسيحيين وقتل منهم وامر عدداً كثيراً
ثم قصد مدينة انطاكية فحاصرها وامتلكها وقتل منها نحو اربعين الف
رجل وامر مئة الف نسمة وساقهم الى البلاد المصرية في حالة الذل والويل
ولما اتصلت هذه الاخبار المخزنة الى مسامع شعوب اوروبا ساءم ذلك
جداً فنهض ثانياً لويس التاسع ملك فرنسا المقدم ذكره وخرج من بلاده
بجيش عظيم وقصد اولاً شطوط افريقية لينتقم من التونسيين قبل مسيره
الى فلسطين لانهم كانوا قد اقلقوا وازعجوا امنية البحر بتواتر غزوات
مراكبهم القرصانية وسلبوا اكثر الذخائر والمهمات التي كانت ترسل من
اوروبا اسعافاً الى فلسطين حتى انهم كانوا يمدون المصريين باخيل
والرجال فحاصر مدينة قرطاجنة وضيق عليها وهزم جيوشها وافتتحها
ولكنه توفي في اثناء ذلك مع جانب من جيشه في وسط تلك الرمال
الحارقة من جراء امراض وبائية اصابتهم وكان ذلك سنة ١٢٧٠ وهذه
في التجريدة التاسعة والاخيرة للصليبيين

فانحصرت اخيراً فتوحات الصليبيين في مدينة عكا حصنهم الوحيد
مع بعض المدن المجاورة ولكنهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى وافاهم الملك
الناصر محمد بن قلاوون في جيش من ممالك مصر يبلغ عدده نحو مئتي
الف مقاتل وضايقتهم في مرج بن عامر ومن بعد عدة معارك اظهر فيها

الصليبيون من البسالة والشجاعة ما لا مزيد عليه استظهرت عليهم
 خصومهم بكثرة العدد واستولوا على مدينة عكا وقتلوا اكثرهم وامروا منهم
 جانباً عظيماً ثم استولوا على جميع اقطار سورية ومن ذلك الحين انحنت
 اخبار الصليبيين من بلاد فلسطين لانهم كانوا قد تلاشوا وانقرضوا وكان
 عدد من مات وقتل منهم في هذه الحروب من باب التقريب نحو
 ٢٠٠٠٠٠٠ فسبحان المبدي المعيد الدائم والفاعل ما يريد

الفصل الحادي عشر

في اسيا الصغرى

اسيا الصغرى المعروفة الآن ببر الاناضول موقعها على اطراف بحر
 الروم الى جهة الشمال الشرقي يحدها شمالاً البحر الاسود وغرباً بوزان
 القسطنطينية وبحر مرمر وشرقاً سورية وما بين النهرين وارمينية ومعظم
 طولها من الشرق الى الغرب ستائة ميل وعرضها اربع مئة ميل يتجزأ
 عدة سلاسل جبال منفصلة عن جبل الثور وجبل قوقاس . وهي الان قسم
 من المملكة العثمانية واكثر سكانها من المسلمين واشهر مدنها ازمير وهي
 مولد هوميروس الشاعر اليوناني المشهور وقاعدة تجارة بلاد المشرق
 وكانت تنقسم قديماً الى اثني عشرة مملكة صغيرة وهي ميسيا وليديا
 وكاريا وليسيا ويثينيا وبلقونا وبنس وبفيليا ويسيديا وكليكييا
 وفرجيية وكبدوكية ومن اعظم هذه الاقسام مملكة ليديا التي اشتهرت
 قبل المسيح بنحو ٨٠٠ سنة واول ملوكها على ما قيل هوارديس قام سنة

٦٩٧ ق م وآخر ملوكها كريسوس وكان اغنى ملوك عصره وقد اشتهر في الغنى بهذا المقدار حتى ضرب به المثل الى الآن اذ يقال فلان غني ككريسوس وكان جلوس هذا الملك على سرير الملك سنة ٥٠٩ ق م . وفي ايامه ضم الى مملكته جميع البلاد الواقعة غرباً من نهر هاليس الذي يقال له الآن قول ارمق وكان مجلسه مشهداً للفلاسفة واهل العلم . قيل زاره مرة صولون الفيلسوف الشهير فاراه كريسوس جميع خزائنه وتحفه وقصوره من باب الكبرياء ليهجه ويدهشه وقال له من تظن اسعد الناس غيري . فاجابه صولون لا يدعى احد سعيداً الا من دامت سعادته الى آخر حياته . وقد اصاب ذلك الفيلسوف فيما قاله لان كريسوس لم يتمتع بعد ذلك زماناً طويلاً ببقائه وسعادته لان كورس ملك الفرس لما زحف لمحاربة الاشوريين اتحد كريسوس معهم على حرب كورس فانكسر وبات محصوراً في مدينة سارديس قسبة مملكته فأتى كورس وحاصر المدينة وفتحها سنة ٥٤٨ ق م وامر كريسوس ولما مثل بين ايديه امر بايقاد اتون من زار وان يطرحوا كريسوس فيه ولما دنوا به من الاتون تذكر كريسوس ما قاله له صولون فصرخ بصوت عال يا صولون يا صولون يا صولون . اما كورس فلما سمع صراخه استحضره وساله عن السبب فاخبره بما كان . فاعجبت كورس حكمة صولون فعنا عنه وابقاه عنده معزماً مكرماً . ومن ذلك الوقت صارت ليديا مع قسم كبير من اسيا الصغرى تابعة لمملكة الفرس حتى اتى اسكندر الكبير فانصرف على ملوك الفرس واستولى على اكثر املاكهم في اسيا وبعد وفاة اسكندر صار الجزء الاكبر من هذه البلاد تابعاً لمملكة سورية في زمان تملك الدولة السلوقدية وفي اثناء ذلك استقلت بتس التي كانت من اعمال ليديا واخذت في التقدم والنمو جملة سنين . وفي عصر تملك ميتريدات السابع ملكها اليوناني اكتسبت شهرة عظيمة لانه

كان على جانب عظيم من الخندق والدراية والبأس . وكان من اشد
 الناس عداوة للرومانيين فحاربهم جملة سنين وانتصر عليهم في جملة وقائع
 ولكنهم قهروه اخيراً سنة ٦٤ ق م وانضمت مملكته مع باقي ولايات
 اسيا الصغرى الى املاك المملكة الرومانية وبقيت تابعة قياصرة رومية
 والقسطنطينية الى القرن الحادي عشر للميلاد حين استولت الدولة
 السلجوقية على الاقسام الجنوبية الشرقية من هذه البلاد . وعند انقراض
 هذه الدولة في اواخر القرن الثالث عشر جاء الاتراك العثمانيون من بلاد
 التتر الكائنة على نواحي بحر الخزر واستولوا على جانب عظيم منها تحت
 راية السلطان عثمان الغازي ومن ابتداء سنة ١٤٨٦ اصارت كل هذه
 البلاد تابعة سلاطين آل عثمان . هذا ومع كل الثورات والحروب التي
 انتشبت في اسيا الصغرى ازدادت البلاد نمواً وشعباً واقيم فيها عدة مدن
 شهيرة منها افسس في ليديا التي لم تنزل اثارها باقية الى الان تشهد على
 عظمتها وهي على مسافة بضع ساعات من جنوب مدينة ازميز بقصدها
 كثير من الناس للمشاهدة . وكان في هذه المدينة هيكل عظيم الشأن
 حُسب من عجائب الدنيا السبع نظراً لغرابته وعظم بنائه وكان مخصصاً
 لعبادة الالهة ديانا اي ارطاميس اليونانيين وبقي هذا الهيكل في بهجته
 ورونقه الى سنة ٣٥٦ ق م حين قام رجل من افسس واضرم فيه النار
 فاحترق عن آخره وكان قصده بذلك ان يترك لنفسه ذكراً موءبداً
 وقد ضرب به المثل حيث يقال ان الرجل الذي لا يقدر على صنع
 قفص حقير حرق هيكلاً عظيماً . وكانت هذه الحادثة يوم ولادة اسكندر
 المكدوني

ومن مدن اسيا الصغرى كولاسايس وطرسوس التي وُلد فيها بولس
 الرسول وكانت من قديم الزمان مساوية في العاوم لمدينة اثينا ومفاخرة
 لمدينة اسكندرية وليست الان الا قرية صغيرة . ثم مدينة برغامس

وثياتيرا التي يقال لها الآرت اق حصار وسرديس قسبة مملكة ليديا.
وفي ادفنيا ولاودكية المذكورة في الاسفار المقدسة وتروادة وغيرها. اما
برغامس التي يقال لها الان برغاما فكان فيها قديماً مكتبة معتبرة تحتوي
على ٢٠٠ الف مجلد نقلها الملك انطونيوس الروماني والملكة
كليوبترا الى مصر وفيها ايضاً واد جالينوس
الطبيب الشهير

الفصل الثاني عشر

في وصف بلاد الهند وتاريخها

هذه البلاد هي قسم كبير من قارة اسيا وتشتمل على قبائل عديدة منتشرة في كل اقطارها ولكل قبيلة ولاية وحكام مستقلة بذاتها اشبه بدول اوربا وعدد سكانها ٢٨٩ مليوناً منهم ٢٢٣ مليوناً تحت تسلط الانكليز و٦٧ مليوناً في حالة الاستقلال

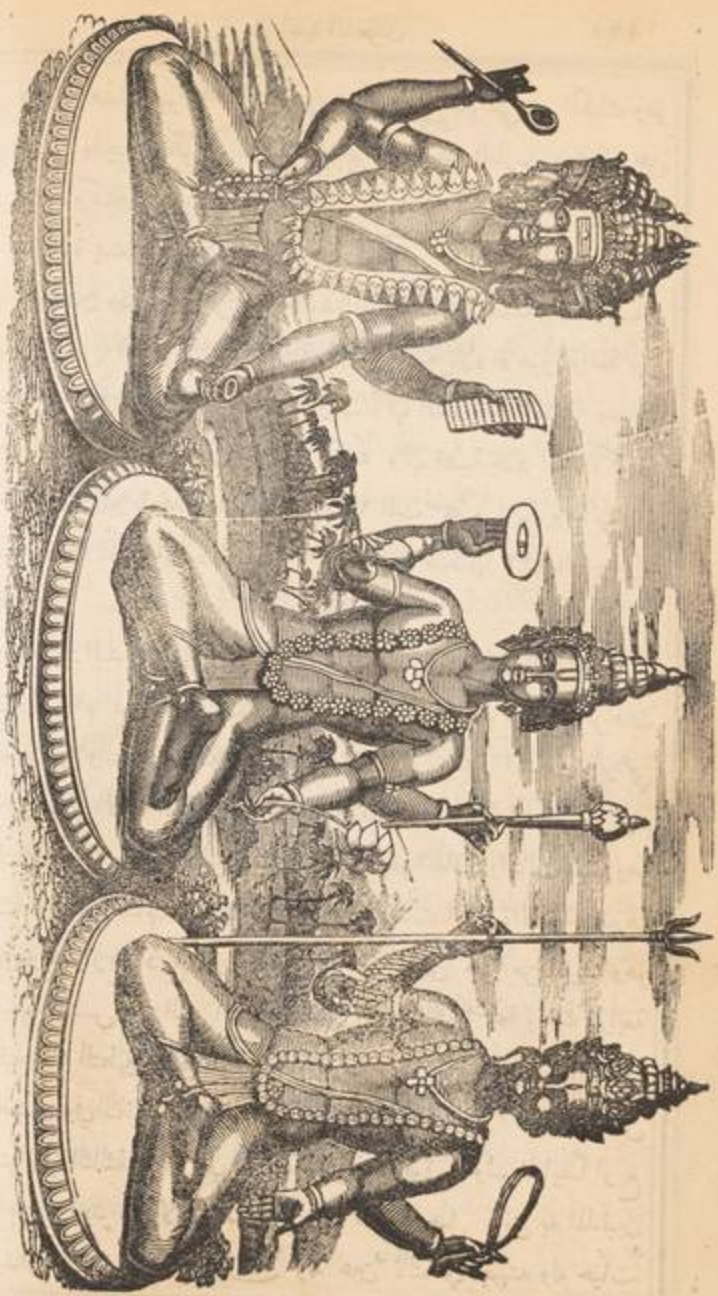
وقد اختلف المعلومون من جهة تسمية هذه البلاد هندياً فزعم البعض انها تسمت هكذا نسبة الى نهر الهند والسند وها كلمتان معناها باللغة السنسكريتية الازرق نسبة الى لون مياهه وقال آخرون ان اسم هند متخذة من كلمة ايندو ومعناها قرمز وذهب بعضهم ان هذه التسمية مقتبسة من كلمة هندو بالفارسية ومعناها الاسود نسبة الى سواد اهلها ولكن قلنا يوثق في صحة هذا الافتباس لانه يصعب التصديق بان امة من الامم تتخذ لنفسها اسماً ولقباً اجنبياً والاجدر بها ان تطلق على ذاتها لقباً مأخوذاً من نفس لغتها. والجغرافيون يقسمون الهند الى قسمين اي هندستان والهند الصينية اما الاول فهو اعظم واشهر وعليه يتعلق مدار الكلام واما الثاني فما كان مجاوراً لبلاد الصين ويتضمن ثلاث ممالك صغيرة وهي بورما وسيام وكوشين مما لا يسعنا الكلام عنه

وفي هندستان انهر عظيمة وجبال مرتفعة ورياض واسعة وهي جيدة التربة كثيرة الحواصل والاشجار واكثر اشجارها نافعة مفيدة وثمارها لذينة ولاسيما ما يسمونه مانكو واناناس فانه على ما قيل لا يوجد الا منه في العالم. ويوجد في هذه البلاد حيوانات كثيرة مختلفة الاجناس ولاسيما الفيل فهو عندهم كالجمل عند العرب ومن وحوشها الضاربة

التمر ويكثر هذا الحيوان في نواحي بنكالا على شواطئ نهر الكنك وهو من اشرس واجسر الكوامر حتى انه يهجم احياناً على الناس ويخطفه عن ظهر فرسه وكثيراً ما يسطو على الاسد ثم الكركدن وهو ذو قرن كبير شديد القوة يسطو على الاسد والتمر عند الحاجة

اما مدن هندستان فمن اشهرها مدينة كشمير وهي قسبة بلاد كشمير المشهورة بمعمل الشالات . ثم مدينة لاهور قسبة بلاد لاهور الواقعة بين الهند وافغانستان والهمج . ومدينة سورات . هي اقدم مدن الهند . ومدينة احمد اباد ومدينة الله اباد ومدينة كلكته وهي قسبة بلاد الهند وكرمي الحكومة الانكليزية وعدد سكانها نحو ٩٧٩ الف نسمة . ومدينة بومباي وهي فرضة حصينة تملكها الانكليز سنة ١٦٣٩ وعدد سكانها ٨٢٢ الفاً وغيرها من المدائن

والهنود اليد الطولى في بعض الصنائع والحسابات الدقيقة واليهيم تنسب الارقام الهندية المستعملة في العربية . ولهم عوائد قبيحة وخرافات دينية كثيرة والديانة العامة بينهم هي عبادة الاوثان على المذهب البرهمي نسبة الى برهم الاله العظيم عندهم الذي منه جاء ثلاثة آلهة على زعمهم الاول برهما وهو الخالق والثاني فيشنو وهو الحافظ والثالث سيفا وهو المهلك . وتصنع اصنام هذه الآلهة غالباً على هيئات الصورة الآتية . ولبرهما اربعة اوجه واربع اذرع باربع ايدي ففي يده الاولى جزء من الفيدا وهو كتابهم المقدس وفي اليد الثانية ملقعة وفي الثالثة مسجحة وفي الرابعة اناء فيه ماء التطهير . ولفيشنو ايضاً اربع اذرع باربع ايدي في يده الاولى بوق صدفي وفي الثانية الحلقة التي عند ادارتها تخرج منها نار آسكلة لا يمكن مقاومتها وفي الثالثة هراوة وفي الرابعة غصن حندقوق . ولسيفا ايضاً اربع اذرع باربع ايدي في الاولى صولجان وفي الثانية جبل يوثق به المذنبين اما البدان الاخرى ان ففارغثان وله عين ثالثة في جبهته وله حيات



برهما

ویشنو

شیوا

متعا
سبا
نہی

الار
العاد

متعلقة بأذنيه وفلادة في عنقه من رؤوس البشر
 وأما هندرا ملك الآلهة عندهم فيظنون ان له ألف عين وان عينونه
 ليست كلها في راسه بل متفرقة في كل جسمه وكل عضو من أعضائه
 حتى يرى كل شيء وانه يركب فيلاً كبيراً ماسكاً في اثنتين من أيديه



هندرا ملك آلهة الهنود

الارباع سلاحاً ووضعاً على كتفيه قوساً وهو متقدم لقائلة اعدائه وقد جرت
 العادة بينهم ان يحرقوا موتاهم بالنار وان مات رجل منهم وكان له زوجة

يحرقونها معه وهي في قيد الحياة ولكن قد ابطال الحكم الانكليزي هذه
العادة القبيحة ولم تعد تجري الا خفية او في الاماكن التي ليست تحت
حكم الانكليز

اما تاريخ الهند فهو من اسقم التواريخ مشحون بالخرافات والاقاويل
البعيدة عن التصديق مما لا يهيم القاري معرفته . وكان قد غزا هذه
البلاد سيوزستريس احد فراعنة مصر وتغلب على بعض اقاليمها واخذ منها
غنائم وافرة . ثم غزتها بعده الملكة سميرامس ثم قضاها داربوس هستاسب
ملك فارس واستخلص منها جملة ولايات ثم اقتحمها اسكندر المكدوني
بثمة وعشرين الف مقاتل واستولى على جانب عظيم منها . وكان قصد هذا
الملك الجبار ان يتوغل بجيشه في اقطار هذه المملكة ويستخلص جميع
ولاياتها وملحقاتها فلم يوافقته جنده على ذلك فالتزم ان يرتد راجعا

وقد غزا هذه البلاد ايضا المسلمون . اولاً سنة ٦٦٤ للميلاد ثم سنة
٧١١ في خلافة الوليد واستولوا على بعض ولايات الهند . وكان القائد على
جنودهم شاب يقال له محمد قاسم وكان جميل الصورة قوي الجنان ولم يكن
معه سوى ستة الاف فقط من الرجال المعتادين على خوض المارك
فكان يلتقي بهم صفوف الهنود ويشتت شملهم . وحيثما انتصر عرض على
الاهالي قبول الاسلام فمن اسلم سلم ومن امتنع وكان عمره فوق السبع
عشرة قتل اما النساء والاولاد فكانوا يستعبدون

ومما يستحق الاستغراب انه في احدى وقائع محمد التقاه مرة الهنود
بالقرب من مدينة حيدر اباد في خمسين الف مقاتل تحت قيادة رئيسهم
الراجا الظاهر فاشتبك بينهم القتال ومع قلة عدد المسلمين استظهروا على
الهنود وقتل الراجا وابنه ودخل المنهزمون الى المدينة وحاصروا فيها تحت
رئاسة ارملة ملكهم وبقوا محاصرين حتى فرغ زادم وساءت احوالهم من
شدة الحصار ولما يشوا من السلامة اجتمعوا بنسائهم واولادهم فودعهم ثم

أحرقوهم بالنار خوفاً من وقوعهم في ايدي الاعداء وبعد ذلك خرجوا من المدينة وهجموا على صفوف المسلمين فالتقاهم محمد قاسم بابطاله وفرسانه ولم تكن الا جولة حتى افناهم كلهم وقبض على ابنة ملكهم الراجا الظاهر وكانت من الحسان وارسلها هدية الى امير المؤمنين فلما تمثلت بين يديه اعجبته وطلب ان يتزوج بها فقلته له اعلم ايها الامير اني لا استحق ان اكون لك زوجة لان قائد جنودك الذي ارسلني اليك قد اساء معي الادب وفعل بي ما لا يليق فغضب الوليد من قبيح فعل محمد واصدر امراً بان يوثق به اليه مغلولاً فعند وصول الامر الى المعسكر قبض على محمد قاسم وارسل الى الخليفة على الوجه المذكور وفي اثناء الطريق فارقت الحياة وعند وصول الجثة الى بغداد استدعى الوليد الاميرة الهندية واراها ما حل بمغتصبها ففرحت واتهمت ثم اخبرت الخليفة بان جميع ما حدثه به في شان محمد قاسم لم يكن له صحة ولكنها فعلت ذلك لتنتقم منه وتاخذ بثار ايبيها ووطنها فتعجب الخليفة من امرها وازدادت رغبته فيها وبعد موت القائد المذكور تجمعت طوائف الهندوت وتعصبوا بعضهم مع بعض وثاروا المسلمين واستخلصوا منهم جميع املاكهم وطردوهم من بلادهم

وسنة ٩٦٧ للميلاد غزت الاعجم بلاد الهند مرة اخرى تحت راية سوبكتاجي حاكم ولاية كندهار التي هي ولاية فارسية وعاصمتها غزنة فانصر على ملك لاهور واستولى على جملة مدائن وضمها الى اراضي افغانستان وبعد موته خلفها لابنه محمود الغزنوي سنة ٩٩٧ ولما تمكن من الولاية حدثه نفسه بالاستقلال والخروج عن طاعة الاعجم فعصاهم وثار بهم واستقل بولايته وكان ملكاً عالي الهمة شديد البأس غيوراً على دين الاسلام غزا الهند اثني عشرة مرة وغنم منها غنائم كثيرة وقتل من اهلها عدداً عظيماً وحمل ثروتها وسكانها الى غزنة حيث كان يباع

الاسير بقيمة ريال ٠ وبعد انتصارات عديدة توفي محمود المذكور سنة ١٠٣٠
 وكانت مدة ملكه ٣٥ سنة ونقل خلفاؤه كرسبي السلطنة من غزنة الى
 لاهور وجعلوها عاصمة افغانستان ٠ ثم خلف العائلة الغزنوية العائلة الغورية
 واشهر ملوكها محمود الغوري وفي ايامه ايضا امتدت فتوحات الاسلام
 في الهند ٠ ثم قصد الهند شعوب المغول واخصهم تيمورلنك وخلفاؤه ٠ واشهر
 ملوكهم محمد بابير زحف على هندستان سنة ١٥٠٥ وبعد ما اخضع
 كندهار وكابل ودلهي واغرا أسس سلطنة الهند المغولية وبقيت في
 ايدي ذريته الى سنة ١٧٦٠ اما مدة ولاية المسلمين في تلك البلاد من
 زمن محمد الغزني الى انقراض دولة المغول فكانت ٧٥٠ سنة وعدد
 ولايتهم ٦٥

ومن اشهر ملوك المسلمين من العائلة المغولية الملك اورنزيب كان
 رجلاً انيساً شجاعاً ذا دراية وسياسة وكان مع هذه الاوصاف ديناً ورعاً
 زاهداً كثير الصلاة والصوم استولى على هذه المملكة من سنة ١٦٦٠ الى
 ١٧٠٧ وتقلب على كل اقاليمها وجعلها ولاية واحدة وبعد وفاته استولى
 نسله عليها مدة خمسين سنة ٠ وفي ايامهم غزا نادر شاه ملك الفرس تلك
 البلاد فأضربها بابلها ضرراً جسيماً وسلب اموالهم حتى قيل انه خرج منها
 بنحو عشرة ملايين من الليرات الانكليزية ما عدا الجواهر والامتعة الثمينة
 التي لم تكن اقل قيمة من المبلغ المذكور ٠ وكان المستولي وقتئذ على الهند
 من ذرية اورنزيب محمد شاه فاستدعاه نادر شاه اليه بعد ان كان قد
 استولى على تلك الغنائم واجلسه على كرسي المملكة بحضور اشراف الهنود
 وعظمائهم ٠ ثم التفت بعد ذلك الى الحاضرين وقال لهم اعلموا اني راحل
 عنكم الى بلادي فيجب عليكم ان تكونوا في طاعة ملككم ولا تخالفوا له
 امرأ وليكن عندكم معاوماً اني قد صرت لكم من الان وصاعداً محبباً
 وصديقاً فاعتمدوا على كلامي هذا وتحققوه وكان في اثناء خطابه لم ابصر

على راس محمد شاه جوهره ثمينه من نفيس الماس (وهي المعروفة بالكوهينور التي هي الآن في قبضة ملكة انكلترا) فاعجبته وطمع في اخذها فجعل يوء كد لهم مزيد صداقته واستعداده لمساعدتهم ولكي يجعلهم واثقين بكلامه اراد ان يثبت ذلك العهد بعلامة ظاهرة حسب عوائد اهل الشرق فنزع عمامته عن راسه ووضعها على راس محمد شاه بعد ان اخذ عن راس محمد شاه عمامته ووضعها على راسه فكان ذلك التبادل نهاية سلبه وكان اول من دخل من الافرنج الى بلاد الهند البورتوغاليين سنة ١٤٩٨ وم الذين اكتشفوا راس الرجاء الصالح ودعوه بهذا الاسم وفيه اقل من خمسين سنة صار لهم املاك واسعة وبدائن كثيرة في بلاد الهند ثم امتدوا الى اطراف السند وصار لهم عدة مراكز تجارية في بنكال وليكنهم اذ لم يحسنوا السلوك مع الاهالي مقتوم واشهروا لهم الاذية والضرر . ولما انضمت البورتوغال الى اسبانيا سنة ١٥٨٠ وكانت يومئذ اسبانيا مضطربة الاحوال من جهة املاكها الاميركانية اهملت الالتفات الى حفظ املاكها الهندية فكان ذلك من اقوى الاسباب لخسرتها اياها تدريجاً

ثم بعد البورتوغاليين دخل الفلنكيون الى الهند في بداية القرن السابع عشر واستولوا على بعض شطوطها واستخلصوا من البورتوغالين سيلان وكوشين ونيقا باتام وغيرها لكنهم التزموا اخيراً ان يتنازلوا عن اغلب مملكتهم الى الانكليز الذين دخلوا تلك البلاد من بعدهم اما بداءة دخول الانكليز دخولاً حقيقياً فكان سنة ١٦٠٠ حين تشكلت شركة تجارية للتجارة في الهند الشرقية وكانت اول اقامتهم في سورات . وفي سنة ١٦٤٠ سمح لهم احد ولاة الهند بقطعة ارض تبلغ مساحتها خمسة اميال مربعة فابتنوا لهم فيها مركزاً ثم اشتروا من وال آخر بعض اراض واقاموا فيها عدة مراكز وكانت هذه المراكز اشبه بمخانات

لوضع بضائعهم ومناجرهم وذخائرهم الحربية لانهم كانوا دائماً يحفظون على انفسهم حذراً من غزوات الاهالي والافرنج الاجانب. ولا أمر يرده الله حدث في اواسط القرن السابع عشران ابنة الشاه جهان في مدينة دلهي احترقت وهي بالقرب من النار فارسل الشاه يطلب طبيباً من الانكليز فارسلوا له جراحاً ماهراً فعالجها حتى شفيت فسأله ابوها ان يطلب ما يريد ليكافئه على خدمته فطلب اليه امراً باعطاء الرخصة للشركة ان توصل تجارتها الى كل اقطار السلطنة بدون ان تدفع عليها رسماً ثانياً خلاف المدفوع في سورات وان ياذن لها ايضاً باثناء مراكز جديدة. فصادف هذا الطلب مزيد القبول وصدرت الاوامر باجرائه من ذلك اليوم. سنة ١٦٦٣ وهب الشاه جهان المذكور كارلوس الثاني ملك انكلترا جزيرة بومباي فتنازل عنها الى الشركة تحت مبلغ معلوم فتقاولوا اليها من سورات وجعلوها مركزهم الاكبر بعد ما اقاموا فيها حاكماً انكليزياً ومع ان الفرنسيين لم يدخلوا الهند الا بعد الانكليز بخمسين سنة فانهم في وقت قريب استملكوا فيها املاكاً وكانت قوتهم وسطوتهم تفوقان قوة وتفوذ الانكليز في اول الامر اذ انهم قهرهم اكثر من مرة واخذوا منهم بعض املاكهم وبقيت في ايديهم مدة حتى استرجعوها فيما بعد. وكان للفرنساويين مزيد الاعتبار وتفوذ الكلمة بين الاهالي اكثر من غيرهم من الافرنج لانهم كانوا يتداخلون في امورهم الداخلية ويتواسطون فض مشاكلهم ويتحزون في اغراضهم فكانت الاهالي تؤدبهم وترغب في مصاحبتهم ولكن بعد ملاقات الانكليز للهنود في حرب بلاسي واستظهارهم عليهم بثلاثة الاف مقاتل تحت قيادة الرئيس كلايف بينما كان عدد الهنود خمسين الفا ارتفع شأنهم بين الاهالي ووقعت هيبتهم في قلوب الجميع فكان نجمهم في صعود بينما كان سعد الفرنسيين في هبوط وسقوط ولا سبباً بعد انتصارهم عليهم في ١٢ ك ٣ سنة ١٧٦١ وامرم

حكمدارهم موسيو لالي واستيلائهم على بونديشيري عاصمة مدنها التي
 ارجعوا لم عقب وقوع الصلح . فمن ذلك الوقت تناقصت السطوة
 الفرنسية في بلاد الهند واخذت شركة الانكليزية لتقوى شيئاً
 شيئاً حتى استولت على الجانب الاكبر من بلاد الهند وصارت ذات اهمية
 عظيمة . فما اضاعته انكثرت في القرن الثامن عشر من املاكها الاميركانية
 استعاضته في الوقت ذاته من بلاد الهند ولكن بعد مشقات كثيرة ونفقات
 وافية لان الفتن الداخلية كانت بلا لقطاع وعصيان الاهالي كثيراً ما
 زعزع اركان الشركة

واستمرت حكومة الهند في ايدي الشركة الى سنة ١٨٦٠ حين
 استلمت زمامها الحكومة الانكليزية وهي الآن في يدها وتحت تصرف
 احكامها وايرادها السنوي يعادل ايراد انكثرا الذي يجاوز سبعين مليون
 ليرة انكليزية

الفصل الثالث عشر

في باقي ممالك اسيا

كان كلامنا في ما سبق على اشهر دول اسيا وممالكها واذ وُجد ايضاً
 عدة ممالك في هذه القارة رأينا ان نتعرض لذكرها بوجه الاختصار
 فنقول . من جملة هذه الممالك طوايف السكيثيين اقاموا في الجهة الشمالية
 من اسيا وكانوا شعوباً متوحشين اتصفوا بالقوة وشدة البأس ولا سيما

رعي النبال وقد توغلت جموعهم في الجنوب وافتتحوا عدة ممالك في تلك
الاطراف واستولوا عليها وقد اجتهد كثير من ملوك اوربا واسيا ان يدخلوا
هؤلاء القوم تحت الطاعة والانتقاد فاقاموا عليهم حروباً كثيرة ولم ينجحوا
ومن هذه الامة تكونت مملكة الفرثيين التي امتدت سطوتها فيما بعد الى
بلاد فارس وغيرها من الممالك واستمر حكمها نحو خمس مئة سنة وذلك من
سنة ٢٥٠ ق م الى سنة ٢٥٠ بعد المسيح

وعلى توالي الايام سميت اراضي السكيثيين بلاد التروم وشعوب كثيرة
متفرقة ولكنهم ليسوا احسن حالة مما كانوا عليه في الايام السابقة وهم
منقسمون الآن الى ثلاثة اقسام. القسم الاكبر منها في اقسام الشمالية
من اسيا وهو تحت تسلط المسكوب وطوائفه متعددة يجولون بين تلك
البراري الشاسعة وليس لنا من امرهم تاريخ يذكر. والقسم الاوسط تحت
حكم الصين. واما القسم الاصغر فذو حرية واستقلال لا يتسلط عليه احد
وهو المعروف ببلاد التتر المستقلة واهله من قبائل مختلفة وكل قبيلة منها
يتسلط عليها امير من جنسها واما ديانتهم فمنهم مسلمون وشيعة يضاھون
العجم مذهباً

وقد اشتهر من رجال هذه البلاد جملة اشخاص يستحقون الذكر منهم
ترموجين الذي سمي جنكيز خان من قبيلة المغول كان ابوه حاكماً على
بعض قبائل تترية عند شاطئ نهر سالنيكا يبلغ عددها ٣٠ او ٤٠ الف
عائلة وبعد وفاة ابيه سنة ١١٦٤ اظهرت الرعايا العصيان فنهض جنكيز
لحاربهم وهو يومئذ ابن ١٣ سنة واخذ يخضعهم شيئاً فشيئاً حتى تغلب
عليهم جميعاً فعظم امره واكتسب شهرة عظيمة ونودي باسمه خاناً على
المغول والترومسي جنكيز خان الذي تفسره خان الخانات. ومن جملة
حروبِه انه غزا بلاد الصين الشمالية وافتتحها ثم زحف بسبع مئة الف
مقاتل من المغول والتتر على البلاد الاسلامية فاخضعها وخرّب مدنها

وامتدت غزواته من ولايات العجم الغربية الى شطوط نهر الفولكا واقصى سواحل بحر الخزر. وكان جنكيز خان المذكور اشد قساوة ممن سبقه وخلفه من الملوك الظالمين ومما يحكى عنه انه امر بقتل مئة الف رجل من اسراه في يوم واحد. وينسب اليه هلاك ١٤ مليوناً من الجنس البشري الذين قتلوا بجروبه وغاراته المتتابعة. وقام بعد جنكيز خان اولاده الاربعة فحاربوا ممالك اسيا وافتحوها تقريباً واولوا فتوحاتهم الى قسم كبير من اوربا ولا سيما كولي خان حفيد جنكيز خان فانه كان قد اكل افتتاح الصين وقرض منها فضلات العائلة الملكية الصينية ثم بنى مدينة باكين وجعلها عاصمة المملكة واخضع بنكال وتيب و ضرب على اهلها الخراج. ومن ذرية جنكيز خان الملك هلاكو الذي خرب مدينة بغداد ثم غيره من الملوك الذين اخضعوا كثيراً من البلاد الاوربية بواسطة قواد جيوشهم ولكن لم يمض كثير حتى ان تلك القواد خلعت طاعة ملوكها واستقلت في الولايات التي افتتحها ورفضت العبادة الاصنامية وعوائد المغول والصينيين القبيحة واعتنقت الديانة الاسلامية

وممنهم ايضاً تيمورلنك بن تيمور الاعرج ولد في مدينة القش بالقرب من سمرقند من اعمال بخارى سنة ١٣٣٦ وكان نسبه متصلاً بجنكيز خان من النساء ولما اشتهر امره اقام عمه واليا على احكام القش وسار لافتتاح الممالك واخذ حينئذ يتقدم شيئاً فشيئاً حتى ساد واستولى على كثير من الاقطار. سنة ١٣٧٠ سعى نفسه خاناً واخضع مدينة خوارزم وقشغر وجميع اطراف اسيا شرقي بحر الخزر ثم تغلب على بلاد ايران وما يليها ومنها تحول الى روسيا فنهب مدينة ازوف وهدمها ثم زحف بجيوشه الى الهند واجتاز السند وحارب الملك محمد الرابع تحت اسوار مدينة دلهي فهزمه وامتلك المدينة مع باقي الولايات التابعة لها ثم قصد بلاد سورية سنة ١٤٠٠ وافتتح حلب والشام وسائر المدن الشامية واستخلصها من يدي

سلطان مصر ثم سار الى بغداد سنة ١٤٠١ فحاصرها وهدم ابراجها ووقع
 باهلها. ولما تمهدت له ولايات تلك البلاد نهض لمحاربة بني عثمان
 فحاربهم واستولى على امصارهم ومن هناك حول وجهه الى الشرق قاصداً
 بلاد الصين بمئتي الف مقاتل ولكنه مات على الطريق سنة ١٤٠٥. ومن
 اعالي القبيصة انه امر باحراق مدن كثيرة منها الشام وبغداد ودلهي وفي
 هذه المدينة امر بمقتل مئة الف من الاسرى وغير ذلك من الاعمال الفظيعة
 ومن ممالك اسيا مملكة يابان من الجهة الشرقية من بلاد الصين وهي
 مجموع جزائر في الاوقيانوس المحيط اعظمها جزيرة نيفون وعدد سكان هذه
 المملكة نحو ٢٦ مليوناً وهم في الاصل صينيون هاجروا بلادهم في الازمنة
 السالفة بسبب مغازي التتر وجور المغول واستوطنوا في هذه الجزائر ولذلك
 يشبهون اهل الصين في الهيئة والعوائد والدين. ومن اعظم مدنتهم
 مدينة يدو وهي قاعدة السلطنة وليس لبيوتها الا طبقة واحدة او طبقتان
 فقط بسبب الزلازل ومينائها غير عميق لا يمكن للسفن ان ترسو الا على
 بعد خمسة فراسخ ويحيط ببلاط السلطان جدران من الحجر وخنادق
 وقناطر توضع وترفع عند الحاجة ويحيط ذلك البلاط خمسة فراسخ كل
 فرسخ مسير ساعة وبها ديوان طوله ست مئة الف قدم وعرضه ثلاث مئة
 ولها برج مربع سقفه من خشب الارز والكافور وهو مزين بتعابين مذهبة
 وتساوير مزخرفة وفرشه منحصر في حصر بيضاء مزينة بالقرش والمساند
 المشغولة بالذهب

واهل يابان بوجه الاجمال حسان المنظر وعندهم سهولة في حركاتهم
 وبنيتهم قوية ليسوا بالطوال ولا بالقصار ولونهم يضرب الى الاصفرار
 واحياناً يميل الى السمرة ونساء اكبرهم لا يتعرضن للهواء والشمس من
 غير قناع. واوراق الاهالي بوجه العموم تمتاز عن غيرها من الناس
 بعيونها فان شكل عين الواحد منهم يبعد عن الاستدارة فتكون العين

مستطيلة صغيرة في الراس واجنات عيونهم مشقوفة شقاً عميقاً واهدابهم اعلى من مكانها المعتاد عند غيرهم . واغلبهم عريض الراس قصير الرقبة غليظ الانف كأنه مجدوع وشعورهم سوداء كثيفة برافة وهم يحلقون نصف شعر رؤوسهم والباقي يرفعونه الى اعلى رؤوسهم على شكل العفوية (الشقضية) بخلاف الصينيين ويأزرون في سفارهم بأزر ضخمة من ورق مدهون بالزيت وتحتيتهم عبارة عن انحنائهم عدة مرات كالركوع . ويحملون في ايديهم المراوح ويفخرون بشدة تدقيقهم في النظافة . ومن عرائدهم انهم يحرقون اجسام الموق من اعيانهم ويشهرون عيداً يسمى عيد المصاييح كما يقع ذلك في بلاد الصين ولكنهم يضيفون اليه زيارة القبور في اوقات معلومة . والامر مجهول هل عرف الاقدمون شيئاً عن احوال هذه المملكة ام لا لان التواريخ لاتفيدنا عنها شيئاً وبقي وجودها مجهولاً للناس الى سنة ١٤٠٠ للمسيح حين اكتشفها الاوربيون ولكن اذ لم يسمح للاجانب ان يدخلوها الا حديثاً كانت معرفتنا بها قليلة . والظاهر انه قد دخل هذه البلاد مؤخراً بعض التنوير لان ملكها شارع الآن في تحسين حالها واصلاحها وملتفت جداً الى ترقية اسباب المعارف والصنائع فيها وقد استجلب عدة معلمين ومهندسين من اميركا وفرنسا لفتح المدارس ونظم المعامل على اختلاف صنوفها وغير ذلك من الامور المتعلقة بنجاح البلاد

ومن ممالك اسيا ايضاً ارمينية وكانت في الازمنة القديمة مملكة عظيمة الشأن يتبدى تاريخها من بعد الطوفان بزمن يسير ومواسمها يافث بن نوح ومن اشهر ملوكها الملك هايكوس ثم ارمانياك ثم امايوس ثم آرام ثم الملك ابكاربوس المعروف بالابجر الذي كان في عصر المسيح واستمرت هذه المملكة في زهوها وعزها نحو الف سنة ثم تغلب عليها الماديون والفرس ثم اسكندر الكبير وبعد وفاته تسلط عليها السريان الى ان تغلب عليها

وزيرا انطيوخوس الكبير اللذان قاما على ملكهما وخلصا طاعته وعصياه
 وسنة ٢٢٣ ق م قسما المملكة بينهما الى قسمين فاقسم الواحد كان يدعى
 ارمينية الكبرى والآخر ارمينية الصغرى. وبعد ذلك بزمان تسلط عليها
 الرومانيون والحجم سنة ١٥٢٢ مسيحية ثم تسلط عليها آل عثمان ولم تنزل
 خاضعة لهم الى الآن

ومن هذه الممالك تركيا في اسيا وسياتي ذكرها مفصلاً ان شاء الله
 تعالى عند ذكر دولة آل عثمان في اوربا. وفي قارة اسيا ايضاً عدة ممالك
 غير هذه لم نتعرض لذكرها لعدم شهرتها كمملكة سيام وكوشن
 وبرمن وكابول وبلوخستان وغيرها من البلاد التي لا تبهم
 معرفتها. وفي الاقسام الشمالية من اسيا تسكن طوائف
 من التتر التي يجولانها بين تلك البراري المتسعة
 في تلك القرون الماضية لم تترك لنا تاريخاً
 واضحاً واما الآن فهي تحت تسلط
 دولة المسكوب

الفصل الثاني

في قارة افريقية

الفصل الاول

في جغرافية افريقية واهلها وهوائها

هذه القارة احدى اقسام العالم الخمسة تبلغ مساحتها نحو ربع مساحة كل الارض يحدها شمالاً ببحر الروم والاقيانوس الاطلانتيكي وشرقاً برزخ السويس والبحر الاحمر والاقيانوس الهندي وجنوباً الاقيانوس الجنوبي وغرباً الاقيانوس الاطلانتيكي وكانت قبل فتح برزخ السويس ووصل البحر الاحمر ببحر الروم متصلة بقارة اسيا برماً ولما الان فقد اصبحت جزيرة مكثفة بالماء وهذا البرزخ اضحى خليجاً بعدما كان قد شرع كثير ون في فتحه قبل المسيح بست مئة وعشر سنين ولم يتم هذا العمل العظيم حتى شرع فيه صاحب الحزم والهمة الخواجا فردينند دي لبسب الفرنسي ساوي بنفقة شركة عمومية وذلك بعناية حضرة خديوي مصر وانتهى فتحه سنة ١٨٦٩ بحضور محفل عظيم من الملوك والامراء الاوربيين وهو بعد الآن من اهم واعظم الاعمال البشرية التي جرت في الدنيا واصبح العالم

الغربي متصلاً بالعالم الشرقي على اسهل واقرب طريق بعد تلك المسافة الشاقة والمدى الطويل

ولا يخفى ان في هذه القارة بلاداً كثيرة مجهولة الحال لا تعرف على وجه الحقيقة وذلك لعدم امكان وصول ارباب الاكتشافات اليها نظراً لمخاطرها. وقد اجتهد كثيرون من السياح في معرفة اقاليمها واحوال اهاليها والوقوف على اراضيها المجهولة فقصدها من بلاد بعيدة وتوغلوا في بطون اراضيها فمنهم من مات مريضاً ومنهم من مات قتيلاً ولذلك يعتبر اغلب اهالي تلك القارة اقل تمدناً من سكان سائر القارات

ولكن سنة ١٨٦٦ ارسلت الحكومة الانكليزية الدكتور لفتستون السائح الافريقي الشهير لاجل اكتشاف باطن افريقية الى الجنوب من خط الاستواء ولجل الوقوف على التجارة بالعبيد. ومن ذلك الوقت لم يظهر خبر عن السائح المذكور الى ان ذهب رجل اميركاني في طلبه اسمه ستانلي سنة ١٨٧٢ وبعد سفر طويل وجده مريضاً في اوجيجي وكان قد فرغ زاده وماله فبقي عنده مدة من الزمان وسافرا سوياً في بحيرة تانكيكا. ثم رجع ستانلي وبقي لفتستون يجول في تلك الاراضي الواقعة بين خط الاستواء وعشرين درجة من العرض الى الجنوب. وقد ظهر الى الآن من اسفاره ان البلاد التي في تلك النواحي مرتفعة عن البحر ارتفاعاً عظيماً ومشحونة بالبحيرات والانهر التي يستقصى نهر النيل اليها. وقد وجد التجارة بالعبيد هناك على شر حاله وبناء على ذلك ارسلت الحكومة الانكليزية حديثاً السير بارتر فرير الى سلطان زنجبار الذي يتعاطى شعبه هذه التجارة الفظيعة وبعد مناظرات طويلة عقدت معه عهداً على ابطالها كما انها سمعت في ابطالها في بلاد مصر وغير اما كن من سواحل افريقية حتى يمكن القول ان الاتجار بالعبيد صار على وشك الزوال تماماً. وقد مات لفتستون بعد ذلك بسنين قليلة وكثير تردد ستانلي وغيره الى باطن

افريقية وعرف كثيراً من امورها سيأتي بفوائد جمة للدين والدنيا
 اما هواة هذه القارة فهو حار جداً نظراً الى وضعها الطبيعي وهي
 قليلة الامطار والاشجار والجبال . واما صحاريها ورسومها فكثيرة جداً
 ويعسر المرور فيها وفي بعض الاماكن تهب ريح السموم وهي مضرّة جداً
 ولاسيما للحيوان والنبات . وفي اواسط افريقية كثير من الحيوانات البرية
 والوحوش الضاربة كالاسد والثور والتمهد والضبع والفيل والكركد اي



وحيد القرن والزرافة . وفي آجامها
 انواع من القروذ والحيات العظيمة
 منها البواه وهو جنس كثير
 الضرر يبلغ طوله عشرين ذراعاً
 وفي صحاريها كثير من النعام
 وانواع الابل والغزلان . وفي
 بحيراتها وانهرها التماسح وفرس

البحر وفيها ايضاً اجناس عديدة من الطيور المختلفة افعى من اناحي مصر السامة
 اما عدد سكان هذه القارة فيبلغ تقريباً مئة مليون نفس منه سودان
 وبرايرة واقباط وحبشة وغيرهم . وفي الصحراء الشمالية الكبيرة كثير من
 قبائل العرب الرحل يجولون من مكان الى مكان بجاهلهم وخيولهم في
 طلب الغزو والمرعى كما في بلاد العرب . والديانة العامة هي الاسلامية
 وبين السودان مذاهب مختلفة من العبادة الاصنامية . ومع ان اللغة
 العامة هي العربية توجد لغات كثيرة متنوعة في اواسط القارة

والمرجح ان اهل هذه القارة هم من نسل حام بن نوح الذي اتى
 وسكن ارض مصر بعد بناء برج بابل وما يؤيد ذلك قرب مصر الى بلاد
 شتار ورغبة مصر ايم ابنه ان يسكنها ويؤسس فيها مملكة
 وتنقسم هذه القارة الى عدة ممالك منها الديار المصرية التي اشتهرت

قديمًا أكثر من سواها من الممالك بالمعارف والفنون كما سيأتي الكلام عليها
في الفصل الآتي. ثم بلاد المغرب ويقال لها أيضًا بلاد البربر كتنوس
وطرابلس والجزائر ومراكش وغيرها ثم بلاد النوبة والحبشة والسودان
في اواسط القارة وغيرها من الاقاليم مما لا يسعنا ذكره في هذا المختصر

الفصل الثاني

في تاريخ مصر

الباب الاول

في جغرافية مصر

يحد هذه البلاد شمالاً البحر المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وخليج
السويس وجنوباً بلاد النوبة وغرباً الصحراء وبلاد بركة وهي على شكل
وادي بكتنفه جبالان شرقي وغربي يتخللهما نهر النيل من الجنوب الى
الشمال وصب في البحر المالح بقرب مدينتي دمياط ورشيد وهو نهر عظيم
يصلح لركوب السفن بفيض مرة كل سنة في مدة معينة تقريباً بين
١٥ حزيران واواسط ايلول فيبتدىء النهر يزيد قليلاً قليلاً في مدة
ثلاثة اشهر وفي ١٥ آب تفتح الترع وتجري فيها المياه وتمتد الى داخل الاراضي

البعيدة وتسقيها. ثم من تشرين الاول يتبدى وينقص الى آخر ايار ولولاه
لكانت ديار مصر في حالة تعيسة لقلة الامطار لانه لا يقع فيها مطر الا
في الارياض والقرى البحرية ونادراً في الجهة الجنوبية وقد وصف
هذا النهر بعض الشعراء فقال

كأن الليل ذو فهم ولب
لما يبدو خير الناس منه

فيأتي حين حاجتهم اليه
ويضي حين يستغنون عنه

وانقسمت مصر قديماً الى ثلاثة اقسام كبيرة. الاول مصر العليا اي الصعيد
المتصل ببلاد النوبة التي قسم كبير منها تابع احكام مصر وكانت قاعدتها
مدينة ثيبة. ثم مصر الوسطى التي كانت عاصمتها مدينة منفيس الواقعة
بقرب اهرام الجيزة تجاه مدينة القاهرة الحالية وقد اصبحت الان خراباً بعد
ان كانت من اشهر مدائن العالم وكرمي الفراعنة في ذلك الزمان. ثم
مصر السفلى المعروفة باسم دلتا وسميت دلتا لانها اذ كانت منحصرة بين
جدولين من النهر شرقاً وغرباً والبحر شمالاً صارت مثلثاً فاشبهت الحرف
الرابع في اللغة اليونانية Δ وسميت باسمه. وكانت عاصمة هذا القسم مدينة
هليوبوليس فانمحت وبنيت على اساساتها مدينة الاسكندرية ويتبعه
ايضاً مدن اخرى شهيرة لايسعنا تبيانها

اما تربة هذه البلاد فتعد من الدرجة الاولى في الخصب ومحاصيلها
كثيرة اخصها القطن والحنطة والبقول وقصب السكر وهي بالاجمال بلاد
غنية جداً. اما عدد سكانها فيبلغ نحو ستة ملايين ويسكنها كثير من
الاجانب والديانة الغالبة فيها الاسلامية ويثنيها القبطية. وعلى راي
المؤرخين ان الاقباط هم المنتصرون من ذرية الامة المصرية القديمة
واكثرهم يسكنون بلاد الصعيد ونوبة واغلبهم تجار وسامرة وكتبة. واما
لغتهم فقد تلاشت واندثرت في اواسط القرن السابع عشر ولم يبق من
آثارها الا بعض كتب فقط قل من يفهمها وهم الان يتكلمون اللغة

العربية ولم بطريرك كرسية مدينة جرجاء يدعى البطريرك الاسكندري
والاورشليمي. وما زال القبط في هذه الايام على طريقة العهد القديم من
جهة الختان

وفي هذه البلاد تأسست الرهينة اولاً. فانه بسبب الاضطهاد الذي اثاره
الامبراطور ديسوس على المسيحيين في القرن الثالث فر كثير منهم الى
البراري للتخلص من جور الحكام وكان من جملة النازحين رجل يقال له
بولس من مدينة ثيبة انفرد بذاته وانعكف على العبادة والاصوام فحسب
اول من ظهر فيه روح الرهينة. ولكنه ظهر في اوائل القرن الرابع رجل
آخر يدعى انطونيوس فبنى ديراً وجمع فيه اناساً ممن كانوا يميلون
للاعتزال عن العالم ونظم لهم قوانين للسلوك بموجبها ولذلك سمي بابي
الرهبان. ثم ان هذه الطريقة اخذت في الامتداد حتى اتصلت الى
فلسطين وسورية بواسطة احد خلفاء انطونيوس وبالتدريج عمت اكثر
عالم النصرانية

الباب الثاني

في تاريخ مصر واهم الحوادث المتعلقة بفراعنتها من سنة

٢٢٠٠^(١) ق م الى خروج الاسرائيليين

اما اخبار مصر القديمة وفراعنتها فمحاطة بظلمة كثيفة وقلما يوثق
بها للاختلاف الواقع في عدد اسماء ملوكها وتواريخها. اما اسماء الملوك

(١) انه اذ لم يتفق علماء التاريخ حتى الآن من جهة بداية التاريخ المصري بعد
علينا تعيين تاريخ ما لا عصره الاولي غير اننا نقول انه اذا سلطنا بسلسلة نتائج الدول
المصرية على ما جاء به ماينو المورخ المصري وبالكتابات الهيروغليفية المنقوشة على
الاثار القديمة التي يظهر انها توافقه نضطر الى ان نرجع كثيراً الى وراء التاريخ الخارج

وعدد سني تسلطهم على رواية مانيثو المؤرخ المصري فلم تكن جميعها متتابعة بل كان ملوك كثيرون في عصر واحد منهم من كان مستقلاً بأقاليم ومنهم من كان منفرداً بمقاطعة أخرى ودُعوا جميعهم فراعنة جمع فرعون وهي كلمة مصرية اصلها فراه ومعناها نور الشمس . وقد عدّ المؤرخون دولها قبل فتوح الاسلام فكانت نحو ثلاثين دولة فالدولة الاولى كانت قبل المسيح بنحو ٢٢٠٠ سنة واول ملوكها منثر المسمى بالتورات مصرام فكان معتبراً بين شعبه ومهاباً عندهم حتى انهم قدموا له العبادة كاله وهو الذي بنى مدينة منفيس وحوّل النيل عن مجراه الاصلي واصلح احوال الرعية بتحسين الزراعة ونظم القوانين والاحكام وكانت مدة حكمه نحو ٦٢ سنة . وتملك بعده ابنه اثوثيس ويقال انه تولى على مصر العليا او الصعيد مدة ٣٠ سنة في ايام ابيه وحكم بعده ٢٧ سنة وهو الذي شرع في تزيين مدينة منفيس وتحسينها وبنى فيها الهياكل والقصور المشيدة وفي ايامه كانت الدولة الثانية والثالثة متسلطتين على بعض اطراف المملكة .

الذي يجعل سمي = المسح ٢٣٤٨ سنة بعد الطوفان والمدة من الخليفة الى المسح ٤٠٠٤ سنوات فلا يخفى ان التاريخ البحري قائم على مجموع انساب مختلفة ذكرته التوراة خاصة في سفر التكوين مسطرحة من اعمال البطاركة ولكنه امر معلوم ايضاً ان كل درجات الانسان لم تكن ضرورة الذكر في جداول اليهود كما يتضح من سلسلة نسب المسح في لوقا ص ٣ : ٣٦ حيث يذكر فينان مع انه قد اهل ذكره في التكوين وكما يظهر ايضاً من ترتيب متى عمود نسب المسح اذ يجعل المدة من ابراهيم اليه ثلاث مرات ١٤ جيلاً . ثم اذا حسبنا المدة الفاصلة بين الطوفان وولادة ابراهيم من مواليد واعمار البطاركة العشرة المتسلطين من سام تك ١١ : الى ٢٦ نجد ما حسب النسخة العبرانية لا يتجاوز ٢٥١ سنة حال كون النسخين السامرية والسومرية نثقان يجعل تلك المدة ٩٤٢ سنة فينبغي على ذلك لا يمكن الاعتقاد على تلك السلاسل النسبية ولا اعتبارها جداول اصلية لتاريخ العالم العام لان النبي موسى لم يقصد فيها ضبط تاريخ عمومي للخليفة ولا ان يحدد زمن الطوفان بالنسبة الى الزمن الذي عاشه موسى بل قصد ذكر ملخص نسب الملخص المارعود به . ولكن مع كل ذلك قد استنسبنا ان نتبع في هذا الكتاب التاريخ الماعول عن الجداول الموسومة لتتفق مع من اخذنا عنهم اقولنا

وذكر مانيتو انه في حكم فرعون فيخوس الملك الثاني من الدولة الثانية تعين الثور ايس الهأ في منفيس وبعد موت فيخوس المذكور تولى بوسيريس الذي بنى مدينة ثيبة في بلاد الصعيد المدعو الان لقصر ابي الحجاج وجعلها تخت الملك وكانت من اعظم مدائن مصر في الزمان القديم اما الدولة الرابعة فكان سرير ملكها في مدينة منفيس . ومن مشاهير فراعنتها الملك شوري ومنقاري وسوفيس الاول ثم سوفيس الثاني وهو اخو سوفيس الاول ثم الملك شوفو واخوه نوشوفو وهما اللذان بنيا الهرم الاكبر في ارض الجيزة وملكا معاً كما يظهر من كتابة اسميهما المنقوشة على بعض حجارة الهرم المذكور وقد وجد فيه مدفنان لها وهما غرفتان متقاربتان في جوانب ذلك الهرم واما الملك منقاري فقد وجد اسمه في الهرم الثالث وتابوته الآن بين الآثار القديمة في مدينة لندن

واما فراعنة الدولة الخامسة فكانوا تسعة ملوك اشهرهم امركيف وشاقرى ونفراكريس اما الملك شافري فهو الذي بنى الهرم الثاني ولكن نُسب الى سوفيس الثاني غلطاً

ومن ملوك الدولة السادسة الملكة نيكستوريس وكانت من اجمل نساء عصرها حسناً واشهرهن فضلاً وكالاً قيل كان لها اخ قتله بعض رجال دولتها بغضباً وحسداً فاحتالت عليهم الى ان جذبتهم الى قصر لها تحت الارض بقرب النيل بداعي وليمة اعدتها لهم فلما التهوا بالاكل والشرب امرت بان ينساب عليهم ماء النهر فغرقوا جميعاً

وفي ايام الدولة الثانية عشرة صارت مصر مملكة واحدة في دارملك واحدة وهي مدينة ثيبة التي كانت تختاً لاحدى الدول واول من استقل بالمملكة وتغلب على باقي ولاياتها اوسيرطاسن الثالث من ملوك الدولة الثانية عشرة والبعض يظنون انه سيزوستريس ولكن اليونان يطلقون اسم سيزوستريس على رمسيس الثاني احد ملوك الدولة التاسعة عشرة

كما سيأتي البيان . والى هذا الملك ينسب تأسيس مدينة الكرنك في بلاد الصعيد وافتتاح بلاد الحبشة والعيبد . ثم خلفه عامونشي الثالث الذي اقام الابنية العظيمة في اقليم الفيوم ورسم عليها اسمه وكانت مدة ملكه اربعاً واربعين سنة

اما ملوك الدولة الثالثة عشرة والرابعة عشرة فلا يوجد لها اخبار صريحة حتى ان جميع مؤلفات المورخين قد خلت من ذكر اخبارها وتفاصيل احوالها . واما الدولتان الخامسة عشرة والسادسة عشرة فاصلها من مدينة ثيبة التي كانت تحت حكمهما وكان آخر ملوك الدولة السادسة عشرة يدعى طباوس وفي ايامه كانت اغارة الملوك الرعاة على مملكة مصر وهي الدولة السابعة عشرة العربية المعاصرة للدولة السابعة عشرة المصرية الملكية ان افتتاح الرعاة بلاد مصر هو حادثة كثيرة الاهمية في التاريخ المصري وقد وقع الاختلاف بين المورخين واهل التحقيق من جهة هولاء القوم فبعضهم يجعلهم من الامة العبرانية وبعضهم يقول انهم من اهل فينيقية ولكن هذه النصوص لا تطابق هيئة اشكالهم المرسومة على الاثار المصرية لانهم كانوا يصورون على الاعمدة والصخور كشعب موسومة اجسادهم بالوشم الازرق ومتشحين بمجلود غنم فهذه الاشارات تدل على امة عربية لاعلى شعوب عبرانية او فينيقية ولا سيما ان دولتهم كانت تسمى هيك سوس في اللغة المصرية اي الملوك الرعاة لان لفظة هيك كانت تستعمل عند قدماء المصريين بمعنى الملك ومعنى سوس الرعاة فاذا زيد عليها واو وقيل سوسو كانت بمعنى العرب . وخلاصة الكلام فيهم انه في زمن الملك طباوس احد ملوك الدولة السادسة عشرة جاء الى مصر طوائف مختلفة تحت راية الوليد بن دومغ وهو الذي يسمى عند اليونان سلاطيس فحارب مصر السفلى والوسطى وتغلب عليها بعد هجمات كثيرة وحروب هائلة ولما استقر بالولاية احرق المعابد والهياكل وبنى القلاع

والحصون وشحنها بالعساكر ومهمات الحرب خوفاً من هجوم المصريين وغيرهم من الطوائف الاجنبية على البلاد وجعل مدينة منفيس تحت المملكة وانتقل ملك مصر الى الملوك الرعاة ما عدا بلاد الصعيد فانها بقيت مستقلة تحت حكم العائلة الملكية المصرية في مدينة ثيبة التي هي دار الفراغة وفي ذلك الوقت كان في الديار المصرية مملكتان وهما مملكة الفراغة ومملكة الملوك الرعاة المتغلبين في منفيس . وكان المصريون يكرهونهم وينفرون منهم لتساوتهم وكثرة جورهم واحتقارهم للديانة المصرية واستمرت احكام البلاد في ايديهم نحو ٢٦٠ سنة وقال بعضهم ٥١١ سنة ويصعب تعيين وضبط تاريخ مدقق لتلك العصور الاولى لعدم اتفاق المؤرخين في ذلك ولعل الاول هو الاصح وما زالت البلاد تحت تسلطهم حتى استخلصها منهم فرعون اموسيس بعد وقائع وحروب متعددة

وتولى بعد اموسيس المذكور ابنه امنوفيس الاول نحو سنة ١٨٠٠ ق م وهو راس الدولة الثامنة عشرة فاعاد كرسي المملكة في منفيس واستقل باحكام مصر مع مضافاتها ولاحقها . وفي ايامه وجد كثير من صور الخيول منقوشة ومرسومة على الحجارة والصخور والمظنون ان هذه الحيوانات لم يكن لها وجود قبل دخول الرعاة الى مصر ولكن هم الذين ادخلوها لانها لو كانت موجودة قديماً لكان لابد من نقشها مع باقي الحيوانات التي كانت الاهالي تعني برسمها وقد كثر هذا النوع من الحيوان في تلك البلاد حتى صارت التجار تستجلبه من الديار المصرية الى الاقطار الشمالية في ايام الملك سليمان بن داود . ومما يستحق ان يذكر انه وجد في هذه الايام تابوت والدة هذا الملك ومن داخله فلادة وسلسلة من الذهب مع سيف وتاج عليه تماثيل من الذهب وهو الآت محفوظ في بيت الآثار القديمة بيولاقي وبالجملة قد تحسنت مصر في ايام هذا الملك وسرت الناس باحكامه . ومن آثار هذا الملك الرواق الشهير الموجود في هيكل الكرنك

الذي هو من ابداع الابنية القديمة ولم يزل الى الآن اسمه مرسوماً على القناطر القرميدية التي بنواحي ثيبة وصورته في قاعة التصاوير الملكية بالصعيد وبجانبه ملكة حبشية ومن ذلك يستدل على ان المصريين كانوا يتزوجون بالسودان

ومن ملوك هذه الدولة فرعون طوتميس الثالث ملك سنة ١٧٥١ ق م وكان من عظام ملوك الدولة الثامنة عشرة لانه فتح مدناً كثيرة أكثر من جميع سلفائه ومن جملة آثاره المسلة التي نقلت الى الاسكندرية والمسلة التي هي الآن في القسطنطينية واخرى في رومية مكتوب عليها اسمه وله أيضاً آثاراً اخرى عظيمة منها الرواق الملكي الموجود في الكرنك وصورته هنالك أيضاً . وهو الذي بيع يوسف الى مصر في ايامه على ما يظن وفسر له احلامه المذكورة في الاسفار الموسوية وتقدم في بابيه تقدماً عظيماً حتى صار صاحب الحل والربط

وقد اختلف المورخون من جهة شخص فرعون يوسف من هو من الفراعنة فزعم البعض انه كان من الملوك الرعاة الذين تغلبوا على مصر واسمه الريان بن الوليد المعروف عند اليونان باسم ابي فاس وقال احد المتأخرين ان هذا الزعم لا يصح نظراً لتقدم عهد تلك المدة والاصح ان دخول يوسف الى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة . ويؤيد ذلك كلام مانيتو المورخ اذ قال في كلامه على مدينة منف وعاش بها يوسف وتسلط على البلاد في زمن اقدر واعظم فراعنة المملكة الجديدة بعد نفي الرعاة وخروجهم من البلاد . ثم من قصة يوسف المذكورة في التوراة نرى ان مصر كانت في ذلك الوقت مملكة مستقلة بذاتها وان استعدادات فرعون واحتياطاته في سني الجاعة يتضح منها ان رياسته كانت ممتدة على كل بلاد مصر كما يتضح من كلام يوسف لاختوته بقوله لم ان الله قد جعلني اباً لفرعون وسيداً لكل بيته وسلطاً على كل ارض مصر . والمعروف من

التواريخ ان دولة الرعاة عند ما استظهرت على الديار المصرية لم تغلب على كل اقطار المملكة بل على اسافلها واريافها فلو فرضنا ان ذلك الملك كان من طائفة الرعاة كما توهمه اكثر المؤرخين لما قال ليوسف اني جعلتك مسلطاً على كل ارض مصر لان احكامه لم تكن ممتدة على كل ارض مصر بل كانت محدودة من شطوط بحر الروم الى اطراف بحر السويس ما عدا بلاد الصعيد التي هي اكبر اقسام مصر واعظمها . ومن كلام فرعون ليوسف حيث يقول ان علمت انه يوجد بين اخوتك احد يحسن المرعى فاجعلهم رعاة وروساء على مواشي يستدل على انه لم يكن بين عبيد فرعون من يحسن تربية المواشي ولذلك اختار الملك اخوة يوسف ليس فقط لمهارتهم بل ليعلموا المصريين تلك الصناعة . فلو كان فرعون من ملوك العرب الرعاة لوجد في قومه من العرب او العالقة من هم اخبر وادري من اخوة يوسف بسياسة المواشي فيتضح مما تقدم ان فرعون يوسف لم يكن من ملوك العرب او العالقة بل كان من العائلة المصرية

ومن ملوك الدولة الثامنة عشرة امنوفيس الثالث الملقب عند اليونان بالهنون وهو من اشرف فراعنة هذه السلسلة وله صيت عظيم في الاقطار المغربية قيل انه لم يكن من جنس المصريين بل انه اغتصب المملكة وتسلط عليها بمداخلته مع احد الفراعنة بالزيجة . وما يؤيد ذلك ان قبره الذي في مدينة ثيبة منفرد عن قبور باقي الفراعنة . وكان قد ادعى لنفسه الالهية وانشأ هيكلًا على مبصرة النيل تجاه ناحية ثيبة وقد تحوّر الآن وانهدم ولم يبق من اثره الا الصنم الكبير وهو عبارة عن صورة هذا الملك

وكان المصريون يعبدون هذا الصنم ويعتقدون انه كل ما اشرفت الشمس يسمع منه صوت . فكان الناس يتاثرون من ذلك ولا يعلمون السبب وظن بعض الرومان واليونان ان مصدر هذه الاصوات كان من



اثر الندى في الليل وانه عند شروق الشمس وارسال اشعتها اليه يسمع منه هذا الصوت من اثر الحرارة في الحجر غير ان الامتحان في هذه الايام كشف الحجاب وذلك ان السير كردنر ويلكنسون الانكليزي لما اتى للفرجة على هذا الصنم وجد في جوفه حجراً اذا ضرب به سمع له طنين وتكتكة. فكان الكاهن يدخله في وقت السحر بحيث لا يراه احد من

الشعب ويقرع صدر الصنم بذلك الحجر

وكان الكهنة يفعلون ذلك لاجل خداع امتهم بهذه الاحتمالات ويجعلونهم يصدقون بالوهية الصنم المذكور وبقيت اكاذيبهم مستترة اكثر من ثلاثة الاف سنة حتى جاء ويلكنسون المذكور وكشف حجابها ونزع عباها المستترة

ومن اشهر فراعنة مصر الملك رمسيس الثاني المشهور عند اليونان باسم سيزوستريس وهو الملك الثالث من فراعنة الدولة التاسعة عشرة وكان ملكاً عظيماً ظافراً كثير المغازي والغارات قد ملا مشارق الارض بصيت فتوحاته وارهب مغاربهما بهيبة باسه وسطواته ولم يكن احد قبله من ملوك مصر عبر البحر الاحمر ليجز عماره عظيمة نحو اربع مئة سفينة حربية وتغلب على سواحل هذا البحر وعلى جزائر بحر الهند وامتد ملكه من نهر الكنك في اسيا الى نهر الدانيوب اي الطون في اوربا وكان كلما فتح قطراً واستولى على مملكة من الممالك شيد فيها هياكل واثاراً تدل على نصراته وفتوحاته وابقى فيها فرقة من الجنود المصرية ليستوطنوا فيها ويأشروا بها ديانتهم وعوائدهم لتكون علامة ظاهرة لتخليد ذكره على مر

كاهن مصري

الايام ورسم على تلك الاثار كيفية عبوره الى هاتيك البلاد ونقش تاريخ
استيلائه على ممالك الدول ولم يزل بعضها باقياً الى الآن
وقد اقام سيزوستريس في مصر هياكل عديدة من اموال الغنائم التي
سلبها من الامم حتى لا يكاد يوجد في وادي النيل اثر من الابنية القديمة
الاّ وعليها اسمه ورسمه وشيد ما يلزم من الجسور والقناطر والترع والخلجان
لمنفعة البلاد ورفع الاراضي المنخفضة التي يفسدها فيضان النيل بحيث لا
يكون للماء سلطة عليها وبالجملة قد وصت مصر في ايامه الى اقصى درجات
الرفعة والمجد وزهت ايضاً بالعلوم والفنون وهو الذي قسم المملكة الى
ست وثلاثين ايالة واقام على كل ايالة نواباً لاجل جمع الجزية وهو الذي
رسم صورة الخارطة على ما قيل وصور فيها صورة المدن التي افتتحها ليبين
لاهل مصر عظم ملكه واتساعه . وكان فيه تيه وتعاضم حتى انه كان اذا
ركب في موكب لزيارة المعابد او التنزه ياتي ببعض الملوك الذين كان
قد امرهم ولبسهم ثيابهم الملكية ثم يربطهم كالحليل اربعة اربعة ليحروا
المركبة . ولكن بعد رجوعه من ذلك الموكب كان يكرمهم ويحسن اليهم
بشس الكرامة والاحسان بعد تلك المعاملة



مركبة مصرية بمجلتين



مركبة مصرية بأربع عجلات

وذكر المؤرخون انه لما استولت دولة الفرس على مصر كان في رواق الصور الملكية بمدينة ثيبة بالصعيد صورة سيزوستريس فلما رآها دار يوس ملك الفرس اراد ان يضع صورته في هذا الرواق فوق صورة سيزوستريس المذكور فغضب رئيس الكهنة المحافظ على تلك الصور من قصد الملك دار يوس وقال له بكل جسارة لا يجوز لاحد من الملوك ان يعلو على رمسيس الاكبر الا من ساواه في المآثر والاعمال العظيمة فلم يغضب دار يوس من كلامه بل اجابه قائلاً انه ان عاش عمر سيزوستريس ليجهندن ويفعل لمصر من المنافع ما فعله هذا الملك العظيم حتى لا يكون دونه في الشهرة ورفعة المقام . وعاش سيزوستريس عمراً طويلاً وكانت مدة حكمه على ما رواه مانيشو المؤرخ ٦٢ سنة وقال بوسيفوس ٦٦ وكان قد عمي في آخر حياته وقتل نفسه بيده والسياح في ايامنا هذه يرون اسمه وتاريخ حروبه ونصراته مصورة ومنقوشة على جيطان القصور والهيكل والاعمدة في النوبة والكرنك وثيبة

وتولى بعده ابنه منقطا الثاني سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ولهذا الملك ابنة وماثر كثيرة في الديار المصرية وكانت مدة حكمه تسع سنين وعلى راي بعض المدققين المتأخرين انه في يوم هذا الملك خرج بنو اسرائيل من مصر تحت رياسة موسى سنة ١٤٩١ ق م بعد معجزات كثيرة . ومما يدل على صحة كون هذا الملك هو نفس فرعون الخروج هو انه مات عن ابنة يقال لها

طوسير وابن قاصر يعرف بمنفط الثالث فتوت البنت قبل اخيها لقصوره
وتزوجت برجل من الامراء يقال له منفطاً ومنه عبء النار وكان
زوجها يحكم عنها بالنيابة فجلس هذه الملكة بعد موت ابيها على كرسي الملكة
وزواجها برجل ليس هو من بيت الملك مع كثرة العائلة الملكية من ذرية
جدها سيزوستريس الذي كان قد خلف نحو عشرين ولداً ذكرًا تدل
دلالة قوية على وقوع حادثة عظيمة هائلة انقرضت بها ذكوره وهي غرق
فرعون وقومه. ومن العجيب ان قدماء المصريين يكتمون حادثة غرق فرعون
ويتكرونها بالكيفية خوفاً من الفضيحة والعار في القرون المستقبلية. ولا عجب
من كتمان المصريين هذه الحادثة لاننا نجد في هذه الايام المتنورة من يتكبرها
ايضاً اذ ينسبون انقلاق البحر الى حادثة طبيعية وهي المد والجزر الدوريان.
وان قال قائل كيف يمكن ان يكون منفط الثاني هو ذات فرعون الذي
غرق في البحر الاحمر حال كون قبره الآن بين قبور الملوك الباقية بالصعيد
في الجهة المعروفة بباب الملوك فنقول ان ذلك ليس ببرهان قاطع لتأيد
الاعتراض لان وجود القبر لا يدل على وجود مقبور فيه فكثيراً ما نرى
مشاهد ومدافن في اماكن مختلفة على اسم انبياء واشخاص مشهورة ومدفنتهم
الحقيقي في غيرها من البلاد فانه يجوز ان يكون فرعون هذا قد بنى لنفسه
مدفنًا في حياته حسب العادة التي كانت جارية بين الملوك في ذلك العصر ولم
يُدْفَن فيه. وعلى فرض انكار هذه العادة فقد تقدم ان مؤرخي المصريين
لم يذكروا شيئاً من هذه الحادثة بقصد اخفائها في العصور المستقبلية فلا
يستبعد ان يكونوا قد بنوا له قبراً لا يثبت دعواهم بهذا الانكار وتحميل
من يراه على تكذيب هذه الواقعة

والعش
بالشر
حرب
اورش
ملك
ونهب
عملها
هيكلا
يدي
صدور

الحبش

الباب الثالث

في ولاية فرعون شيشق سنة ٩٩٠ ق م الى بداية حكم الدولة
البطليموسية سنة ٣٣٣ ق م

ومن مشاهير فراعنة مصر الملك شيشق الاول وهو راس الدولة الثانية
والعشرين واول ملوكها تملك نحو ٩٩٠ ق م وكان سريره بمدينة بسطة
بالشرقية المعروفة الان بتل بسطة الذي هو بقرب الزقازيق وهو الذي
حرب اليه يوربعام بن ناباط ملك اسرائيل مستغيثا به فنهض فاصدا
اورشليم بالف ومثي مركبة وستين الف فارس وحارب رحبعام بن سليمان
ملك يهوذا وكان في جيشه قوم من السودان والحبشة فافتتح مدن يهوذا
ونهب خزائن بيت المقدس وخزائن بيت الملك واخذ اتراس الذهب التي
عملها سليمان ثم عاد الى مصر. وتاريخ هذا الفتوح لم يزل مصورا على حيطان
هيكل الكرنك العظيم ومكتوبا عليه يهوذا ملكي اي مملكة يهوذا تحت قبضة
يدي مع صور كثيرة من الاسرى الذين اسرهم في حروبه ومغازيه وعلى
صدورهم اسم جنسهم وبلادهم. وقد حكم هذا الملك ٢٢ سنة
وخلفه ابنه اوسرخان الاول وهو المعبر عنه في التوراة بالملك زارح
الجيشي حارب مملكة يهوذا بنحو مليون من النفوس وثلاث مئة مركبة حربية

فسار ملك يهوذا ملاقاته واصطفت جنود الفريقين في وادي صفد فالقي
الله الرعب في قلوب المصريين فهربوا جميعاً والمراد بالخبشة في التوراة هم
المصريون ومن معهم من الجنود الاجنبية الخبشية . وكانت مدة حكم هذا
الملك خمس عشرة سنة . اما باقي ملوك هذه الدولة فقلما نعلم من انبأهم
شيئاً . وقد وجد على بعض الاعمدة في مقبرة ايسس بالقرب من منفيس
اسماء ملوكها وكيفية جلوسهم على الكرسي الواحد بعد الآخر وهم

تكلات الاول

شيشق الاول

اوسرخون الثالث

اوسرخون الاول ابنه

شيشق الثالث

هرشاسب ابنه

تكلات الثاني

اوسرخون الثاني

شيشق الثاني

ومن فراغته مصر الملك سباقون وهو راس الدولة الخامسة والعشرين
السودانية الخبشية التي كانت قد استولت على الديار المصرية سنة ٧١٤ ق م .
ثم تولى بعده اخوه سواخوس وهو المذكور في التوراة باسم سوا الذي استغاث
به هوشع ملك اسرائيل على شلناصر ملك اشور . ثم ملك بعده طهراق وكان
ملكاً عظيماً ظافراً اذا شوكة وباس . وهو الذي زاد تحسين الهيكل الذي
بنواحي جبل البركل في بلاد الخبشة ووسعه وزخرفه وازاد ايضاً قاعة
عظيمة الى هيكل مدينة آبو في ثيبة حيث اخبار غلباته على الاشوريين
في ايام سخاريب عند ما غزا الديار المصرية . وقد وجد في هذه الايام في
آثار مدينة آبو تمثال هذا الملك منقوشاً عليه انه حكم الخبشة ومصر وجميع
مدن افريقية وكانت مدن حكمه خمساً وعشرين سنة وبه انتهت حكومة
دولة الخبشة من بلاد مصر

ومن فراغته مصر الملك بساماتيكوس الاول الذي يسميه هيرودوتوس
ابساميس وهو راس الدولة السادسة والعشرين كان ابتداء ملكه قبل المسيح

بست مئة واربع وستين سنة وكانت مملكة مصر قد انقسمت قبل هذا الملك بين اثني عشر قائداً من عظامها فطرد القواد المذكورين واستقل بالملكة وكان رجلاً حاذقاً محمود السيرة وتعتبر مدة ملكه مدة مهمة للغاية اذ في ايامه انتهى الابهام والالتباس التاريخي واشرفت شمس المعرفة الحقيقية في التاريخ المصري. وفي ايام هذا الملك شاع استعمال الكتابة بالاحرف الابدئية وانتسى بين الناس علم الكتابة المصورة وصارت مصر مملكة واحدة منتظمة فصبتها مدينه منفيس وفي ايامه بلغت بلاد مصر درجة سامية في التمدن والمعارف والغنى لانه اعنى بتحسينها وتنظيمها وجدد معاهدات تجارة بينه وبين اليونان واهل صور وسهل اسباب الاخذ والطاء حتى صارت مصر مركزاً لتجارة الامم. وكان قد اتخذ من اليونان عسكرياً وجعل منهم قواداً وروساء وقدم اسنى المناصب وخالف في ذلك عوائد من تقدمه من الفراعنة وبهذه الوسيلة ازدادت جنود مصر غيظاً وحنقاً عليه. وقيل انه لما حارب فلسطين جعل جنود اليونانيين في المتينة وترك للمصريين الميسرة التي كانت علامة الذل والاهانة فغضب المصريون من جراء ذلك وحقدوا اكثرهم عليه وارتد منهم جماعة الى مصر. ولهذا الملك اثار كثيرة في الديار المصرية من الابنية المزخرفة والاعمدة الجميلة في ثيبة والكرنك وقد زين الهياكل باحسن النقوش واجملها وكانت مدة ملكه نحو ٥٤ سنة

ثم تولى بعده ابنه نحو سنة ٦١٠ ق م وكان كاييه له عناية واهتمام بتحسين احوال الرعية وتوسيع دائرة التجارة وهو الذي شرع في ايصال نهر النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترع طولها ٩٦ ميلاً ولكنه بعد ما اهلك مئة وعشرين الف نسمة من قومه في هذا العمل تركه غير كامل. وكان ملكاً مظفرًا افتتح ممالك كثيرة واستولى على اكثر مدائن اسيا وانتصر على ملك بابل وعند رجوعه عزل يهوياحاز بن يوشيا ملك اورشليم وولى مكانه اخاه

الياقيم وضرب على شعب يهوذا خراجاً يدفعونه له في كل عام وهو مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب واخذ يهوياحاز معه الى مصر اسيراً وفي ايام الياقيم المذكور تولى نبوخذنصر الاول ملكاً على بابل فجهز الجيوش والعساكر وزحف الى اورشليم وملكها واسترد ما كان اكتسبه نخو من بلاده وانقطع حكم فرعون على اورشليم وخسر كل ما كان افتحه من الممالك والمدن في اسيا وكانت مدة ملكه على رواية هيرودوتس ست عشرة سنة وعلى رواية مانيتو ست سنوات والاول اصح واشهر

ثم قام بعده ابنه بساماتيكوس الثاني سنة ٥٩٤ ق م ومات في السنة السادسة لملكه بعد رجوعه من فتوحاته في الحبشة وخلفه ابنه ايريس المدعو ايضاً فرعون حفراع وهو المذكور في ارميا ٣٠: ٣٤ ومن اعماله انه جهز جيشاً عظيماً لمحاربة اسيا فحاصر صيدا وصور واخضع جميع بلاد فينيقية وفلسطين وفي ايامه حدث انقسام في المملكة وقتل وحروب كثيرة وفي اثناء ذلك زحف نبوخذنصر ملك فارس في جيش عظيم الى مصر ففتحها بعد حصار طويل وهدم هياكلها وابرأجها ووقع فرعون حفراع في يده فامر بشنقه ثم رجع نبوخذنصر الى بلاده واستخلف على مصر رجلاً من اعيان المصريين يقال له اماسيس فقام بامرها اتم قيام ثم تمرد اخيراً على الدولة الفارسية واستقل بالمملكة المصرية واخضع لحكمه جزيرة قبرس وكانت مدة ملكه ٤٤ سنة وتولى بعده ابنه بساماتيكوس الثالث وفي ايام هذا الملك زحف كبيبز بن كورش ملك فارس سنة ٥٢٥ قبل الميلاد بالجيوش والعساكر لافتتاح مصر بسبب عصيان اماسيس على المملكة الفارسية فتغلب عليها بعد حروب كثيرة ووقائع هائلة وقبض على بساماتيكوس واقره ان يشرب مقداراً عظيماً من دم الثيران ففعل به ذلك كالنم ومات وخضعت لكبيبز بعد ذلك كل بلاد مصر وصارت مقاطعة فارسية وتوالت عليها نواب الفرس كما مر في ترجمة كبيبز عند ذكر ملوك فارس

وسنة ٤١٣ ق م كره المصريون حكم الفرس عليهم ونفروا من عبوديتهم



امرأة مصريون على مركبة

فبعصوم مرة اخرى في السنة العاشرة من حكم داريوس فوثوس ملك فارس
ونالوا حريتهم وكان الملك ارتزركسيس قد شرع في الاستعدادات اللازمة
لاسترداد مصر فمات قبل ان يقيم حرباً ثم قام بعده ابنه داريوس الثالث
او دارا اخوش سنة ٣٥٨ ق م وفي السنة العشرين من حكمه جهز جيشاً عرماً
وسار قاصداً الديار المصرية وعند وصوله اليها جرى بينه وبين المصريين

جملة وفائع فتغلب عليهم وسقطت مصر في ايدي الفرس مرة ثالثة وهكذا



عسكري اشوري

عسكري مصري

تمت نبوة حزقيال ١٣:٣٠ حيث يقول ولا يكون بعد رئيس من ارض مصر ومن ذلك الوقت الى يومنا هذا بقيت مصر تحت تسلط الغرباء ولم يملك ملك عليها منها

فاستمرت مملكة مصر خاضعة للفرس نحو تسع سنين الى ان افتتحها اسكندر ذو القرنين سنة ٣٣٢ ق م وهو الذي بنى مدينة الاسكندرية وسماها باسمه وجعلها على نسق المبانى المكدونية واذن لكثير من اهالي بلاد اليونان واهالي المشرق ان يستوطنوا بها وفتح ابوابها لجميع الناس واعدّها مركزاً جديداً لتجارة اهل العالم فصارت كذلك الى يومنا هذا وبعد وفاة اسكندر تولى زمام مصر الدولة البطليموسية كما سيأتي بيان حكمهم في محله

قديمًا
في علم
قد ان
من ال
المدته
الخصو
ثلاثة
هذه
وارتقا
طول
ذراعين
والضبط
واما خ
عظمتها
يقوق
التامل
فواحش

الباب الرابع

في تمدن المصريين القدماء وصنائعهم وعقائدهم
وما يتعلق بهم

يظهر جلياً من دلائل الآثار والتواريخ المصرية ان المصريين قد تقدموا
قديمًا في انواع المعارف والفنون العقلية والفلسفة الكيمية تقدمًا عجيبيًا وبرعوا
في علم الهيئة والنجوم والهندسة براعة غريبة ولا سيما فن الطب فانهم كانوا
قد اتقنوه اتقانًا جيدًا وكان الطبيب عندهم لا يتفرغ إلا لمعالجة مرض واحد
من الامراض فلهذا السبب نجحوا فيه وبرعوا • واثارهم كابنتهم العظيمة
المدهشة دلائل ظاهرة على تقدمهم وبراعتهم في تلك العصور المظلمة وعلى
الخصوص الاهرام التي تذهل عيون الناظر بارتفاعها ولا يزال الى الان
ثلاثة من اعظمها في ارض الجيزة وهي بعيدة اميالًا قليلة عن القاهرة واعظم
هذه الاهرام مربع القاعدة وطول كل من جوانب قاعدته ٧٥٠ قدمًا
وارتفاعه نحو خمس مئة قدم وهذه الاهرام مبنية بحجارة صلبة جدًا يبلغ
طول كل حجر منها ما بين عشر اذرع الى عشرين ذراعًا وعرضه ما بين
ذراعين الى ثلاث اذرع وقد سلكوا في بنائها طريقًا عجيبيًا من حسن الصنعة
والضبط والاتقان فلا تجد بين الحجر والحجر مدخل ابرة ولا خلال شعرة •
واما خرب مدينة ثيبة وغيرها من المدائن المجاورة لها في بلاد الصعيد فيبان
عظمتها وعجائب ما فيها من الهياكل والاعمدة والتماثيل والمعابد المزخرفة
يفوق التصديق حتى ان السائح اذا شاهدها وتامل في اشكالها وبنائها يلبس
التامل في الماضي عن ملاحظة الحاضر وتلبيه قوة اهلها عن التفكير في
فواخسهم • وكانت لهم اليد الطولى في صياغة الذهب والفضة والاواني المختلفة

فكان صياغهم يصوغون خواتم نفيسة وقلائد ثمينة يبيعون ويشترون بها
 وهم الذين اخترعوا آلة الحراثة وصبغوا الزجاج بالوان متنوعة كلون
 الزمرد والعقيق وغيرها . واما تجارهم فالتحصرت في غلالهم ومحصولاتهم وكان
 لهم اتصال مع الهند بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون الى تلك النواحي
 ما راج عندهم من الحبوب والمواشي والفضار والزجاج ويستبدلون بها منهم
 العطر والبهار والياقوت وغير ذلك

وكان لهم احكام غريبة وعوائد عجيبة تدونت في توار يختم ودفاتر
 شرائعهم منها انه اذا احتاج انسان الى اقتراض مبلغ يجوز له ان يقترض
 ويرهن في نظير دينه جثة والده المدفونة فيكون قبر ابي المديون تحت يد
 الدائن الى وقت استحقاق المال فاذا لم ينف المديون دينه ومات حرم من
 دفنه في مقابر والديه وتحرم اولاده ايضا ما لم يوفوا دين والدعم . ومنها
 ايضا انهم كانوا يبعضون الاجانب بغضا عظيما فلا يجالسونهم ولا يتناولون
 معهم طعاما . ومنها اذا مات منهم احد من الاشراف ترمغ نساء بيته واقاربه
 وجوهن بالوحل ثم يقرعن صدورهن ويطفن في المدينة صارخات باكيات
 وهكذا يفعل الرجال ايضا وبعد ذلك ياتون بالجسد الى المحنطين وبعد
 التحنيط يصير القضاء على الميت وهو انهم ياتون بالجثة الى امام كرسي القضاء
 فان كان الميت من اهل الصلاح والتقوى وجاء من شهد بذلك برز القضاء
 بدفنه مكرما وان كان ذميا قبيحا دفن على خلاف اللائق ولو كان من
 اعظم الاشراف ويقال ان كثيرين من الفراعنة لقباحتهم حرموا من واجبات
 الدفن الاحتمالية في قبورهم التي كانوا يصرفون زمنا طويلا في تزيينها
 داخل الاهرام

واما صناعة التحنيط فكانت باخراج دماغ القحف من المخزئين واخراج
 الامعاء الا القلب والكليتين من ثقب في الخاصرة ثم يغسلونها بخمر النخل
 ويردونها الى اجوافها ويملأون الراس واجواف الامعاء بالماء والقرفة وكل

انواع الاطياب والعطور ويدهنون الجسد بالزيت العطرية مدة ثلاثون يوماً ثم يوضع في ماء نظروف اربعين يوماً ثم يلف بانقائف مغموسة بالماء وتدهن اللقائف من خارج بماء الصمغ اللوقاية من الهواء ثم يوضع في تابوت من خشب او من حجر ويدفع لاهله فيبقونه في بيوتهم او يضعونه في مدفن ومن هذه الاجساد ما هو باق الى ايامنا هذه

واما ديانتهم فهي عبادة الاوثان فكانوا يعبدون الطيور والوحوش والشمس والقمر والنجوم. وكان من اعظم آلهتهم العجل المسمى عندهم ايس وكانوا يتعبون جداً حتى يجذوه لانه لم يكن كباقي العجول بل يجب ان يكون مولوداً من عجلة نزا عليها البرق وان يكون



شعره اسود وان يكون ايضاً على جبهته بقعة بيضاء مثلثة الزوايا وفوق كل ذلك يجب ان يكون على ظهره صورة نسر وتحت اسنانه صورة خنفسة ويكون شعر ذنبه مضاعفاً وكان هذا العجل المسمى المعموم

واما الكهنة فكانوا يعتقدونه رمزاً عن العجل ايس معبود المصريين اوزيريس الذي هو اله الشمس. واما باقي الحيوانات الاخرى فكانت عندهم رمزاً عن بعض الآلهة وعينت الشريعة انساناً مخصوصين لخدمة هذه الحيوانات. واذا قتل انسان احد هذه الحيوانات عمداً عوقب بالموت

واما احكامهم الملكية فكانت مقيدة بوجود المجالس وكانت سطوة الملك نافذة في جميع الرعية. اما الكهنة فكانوا اصحاب الشرائع والعلوم ومن وظائفهم مسح الاراضي وتسيط الخراج على الناس ولم يكونوا يدفعون الجزية عن املاكهم وكان لكل منهم كل يوم قسم من الخوم المقدسة ومن لحم البقر والاوز ومن العجب انه لم يسمح لهم ان ياكلوا سمكاً وكانوا يحافظون جداً على نظافة اجسادهم وملابسهم وذكر هيرودوتس انهم كانوا يحلقون شعر

اجسادهم كل ثلاثة ايام ولم يسمح لهم ان يلبسوا الا ثوباً من كتان وكانوا
يغتسلون بماء بارد مرتين في النهار ومرتين في الليل . اما الاراضي فكانت
كلها للملك والكهنة والمحاربين واما الحراثون فلم يكونوا الا كالأجري
يشتغلون لغيرهم كالمستعبدين



مقانع شعر كانت كثيرة الاستعمال عند نساء المصر بين القدماء
وكانت لغتهم من اعجب اللغات لانها لم تكن تكتب باحرف هجائية بل
باشارات مستعارة من الاشباح الطبيعية وهي على نوعين الاول يشير الى
اصوات يدل^٤ عليها ببعض النقوش من التصاوير المختلفة . والثاني تحت هيئة

اشباح تدل على جمل مختصرة. وانحصر هذا النوع في روءساء الكهنة فقط
وبقي هذا القلم مجهولاً بين الناس حتى احدثى الى معرفته الحاذق الشهير
المعلم شنبليون الفرنسي سنة ١٨٢٢ مسيحية

الباب الخامس

في الدولة البطليموسية التي تغلبت على الديار المصرية
بعد الفراغنة

انه بعد موت اسكندر الكبير تولى المملكة المصرية الدولة البطليموسية
ووقعت في نصيب سوطير بن لاغوس حين مقاسمة ممالك اسكندر سنة ٣٢٣
قبل الميلاد ويقال انه كان ابن فيلبس ابي اسكندر من بعض جواريه.
وكان سوطير المذكور وهو بطليموس الاول يعرف اعتبار مصر ومقامها وكان
حاذقاً عادلاً محباً للعلوم وهو الذي اتخذ الاسكندرية داراً للملك وجمع
فيها المكتبة المشهورة وانشأ بها مدرسة عظيمة وجدد مدناً كثيرة وفتح
الترع المرذومة واعتنى باتساع التجارة واصلاح امور الزراعة والفلاحة
وازدادت المملكة في ايامه غنى وعلماً وتمدناً. وكان قد جهز جيشاً وارسل
من قبله قائداً للتغلب على الديار الشامية فافتتحها واستولى عليها واستطال
ذلك القائد على اليهود وامر منهم نحو مئة الف نفس وساقهم الى مصر
وجار على من تخلف منهم بفلسطين جوراً عنيفاً

وتفرغ بطليموس في آخر ايامه لتنظيم المملكة فشرع في تقيم الهياكل
والقصور والمباني العظيمة فمنها ضريح اسكندر الكبير الذي لا يعرف الآن
محل وجوده (والمرجح ان التابوت الذي وجد في صيدا ويوجد الآن في
متحف الاستانة) ومنارة الاسكندرية وغيرها وكثرت في ايامه التجارات

والمخالطات مع الامم الاجنبية و بهذا تمتعت دولته وامتدت صولته . ومع انه سكن الاسكندرية وجعلها كرسي مملكته ابقى مدينة منفيس على حالها لانها دار السلطنة رسماً ومقر سرير الاحتفالات الملكية لا يلبس الملك التاج الملكي الا فيها فكانت بمنزلة مصر القاهرة الان بالنسبة الى الاسكندرية وكان فيها الهيكل الكبير المشتمل على الشعائر الدينية . وعاش هذا الملك ممتعاً بالسلم والراحة الى ان بلغ الثمانين من عمره ثم مات لتسع وثلاثين سنة من ملكه

ثم قام بعده ابنه بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس اي محب اخيه تهكماً لانه كان يبغض اخوته وكان ملتفتاً لتوسيع دائرة العلوم والفنون وانواع الصنائع وقد اكثر من تحصيل الكتب وجمع منها عدداً كثيراً اضافها الى المكتبة التي انشاها ابوه وفي السنة العاشرة من ملكه اطلق اسرى اليهود من مصر وردوا الاواني الذهبية الى بيت المقدس وحجابه بأية من الذهب مرصعة بانواع الجواهر الثمينة عليها صورة ارض مصر والنيل وامرهم بتعليقها في مسجد الهيكل . وكانت اللغة اليونانية في ايامه قد امتدت الى اقاصي ممالك الارض فامر بترجمة التوراة العبرانية الى اللغة اليونانية لمنفعة اليهود القاطنين بمصر الذين لم يفهموا اللغة العبرانية وكانوا كثيري الغندلان زهوة بلاد مصر جلبتهم الى هناك وسميت الترجمة المشار اليها الترجمة السبعينية لان مترجميها كانوا سبعين قرأوا وكان قد امر الكاهن مانيشو المصري بتأليف تاريخ مصر باللغة اليونانية فجمع هذا المؤلف تاريخه من الدفاتر الرسمية والاوراق القديمة المحفوظة في الهيكل والمعابد المصرية . وقد ورث هذا الملك من ابيه ممالك كثيرة غير الديار المصرية كمملكة القبروان وسواحل بر الشام وبلاد العرب وجزيرة قبرس وجزائر بحر الروم فافتنع بها ولم يطمع في الحروب والتتوحات كباقي الملوك بل اقتصر على حفظ مملكه وانعكف على اعمال ومقاصد جسيمة ذات منافع وفوائد كاستكشاف طرق البحار

بالاسفار والوقوف على حقيقة منبع النيل وارسل سفناً ايضاً لاستكشاف
سواحل الحبشة والبلاد السودانية

وخلفه بطليموس الثالث الملقب بالكريم وكان ابتداء حكمه سنة ٣٤٦
ق م واتبع خطوات ابيه وجده فسماه شعبه اورجيتيس اي المحسن الى
شعبه وكان كثير الحروب والفتوحات وامتد حكمه الى نهر الفرات والجزيرة
والعراق والى اقليم خوزستان واذربيجان وهو الذي ارجع الالهة المصرية
التي كان كبيز قد اخذها من مصر وفي اثناء حروبه لانتيوخوس ملك
سورية نذرت زوجته بريقي نذرًا وهو انه عند رجوع زوجها من غزوته
تُقب شعر راسها للزهرة فلما رجع ظافرًا غائمًا وف نذرها فجزت شعرها ووضعته
في هيكل الزهرة الا أنه لم يمض الا زمان يسير حتى فقد من الهيكل
نخاف الحراس من جراه ذلك على نفوسهم من الملك واستعظموا هذا الامر
ولما بلغ الملك الخبر استشاط غضبًا وامر باحضار الحراس اليه عازمًا على قتلهم
فدخل عليه بعض النجمين وكان متقدمًا في بابه وقال له قد بغني فقد
شعر الملكة من الهيكل واتيت اليك لاعلمك حقيقة هذا الامر وهو ان الزهرة
قد نقلت شعر الملكة الى السماء ووضعته بين النجوم فلما سمع الملك كلامه
سرًا بذلك وصحح عن ذنب الحراس ومن ثم حسب شعر الملكة بريقي من
جملة صور النجوم وكانت وفاة الملك المذكور سنة ٢٢٢ ق م

اما بطليموس الرابع وهو ابن الثالث المسمى فيلوباتر اي محب ابيه فحكم
من سنة ٢٢٢ الى سنة ٢٠٥ ق م وكان قاسياً دمويًا محبًا للبدخ محاطًا باتباع
وحواشي خداعين مملقين ومن جملة قبائحهم انه اثار اضطهادًا شديدًا على
اليهود في جميع مملكته وقتل ارسينوي وهي اخته وزوجته معًا ثم مات
محتقرًا مردولاً من جميع رعيته وخلفه ابنه بطليموس الخامس الملقب
ايفانيس ومعناه الماجد حكم من سنة ٢٠٥ الى سنة ١٨١ وسار سيرة ابيه
في المظالم والعدوان وارتكب من المآثم والقبائح ما ليس للناس طاقة على

احتماله وقيل انه سئل يوماً من اين ندفع اجور العساكر فاجاب كيف
تخاطبونني بهذا السؤال اما تعلمون ان اموال احبابنا هي اموالنا واستمر على
فظائعهم وقبائحهم الى ان مات مسموماً. وهكذا ما زال هؤلاء الملوك يتولون
الملك الواحد بعد الاخر حتى قامت الملكة كليوباترا الشهيرة بالجمال والقبائح
وكانت الملكة المذكورة قد تزوجت اخاها بطليموس ديونيسيوس في
سن السبع عشرة سنة وهو في سن الثلاث عشرة وذلك سنة ٥٢ ق م.
وكانت قد صممت ان تقبض على زمام السلطنة وتستقل بنفسها فلم يوافقها
على ذلك الذين اقيموا اوصياء على زوجها فقاوموها وابعدها فالتجأت الى
اوغسطس قيصر الروماني فتظاهر في القضية كصلح بينها وبين زوجها.
وسنة ٤٧ ق م تزوجت اخاها الثاني ولم يكن قد اتى عليه احدى عشرة
سنة من العمر فاقيم ملكاً على مصر بامر قيصر اربع سنين ثم مات مسموماً على
ما قيل. واذ كان للرومانيين نوع من السلطة الادبية على البلاد المصرية
بحسب وصية اسكندر الثاني وهو الملك العاشر من الدولة البطليموسية بان
تكون مصر ملحقة برومية بشرط ان تكون ملوكها منها. فبعد توفي اوغسطس
المدكور استدعى كليوباترا القائد انطونيوس احد الشركاء في الدولة الرومانية
ان توافيه الى طرسوس حيث كان مزعماً ان يذهب لمخاربة بروتوس
الروماني. فاجابته الى ذلك وسارت قاصدة تلك الاطراف حتى وصلت الى
ايالة صلفقة ومن هناك ركبت نهر كراصو وهو نهر طرسوس واجتازت النهر
في سفينة مذهبة ارجوانية القلوع والاستار وكانت الملكة مزينة بافخر ما
عندها من الثياب الثمينة والجواهر النفيسة ومعطرة بانواع العطور الذكية
فكانت امواج النهر تموج طرباً بالنسيم على نغمت العود والدفوف والقيثارين
وروائح العطر والبخور تعبق وتفوح منها الى سائر النواحي حتى امتلأت شواطئ
النهر من رباها. ولما اجتمع انطونيوس بها تعجب من فرط حسنها وجمالها
فادخلها الى محله الملكي وكان قد هياً لها من الوليمة الفاخرة ما يكفل عن

وصفه اللسان ومن ذلك الوقت اخذ حبها منه كل ماخذ حتى سلبت عقله واخذت بجماع قلبه بحيث لم يعد له صبر على مفارقتها فاقامت معه اياماً وبعد ذلك جلبته معها الى الاسكندرية وهناك تزوجته . واذ كان لا يستطيع مفارقتها ولا يقدر ان يتخلص من امر جمالها نسي وظيفته والقيام بمقوق مامورته .

وكان لانطونيوس زوجة اخرى يقال لها او كافية وهي اخت القائد اوكتافىوس شريك انطونيوس في الرياسة الرومانية فلما تزوج كليوباترا حصل الشقاق والاختلاف بين القائدين . فاستعد اوكتافىوس لمقاومة انطونيوس والانتقام منه فقصد الديار المصرية بمجنود كثيرة فافتتحها بعد حروب هائلة يطول شرحها . ولما شعر انطونيوس بالغبلة طعن نفسه بخنجر فمات . واما كليوباترا فبعد ان افرغت جهدها في ان تسلب عقل اوكتافىوس وتاسره بجمالها ولم تنجح صممت النية على قتل نفسها خوفاً من ان تبيت اسيرة فيذهب بها الى رومية في حالة الذل والهوان فاماتت نفسها شرمية . وقد اختلف المؤرخون في طريقة قتلها فمنهم من زعم انها شربت سمّاً وقال آخرون انها كانت احضرت ثعباناً صغيراً ساماً اخفته في في وعاء لوقت الحاجة فلما كان ذلك اليوم جلست على سرير ملكها ووضعت تاجها على راسها وعاينها ثيابها وزينتها وفرقت خدمها وجواربها ثم فتحت الوعاء الذي كان فيه الثعبان ووضعت على ثديها فلسعها قتلت من وقتها وساعتها وانقرض ملك اليونانيين بهلاكها وكان ذلك سنة ٣٠ ق م . وكانت مدة حكم الدولة البطلموسية نحو ٢٩٤ سنة

الباب السادس

في من تولى مصر من اول ظهور الاسلام الى الدولة الفاطمية

ولما انقرضت دولة اليونان استولى على مصر الرومان واقامت البلاد تحت تصرف احكامهم نحو سبع مئة سنة فكانت تحسب ولاية من الولايات الرومانية حتى استفتحها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٤٠ للميلاد واقام بها عمرو المذكور والياً ٧ سنين ثم عزل في خلافة عثمان بن عفان وتولى بعده عبد الله بن ابي السرح ثم غيره من العمال الى ان انتهت الخلافة الاسلامية الى بني امية فكانوا يرسلون لها عمالاً من طرفهم مدة خلافتهم وكان جملة من تولى بالنيابة عنهم بمصر ستة وعشرين قرأ في مدة مئة واحد عشر سنة. وكانوا يسمون عمال خراج مصر ويقوم الواحد منهم اشهرًا ثم يعزل ويتولى غيره. ثم جاءت بعدهم الدولة العباسية واستمرت مصر تابعة لها الى سنة ٨٦٨ حينما قام فيها احمد بن طولون وتغلب عليها وصار سلطاناً وكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وشهرين وخلفته ذريته من بعده واستمر الحكم في ايديهم ٣٧ سنة وهي المعروفة بالدولة الطولونية. ثم عادت نيابة العباسية بمصر في خلافة المكتفي فتولى منهم احد عشر قرأ. وجاءت بعدهم الدولة الاخشيدية التي منها كافور الاخشيدى وكانت حبشياً اسمها الون سلطان سنة ٩٦٥ فاقام سنين واربعة اشهر وخلفه بالملك ابو الفوارس احمد بن علي بن الاخشيد فاقام سنة واحدة وبه انقرضت الدولة الاخشيدية ثم جاءت بعدهم الدولة الفاطمية ونذكر شيئاً من اخبار مالوكها على وجه الاختصار

الباب السابع

في الدولة الفاطمية

عدد خلفاء هذه الدولة اربعة عشر كما مرّ بيانه في جدول الخلفاء عند الكلام على دول العرب فمنهم ثلاثة ظهوروا وماتوا في بلاد المغرب واحد عشر بمصر. واول هولاء هو المعز لدين الله بن المهدي عبيد الله المغربي تولى احكام الغرب بعد موت ابيه المنصور سنة ٩٥٣ للمسيح ثم استفتح الديار المصرية واستخلصها من الدولة الاخشيدية سنة ٩٦٧ بواسطة قائده جوهر الصقلي الذي بنى فيها مدينة القاهرة بامر المعز فدخلها المذكور سنة ٩٧١ ومن ذلك الوقت صارت بلاد مصر والغرب مملكة واحدة

وفي نسب هذه العائلة اقوال كثيرة فمن الناس من رفع نسبهم الى فاطمة بنت الرسول ومنهم الى حسين بن محمد القدّاح وكان القدّاح رجلاً مجوسياً واخباره معروفة معلومة عند اكثر المؤرخين. وكان المعز عادلاً منصفاً في الرعية غير انه كان شيعياً وامتد حكمه من حلب الى بلاد المغرب الى مكة كما امتدت احكام الخلفاء العباسية في ايامه من بغداد وسائر ممالك المشرق الى العراق واعمالها واستمر المعز بالخلافة نحو اربع سنين ثم توفي سنة ٩٧٥ للمسيح

ومن هولاء الخلفاء الحاكم بامر الله وهو الخليفة الثالث من بني عبيد بمصر يوبع بالخلافة بعد موت ابيه العزيز سنة ٩٩٦ وكان في اول امره فاضلاً عادلاً مستقيماً الاحوال ثم تغيرت اطواره وزاد في الظلم والجور في حق الرعية وصار يامر باشياء تضحك منها الناس فمها انه اجتاز يوماً

بحمام الذهب فسمع فيه ضجيج النساء فامر ان يسد عليهن باب الحمام
 فسدوه عليهن حتى متن في الحمام كهن. ومنها انه امر ان لا يبيع احداً
 زيباً ولا عنباً ثم امر بحرق الكروم وقطعها فقطع منها شيء كثير ثم نهى
 الناس عن اكل الملوخية والقرع وعل ذلك بان معاوية بن ابي سفيان
 كان يميل الى الملوخية وان عائشة بنت ابي بكر كانت تميل الى القرع.
 ثم انه امر بقتل الكلاب فقتل نحو ٣٠ الف كلب في يوم واحد. وكان قد
 امر النصرى بلبس الازرق واليهود بلبس الاصفر وكانوا قبل ذلك في
 زي واحد يلبسون المآزر العسليه ثم اسكن اليهود في حارة زويلة وتمهدم
 بالقتل ان لم يدخلوا في الاسلام فضافوا منه واسلم منهم عددٌ غفير ثم
 امرهم بالرجوع الى اديانهم فارتد منهم في يوم واحد سبعة الاف نفر ثم
 امر بهدم معابدهم ثم امر باعادتها لهم. ومن اعماله القبيحة انه امر بقتل
 العلماء والادباء ثم ادعى الالهية وكتب له باسم الحاكم الرحمن الرحيم
 وكان الجهال اذا راوه يقولون له يا واحد يا واحد يا محبي يا محبت ثم ادعى
 علم الغيب فكان يقول ان فلاناً قال في بيته كذا وكذا واكل كذا وكذا
 ودخل له كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي كن
 يدخلن الى بيوت الامراء وغيرهم ويخبرنه بما جرى. وكان هو واسلافه
 يدعون الشرف ويقولون انهم من ذرية علي بن ابي طالب وفاطمة بنت
 النبي وكان الحاكم بامر الله يذكر ذلك كثيراً على المنبر في كل جمعة. وكان
 قد امر الرعية انه عندما يذكر الخطيب اسمه على المنبر تقوم الناس
 صفواً اعظاماً لذكوره واحتراماً لاسمه واصدر امراً الى سائر نوابه في
 المملكة ان تفعل هكذا حتى في مكة ايضاً وكان اكثر الناس في مصر اذا
 راوه خرّوا وسجدوا. فلما طالب الامر على الناس وتزايد جوروه في حق
 الرعية اخذت اخته سيدة الملك في تدبير الحيلة على قتله وكانت من
 اذكي نساء عصرها واعقلهن وكان الحاكم كثيراً ما يتهددها بالقتل فخرجت

في بعض الليالي وابتعدت الى دار الاله بر سيف الدين بن دواس فاختلفت به واعلمته بنفسها وقالت له انت تعلم ما يجري من اخي في سفك الدماء وخراب البلاد وقد صمم على قتلك وقتلي فقال وما الحيلة في امره فقالت الراي عندي ان ترسل له غلاماً يقتلوه عند خروجه الى جبل المقطم فانه كثيراً ما ينفرد بنفسه هناك واذا قتل تكون انت المدبر لدولة ولده ووزيره فاتفقا على ذلك ومضت سيدة الملك الى قصرها وفي الغد خرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه في الجبل المذكور فعمد ابن دواس الى عشرة من العبيد السود واعطى كل واحد منهم خمس مئة دينار واعلمهم كيف يقتلونه فساروا من وقتهم واختفوا في تلك النواحي حتى ابصروه مقبلاً وحده وليس معه احد فمجموا عليه وقتلوه وكانت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وشهراً واحداً ومن العجب ان في هذه الايام قوماً به قدون انه حي ويحافون بغيبته ويزعمون انه لا بد ان يظهر مرة ثانية ويدين العالم

وفي ايام المستنصر بالله وهو الخامس من خلفاء هذه الدولة حدثت المجاعة العظيمة التي لم يسمع بمثلا من قديم الزمان حتى اكل الناس بعضهم بعضاً فكان الكلب يباع بخمسة دنانير والقط بثلاثة دنانير واشتد الغلاء وعظم البلا على الناس حتى صودف احياناً ان الكلاب كانت تدخل الدور وتاكل الاطفال وهم في المهود وآبواهم وامهاتهم ينظرون اليهم ولا يستطيعون النهوض لاتقاذهم من شدة الجوع وكان الرجل احياناً يسرق ابن جاره ويذبحه وباكله ولا ينكر ذلك عليه وكان في مصر حارة بها عشرون داراً اكل دار يساوي ثمنها نحو الف دينار قيل انها بيعت كلها بطبق خبز فدعيت من ذلك اليوم بحارة الطبق وخرجت امرأة ذات يوم الى السوق ويدها عقد من الجواهر فقالت من ياخذ مني هذا العقد ويعطيني عوضه قمحاً فلم تجد من ياخذه منها ثم التفت الى العقد وقالت

إذا كنت لا تنفعني وقت الحاجة فلا حاجة لي فيك والقتة على الأرض
غضباً وانصرفت. ويقال ان الوزير ركب بغلته يوماً واتى الى دار الخلافة
فلما نزل عنها اخذها غلامه واكلوها. وكان الرجل يمشي من جامع طولون
الى باب زويلة ولا يرى في وجهه انساناً الا نادراً. واقام المستنصر سيفي
الخلافة الى ان مات وكانت مدة خلافته ستين سنة واربعة اشهر ولا
يعلم في الاسلام خليفة ولا سلطان تولى هذه المدة غيره. واستمرت ملوكهم
تتناوب الملك واحداً بعد آخر حتى انقرضت دولتهم في زمن العاضد بالله
سنة ١١٧١ للميلاد وهو آخر ملوكهم حين ظهرت الدولة الايوبية الكرديّة
فتكون مدة الخلافة الفاطمية المصرية ٢٠٥ سنوات

الباب الثامن

في الدولة الايوبية

ان اصل هذه الطائفة من بلاد اذربيجان بنواحي الكرج وهم اكراد
كانوا في خدمة محمود بن زنكي صاحب الديار الشامية فارسلهم الى مصر
في بعض اشغال له فاقاموا بها مدة وقويت شوكتهم هناك واحببتهم الناس
نظراً لوداعتهم وحسن سلوكهم ولما استقامت امورهم وامتدت صولتهم
قتلوا وزير العاضد بالله باتفاق الاهالي وتولى منصب الوزارة منهم اسد
الدين شيركوه اخو ايوب ابن عم صلاح الدين فقام بالوزارة نحو شهرين
ثم مات واستوزر بعده صلاح الدين ولما تمكن بالوزارة قطع اسم العاضد
من الخطبة بمصر واعمالها واستقل بولاية الاحكام سنة ١١٧١ فمات العاضد
غماً وقهرًا ودانت بعد ذلك لصلاح الدين احكام الديار المصرية وانفرد

بملكها ثم استولى على الديار الشامية واخذ القدس من الافرنج. وكان
 رجلاً شديد البأس عالي الهمة مسعوداً في حروبه ومغازبه وهو الذي
 بنى قلعة الجبل واقام سور القاهرة وكان في ايام الخلفاء الفاطميين مبنيًا
 بالبنين وازال جند مصر من العبيد والصقالبة والروم والارمن وشناترة
 العرب وغيرهم من الطوائف التي كانت في الزمن القديم واستخدم عدة
 عساكر من الاكراد والترك وبالجملة لم تر مصر في ملوك الاسلاميه قبله
 مثله في الشهرة والفتوحات وكانت مدة سلطنته ثلاثاً وعشرين سنة.
 ومن سلاطين هذه الدولة الملك العادل سيف الدين اخو الملك صلاح
 الدين وكان في ايام اخيه صلاح الدين قد استولى على عدة ولايات
 وطالت ايامه في السعادة الى ان ملك الديار المصرية وهو الرابع من
 ملوك مصر من بني ايوب ومن الحوادث في ايامه انه جاءه وباً عظيم
 بمصر سنة ١٢٠٠ وهلك خلق كثير من الاغنياء والفقراء وجاءه عقيب
 ذلك غلام شديد واشتد الجوع في البلاد ورحل كثير من الاهالي الى
 الشرق والغرب وكان الفقراء يأكلون لحوم الكلاب والحيوانات وينشون
 القبور ويأكلون جيف الاموات واتصل امرهم اخيراً الى خطف الاطفال
 في الاسواق من امهاتهم فكانوا يذبحونهم ويشوونهم ويأكلونهم جهاراً
 في الاسواق والشوارع ويقال ان امرأة دخلت يوماً على الملك وهي خائفة
 مرتعشة فسألها عن حالها فقالت اعلم يا مولاي انني قابلة وان قوماً استدعوني
 في هذا الصباح لاؤد امرأة فذهبت معهم ولما كان وقت الفطور قدموا لي
 صحناً فيه طعام كثير اللحم غير انه لا يشبه اللحم المعهود فانكرته ولم تقبل
 نفسي عليه ثم وجدت بنتاً صغيرة هناك فاخترت بها وسالتها عن ذلك
 اللحم فقالت البنت ان فلانة السمينة دخلت لتزورنا فذبحها ابي وها هي
 معلقة ارباً في هذه الخزانة فاقشعر جسمي من هذا الخبر وجئت في الحال
 الى تلك الخزانة وفتحتها على حين غفلة فوجدتها مملوءة من لحم تلك المرأة

التي ذكرتها لي البنت فاحتلت حتى خرجت من تلك الدار وجئت اليك
لاعلمك بذلك وهذه قصتي فتعجب سيف الدين من كلامها وارسل معها
من هجم على تلك الدار واخذ من فيها وهرب صاحب المنزل وبقي مخفياً
حتى اصالح امره مع محافظ المدينة بدفع ثلاث مئة دينار فدية عن نفسه
وكان كثير من الذين اعتادوا اكل لحم بني آدم يصيدون
الناس باصناف الخيل والمخادعة فكانوا يستجلبونهم الى بيوتهم بانواع
الملاعب فيذبجونهم وياكلونهم فوقع مرة في اشراك هولاء القوم ثلاثة
من مشاهير الاطباء احدهم خرج معهم ولم يرجع واما الثاني فان امرأة
اعطته درهمين على ان يذهب معها الى مريض فصدق كلامها وسار معها
فلما توغلت به في الازقة ومضايق الطرق استفاق على نفسه وعلم بالحيلة
فخاف وامتنع عنها وصاح عليها وشتمها فتركته وهربت واما الثالث فان
رجلاً استدعاه الى زيارة مريض واطعمه بالاجرة فذهب معه وما زال
يسير به من مكان الى مكان حتى ادخله داراً خربة فارتاب الطبيب
منه وتوقف في وسط الدرج وكان الرجل قد سبق وطرق الباب فخرج
اليه رفيقه وهو يقول له هل مع هذه العاقبة حصلت على صيد ينفع
فخاف الطبيب عند سماعه هذا الكلام وخفق قلبه وايقن بالهلاك وكان
في حائط ذلك الدرج كوة تشرف على اصطبل فالتقى نفسه منها فجاء في
وسط الاصطبل فقام اليه صاحب الاصطبل وقال له من انت ومن
تكون فخاف خوفاً شديداً وكنتم امره عنه خوفاً منه ايضاً فقال له الرجل
صاحب الاصطبل لا تخف قد علمت حالك فاني تبقت ان اهل هذا
المنزل يذبجون الناس بالاحتيال والخداع والحمد لله على سلامتك ثم
اخرجه من ذلك المكان وسار معه حتى اوصله الى السوق ولولا هذا
الاتفاق لهلك وانقطع خبره وكانت مدة سلطنة الملك العادل سيف
الدين تسع عشرة سنة

ثم تولى بعده ابنه الملك الكامل محمد وكان جليلاً مهاباً وهو صاحب
 الفزوات الكثيرة مع الطوائف الصليبية بشغل دمياط وكان الافرنج لما
 استولوا على دمياط ونواحيها قد حصنوا اسوارها وشيدوا حصونها وابراجها
 خوفاً من هجوم المسلمين فارسل هذا الملك الكتب والرسائل الى سائر
 النواحي والاطراف يحث الاسلام وينهض غيرتهم الى الحضور لدفع
 الافرنج عن البلاد ونادى في القاهرة بالنفير العام فاجتمع اليه بمصر شعوب
 كثيرة من جميع الجهات ينيف عددهم على مئة وخمسين الف مقاتل
 فزحف بهذه الجموع وتزل تجاه المنصورة فالتقت الافرنج وجرى بين الفريقين
 من القتال ما لا يسع هذا المختصر بيانته فانهمزم الافرنج وارتدوا الى دمياط
 وحاصروا فيها وكانوا قد صمموا على الرحيل فارسل الملك الكامل يقول
 ملك الافرنج ارسل لنا رهائن منكم حتى انكف عن قتالكم بشرط ان ترحلوا
 من البلاد ونحن ايضا نرسل لكم رهائن لتكونوا مطمئنين من غوائلنا عند
 التسليم فارسل له ملك الافرنج عشرين سيداً وارسل الملك الكامل ابنه
 صالح نجم الدين مع جماعة من الامراء الى ملك الافرنج فعند ذلك سلمت
 الافرنج دمياط الى المسلمين واطلق كل من الفريقين ما عنده من الاسرى
 واستمرت هذه الدولة الى سنة ١٢٥٠ مسيحية وعدد ملوكها تسعة انفار
 اولهم الملك صلاح الدين المذكور انفاً واخرهم الملكة شجرة الدر زوجة
 الملك الصالح الايوبي وكانت هذه الملكة نادرة زمانها ذات عقل وحزم
 ومعرفة بسياسة الاحكام فتسلطت لحسن سيرتها وجودة تدبيرها وكان
 وزيرها والقائم بتدبير احوالها الامير معز ايك التركاني ولا يعلم في المسلمين
 امرأة ارتقت الى سير الملك غيرها فاقامت بالسلطنة مدة ثلاثة اشهر ثم
 خلعت نفسها عن تخت المملكة وتزوجت بالامير ايك المذكور واقامته
 ملكاً مكانها وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية

الباب التاسع

في الدولة الجركسية احدى فروع الدولة التركية

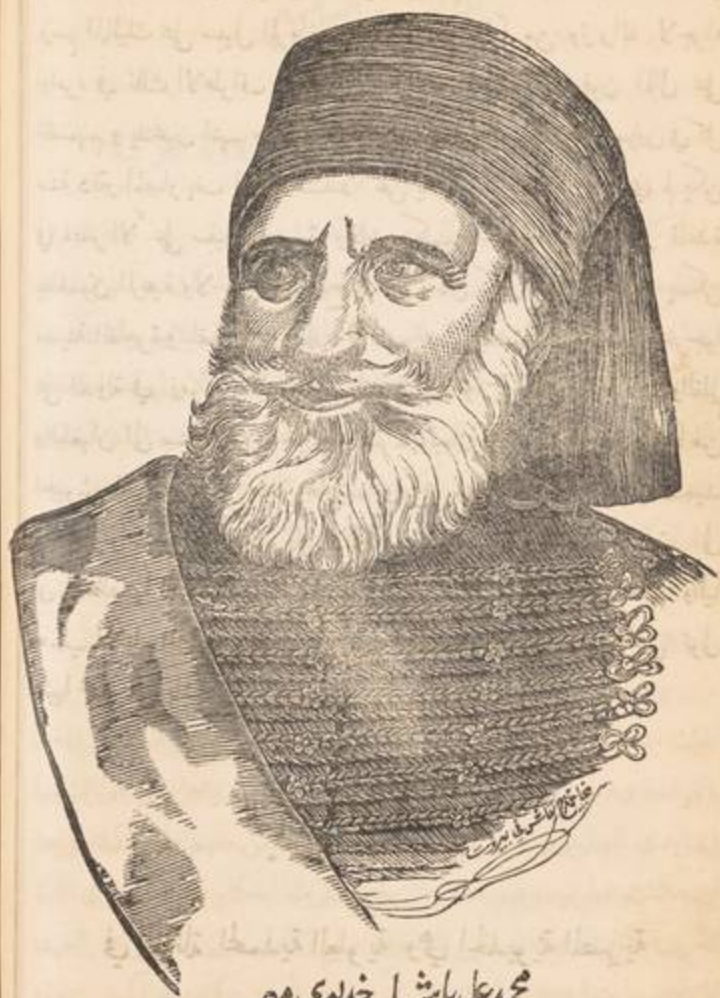
كانت بداية هذه الدولة من سنة ١٢٥٠ واستمرت الى سنة ١٥١٧
 وعدة ملوكها سبعة واربعون اولهم الملك المزاويك المذكور وآخروه الملك
 الاشراف طومان باي وكانوا يلقبون بممالك الدولة الايوبية الكردية
 ليمتازوا عن الممالك البحرية وكان الملك الصالح الايوبي قد اصطفاهم
 لخدمته فكان لهم التقدم والامتياز في ايامه وهو ايضا الذي انشأ الممالك
 البحرية الذين تقلدوا زمام احكام مصر بامر الدولة العثمانية بعد هذه
 الدولة كما سيأتي خبرهم واسكنهم بالقلعة التي كانت بالروضة على نهر النيل
 وكان عددهم نحو الف مملوك وكان لهم مسالحو على شطوط النهر مشحونة
 بالعدد والسلاح ومهمات الحرب ولهذا كانوا يسمون بالممالك البحرية
 ومن اشتهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس تولى زمام
 الملك سنة ١٢٧٧ كان شجاعاً مقداماً كثير المغازي والغارات متصفاً
 بانفراسة وحسن التدبير وفي ايامه كانت اكثر سواحل الديار الشامية
 في ايدي الصليبيين فسار اليهم وحاربهم واستخلص منهم مدناً كثيرة بعد
 ان مكثت الحرب بينهم مدة طويلة واستمرت احكام القطر المصري تحت
 تصرف هذه الدولة الى زمن السلطان سليم الاول بن بايزيد العثماني
 فاستخلصها منها سنة ١٥١٧ ومن ثم صارت تحت حكم دولة آل عثمان
 فكانت ترسل اليها التواب والحكام الى سنة ١٧٦٥ في ايام السلطان
 مصطفى الثالث فانه قطع من مصر الحكومة الباشاوية وولاهها للمالك

البحرية المقدم ذكرهم بشرط ان يجمعوا الاموال السلطانية وما بقي منها بعد المصاريف الميرية يرسل نصفه في كل عام الى الاستانة والنصف الثاني يرسم المالك على سبيل الرواتب واقام بينهم نائباً من وزرائه لاجراء اوامره في تلك الاطراف. وكان بكوات المالك يصرفون المال على انفسهم و يدعون انهم صرفوه على التصليحات والترميمات ويرسلون في كل سنة دفتر المصاريف للدولة مسدداً عن يد الوزير المذكور الذي لم يكن في مصر الا على سبيل الصورة. وكان حكمهم قاسياً جافاً من غير قاعدة يظلمون الرعية ولا يباليون بنجاح البلاد وكان كبيرهم المعتمد عليه يسكن مدينة القاهرة ويلقب بشيخ البلد. ثم انهم عصوا بعد ذلك وتمردوا وخرجوا على الدولة في زمن السلطان سليم الثالث واستمروا في العصيان والظلم والظغيان الى سنة ١٧٩٨ حين حضر نابوليون بوناپرت باربعين الفا من الجيوش الفرنسية الى مصر فخاربهم وقهرهم وفرقتهم في اقطار الصعيد والسجاس واستمرت احكام البلاد في قبضة يده مدة ثلاث سنوات الى ان استخلصتها الدولة العثمانية بمحاربة انكلترا سنة ١٨٠١ واقامت عليها والياً حسب الايام السابقة وبقيت على تلك الحالة نحو ثلاث سنين حتى تولى عليها محمد علي باشا

الباب العاشر

في العائلة المحمدية العلوية وهي الخديوية المصرية

ان راس هذه العائلة هو محمد علي باشا واصله من مدينة قواله من بلاد الارناوط جاء الى مصر مع العساكر السلطانية الذين حضروا من



محمد علي پاشا خديوي مصر

بلاد الترك لمحاربة الفرنسيين فقاتل مع من قاتل واشتهر بالشجاعة في تلك الحروب حتى ارتقى في مدة قصيرة الى رتبة قائمقام ثم ساعدته الاقدار الى ان تقلد زمام احكام الديار المصرية سنة ١٨٠٤ ففُرض عليه مال معلوم يدفعه في كل سنة الى الباب العالي. ولما تمكنت احكامه في تلك الاطراف سار السيرة المرضية وعدل في الرعية وبدأ في العمار ونظام المملكة وجلب اليها الضباط الفرنسيين لاجل ترتيب التعليمات العسكرية وبنى السفن الحربية واصلاح احوالها وسير الامن والامان في كل مكان ورفع فيها اعلام المعارف والعلوم وتزوّغ الى تقديمها حتى اخرجها من ذلك الظلام وصارت تعد اقليماً من البلاد الافريقية. وكان هذا الخديوي مع علو شأنه ورفعة مقامه انيساً وحليماً حسن التدبير بصيراً بعواقب الامور مقتضداً في تدبير مصاريف حكومته. وكان له هيبة عظيمة في قلوب الناس حتى لم يجسر احد ان يتحرك ادنى حركة بخلاف الحق والاستقامة ولذلك لم يكن احد من جنوده يجاسر ان يتعدى على احد فانتشر العدل والامان في ايامه وراى الناس من احكامه ما لم تره ولم تسمع به. وكان قد افتتح الديار الشامية عن يد ابنه ابراهيم باشا الشجاع المشهور بسبب سوء تصرف عبد الله باشا والي عكا وكثرة جوره وظلمه للاهلين واستمرت احكامها في قبضة يده من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٠ حين حضرت العساكر العثمانية والبوارج الانكليزية واستخلصتها منه. ومن اعماله العظيمة انه افتتح بلاد السودان وضمها الى بلاد مصر بعد ان اقام فيها الحكم والولاة وبهذه الوسطة انفتح باب التجارة للخاص والعام وزادت اسباب الثروة وانفتح باب لدخول التمدن والنور بين تلك القبائل. وصرف محمد علي باقي عمره بالعز والجاه الى ان بلغ الثمانين من عمره فاعتراه مرض سوداوي فتنازل عن معاطاة الاحكام ثم مات بعد سنة وكانت مدة حكمه نحو خمس واربعين سنة

وتولى مكانه بعد تنازله ابنه ابراهيم باشا سنة ١٨٤٨ وكان علي
 المهمة شديد البأس مستكلاً جميع الصفات الحربية والسياسية. وفي ايام
 ابيه كان قائد الجيوش المصرية واليه يرجع تدبير امورها فسلك مسلك
 ابيه واحسن المعاملة بين الرعايا. وكانت مدة ولايته الديار المصرية احد
 عشر شهراً وتوفي بداء الامهال في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني
 سنة ١٨٤٨ وهو ابن ٦٢ سنة وتولى بعده ابن اخيه عباس باشا فاقام
 بالولاية نحو خمس سنين وهو الذي شرع باشاء التلغراف والطريق
 الحديدية من مصر الى الاسكندرية. ثم تولى بعده عمه محمد سعيد باشا
 سنة ١٨٥٤ فكان جواداً كريماً وهو الذي انشأ طريق المنشية وغرس
 فيها الاشجار وجعلها من احسن المنتزهات. وكان قد شرع بوصل البحر
 الاحمر ببحر الروم بواسطة شركة فرناوية سنة ١٨٦٠ غير ان هذا العمل
 المهم لم ينجز الا في ايام خلفه سنة ١٨٦٩ وكانت مدة ولايته نحو تسع
 سنين

اما انشاء ترعة السويس فقد حُسب من اعظم اعمال العصر ومن اكبر
 الفوائد للتجارة لانه قصر المسافة من اوروبا الى الهند نحو ٣٧٥٠ ميلاً
 ومهل الاتصال بين الغرب والشرق حتى صار ممكناً للانسان ان يدور
 حول الارض في مدة ٨٠ يوماً. اما طول تلك الترعة من السويس الى
 بورت سعيد فهو ٨٨ ميلاً وبلغت نفقتها نحو ١٠ ملايين ليرة انكليزية.
 وفي سنة ١٨٨٥ قرراي اصحاب الاسهم على توسيع تلك الترعة لاجل
 سرعة سير السفن فيها

ثم تولى بعده ابن اخيه اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا جلس على سرير
 القاهرة في ١٨ كانون ٣ سنة ١٨٦٣ وعند انفراده بالحكومة بذل جهده
 في تحسين البلاد واصلاحها ومن جملة مشروعاته الخيرية ايبصال التلغراف
 والطرق الحديدية الى بلاد السودان وادخال مجاري المياه لمصر واقامة

المرات في البحر الاحمر لوقاية السفن من الاخطار واصلاح الطرق والترع
 وتأسيس معامل الورق والسكر وهو الذي بنى مدينة الاسماعيلية وانشأ
 بها البساتين والقصور الجميلة. وفي ايامه صار فتح ترعة السويس المار
 ذكرها فاستدعى من الاقطار الافرنجية جميع الملوك والعظماء لمشاهدة نجاز
 هذا العمل واعد لهم كل ما يلزم من مزيد الاحترام والاعتبار فحضر بعضهم
 الى دعوة حضرته والذي لم يمكنه الحضور ارسل احد نوابه مكانه
 فاستقبلهم احسن استقبال وكان قد اعد لهم وليمة عظيمة فانشرحت صدورهم
 بما شاهدوه من حسن ترتيبه ونظامه. ومن اعماله المستحقة الذكر انه
 ارسل السار صموئيل باكر القائد الانكليزي الى واسط افريقية في فرقتين
 من العساكر المصرية والوف من البغال والجمال لاكتشاف اراضيها
 الشاسعة ولكي يخضع كل القبائل المتوحشة لافتتاح طريق التجارة ولا يظال
 الاتجار بالعبيد وهو الذي اقام مجالس مختلطة في القطر للقضاء والحكم في
 الدعاوي التي بين الاجانب والرعايا. ومن اعماله ايضا انه قرّر وراثه الحكم
 من بعده في عائلته الخصوصية اي لابنه البكر ثم لابن ابنه حسب الطريقة
 الاوربية خلافاً للطريقة التي كانت جارية وهي انتقال الارث للاكبر
 في العائلة ولكن كل تلك الاصلاحات والتحسينات لم تواز الاضرار التي
 نتجت من سوء صنيعه باستقراض الاموال من الافرنج وتكثير الديون
 على الحكومة بارباح باهظة حتى بلغ الفائض السنوي في وقت ما على
 الاوراق المالية المصرية ٢٥ في المئة. اما المبلغ الذي اقترضه في مدة ١٣
 سنة من حكمه فبلغ مع فايزه تسعين مليون ليرة انكليزية وفائضه
 السنوي اربعة ملايين وخمس مئة الف ليرة انكليزية وهو نحو نصف
 ايراد المملكة. واذ لم يعد في مقدرة الحكومة القيام بايفاء ما يطلب منها
 وخوفاً من ازدياد الشر لو بقي اسماعيل باشا مطلق التصرف على المالية
 المصرية اتفقت دول اوربا على نزع تلك السلطة من يده واقامة معتمدين

اوربينين لاجل مراقبة المالية وحصر الايراد وانخرج فوق الانتخاب على
 رجل انكليزي ورجل فرنسوي كنواب الامتين صاحبي الدين الاكثر
 فاستلما زمام المالية وقاما باعباء مامور يتهما احسن قيام فساء ذلك اسماعيل
 باشا نظراً لانحطاط سلطته وهبوط قدره وحاول الغاء ذلك الترتيب
 وتلك المراقبة الاجنبية فلم ينتفع شيئاً لانه كان قد ثقرر في عقول فرنا
 وانكثرا وغيرهما ان اعادة السلطة اليه تؤدي الى خراب البلاد خراباً
 كاملاً واذا رآوه غير مبال لمشوراتهم ومرغوباتهم ومصراً على مقاومتهم
 اتفقوا جميعاً على عزله من منصبه فاسترخصوا الباب العالي في ذلك
 وعزلوه في بداية سنة ١٨٨٩ ونفوه من البلاد واقاموا ابنه
 توفيق باشا مكانه وكان موصوفاً بالزهد وحسن الطوية
 محباً لشعبه وخير البلاد توفي في سنة ١٨٩٢
 وجلس ابنه عباس باشا الثاني مكانه
 وهو الخديوي الحالي

في

و

وكانت
 الان
 من المدن
 وكان ال
 اسر باس
 المذكورة
 يت ابيه
 نجاه سيس
 مدينة با
 بساعدة
 هناك و

الفصل الثالث

في تاريخ قرطاجنة

الباب الاول

في وصف قرطاجنة وحروبها مع الرومان من سنة ٨٤٠
الى سنة ٢٦٤ ق م

وكانت قرطاجنة مدينة عظيمة من اشهر مدن افريقية القديمة والحديثة
وكانت مبنية بقرب خليج سبي اخيراً بخليج قرطاجنة نسبة اليها المعروف
الآن بخليج تونس. وكانت في تلك الاعصار تحتل كروس على ما سواها
من المدائن نظراً لابنتها الجميلة ومراسمها العظيمة ومناظرها المبهجة الزهية.
وكان السبب في بنائها انه لما قتل بيكاليون ملك صور رئيس الكهنة
اسرباس زوج شقيقته ديدون طمعا بماله وذخائره هربت ديدون
المذكورة بعد قتل زوجها من ظلم اخيها وجوره مع عدد كثير من اكابر
بيت ابيها واعيانه ومعها ذخائرها واموالها بعلمها الى نواحي افريقية الواقعة
تجاه سيسيليا وابتاعت من اهالي تلك النواحي ارضاً واسعة واسست
مدينة بالقرب من تونس ودعت اسمها قرطاجنة اي الجديدة وذلك
بمساعدة البعض من اهالي تلك البلاد وغيرهم من الفينيقيين الذين كانوا
هناك ووضعت أسس هذه المدينة على حسب قول بعض المؤرخين

سنة ٨٧٨ قبل الميلاد وقال آخرون سنة ٨٤٠ وظن البعض انها بُنيت في ايام يواش ملك يهوذا سنة ٨٤٦ وهو اصح الاقوال واشهرها. وكان جار باس احد ملوك تلك الاطراف قد خطب ديدون صاحبة قرطاجنة لنفسه وذلك بعد ما تغلب على مدينتها فابت وامتنعت لانها كانت قد آلت على نفسها ان لا تزوج برجل على بعلمها المقتول في صور فلما رأى عدم ميلها الى الزواج اراد ان يغتصبها قهراً فاضطرها الحال الى ان حرقت نفسها بالنار وانتهت على هذه الصورة. فهذه بداية واصل مملكة قرطاجنة التي صارت فيما بعد من الممالك العظيمة بل بالحري من اقوى واقدر ممالك تلك الازمنة واغناها وقد ارتقت الى اعلى درجة في العظمة والافتداز حتى كادت تهدم بشوكتها وسطوتها اركان قواعد الدولة الرومانية كما سيأتي بيان ذلك

اما مدينة قرطاجنة فكانت اولاً مدينة تجارية وقد ورث اهلها من آباؤهم محبة التجارة فكانوا منعكفين ومثابرين على الاخذ والعطاء وما زالوا في ازدياد ونمو حتى وصلوا الى درجة آباؤهم اهل مدينة صور في الغنى والجاه وفاقوهم باتساع دائرة الحكومة واشتهروا بين الممالك وتكونت منهم دولة عظيمة. وكانت حكومتهم في اول الامر حكومة ملكية ثم تحولت الى حكومة جمهورية تحت رئاسة رجلين من اعضاء المجلس العالي كانوا يفصلان المشاكل ويدبران امور الدولة ويمجربان الاحكام التي لم يكن يؤذن باجرائها الا بعد مصادقة المجلس الكبير الذي كان مؤلفاً من ثلاث مئة عضو وقيل من ست مئة. اما شعب قرطاجنة فكان مختلف الاجناس غير ان اصلهم من فينيقية وما يؤيد ذلك ان لغتهم كانت اشبه باللغة الفينيقية والعبرائية واقرب اليهما حتى في الديانة ايضاً وكانوا موصوفين بالطمع وحب المكاسب. وقد انقطعت عنا اخبارهم وتفاصيل احوالهم نظراً لاختلاف ديانتهم وشرائعهم عن اديان وعوائد اليونان وغيرهم من الامم

المجاورة فكانوا يكتمونها عنهم خوفاً من غائلتهم لانهم كانوا شعباً غريباً
 ووحيداً في تلك الجيات ولم يبق لنا من تواريخهم الا بعض اثار نقوش
 وغيرها ومنها نعلم ان تجارتهم كانت على نوع ما تجارة صورية وخلاصة
 الكلام فيهم انهم وسعوا تجارتهم جداً حتى فافت تجارة الاسكندرية
 لكثرة المعادن التي اكتشفها ابائهم في اسبانيا ووجود المحاصيل الكثيرة
 فيها وفي البلاد المجاورة لها. وما زال اهل قرطاجنة في نجاح واقبال حتى
 امتدت سطوتهم الى اكثر شمالي افرريقية كقلايم تونس وطرابلس الغرب
 وغيرها من ممالك البربر ثم افتتحوا جزائر البليار وجزءاً كبيراً من جنوبي
 اسبانيا ومردينيا وكورسيكا ومالطة ثم انتهى بهم الحال الى ان تغلبوا على
 سيسيليا وكان افتتاحهم لهذه الجزيرة سبباً لانتشاب الحروب الهائلة بينهم
 وبين الرومانيين كما سيأتي خبره

الباب الثاني

في الحروب بين قرطاجنة ورومية من سنة ٢٦٤ ق م الى وقت
 خرابها الاول سنة ١٤٥ ق م ثم تجديدها ثانية وخرابها
 الاخير سنة ٦٩٣ بعد المسيح

وكان السبب في انتشاب الحروب بين مملكة قرطاجنة ودولة
 الرومانيين هو ان قوماً من سكان جنوبي ايطاليا كانوا قد التجأوا الى
 الرومانيين واستغاثوا بهم على هير وملك مرقوسا في سيسيليا فانتدب اهل
 قرطاجنة لتجدة ملك مرقوسا وكان الرومانيون قد ارسلوا جيشاً عظيماً لتلك
 الاطراف فانتصروا وتغلبوا على جيشي مرقوسا وقرطاجنة معاً فدخل ملك

سرقوسا خوف من اهل قرطاجنة ان تطمع في بلاده وتستولي عليها بعد ذلك فقطع مع الرومانيين عهداً املاً انه بمساعدتهم له يطرد جيوش قرطاجنة من اطراف بلاده فاجابه الرومانيون الى ذلك ومن ثم شبت نيران الحرب بين المملكتين

ولم يكن الرومانيون قبل ذلك الوقت قد امتدوا الى خارج ايطاليا ولم تكن لهم قوة بحرية اصلاً. وكانت مملكة قرطاجنة يومئذ في زهوة عظيمة وقوة بحرية واذ كان الرومان لا يستطيعون مقاومة اهل قرطاجنة بدون قوة بحرية بنوا نحو مئة سفينة وحاربوا القوم وانتصروا عليهم وغنموا منهم ٥٠٠ مركباً ثم زادوا عددهم حتى بلغت ٣٠٠ سفينة وانتصروا على القرطاجنيين ثانية واستخلصوا منهم ٦٠٠ مركباً واستولوا على جزيرة كورسيكا وسردنيا. ثم تقدموا الى نواحي افريقية ونزلوا على مدينة قرطاجنة تحت رياسة القنصل ريفولوس واقاموا عليها الحصار حتى كادوا يمتلكونها لولا مساعدة اهل اسبارتة الذين امدوا اهل قرطاجنة بجيش تحت راية القائد كسانتيب فانكسر الرومانيون واسر قنصلهم ريفولوس فارسله اهل قرطاجنة الى رومية لكي يعرض على دولته شروط الصلح. فذهب وعند وصوله الى رومية اقنع الحكومة الرومانية بعدم قبول المصالحة وان طلب قرطاجنة هذا صادر عن عجز وضعف ثم عاد الى قرطاجنة كي لا يناقض قوله فقتلوه وهكذا انتهت الحرب الاولى التي دامت مدة ٢٣ سنة

وكانت مدة الصلح بين المملكتين المذكورتين نحو ٢٣ سنة وعند نهاية هذه المدة قام هنيبال بن همليكار رئيس جيش قرطاجنة في الحرب الاولى وحاصر احدى مدن اسبانيا التي كانت متحيزة مع الرومانيين مدة سبعة اشهر ولما اشتد حصارها احرقها اهلها بالنار خوفاً من وقوعها في ايدي الاعداء ثم تقدم هنيبال المذكور بجيوشه الى داخل البلاد وقطع جبال الالب حتى وصل الى شمالي ايطاليا وحارب الرومانيين في وسط

بلادهم وانتصر عليهم في جملة وقائع وذبج منهم عددًا لا يحصى وقيل انه ارسل اربعة ربوع من خواتم ذهب نزعها عن اصابع القتلى. وبقي هنيبال نحو ١٣ سنة في ايطاليا ولكنه لم ينجح اخيراً النجاح التام نظراً لعدم الامداد. وفي اثناء ذلك جهز الرومانيون جيشاً عرمرماً تحت راية القائد المشهور المدعو شيبو وكان يلقب بالافريكاني فزحف بجنوده واستخلص جميع املاك قرطاجنة في اسبانيا ثم ركب السفن وتقدم الى سواحل قرطاجنة فلما رأى اهلها الاخطار المحذقة بهم ارسلوا من فورهم يستدعون القائد هنيبال ان يرجع حالاً لتجديتهم فارتد راجعاً بعد مشقات ومتاعب لا توصف وكان قد فقد جانباً عظيماً من جيشه في تلك الحروب الخارجية. فالتقى هذان البطالان في مرج واسع من سهول افريقية وشت بين المسكرين فيران القتال وكانت الدائرة على عاكر قرطاجنة فانهمزمت اقبج هزيمة بعد ان قتل منها عدد عظيم ثم انعقد الصلح بين الطرفين بشرط ان القرطاجنيين يستلمون جميع جزائر البحر المتوسط مع سيسيليا واسبانيا وجميع مراكبيهم ما عدا عشرة منها الى الرومانيين وانهم لا يثيرون بعد ذلك حرباً الاً باذن رومية وهكذا كانت نهاية الحرب الثانية التي دامت مدة ١٧ سنة

فاستمر الحال بين قرطاجنة ورومية في صلح وسلام من سنة ٢١٠ الى سنة ١٤٩ ق م حين شبت الحرب الثالثة بينهما. وكان السبب في ذلك ان ملك نوميديا التي هي الآن جزء من بلاد الجزائر كان بينه وبين رومية مخالفة وعبود فاختلس بعض الولايات التابعة لاحكام قرطاجنة فقام عليه القرطاجنيون وثار به فاستشاط الرومانيون غضباً من جرى ذلك بزعمهم ان هذا العمل من باب التعدي من اهل قرطاجنة على شروطهم المعقودة وحمسوا على محاربتهم وخراب المدينة عن آخرها فجندهوا الجنود وارسالوها الى تلك الاطراف تحت قيادة القائد شيبو المذكور آنفاً

فخاصر المدينة وافتتحها بعد حرب اربع سنين ثم احرقها بالنار وكان ذلك سنة ١٤٥ ق م

وسنة ١٢٠ ق م جاب اليها غراكس الروماني شعوباً غريبة فرموها وسكنوها ثم جدّد عمارها اوغسطس قيصر ولكن ليس في نفس مكانها الاول وهكذا بمدة يسيرة تمت فرطاجنة الجديدة نمواً عظيماً حتى صارت من اشهر مدن افريقية الرومانية ومن ثم استولى عليها الفنديون سنة ٤٣٩ للمسيح وسنة ٦٩٣ افتتحها العرب وهدموها عن آخرها وما زالت خراباً الى يومنا هذا ولا يرى من بقاياها العظيمة غير رسوم دارسة وآثار بالية وخرابها الان يبعد عن مدينة تونس مسافة ثلاث ساعات الى الشمال الشرقي

الفصل الرابع

في بلاد الحبشة

هذه البلاد واقعة في الجهة الشرقية من قارة افريقية ومحدودة شمالاً ببلاد النوبة وشرقاً بالبحر الاحمر وغرباً ببلاد السلوك وجنوباً بسلسلتي جبال متشعبة من جبال القمر يخرج منها عدة انهر متفرعة من بحر النيل الازرق والايض تمر فيها وتسقي اراضيها. وعدد اهلها نحو اربعة ملايين دُعيت قديماً باسم ايثيوبيا واشتملت ايضاً على بلاد النوبة مع باقي الولايات والاقاليم الواقعة في داخل افريقية. واول من قصدها واستوطنها قوم من بلاد العرب لا يعرف احد عنهم شيئاً خصوصاً لقدميتهم وتقادم عهدهم. وكان قسم كبير من هذه البلاد يدعى سبا ومنه اتت ملكة سبا على ما يظن

الى اورشليم لزيارة الملك سليمان الحكيم . ويقال ايضاً ان الملك الذي
تناوب كرسي مملكة الحبشة من نحو ثلاثين سنة الى هذا العهد هو من
سلالة هذه المملكة المذكورة

وكانت اهالي هذه البلاد في الياام السالفة على دين اليهود ثم دخلت
اليها الديانة المسيحية في اواسط القرن الرابع فتحصرت المملكة كنداكمة مع
جميع رعاياها ثم امتدت النصرانية الى بلاد النوبية في القرن السابع
بواسطة القبط الذين اتجأوا الى هناك عند ما افتتح المسلمون ديار مصر .
ولكن عند دخول الملك الظاهر بيبرس اليها في القرن الثالث عشر قويت
فيها شوكة المسلمين وانتشرت ديانتهم هناك . واما اهل الحبشة فلا يزالون
متدينين بديانة مسيحية مزوجة بعقائد وطقوس اخرى وبطريركهم يسمى
من قبل بطريرك القبط في مصر

وكانت العادة جارية في هذه البلاد ان ينفوا اكابر امرائهم الى
جبل يسمى جشن وهذا الجبل في غاية الارتفاع وهو منتصب على هيئة
متساوية من جميع الاطراف حتى انه لم يستطع الصعود عليه او النزول
عنه الا بواسطة السحب والتدلي بالحبال . وكان هولاء المنفيون يسكنون
في اكواخ دنية على قمة هذا الجبل ولا يباح لهم النزول الا في وقت مماتهم
وكان عموم الاهالي عند موت الملك ينتخبون احد هولاء الامراء ليخلفه
على الكرسي وفي الجهات العربية شمالي بلاد النوبية جنس من العبيد
يسمون الغلاً يشبهون القرود في صورة وجوههم وهم طوائف متوحشة ليس
لهم مساكن ياوون اليها بل يصرفون حياتهم في صيد الافيال والنعام
ويرقدون بين الاحراش كالبهائم وقد وصفهم بطليموس تحت اسم
اليفنتوفاج وستروفيوثاج وهما كلمتان يونانيتان معناهما آكلو الافيال وآكلو
النعام . فكانت الحبش في الازمنة القديمة تصيد هولاء القوم كما يصيد
الناس الوحوش الضارية . ولكن من جرى حروب الحبش مع القبائل

المحيطة بهم ضعفت شوكتهم فكابدوا مشقات ومضرات كثيرة من جرى
 مهاجمات الغلا وغاراتهم عليهم
 وكانت هذه البلاد في الاجيال المتوسطة مقسومة الى عدة ولايات
 كل ولاية منها تحت سلطة شيخ او امير واستمرت على مثل ذلك الى ان
 صعد على سرير ملكها الملك ثيودورس الذي كان على جانب عظيم من
 الشجاعة والبطش فاخضعها جميعا لسلطته المطلقة ولكنها عصته اخيراً
 لظلمه وشدة جوره على الاهالي لانه كان يحملهم احمالاً ثقيلة لا طاقة
 لهم على حملها وكان الجهل قد اعمى بصيرته وغير اطواره حتى انه لم يعد
 يقدر العواقب وانتهى به الحال الى انه قبض على جماعة من مرسلي
 الانكليز وغيرهم من سباح الافرنج والقام تحت الترسيم بدون ادنى جنابة
 واستمرؤا في اسره زماناً طويلاً وقد خاطبته الحكومة الانكليزية مراراً
 عديدة في اطلاق سبيل الاسرى المذكورين وهو يرفض ويمتنع حتى
 اضطرها الامر اخيراً الى ارسال جيش لمحاربتة تحت قيادة اللورد نابير
 مؤلف من اثني عشر الف مقاتل منهم اربعة الاف من العساكر الانكليزية
 الاوربية وثمانية الاف من عساكرها الهندية فوافته هذه الجيوش سنة
 ١٨٦٨ الى مدينة مجدلا وهي كرمي مملكته فقاتلوه بقرب هذه المدينة
 وكسروا جيشه وفرقوه وخاف الملك ان يمسي اسيراً فاخرج غدارة من
 حزامه واطلق الرصاص في فمه فوقع قتيلاً وهكذا انتهت حياته . وبعد
 ان دخل الانكليز مجدلا امر اللورد نابير بدفن الملك فدفن باحتفال عظيم
 ثم اتى بابنه وكان عمره نحو ثمان سنين فعامله معاملة حسنة تليق بعيال
 الملوك واصحبه معه الى انكترا وبهذه الوسطة تخلف القوم من امر
 الحبش . ومن اراد ان يعرف اكثر عن تاريخ الحبش وعوائدهم فعليه
 بمطالعة تاريخ الحبش تاليف الخواجا ثيوفيلوس ولد امير الالماني المطبوع
 في مطبعة المعارف في بيروت

الفصل الخامس

في بلاد المغرب

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد واخبار شعوبها الاقدمين

هذه البلاد يحدها شمالاً الاوقيانوس الاطلانتيكي وبحر الروم وشرقاً بلاد مصر وجنوباً الصحراء وغرباً الاوقيانوس الاطلانتيكي . وهي تنقسم الان الى اربع ولايات اصلية . الاولى مراكش وقاعدتها مدينة مراكش ومن اشهر مدن هذه الولاية بعد مراكش فاس ومكناس ومغدور وطنجة ونشوان وسلا وتيفالالت ومكناسة . الثانية الجزائر ومن اشهر مدنها قسنطينية ومسفرة وبونة او عنابة . الثانية تونس وقاعدتها مدينة تونس ومن مدنها الاصلية بيزرنة والقيروان وقابس وهي ثانية القيروان وبها منار مشهور . الرابعة طرابلس وهي تنقسم ايضاً الى ثلاثة اقسام الاول طرابلس وقاعدته مدينة طرابلس ثم منزان وقاعدته مرزوق ثم بلاد برقة وقاعدتها درنة ومن مدنها المشهورة اوجيلة وسيوة . ولكل قسم من هذه الولايات الاربع ولاه وحكام منفردون بسياسة احكامها . اما اصحاب مراكش فهم اعظم واشهر من باقي ارباب الولايات ولذلك يطلق عليهم لقب سلطان لاستقلالهم وامتيازهم على غيرهم . واما ولاه طرابلس وتونس

فيقال لم باي وهو عندهم من اعظم الالقاب بعد امم السلطان واما صاحب الجزائر فكان يقال له داي عند الافرنج. وعدد سكان بلاد المغرب نحو ٢٠ مليون نسمة واكثرهم على دين الاسلام وبنهم كثير من اليهود وقليل من النصارى

ويخترق هذه البلاد من الشرق الى الغرب سلسلة جبال اطلس التي تقسمها الى قسمين متميزين فالارض الواقعة في الجهة الشمالية معتدلة الهواء ولاسيما الاراضي المروية بالمياه فانها في غاية الخصب واما الارض الواقعة تجاه الجنوب المسماة بلاد الجريد فهي براري واسعة موحشة وليس فيها الا سهول محترقة مشوية بالملح عرضة لحرارة الشمس تكثر فيها الرياح والوحوش وعلى الخصوص الجراد الذي ياتيها ويغطي اراضيها واما جبل اطلس فهو مرتفع وفاضل بين فاس ومراكش وفي جوانبه غابات كثيرة مملوءة بالاشجار. وفي هذه البلاد جميع النباتات الموجودة في اوربا الجنوبية ولو كان اهلها يعتنون بها حق الاعتناء لزادت عن ذلك وفيها كثير من شجر النخل والزيتون والنانج والموز والتين والتوت والبلوط والعنب وقصب السكر وفيها انواع من الوحوش الضاربة كالسباع والضباع والافاعي المفرة والعقارب وغير ذلك من الاجناس وفيها كثير من الخيول الحسان والهجين المستظرفة ويقال ان بعض هذه الهجن يمكنه ان يقطع في يوم واحد ستة وثلاثين فرسخاً من الارض

ان معرفة الاقدمين كانت قليلة من جهة الاقاليم والاراضي الممتدة من مصر الى جنوب المحيط وبلاد البربر فكانوا يعبرون عنها باسماء مختلفة ولم يكونوا يطلقون اسم افريقية الا على بلاد مصر وما جاورها من الاقاليم لان معرفتهم كانت محصورة في الاراضي الشمالية المعروفة الان بالبلاد المغربية ولذلك لم يطلقوا عليها اسم افريقية الا في زمن الدولة القرطاجنية واُطلق هذا الاسم اولاً على مملكة قرطاجنة فقط ثم اخذ يمتد يوماً بعد

يوم حتى عمّ جميع ممالك القارة وصار لقباً لها
وقد اختلف المورخون والعلماء في اصل سكان هذه البلاد فزعم
بعضهم ان اصل المغاربة من اسيا نزحوا من بلادهم في الازمنة القديمة
وقصدوا بلاد افريقية وحلوا في شمالها وابتنوا لهم فيها منازل ومساكن وقال
اخرى هم من عرب اليمن وقيل من بني غسان وذهب بعضهم الى انهم
اخلاط من بني كنعان وعماليق . وكان السبب في رحيلهم الى تلك البلاد
غزوات بعض الملوك الذين افتحوا بلادهم وثقلوا عليهم فانهزموا من
امامهم وقصدوا الديار المصرية وعند وصولهم اليها منعهم ملوكها عن
النزول بجوارهم فرحلوا عنهم وانتشروا في ساحات البلاد المغربية فنزل
بعضهم على السواحل البحرية ونزل البعض في الجهات الداخلية وسكنوا
في تلك الاماكن واستوطنوها وشادوا فيها القرى والمدن وتكونت منهم
مع تمادي الزمان جملة قبائل وعشائر كصنهاجة ومغرا وزناتة وغيرهم من
البطون والافخاذ وما يدل على ان اصلهم من بني كنعان وآل فينيقية
بعض الكتابات القديمة المنقوشة على بعض الآثار القديمة باللغة الفينيقية منها
هذه العبارة (نحن الذين انهزمتنا من امام يشوع بن نون المغتصب) وهذا
يقرب من العقل لانه عند رحيل بني اسرائيل من مصر وقدمهم الى
ارض كنعان وافتتاحهم تلك البلاد لابد ان كثيرين من سكانها
رحلوا منها واستوطنوا في تلك الجهات التي نحن بصددها وربما كان هناك
بعض القبائل المتبررة القديمة العهد فاختلطوا ببعض ويعض وتكونت منهم
مع تمادي الازمان جملة عشائر وقبائل

وسميت بلادهم قديماً بلاد البربر قيل لها ذلك حسب زعم بعضهم
لخشونة اصوات اهلها وبربره لسانهم غير المفهومة ولكن ليس ذلك فقط
بل الارجح لكونهم في مبدا امرهم كانوا في غاية الوحش والتبرير حتى انهم
على ما قيل كانوا ياكلون لحوم الحيوانات نيئة ويقتاتون من عشب

الارض كباقي الوحوش وكانوا يرقدون على بساط الارض اينما حلوا .
ولكنهم مع تداول الايام اخذوا ينتقلون من حالتهم الوحشية الى حالة
احسن واصح وهكذا بانضمامهم ضمن مدائن وقرى خرجوا شيئاً فشيئاً عن
حالتهم المتبريرة وبالتدريج ارتبطوا مع باقي الشعوب بروابط امرعت
تمدنهم على نوع ما ثم شادوا المدن العظيمة وابتنوا لهم سفناً وصاروا
اصحاب سطوة واقتدار واستمرت البلاد تحت تسلطهم عدة قرون وكانت
مدينة قرطاجنة من اعظم واشهر مدائنهم ولشهرتها وسطوتها افرزنا لها
فضلاً مختصاً باخبارها ووقائعها

وما زالت البلاد في ايديهم وتحت تصرف احكامهم الى ان افتتحها
الرومانيون بعد حروب ووقائع كثيرة ذكرنا اشهرها في اخبار
قرطاجنة . وكان كلما تقدم الرومانيون في فتح البلاد ترحل القبائل من
امامهم وتلتجئ الى الجبال والاماكن الوعرة بحيث لا يقدر الرومانيون
ان يتوصلوا اليهم وهي القبائل المعروفة الآن عند الافرنج بالنوميديية واما
باقي السواحل كمراكش والجزائر وغيرها فكان يطلق عليها اسم موريتانيا
وعلى سكانها اسم مور فخضعوا للرومانيين واختلطوا معهم واعتنقوا ديانتهم
وسنة ١٧ لميلاد قام احد البرابرة المدعو تاكفراس واستمال قلوب
الناس اليه وجعل يحرضهم على العصيان وتخليص البلا من نير السلطة
الرومانية فاجابه الى ذلك اكثر الاهالي وحاربوا الرومانيين واستمرت
الحروب بينهم نحو سبع سنين ولكنهم لم ينجحوا

وسنة ٤٢٧ لميلاد نشر بونيفاس الوالي الروماني علم العصيان ضد
العاصمة وخرج عن طاعة دولته وتعلقت اماله بالاستقلال على البلاد
المغربية فامرسل الى الفنداليين الذين كانوا يومئذ سكان الاندلس في
اسبانيا يلبس منهم المساعدة والامداد على بلوغ غايته فاجابه ملكهم
جنساريك الى ذلك وقصد افريقية بثمانين الف مقاتل وعند وصوله الى

تلك السواحل اخذ يفتح المدن والاقاليم ويضيفها الى احكامه فلما رأى
 يونيفاس ان القوم الذين كان يامل مساعدتهم قد صاروا له من جملة
 الاعداء والخصوم ندم على ما فعل واضطر ان يدافع عن نفسه خوفاً من
 الغلبة ولكنه بعد جملة وقائع انكسر وتفرق جيشه وتبدد واستولى
 الفنداليون على تلك البلاد واستمرت تحت قبضة ايديهم الى زمن
 الامبراطور جوستينيان حينما ارسل جيشاً عمره ما سنة ٥٣٥ للميلاد تحت
 رياسة القائد بليساريوس وافتتحها ومن ذلك الوقت انقرضت الامة
 الفندالية ولم يعد لها ذكر

الباب الثاني

في دخول المسلمين الى بلاد الغرب وافتتاحهم مدنهم واقاليمهم
 وباقي ولاياتها

اما قوة الدولة الرومانية بعد انقسامها الى سلطنتين شرقية وغربية
 فاخذت تضعف شيئاً فشيئاً بعد تلك السطوة والهيبة العظيمة اذ لا يخفى
 ان كل مملكة انقسمت على ذاتها لا تثبت ولا تدوم. وكان العرب يومئذ
 في نجاح عظيم فانهم بعد ما فتحوا سورية ومصر وجهوا افكارهم نحو هذه
 البلاد فقصدها عمرو بن العاص والي مصر بجيش جرار سنة ٦٤٤ فقطع
 بلاد النوبية وفتح برقة وما جاورها من الاقاليم وكان قد حدث في غيايه
 ثورة في الاسكندرية الزمته بالرجوع الى الديار المصرية لتمرير القلائل
 والفتن وفي تلك الاثناء توفي عمر بن الخطاب وتولى مسند الخلافة بعده
 عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى مكانه عبد الله

بن سعد تزحف هذا الوالي الى بلاد المغرب وحارب القائد غريغوار
رئيس جيش الروم فكسره ومزق شمل عسكره وفتح تونس وطرابلس
وكثيراً من المدن والبلدان ثم تقدم نحو قرطاجنة وارسل الى اهلهما يقول
لم انه مستعد ان يتحول عنهم ويترك لهم باقي البلاد التي فتحها بشرط ان
يدفعوا له مليونين ونصفاً من الدينارين فاجابوا طلبه ودفعوا له الممال وهكذا
انثنى راجعاً الى مصر تاركاً جميع فتوحاته

فلما بلغ هذا الخبر حكومة القسطنطينية استعظمت ذلك المبلغ الذي
دفعه رعاياها في الغرب للمسلمين فخذت على عمالها واتهمتهم بالخيانة
وصممت على الانتقام منهم وسنة ٦٦٣ للميلاد ارسل الامبراطور قسطنطس
الثاني الى والي المغرب يطلب منه مبلغاً قدر المبلغ الذي دفعه الالهالي
للمسلمين فلم يجبه الوالي الى هذا الطلب واتحد سرّاً مع معاوية بن ابي
سفيان راس الدولة الاموية على فتح البلاد واستخلاصها من ايدي
الرومانيين وانه يكون مساعداً له في الباطن فاغتنم معاوية هذه الفرصة
وارسل جيشاً تحت قيادة معاوية بن خديجة وعبد الله بن الزبير لفتح
بلاد المغرب فنجحاً نجاحاً عظيماً وكسرا للجيش الرومانية . وسنة ٦٦٦
ارسل جيشاً اخر لنجدة الجيش الاول ثم ارسل في سنة ٦٧٠ نجدة اخرى
تحت راية الامير عقبة بن نافع ففتح هذا الامير كل البلاد الشمالية من
الشرق الى الغرب الاقصى وافتتح كل بلدة مسكونة في تلك الجهة ومهد
باقي الاقطار وسنة ٦٧٥ بنى في حرش غاص بالوحوش الكاسرة مدينة
القيروان فصارت من ذلك الوقت مقراً ومركزاً لولاة الاسلام على البلاد
المغربية واضحت داراً للعلوم ومقصداً للطلاب

وفي اواخر القرن السابع نهض جمهور غفير من البربر وانضم بعضهم
الى بعض طمعاً بالاستقلال واسترجاع مملكتهم فخلعوا طاعة المسلمين
وجاهروهم بالعصيان وكانت تقودهم امرأة موصوفة بالشجاعة والاقدام يقال

لها دمية فكسرت جيش المسلمين في جملة مواقع وطردتهم من جميع البلاد فالتجأوا الى بلاد برقة وبقوا هناك الى ان وافتهم نجدة قوية فحملوا بها وصدموها جنود دمية المذكورة فانصرفوا عليها وكسروها واسترجعوا البلاد التي كانت قد أخذت منهم

ثم في سنة ٧٤٦ للميلاد حدثت قلاقل اخرى في افريقية وكان سببها ابو سعدى البقري خليفة سيد قبيلة زناتة فانه اخذ يحرض اهالي المغرب على حرب العرب املاً بتأسيس سلطنة مستقلة في تلك البلاد ولكنه لم ينجح في مشروعه واستمرت البلاد في ايدي العرب زمناً طويلاً الى ان سقطت سلطنة الخلافة في المغرب والشرق فكانت الولاة على نوع من الاستقلال ولم يكن للخلفاء من احكام المغرب يومئذ الا مجرد الاسم فقط وهكذا كان الحال ايضاً في زمن الخلفاء الفاطميين فانه تداول احكام هذه البلاد في ايامهم كثير من الولاة والاحكام مما لا يسعنا ضيق المقام استيفاء اخبارهم

هذا وفي زمن ولاية المعز بن باديس عليها زحف اليها عرب بني هلال من بلاد نجد سنة ١٠٥١ بجموع كالجراد المنتشر تحت راية اميرهم حسن بن سرحان وقائدي جيوشهم ذياب بن غانم وسلامة بن رزق المشهور بابي زيد وكان من اعظم فرسانهم ناجتازوا النيل ونزلوا بلاد برقة فانفتحوا امصارها واستباحوا املاكها ونقارعوا على ولاياتها ثم تقدموا بجموعهم لافتتاح باقي البلاد فاستعد المعز المذكور لمصادمتهم ومقارعتهم ونهض بجموع صنهجة وزناتة مع جمهور غفير من طوائف العرب المتوطنة في تلك البلاد ولما التقى الفريقان افرقت جموع العرب عن الجيوش الاسلامية والطوائف المغربية واتحدت مع الهلاليين نظراً للعبية القديمة وكانت الدائرة على المعز فانهمز شريفة وفرغ بنفسه واهل بيته وقصد الشطوط البحرية والتجأ هناك ونهبت العرب امواله وذخائره وقتلوا

من جيشه عدداً كثيراً

ولما انهزم المعز من أمام وجه العرب جيز صاحب تلمسان جيشاً
عمرماً لقتالهم فكانت بينهم وبينه حروب كثيرة الى ان انتصروا عليه
وقتلوه بنواحي الزاب وهي مقاطعة مشهورة في تلك الاطراف ثم تغلبوا
على باقي السواحي وازعجوا سكانها وانعطفوا على المنازل والمدن والقرى
فهبوها وتركوها قاعاً صاففاً وزاحوا الاهالي في بلادهم واقتسموا بينهم
الولايات والايالات من تونس الى فاس ومكناس في مراكش وباقي
بلاد الصحراء وبرقة واستمرت الرياسة في ايديهم زمناً طويلاً

هذا وبينما كانت هذه القلاقل والبلابل جارية في المغرب ظهر في
اوائل القرن السادس عشر شاب يقال له خير الدين وهو المعروف عند
الافرنج باسم بربوس وكان هذا الشاب ابن رجل فاخوري من جزيرة
مطيني المسماة عند الاتراك ميدلي قشاً على حرفة القرصان من صفوه وكان
قد شارك اخاه اروج في هذا العمل ذاعنيا مع تمادي الايام من اموال
النهب والسلب حتى صار لها في وقت قريب عمارة بحرية وكانا قد صمما
ان يتخذوا لها مركزاً على بعض شطوط افريقية نظراً لحسن موانئها وكان
يومئذ ملك الجزائر يقال له سالم بن تومي فاجتمع باروج المذكور وتفاوض
معه بهذا الشأن فاجابه الى طلبه وكان للاسبانيول حصن عظيم في
تلك النواحي حاول ملك الجزائر مراراً عديدة افتتاحه فلم يتمكن من
ذلك فطلب من اروج المساعدة والامداد على افتتاح هذا الحصن فاجابه
الى ذلك ولكنه عوضاً ان يساعده اخذ يستميل اليه قلوب الاهالي
والاعيان وفي ايام قليلة اشتهر امره وصار ذا كلمة نافذة فاستولى على
الجزائر وقتلى ملكها ثم افتتح تلمسان وامتدت احكامه الى اواسط افريقية
وكانت عمارته البحرية قد افاققت سواحل اسبانيا وايطاليا في مغازيها فاقام
عليه في غضون ذلك كوماريس حاكم اوران بجيش عظيم وانتصر عليه

في عدة مواقع واخيراً حصره في تلمسان وقتله
 فاستولى على المملكة بعده اخوه خير الدين المشهور باسم بروس
 واخذ بثار اخيه ثم رتب احوال المملكة ونظم امورها واذ كان يخاف من
 هجمات الاسبانويين وغاراتهم على بلاده استعان بالسلطان سليمان الثاني
 ودخل تحت ظل حمايته فامدّه بالجيوش العثمانية ثم سلمه رئاسة العمارة
 البحرية وجعله قبطان باشي على مراكبه الحربية وكان بروس قد اضمح
 ان يفتح جميع بلاد الغرب ويقدمها خدمة للسلطان في مقابلة جميله
 وعندما شرع في هذا الامر اضطرت اشرف ايطاليا من سطوته
 واتحدوا مع شركان امبراطور اسبانيا على حربه فخاربه شركان وقهره
 وبدد جيشه وسلم زمام البلاد للموكها الاصليين

الفصل السادس

في جزيرة مداكسكر

لا يخفى ان في قارة افريقية عدة جزائر متفرقة منها واقعة في شرقها
 ومنها في غربها اما الجزائر الواقعة في الجهة الشرقية فمنها جزائر كومورو
 وسكانها نحو ٣٠ الف نسمة اكثرهم من العرب والمسلمين وجزيرة بوربون
 التابعة احكام فرنسا وعدد اهلها ٦٥ الف نفس وجزيرة موريتوس
 ولحقاتها التي هي تحت تسلط الانكليز وجزيرة سومطرا وغيرها . واما
 الجزائر الواقعة في غربي القارة فمنها جزيرة مدايرا وجزر الراس الاخضر
 وهذه جميعها تحت حكم البرتغال . ثم جزيرة القديسة هيلانة التي يبد
 الانكليز وجزائر كناري او الخالدات المختصة باسبانيا وغيرها ولكن اذ

كانت جزيرة مداسكر اعظمها جميعها في الاتساع وعدد الاهالي رأينا
ان نذكر شيئاً عنها قبل الانتقال من هذه القارة

ان جزيرة مداسكر واقعة في بحر الهند للجهة الجنوبية الشرقية من
قارة افرريقية وتحسب قسماً منها لقربها اليها مع انه يفصلها عنها خليج موزمبيق
الذي مضيق عرضه ٣٠٠ ميلاً ومساحة هذه الجزيرة فسيحة فان طولها
من الشمال الى الجنوب ٩٥٠ ميلاً ومعدل عرضها ٢٥٠ ميلاً على انه في
بعض الاماكن يبلغ ٣٥٠ ميلاً فعلى ذلك تعادل مساحتها مساحة مملكة
فرنسا تقريباً

اما عدد سكانها على ما ذكره الجغرافيون فخمسة ملايين وهم شعوب
وقبائل مختلفة متفرقون بين جبالها وسهولها وديانتهم وثنية اذ لم يوجد
بينهم من يهديهم ويرشدهم لمعرفة الخالق . واما الآن فقد دخلت الديانة
المسيحية الى هذه الجزيرة دخولاً عجيبياً بواسطة مرسلين انكليز ولائينيين
وغيرهم واخذت تعاليم الانجيل تنتشر بينهم وتمتد حتى ان عدد المسيحيين
الآن يبلغ نحو ٥٠٠ الف نفس من جملة المملوكة الحالية ووزراؤها وذوو
الرتب والمناصب . وهذا التغيير العجيب تم في مدة خمسين سنة فقط .
والمعلوم انه في وقت قريب لتلاشى الديانة الوثنية من هذه الجزيرة
وتنتشر معرفة الخلاص بين جميع شعوبها

اما هواة هذه الجزيرة فعلى الاغلب حارٌ وفي بعض الاماكن تشتد
الحرارة الى درجة غير محتملة بحيث تكون قتالة للاوروبيين القادمين من
بلاد باردة واما فصولها فتختلف عن باقي الفصول المألوفة للناس اذ
ليس فيها سوى فصلين فقط وهما الشتاء والصيف

فصيفها يتبدى^٤ من شهر تشرين الثاني وينتهي في نيسان والشتاء
من ايار الى نهاية تشرين الاول . واما تربتها فجيده الى الدرجة القصوى
وتاتي بنتائج عظيمة اخصها الارز وهو المعول عليه في ماكولات الاهالي

ويُرسل منه جانب الى الخارج برسم التجارة ولو كان لاهلها زيادة خبرة
ومعرفة في امر الزراعة لكانت البلاد في نجاح اكثر مما هي عليه الآن.
ومن مستغربات اشجار هذه الجزيرة شجرة يقال لها شجرة السياح وهي
اشبه بشجرة الموز ومن خواصها انه يوجد في اسفل كل غصن منها ورقة
ملتفة على شكل الكيس تتعبأ فيها مياه المطر فيستعين بها المسافرون في
اسفارهم. قال بعض السياح كنت مسافراً ذات يوم في مداكسر
فوصلت الى غابة متسعة فيها كثير من هذه الاشجار واذ كنت عطشاناً
اخذ احد غلاني رمحاً وطعن به غصن شجرة منها فخرج مالا عذب بارد
مقدار ١٥٠ درهماً فشربت وارويت ظمائي ومرت شاكرًا

وفي هذه الجزيرة بعض المعادن كالتحاس والحديد والرصاص
والقصدير والزئبق وغير ذلك ولكن لم يستخرج منها الى الان غير الحديد
فقط. وفيها انهر عديدة وجبال شاهقة ارتفاع بعضها نحو ٩٠٠ ذراعاً ومن
اعظم مدنها مدينة انتاناناريفو وهي عاصمة المملكة ومقر كرسي الحكومة.
وعدد سكانها نحو ٨٠ الف نسمة. ومدينة تاماتاف وهي اسكلة بحرية
كثيرة التجارة واهلها نحو ٣٠٠٠ نس

اما شعوب هذه الجزيرة فينقسمون الى قسمين كبيرين. الاول يقال
لهم شعوب السقاوان وهم يشبهون العبيد في اللون والعوائد يسكنون غربي
جبال الجزيرة. والثاني شعوب المالكاز او المالباز ومنهم قبيلة الهواز التي
سادت على باقي قبائل الجزيرة سطوة وشوكة والتي منها العائلة الملكية
الحاضرة. ولذلك يطلق على حكومة مداكسر حكومة المالكاز وعلى شعبها
شعب المالكاز. والمظنون ان هذا الجنس خرج في الاصل من شبه جزيرة
ملقا او ملايا من الهند الشرقية وانتشروا في عدة اماكن اخصها جزائر
البحر المحيط فان اغلب الاهالي منهم. ويمتاز هذا الجنس بشدة استمرار البشرية
وبطول الشعر وتدليه وسواده وبضخامة الانف وتفرطحه وبكبر الاعين

ولعائنا

اما عوائد اهالي مداكسكر فقيحة ويكفيننا ان نقول انهم عبدة
اصنام فليستنجد القارى ما وراء ذلك من الصفات. ومن عوائدهم الوحشية
عملية احتيالية يسمونها طننجينا اي عملية كشف السحر استعمالها في
القضايا الواقعة فيها الشبهة على بعض الناس من جهة كونهم يستعملون
السحر اولم مداخلة في فتنه سياسية او ميل نحو النصرانية. وكان اعتقاد
العامه في صدق هذه العملية بهذا المقدار قوياً حتى ان الارباء المتهمين
في الشكايات المذكورة فضلاً عن كونهم يخضعون ويسلمون بصحة تلك
العملية كانوا يطلبون ان تجرى عليهم برغبة شديدة لتبرير انفسهم امام
الشعب مع ان الاكثرين منهم كانوا يموتون من مخاطرها وتموت براءتهم
معهم. اما كيفية تلك العملية فانهم ياتون بالشخص المتهم امام رئيس
الطننجينا (ويقال له الالاعن) فيضع في فمه ثلاث قطع من جلد دجاجة
ليبلعها بدون مضغ ثم يطعمه قليلاً من الارز المفلفل وبعد ذلك ياتي
بجوزة من السم فينحت منها قليلاً في عصير موزة ويسقيها للمتهم ثم يضع
يده على راسه ويتدى بهذه الصلاة فائلاً اسمعي اسمعي واصفي
جيداً يا ابنتها الایمانا مانكو^(١) انت بيضة مستديرة من عمل الله انت
التي تنظرين وليس لك اعين التي تسمعين وليس لك آذان التي
تحيينين وليس لك فم اسمعي اذا واصفي جيداً يا ابنتها الایمانا مانكو.
ثم يطيل الكلام في تلك الصلاة التي لم تقف الا على ما ذكرناه منها
و غاية قصدهم بهذه الاستغاثه للطننجينا ان تفحص احوال المتهم وتظهر
ذنبه فان كان بريئاً تجعله يستفرغ ما ابتلعه من جلد الدجاجة صحيحاً كما
كان ولكن اذا كانت المعدة قد هضمتها ولم يخرج التي شيئاً منها يحسبون
ذلك دليلاً واضحاً على ذنب المتهم فيبتدئون حينئذ بضربه ضرباً اليماً

(١) اي المنشة او الفاحصة

حتى يموت ثم يدفنونه في حالة الذل والاهانة وفوق كل ذلك يضبطون جميع املاكه ويغرمون اقراره. وكان عدد الذين يموتون بهذه الميتة الشيعة ثلاثة الاف شخص كل سنة ولكن هذه العادة قد بطلت الان بواسطة دخول الديانة المسيحية

اما تاريخ هذه الجزيرة فمجهول ولا يعلم كيف او متى سكنها الناس ومع انه كان للعرب والمغاربة صلة قديمة معها في التجارة لم يسمع عنها شي الا في القرن الثالث عشر من ماركو پولو الفينيسياني الذي اشتهر في سياحته الطويلة في اسيا وافريقية فانه يسميها ماناستر مع انه لم يدخلها. واول من زار هذه البلاد لورنس الميدا حكمدار بورتوغالي في الهند فانه مر عليها وهو متوجه الى محل مامورته سنة ١٦٠٥. وقد حاول البورتوغاليون مراراً عديدة اخضاع هذه الجزيرة وامتلاكها فاستولوا على بعض سواحلها ولكنهم اخيراً طردوا منها

وكان الفرنسيون قد اجتهدوا ان يضموها الى املاكهم في افريقية واستعملوا جملة وسائل الى ذلك فلم تجرهم نفعاً لانهم حصلوا على مقاومات شديدة من الاهالي ومن الانكليز ايضاً الذين مع انهم جيران في اوربا لم يسروا بقرهم في افريقية واسيا. ففي سنة ١٦٦٤ اقدم الى تلك الجزيرة جماعة من الفرنسيين واستوطنوا في بعض اطرافها. سنة ١٧٢٤ ارسلت فرنسا الكونت بنداوسكي ليقوم هناك بعض مراكز حرية فذهب في جيش عديد وعند وصوله الى تلك الجهات اظهر العصاة على الحكومة طمعاً بالاستقلال فبعثت دولة فرنسا فجارته وقتلته. سنة ١٨١٥ تملك الفرنسيون بعض مراكز على الشواطئ البحرية لكنهم التزموا اخيراً ان يتركوها بسبب قيام الاهالي عليهم. وفي اثناء ذلك وقع الاتفاق بين دولتي انكلترا وفرنسا ان تعزلا كلتاها عن استملاك شي من اراضي الجزيرة وان يتركها لاهلها

وسنة ١٨٥٥ استحصل رجل فرنساوي يدعي لامبر رخصة من
 المملكة رانافالونا الاولى لاقامة معمل للسكر شركة بينه وبينها . فبسبب
 هذه الشركة صار له وسيلة للتردد على العاصمة والتعرف بوزراء الحكومة .
 ثم اتصل بعد ذلك بمعرفة الامير راكوتو ولي العهد فكان يشرح له عن
 التجارة ووسائل الغنى الناتجين من اصلاح الزراعة وتحسين احوال البلاد
 فانفق ذات يوم مرآ على اقامة شركة لاجل هذه الغاية وواعد الامير
 راكوتو بانه عند جلوسه على سرير الملك يعطي لامبر اراضي كثيرة
 للزرع وحفر المعادن وغير ذلك من الامتيازات التي من شانها ان تجلب
 المكاسب وتصلح امور البلاد . فلما تولى الامير راكوتو زمام المملكة لقب
 راداما الثاني والتصق به جملة من الاجانب واحاط به اصحابه الاقدمون
 ممن كانت تحلوه عشرتهم فانعكف على الملاهي واللذات واهمل عهده
 مع لامبر فكان يطالبه ويلازمه ويشدد عليه في ذلك حتى التزم اخيراً
 ان يجري ما وقع عليه الاتفاق فاصدر اوامره باعطاء لامبر قسماً كبيراً
 من الاراضي واذن له باستخراج المعادن وضرب النقود وعمل الطرقات
 والترع وغير ذلك من الامور التي اجراها على غير رضى وزرائه واركان
 دولته

وفي السنة الثانية من حكمه حدثت ثورة في البلاد قُتل بها هذا
 الملك وخلفته الملكة رازوهرينا وعند جلوسها توقفت الحكومة عن اجراء
 اوامر الملك السابق واعلنت للفرنسيين بانها لا تقبل ولا تسلم بتلك
 الموافقة السرية التي جرت بغير معرفة رواسئها فتشكى الفرنسيون من
 تلك المعاملة واقاموا الحجة على حكومة مداكسكو وولجت فرنسا الكومودور
 دو بري ان يقصد الجزيرة ويسعى في تحصيل مطالب رعاياها فذهب
 اليها بثلاث قطع حرية واخذ يتهدد الحكومة ولكنه لم يستطع ان يجري
 بالفعل تلك التهديدات نظراً لما يعهده من الموافقة الواقعة بين فرنسا

التقسيم الثالث

في قارة اوربا

الباب الاول

في الكلام على هذه القارة وما يتعلق بها

ان قارة اوربا اصغر القارات ومساحتها ربع مساحة اسيا تقريباً
 وثالث مساحة افريقية ولكنها مع ذلك هي اعظمهن واشهرهن باعتبار
 الغنى والقوة والتمدن ولاسيما في المآثر وامتيازات الصنائع والعلوم وهي
 قسم من نصف الكرة الشرقي يفصلها عن اسيا جبال اورال وعن افريقية
 بحر الروم او المتوسط لتوسطه بين القارتين وبوغاز جبل طارق الذي
 يفصل اوربا عن افريقية بواحد وعشرين ميلاً وهي محدودة غرباً
 بالاوقيانوس الانلانتيكي وشمالاً ببحر الثلج الشمالي

اما عدد سكانها فيبلغ ٣٠٠ مليون تقريباً وتنقسم شعوبها الى اربعة
 اقسام اصلية الاول الشعوب الجرمانية وهم سكان جرمانيا وبريطانيا واسوج
 ونروج ودينمارك وهولاندا وبلجيوم. الثاني الشعوب السكيثية وهم اكثر سكان

روسيا وبعض سكان النمسا. الثالث الشعوب التتارية وهم الاترك واهل شمالي روسيا. الرابع الشعوب الذين هم من ذرية الرومانيين القدماء الذين اختلطوا بالقبائل الشمالية التي تغلبت على المملكة الرومانية القديمة وانتشرت في اقاليمها واستوطنتها وهم اهل ايطاليا وفرنسا واسبانيا وبرتغال. وفيها ايضا اجيال اخر كالروم والارمن واليهود ممن لا يمكن وضعهم في مصاف الرتب المذكورة لانهم اصليون غير متسلسلين من قبائل اجنبية ولغاتهم باقية الى الآن كما هي بلا تغيير

وتنقسم اوربا الى قسمين كبيرين شمالي وجنوبي اما الشمالي فهو شديد القساوة في البرد ويتضمن بلاد المسكوب واسوج ونروج والبلاد الجرمانية ودينبارك وهولاندا وبلجيوم وسويسرا وفرنسا وبريتانيا واما القسم الجنوبي فهو معتدل الهواء يتضمن البرتغال واسبانيا وايطاليا وبلاد اليونان وتركيا وسوف ياتي الكلام على كل دولة منها بالتفصيل. والذين الغالب في هذه القارة هو النصرانية

ولا يخفى ان اهل هذه القارة هم من نسل جومر بن يافث بن نوح الذي هاجر الى شواطئ البحر الاسود وتوطن في تلك النواحي ومن هناك تفرق نسله غربا كما تقدم القول في بداءة الكتاب عند ذكر تفرق بني نوح. والمظنون ان بلاد اليونان هي اول قسم سكنه الناس في اوربا من نسل ياوان بن نوح اذ يوجد بعض دلائل تشير الى كثرة عددهم في زمن موسى عند اخراجه بني اسرائيل من مصر وهم من اقدم شعوب الدنيا واول شعب برع وتقدم بالمعرفة والفنون ثم خلف اليونان في اتقان المهن والصنائع الرومان الذين تعني شهرتهم عن وصفهم ثم برايرة الشمال الذين منهم اكثر الممالك الاوربية الحالية

ومع ان قارة اوربا لم يدخلها الناس الا بعد تشعب اسيا وافريقية وكان ينبغي ان يكون اهلها متاخرين عن باقي القارات سواء كان في الغنى

والمعارف ام في الهیئة الاجتماعية فنراهم بعكس ذلك قد فاقوا وامتازوا
 عليهم في كل نوع من انواع التقدم وليس ذلك الا من اجتهادهم وافرط
 انصباهم على مطالعة الاخبار والسير لاكتساب التمدن والمعرفة بواسطة
 التمرن والایقدام على عظام الامور في الاكتشافات والاختراعات المادية
 والعلمية التي من شأنها ان ترقى الانسان ثروة وفهما وترفعه الى حالة
 سامية. ولا يمكن التسليم بان وسائط الاوربيين التي اوصلتهم الى هذه
 الدرجة الرفیعة كانت اكثر من الوسائط الموجودة في قارتي اسيا وافر يقية
 بل بعكس ذلك نجد عند المقابلة ان الوسائط في هاتين القارتين ولا سيما
 في اسيا هي اكثر جدا مما يوجد في تلك الرقعة الصغيرة فان اراضيها
 اوسع واخصب جدا وفيها انتشرت المعرفة والنور وعلی الخصوص معرفة
 الاله الخالق التي هي اساس كل نور وفيها جال رجال الله منذرين
 وواعظین وفيها نشأت اعظم ممالك العالم كملکة اشور ومصر وغيرها ومنها
 انتشرت الصنائع والعلوم الى الديار الاوربية وغير ذلك مما كان يجب ان
 يجعلا افضل من اوربا في الغنى والمعرفة والتمدن وحسن الحال. واغرب
 من ذلك ان تقدم اوربا لم يتبدى قليلا الا في القرن الثاني عشر والثالث
 عشر وقبل ذلك لا يشمل تاريخها الا على اخبار غزوات وانقسامات
 وحروب لم تأت باذی فائدة. والاوربيون انفسهم يقرّون ان تجارتهم لم
 تنتعش واحوالهم الداخلة لم تحسن نوعا الا بعد رجوع الصليبيين من
 الشرق حيث اكتسبوا عوائد وفنوناً آتت جدا الى تقدم بلادهم ولا سيما في
 الزراعة والتجربة الذي قبل ذلك الوقت كان ميتا فيما بينهم. واما تقدم
 اوربا الحقيقي فلم يتبدى الا في القرن الخامس عشر اذ منه ابتدأت
 الاكتشافات والاختراعات المفيدة والاصلاحات المجيدة كصناعة الطب
 وصب الاحرف واختراع الابرة المغنطيسية التي مهلت اسفار البحر
 وبواسطتها اكتشفت اماكن غير معروفة ثم اختراع البارود والاسلحة النارية

ثم اكتشاف راس الرجا الصالح والساوك فيه الى الهند ثم اكتشاف قارة اميركا وافتتاح بلدانها ثم اصلاح حالة حكومة الممالك بواسطة فرض حكومة الالتزامات الامر الذي جعل للدول الكبيرة استقلالاً ونظاماً جيداً. ثم اصلاح الديني الذي قلب هيئة العالم وسياسته الى غير ذلك من الامور الكبيرة التي ثبتت سيادة الشعوب الاوربية فان كانت اوربا قد حصلت على هذا النور والتقدم في برهة ٤٠٠ سنة فقط فلا تياس اسيا وافر يقية من امل الوصول الى تلك الحالة اذا جدت في التشبه بها

الفصل الثاني

في تاريخ سلطنة آل عثمان

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد ووصفها الحالي

هذه المملكة قسم واسع جداً من سطح الكرة الارضية واملاكها ممتدة في ثلاثة اقسام من الكرة قسم في قارة اوربا وقسم في اسيا والثالث في افر يقية وكل قسم من هذه الاقسام يحتوي على اراضٍ مخصبة واسعة واقليم عامرة شاسعة وانهر وبحيرات وجبال شاهقة واودية وهضاب وبطاح واكثر اقاليمها جيدة الهواء كثيرة النباتات والمعادن والحيوانات المختلفة وعدد اهلها نحو ثلاثة واربعين مليوناً كما في الجدول الآتي. والديانة الغالبة فيها الاسلامية ولكنه يوجد فيها ايضاً كثير من النصراني من تبعة الدولة

عدد سكان السلطنة

عد

في اوربا

عدد

في املاكها الخاصة	٤٤٩٠٠٠٠	
روملي الشرقية وهي ابالته تحت حكم اداري محلي	٨١٥٩٤٦	
الحال فيهم النمساويون	بشناق وهرسك	١١٥٨٤٤٠
	سنجق بني بازار	١٦٨٠٠٠
بلغاريا وهي اإمارة تدفع مالا معلوما	١٩٩٨٩٨٣	٨٦٣١٤٠٠

في اسيا

عدد

املاكها الخاصة	١٦١٣٢٩٠٠	
ساموس وهي اإمارة تدفع جزية للسلطنة	٤٠٠٨٩	١٦١٧٣٠٠٠

في افريقية

عدد

ولاية طرابلس الغرب	١٠١٠٠٠٠	
مصر تحت سيادة الدولة بما فيه البلاد السودانية	١٧٥٧٧٠٠٠	١٨٥٨٧٠٠٠
		٤٣٣٩١٠٠٠

بيان ذلك

عدد الاهالي في املاكها الخاصة	٢١٦٣٣٠٠٠	
عدد الاهالي في الامارات التي تحت حمايتها	٢١٧٥٨٠٠٠	
		٤٣٣٩١٠٠٠

اما القسم الاول فيجدهُ شمالاً روسيا واوستر يا وجنوباً بلاد اليونان وشرقاً البحر الاسود وبحر مرمر ا و بوزاز الدردنيل وبوزاز القسطنطينية وغرباً البحر المتوسط واستريا وبلاد البندقية . وهذا القسم يقسم الى اربعة اقسام كبرى الاول القسطنطينية وما يتبعها من السناجق والاقضية الثاني الروملي الشرقية وهي تحت حكم اداري خصوصي الثالث اميرية بلغار يا وهي تحت حماية الدولة تدفع مالاً معلوماً سنوياً لها والرابع بلاد المرسك والبشناق مع سنجق بني بازار الذي دخلتهُ العساكر النمساوية حسب قرار معاهدة برلين سنة ١٨٢٨ وهي الان تحت حكم الدولة النمساوية مؤقتاً . واما سربيا اي بلاد السرب ورومانيا اي الفلاخ والبعغان فقد صارتا مملكتان مستقلتان كل واحدة منهما يملك عليها ملك خاصٌ تحت قوانين ونظامات خاصة . بها وتقررت استقلاليتها في مؤتمر برلين الذي التأم سنة ١٨٢٨ وعدد سكان السرب بحسب احصاء سنة ١٨٨٢ الف الف وثمان مئة وعشرة الاف نفس وعاصمتها مدينة بلغراد واكثر اهلها روم كاثوليك . واما عدد سكان رومانيا فخمسة ملايين وثلاث مئة وستة وسبعون الفا منهم اربعة ملايين ونصف مليون روم ارتوذكس تابعين الكنيسة الشرقية والباقيون من اديان متنوعة اكثرهم امرايليون

واما القسم الثاني اي املاكها في اسيا فيجدهُ شمالاً البحر الاسود وبحر مرمر ا وجزء من بلاد كرجستان وجنوباً بحر الروم وخليج العجم وبادية الشام وبلاد العرب وشرقاً بلاد العجم وغرباً بحر مرمر ا وبحر الروم ايضاً وبوزاز الدردنيل والقسطنطينية . ويقسم ايضاً هذا القسم الى ستة اقسام كبرى . الاول اسيا الصغرى المعروف ايضاً ببلاد الاناضول . الثاني ارمينية . الثالث كردستان . الرابع الجزيرة الواقعة بين نهري الفرات ودجلة . الخامس العراق العربي . السادس سورية وفلسطين ويقال لها

ايضاً بر الشام

واما القسم الثالث من املاكها في افر بقية فهو ولايات مصر وطرابلس
 الغرب وقد مر ذكرها في محله واما تونس فقد احتلتها فرنسا وكل من
 هذه الاقسام المذكورة يتضمن ولايات ومدائن عديدة وعاصمة هذه
 السلطنة مدينة القسطنطينية وتعرف الآن باسلامبول وهي من احسن
 مدن الدنيا موقعاً واجملاً مركزاً مبنية على سبع تلال من اطراف اوربا
 وكانت قديماً تُعرف باسم بيزنطية نسبة الى بانها الاول بيزنس ولما حلَّ
 فيها الملك قسطنطين الكبير الذي تولى على سلطنة الرومانيين الشرقية
 جدد بناها وانشأ فيها القصور الفاخرة وجعلها تحت امبراطوريتها فسميت
 من ذلك اليوم باسمه . وهي تقسم باعتبار وضعها الى اربعة اقسام
 الاول المدينة الكبيرة القديمة . والثاني الغلطة . والثالث البوغاز . والرابع
 اسكودار . اما القسم الاول فهو اجمل وابهج الجميع لكثرة ما فيه من
 الابنية الجميلة والقصور الفاخرة المزخرفة العظيمة والجموع الكبيرة ذوات
 المنارات الشاهقة . وفي هذه المدينة نحو ٣٥٠ جامعاً اكثرها من الرخام
 واعظمها وابهجها جامع اجيا صوفيا الذي بناه الامبراطور يوستينيانوس
 كنيسة للتصاري طولها ٢٧٠ قدماً وعرضه ٢٤٠ قدماً وهو من احسن
 واظرف الابنية القديمة التي بقيت من اثار هذه المدينة

ثم ان الممالك العثمانية تنقسم الى ولايات يتراجمها ولاه والولايات
 تنقسم الى سناجق يتراسها متصرفون والسناجق الى افضية يتولاها قائمقامون
 والافضية الى نواح يسومها مديرون

اما الاحكام فيها فانها الان تجري بواسطة المجالس لاجل نظام
 امور السلطنة وسياسة الرعايا . واعضاء هذه المجالس من افراد الوزراء
 الموصوفين بالذكاء وحسن الراي والتدبير . ومع ان اراضي هذه السلطنة
 واسعة ومخضبة وفيها مسائط الثروة لا يكثرث اهلها كما ينبغي سيف اتقان

الزراعة ولا يلتفتون الى تقدم الصنائع والفنون والعلوم فيحتاجون الى جلب اغلب لوازمهم من البلاد الاجنبية ولذلك لا يتقدمون في الثروة كما انهم يتقهقرون في تمدن غير ان ذلك التهامل قد ابتداءً الآن يزول وبدا النور يسطو على الظلمة . اولاً بواسطة انتباه الاهالي وثانياً بواسطة المشروعات الخيرية والمطابع والمدارس التي تأسست في هذه الايام في العاصمة وباقي انحاء السلطنة العثمانية لافادة الرعايا من جميع الطوائف . فهذه الوسائل من اقوى اسباب التهذيب والنجاح والمامل انه بهمة الدولة العلية وعنايتها سترتقي البلاد الى درجات سامية من التقدم والفلاح اذ تعادل البلاد الاوربية التي لم تصل الى ما وصلت اليه من الحالة الراحة الآن الا بعد ان سارت في السبيل الذي نوهنا عنه آنفاً

اما قوة هذه الدولة العسكرية فتعد من الطبقة الاولى ويمكنها ان تخرج الى ميدان القتال عند الحاجة ما يزيد عن ٦٠٠ الف جندي مع الف وخمس مئة مدفع ورجالها يعدون من الابطال الصناديد وقد اشتهر وا في البسالة وافتحام المخاطر واحتمال مشقات الحرب

هذا ولما كان الوقوف على اخبار هذه الدولة العظيمة الشأن وسلطيتها العظام من الامور التي تستحق ان تتخذ في بطون التاريخ مدى الازمان راينا ان نذكر شيئاً من نوادر اخبارهم وما لهم من الفتوحات المشهورة وذلك على وجه الاختصار فنقول وبالله التوفيق

الباب الثاني

في اصل الدولة العثمانية وذلك من سنة ١٣٠٠ ب م
الى وفاة السلطان مراد الثاني سنة ١٤٥١ ب م

ان اصل سلاطين آل عثمان من الاغوزية وينتهي نسبهم الى يافث
بن نوح وكان مبدا ظهورهم انهم جاءوا من نواحي خوارزم سنة ١٢٣١
لليلاذ وتزلوا بجبال طورس والتصقوا بسلاطين قونية السلجوقيين الذين
كانوا يومئذ مستولين على اسيا الصغرى وارمينيا وبلاد كرجستان
فدخل بعض رؤسائهم في خدمة علاء الدين السلجوقي سلطان قونية
ومن جملتهم سليمان شاه وكان اميراً على نيرة وهي مدينة قروية من بحر
الخرز وبعد موته نزل ولده الامير ارطغرل في مدينة سرغونة ومعه من
التركان عدة عشائر وكان اميراً عليها مدة اثنتين وخمسين سنة وكان
خاضعاً لسلاطين قونية وبعد موته خلفه عليها ولده الامير عثمان سنة
١٢٩٦ لليلاذ وهو الذي اقام دعائم الدولة العثمانية واسمها في الاناضول
سنة ١٣٠٠ مسيحية على ما بقي من اثار الدولة السلجوقية التي اندرست
سنة ١٢٩٤ لليلاذ وبعد اندراس تلك الدولة ودمار سلاطينها استقل
من كان تحت تسلطها من الامراء وتقسما الممالك فيما بينهم فكان نصيب
الامير عثمان منها جزءاً من مملكة بورصة وبعض بلاد بر الاناضول فتولى
احكام البلاد المذكورة وقرر لها قواعد وتنظيمات وفتح هذا السلطان
فتوحات كثيرة واستولى على اقاليم شهيرة ولقب بالغازي لشجاعته وكثرة
فتوحاته ومغازيه ولما استقام امره وتمكن من السلطنة نقل كرسية الى

مدينة بني شهر واقام بها وكان مع شجاعته كريماً حتى كان لا يمسك شيئاً ولم يترك عند موته من جميع الاموال والتحف النفيسة التي استحوذ عليها في حروبه ومغازيه سوى بعض ملبوسات وامتعة لا تذكر من جملتها سبعة كان يحملها دائماً يقال انها لم تزل موجودة في بيت التحف في القسطنطينية. وكانت مدة ولايته سبعة وعشرين سنة

وتولى بعده ولده اورخان سنة ١٣٢٦ فسلك مسلك ابيه في الحروب والغزوات ووسع نطاق الملك بفتوحات جديدة ففتح مدينة بورصة وانشأ فيها ابنية جميلة ونقل اليها كرسي ملكه. وكانت جيوش ابيه مؤلفة من فرسان التركان ولم يكن لهم معرفة بالضبط والربط العسكري ولا انتظام حال في القتال فاستصوب السلطان اورخان ترتيب عساكر جهادية لاجل تأييد سلطنته والاستعانة بها عند الحاجة فحدث وجاهق الانكشارية. ثم وسع دائرة هذا الوجود ابنه السلطان مراد الاول ثم اكمل نظامه وحسن ترتيبه السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد الاول وما زال الانكشارية في التقدم والازدياد حتى امتازوا عن جميع الوجاقات العسكرية بالشجاعة وتفوذ الكمية. ثم سمحت احوالهم وصاروا يساكنون مسلك الرئاسة والعنفوان واستمروا على هذه الحال الى زمن السلطان محمود الثاني حينما قرضهم بالكلية ودمر وجاقهم واقام مكانهم العساكر النظامية كما ستقف عليه في محله ان شاء الله تعالى

ولما نقل السلطان اورخان كرسي الملك الى مدينة بورصة اخذ في الاهتمام والاستعداد لافتتاح مدن جديدة فجهز الجيوش وجند الجنود وهاجم بلاد اليونان فافتتح اكثر بلداتها وعامل اهلهما بالشفقة والرحمة حتى ان كثيراً من النساء الروميات اللواتي فقدن اولادهن ورجالهن في تلك الحروب كنَّ يستغثن به ويقعن على قدميه ويطلبن منه المساعدة فكان يلاطفهن بالكلام وينعم عليهن بما يسر خواطرهن فمالت اليه

قلوب الناس وما زال يتقدم ويمتد سببه فتوحاته حتى اشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز غليبولي

وكانت يومئذ الامبراطورية الرومية في حالة الانحطاط الكلي واركائها مترعزة ولا سيما بسبب الحروب الداخلية التي حدثت فيها بين سنة ١٣٤١ و١٣٤٧ في زمن وكالة يوحنا كيتاكوزين الذي كان نائباً للامبراطور يوحنا باليولوغوس مدة حياته فكان ذلك داعياً لدخول الدولة العثمانية الى بلاد اوربا. وذلك ان النائب المذكور لما رأى نفسه مبعوضاً ومرفوضاً من طوائف الروم استعان عليهم بآل عثمان فامدوه وانتصروا له عند دخولهم اوربا وبهذه الوساطة استولوا على جملة حصون وبلدان في تلك الجهات. ثم في سنة ١٣٥٩ م اجتاز الامير سليمان ابن السلطان اورخان بوغاز شفق قلعه وفتح مدينة غليبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم توفي في عنفوان شبابه سنة ١٣٦٠ فخرن عليه ابوه السلطان اورخان حزناً عظيماً ومن فرط حزنه استولت عليه الغموم والامراض ولم يمكث بعده الا زمناً يسيراً وتوفي تلك السنة نفسها

وبعد وفاة السلطان اورخان خلفه ولده السلطان مراد الاول سنة ١٣٦٠ وكان من شجعان الرجال مجاهداً في انتصار دين الاسلام وكان عند جلوسه على كرسي الملك انه فتح مدينة ادرنه ثم اقليم السرب والبلغار سنة ١٣٦٥. وفي نحو سنة ١٣٨١ مسيحية كان في بر الاناضول جملة امراء من الاتراك لم يزلوا باقين في حالة الاستقلال فخار بهم واخضعهم. وكان قد خطب لابنه بايزيد ابنة امير كرميان رغبة في اكتساب محبة ولاية اسيا الصغرى والاتحاد معهم فوجه بها وبهذه الوساطة استولى على مقاطعة كرميان وغيرها من الولايات ثم على مدينة كوتاهية التي وهبها امير كرميان الى ابنته عند زفافها. وسنة ١٣٨٦ اخضع لسلطنته معظم مقاطعتي مكدونيا وبلاد الارناوط. ثم في سنة ١٣٨٨ نهض اهل السرب

والفلاح واهل دلماطيا والمجر والبلغار وتحزبوا جميعاً عليه قاصدين بذلك تعطيل فتوحاته وتوقيفه عن التقدم فحاربهم هذا السلطان وشتت شملهم وفرق جموعهم غير انه في اثناء جبرلانه في ساحة القتال وثب عليه عسكري بلغاري كان مستتراً بين القتلى وطعنه بخنجر في احشائه فقتله

وخلفه ابنه السلطان بايزيد الاول سنة ٣٨٨ او كان على جانب عظيم من الشجاعة وقد تعود مقاساة الخطوب ومشقات الحروب فتبع خطوات ابيه في الغزو والجهاد . وكان اول امر شرع فيه افتتاحه الممالك التركية الصغيرة التي كانت مستقلة في جهات الاناضول . ثم افتتح ايلات الروملي ومكدونيا والبلغار . وبعد هذه الانتصارات صمم على افتتاح مدينة القسطنطينية واخضاع الممالك الافرنجية فزحف بجيش عظيم الى نواحي اوربا واستولى على مدينة سالونيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيش الافرنج في وقعة عظيمة حدثت في ٢٨ من شهر ايلول سنة ١٣٩٦ ثم حول وجهه نحو القسطنطينية وشرع في حصارها . وكان امبراطورها يومئذ مانوئيل باليولوغوس فاضطرب وبعث الى من جاوره من الملوك يطلب اليهم المساعدة والامداد على حرب المسلمين وكان بايزيد قد خاف من اتحاد ملوك النصراسة وتحزبهم عليه فعقد مع الروم صلحاً على عشر سنين بشرط ان يدفعوا له كل سنة ثلاثين الف ريال وان يجعل في القسطنطينية قاضياً من قضاة الاسلام وان يبني بها مسجداً للمسلمين . غير انه لم يمكث الا قليلاً حتى عاد الى حصار القسطنطينية ثانية وضيق عليها حتى كاد يفتحها . ولكن لما بلغه قدوم نيمورلنك بعساكر التتر على مملكته وافتتاحه كثيراً من بلدانها اضطرب وعظم الامر عليه فالتزم ان يرفع الحصار عنها وقفل راجعاً يبقي جيشه ليدفع عن بلاده فالتقى نيمورلنك في سهل بقرب مدينة انقره في ٢٠ من شهر تموز سنة ١٤٠٢ فاشتبك بينهما القتال من الصباح الى الغروب وكان يوماً هائلاً اكثر فيه القتلى

من الطرفين حتى صارت الارض كلوث الارجوان من دماء الفرسان
وكانت النصره تيمورلنك فهزم جيوش الاتراك وقبض على السلطان
بايزيد وصجته في قفص من حديد وما زال في حبسه الى ان توفي في ٩
من شهر اذار سنة ١٤٠٣

وكان تيمورلنك قد صمم على افتتاح القسطنطينية والاستيلاء على
الممالك الرومية ولكنه لما تسعر عليه عبور البوغاز نظراً لعدم وجود السفن
ترك تلك البلاد ورجع الى بلاده بعد ان افتتح الديار الشاميه وأكثر
الممالك الشرقية . وبعد وفاة السلطان بايزيد وقع الخلاف والشقاق بين
اولاده ودامت بينهم المنازعه نحو احدى عشرة سنة وكان ولده الامير
عيسى قد وضع يده على جميع البلاد الواقعة بالقرب من انقره وسيدوب
والبحر الاسود فوثب عليه اخوه الامير محمد فقتله واستولى على تلك
الاقاليم واما اخوه سليمان الاول فاخارهُ آل عثمان ان يكون سلطاناً
عليهم في اوربا فبايعوه بالخلافة مكان ابيه بايزيد وكان اخوه الامير
موسى يتربص فرصة لكي يفتك به فانقض عليه ذات يوم وهو راقد سيفه
فراشه وطعنه بخنجر في صدره فقتله وكان ذلك سنة ١٤١٠ للميلاد ثم
اقسم السلطنة مع اخيه السلطان محمد الاول . وسنة ١٤١٣ وقع بينه وبين
اخيه محمد المذكور خصام ونفور افضى بهما الى القتال فتحاربا وكانت الدائرة
على الامير موسى فولى هارباً فتبعه فارس من فرسان اخيه السلطان
محمد وقبض عليه وقتله وجاء براسه الى اخيه . وبعد ذلك انقرد السلطان
محمد الاول بالسلطنة ووصف له الايام وات اليه رسل ملوك الافرنج
والروم مقدمين له التهاني بالنيابة عن ملوكهم فاحترمهم واکرمهم ثم
شرع في تمهيد الامور وعقد الصلح مع الدول الاجنبية وقوى معهم روابط
الحبة والاتحاد ورد الى الامبراطور مانوئيل جميع ما كان اخذه منه
اسلافه من الحصون والولايات . وبالجملة كان سعيد الطالع عادلاً كريماً

شقوقاً على الرعية وهو اول من شرع في ترتيب العساكر البحرية وفتح مدينة
ازمير ونقل كرسي السلطنة الى ادرنه (ادر يانوبل) واعاد رونق السلطنة
ووسع نطاقها ونظم امورها وجعلها على اتمن اساس بعد ذلك الخراب
الذي اصابها من وقائع تيمورلنك ملك التترواستمر عزيزاً جليلاً الى ان
ادركته الوفاة

وقام بالملك بعده والده السلطان مراد الثاني سنة ١٤٢١ فقام
بتدبير السلطنة اتم قيام وكان محباً للغزو والفتوحات لكي يوسع سلطنته
واول امر وجه فكره اليه فتح القسطنطينية فقام بمائتي الف مقاتل وحاصرها
حصاراً شديداً فقاومه اهلها اشد مقاومة ولما يبس من فتحها رفع عنها
الحصار وارتد راجعاً الى املاكه في اسيا لتسكين نيران الفتن التي اضرمها
الروم في تلك النواحي وبعد موت الامبراطور مانويل اذن السلطان
لنائبه يوحنا باليولوغوس ان يستولي على القسطنطينية وفرض عليه
جزية معلومة يدفعها لخزنته في كل سنة وشرط عليه ان يتنازل له عن
جميع البلاد خلا القسطنطينية وضواحيها. فبذلك استولى السلطان مراد
على جميع القلاع والحصون الباقية تحت تصرف الروم على شواطئ البحر
الاسود وسواحل الروملي ومملكتي مكدونيا وئساليا واستخلص ايضاً جميع
المدن والبلاد التي داخل برزخ كورنثوس وما زال يتقدم في فتوحاته
حتى دخل بلاد المورة. فلما ذاع في اوربا خبر فتوحات الاتراك ارتعدت
فرائص الممالك الافرنجية خوفاً من ضياع القسطنطينية وتقدمهم على باقي
الممالك النصرانية فنهض البابا اوجينيوس وشرع في عقد تحالف بين الدول
الافرنجية لاجل مقاومة المسلمين فتصدى لذلك لادسلاس ملك المجر
وبولونيا وتقدم بعساكره تحت قيادة رئيسهم يوحنا هونيداس الشهير
وانضم اليهم جمهور من المجاهدين الفرنساويين والجرمانيين وصدموا
الاتراك في معركة عظيمة واستظفروا عليهم حتى اضطر السلطان

مراد ان يعتقد معهم صلحاً وينسحب . وكان ذلك في سنة ١٤٤٣ . فلما سكنت تلك الفتن والقلاقل تنازل هذا السلطان عن كرمي السلطنة الى ولده محمد الثاني الملقب بالفاتح واقطع في داره منفرداً عن الناس وانعكف على العبادة فانتبهز الملك لادسلاس تلك الفرصة لتسخ الهدنة المذكورة وتقدم ثانية لمحاربة الاتراك بعد ان حرّض ملك القرمان على مقاتلتهم

ولما رأى السلطان مراد هذه الاحوال خاف من عواقب الامور واضطر ان يعرد الى الملك ثانية فجهز جيشاً عرمرماً وسار لمصادمة الافرنج فتلاقى الفريقان في ١٠ من شهر تشرين الثاني سنة ١٤٤٤ تجاه مدينة قارنا على سواحل البحر الاسود فثبت بينهما نيران القتال وثبتت جيوش النصرى امام صفوف المسلمين في تلك المعركة الهائلة وقاومت الجيوش العثمانية اشد المقاومة مع انهم كانوا اقل عدداً منهم بسبب انسحاب معاضديهم الفرنساويين والجرمانيين الذين كانوا قد رجعوا الى بلادهم بعد الانتصار الاول . ولكن سمية لادسلاس ملك بولونيا وشجاعته الخالية من التبصر حملته على اقتحام مواكب الاعداء فقتل في ساحة المعركة وبموته انهزمت جنوده وتفرق شملهم فاخذ هونيادس قائدهم يجمع شتيت السباكر ويحرضهم على الرجوع والثبات فلم ينجح لان الرعب كان قد استولى عليهم وكان عدد قتلاهم عشرة الاف نفس

ثم ان السلطان مراد الثاني بعد هذه النصره تنازل عن الملك ثانية الى ابنه السلطان محمد الثاني وعاد الى اقراده كالاول . واذا لم ترض الانكشارية^(١) بذلك اضطر ان يعود الى السلطنة وعاد ايضاً الى ما كان عليه من حب الغزوات وقام بجيوشه وتقدم نحو بلاد الارناؤوط . وكان

(١) ان لفظه انكشارية مستعملة بحسب الدارج ولكن لا معنى لها والكلمة الاصلية هي بكجري ومعناها عسكر جديد

رجل يدعى يوحنا كاتريو حاكماً بالارث على قسم صغير من تلك البلاد
فما رأى قدوم السلطان بالعساكر الجرارة لمحاربتة خاف سوء العواقب
وعقد معه صلحاً وعاهده على دفع الجزية وانه ينقاد لجميع اوامره بشرط
ان يقيه في ولايته وان يكون من جملة عماله فاجابه السلطان الى
ذلك بعد ان اخذ اولاده الاربعة رهينة عنده فاختلط ثلاثة منهم
بماليك السلطان حتى صاروا لا يمتازون عنهم في العوائد والملابس واما
الرابع وهو اصغرهم المسمى جورج فارتقى في باب السلطان الى درجة
سامية بسبب ذكائه وشجاعته ثم اسلم بعد ذلك ولقب باسكندر بك
وصرف معظم ايامه في الحروب في خدمة الدولة العثمانية ولكنه ندم
اخيراً على ما فرط منه في محاربة الطوائف المسيحية فارتد الى مذهبه
الاصلي ومن ذلك الوقت صار من أكبر الاضداد والمقاومين للدولة
العثمانية فهجج اهالي البلاد وحرضهم على محاربتها وكان السلطان مراد قد
ركب على قسطنطين امير المورة وباقي الاقاليم المجاورة تلك البلاد
فاخضعهم ورتب عليهم الخراج وجرت على اثار ذلك حروب كثيرة بينه
وبين الارناوط والمجر الى ان توفي بداء النقطة

الباب الثالث

في قيام السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية وفيما جرى
بعد ذلك من الحوادث من سنة ١٤٥١ الى وفاة السلطان

سليم الاول سنة ١٥٢٠

وقام باعباء السلطنة بعد موت السلطان مراد الثاني ابنه السلطان
محمد الثاني الملقب بالفتح سنة ١٤٥١ ب م وكان هذا السلطان من

اشهر سلاطين آل عثمان موصوفاً بالشجاعة وقوة الجنان وعلو الهمة وقد قال فيه بعض واصفيه

تاج الملوك محمد من دوخت هام الملوك من العدا سطواته
نخر السلاطين العظام وبابه شرف الانام رفيعه درجاته
يجلوسه طاب الزمان وقد صفت اوقاته واستعدت ساعاته

وكان ابوه السلطان مراد قد اوصاه قبل وفاته ان يوجه معظم افكاره نحو افتتاح القسطنطينية فكانت اماله متعلقة بالحروب والغزوات وتوسيع دائرة السلطنة . وكان اول امر وجه فكره اليه افتتاح القسطنطينية والاستيلاء على الافطار الرومية حسب وصية ابيه فاخذ يتجهز لحصارها . وكان يومئذ على القسطنطينية الامبراطور قسطنطين دراغاميس ابن الامبراطور عمانوئيل فلما بلغه هذا الخبر انزعج وتاثر وارسل اليه يلاطفه بالكلام فطرد رسله وجعل يبني حصوناً وبراكاً على جهات بوزاز القسطنطينية ثم بعث اليه سفارة ثانية يقول له ان بناء هذه القلاع والحصون ما وراءها الا الخصاص وجيوش الشر والحرب فان لم تحملك العهود والمواثيق على عقد الصلح بيننا فذاك اليك وقد فوضت امري الى الله تعالى فان هداك وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قد قضى لك بفتح القسطنطينية فلا مرد لقضاء احكامه والا فلا ازال ادافع عنها بكل طاقتي وجهدي الى آخر نسمة من حياتي

فلم يلتفت السلطان محمد الى ذلك المقال بل استمر على ما كان عليه من الاستعداد واخذ الاهية للحرب في تجهيز العساكر والاستعدادات بخلاف الامبراطور قسطنطين فانه كان يطلب المعونة والامداد من الدول الافرنجية ويعدم كاسلافه بضم الكنيسته الرومية الشرقية الى الكنيسته الرومانية الغربية . فسر البابا هذا الخبر لانه كان يمتناه وارسل له نجدة من عساكر ملوك الافرنج فلم يجد ذلك نفعاً اذ لم يكن للروم

اهتمام بهذه الحرب وذلك لكرهيتهم ضم الكنيستين معاً ومن جرى ذلك وقعت البغضة في قلوبهم للملكهم قسطنطين وتحلوا عنه وكانوا يزعمون ان الله سوف يخذلهم ويسمح بخراب المدينة وسقوط الامبراطورية ودمارها لسبب مشروعه في ضم الكنيستين الى كنيسة واحدة وان المدافعة والمحاماة في هذا الامر ليستا بمحمودتين وقد وافقهم على هذه الافكار احد وزراء الدولة العظام وهو الدوك نوتاراس فانه قال باعلى صوته احب اليّ ان ارى في القسطنطينية تاج السلطات محجور من ان ارى فيها اكيل البابا وهكذا زاد فتور همتهم وتحتل اكثرهم عن حماية المدينة حتى لم يبق بينهم من يدفع ويحامي عنها الا نحو عشرة الاف رجل ما بين روم ولايتين انحصر فيهم رجال العاصمة

هذا وبينما كانت هذه الامور تجري في القسطنطينية واذا بالسلطان محمد الفاتح اقبل عليهم بجيش جرار يبلغ ٢٦٠ الفاً في شهر نيسان من سنة ١٤٥٣ وكان مصحوباً بعارة بحرية مؤلفة من ٣٠٠ سفينة فنزل بجيشه حول المدينة وحصرها من كل الجهات وبعث الى الامبراطور قسطنطين يطلب اليه ان يسلمه المدينة تحت شروط ثقيلة مذلة فابى وصمم على الجهاد الى النهاية فشدد السلطان الحصار وعين اليوم ٢٩ من شهر ايار للهجوم على المدينة وفي عشية ذلك اليوم جمع الامبراطور قسطنطين اعيان الامراء والقواد ومن يلوذ به من اكابر الروم الذين عليهم الاعتماد واخذ يحرضهم على القتال والتهبات لعلمهم يفوزون وبعد خطاب مستطيل اخذوا بالبكاء والعيول وعانق بعضهم بعضاً بقصد الوداع ثم قصدوا الاسوار وتحصنوا فيها ولما كان ذلك اليوم الهائل هجمت عساكر آل عثمان على الاسوار وكان قسطنطين قائماً في وسط المعركة قائداً للجيش يشجعهم ويقا تل كاحد الجنود فاستمر على ذلك مدة طويلة ولما يش من الظفر وايقن بالهلاك تجرد من اسلحته الذهبية والقي نفسه بين

صفوف الاعداء فقتلوه ولم يعرفوه وبموته انتهى القتال . فدخلت جيوش
العثمانيين المدينة

ولما عزم السلطان محمد الفاتح على ان يجعل القسطنطينية مقر
سلطنته رخص لكل من اراد الرجوع اليها من الروم ان يبقى على دينه
رغبة في عمارها لكن لما كان ذلك غير كاف لترميمها وتحسينها امر
بجمع نحو عشرة الاف عائلة من ولايات مختلفة ليأتوا اليها ويسكنوها وولي
على الاروام بطريركاً واعطاه عصا البطريركية وخاتمها حسبما جرت به عادة
القيصرية في الازمنة السالفة وقسم باقي المدينة من كنائس ومعابد بين
النصارى والمسلمين وجعل لكل من الفريقين حدوداً لا يتعداها الاخر
واستمر الحال على ذلك ستين سنة

وكان السلطان محمد بعد استفتاح القسطنطينية بثلاث سنين قد
وجه همته الى افتتاح جزيرة رودس فتهدد اهلها وطلب منهم الخراج
فاجابه رئيسهم يوحنا دولستيك ان فرسان هذه الجزيرة لم يتلکوها الا
بشجاعتهم واعانة الله تعالى لابعثنا احد من الملوك وها انا مستعد
للمدافعة عنها الى النهاية الا انه عرض للسلطان ما شغله عن محاربتها
وذلك ان البابا كالكستوس الثالث اخذ يبحث ماوك الطوائف المسيحية
ويحرضهم على محاربة الدولة العثمانية . فلما بلغ السلطان محمداً هذا الخبر
نهض بمئة وخمسين الف مقاتل وحاصر مدينة بلغراد سنة ١٤٥٦ وضيق
عليها براً وبحراً حتى كاد يفتحمها . فاخذت احد رهبان القديس فرنسيس
غيرة شديدة وصار يبحث المسيحيين ويحرضهم على المدافعة عن تلك
المدينة فاستمال نحو اربعين الفا من العساكر النمساوية وقادهم بنفسه الى
يوحنا هونياداس قائد جيش المجر فاضر بالسفن العثمانية بواسطة هذه
النجدة وفقد اكثرها . واستمر السلطان محمد نحو اربعين يوماً وهو يكرر
الهجمات على المدينة المذكورة بلا فائدة ثم ارتحل عنها بعد ان قتل من

جيشه عددٌ عظيمٌ . واما هونيادس المذكور فبحرح جرحاً بليغاً مات به .
 وكان هذا السلطان بعد هذه الغزوة قد زحف على ولاية اثينا سنة ١٤٥٦
 الميلاد ففتحها وسنة ١٤٥٨ فتح اقليم السرب الذي كان قد رده السلطان
 مراد الثاني الى امراء هذا الاقليم سنة ١٤٤٤

وفي اثناء ذلك وقع الخصام والنزاع بين الملك توما والملك ديمتريوس
 باليولوغوس وهو اخو امبراطور الروم لجهة مملكة المورة التي كانت تحت
 حكمهما وكانا يدفعا الخراج عنها للسلطان فخارب توما شريكه ديمتريوس
 وهزمه فطلب ديمتريوس المساعدة من السلطان على خصمه توما وزوجه
 ابنته ليستميله اليه فلبى دعوته وانجده على توما المذكور فولى هاربا من
 تلك البلاد ثم بعدها استغلصت الدولة المملكة من يدي ديمتريوس ونفي الى
 بعض الاديرة واستولى السلطان على المورة ما عدا بعض حصون كان توما
 قد سلمها قبل فراره للبابا واهالي البندقية

وسنة ١٤٦١ استولت الدولة على طرابزونند وهي المملكة الوحيدة
 التي كانت باقية من آثار السلطنة الشرقية وفتحت ولاية سينوب واتي
 بصاحبها داود كوموين اسيراً الى القسطنطينية فقتله السلطان محمد
 حيث اتهمه بمراسلات خفية مع ملك العجم وكان ذا ثمانية اولاد فامر
 بقتلهم ايضاً . وسنة ١٤٦٢ تملك على اقليم بوسنيا وشن الغارة على ولايات
 الفلاخ والبغدان والصقالبة . وسنة ١٤٧٠ فتح جزيرة اغر بوز من اعمال
 البندقية بعد ان اوقع باهلها وقتل اكثرهم . ثم استولى على بلاد الارناوط
 باسرها . وسنة ١٤٨٠ اصم على افتتاح جزيرة رودس فارسل لها عمارة بحرية
 مشحونة بمئة الف مقاتل تحت قياده ميشطس باشا الذي هو من العائلة
 الباليولوجية الامبراطورية وكان قد اعنق الديانة الاسلامية بعد فتح
 السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة
 اشهر بدون نتيجة ثم ارتحل عنها . وكان هذا السلطان العظيم لا تكلم همتة

ولا تفر عن الفتوحات وشن الغارات فجهز سنة ١٤٨١ جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرص تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني بنفسه لقتال العجم وبينما هو في اثناء الطريق ادركته الوفاة فمات بمدينة ازناك في تلك السنة نفسها وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة

وقد اعقب ولدين بايزيد وجم فقام بالسلطنة بعده البكر منهما وهو بايزيد الثاني سنة ١٤٨١ وكان شاعراً اديباً محبباً ومواظباً للدرس وكان قد اثار على الديار المصرية لاستخلاصها من ايدي المماليك الجركسية ولكنه بعد حرب شديدة وقعت بينه وبين قايتباي سلطان مصر عند جبل امان في قرمان قفل راجعاً الى بلاده بدون فائدة ثم قصد بلاد اوربا سنة ١٤٨٦ واستولى على جانب من بلاد البغدان وغيرها من اقاليم تلك الاطراف . وسنة ١٤٩٧ زحف على بلاد بولونيا فواقع بها واستولى على جانب عظيم منها . ولم تخل السلطنة في ايامه من المشاجرات والفتن الداخلية ولما اشتد الحال على السلطان بايزيد عهد بالسلطنة الى ولده السلطان سليم . وطلب منه ان يأذن له في الذهاب الى مدينة ادرنة ليقم بها باقى ايامه

فلما قبض السلطان سليم الاول على زمام الملك سنة ١٥١٣ امر عند ذلك بالتهيؤ لحرب العجم وزحف عليهم سنة ١٥١٤ بجيش جرار فالتقى الفريقان تحت اسوار مدينة طورس فافتتلا قتالاً شديداً ودامت المعركة ساعات طويلة وكانت الدائرة فيها على الاعجم فولوا الادبار واركبوا الى الفرار بعد ان قتل منهم عدد عظيم وقتل من آل عثمان اربعون الفا حتى عدوا ذلك اليوم الذي انتصروا فيه من الايام المشؤمة ثم ارتدوا على الاعقاب وكان السلطان سليم قد صمم على ان يشن الغارة على بلاد العجم ثانياً فتمعه الانكشارية عن ذلك

وسنة ١٥١٦ اثار السلطان سليم على ممالك مصر بجيش عدده ١٥٠

الف مقاتل نجر الغوري سلطان مصر لمحاربه فالتقى به في سهل مدينة حلب واشتبك بينهما القتال فانهمز الغوري واستولى السلطان سليم على حلب ودمشق سنة ١٥١٢ . ثم حدثت معركة ثانية بالقرب من مدينة غزة انهزمت فيها جيوش المماليك ثم تجمعوا على بعد ستة اميال من القاهرة تحت قيادة سلطانهم طومان باي الذي تولى بعد الغوري الذي مات باثناء معركة حلب فوافاهم السلطان سليم الى هناك وقاتلهم وفرق جمعهم وقبض على طومان باي المذكور وشنقه واستولى على الديار المصرية وبعد ما اصلح حالها اقام بها فائبا ورجع الى القسطنطينية واخذ في تكثير المهات والاستعداد لحروب وغزوات جديدة وفي اثناء ذلك ادركته الوفاة وكانت مدة ملكه نحو ثمان سنين

الباب الرابع

في الكلام على حكم سليمان الاول وفتح جزيرة رودس وما حدث بعد ذلك من سنة ١٥٢٠ الى وفاة محمد الثالث

سنة ١٦٠٣

انه في نفس السنة التي مسح فيها شاوكان (وهو كارلوس الخامس) امبراطورا جلس السلطان سليمان على كرسي السلطنة سنة ١٥٢٠ والافرنج يسمونه سليمان الثاني حاسبين سليمان ابن السلطان بايزيد الاول سليمان الاول . وبما ان هذا السلطان من اشهر سلاطين آل عثمان نظرا لتسوحاته وعلو همته وطول مدة حكمه راينا ان نتوسع قليلا في اخباره فنقول . انه كان سلطانا رفيع القدر موصوفا بالحكمة والحزم وقد انشأ

قوانين جديدة بها ضبط سلطنته واحسن سياستها وقسم ممالكه الى عدة ولايات واقام في كل ايالة فرقة من العساكر للمحافظة ورتب مع غاية الاتقان جميع ما يلزم لضبط العساكر ونظم ايضاً منوالاً جديداً لدخل الدولة وخرجها واقام فيها جملة ابنية فاخرة فازدادت شوكة الدولة في ايامه وتحسنت احوالها جداً

ولم يكن السلطان سليمان دون الملكين العظيمين معاصريه في العظمة والبطش فانه كان بارعاً كشر لكان في السياسة والمعرفة ومعادلاً لفرنسيس الاول ملك فرنسا في القوة والشجاعة . ولما صفا له الوقت وراق وكانت فرنسا والمانيا واسبانيا واطاليا جميعاً مضطربة بالمنازعات من حيثية ولاية ميلان وظهور لوثيروس وغير ذلك من الخصومات والانشقاقات اغتم السلطان سليمان فرصة هذه الامور وزحف بعسكر جرار سنة ١٥٢١ على بلاد المجر واقام الحصار على مدينة بلغراد وكانت من اعظم ثغورهم الحصينة فاستولى عليها ومع ان هذه النصره فتحت له الباب للتقدم في اوربا اثني راجعاً وصمم على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها ٢٠٠ الف مقاتل مع عماره بحرية مؤلفة من ٤٠٠ سفينة تحت قيادة صهره وبيري باشا فاقاموا عليها الحصار ولم يكن فيها يومئذ من العساكر الا ستة الاف وست مئة من الفرسان وجاتي شغاليريه ماري يوحنا المدعوين انصار بيت المقدس وكان قائدهم اذ ذاك يسمى شغاليردي ليل آدم وكان من شجعان ابناء زمانه موصوفاً بالذكاء والحزم فعظم عليه الامر وارسل من يومه يستعين بالامبراطور شرلكان وفرنسيس الاول السالف ذكرها ويطلب اليهما المساعدة والامداد فلم يجيباه الى هذا الطلب بسبب المنازعة الواقعة بينهما . وكان البابا ادريان السادس قد حثهما على المدافعة والحمامة عن تلك الجزيرة فلم يلتفتا الى كلامه . فاستمر الحصار عليها نحو ستة اشهر وظهر رئيسها ليل آدم المذكور في اثناء هذه المحاصرة من البسالة والثبات

ما لا مزيد عليه حتى كلت همة الانكشارية وبينما كانوا قد عولوا على
 الانسحاب اتاهم السلطان سليمان بنفسه وشدد الحصار وانقض عزائم
 الجيش بالوعد والوعيد وضايق المحاصرين من كل جهة غير مبال بحسرات
 الرجال فاضطر اخيراً رئيس تلك الجزيرة ان يسلم بعد ان امست
 الجزيرة خراباً ففتح السلطان سليمان من شجاعة هذا الرجل وثباته
 فاحترمه ومدحه على شهامته وعزاه على مصيبتة واجابه الى الشروط التي
 كان قد عرضها عليه وهي ان تبقى الكنائس على حالها وان يكون للنصارى
 الصيانة والحرية في دينهم وان لا يتكلفوا الى دفع شيء مدة خمس سنين
 ثم انسحب ليل آدم من الجزيرة وتبعه ٤٠٠٠ من اهل رودس فاعطاهم
 البابا مدينة ويتيربة فاقاموا بها الى ان تقلهم الامبراطور شركان سنة
 ١٥٣٠ الى جزيرة مانطة فنسبوا اليها وصارت من ذلك العهد دار
 اقامتهم الى ان استخلصها منهم بونا بارت وهوأت الى مصر سنة ١٧٩٨
 وبعد ما فرغ السلطان سليمان من هذه الحرب رجع الى القسطنطينية
 سنة ١٥٢٧ وجهاز جيشاً يبلغ عدده ٣٠٠ الف مقاتل وزحف به على
 بلاد المجر فالتقاه ملكها لويس الثاني بثلاثين الف مقاتل فقط ولعدم
 معرفته بادارة الحروب قلد بولس طوموري احد اساقفة بلاده قيادة
 الجيش وسار معه لمصادمة الاتراك فالتقيا بهم بازاء مدينة موهاكر
 واشتد القتال بين الفريقين فكانت واقعة عظيمة قتل فيها الملك لويس
 وهلك اكثر من عشرين الفا من جنوده وانهمزم الباقون واستولى السلطان
 سليمان على الحصون والقلاع الواقعة على الجهة الجنوبية من تلك المملكة
 ثم قتل راجعاً الى القسطنطينية محفوقاً بالظفر والغنائم وبعد موت الملك
 لويس المذكور وقع النزاع بين قائد جيوشه المسي يوحنا زابولي وبين
 الارشيدوق فردينند ملك بوهيميا من جهة ولاية مملكة المجر فتحزب
 السلطان سليمان الى زابولي وانجده على بلوغ مراده وضرب عليه مالا

معاملاً يدفعه في كل سنة للدولة العثمانية وأعانه على استخلاص عدة مدائن من فردينند

وسنة ١٥٢٩ خرج السلطان سليمان من القسطنطينية بمئة وعشرين الف مقاتل واربعة مئة مدفع لمحاربة النمسا وعند وصوله الى مدينة فينا عاصمة المملكة نصب خيامه بالقرب منها واقام عليها الحصار ولم يكن عند النمساويين سوى عشرين الف مقاتل واثنين وسبعين مدفعاً فقاتلوا اشد قتال كمن كان في رأس. فخدمت قوة الانكشارية بعد هجمات متعددة وبلا راي السلطان ذلك تحوّل عن المدينة. وسنة ١٥٣٢ خرج السلطان بمئتي الف مقاتل لمحاربة بلاد السرب فافتتح في طريقه اربع عشرة قلعة واستولى على أكثر حدود بلاد النمسا ثم رجع الى القسطنطينية. وسنة ١٥٣٣ عقد صلحاً بين ملوك اوربا ثم وجه عساكره لمحاربة العجم وافتتاح مدينة بغداد تحت قيادة ابراهيم باشا الصدر الاعظم فافتتح تبريز وبغداد وسنة ١٥٣٤ خرج السلطان بنفسه بالعساكر تابعا اثر الصدر الاعظم حتى انتهى الى تبريز ومنها سار الى بغداد ثم انثنى راجعاً الى القسطنطينية وهناك وشوا له علي وزيره ابراهيم باشا المذكور فامر بقتله. وانعم على خير الدين باشا المشهور عند الافرنج باسم بربروس اي ذي الحية الحمراء برياسة العارة البحرية وارسله لافتتاح ولاية تونس فافتتحها بعد حصار شديد غير ان هذا الفتح لم يطل امره الا زماناً يسيراً لان المنلا حسن صاحب تونس كان قد التجأ الى الامبراطور شركان واستعان به على استخلاص بلاده فاجابه الى ذلك وارسل جيشاً الى تونس وضربها واسترجعها له ثم خرجت من يده ايضاً وقد ذكر ذلك باكثر بيان في تاريخ الغرب فراجعهم هناك. وسنة ١٥٣٨ دخلت العارة البحرية تحت قيادة بربروس المذكور في الارخبيل الرومي واستولت على عدة جزائر لجمهورية البنادقة بعد ان شتت عمارتهم. ثم في نحو الوقت ذاته بعث

السلطان سليمان فرقة من الجنود الى شواطئ بلاد العرب لمنع فتوحات البرتغال فاستوت على اراضي عدن وبعض اليمن وفي اثناء ذلك حدث مصيبتان عظيمتان في القسطنطينية شغلنا بال السلطان جداً وهما مرض الطاعون وحريقة كلية احقرت نحو نصف القسطنطينية فتعطلت اشغاله الحربية لاهتمامه في جبر النكبات التي نتجت عنهما

وسنة ١٥٤٥ عقد مع فردينند هدنة اجلها خمس سنوات بشرطان هذا الامير يدفع له جزية سنوية قدرها ثلاثون الف دوقية وسنة ١٥٤٧ زحف هذا السلطان الى بلاد العجم واستولى على بلاد شروان وباقي بلاد كردستان بعد ان دامت الحرب سنتين وسنة ١٥٦٥ ارسل عمارة بحرية لافتتاح جزيرة مالطة تحت قيادة مصطفى باشا وبعد حصار شديد وهجمات متعددة ارتد هذا الوزير راجعاً من غير طائل بعد ان فقد من جيشه نحو عشرين الفا ومات السلطان سليمان في اثناء حروبه مع المجر سنة ١٥٦٦ وله من العمر ٧٦ سنة وكانت مدة سلطنته ٤٦ سنة فحزن عليه الناس حزناً شديداً وورثاه الشعراء بكل لسان فمن ذلك مرثية المفتي ابي السعود التي يقول في مطلعها

أصوت صاعقة ام نفضة الصور فالارض قد ملئت من تقر ناقور
ومنها

ام ذلك نعي سليمان الزمان ومن قضت اوامره في كل مامور
ومن ومن ملا الدنيا مهابته وسخرت كل جبار و تيور
وبالجملة تقول ان السلطان سليمان كان سلطاناً عظيماً لم يقم بين سلاطين آل عثمان اعظم منه حتى ان جميع اهل الارض كانت ترتعد فرائصهم عند استماع اسمه

وقام باعباء السلطنة بعد السلطان سليمان ولده السلطان سليم الثاني سنة ١٥٦٦ ولم يكن كاليه بل كان محباً للذات والملاهي وفي ايامه

استخلصت بعض مدن بلاد اليمن وجزيرة قبرص وغيرها من الولايات .
 وكانت مشيخة البندقية قد اتحدت مع البابا وملك اسبانيا على حرب الدولة
 العثمانية وبعدها وقائع بحرية هائلة انتصرت العساكر الافرنجية انتصاراً
 عظيماً فكانت عند الافرنج افرح عظيمة وضنوا تذكراً لتلك الغلبة
 عيداً يعيدونه في اليوم السابع والعشرين من شهر اشربن الاول ولما
 بلغ السلطان ذلك الخبر امر بتجهيز عمارة لمحاربة القوم وفي غضون
 ذلك ارسلت مشيخة البندقية تعتذر اليه وتطلب منه الصلح على وجه
 آمل الى شرف السلطنة فاجابها الى ذلك واوقف الحرب ثم مات بعد
 ذلك وكانت مدة ملكه ثمان سنين . اما الفتوحات التي تمت في ايامه
 فكانت تدبير كبير وزرائه الذي كان متخلفاً باخلاق السلطان سليمان
 وبعد موت السلطان سليم دخل ولده الامير مراد الثالث القسطنطينية
 وقام مكان ابيه سنة ١٥٧٤ وليس لهذا السلطان من المناقب التي
 تستحق الذكر كاسلافه وكانت مدة ولايته ٢١ سنة ولم يجر فيها سوى
 بعض حروب مع العجم ويقال انه كان مغرمًا بمطالعة التاريخ والشعر
 وكانت وفاته سنة ١٥٩٥

وصعد بعد موته على سرير السلطنة ولده السلطان محمد الثالث . وفي
 غضون ذلك خرج الامير ميخائيل صاحب الفلاخ عن طاعة الدولة العثمانية
 واجتمع معه ملك النمسا وبلاد الاردل فبعث السلطان محمد يبيش تحت
 قيادة فرهاد باشا الصدر الاعظم فكسره الافرنج كسرة هائلة وفقد من
 جيشه خلق كثير فقتل السلطان فرهاد باشا وولى مكانه سنان باشا
 وكان شيخاً مسناً وبعث به لمحاربة التمز بين فجاهد سنان باشا بما عنده فلم
 ينجح بل كسره القوم كسرة هائلة عند نهر الدانوب وقتلوا من جيشه
 خلقاً كثيراً فارسل له السلطان نجدة اخرى فصادفت ما صادفه الجيشان
 السابقان فعزل السلطان اذ ذاك سنان باشا ونفاه ثم بعد قليل امر

برجوعه من النفي واعاده الى الصدارة فإشار على السلطان ان يخرج
 بنفسه للحرب فخرج السلطان من القسطنطينية سنة ١٥٩٦ بجيش غدير
 قاصداً بلاد المجر وحاصر مدينة ارلو ففتحها وكان ملك المجر قد بعث الى
 ملك النمسا وحكومة الاردل وصاحب الفلاخ والبغدان يطلب منهم
 المساعدة والامداد فانضموا اليه بجيوش كثيرة وبينما كان السلطان محمد
 قاصداً بعسكره قلعة ثانية دهمه المتحالفون بجيوشهم واحاطوا به من كل
 جانب وشبت بينهم نيران الحرب ودامت النهار بطوله الى ان دخل
 الليل فانفصلوا واصبحوا في اليوم الثاني معمار بين ايضاً فانصر جيش الافرنج
 وهجموا على خيام السلطان ونهبوها بعد ان كان انتقل الى خيمة الوزير ابن
 جفال في الجانب الاخر. ولما رأى هذا الوزير ما حل بجيش المسلمين
 من الفشل نهض واخذ يشجع العساكر وهجم بهم وخرق صفوف الاعداء
 واعمل فيهم السيف فانكسرت جموع الافرنج كسرة هائلة وفقد منهم خلق
 كثير ثم عاد السلطان الى القسطنطينية سنة ١٦٠٣ ورد للسلطان
 من محافظ نخجوان كتاب مآله ان شاه العجم تقض عهود الصلح واسر
 محافظ تبريز فجهز السلطان جيشاً كبيراً وارسله تحت قيادة نصوح باشا
 وفي اثناء ذلك توفي وسياتي خبر هذه التجربة في الباب الآتي. وقد
 احب السلطان محمد الثالث العلوم والصنائع ورغب في ترقية اسبابها
 ورواج سوقها وكان عادلاً مستقيماً غير ان الدولة ضعفت في ايامه نظراً
 لتمرّد العساكر وعدم اتقيادها

الباب الخامس

في الكلام على حكم السلطان احمد الاول وما وقع له
 وخلفائه من الحوادث من سنة ١٦٠٣ الى وفاة
 السلطان مصطفى الثاني سنة

١٧٠٣ ب م

انه بعد وفاة محمد الثالث تبوأ كرمي خلافة ابنه السلطان احمد
 الاول ولم يكن له من العمر سوى ١٥ سنة . ولم يتسلط قبل ذلك في
 مثل هذا السن احد من سلفائه . وكان له اخ يسمى مصطفى فلم يشا ان
 يقتله كما جرت عادة بعض اسلافه . وبعد ارتقائه مسند الخلافة بيضة
 اشهر توفي وزيره الاول فلم يقم عوضاً عنه من الوزراء المقيمين يدار
 الخلافة بل بعث الى مراد باشا بكر بليك المقيم بمصر وكان شيخاً مسناً ذا
 دراية وحذق وامانة خارقة العادة فحضر واستلم زمام منصبه الرفيع وبعد
 ان استقر السلطان على كرمي الخلافة اخذ في اتمام ما كان قد شرع فيه
 والده من حرب الاعجام واصدر الاوامر في التجهيزات اللازمة وارسل
 جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا فانتصر على العجم في اول الامر ولكنه
 توفي اخيراً وعاد من غير طائل فغضب السلطان عليه واراد قتله ثم عفا
 عنه بواسطة ام الوزير . وكان قد ارسل تحت قيادة علي باشا جيشاً لمحاربة
 المجرقات في اثناء الطريق فعين مكانه محمد باشا المذكور . وكان السبب
 في فتح هذه الحرب لاطائل تحته . ثم سعى مراد باشا بين السلطان والمجر
 في الصلح على مدة عشرين سنة وتركت الحرب بين الدولة والامبراطور

رودوان سلطان المانيا تحت شرط ابطال دفع الغرامة التي كانت دولة
 النمسا تدفعها سنوياً للدولة وانه من ذلك اليوم فصاعداً تكون التجارير
 التي ترسل من السلطان الى الامبراطور المذكور حاوية شعائر الوداد
 والاعتبار المتبادل ككتابة الاخ لاختيه وان يقام سفراه من الطرفين في
 عاصمة كل من الدولتين وجرت العادة على ذلك من ذلك اليوم ثم
 عقدت مثل هذه العهود مع دولة فرنسا وكان ذلك سنة ١٦٠٦ ا ب م
 ثم سعى السلطان احمد في قطع دابر البغاة الذين عصوا على الدولة
 في ايام والده وایامه ايضاً منهم حسين باشا الذي كان والياً على
 الحبشة وفره سعيد وجات بولاد حاكم الاكراد وامير فخر الدين الذي
 كان حاكماً على جبل لبنان وغيرهم من الخوارج فبعث بمراد باشا مع
 جيش عظيم فبدد شملهم وقبض على بعضهم وقتلهم واسترجع منهم ما
 كانوا استملكوه من البلدان بطريق التعدي والطفغان وفي بداية سنة
 ١٦١١ امر السلطان مراد باشا ان يقود الجيوش لمحاربة الاعجم فامتثل
 امر سيده كرهاً واخذ نضوح باشا اول معاون حرب معه وكان مراد
 باشا لا يؤمل بعظيم فائدة من هذه الحرب ولذلك سار مسيراً بطيئاً
 فبعث نضوح باشا برسالة سرية الى السلطان احمد بها يقول له ان مراد
 باشا نظراً لشيخوخته لم يعد يصلح لركوب الاخطار ومشقات الحروب
 وبها ملح للسلطان انه هو يكون اصلح لمثل ذلك اما السلطان فاذا كان
 يجب مراد باشا لامانته ونشاطه بعث اليه برسالة لطيفة العبارة وضمنها
 رسالة نضوح باشا وفوض اليه ان يفعل به ما يشاء ولما وقف مراد على
 الرسالة المشار اليها استحضر نضوح باشا واطاعه عليها وعلى رسالة مولاها
 فارتعدت فرائض نضوح باشا عند ذلك على ان مراد باشا عامله معاملة
 الاب لولده وقال له اني قد طعنت في السن ولا عدت اصلح حسب
 زعمك لركوب الاخطار وما اني قد تنازلت لك عن مناصبي السيامي

والحربي معاً ووجه قيادة الجيش وكتب الى السلطان بذلك وانسحب الى بلاد ديار بكر حيث قضى باقي ايامه ومات هناك بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر وله من العمر ٧٩ سنة اما نضوح باشا فتقدم لمحاربة الانجم واستنظر عليهم وقهرهم وامتولى على تبريز فهرب الشاه عباس والتجأ ببعض الجبال وارسل يطلب الصلح فاجابه نضوح باشا الى ذلك بعد ان اشترط عليه ان يصير ذكر اسم السلطان في خطبة جوامع بلاد العجم وان الدولة الفارسية تدفع مصاريف الحرب وتقوم بترجيع الخسارة التي احدثتها في بلاد السلطنة العثمانية . فعلى هذا الوجه تمت المصالحة وانسحبت العساكر الشاهانية من تلك البلاد غير انه في سنة ١٦١٦ نكث شاه العجم تلك العهود ولم يف بالشرط ففتحت الحرب ثانية بين الدولتين واستولت الجيوش العثمانية على بعض القلاع بعد حصار شديد ثم تاخرت من كثرة التلوج والبرد وهلك منهم جانب عظيم

واعنى السلطان احمد كثيراً بامر الحرمين واصلح ماثر كثيرة بمكة والمدينة وارسل هدية لقبير النبي فصين من الماس قيمتهما على ما قيل ثمانون الف دينار فوضعا فوق الكوكب الدرعي وهو مسار من الفضة تجاه وجه النبي في الجدار . وكان لا يفتقر عن عارة المساجد وفعل الخيرات ومن اثاره في القسطنطينية الجامع المعروف باسمه له ست منارات حسنة الوضع . ولما حضرته الوفاة وكان عمره ٣٠ سنة جمع اليه كبار دولته وشيوخها واوصى بالمالك من بعده لاختيه مصطفى لان ولده عثمان كان قاصراً فاقام القوم بمحق الرصية وبايعوا اخاه المذكور فلما رأى اركان الدولة عدم اهليته وكفاءته حجزوا عليه واقاموا مكانه ابن اخته عثمان الثاني فكانت مدة خلافة مصطفى المذكور ثلاثة اشهر وبضعة ايام

فاستبشر الناس عند ماتبوا كرمي الملك السلطان عثمان المذكور ولم يكن له من العمر اذ ذاك سوى ١٢ سنة لكنه كانت تلوح على وجهه

علامات الفراسة والشجاعة وحسن الطالع. وكان الصدر الاعظم محمد باشا قد خرج بجيش جرار لمحاربة العجم في خلافة عمه مصطفى فرجع بطلب من ارباب الدولة عند ما فسدوا خلع مصطفى وتولية عثمان وبعد ان استقر الحال للسلطان عثمان قاد الوزير المشار اليه الجيش ثانية سنة ١٦١٩ لمحاربة العجم ونجح في هذه التجربة بكل النجاح واستخلص من الاعجام كل الاملاك التي كانوا قد اختلسوها. وكان السلطان عثمان يظن انه ما من امر يكسب المرء والدول فخراً سوى الحروب والمغازي. وقد فتحت له التقادير نافذة لا تمام مرامه وذلك ان صاحب بلاد الاردل احب ان يوسع نطاق املاكه بافتكاك بعض الاقاليم من النمسا فعرض على السلطان عثمان افكاره من هذا القبيل وحسن له الامر واعداً اياه بفتح بلاد اوستريا ودخوله منصوراً الى وسط فينا فقصد السلطان محاربة بولونيا اولاً تمهيداً لما آربه فاصدر الاوامر بتجهيز الجيوش والمهمات

ثم خرج عثمان بثلاث مئة الف مقاتل واما البولونيون فلم يكن عندهم سوى مئة الف يقودهم اولاد يسلاص ابن ملك بولونيا فالتقى العسكران عند حدود المملكةين المتحاربتين وشبت بينهما نيران الحرب فقاتل البولونيون قتال الاسود وصدموا جيوش آل عثمان صدمات قوية فكسروهم ثم حدث بين الفريقين معركة اخرى فاز بها البولونيون ايضاً فاضطر السلطان عثمان الى عقد صلح ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية سنة ١٦٢١. وفي تلك السنة جلد البحر الفاصل بين القسطنطينية واسكودار من شدة البرد وكان الناس يبرون من اسكودار الى القسطنطينية فوق الجليد. ثم بعد مدة قليلة مات السلطان عثمان مقتولاً وتولى مكانه السلطان مصطفى ايضاً

ولما بلغ العجم قتل عثمان واعادة مصطفى للخلافة ثانية وضعوا ايديهم ثانية على اكثر البلاد والاملاك التي فتحها السلطان سليم كبغداد والبصرة

وغيرها وقام نواب الدولة في الاناضول وسوريا ومصر وجاهروا بالعصيان
بحجة طلب ثار السلطان فلما علم السلطان مصطفى بذلك خلع نفسه بعد
حكم سنة واربعه اشهر

فبايعوا بالخلافة مكانه السلطان مراد الرابع ابن السلطان احمد
الاول وكان عمره اذ ذلك ١٥ سنة ومع ذلك كان ذا عقل ثاقب تلوح
عليه علامات الشجاعة وقوة الجنان والقلب وحسن المستقبل وكانت
الدولة يومئذ باحتياج عظيم الى رجل فيه اللياقة والكفاءة لادارة مهامها
اذ باتت في خطر عظيم من ترمد الانكشارية والعصيان في الداخل وفي
الخارج وكانت الخزينة في عسر وضيق وكان ملك العجم قد اتميز فرصة
هذه الارتباك فعاد ووضع يده على الاملاك التي كانت الدولة قد
فتحتها من بلاده واخذ خانات التتر ايضا في نواحي القرم وازوف يتعدون
على حدود الدولة ويوقعون فيها السلب والنهب وبالجملة نقول ان
السلطان مراد عند ما تبوأ مسند الخلافة كان في مركز صعب جدا
لا سيما وهو صغير السن فاخذ يسعى في سد الاختلال الواقع من كل الجهات
فابتدا اولاً في استئصال دابر العصاة الذين كانوا سبباً لقتل اخيه عثمان
وبردع تعديتات التتر وعصيان وكلاء الدولة في اسيا واقام حرباً شديدة
هائلة مع دولة العجم سنة ١٦٢٤ كانت عاقبتها مشؤومة فامر السلطان
بقتل قائد جيش هذه التجربة وفي اثناء سنة ١٦٢٥ عرضت دولة العجم
الصلح على الدولة فارتضت بذلك ولو على وجه غير مرض لها لكي تنفرغ
لسد باقي الاختلالات سنة ١٦٢٧ مات الشاه عباس ملك العجم وتولى
مكانه ولده الشاه مرزا وكان حديث السن غير اهل لمنصب مهم كهذا
فاغتنم السلطان مراد هذه الفرصة وبعث سنة ١٦٢٨ بجيش عظيم تحت
قيادة الصدر الاعظم لحرب الاعمجام واسترجاع الاملاك التي خسرتها الدولة
فلم يجده ذلك نفعاً وفقد من جيشه خلق كثير ولما كان الوزير الاعظم

قد طعن في السن وتعب من مشقات الحرب ولم يعد له استطاعة على تحملها صرف قسارى جهده في افناع سيده بعقد الصلح مع الاعجام قبل السلطان بذلك وعقدت شروطه ومآلها التسليم بكل الفتوحات التي افتحتها دولة العجم. وكان الامير فخر الدين المعني حاكم جبل لبنان قد اظهر التمرد والعصاوة على الدولة فارسل السلطان جيوشاً لمحاربتة فقاومها اشد مقاومة واذ وجد لا مناص له طلب الامان واقتى بنفسه الى القسطنطينية يطلب العفو من السلطان فحصل عليه لانه كان رجلاً مهاباً وعلى جانب عظيم من الحدق والدراية واخذ السلطان ولده ووضعه في المدرسة السلطانية في بورصة. وسنة ١٦٣٤ زحف السلطان لمحاربة العجم وبعد معارك ومحاصرات افتتح مدينة روان وارسل وفدًا الى العاصمة ليحمل خبر انتصاره

ولما عاد الى القسطنطينية وجد ان خان التتر نهض بفرقة من القوزاق واستولى على مدينة ازوف بالقرب من البحر الاسود. ثم عاد الاعجام واستولوا من جديد على مدينة روان التي فتحها. فارسل السلطان الصدر الاعظم محمد باشا لمحاربتهم واسترجاع المدينة سنة ١٦٣٦ واخفى غيظه لجهة خان التترواذا لم ينجح محمد باشا استدعاه السلطان الى العاصمة وقتله سنة ١٦٣٧. وسنة ١٦٣٨ ذهب بنفسه لمحاربة الاعجام بثلاث مئة الف مقاتل وحاصر مدينة بغداد اياماً طويلة وافتتحها عنوة بعد ان هلك نحو ٢٠ الفاً من جيش العجم ونحو ثلث جيشه وعاد الى القسطنطينية تاركاً كبير وزرائه للمخاطبات بشأن الصلح. وسنة ١٦٣٩ تقرر شروطه تحت ارجاع مدينة روان لدولة العجم وابقاء بغداد لدولة آل عثمان واقيم فيها وزير. وقد أكثر الناس من نظم الاشعار في فتحها فمن ذلك قول بعضهم خليفة الله مراد غزا قلعة بغداد فارداها وعندما حاصرها جيشه اندك للاسفل اعلاها

الصدارة فعثرا خيراً بما كان يتناه باخذه كويرلي محمد باشا وكان رجلاً
مستأ حاذقاً ذا اختبار لان طول الايام كان قد عمله ما لم يعلمه غيره
وحالما استلم عنان مامور به شرع في سد الخلل الذي كان قد اوقع الدولة
في الانحطاط وصرف قصارى جهده في استئصال عروقه المضرة وفي
برهة قصيرة نظم مهام السلطنة وضبط الاحكام على احسن نظام وعادت
الى سطوتها وروقتها الاولين

واراد هذا الوزير ان يجعل حكم سيده ذا شهرة واعتبار فاخرجه الى
عالم الشهرة وجهز جيشاً و اشار على السلطان ان ياخذ قيادته ويذهب به
الى دلماتيا لمحاربة اهل البندقية . فذهب السلطان الى مدينة ادرنة
ليستلم قيادة الجيش سنة ١٦٥٨ واقام محمد باشا بمنصبه في العاصمة . وبعد
وصول السلطان بيضعة شهور الى ادرنة حدث ثورة عظيمة في نواحي
حلب والموصل بدسيسة ابراهيم باشا واليها وذلك ان رجلاً ادعى انه
ابن مراد الرابع وسمى نفسه بايزيد زاعماً انه نجا من القتل عند ما أمر بقتله
وعضده جمهور غفير فبعث محمد باشا بجيش صغير لمحاربة ذلك المدعي
زوراً ولاطفاء نار الثورة فانكسر الجيش ولم يثبت فاضطر الى اعادة
الجيش الذي ذهب به السلطان الى ادرنة وارسال كل قوة الدولة
لاخماد نار العصاة فانهمزم المدعي المذكور وتمزق جمعه وتفرق ثم قبض
عليه في الاسكندرية مع ابراهيم باشا الذي كان السبب في ذلك وقتلا
وعادت الراحة الى الدولة وذلك سنة ١٦٢٠ . وكانت جمهورية البندقية
والشجاع راكوتزكي صاحب ترانسلفانيا من اشد خصوم الدولة تلك بجزراً
وهذا برأ فاخذ محمد باشا يتاهب للخروج بالجيوش لمحاربة راكوتزكي المذكور
فدهمته الوفاة في مدينة ادرنة سنة ١٦٦١ وحزن السلطان جداً لفقدوه
فاقام مكانه ابنه احمد فاضل باشا وكان كايه في الذكاء والحدق فسلك
مسلكه في تحسين امور الدولة ونجاحها ونجحت العساكر العثمانية في

مبدأ الامر في ترانسلفانيا والمجر وما جاورها من البلدان ولكن اخيراً
انتصر عليهم القائد النمساوي العام مونتيكوكوليو سنة ١٦٦٤ فاجمعوا
جميعاً على عقد الصلح وقبل الامبراطور ليوبولد ذلك بمزيد الفرح سنة
١٦٦٥

وكان السلطان محمد الرابع قد جعل دار اقامته من سنة ١٦٥٨
مدينة ادرنة كما كان قد اشار عليه وزيره السابق فتهدم اهل العاصمة من
غيابه منها واظهروا عدم الرضا فاشار عليه وزيره احمد بالرجوع اليها فعاد
ولم يلبث الا اياماً قلائل حتى عاد الى مكانه بحجة طلب الصيد والقنص
لانه امسى يخشى غدر المفسدين كما غدروا قبلاً بسلفائه ٠ وسنه ١٦٦٨
ذهب احمد باشا الصدر الاعظم الى كريت لانجاز امر الحرب هناك
وافتح ما كان باقياً في ايدي مشيخة البندقية فارسلت المشيخة المذكورة
تسعين بدول الافرنج فانجدهم الفرنسيون والبابا وسائر دول ايطاليا
وفرسان مالطة فلم يات كل ذلك بادنى فائدة بل فتح العثمانيون الجزيرة
بعد حرب شديدة ٠ وبعد ان اقام الصدر الاعظم فيها المحافظين وبنى ما
كان قد تهدم من حصونها وارجعها فقل راجعاً يباقي الجيش الى العاصمة
سنة ١٦٧٠

وسنة ١٦٧٢ فتحت الحرب ثانية في المانيا وبولونيا ودامت الى سنة
١٦٧٥ وكانت تارة لم وطوراً عليهم وفي السنة نفسها توفي الوزير احمد
فاضل وله من العمر ٤٧ سنة بعد ان حكم ١٥ سنة الامر الذي لم يجر
قبل ذلك العهد في الدولة العثمانية فحزن السلطان لفقدته لانه كان من
افضل الوزراء الذين قاموا في دولة آل عثمان الى ذلك العصر ولو طال
بعد حياة هذا الوزير لتحسنت حال الدولة جداً فخلفه قره مصطفى باشا
ولم يكن في السطوة دون سلفه على انه كان بينه وبين ذلك بون عظيم
في الخدق والدراية فوقع بينه وبين قوزاق اوكرينية فتور افضى الى

هذا ما جرى في ايام هذا السلطان من الفتوحات والحروب واما ما وقع من الحوادث فمنها تعطيله القهبات ومنعه شرب التبغ والافيون وقتله اصحاب المفاسد من القواد والجيوش واصلاحه حال المالية حتى امتست الدولة في ايامه في يسر وانتظام لامزيد عليهما. هذا وبينما كانت الدولة في تقدم ونمو وزهو كانت صحة السلطان مراد تتاخر يوماً فيوماً ولم تطل ايامه حتى توفي في الاول من شهر اذار سنة ١٦٤٠ بعد ان ملك ١٧ سنة وله من العمر ٣١ سنة

ولم يبق يومئذ من سلالة آل عثمان سوى الامير ابراهيم اخي السلطان مراد فخلفه سنة ١٦٤٠ اوله من العمر ٢٠ سنة على انه كان بون عظيم بينه وبين اخيه السلطان مراد وكان مصطفى باشا كبير الوزراء فاخذ يسعى هذا الوزير في اشتهار سلطنة سيده بفتوحات جديدة فارسل جيشاً لمحاربة خان التتر واسترجاع مدينة ازوف وبعد ان هلك خلق كثير استولت الدولة على المدينة المذكورة سنة ١٦٤٣ وبعد ذلك بثلاث سنين استولت ايضاً على بعض جزيرة كريت. ثم مات السلطان ابراهيم مقتولاً

وكان قد اعقب ولداً واحداً ولم يكن له من العمر اذ ذاك الا سبع سنين غير كاملة فبويع مكان ابيه تحت اسم محمد الرابع. وكانت الدولة يومئذ في ارتباك عظيم مزعزعة الاركان وحسادها واعداؤها كثيرين وكانت المالية من جهة في عسر وضيق ومن جهة اخرى كانت العساكر غير منقادة لاولياء امورها واصبح وكلاء الدولة في الولايات غير مباشرين في تنفيذ اوامرها فمن جرى هذه الاحوال نبغت الفتن وكثر الفساد وتقوى الضعفاء على الوزراء والاكابر فكان الوزير يتولى اياماً ثم يعزل او ينفي او يقتل وهكذا من سنة ١٦٤٨ الى ١٦٥٧ كانت ايام دولته في تعكير ومع ان السلطان محمد كان لم يزل صغير السن لم يفتقر عن البحث هو وامه على رجل فيه البياقة والاهلية لان يتبوا مسند

حمل السلاح فطلب هولاء الاعانة من دولة روسيا فلبت دعوتهم ووقعت الحرب سنة ١٦٧٨ ففاز القوزاق والروسيون على آل عثمان ولما بلغ السلطان محمد ذلك خرج بنفسه الى ساحة القتال فلم يات ذلك بالمرغوب ولما رأى وزيره تلك الحال خامره الخوف والوجل وكان القيصر الروسي قد عرض عليه الصلح فقبل به حالاً

وبعد هذه الخسارة اخذ الصدر الاعظم في استعدادات كلية لمحاربة امبراطور المانيا. ولما كانت سنة ١٦٨٣ اخرج السلطان مع مصطفى باشا من القسطنطينية الى ادرنة ليحتمعا هناك بالجيش ومن هناك قاد مصطفى باشا العساكر وتقدم دفعة واحدة واقام الحصار على مدينة فينا قبل ان يهد الطريق بفتح الحصون التي قبلها. ولما وصل هذا الخبر الى الامبراطور ليوبولد اضطرب كثيراً وارسل من يومه يسأل البابا ان يطلب الى سوياسكي ملك بولونيا ان يتحد معه على عدوهم العام ولما رأى البابا اينوسانت الحادي عشر الخطر الذي كان محققاً باكثر الدول النصرانية من سطوة آل عثمان حسم سوياسكي المذكور وغيره من امراء المانيا ان ينضموا يداً واحدة لدفع البلاء فاجاب الجميع استدعاء البابا واخذوا يجتمعون جميعاً للدفاع. وكان الصدر الاعظم مصطفى باشا يشدد الحصار ويرمي المدينة بالقنابل والنار المهلكة وكانت اهلها لا يعرفون النوم ولا الراحة فكانوا يصرفون النهار بالحرب والمدافعة وفي الليل يرمون ما قد تهدم من الاسوار فاستمر الحال على هذا المنوال الى اليوم الثاني عشر من شهر ايلول سنة ١٦٧٣ اذ اقبلت طلائع سوياسكي وقد انضم اليه جمهير غفيرة من اقطار المانيا كبافاريا وسكسونيا وغيرها وهجموا دفعة واحدة على صفوف العساكر العثمانية واشتبك بينهم قتال هائل دام من الصباح الى المساء حتى تخضبت الارض بالدماء وتغطى كبد السماء من الدخان وقد فعل سوياسكي وجموعه فعلاً تكل عنها صناديد الرجال

وقاومت العساكر العثمانية مقاومة الاسود ولكن اضطر اخيراً مصطفى باشا ان يطلب الفرار وتشتت جيشه في تلك البراري والوهاد بعد ان هلك منه خلق كثير. ولما عاد مصطفى باشا الى بلغراد اخذ الناس وقواد العساكر يتدمرون عليه ويطلبون قتله اذ كان هو السبب في ذلك الانهزام فامر السلطان بقتله واقام مكانه قره ابراهيم باشا

وسنة ١٦٨٤ اشهرت مشيخة البندقية ودولة النمسا الحرب على الدولة ودامت الحرب بينهم الى سنة ١٦٨٦ وكان النصر فيها دائماً للافرنج فتكدر ارباب الدولة جداً من ذلك. واذ كان السلطان محمد مغرمًا بالصيد صارقاً اكثر اوقاته فيه اقاموا مكانه اخاه السلطان سليمان الثاني سنة ١٦٨٧ فكان مبدا حكمه مشوشاً من داخل ومن خارج ولما راي السلطان تلك الحال والاططار المحدقة بالدولة بعث الى حكومتي النمسا والبندقية يطلب اليهما الصلح فلم تجيباه الى طلبه فاضطر الى دفع القوة بالقوة وعزم ان يقود الجيش بنفسه ولما وصل الى بلغراد خاف ان يتقدم اكثر من ذلك لجبله فن الحرب فولى قائدًا خلفه سنة ١٦٨٩ فكسره الافرنج وشتتوا جيشه

وتولى الصدارة يومئذ مصطفى باشا كيويولي المشهور وكان قد ورث من جده وايه جراتهما الحربية والسياسية فاخذ قيادة الجيش وانتصر على النمسا سنة ١٦٩٠ وسنة ١٦٩١ واستخلص منها بلغراد وغير اما كن كانت قد ريجتها من الدولة قبل ذلك ومن جهة اخرى كانت الاعلام العثمانية فائزة ايضاً في البندقية وفي اثناء ذلك توفي السلطان سليمان بعد ان حكم ثلاث سنين وتسعة اشهر

وخلفه اخوه السلطان احمد الثاني سنة ١٦٩١. وفي نفس هذه السنة سار مصطفى باشا للحرب مع النمسا فقتل في المعركة وانهمز الجيش وتشتت بعد ان هلك منه ٢٨ الفاً. وسنة ١٦٩٢ حدثت حريقه هائلة في

القسطنطينية احرقت ربع المدينة سنة ١٦٩٣ ارسلت الدولة جيشاً لمحاربة النمسا فلما بلغ ذلك قائد جيش النمسا رفع الحصار عن مدينة بلغراد ورجع عنها على انه لم يعقد صلح بينهما وبقي جيش الدولة محافظاً هناك وفي السنة التي بعدها مرض السلطان ومات وكانت مدة سلطنته اربع سنين

وتخلف مكانه السلطان مصطفى الثاني بن السلطان محمد الرابع سنة ١٦٩٥ وكان محباً للعلوم والمعارف وعلى جانب عظيم من الرفقة والحذق وكان اول امره باشره في نفس تلك السنة افتتاحه جزيرة ساقس من البندقية وبعد هذه الغلبة سار بجيش قليل لمحاربة النمسا على انه لم يجز ادنى ثمة في هذه الحملة بل عادت عليه بالخرابة وهكذا كان الحال ايضاً في السنة التي بعدها في محاربة المسكوب ففاز الروسيون واخذوا مدينة ازوف وكانت دولة فرنسا مع باقي الدول المتحابة ساعية في غضون ذلك في تمهيد طريق الصلح فسعى سفير انكلترا وهولاندا لدى الباب العالي في ترقية اسبابه فلم تصادف مساعيهما قبولاً في اول الامر بل اصر السلطان على الحرب والانتقام من دولة النمسا ولكنه بعد واقعة سنة ١٦٩٧ وعدم نجاح العساكر العثمانية على النمسا قبل الصلح فانعدت شروطه في مدينة كرلوفيتز بين الدولتين عن يد معتمدي الدول الاجنبية وحصل فيها هدنة متاركة السلاح بينهما على مدة ٣٥ سنة واما القيصر الروسي فلم يقبل الا بهدنة سنتين فقط وتم ذلك في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٦٩٨ وبعد انعقاد الصلح المذكور تغير الحال وتولى مكان السلطان مصطفى السلطان احمد سنة ١٧٠٣ وكانت مدة حكم السلطان مصطفى نحو ثمان سنين ومات سنة ١٧٠٤

الباب السادس

في ما جرى من الامور والحوادث منذ خلافة السلطان احمد

الثالث سنة ١٧٠٣ الى سنة ١٨٨٤

انه عند ما تبوأ السلطان احمد الثالث مسند الخلافة سنة ١٧٠٣ كان السلام منتشراً في كل اطراف السلطنة الامر الذي ندر وقوعه منذ تاسيس الدولة العثمانية وكانت يومئذ الحرب قائمة على ساق وقدم بين القيصر الروسي وكارلوس الثاني عشر ملك السويد واسترسلت الى سنة ١٧٠٩ حين انكسر اخيراً كارلوس المذكور في معركة بليتوفا وفاز عليه بطرس الاكبر فانهزم ودخل حدود الدولة العلية ونزل في بندر قاسر السلطان وقتئذ ان يكرم غاية الاكرام وان تكون مصاريفه ومصاريف كل تبعته من خزينة الدولة اما كارلوس فاخذ يطلب من السلطان نجدة لقتال القيصر الروسي فلم يجبه الى ذلك نظراً للمعاهدة التي كانت بين الدولتين فمكثت سنوات في بلاد الدولة مداوماً الاصلاح عليها لمحاربة روسيا واذ كان له في بلاط السلطان شهرة عظيمة وكانت ام السلطان تميل اليه وتلقبه بالاسد اعتمدت الدولة اخيراً على اجابة طلبه واشهرت الحرب على روسيا سنة ١٧١١ وارسلت جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين المارقين عند نهر بروث وبعد كفاح شديد تفقر جيش القيصر وامسى الامبراطور سيفه خطر مبين ولولم تدارك الامر زوجته كاترينا بمحذقها ودرايتها لاصبح زوجها اسيراً فعقدت الصلح مع الوزير الاعظم تحت شرط ترجيع بحر

ازوف الى الدولة وهدم الحصون التي على سواحل هذا البحر وعدم مداخله روسيا فيما يخص القوزاق وان نتعهد للملك كارلوس بجزيرة الرجوع الى بلاده وبعد المصادقة على هذه العهود من الطرفين ارسل الوزير يعلم السلطان بالنتيجة فغضب وامر بعزله.

وسنة ١٧١٤ فتحت الحرب على البندقية واذا كانت هذه المشيخة في ضعف من كثرة الحروب لم تستطع منازعة الدولة زماناً طويلاً فاستولت العساكر العثمانية دفعة واحدة على ولاية المورة سنة ١٧١٥. وكانت المشيخة المذكورة قد استغاثت بشارل السادس امبراطور المانيا فلبى دعوتها وبعث الى الدولة العلية بطلب منها ان ترسل معتمداً من طرفها الى حدود بلاد المجر لاجل المخابرة معه لجهة جمهورية البندقية وان اُبت ذلك فانه مستعد ان يشهر الحرب عليها. فلم تجب الدولة هذا الطلب بل ارسلت على الفور الصدر الاعظم بمئة وخمسين الف مقاتل لمحاربة المانيا فوافاهم ثمانون الفاً من عساكر الالمان تحت قيادة الامير اوجين والتقى الجيوش عند كارلوفيتز حيث كان عقد بين الدولتين التحاربتين معاهدة الصلح منذ ١٧ سنة واتجم القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على عساكر آل عثمان وقتل الوزير الاعظم وكل القواد الاولين وفتح الالمان مدينة تيمسفار بعد حصار شهرين ودخلت الفلاخ تحت تسلطهم. وكانت الدولة قد ارسلت عارثها بجزيرة البندقية وفتح جزيرة كورفو فخرست ايضاً ولكن مع كل هذه الخسائر جددت الحرب سنة ١٧١٧ فخرست فيها مدينة بلغراد. ولما بلغت هذه الاخبار ديوان السلطان فتح المخابرات بشارل الصلح سنة ١٧١٨ وكان يتطمع في عقد الصلح مع كل من دولة المانيا وجمهورية البندقية على حدته فاجاب الامير اوجين بان الامبراطور شارل لا يفتح المخابرات الا تحت شرط عقد الصلحين سوية تحت نظره واردف هذا الطلب بان يعطى

له ما عدا مصاريق الحرب ومديني بلغراد وقيسفار اقليميا بوسنيا والسرب
الواقعان في الجهة اليمنى من نهر الدانوب والفلاخ من حدود بلغراد الى
نهر دينستر وان ترجع المورة الى البندقية فعظمت هذه المطالب على
السلطان احمد وفضل فقد التاج على التسليم بشروط مجلبة للعار . فتداخلت
اخيراً دولتنا انكثرا وهولاندا في فض الخلاف وصار القرار على ان يبقى
في يد كل من الدولتين الاملاك التي تكون في يدها عند امضاء
المعاهدة وان تبقى اياها المورة للدولة

وسنة ١٧٢١ حدثت حريقة هائلة في القسطنطينية احرقت نحو ربعها .
وسنة ١٧٢٦ توفي الشاه حسين ملك العجم مقتولاً وحدثت ثورة عظيمة في
بلادها فاغتنمتها الدولة ودخل جيشها بلاد العجم واستولت على بعض
املاكها . وفي تلك الاثناء انتصر الشاه طهماسب على اعداء ابيه وغب
جلوسه على سرير الملك ارسل يطلب من السلطان ترجيع الاملاك
التي كان استولى عليها واذ لم يلتفت الى ذلك الطلب اثار الاعجام على
تهريز واستولوا عليها . ثم قام بعده باعباء السلطنة السلطان محمود خان
الاول بن السلطان مصطفى الثاني سنة ١٧٣٠ فرقق في الرعايا واقضى
اثار اجداده بالغزو والجهاد فخارب الاعجام في جملة مواضع ولكن بدون
فائدة عظيمة وحارب ايضاً روسيا والمانيا عدة سنوات وبعد وقائع كثيرة
اجرى معهما صلحاً مع هدنة اجلها ٢٧ سنة اما شروط الصلح مع المانيا
فهي ان ترجع للدولة بلغراد مع اقليمي السرب والفلاخ وان يكون الحد
الفاصل بين الدولتين نهر الدانوب واما الشروط مع روسيا فهي ان لا
يكون لها مراكب حربية او تجارية في البحر الاسود وبحر ازوف بل تستخدم
لتجارتها مراكب اجنبية وان تهدم قلعتها في ازوف وان ترجع بعض البلاد
التي استولت عليها في زمن الحرب . وهكذا انتهى الحال وزال الشقاق
والاختلال وعظم السلام في السلطنة الى ان توفي السلطان محمود في ١٣

ك ٢ سنة ١٧٥٤

وتسلطن بعده أخوه السلطان عثمان الثالث وكان يجب الاقتراد
وكانت مدة حكمه ثلاث سنين ونصفاً ثم توفي سنة ١٧٥٧ . وخلفه
السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث في السنة المذكورة
وكان ساطعاً عظيماً موصوفاً بالعدل والحلم فاخذ حالاً في تنظيم احوال
السلطنة وسلك احسن سلوك مع الرعايا وكان يعتمد على وزيره محمد
راغب باشا الموصوف بحسن السياسة والتدبير وهو صاحب الجامع
والمكتبة الوقفية الشهيرة المعروفة الان باسمه في مدينة القسطنطينية .
ولكن لم تطل ايام هذا الشهم اذ توفي سنة ١٧٦٨ وبعد موته شبت
نيران الحرب بين الدولة وروسيا وخرج السلطان للحرب سنة ١٧٦٩
فخسر شوكريم والبغدان وقسماً من الفلاح ولم تكن السنة التالية اقل
شوماً من التي قبلها اذ احترقت عمارة الدولة بالقرب من جزيرة ساقس
وانهزم خان القرم عند نهر بروث وانكسر الصدر الاعظم ايضاً عند
شواطيء النهر المذكور وخسرت الدولة مدينة بندر وعدة جزائر في
الارخبيل . وفي الوقت نفسه تحرك اليونان في المورة والارناوط ايضاً
بدسيسة روسيا واخذوا يستعدون لخلع نير الطاعة للدولة . ونهض ايضاً
علي بك من الممالك واخذ مصر واراد الاستقلال بها . وحكم ايضاً الشيخ
ظاهر العمر على جانب من سور يامستقلاً فامت الدولة في مركز
صعب جداً ومع ذلك لم تقترهمة السلطان مصطفى واستمر يتاضل قوة
العدو ويتازعه على الدانوب حتى عزم ان يقود الجيش بنفسه ولكنه
شعر في تلك السنة بهبوط في قواه وكان يتزايد يوماً فيوماً حتى شعر
بقرب حلول الاجل فاستدأ اليه اخاه عبد الحميد واوصاه بولده
سليم (الذي حكم فيما بعد تحت اسم سليم الثالث) ثم توفي في ٢١ ك ٢
سنة ١٧٧٤ وله من العمر ٥٨ سنة

وجلس بعده أخوه السلطان عبد الحميد سنة ١٧٧٤. وكان محمود
السيرة سليم السيرة يجب الصلح والسلامة وكان له اذ ذلك ٥٠ سنة من
العمر وكان سلفه قد باشر التجهيزات لمحاربة الدولة الروسية فأمر بانجازها
وازدادها وبعث بالصدر الاعظم مع ٤٠٠ الف مقاتل فالتحم القتال
بينهم وبين الجيوش الروسية فلم ينتصروا عليهم لقلته تدبيرهم وانحصروا في
شومله ووقعوا في صعوبة كنية ولم يعد لهم منها منفذ الا بالصلح فعدت
شروطه سنة ١٧٧٤ واخصها استقلال التتر وفتح ابواب كل البحر الدولة
للسفن الروسية ومع ذلك كله لم تقنع دولة روسيا بل كانت تتعدى من
حين الى حين على حدود الدولة حتى انها غارت على القرم واستولت عليها وكان
السلطان عبد الحميد يتحمل تلك التعديت ببرارة عظيمة زماناً طويلاً
وهو غير قادر ان ياتيها بالعلاج الشافي ولما رأى ان كل املاك دولته ما
وراء الدانوب وقعت في قبضة الاجانب شرع في استعدادات جديدة
للحرب وبينما كان مهتماً على القيام وافته المنية في ٧ نيسان سنة ١٧٨٩
تاركاً لابن اخيه السلطان سليم السلطنة

فلما تبوأ السلطان سليم الثالث مسند الخلافة همّ حالاً لتشل الدولة
من تلك الحالة السيئة وبعث بالعاكر المجهزة لمحاربة الجيوش الروسية
والنمساوية فالتقى الفريقان في البغدان وصدما بعضهم بعضاً مدة
شهرين فكانت الدائرة على جيوش الدولة وغنم الاجانب غنائم كثيرة
واستولوا على قلعة بلغراد واياي الفلاخ والسرب فتدخلت حينئذ
بروسيا وانكثرتا بين ليوبولد امبراطور جرمانيا والدولة في شأن الصلح
وقرر القرار فيه بان يصير ارجاع بلغراد وكل الاراضي التي فتحها النمسا
خلا شوكريم لحد نهاية الحرب مع روسيا وتعينت ساقية كزارما حداً
فاصلاً بينهما وكان ذلك سنة ١٧٩١. اما روسيا فكانت لاتزال مقيمة
الحرب على قدم وساق وقد حاصرت قلعة اسمعيل وهي من اهم حصون

الدولة العلية وامنها وبعد حصار شديد فتحتها فدخلت ايضا الانكليز وبروسيا وانها انزاع والحرب وحملوا روسيا ان ترجع للدولة كل الاماكن التي فتحها خلا اوكرنا كوف والاراضي الواقعة بين نهري بوغ ودينستر حيث اقامت الملكة كاترينا الثانية مدينة اودسا سنة ١٧٩٢ وبعد هذا الصلح حدث فرح عظيم في القسطنطينية على ان الاخبار لم تكن سارة من جهة مصر وسورية

ثم سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وارسل يطلب من فرنسا مهندسين ومعلمي صنائع وضباطا الى غير ذلك فبعثت له بجاناب عظيم على ان علاقته الحبية معها تكدرت سنة ١٧٩٨ حين دخل الفرنسيون مصر على غير علم الدولة واقاموا فيها الى سنة ١٨٠٠ فالتزمت حينئذ ان تشهر ضدها السلاح واخرجتها من اراضيها المصرية بمعاوضة انكلترا وفي اول اذار سنة ١٧٩٩ فتحت عارنا الدولة وروسيا السبع الجزر التي كانت لجمهورية البندقية وكانت فرنسا يومئذ مستولية عليها منذ سنة ١٧٩٧. وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي اتحد فيها هاتان الدولتان. وفي ٣١ اذار من سنة ١٨٠٠ صار الاتفاق بين الدولتين المشار اليهما في صيرورة الجزر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزر

وبعد رجوع بونابرت من مصر عقد سنة ١٨٠٢ معاهدة صلح مع الدولة العلية ولما ارتقى الى المنصب الامبراطورية بعث سفيرا الى الدولة لكي تعرفه امبراطورا فتاخرت من جرى تهديدات روسيا وانكلترا واكن لما بلغها صدى انتصاراته على النمسا وروسيا في اوسترليتز سنة ١٨٠٥ عرفته اخيرا سنة ١٨٠٦ وجددت مع فرنسا علاقات الوداد ووافقتها على محاربة روسيا فكان ذلك داعيا لتعكيرها مع انكلترا التي كانت تسعى في ملاشاة شوكة نابليون. ولكن لم تستطع انكلترا ان تمنع السلطان سليم

عن محاربة المسكوب لان جيوش هذه الدولة كانوا قد تجاوزوا الحدود ودخلوا الفلّاح والبغدان خلافاً للعهد فاضطر السلطان ان يحافظ على بلاده ويدافع عن حقوقه فجهز الجيوش وارسلها تحت قيادة الصدر مصطفى باشا شلبي ومصطفى باشا البيرقدار الى الاقليين المذكورين فضربوا الروسين ومنعوا تقدمهم من الاراضي العثمانية

وكان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاه الانكشارية ويقيم مكانه عسكرياً على الطريقة الانجليزية لانهم كانوا قد زرعوا اركان السلطنة بعضياتهم وعدم اتقيادهم وكان قد نظم في العام السابق بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من جراء ذلك واثاروا في المدينة شغباً عظيماً وغب ان اعتصبوا عصبة واحدة طفقوا يتعدون على الاهالي ويقتلون من وقعت ايديهم عليه واخيراً اقاموا مكانه السلطان مصطفى الرابع حفيد السلطان عبد الحميد في ٢٠ ايار سنة ١٨٠٧

فلما جلس السلطان مصطفى على كرسي الخلافة حدث في نفس السنة التي تولى بها ان نابوليون الاول فاز على الامبراطور الروسي وعقد معه معاهدة تيسلت فبداخلته عقدت هدنة بين الدولة العلية وبين روسيا وانسحب العسكران كل الى بلاده وعند رجوع الصدر الاعظم ومصطفى باشا البيرقدار الى القسطنطينية تبوأ تحت الخلافة مكانه السلطان محمود الثاني سنة ١٨٠٨ وجعل مصطفى باشا البيرقدار المذكور صدر اعظم

وكانت الدولة يومئذ في مركز صعب جداً لم تصل الى مثله منذ تاسيسها فلم ادارة مهامها الى وزيره مصطفى باشا المشار اليه معتمداً عليه كل الاعتماد فقام بتدبيرها اتم قيام واخذ يسعى في استئصال اهل البغي والشر ووضع قوانين ونظامات جديدة توافق روح العصر فابغضه الانكشارية وكثيرون من الناس واضمروا له سوء الى ان هجموا ذات

يوم عليه في يته واضرموا فيه النار فهلك ذلك الرجل المعتبر المحب
الاصلاح

وكانت يومئذ العساكر الروسية تتقدم الى جهة نهر الدانوب مسرعة
فبعث السلطان جيشاً عظيماً لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف مسيرهم فطلبت
فرنسا ان تتوسط امر الصلح بينهما فرفض السلطان محمود مداخلتها
لانه تاجر جداً من الشروط السرية التي عقدها نابوليون مع اسكندر
الرومي في تيلسيت التي من شانها اقتسام دول اوربا فيما بينهما من
جملتها بلاد الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسيين ومحاربتهم ولكن
من غير فائدة واستولى الروسيون على مدينة شومله وعلى عدة مراكز
حسنة وضايقوا العساكر العثمانية اشد مضايقة وبينما كانت المصائب
تميطة بالدولة من كل جهة اذا بطالع سعيد بزغ في افقها وذلك ان
نابوليون الاول كان قد اتمهر الحرب على روسيا سنة ١٨١٢ وسار اليها
بجيوشه الجرارة فالزم ذلك روسيا ان تسحب اكثر جيوشها من حدود
الدولة وعقدت في ١٦ ايار سنة ١٨١٢ مع الباب العالي صلحاً موافقاً جداً
للدولة العثمانية

فاغتنم السلطان فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات في ولايتي
بغداد وايدين وغيرها لاتمام مشروعاته الحسنة فصرف قسارى ممته
في ذلك الشأن مدة الثمان السنين التي دام فيها الصلح . وسنة ١٨٢١
تحرك اليونان في المورة وجاهاروا بالعصيان على الدولة وكانوا يهجمون
تبراً كهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويدسون الفتن في جميع
الاطراف فشق ذلك على الدولة وارسلت العساكر لردعهم وادخلهم في
حيز الطاعة فثبتت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم وبعث الباب
العالي الى محمد علي باشا والي ولاية مصر يامر به بان يرسل جيشاً لمحاربتهم
فارسل ولده ابراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة

بحرية ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة وزادت نيران الحرب شوباً ولما يس الاروام من النجاة ونوال الاستقلالية استنجدوا بالدول الاوربية فبادرت دولنا فرنسا وانكلترا الى توسط امرهم لدى الدولة ولما لم يجب السلطان محمود سؤلها ارسلنا عمارتيهما وانضمت اليهما العمارة الروسية وعند وصولها الى ميناء نافارين بعثوا جميعاً الى ابراهيم باشا يطلبون اليه ان يوقف الحرب فاجاب انه لا يقدر على ذلك الا بامر من السلطان فعند ذلك دخلوا ميناء نافارين واطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوها وكان ذلك في ٦ تموز سنة ١٨٦٧ ولما بلغ ذلك الخبر السلطان محموداً اضطر الى اجابة سوال الدول المتحدة وامضى الشروط التي عرضت عليه بخصوص ابطال الحرب واستقلال الاروام

وفي وسط هرج هذه الحروب اصدر السلطان محمود امراً بتدمير وفاق الانكشارية فهجمت عليهم العساكر المستجدة والاهلون في العاصمة وباقي الولايات وبادوم عن آخرهم وارتاح الناس من جورهم والدولة من اتقالم. وفي تلك الاثناء غير السلطان محمود لبيه وتزني بالزي العثماني الحالي

وسنة ١٨٢٩ زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة عند شواطئ الدانوب وسار جيشهم الى جهة اسيا فارسلت الدولة عسكرياً لمصادمتهم فتغلبت عليه العساكر الروسية وكسرتهم في سيلبستر يا وشومله واستولت عليه ثم كسرتهم ايضاً كسرة اخرى عند كاليبونا وقطعت مضيق البلقان واستولت على ادرنه واخذت تهدد العاصمة وكانت جنود روسيا التي قصدت جهات اسيا قد استولت على القرص وبايزيد وطراق قلعة وارزروم ولما بلغت كل هذه المصائب السلطان محموداً اضطرب جداً على انه اظهر الثبات وقوة الجنان والقلب في وسط تلك الاخطار المحدقة به

وبدولته فتداخلت أيضاً الدولة الانكليزية في انهاء تلك الشرور المهلكة وسلم السلطان محمود بكل الشروط التي طلبت منه وفي الثاني من شهر ايلول سنة ١٨٢٩ حررت معاهدة الصلح في مدينة ادرنة ومآلها التسليم باستقلالية الاروام التامة والتنازل عن اقليم السرب لعائلة اوبرينوفيتش المستولية الى الآن وعن اقليمي الفلاخ والبغدان اللذين انضما سنة ١٨٦١ الى امارة واحدة تعرف بامارة رومانيا واستولى زمام احكامها البرنس شارل الاول من عائلة هوهنزولرن الالمانية سنة ١٨٦٦ بحق توربثها لمن يعقبه وهي تدفع مالا معلوماً للدولة في كل سنة كبلاد مصر وعن بعض الجزائر الواقعة عند فم نهر الدانوب والشاطىء الايمن منه وارضى في اسيا مع غرامة حرب قدرها ١١٠ ملايين فرنك . واما عقيب موتمر برلين سنة ١٨٧٨ فرومانيا وسربيا صارتا مملكتان مستقلتان كما سبقت الاشارة عند وصف جغرافية هذه البلاد

وربما استغرب القارىء كيف ان الدولة التي سادت على اغلب ممالك العالم والقت الرعب في قلوب جميعهم لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزم سلاطينها ان يرضخوا الى شروط نظير هذه والحال اذا نظر الى هذا الامر بعين خالية من الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف امكن هذه الدولة ان تحمل كل تلك الصدمات الشديدة والمقاومات الرائعة من اعدائها في اوربا واسيا وافريقية مع عدم فتور الخلل في داخليتها بسبب اصحاب البغي والفساد مع ما اوقعه وجاق الانكسارية من الخلل ولم تزعزع اركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة او سبب اخر ان يثنيها . فهذا اعظم برهان على عظمتها وقوتها وسنة ١٨٣١ عند ما كانت الدولة العلية خارجة من لجم تلك الحروب المهلكة جهز محمد علي باشا والي مصر ولده ابراهيم باشا بثلاثين الف مقاتل لافتتاح الاقطار الشامية انتقاماً من عبدالله باشا والي عكا

فسار إليها واستولى عليها واستمرت احكامها في يده نحو تسع سنين . وكانت مدة خلافة السلطان محمود ٣٢ سنة وهو عادل وارحم ممن سلفه من سلاطين آل عثمان

وجلس بعده على سرير السلطنة ولده السلطان عبد المجيد خان سنة ١٨٣٩ وكان عادلاً حليماً مطبوعاً على مكارم الاخلاق . فاول امره باشره استخلاص الديار الشامية من ايدي الحكومة المصرية ثم اخذ بعد ذلك في اجراء ما كان قد شرع فيه جناب والده من الترتيبات والتنظيمات على مقتضى الشرع والقوانين السياسية لرفع المظالم وراحة البلاد وردع اصحاب البغي والنساذ واصدر امراً شريفاً مبيناً به اصول التنظيمات التي فاضت بها مراحمة الشاهانية لنحو الرعية وامر بنشره في افطار السلطنة العثمانية ليحيط الجميع به علماً وهو المعروف بالتنظيمات الخيرية . فانتعشت ارواح الرعايا يجلوس هذا السلطان واستبشروا به

وفي مدة حكمه انتشبت الحرب بين الدولة العلية والدولة المسكوية وهي المعروفة بحرب القرم وسببها انه كان قد وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعي لنفسها حق الرياسة والتقدم على الاخرى باستلام مفاتيحها ثم اخذت هذه المسئلة تتعاضم بينهما وتمتد يوماً بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجدال في سنة ١٨٥١ فوقع الباب العالي في حيرة وارتابك من جهة تسكينها واطماد نازها لان روسيا كانت تحامي عن حقوق الروم وفرنسا تنتصر لللاتين فتداخل سفير انكترا اللوزد ستراتفورد ديسر رد كليف في صرف هذا لمشكل ورسم ترتيباً موافقاً لائتلاف اللتين المتخالفتين فقبلته فرنسا واما روسيا فلم تقبله لان مقصدها الوحيد لم يكن مقتصرًا على محاماة حقوق اكليروس الروم بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تجتهد على نوالها

وتتربق الفرص لاستحصاها وهي ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوربا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها فانتهز الامبراطور نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلغ اربه فارس الامير منشيكوف الى القسطنطينية سنة ١٨٥٢ لمقابلة السلطان عبد المجيد خان بعد ان كان بعث جيشاً يبلغ ١٤٤ الفاً الى نهر الدانوب ليكون مستعداً لوقت الزوم والحاجة . فلما وصل الامير منشيكوف الى القسطنطينية رفض مواجهة فواد باشا وزير الخارجية ودخل راساً على الحضرة الشاهانية ومحبته سفير روسيا واعرض له طلب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة ثم قال له ان الامبراطور يطلب ايضاً ان جميع الروم الذين من تبعة الدولة العلية يكونون تحت ظل حمايته من الآن وصاعداً استناداً على احد بنود معاهدة سنة ١٧٧٤ المعقودة في كوجك قينجي وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وان الشكاوي والدعاوي التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم وسلوكهم تعرض راساً اليه لينظر فيها . فاستعظم السلطان هذه التطلبات ورفضها لانها مخلة بناموس السلطنة ومغايرة للاصول وقوانين الدول فانثني الامير منشيكوف راجعاً من حيث اتى واعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضباً واصدر امراً الى العساكر التي ارسلها الى اطراف الدانوب ان تعبر نهر البروث وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشتت الغارة على امارات الفلاخ والبغدان واستولت عليها في اليوم الثالث من شهر حزيران . ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى اطراف بلاده علم ان مقاصد روسيا في تطلباتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فنجيز جيشاً وارسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين

ولما تاكدت الدول الاوربية بغية روسيا ومقاصدها بادرت انكثرا

وبروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين
 وارسلت كل دولة منها معتمداً من طرفها الى مدينة فينا حيث وافاهم
 سفير من طرف روسيا وآخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلساً
 في ٣١ تموز سنة ١٨٥٣ لم يات بالمرغوب فلما لم يعد سبيل للصلح اشهر
 الباب العالي الحرب اشهاراً نهائياً وصدى سليم باشا العساكر الروسية في
 اسيا وانتصر عليهم في عدة مواقع بينما كان عمر باشا يهاجمهم في اوربا
 حيث كسرهم بالقرب من اولتيتزا وفاض عليهم عند قلفاوط واما كن اخرى
 واما العارة الروسية التي كانت في البحر الاسود تحت قيادة الاميرال
 ناشيموف فصدت العارة العثمانية عند سينوب في ٢٧ ت ٢ واستظهرت
 عليها بعد حرب شديدة فاتلفتها وكانت مولقة من سبع فركاتات وبأخرتين
 وثلاثة مراكب حربية

اما انكلترا وفرنسا فاذ تيقنتا سوء نتائج هذه الحرب انتصرتا لمعونة
 السلطان واعلنتا الحرب على روسيا في ١١ ت ٢ سنة ٥٣٠٥ ولما كانت اوائل
 سنة ١٨٥٤ ابتدأتا في نقل رجالهما ومهماتهما الى ساحة الحرب واشتبكتا
 في القتال واما باقي دول اوربا فكانت محافظة على الحيادة
 وكانت الدولة الانكليزية قد ارسلت عمارة حربية الى بحر بلتيك
 تحت قيادة الادميرال نايبار فاستولت على قلعة بومارستود لخمس عشرة
 بقية من شهر آب ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص
 القلعة نظراً لحصانتها واذ كانت سياستبول اعظم قوات روسيا التي يعول
 عليها في البحر الاسود وجهت انكلترا وفرنسا قوادما لافتتاحها والاستيلاء
 عليها فارسلتا في ١٤ ايلول فرقا من عساكرهما يبلغ عددها ستين الفا
 وكان اكثرهم فرنساويون فنزلوا في يوپاتوريا وفيما كانوا يتقدمون الى
 سياستبول صادتهم العساكر الروسية وكان الفرنسيون تحت قيادة
 الماريسال سنت ارنو والانكليز تحت قيادة اللورد راكلان فاقنتل

الفر يقان اقتتالاً شديداً الى ان دارت الدائرة على الروسيين فانكسروا عند نهر الماء. واما العساكر الروسية فكانت اذ ذلك تحاصر مدينة سيلستريا ولم تقدر على اخذها فخرجت العساكر العثمانية من المدينة وانقمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضوا الى آخرين وقصدوا القرم لنجدة حصار قلعة سيستبول التي اليها وجهت روسيا كل قوتها من مهات وعساكر وذخائر. واما جيش الانكليز ففعلت نوارسهم فعل الاسود الضواري اذ صادمو جيشاً عومراً من الروسيين عند بالا كلافاف فازوا بهم فوزه خلدت لهم ذكراً جميلاً بعد ما فقد منهم خلق كثير ثم ان الروسيين المحاصرين في انكرمان وعددم سترن الفا خرجوا من مكان حصارهم وانتحموا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة اضران على الفريقين انجلت بانهزام الروسيين ولزومهم حصن المدينة ولم يكن حينئذ في طاقة الدول المتحدة استلام سيستبول مع انهم كانوا يزيدون قواتهم الحربية ويكثرئون مجعاتهم وقنابلهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القاعة او ان يمنعوا المساعدة التي كانت تاتيها من داخل البلاد

ولقد قاست العساكر المتحدة ولا سيما الانكليز في شتاء سنة ١٨٥٤ وشتاء سنة ١٨٥٥ احوالاً وشدائد يكلُّ اللسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والايواع قد اخذت في العساكر كل ماخذ واهلكت كثيرين هذا فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والايحيرة المنثنة التي كانت تضاعف من جشث القتلى والحيوانات

اما سردنيا فكانت يومئذ تحت حكم فيكتور عمانوئيل مطلقاً الحربية وهي ايضاً هيأت جنودها للحرب وانضمت الى الجنود المتحدة فارسلت ١٥٠٠٠ مقاتل بعد ما تعهدت لها اكثرها بدفع مبلغ مليون ليرا على سبيل الاعانة واشتهرت رجالها في تلك المعامع بالشجاعة والنبات

وفي خلال ذلك توفي الامبراطور نقولا في ٢ اذار سنة ١٨٥٥
وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه وفي اليوم الثامن من شهر ايلول من
السنة المذكورة حدث واقعة هائلة بين المسكوب والعساكر المتحدة كانت
الدايرة فيها على الروسيين واستولت جيوش فرنسا على قلعة ملاكوف
بمسالة لا مزيد عليها واذ لم يعد للروسيين استطاعة على حفظ
مراكزهم تركوا سباسبول في مساء ذلك النهار وعولوا على الهزيمة
والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكتها فانفتحت حينئذ
مخابرات الصلح وعقدت جمعية في باريز في ٢٥ شباط سنة ١٨٥٦ احضرها
اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحابة وهي انكلترا وفرنسا
وتركيا والنمسا وبروسيا وسردينيا وفي ٣٠ اذار امضيت شروط الصلح
متضمنة ٣٤ بنداً بحجة لكل من الدول المشار اليها اخصها ان الدولة
العالية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوربا من جهة القوانين
والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول
الافرنجية وان البحر الاسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حرية فيه
من اي جنس كان ما عدا روسيا وتركيا فان لها حقاً في ادخال عدد
قليل من المراكب الصغيرة الحربية لاجل محافظة اساطيلها وان
لا يكون لتركيا ولا لروسيا ترسختات بحرية حرية على
شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط
وهكذا انسجت العساكر الى مواطنها
وانتهت الحرب التي لم يكن
لافتتاحها داع سوى
المطامع والغايات

الفصل الثاني

في تاريخ اليونان

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد

انه كثيراً ما تشتهر بلاد وتأتي العالم بفوائد كثيرة مادية وادبية
ولئن كانت في عين الناظرين اليها ضيقة الاملاك وقليلة الاعتبار .
فان بلاد اليونان التي نحن في صدها كانت بلاداً صغيرة قليلة المساحة
ومع ذلك قد بلغت في الاعصار السالفة الى اعلى درجات المجد والفخر اديباً
ومادياً . فاشتملت على القسم الجنوبي من بلاد الروم والمورة مع عدة جزائر
مجاورة الاراضي المذكورة . اما حدودها فكانت الى الشمال ايليريا المعروفة
الان ببوسنيا اي البوشناق ويميسيا العليا وهي الان بلاد السرب وشرقاً
ثراقيا وهي الجزء الشرقي من الروملي والارخبيل الرومي وجنوباً بحر
الروم وغرباً خليج البندقية

وقد انقسمت هذه البلاد طبيعياً الى اربعة اقسام كبرى وكل من
هذه الاقسام انقسم ايضاً الى اقسام صغار قائمة على حدتها . القسم الاول
الشامي وهو يشمل اقليم ابيروس وثاليا وها الان من املاك الترك
باوريا . الثاني مكدونية وهو الجزء الشامي من بلاد الارناوط والجزء

الغربي من بلاد الرومي ومن مدنها فيليبي وتسالونيكى وقاعدتها بلاداً وهي
 وطن اسكندر بن فيلبس المكدونى الشهير وهذه أيضاً من املاك الترك
 في اوربا. الثالث بلاد اليونان الاصلية وقيل لها غلاس المسماة الان
 بلاد الروم. الرابع بلبونيسوس المسماة بشبه جزيرة المورة. وكان تابعاً لها
 خلاف هذه الاقسام جزائر الارخيل الرومي التي كانت وقتئذ زاهية
 خضراء وليست فاحلة كالآن وجزائر البندقية وجزيرة كنديا اي كريت
 وكان لليونانيين منازل في اسيا الصغرى وسيسيليا واباطاليا واماكن اخر
 اما الآن فتتصر المملكة اليونانية بالقسم الثالث من الاقسام المار
 ذكرها ويحدها بلاد الترك شمالاً ومن باقي الجهات البحر المتوسط وعدد
 سكانها يبلغ مليون ونصف وقصبتها مدينة اثينا التي لا تزال مشتملة
 على اثار تشهد على عظمتها القديمة وبراعة اهلها وحذاقتهم لاسيا في
 في النقش والتصوير واحسن جزرها جزيرة سيرا. اما هواؤها فجيد
 واراضيها مخصبة. واهلها موصوفون بالنباهة والذكاء والشجاعة ولكنهم لم
 يصلوا بعد الى اعلى درجات التمدن. وقد انقسم تاريخ هذه البلاد قديماً
 الى قسمين احدهما يتضمن تاريخ الازمنة المجهولة اي من اول نشأتها الى
 حين هاجمها الفرس في زمن تملك داريوس بن هستاسب

سنة ٤٩٠ ق م وسميت ايضاً الاعصر الخرافية والثاني

منذ مهاجمة الفرس الى فقدانها عنان

الملك وخضوعها للرومان



السبب الثاني

في اخبار الاعصر الخرافية واولاً في اصل نشأتها وشعوبها
الاولين

ان بدء تاريخ اليونانيين كما كثر التواريخ القديمة مغشى بظلمة
كثيفة وممزوج بامور كثيرة خرافية وقلم يوثق بما قيل في كتب المؤرخين
في هذا الشأن. قيل ان اصل اليونانيين من نسل ياوان بن يافث بن
نوح وهذا يقرب كثيراً مما نضه هيرودوتوس عن اصل اليونانيين .
وكانوا قديماً متوحشين عادي التمدن يرعون المواشي ويعملون في الارض
ويسكنون الكهوف والاكواخ ويكتسبون جلود الغنم ويقتاتون بالبقول
والجذور. وقيل انه لما علمهم فلاسغوس اكل البلوط قدموا له اكراماً الهياً
وجعلوه في مصاف الالهة

وفي تلك الاثناء وافى بلادهم قوم من فينيقية قيل لهم التيتانيون
وكان ذلك قرب عصر ابراهيم فاختلطوا بالاهالي الاصليين وعنهم اخذ
اليونانيون جملة معارف فخرجوا عن حالتهم البربرية . ومن ثم تعلموا ايضاً
عبادة آلهة الفينيقيين . كاورانس وساتورنوس وهو زحل عند العرب
وزفس او جوبيتير اي المشتري واصل هؤلاء الآلهة بشر قد اشتهروا في
امر ما من الامور . وبعد قليل ادخل اليونانيون هؤلاء التيتانيين في
مصاف آلهتهم اذ كانوا يقدمون لمن اشتهر منهم اكراماً عظيماً بعد موته
وهذا اصل خرافات اليونانيين من جهة الآلهة

اما التيتانيون فانشأوا عدة مدائن صارت فيما بعد ممالك صغيرة
اقدمها مدينة سيسيوم عند خليج ليبانتو كان وضع اساساتها في عصر



صورة زفس تحت فيدياس الشهير

حران جد ابراهيم الخليل اي نحو سنة ٢٠٨٩ ق م ومدينة ارغوس ايضا
اسست سنة ١٨٥٦ ق م وذلك في اواخر ايام ابراهيم وقد ذكر اسم ملك

من ملوكها يدعى اوجيخس عاش سنة ١٧٩٦ قبل الميلاد وكان التيثانيون
كثيرون الغزوات والحروب فتلاشوا واقرضوا
وبعد اقرض هولاء التيثانيين رجع اليونانيون الى حالتهم القديمة
وبقوا على ذلك نحو ٢٠٠ سنة الى ان وافى بلادهم رجل مصري يدعى
ككروبس وبمعيته قوم من بلاده وذلك سنة ١٥٥٦ فاستولوا على
اراضي اتيكا وانشأوا فيها اثنتي عشرة مدينة فكان ذلك بداية مملكة
اينايا وتزوج ككروبس المذكور ابنة ملك تلك البلاد ثم خلفه في الملك
بعد موته وكان يومئذ سكان تلك المملكة لم يزالوا عاشرين متفرقين
بعضهم عن بعض فجمعهم في اثنتي عشرة قبيلة او جمهوراً وعلّمهم زراعة
الكرم والحنطة والزيتون وسن شرائع للزراعة وطقوساً لاحتفالات الدفن
وانشئت محكمة او ديوان اريوس باغوس الذي اشتهر فيما بعد اشتهاراً
كلياً. قيل وبعد موت ككروبس خلفه في الملك على اينايا رجل اسمه
امنكتيون فجعل باقي الممالك الصغار الكائنة يومئذ ان يقيموا عهداً فيما
بينهم لاجل منعتهم العسوية فاجابوه الى ذلك وكانت المدن التي
دخلت في هذه المعاهدة ترسل نواباً الى الديوان الذي كان يعقد مرتين
في كل عام في مدينة ثرموبوليس ودعى ذلك الاجتماع بالمشورة الامنيكتيوية.
ونحو سنة ١٥٥٩ اتى قسماً من بلاد اليونان يدعى بيوتيا رجل فينيقي
يدعى كدموس وبنى قلعة عظيمة سماها كادمه حيث بني بعد حين
حوطاً مدينة ثبة اليونانية وهو الذي ادخل معه حروف الهجاء وصناعة
الكتابة. وكان اليونانيون اولاً يكتبون سطرّاً من اليسار الى اليمين ثم
سطراً من اليمين الى اليسار وهلمّ جرّاً فانشرت هذه الصناعة في بلاد
اليونان ومنها الى سائر بلاد المغرب
وكان لليونانيين القدماء عقائد خرافية مضحكة كثيرة لا يسعنا ضيق المقام
ايرادها الاّ انا نذكر شيئاً من ذلك. فمنها انهم عدوا عدداً كثيراً من

الآلهة وقالوا انهم ذكور واناث يلدون ويولدون ونسبوا اليهم السلطان على الامور الارضية ووصفوه بجميع الاوصاف والمزايا البشرية الا قبول الموت والفناء . وكان اذا اشتهر احد من الناس بصفات حميدة او ذميمة او باعمال غريبة من كل نوع قدموا له بعد موته احتراماً دينياً وسموه نصف اله وسموا بهذا الاسم ايضاً بعض فحول البشر الذين حسبهم ولدوا من اله وبشر معاً . واقدم الآلهة حسب زعم اليونانيين هو الذي سمي عندهم سيروس اي الفلك . قيل كان له ولدان احدهما اسمه ساتورنوس فتزوج بشقيقته اوبيس وسميت ايضاً جدة لانها كانت اكبر الالهة والابن الثاني تيتان وهو البكر فاعطى الملك لاخته ساتورنوس على شرط ان يأكل جميع اولاده الذكور لكي يرجع الملك بعد حين الى نسل تيتان ففعل كذلك حتى ولدت امراته جويتير اي المشتري واخذه يونون واخاه نبتون فاخفتمهم ولم يأكلهم والدم . ومن ثم تغلب جويتير على ابيه واخلس الملك من يده وطرده ثم قسم الملك بينه وبين اخويه فاخذ لنفسه القسم العاوي المعبر عنه عندهم بالسما واعطى سلطان المياه والابحر الى اخيه نبتون وسلطنة القسم السفلي اي جهنم لاخته بلوتون ثم دعا نفسه ملك او اله الالهة والبشر . وما عدا هؤلاء كان لهم آلهة للجبال والسهول والحدود والزراعة والاثمار للحرب وللصلح للرياح وللعواصف للصنائع والعلوم والفنون للحبىة وللبغضة للزنا وللنكاح وللخمر وهلم جرا . واليونان خرافات كثيرة من هذا القبيل لو اردنا ذكرها جميعاً لطلب بنا المجال

ومن جملة حوادث العصور الخرافية الاسرار الايلوسينية التي اخترعها ايركثيوس ملك اتكا اكراماً للالهة سيريس التي كانت تقام مرة واحدة في كل خمس سنين في مدينة ايلوسيس في شهري آب وايلول وكان لا يؤذن بدخول احد اليها الا بعد صلوات وذبايح عديدة للالهة

وتطهير الجسد والتعهد بحفظ الاسرار المزمع ان يتسلمها . ومنها ايضاً اختراع الملاعب الاولمبية التي كانت تقام مرة واحدة كل اربع سنوات في مدينة اولمبية في المورة اكراماً لجوبيتير . والملاعب البيثكسية التي كانت تقام في مدينة نيبا في المورة كل سنتين اكراماً لهرقل احد انصاف الالهة وذلك لقتله سبعاً عظيماً في الغياض بقرب المدينة المذكورة . ومنها ايضاً الملاعب البرزخية التي اقيمت في برزخ كورنثوس كل اربع سنين اكراماً لنبتون اله البحار . واعظم كل هذه الملاعب هي الاولمبية التي كانت يجري فيها نوع من المغالبة والمصارعة والمسابقة . وكان الغالب في هذه المجاهدات يكفل باكليل من اغصان الزيتون الاخضر ويكرم اكراماً لا يزيد عليه . وكان من اراد المجاهدة فيها يعدُّ نفسه لها بامتناعه عن الاطعمة الغليظة وانواع المسكرات وعن كل ما يضعف الجسم والى هذا اشار الرسول بولس في الاصحاح التاسع عدد ٢٤ و٢٧ من رسالته الاولى الى اهل كورنثوس . وهم الذين ابتدوا بتقسيم الوقت الى اولمبيادات والاولمبياد هومدة اربع سنوات وفي هذا العصر ايضاً بني الهيكل المشهور لابلون في المورة

الباب الثالث

في حرب طروادة ورجوع الهيراكليدية وحروبهم
ان هذه الحرب علي ما جاء من اخبار اليونانيين هي من اشهر حروبهم القديمة ومعظم حوادثها مأخوذة عن اشعار هوميروس الشاعر اليوناني المشهور ولا ريب ان كثيراً منها حكايات لا يوثق بصحتها . واسباب هذه الحرب هي انه كان لبعض ملوك سبارطه التابعة لمملكة

المورة ابنة بديعة الحسن والجمال اسمها هيلانة وكانت اشهر نساء عصرها حسناً فزوجها ابوها مينيلاس ملك لاكونيا وميسينيا فحدث بعد ذلك انه اتى سبارطه باريس (او اسكندر) بن بريام وهو ملك قسم عظيم من اسيا الصغرى فاعدته مدينة طروادة الشهيرة وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد فاكرمه مينيلاس اكراماً لا يزيد عليه وبعد ان اقام في بلاطه مدة من الزمان كافاه على جميل صنيعه وضافته بطغيان زوجته هيلانة فاخذها وفرّ هارباً بعد ان اخذها مالاً جزبلاً واتى بها مدينة والده طروادة . فلما علم مينيلاس بذلك شقّ عليه الامر جداً واخذ القلق والفتور فبعث الى ملوك اليونانيين واكبرهم يدعوم ان يسعفوه في الانتقام من باريس فاجابوه الى ذلك وجهزوا جميعاً بمجدة عظيمة لمحاربة طروادة تحت امرة اغاممنون اخي مينيلاس وملك ميسان وكورنثوس وسبسيون وجهزوا عمارة يبلغ عددها ١١٨٦ سفينة وركب فيها نحو ١٠٠ الف مقاتل وكان الجميع تحت قيادة اغاممنون المارّ ذكره واخيه مينيلاس . ومن جملة الابطال الذين اشتهروا في هذه الحرب اشيل وصاحبه باتروكل ودبوميدي ملك ارغوس واجاكوس والحكيم منتور وبيلاوس وعولس صاحب الحيل والتدابير وغيرهم . واما اهل طروادة فكانوا تحت قيادة هكتور الشجاع بن بريام ملك طروادة وفي معاونته اخيه باريس ومريدون واينياس الفاضل . فنجح اليونانيون المتحالون اولاً بنجاحاً عظيماً الا انه وقع بعد حين بينهم شقاق فمخسروا ما كانوا قد ربحوه ولكنهم اخيراً فازوا بافتتاح طروادة بعد حصار دام عشرين سنين فنهبوا المدينة وخرّبوها واحرقوها وقتلوا بريام واولاده وسبوا عائلته وكان ذلك نحو سنة ١١٨٤ ق م وهي تساوي عصر يفتاح احد قضاة بني اسرائيل وبعد ذلك بنحو ثمانين سنة اتى بعض اليونانيين الى نواحي طروادة وشيدوا كولونية وما بقي من مملكة بريام انضم الى مملكة ليديا

وقرب هذا العصر اي بعد فتح طروادة بنحو ٨٠ سنة ثبت بين
اليونان حرب شديدة سميت حرب الهيرا كليدية وسببها ان الهيرا كليديين
(من نسل هر كول) الذين كانوا قد طردوا من بلادهم في المورة من
رجل اسمه اوريسي جد اغاممنون ومنيلاس رجعوا ومعهم احدى القبائل
اليونانية التي انضمت لتبجدهم وحاربوا اليونانيين اخصامهم واستولوا على
مسيني ولاكونيا التي قاعدتها سبارطه وطردوا الاخائيين الذين اتجأوا
الى بعض المقاطعات التي بقي لقبهم عليها وهي اخائية . ومن ثم
اقتسم الهيرا كليديون البلاد التي فتحوها الى ثلاثة اقسام وهي ارغوليدة
ومسيني ولاكونيا

وكان اهل لاكونيا يحسدون المسيين نظراً لحسن موقع بلادهم
وجودة اراضيها وكانوا يترقبون وقوع سبب ما يتخذونه حجة لمحاربتهم
والاستيلاء على بلادهم الى ان وقع بعض الاسباب فيما بينهم فثبتت بينهم
حروب شديدة دامت عشرين سنة وكثيراً ما كان المسييون يهدمون
اركان دولة السبارطيين الى ان فاز اخيراً هولاء باهل مسيني وفتحوا
بلادهم وطردوهم منها فاتجأوا الى اركاديا ومنها اقلعوا تحت رياسة ابني
رئيسهم اريشومون الى سيسيليا واستولوا على مدينة زانكليا ودعوها
مسين ولم يزل الامم عليها الى الآن ثم حارب السبارطيون مملكة اثينا فلم
ينتصروا عليها ومن ثم صار لسبارطه واثينا التقدم على ممالك بلاد اليونان
وسياقي الكلام على كليهما في ما يأتي

الباب الرابع

في جمهوريتي سبارطه واثينا

ان مدينة سبارطه كانت قاعدة لاكونيا التي هي قسم من اقسام المورة وموقعها في الجهة الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة المورة ويليها من جهة الشمال مملكتا ارغوس واركلاديا ومن جهة الغرب مسيني ومن الشرق والجنوب البحر المتوسط . قيل ان بانها الملك لكديمون وكان عاشقاً في القرن الخامس عشرين وبعده رجوع الهيرا كليديبين واستيلائهم على لاكونيا وارغوس ومسيني كما تقدم الكلام ملك على لاكونيا ابنا ارستوديم وكان اسم الاول اوريشين والثاني بروكليس وبعده فالتها بقت مملكتها مقسومة الى قسمين واولاد كل منهما يحكمون عليهما ودام الحال على هذا المنوال ٩٠٠ سنة وكان بين ملوك القسمين انشقاقات ومخاصمات كثيرة في غضون تلك المدة

ونحو سنة ٨٨٤ ق م توفي بوليديكتوس احد ملوك القسمين المار ذكرها بلا عقب تاركاً زوجته جلي وكان له اخ اسمه ليكورغس شهير بين اليونانيين فراودته امرأة اخيه طالبة ان يتزوج بها ويستبد بالملك من بعد اخيه وانها تهلك الجنين اذا قبل ان يفعل ذلك . اما ليكورغس فكره ان يرتكب هكذا امرأاً قبيحاً منكراً وعند ما وضعت امرأة اخيه ذكراً اهتم بتربيته كل الاهتمام ودعاه ملك سبارطه الشرعي وكان يدبر مهام امور دولة ابن اخيه بالنياابة ولكن اذ حصل نفور بينه وبين امرأة اخيه كره ان يبقى على تلك الحال فسافر ليكورغس الى جزيرة كريت

ومن ثم إلى اسيا الصغرى والى مصر لكي يدرس علوم تلك البلاد وشرائعها
وفي مدة غيابه حدثت في سبارطه مخاصمات وقتن كثيرة وجاهر كثير ون
بالصيان على الملك وشرائع المملكة . فبعث الشعب يطلبون من ليكورغس
بلجاجة ان يوافيهم عاجلاً ويتقلد زمام الملك ويقي بلاده من الدمار
فاجههم الى ذلك وعاد راجعاً الى بلاده واخذ حلاً باصلاح البلاد
واخذ الثورات والفتن واول امر فعله هو انه غير هيئة الحكومة من
الملكية الى الجمهورية وبعد قليل اقتدى به كثير من ممالك اليونانيين
بحيث اصبح الحكم الجمهوري غالباً في اكثر البلاد

ولما كان ليكورغس يرغب في ان يجعل مساواة بين وجاهة الملوك
والاكابر والعامه رتب لذلك ديواناً مؤلفاً من ثمانية وعشرين شخصاً ينتخبهم
الشعب من اكابر البلاد وجعل ملكي لاكونيا المتقدم ذكرها رئيسي
الديوان وكان الديوان المشار اليه يسن الشرائع والقوانين ثم تعرض على
الجمعية العامة فان اثبتها الشعب بالمصادقة عليها ثبتت والا ألغيت . واذ
اراد ليكورغس ان تكون مبادئه واجراءاته مبنية على اساسات وطيدة
اخذ يربط الشعب بعضهم ببعض جاعلاً ايام كاعضاء عائلة واحدة
ولذلك قسم املاك المملكة فيما بينهم بالمساواة لكي لا يكون بينهم فقير
وغني . وابطل المعاطاة بالذهب والفضة وجعل عوضهما قطعاً من حديد

ومن جملة الوسائط التي استعملت بين اهالي سبارطه انهم نظروا
الى جميع الاطفال المولودين حديثاً فسلموا الكاملي البنية منهم الى مرضعات
من قبل الجمهورية حتى اذا جاء عليهم سبع سنين ادخلوهم الى المدارس
وعودوهم الشجاعة والتعب ومقاساة المشقات لكي لا يبالوا بعد حين في
امر من الامور . وكان المعلمون يساوون بين سائر الاولاد في التعليم بلا
تمييز وكذا النساء ايضاً اكتسبن فضائل الرجال وانخرجن بيسالة اولادهن
وشجاعتهم واحبين ان يموتوا في خدمة وطنهم . وقد روي عن امرأة انها

عند ذهاب ابنها الى الحرب ناولته ترسه قائله عد اماً به واما عليه اي
اغلب او مت كريماً في القتال . وهكذا بواسطة شرائع وقوانين مثل هذه
تشيدت اركان جمهورية سبارطة وقويت جداً . وتعاضمت واوقعت الرعب
في قلوب جميع ممالك اليونان التي امست تخاف سطوتها وبقيت سبارطة
على هذا المنوال نحو ٥٠٠ سنة

اما اثينا فكانت قاعدة مملكة اتيكا قديماً وكان حكمها اولاً من نوع
الملكى حتى زمان احد ملوكها المسمى قودروس الذي كان معاصراً لشاول
ملك بني اسرائيل وفي ايام هذا الملك رجع الهيرا كليديون الى المورة كما
تقدم وكان لما اتوا لمحاربة اثينا استشاروا الفال في هيكل ابولون فانباهم
انهم يفوزون بالغبلة على الاثينيين ان لم يقتل ملكهم قودروس في الحرب
واذ كانوا يرضخون لهذه الاوهام احترسوا جداً من قتله واما قودروس
فلما علم ذلك تزيى بلباس العامة وانسل بين صفوف الجنود الهيرا كليدية
وقتل في وسط المعركة حباً باقناذ وطنه . ولما علم الهيرا كليدية ذلك وراوا
جثة ملك اثينا مجندلة بين صفوفهم وكانوا معتقدين كل الاعتقاد بصحة
الفال يشسوا من الغلبة واقتلبوا راجعين وذلك سنة ١٠٨٣

اما الاثينيون فبعد موت ملكهم الذي بذل نفسه حباً ببلاده لم
يجبوا ان يولوا بعده ملكاً عليهم فابطلوا الحكم الملكي واقاموا الحكم
الجمهوري فكانوا يولون روه ساه يسموئهم اراكة او اراخنة واول من
تولى هذا المنصب ابن قودروس وبنوه من بعده واستمر الحكم في يد
ذريته نحو ٣١٣ سنة وكان الاراخنة في اول الامر يولون مدة حياتهم ثم
صار ذلك بعد حين الى عشر سنين ثم بعده الى سنة واخذة فقط وزيد عدد
شبيهاً فشيئاً الى تسعة وكانوا جميعاً يشتركون في جميع مهام امور الدولة
وكانت يوقفتد الشرائع غير مستوفية النظام والترتيب فقام رئيس الاراكة
في ذلك الوقت وشرع في تنظيمها وتجديدها ووضع قوانين ثقيلة صارمة

جداً فجعل الموت عقاباً لكل ذنب مهما كان جرمه محتجاً في ذلك بان
ادنى ذنب أو تعدد يستوجب الموت ونظراً لصرامتها قيل انها كتبت
بالدم ولكنها اتمت بعد حين لصعوبتها

ثم انه بقرب سنة ٦٩٤ ق م قام رئيساً للاراكنة صولون الحكيم
المشهور وكان من ذرية قودروس فوضع نظامات جديدة وشرائع
وقوانين عادلة مناسبة لروح ذلك العصر واحوال البلاد وجعل السلطة
الاجرائية في جمعية من الشعب لا يدخلها الا من كان قد ادى عليه ٣٠
سنة واقام ديواناً عدد اعضائه ٤٠٠ شخص تزايد فيها بعد الى ٥٠٠ عضو
وجدد ايضاً ديوان اريوس باغوس وقسم الشعب الى اربع رتب بحسب
وجاهتهم وغناهم وانتخب ارباب الوظائف والاحكام من الثلث الرتب
الاولى واما الرتبة الرابعة فاشتملت على عامة الشعب . ومن ثم اهتم
صولون ايضاً بتوسيع دائرة التحجر وترقية اسباب الصنائع والمعامل والفنون
والاكثار منها والزعم كل انسان ان يياشر عملاً مامن الاعمال لتحصيل ضروريات
المعيشة وحرص الناس على العفة وطهارة السيرة والافلاح عن استعمال
الكلام المخفل في الآداب او الغبر اللائق ومن خالف ذلك عوقب اشد
العقاب . ثم ان صولون بعد ان مهد الامور وشهر شرائعه واجراها طلب
السياحة خارج بلاده فسافر واتى منازل اليونان في اسيا الصغرى ثم
ليديا التي كان ملكها كريسوس المشهور بالغنى

ولما عاد صولون الى بلاده وجد ان جميع ما كان قد نظمه ورتبه قد
فقد نظامه ورأى عوضه فتنماً قائمه لم يستطع ان يخذ نيرانها وذلك لان
رجلاً يدعى يسيستراتوس كان قد اختلس الحكم من الاراكنة فبذل
صولون قصارى جهده عبثاً لتقليص البلاد من يد المعتصب فلم ينجح .
اما يسيستراتوس فنجح باستمالة الشعب اليه وبمعاملته اهل اثينا باللطف
والاحسان فرتع الاثينيون في ايام حكمه بالسعادة والراحة ورجد العيش .

وكان يحيط بالملك اشهر حكماء ذلك العصر وكان بلاطه كمدسة للعلماء وهو اول من اعتنى بجمع اشعار هوميروس الشاعر المشهور وبعد موته خلفه ابنه هيبارخوس وهيبياس سنة ٥٢٨ ق م . قيل ان هيبارخوس اهان احدي المخدرات الاثينيات فقام عليه اخوها مع رفيق له فقتلاه فقبض عليهما وقتلاه . اما هيبياس فكان يجور على اهل اثينا ويظلمهم كثيراً فحنقوا عليه واستغاثوا باهالي سبارطة ان ينجدهم على طرد ملكهم فلما رأى هيبياس ذلك فرّ هارباً واتجأ الى دار يوس ملك الفرس يطلب اليه المساعدة لترجيعة الى ملكه وذلك سنة ٥١٠

وبعد فرار هيبياس قام اثنتان من الرؤساء وهما كليستينوس وايساغوراس وتنازعا الحكم فقوي كليستينوس على ايساغوراس وطرده واستبد وحده في امر ادارة الاحكام فجدد نظامات صولون نفسها واعاد الراحة الى البلاد . اما سبارطة فاذا رغبت في ان يكون لها التقدم والسطوة على كل البلاد اليونانية جهزت جيشاً وارسلته تحت قيادة ملكها كليومينيس لتعارض ما حدثه كليستينوس من التغييرات ولكي تعيد ايساغوراس الى الولاية فلم تات مساعيهم بالمقصود وانتصر الاثينيون على اهل سبارطة ومن تحالف معهم وكسروهم وبددوا شملهم ولما بلغ ايضاً الولايات المتحدة مع حكومة اثينا ان كليومينيس ملك سبارطة كان قد اتى بهيبياس من اسيا الصغرى لكي يوليه عنوة على اثينا غضبوا من جراء ذلك جداً واظهروا عدم رضاهم ومصادقتهم على هذا العمل فاضطر هيبياس ان يلتجئ ثانية الى دار يوس . وكان دار يوس وقتئذ عازماً على محاربة بلاد اليونان وافتتاحها فحسب ما جرى على هيبياس علة مناسبة لفتح الحرب على اليونانيين فبعث يطلب الى الاثينيين ان يعيدوا هيبياس الى ملكه ولما لم يقبلوا جعل دار يوس عدم قبولهم ذلك سبباً لمهاجمته بلادهم

الباب الخامس

في ما جرى بين اليونان والفرس من سنة ٥٠٠ تقريباً الى
حين تولى فيلبس على مملكة مكدونية سنة ٣٦٠ ق م

اتنا قبل الشروع في الكلام عن الحروب التي شبت نيرانها بين
الفرس واليونانيين نذكر ايضاً الاسباب التي مهدت لها السبيل وكانت
مصدرها لها ثم حوادثها بالاختصار فنقول

قد علمنا بما تقدم ان بعض قبائل اليونانيين كانوا قد صنعوا منازل
في اسيا الصغرى وسكوها فصارت مقاطعات يونانية منها كاريا وابونيا
وايوليا وكان كريسوس ملك ليديا قد افتتح هذه الاقسام وضمها الى
مملكته ولما انتصر كورش على كريسوس ملك ليديا وتغلب عليه انضمت
جميع هذه الاقسام الى المملكة الفارسية . وفي عصر داريوس بن هستاسب
صهر كورش نهض اهل ابونيا بقلب واحد وقصدوا ان يخلعوا نير الطاعة
للفرس وان يخلصوا من عبوديتهم فبعثوا الى اثينا يطلبون الامداد
والمعونة ومثلهم الى جزائر الارخبيل الرومي فاجابوهم الى ذلك وارسلوا
اليهم خمساً وعشرين سفينة مع عدد من الجيوش وشرعوا اولاً بمحاربة
الاساكل البحرية التي كانت خاضعة للفرس وحاصروا برماً مدينة سرديس
قاعدة ولاية ليديا مقر الوالي المرسل من قبل ملك فارس واحرقوها
فوافتهم عساكر الفرس وطردتهم فارتد اليونانيون مدبرين الى بلادهم
اما داريوس فلما رأى ما فعله اليونانيون شق عليه الامر جداً وعزم منذ
ذلك الوقت على غزو بلادهم وافتتاحها . وكانت العادة في تلك الايام
قبل اشهار الحرب ان يرسل الملك رسلاً الى البلاد المجاورة بالعصيان في

طلب الطاعة والخضوع فارسل دار يوس وفدًا الى اثينا وسبارطة في طلب علامات الخضوع وهي ان يرسلوا ترابًا وماء فشتهم اليونانيون ورموا بعضًا منهم في بحر وبعضًا في بالوعة قائلين لم خذوا ما شئتم من كليهما واذا تأمل الانسان بعظمة الدولة الفارسية وسطوتها في تلك الايام واتساع دائرة املاكها وضعف الدولة اليونانية وصغرها يتعجب كل العجب من تجامر اليونان وجرأتهم

اما دار يوس فلما بلغه ما حل برسله في اثينا وسبارطه وما كان من جرأة اليونانيين اغتاض غيظًا لا مزيد عليه وعزم على محاربتهم برًا وبحرًا فارسل عارة بحرية مؤلفة من ثلاث مئة سفينة تحت قيادة مردونيوس صهره فهاج عليها نوء فتكسرت في البحر قبال جبل اثوس واما الجيوش البرية فبعد ان اخضعوا مكدونية وتقدموا لمحاربة سبارطه واثينا هاجهم البريجيون فارتدوا على الاعقاب

وسنة ٤٩٠ ق م ارسل ايضًا دار يوس تجريدة جديدة تحت قيادة داتيس وارتفون مع عارة بحرية مؤلفة من ست مئة سفينة فهجموا على جزائر الارخبيل وفتحوا عدة منها ونهبوا مدينة ارثريا واسروا اهاليها وارسلواهم الى بلاد فارس ثم تقدموا الى شطوط اتيكنا ونزل الجيش الى البر وعدده ١١٠٠٠٠ مقاتل وكان دليلهم هيبياس المتقدم ذكره فارسلت في الحال اثينا الى سبارطه تطلب منها نجدة فوعدت بارسال جيش لكنه لاسباب لم يصل الا بعد انتهاء الحرب فتقدم هيبياس بجيش الفرس الى ماراتون وهي بلدة صغيرة على شاطئ البحر تبعد عن اثينا نحو عشرة اميال فقط فوافاهم عشرة الاف مقاتل من اليونان تحت قيادة القائد ميلتياديس وكان رجلاً ذا دراية وشجاعة واقدم وبعد أن رتب جيشه القليل واقام الحواجز لتقيه هجمات فرسان الفرس وكان جناحه اليمين مستندًا الى جبل عمر المسالك هجم اخيراً بجيشه على

صنوف الفرس هجمة هائلة صارخين جميعهم الموت او الحرية فلا قام
الفرس ايضاً وانتشبت نيران القتال بين الفريقين في سهل ماراتون ولم
يلت طويلاً حتى انكسر الفرس وتشتت شملهم ايج تشتت واندفعوا
جميعاً يتهاقون الى البحر والتجأوا الى المراكب طالبين النجاة بعد ان تركوا
من القتلى نحو ٧٠٠٠ قتيل ومن جملتهم هيباس اما خسارة اليونان فلم
تكن الا نحو ٢٠٠ رجل بين قتيل وجريح واما قواد الفرس فانزلوا
جيشهم ثانية املآ بالاستيلاء على اثينا فدفعهم اليونان مرة اخرى
وكسروهم شر كسرة فيسوا من النصر وعادوا راجعين الى بلادهم بالخيبة
والفشل

اما ميليتيديس فاكتسب بهذه النصر شهرة لا يزيد عليها ثم
جهزته ايضاً اثينا بعارة وجيش لكي يذهب لمحاربة الفرس في الجزائر التي
كانوا قد استولوا عليها ويطردو منها فمضى ونجح ايضاً نجاحاً كلياً واستخلص
جميع تلك الجزائر من الفرس الا جزيرة باروس فلم يقدر على اخذها ولما
عاد الى اثينا اتهمه اهلها بانه قد ارتشى من الفرس فغرموه غرامة
عظيمة ثم مات بعد ذلك بقليل

وكان يومئذ في اثينا رجلان معتبران احدهما ارستيديس الصديق
وهو افضل الاثينيين في ذلك العصر وكان وقتئذ في المنفى والثاني
ثيستوكليس ولما راي هذا الاخير الخطر المحدق ببلاده من جرى هجمات
الفرس وكان موقناً انه اذا تجددت حرب بين اثينا والفرس تكون على
الاغلب بحرية اخذ يحرض قومه على الاكثار من سفنهم فامتثلوا مشورته
وانشأوا مقدار مئة سفينة

وفي تلك الاثناء توفي دار بوس المتقدم ذكره وخلفه ابنه زركسيس
الاول فعزم على الانتقام من اليونان وفقاً لمقاصد ابيه فاخذ في الاستعداد
لذلك وصرف اربع سنين في الاستعدادات فجهز عارة بحرية عدد



سفينة يونانية حربية قديمة

سفنها ١٢٠٠ سفينة وجيشاً عرمرماً ينيف عن المليون وتقدم لمحاربة اليونانيين فلم يصادف معارضة الى ان صار بالقرب من اثينا حينئذ عزم يونان اثينا وسبارطه مع بعض حلفائهم على مصادمة الفرس والنبات الى النهاية فتقدم ليونيداس ملك سبارطه بعدد قليل من الرجال منهم ثلاث مئة رجل من اهالي سبارطه والتقى الفريقان في مضيق ثرموبيل وهو مضيق بين جبلين في تساليا. وكان قبل شوبوب الحرب ان زركسيس لما رأى قلة عدد اليونان بعث الى ليونيداس يطلب اليه ان يسلم سلاحه مع انفاره القلائل فاجاب ليونيداس : تعال وخذ : ثم ابتدأ القتال ودام يومين وهلك من الفرس عدد كثير ولم يستطيعوا ان ينفذوا من ذلك المضيق وكان عددهم الهائل كالعدم اذ لم يقدروا ان يحاربوا جميعاً

يداً واحدة ولولا الخيانة لفاز اليونانيون الى النهاية لان رجلاً يونانياً من
 ثاليا كان قد ارى الفرس طريقاً آخر بين الجبال فجمعوا على ليونيداس
 ورجاله من وراء ومن قدام وضايقوهم جداً. ولما ارى ليونيداس عظم
 الخطر المحقق به وثيقن الهلاك صرف جميع من كان معه من الرجال
 الا الثلاث مئة السبارطيين وسبع مئة آخرين احبوا ان يموتوا معه
 وثبت هولاء يدافعون ويحاربون حتى هلكوا جميعاً الا رجلين. وفي نفس
 ذلك الوقت انتشبت نيران الحرب ايضاً في البحر بين المراكب اليونانية
 والفارسية ففاز اليونان في اول الامر بعض الفوز ولكن لما بلغهم موت
 ليونيداس تأخروا واتوا شطوط اثينا بقرب جزيرة سلمينه وتقدم عسكر
 الفرس ناهباً البلاد ومفسداً ومخرباً حتى دخل اثينا فهرب الاهالي الى
 السفن فدخلها الفرس ونهبوها واحرقوها

وفي هذا الوقت طلب ثيمستكليس ترجيع اريستيديس الصديق
 الذي كان قد نفي فاخذ الاثنان قيادة السفن البحرية مع رجل آخر من
 سبارطه وحدثت وقعة عظيمة بين سفنهم وسفن الفرس وكان عدد الاولى
 ٣٠٠ والثانية ١٢٠٠ فدارت الدائرة على الفرس وانكسرت مراكبهم
 وكان زركسيس جالساً على البر في مكان عال مشرف على ساحة القتال
 فلما ارى انكسار سفنه خاف جداً وكان قد بلغه ان اليونان مزعمون
 ان يقطعوا عليه الطريق باحراقهم الجسر فهرب للحال وقطع البوغاز وجاء
 الى سرديس تاركاً ٣٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة صهره مردونيوس في ماراتون
 لكي يحدد الحرب في الربيع. فاجتمع جيشا اثينا وسبارطه وكان عددهما
 ١١٠٠٠٠ مقاتل تحت امرة بوزانياس من اهل سبارطه واراستيديس
 الاثيني وهاجموا مردونيوس وصار بين الفريقين وقعة هائلة في سهل
 بيوتيا فانكسر الفرس انكساراً عظيماً وتشتت شملهم وقتل مردونيوس وغنم
 اليونان غنائم لا تحصى. وفي نفس هذا الوقت كانت الحرب قائمة بجزراً عند

شطوط اسيا الصغرى وكانت الدائرة فيها ايضا على الفرس . اما زركيس
الاول الذي كان لم يزل باقيا في سرديس فلما بلغه خبر انكساره برا
وبحرا انهزم راجعا الى بلاده و بعد قليل قتله احد اتباعه

واما اليونانيون فلم يرجعوا عن محاربة الفرس بعد انتصاراتهم المتقدمة
ذكروها وحرصوا اهل ابونيا على طرح نير الفرس وتخلصهم من عبوديتهم
واعانهم على ذلك واستخلصوا منهم جزيرة قبرس . ثم اتوا مدينة بيزانتيوم
اي القسطنطينية الحالية ونهبوها ورجعوا الى بلادهم بمكاسب وغنائم وافرة
ثم شرعوا في ترميم اثينا وحصنها وزينوها بالابنية الفاخرة والمراسخ الجميلة
ووسعوا ميناها حتى اصبحت ابهى مدائن ذلك العصر واجملها

ومن ثم اخذ اليونانيون يتقوتون ويسترجعون مدنهم في مكدونية
شيئا فشيئا . اما بوزانياس قائدهم العام فلما راي انهم يريدون ان ينكسوه
ويضعوا في طريقه تضعيات اخذ يكاتب ملك الفرس سرا واعدا اياه
ان يسلمه جميع بلاد اليونان بشرط ان يزوجه ابنته وان يكون نائبا
مكانه على البلاد التي يسلمه اياها فاشتبه اليونانيون به ودعوه الى مجلسهم
فبررو نفسه اذ لم يكن لهم حجة ظاهرة يسكونه بها ولكن اذ وقعت يدهم
بعد ذلك رسالته الى زركيس ارادوا ان يقبضوا عليه فهرب واتجأ الى
هيكل پلاس فلم يستطيعوا ان يدخلوا اليه لياخذوه منه لانه حسب
عندهم حراما امساك من التجأ اليه فسئدوا عليه الباب فمات جوعا . وقيل
ان امه هي اول من اخذت حجرا فوضعت على باب الهيكل وان الباقيين
لما راوا ذلك فطنوا لسد باب الهيكل . ثم اقاموا الحججة على ثيستوكليس
متهميه بالاشترك في خيانه بوزانياس فنفوه ايضا من البلاد فاتجأ الى
اعظم عدوه له وهو زركيس الثاني ملك الفرس الذي قبله بكل فرح
وترحب به كل الترحاب وغمره بنعمه فاقام ثيستوكليس في بلاد الفرس
الى يوم وفاته . قيل انه امات نفسه بالسم لئلا يجبر على اخذ السلاح

ضد وطنه مكافأة لما ابداه زركسيس من المعروف نحوه . وقام بعد نفي
 ثيستوكليس رئيساً للاراخنة ار يستيديس الصديق وبعد موت هذا تولى
 الرياسة سيمون بن ملتيايس وكان رجلاً ذا سعة وديعاً كريماً محباً لجميع
 الناس فاتحاً بيته وبساتينه الجميلة لمن اراد الدخول اليها وكانت اصحابه
 تتبعه حاملية تقوداً فكان يعطي المحتاجين من ابناء وطنه ممن صادفهم في
 طريقه فاغضبت تصرفاته هذه اهل بلاده زاعمين انها تاتي الشعب
 والبلاد بخسائر ادية فنهوه وتولى مكانه بريكليس ثم دعوه بعد خمس
 سنين وولوه قيادة الجيش وكانت يومئذ الخاصيات والفنن الداخلية
 آخذة من اليونانيين كل مأخذ فلما بلاشيهما لم يجد لها علاجاً انقنع من
 اشهار الحرب على الفرس ثانية فانصرف عليهم في عدة وقائع وافتتح الجانب
 الاعظم من جزيرة قبرس التي كانت تابعة لهم . ولما راي زركسيس ملك
 الفرس ان مملكته قد ضعفت في الحروب الكثيرة المستطيلة اضطر ان
 يطلب الصلح فاجابه سيمون الى ذلك بثت الثلاثة الشروط الآتية وهي
 اولاً ان يرفع يده عن جميع املاك اليونان في اسيا الصغرى وان تكون
 ممالك مستقلة بذاتها . ثانياً انه يمنع سفنه من السير في البحر . وثالثاً ان
 عساكره لا تخطى اكثر من ثلاثة اميال ضمن حدود المنازل اليونانية
 غير ان سيمون لم يتمتع بشجرة اعماله العظيمة اذ انه توفي من جري جرح
 اصابه في حصار جزيرة قبرس سنة ٤٤٩ ق م وبقي بريكليس رئيساً في
 اثينا بعد موت سيمون مدة عشرين سنة واهتم كثيراً بتحصين المدينة
 وتزيينها وفي عصره بلغ اهلها الدرجة القصوى في اتقان الصنائع والفنون
 ومعامل البناء لاسيما بالنقش والتصوير وراجت فيها سوق المعارف والعلوم
 فكانت مدرسة للعلماء والعلوم ولذلك سميت ام العلوم والفلسفة . وفي
 اواخر ايام بريكليس وقع خلاف وشقاق بين اثينا وسبارطه كانت نتيجةته
 اخيراً شيوب نيران الحرب الطويلة التي دامت مدة ثمان وعشرين سنة

وسميت حروب البليبونيسوس اي حروب المورة . وكان السبب في ذلك انه لما وقعت الحرب بين ولاية كورنثوس وجزيرة كورفوان بريكليس حرض حكومة اثينا على مساعدة اهل كورفو فحسب هذا الامر في سبارطه تعدياً ونكثاً للعهود التي كانت قد اقيمت بين ممالك اليونانيين . وكانت سبارطه تنظر الى اثينا ونجاحها بعين الحسد وتترقب الفرص لاذلالها وتنكيس شوكتها فطلبت اليها ان تنفي العائلة الالكيونيدية عنها تريده بذلك نفي بريكليس . فهذه الاسباب وغيرها مما لا يسعنا لضيق المقام استيفؤها كان من شأنها جميعاً اثاره الحرب المذكورة

ففي سنة ٤٣١ ق م شبت نيران تلك الحرب ودامت الى سنة ٤٠٤ بدون انقطاع . فكان من الجهة الواحدة سبارطه وكورنثوس وجميع ولايات المورة الى ارغوس واكثر الممالك الشمالية ومن الجهة الاخرى اثينا واسباليا وبعض جزائر الارخبيل الرومي وكان عدد جيش اثينا يباغ نحو ٣٢٠٠٠ مقاتل وعدد جيش سبارطه ٦٠٠٠٠ مقاتل تحت امر ارخيداموس ملكهم . اما الاثينيون ففاقوم جداً بالقوة البحرية فاشتعلت بينهم الحروب براً وبحراً وهلك منهم عدد عظيم جداً في مدة الثماني والعشرين سنة التي دامت الحروب فيها وكان الانتصار نارة لاثينا واخرى لسبارطه ولكن في السنة الاخيرة من هذه الحروب قام في سبارطه رجل شهير ذو حذق ودراية عارفين الحرب وابوابه وهو ليساندروس فانتصر على جيش اثينا انتصاراً عظيماً ومن ثم تقدم وحاصر اثينا براً وبحراً وما زال يشدد عليها الحصار حتى طالبت التسليم فعقد شروط الصلح واصبحت اثينا بموجبها خاضعة لحكومة سبارطه التي صارت بعد ذلك من اعظم الولايات اليونانية واقواها . فتكبر السبارطيون جداً وتعظمووا وشرعوا في المظالم والعدوان وابطل ليساندروس من اثينا الحكم الجمهوري ونظامها القديم واقام عوضهما ثلاثين عضواً او رئيساً تحت امر حكومة سبارطه فشرع

هؤلاء يظلمون ويعتسفون الاثينيين ويجورون عليهم كثيراً وقتلوا منهم في مدة اقل من سنة عدداً عظيماً وما زالوا يظلمون ويتعدون الى ان ضجر منهم الاثينيون وشرعوا يتآمرون في ايجاد طريقة لخلع نير هؤلاء المردة وكان يومئذ في اثينا رجل ذو دراية وحذق اسمه ثراسيبولوس فنهض مع اهل اثينا جميعاً وطرّدوا الثلاثين رئيساً السبارطيين ورجعوا الحكم الجمهوري وذلك بمساعدة بوزانياس ملك سبارطه نفسها لانه كان يكره ليساندروس ويخشى سطوته واعادوا نظامات صولون

وفي هذا العصر عاش سقراط وهو اشتهر فلاسفة اليونان واول من علم بوحداية الله وبخلود النفس وكان رجلاً تقياً ورعاً فاشتكى عليه اهل اثينا زاعمين بانه يفسد عقول الناس بتعاليمه فحكم عليه بالموت وذلك بشرب عصير الشوكران وقد ترك تعاليم مفيدة جداً الا انه لم يكتب منها شيئاً في حياته وانما كتب بعد موته عن يد تلميذه افلاطون وكان اليونانيون المستوطنون في ولايات اسيا الصغرى اليونانية قد قاموا على زركيس الثاني بن داربوس نوثوس ملك الفرس وطلبوا مساعدة سبارطه فارسلت جيشاً لتجديدهم تحت قيادة ملكهم اجيز يلاس فتجددت الحرب ثانية بين اليونان والفرس فتقدم اجيز يلاس الى اسيا الصغرى وفتح فريجية ومنها تقدم نحو بلاد فارس نفسها فخاف زركيس جداً واخذ يحرص اثينا وغيرها من بلاد اليونان ممن كان بينها وبين سبارطه عداوة ان يقوموا لمخاربة سبارطه فالتزم اجيز يلاس ان يعود الى بلاده للحمامة عنها ولولا ذلك لهدم اركان السطوة الفارسية وبعد ان دامت الحرب جملة سنين عقد اخيراً الصلح المعروف بصلح انتلسيداس وهو ان يصير ارجاع اسيا الصغرى وجزيرة قبرس للفرس وان مدن هيلاس وجزائرها كافة تكون مستقلة قائمة بذاتها ما عدا جزائر لمنوس وامبروس وسبروس فتنضم الى اثينا وان ملك الفرس وسبارطه يقيمان

الحرب على كل من لا يعمل بموجب شروط هذه المعاهدة . وكان ذلك سنة ٣٨٨ ق م

هذا ولما كانت الحرب قائمة على ساق وقدم بين اثينا وسبارطه تقويت ثيبة جدا وصارت ذات سطوة كنية وما زالت في نجاح واقبال حتى اصبحت قاعدة للمدن والاراضي المجاورة لها . اما سبارطه التي كانت تحب ان تتراأس على جميع الممالك اليونانية فلما رأت نجاح ثيبة خافت من تزايد سطوتها وقوتها فارسلت جيشا واخذتها فجأة واقامت عليها ولاية من قبلها فشرعوا يقتلون ويظلمون ويجورون على الاهالي كما جرى في اثينا فهرب كثيرون من الاهالي واتوا اثينا فاغتاظ الاثينيون من هذا الفعل البربري وتظاهروا بالميل الى ثيبة اما سبارطه فخرجت ايضا من هذا الفعل التبيح وقاضت القائد الذي فعل ذلك الا انها لم تنازل عن الاستيلاء على ثيبة وملحقاتها . فقام اخيرا ايبامينونداس ويوليبيداس رجلان شهبيران من اعمال ثيبة وقتلا ظالم بلادها فثبتت من ذلك حرب شديدة بين سبارطه وثيبة ودامت زمانا ليس بقليل فغاز اهل ثيبة اولاً فوزاً عظيماً في واقعة حدثت بقرب لوكترا احدى مدن اركاديا في المرة وتقدموا بانتصار حتى ابواب سبارطه نفسها واحرقوا مدناً كثيرة ونهبوا سبارطه ثم عادوا الى بلادهم فائزين غانمين . ثم تجددت الحرب ايضا بعد مدة وجيزة وكانت الغلبة لايامينونداس ايضا ولكنه قتل في الحرب وقبل موته بقليل بينما كان منتظراً نتيجة الموقعة التي كانت سبباً لموته ولما اخبروه ان الفوز كان لهم صرخ قائلاً كفا في حياة وزرع السهم الذي كان مازال في جسده واسلم الروح فكانت به بداية سطوة ومجد ثيبة ونهايتها بنهايته فعقدت الصلح مع سبارطه لكي تبقى فلما يكون على ما كانت عليه من الاستقلال لانها امست خائفة سبارطه بعد فقد قائدها ايبامينونداس . واما اجيزيلاس ملك سبارطه فعلم ما كان عليه من

الشيخوخة اذ كان ابن ٨٠ سنة لم يطب له عيش الا بالحروب فأتى مصر
لحاربة الفرس فلقي الموت هناك وبوته ارتاحت البلاد وعظم السلام على
ان الآداب اخذت من هذا الوقت تهاجر ربوع البلاد اليونانية وكسدت
فيها سوق التقدم والفلاح واخذت تميل وتنتهقر ادياً
وبقرب هذا الوقت حدث في مكدونيا قلاقل كثيرة وذلك ان
استاناس ملكها توفي تاركاً ثلاثة بنين فشرع هولاء يتنازعون الملك فبعث
المكدونيون وفداً الى ثيبة يطلبون مساعدتها في نزع الخصام من بلادهم
فارسلت ثيبة عسكرياً تحت امر يوليويدياس لكي يصلح احوال تلك البلاد
ولا اتي مكدونية ولي احداهم ملكاً عليها ومهد الاحوال وعاد ومعه فيلبس
اخو الملك وهو ابو اسكندر الكبير وعدد من اعيان البلاد رهناً ومن
حين انتصار ثيبة على سبارطه المرة الاخيرة وعقد الصلح بينهما لم يحدث
بين اليونانيين امر مهم حتى زمان تملك فيلبس المذكور انفاً على بلاد
مكدونية

الباب السادس

في مملكة مكدونية وقيام فيلبس سنة ٣٦٠ ق م الى
موت الاسكندر

ان تاريخ بداية هذه المملكة كما ذكر تواريخ مبادئ باقي الممالك
والشعوب محاط بظلمة كثيفة اما مؤسسها واول ملوكها فرجل اسمه
كرانوس عاش في اوائل القرن الثامن ق م والمظنون ان المكدونيين
واليونانيين هم من اصل واحد على ان اليونان حسبوا المكدونيين نصف

برابرة كباقي الامم ولم يكن لهم صوت في المشورة الامفيكتيونية وكانت
السلطنة في يد اشراف البلاد على نوع ما ولم يكن للملك شيء من
الاستقلال والجنود كانوا طوعيين اذا شاهدوا تبعوا الملك في غزواته
وحروبه لاسيا اذا علموا ان في ذلك لهم فخرًا او غنائم ليسلبوها . وكان
ملوكها خاضعين للفرس زمانًا طويلًا غير انهم في زمن حروب البليونيانية
اخذوا يتخلصون نوعًا من ثقل ذلك النير ومن وعدة بحر الظلام والجهالة
وقد علمنا في ما تقدم ان فيلبس الذي كان ابن الملك السادس عشر
من ملوك مكدونية كان قد اخذ الى ثيبة عند ما اتى بيلويداس الى
مكدونيا لينزع منها القلاقل والفساد وكان يومئذ عمره نحو ١٠ سنين
فاقام في ثيبة نحو اثنتي عشرة سنة فتعلم امورًا كثيرة مفيدة ودرس عند
ايبامينونداس فن الحرب وابوابه ولما بلغه خبر قتل اخيه المالك في
مكدونيا هرب الى بلاده فوجدها مضطربة ثائرة وكان لاختي فيلبس
ولد صغير السن فأخذ عمه فيلبس على نفسه ان يكون وصي له واعنى
بامر تربيته وحكم باسمه ولكن عما قليل قام المكدونيون وطلبوا اليه ان
يكون هو الملك الشرعي عليهم اذ لا يريدون ان صبيًا يملك عليهم فاجاب
طلبهم وتولى زمام المملكة وكان حينئذ عمره نحو ٢٥ سنة . وقبل ان
يتبوأ تحت الملك خرج لمحاربة جيوش اعداء كثيرين كانوا يتهددون
عرش ملك ابن اخيه فانتصر عليهم جميعًا وبدد شملهم واخضع جملة اما كن
فاجبه قومه كثيرًا

ولما تمكن فيلبس في الملك اخذ يدبر واسطة لاختضاع باقي الممالك
اليونانية ويضمها الى مملكته . وكانت سبارطه واثينا اقوى الممالك اليونانية
قد ضعفتا من الحروب التي وقعت بينهما وبين الفرس . وثيبة ايضا كانت
قد وهنت من حروبها مع سبارطه وفقد قائدها الهام ايبامينونداس فاخذ
يزرع الشقاق والفساد بين هاتيك الممالك وكان له في جميعها اناس من

اهلها واعيانها في خدمته الذين ساعدوا كثيراً في اجراء واتمام مقاصده هذا وكان قد وجد في نواحي مدينة فيليي معادن من فضة وذهب فاستخرج منها اموالاً وكوزاً وافرة ساعدته كثيراً على اتمام مرغوبه اذ استطاع ان ينتصر بواسطتها حيث لم يقدر ان ينتصر بجيوش السلاح . وفي سنة ٣٥٦ ق م وهي السنة الرابعة من ملكه وضعت زوجته الملكة اوليمياس ولداً ذكراً فسماه اسكندر ولما نشأ قليلاً سلمه الى الفيلسوف اريسطوطليس الشهير لكي يعتني بتعليمه وتهذيبه فنشأ شاباً اديباً شجاعاً كما سيأتي الكلام عنه

وبقرب هذا الوقت حدث بين ممالك اليونان حرب شديدة سميت الحرب المقدسة مهدت لفيلبس السبيل الذي ظالماً صابا اليه لثوال مرغوبه من اخضاع الممالك اليونانية لسلطوته . وكان السبب في ذلك ان قوماً من اهالي فوسيديا وضعوا ايديهم على حقل من اوقاف هيكل اپولون فحسب ذلك امراً عظيماً وحكم عليهم من قبل المشورة الامفيكتيونية بغرامة مبلغ وافر كفارة عن ذنبهم وفوضت الجمعية المشار اليها اللوكر بين اهل ثيبة ان يحصلوا منهم تلك الغرامة فأبى اولئك ان يخضعوا لحكم المشورة وتمنعوا عن الدفع وجأهروا بالعصيان وحملوا السلاح واستعدوا للحرب فثبت نيران الحرب ودامت مدة عشر سنين بين فوسيديا وسبارطه واثينا من الجهة الواحدة وثيبة وتساليا ولوكر يا من الجهة الاخرى فانتهز فيلبس هذه الفرصة ليكون له نوع من المداخلة الرسمية بين تلك الممالك وطلب اليهم ان يكون وسيطاً ومصلحاً فيما بينهم فقبلوه وجعلوه عضواً من اعضاء المشورة الامفيكتيونية ما عدا الاثينيين فان خطيبهم الشهير ديموستين حذرهم من فيلبس الذي كان احيل من ثعلب وحرصهم على عدم قبول مداخلته في ما يتعلق ببلادهم واراهم ان مقاصده انما هي ليزعج حريتهم ويخضعهم لسلطته . فاغتم فيلبس فرصة هذه الحرب وتقدم

بجيوشه فاصداً فتح مضيق ثرموبيل ليكون كحصاً يتوكأ عليه عند الحاجة .
 اما ديموستين فلما درى بذلك جهز فرقة من العساكر ولاقي فيلبس عند
 المضيق المذكور . فلما رأى فيلبس جيش اثينا اتنى راجعاً تاركاً مقصده
 الى فرصة انب

وكان بعد ذلك ان قوماً من اهالي لوكريا وضعوا ايديهم على بعض
 اراضي هيكل ابولون فحكمت عليهم المشورة الامفيكتيونية كالحكم السابق
 فأبوا ان يخضعوا فجددت الحرب المقدسة الثانية ودُعي فيلبس ان يكون
 قائداً في هذه الحرب فكان يتظاهر بالتمتع في اول الامر لكي يخدعهم
 ويجعلهم يطمئنون من جهته واخيراً زحف بجيشه وابتدأ بفتح المدن
 المجاورة بيوتيا وفوسيديا . اما ثيبه فلما رأت ذلك اندهشت واثينا اخذتها
 الحيرة فنهض ديموستين واراخم مقاصد فيلبس وحمله التي طالما حذرهم
 منها واخذ يحرصهم على النهوض لمقاومته فجهزوا جيشاً وخرجوا للملاقاة
 بثلاثين الف مقاتل والتقى الفريقان بالقرب من احدى مدائن بيوتيا
 الشمالية واصطدم الجيشان في سهول شبرونه واصطلت نار القتال بينهما
 وبعد قتال شديد دارت الدائرة على اليونانيين وانتصر فيلبس عليهم
 وذلك سنة ٣٣٨ ق م . فلما امست كل الممالك اليونانية خاضعة له عامل
 اليونانيين معاملة حسنة جداً واطلق الاسرى بدون فدية ولكي ينسى
 اليونانيين مصيبة فقد استقلايتهم اراد ان يحول افكارهم نحو محاربة
 الفرس عدوهم القديم فعقدت جمعية في مدينة كورنثوس حضرها وكلاء
 من قبل سائر الدول اليونانية وقرء القرار فيها على توليغ الملك فيلبس قيادة
 الجيش الاولى في الحرب التي كانوا عازمين فتحها على اسيا فخرجت الاوامر
 في اعداد المهجمات الحربية وشرعوا في الاستعدادات الكلية والجزئية
 وارسل فيلبس القائد بارمينون مع مقدمة الجيش الى اسيا الصغرى حيث
 كان مزعماً ان يلاقيه ببقية الجيش على ان العناية لم تسمح له بذلك اذ

قتله بوزانياس احد اتباعه سنة ٣٣٦

فخلفه ابنه اسكندر الملقب بالكبير وعند العرب بذي القرنين وكان
عمره يومئذ ٢٠ سنة وكان على جانب عظيم من الخندق والدراية والشجاعة
والاقدام. ولما بلغه ذات يوم نجاح وانتصارات ابيه قال باسف وعم
ان ابي قد غلب تقریباً على العالم بسيفه ولم يترك لي شيئاً اغلب عليه بسيفي
وكان بعد موت فيلبس ان الممالك اليونانية فرحت جداً املاً
باسترجاع استقلاليتها وكان ديموستين الخطيب يحدّثهم من اسكندر كما
كان يحدّثهم من ابيه وبعد ان تبوأ اسكندر تحت الملك جاهرت ثراقيا
بالعصيان فانها وحاربها وانتصر عليها واخضعها لسلطوته ولما علم بمجاهرة
الاثينيين وغيرهم بالعصيان تقدم اليهم بقوة عظيمة واتى اولاً ثيبه وفتحها
وغربها وباع نحو ٣٠٠٠٠ من اهلها ولما رأت باقي البلاد اليونانية ما
كان من بأسه وقوته خافت جداً وخضعت له. ومن ثم عقد جمعية دولية
في مدينة كورنتوس حضرها وكلاء من كل البلاد اليونانية واعلمهم انه
عازم على محاربة الفرس كما كان عازماً ابوه قبل وفاته ففوضته الجمعية
قيادة جيش اليونانيين

فاخذ بوزع كنوز ابيه على قواد جيشه واصحابه ولم يبق لنفسه
شيئاً فقال له احد من اهلها المولى اراك قد افرغت كل كنوزك فماذا ابقى
لنفسك فقال له الرجاء. ومن ثم تأهب للسفر ولم يأخذ معه من الزاد
والمعات سوى ما يكفي شهراً واحداً لانه كان موقناً بالنجاح وسار
بجيش عدده ٣٠٠٠٠ راجل و ٦٠٠٠ فارس واتى اولاً طروادة وقدّم
ذبايح اكراماً للابطال الذين قتلوا في حرب طروادة ومن ثم تقدم نحو
بلاد فارس

فلما علم داريوس قد مانوس ملك الفرس بقصد اسكندر استهزأ به
وعزم على كسر شوكته وكان يدعو الصبي المجنون فوافاه داريوس

بجيش عظيم قيل ٣٠٠ الف مقاتل عند شاطيء نهر غرانيكوس من اسيا
الصغرى فنقاتل الفريقان قتالاً شديداً كانت الدائرة فيه على عساكر



اسكندر الكبير

الفرس وقد قتل منهم حسب قول البعض نحو ٢٠٠٠٠ قتيل ولم يقتل من
جيش اسكندر الاً تفر قليل وفي وقت المعركة هجم اثنان من امراء
الفرس على اسكندر ولولا مساعدة احد امرائه لقتلاه وبعد هذا
الانتصار خضعت لاسكندر اسيا الصغرى الا القليل وفي السنة الثانية
اتى دار يوس ذاته بجيوش جرارة مقدارها نحو ٦٠٠ الف مقاتل فوافاه
اسكندر الى الاراضي الوعرة عند ايسوس في كيليكيا وحاربه وغلبه
فهلك من جيش الفرس عدد لا يحصى . واما خسارة اسكندر فكانت
قليلة جداً . فانهمزم دار يوس ليلاً وقطع نهر الفرات غير مصدق بالنجاة

وهو تعجب من شجاعة اسكندر وبسالة جيشه ووعت زوجة دار يوس
وامه وابنتاه في يد اسكندر فاعتبرهن كل الاعتبار واكرهن اكراماً
لا مزيد عليه وامر ان يعتنى بهن كل الاعتناء

فبعث دار يوس وفدًا الى اسكندر يطلب اليه فداء زوجته واهل
بيته بمبالغ وافرة وانه يعقد معه الصلح فيزوج ابنته ويهرها كل الاراضي
الواقعة بين نهر الفرات وبحر الروم فاجابه اسكندر مع وفده انه مستعد
ان يسلم حريمه بادنى شرط اذا اتى بنفسه يطلبهن . فعظم الامر على
دار يوس جداً ولم يرد ان يتنازل الى هذا الحد

وقد اتى هذا الانتصار بتسليم سوريا وطبة ففتحت جميع مدنها ابوابها
للتنصر الامدينة صور فاغتاط اسكندر جداً من كبرياء اهلها وتقدم
لحاربها فحاصرها سبعة اشهر وقيل تسعة اشهر وفتحها بعد ان ردم البحر
بخرابات المدينة القديمة وقد تقدم الكلام عليها في تاريخ فينيقية . ومن ثم
تقدم وحارب مدينة غزة التي اظهرت العصاة ففتحها عنوة بعد حصار
شهرين وباع من اهلها مقدار ١٠٠٠٠٠ نفس وامر حاكمها باتيس الخصي
وربطه في سلسلة وراء مركبته فكانت الخيل تسير وهو يجبط على الارض
حتى هلك . ومن هناك قام الى القدس التي كانت خاضعة وقتئذ للفرس
فخرج لملاقاته رئيس الاحبار والكهنة بلا بسهم الرسمية فاعتبرهم اسكندر
كل الاعتبار ودخل الى هيكلهم ومسجد ومخيم تامينات وتطمينات دامت
لم زماناً طويلاً من بعده

ثم تقدم الى مصر التي فتحت له ابوابها بدون مقاومة وبعد ذلك اتى
هيكل جويتر امون الكائن في الصحراء فهلك كثيرون من جيوشه في
تلك الرمال المحرقة فقدم ذبائح وطلب من الكهنة ان يلقبوه بابن جويتر
بعد ان اعطاهم هدايا وافرة فتلقب بابن جويتر ومن ثم عاد الى مصر
ووضع اساسات الاسكندرية مسمى اياها باسمه

وبعد ان نظم احوال البلاد تقدم ثانية نحو بلاد فارس لكي ينزل
بها البلاد الاخير فبعث دار يوس يعرض عليه عقد الصلح فيسلمه كل
الاراضي الواقعة الى غربي نهر الفرات . فرفض اسكندر قبول ذلك قائلاً
ان العالم لا يستطيع احتمال رين كما انه لم يستطع احتمال شمسين فلما
رأى دار يوس عناد اسكندر وتعظمه عزم على المدافعة الى النهاية فركب
بنحو ٧٠٠ الف مقاتل وقال بعضهم اكثر وبعضهم اقل . فوافاه اسكندر
بجيش مقداره ٦٠٠٠٠٠ والتقى الفريقان بقرب اريلا احدى مدن الفرس
وثقاتلا قتالاً شديداً ارجحت له قواعد الجبال فلم يلبث طويلاً حتى
انكسرت جيوش الفرس اذ كانت قد وقع في قلوبهم الرعب من قتال
اسكندر في المواقع السابقة فانهمزم دار يوس وولى هارباً الى بكتريا وهي
جزء من بلاد التتر المستقلة وقتل هناك فساد اسكندر على المالك قاطبة
وتزوج بروكسانا ابنة دار يوس

واذ كانت المطامع ماثلة قلبه لم يكتب بكل هذه الفترحات فتقدم
الى بلاد الهند وفتح اكثرها واراد ان يتقدم بعد الى جهة المشرق على ان
عساكره لما رأته ان لا حد لمطامعه ولا نهاية لاتعابهم ابوا ان يتقدموا
اكثر من ذلك وطلبوا الرجوع الى اوطانهم فانتهى راجعاً ليس بدون
اسف وحزن واتى مدينة برسيبوليس وهي من اشهر مدن بلاد فارس
وافخرها واحرقها حنقاً فانه مع ما كان عليه من رفعة الشان والغلبة والمجد
كان شديد الحنق مرعب الغضب . وكان قد اتى مدينة بابل قاصداً ان
يرمىها ويجعلها قاعدة الممالك الشرقية فاقام ١٠٠٠٠٠ نفس فاعل يشتغلون
فيها وقصد ان يمضي بعد ذلك الى قرطجنة وبتنجها ومنها الى اوربا ليخضع
اسبانيا واطاليا ومن ثم يعود الى مكدونية ولكنه بعد ذلك بمدة قصيرة
مرض ومات في السنة الثالثة والثلاثين من عمره والثالثة عشرة من حكمه
وذلك سنة ٣٢٣ ق م

الباب السابع

في ما حدث بعد موت اسكندر الى هذه الايام اي من

سنة ٣٢٣ ق م الى سنة ١٨٧٢ ب م

فمات اسكندر ولم يترك خليفة من نسله وكان عند ما احسن بقرب
 حلول اجله نزع خاتمه من اصبه واعطاه الى برديكاس احد امرائه
 فساله قواده واکابر خواصه عن تعيين ولي عهد بعده فقال الاكثر
 استحقاقاً فتقلد برديكاس بعد موت اسكندر باتفاق رفقائه من القواد
 نيابة الملك الى حين ولادة الملكة روكسانا التي كانت حبلى عند وفاة
 زوجها اسكندر اما العساكر فلم يرتضوا بذلك واعلنوا انهم يريدون اقامة
 اربدي اخي اسكندر فكان له من الملك الاسم فقط . ومن ثم قسم
 برديكاس ممالك سيده على ٣٤ قائداً من القواد الاولين وكان له الرياسة
 على الجميع وفي تلك الاثناء وضعت روكسانا زوجة الاسكندر ولداً ذكراً
 فسمي باسم ابيه . فاخذ برديكاس على نفسه امر تربيته وان يكون وصياً
 عليه ولكن لم يلبث طويلاً حتى حسده رفقاه وعزموا على قلبه او
 اهلاكه وكان اعظم عامل في هذه الثورة انتيبار ولكنه كان مضطراً ان
 يحمده اولاً نيران الفتن التي اخذت في الاشتعال بين اليونانيين

ولا يخفى ان اسكندر قبل خروجه من بلاده كان قد خلف انتيباتر
 وكيلاً للملك في مكدونية فلما علم اليونانيون بموت اسكندر فرحوا جداً
 املاً باسترجاع استقلاليتهم وحررتهم . فاجعل ديموستين يحرض الاثينيين

للتنهوض في طلب حربتهم وانضم اليهم كثيرون من باقي البلاد اليونانية
فقاموا جميعاً يداً واحدة وحاربوا اثيباتر في لاميا من اعمال ثساليا
فكسروه وعلقوه وحاصروه وكسر اليونان احد قواد اسكندر الذي جاء
لنجدة اثيباتر وقتلوه ولكنهم انكسروا بعد ذلك في وقعة صارت بينهم
وبين كراتيد قائد مكدوني عند كراتون فانهمزموا وتشت شملهم . فعادت
ثساليا للطاعة واضطر الاثينيون الى مثل ذلك واشترط عليهم بدفع
مصاريف الحرب واقامة جيش مكدوني في مونيخيا من بلاد اليونان
و بتسليم الخطيبين ديموستين وهيباريد اللذين كانا يحرضانهم على المجاهرة
بالعصيان . فهرب الاثنان اما الاخير فلم ينج قبض عليه وقتل واما
ديموستين فانهمز الى هيكل نبتون في جزيرة كالوربا ولكن لما رأى انه
لا يقدر ان يفلت من اعدائه ولثلا يقع في ايديهم فميتوه مهاناً شرب سماً
فات . واما اثيباتر فبعد تمهيد هذه الامور عقد الصلح ايضاً مع اهل ايتاليا
لكي يستطيع الذهاب حالاً لمحاربة برديكاس في اسيا فلاقاه برديكاس
وانضم اليه ايضاً القائد كراتير المتقدم ذكره فانصر اثيباتر عليهما في
وقعة عظيمة قتل فيها كراتير ايضاً واما برديكاس فقتله عسكره بالقرب
من مدينة منفيس في مصر حيث ذهب لمحاربة بطليموس الذي خلفه
اسكندر والياً هناك وكان ذلك سنة ٣٢٠ ق م

فاخذ اثيباتر نيابة الملك بعد موت برديكاس زماناً يسيراً والزم
اوليمبياس ام اسكندر ان تهرب الى ابيروس لانه كان بينهما عداوة
قديمة من زمن فيلبس فاخذت معها كتنها روكسانا والملك الصغير
وبعد ذلك بقليل مات اثيباتر وخلف مكانه صديقه بوليسبرثون عوضاً
عن ابيه كاسندر فتحزب كثيرون ضد النائب الجديد وكان معظم
السبب في ذلك كاساندر بن اثيباتر لانه احب ان يكون نائباً بعد
ابيه واما بوليسبرثون فلكي يستميل الاثين ويتخذهم حزباً له جد لهم

هيئة حكومتهم القديمة وانتشبت الحرب بينه وبين كاساندر. وبينما كانوا على هذه الاحوال كان انتيفونوس مشتغلاً في اسيا بتعظيم سطوته وتوسيع دائرة امتلاكاته وأخيراً قبض على اومين الذي كان يعضد الحزب الملكي بواسطة جنوده الذين خانوه واماته جوعاً فعظمت بذلك شوكتهم وسطوته. فلما رأى ذلك بقية قواد اسكندر اضطر بوا وخافوا من ازدياد سطوته فنهضوا لمحاربتهم فكسروهم جميعاً سنة ٣٠٧ ق م واخذ قبل الجميع لقب ملك. وما زالوا يتنازعون بعد ذلك الى سنة ٣٠١ ق م فصارت بينهم وبين انتيفونوس وابنه ديمتر يوس وقعة هائلة في ايسوس في فريجية فدارت بها الدوائر على انتيفونوس وولده ديمتر يوس وقتل انتيفونوس فيها فاقسم اذ ذاك قواد اسكندر مملكته الى اربع ممالك. الاولى مصر التي اخذها بطليموس سوتير مع بر العرب وجزء من بر الشام اي فلسطين. الثانية مكدونية وبلاد اليونان اخذها كاساندر. الثالثة ثراقيا وبسنييا وبعض اجزاء اسيا الصغرى اخذها سياخوس. الرابعة بقية الممالك من البحر الاسود الى نهر لاندوس في الهند اخذها سلوقس وسميت مملكة سوريا وهي اعظم الجميع وقد تقدم الكلام عن كل منها في مكانه.

وفي اثناء تلك المخاصمات والحروب اخذت عائلة اسكندر التعيبة الحظ في الاضمحلال حتى انقرضت اخيراً وذلك انه لما كان كاساندر وبولسبرثون يقاربان انضمت اولمبياس ام اسكندر الى الاول وفوضت اليه امر تربية اسكندر الصغير ابن روكسانا ولكن اذ كان كاساندر قد اخذ اليه اريدي اخا اسكندر وزوجه ولم يلتفت الى روكسانا وابنها احتالت اولمبياس على امر اريدي وزوجه فقتلها ولكن بعد زمان ليس بطويل وقعت اولمبياس اسيرة في يد كاساندر مع كتبها وحفيدها اسكندر فقتلها كاساندر ووضع روكسانا وابنها في سجن ضيق وبعد

قليل قتلها بالاشتراك مع انتيغونوس وبطليموس . وكان قد بقي في قيد الحياة ابن لاسكندر من غير زوجته الشرعية اسمه هر كول وكان بوليسبرثون قد اخذ على ذاته امر الاعتناء به والمحاماة عنه ففرض كاساندر على بوليسبرثون ان يعطيه المورة اذا كان يميت هر كول المذكور آنفاً فتمت هذه المشاركة بينهما بقتله وهكذا بعد موت اسكندر باحدى عشرة سنة لم يبق احد من عائلته

اما هذه الامور الفظيعة كلها فلم تكن نهاية المنازعات والحروب فان ديمتر يوس بن انتيغونوس بعد موت كاساندر صار ملك مكدونية وفتح حرباً على سالوقس فاقبته هذا وتغلب عليه وامره فقام لسيسماخوس واخذ مملكة ديمتر يوس فوافاه سالوقس وحاربه واخذ مملكته وقتله ومن ثم قتل هو ايضا من سيرونوس بن بطليموس الذي كان قد التجأ الى بلاده وصار سيرونوس هذا ملكاً على مكدونية . وكان بعد ذلك انه هاجم بلاد اليونان ومكدونية قبائل غالية جاءوا من نواحي غالية وجرمانيا فقتل سيرونوس في المدافعة ضد هؤلاء القوم البرابرة . وبعد ان افسد الغاليون ونهبوا البلاد اليونانية الشمالية طردوا اخيراً فذهبوا واقاموا في ثراقيا ومنها الى اواسط اسيا الصغرى وصنعوا لانفسهم هناك منازل سميت باسمهم وهي غلطة او غلاطيه

فقام بعد سيرونوس انتيغونوس غوناتاس بن ديمتر يوس الذي لم يبق له بعد موت ابيه سوى بعض اقاليم في بلاد اليونان وتبواً تحت مملكة مكدونية بموجب معاهدة تفرقت بينه وبين انطيوخوس الاول ابن سالوقس وفي ايام ملكه هاجم الغاليون بلاده ثانية فدفنهم بزم ونشاط لامزيد عليهما . وفي اثناء ذلك رجع من ايطاليا بيروس ملك ابيروس الذي كان قد طرده لسيسماخوس فتغلب على انتيغونوس وطرده وقام مكانه بالملك سنة ٧٤ ق م . وكان بعد ذلك بستين سنة قتل في حصار

ارغوس فعاد انتيغونوس الى ملكه و بقي الملك في يده ولنسله من بعده
 بدون انقطاع. ولما رأى ملوك مكدونية ان الدهر قد صفا لهم ولم يعد
 لهم منازع ولا معارض وجهوا افكارهم نحو بلاد اليونان ايضاً. واخذهم مدينة
 كورنثوس القوية سنة ٣٥١ ق م كاد يوصلهم الى ما طالما صبوا اليه .
 ولكن عندما تفررت المعاهدة المعروفة بمعاهدة اخائية بمساعي وهمة الشاب
 اراتوس الذي نبغ في ذلك العصر عاد الى البلاد اليونانية بعض روتقها
 وسطوتها زماناً يسيراً. وبعد ذلك اتى الرومان وضموا جميع البلاد
 اليونانية الى مملكتهم بعد حرب قصيرة فامست البلاد اليونانية جزءاً من
 المملكة الرومانية ودعت من ذلك الوقت اخائية على اسم قسم من اقسامها
 وذلك سنة ١٤٥ ق م وليث في ايدي الرومان حتى نقل الامبراطور
 قسطنطين كرسيه الى القسطنطينية سنة ٣٣٤ ب م فصارت جزءاً من
 المملكة الشرقية الرومانية. ثم استفتحتها الاتراك في اثناء القرن الخامس
 عشر ب م فصارت جزءاً من المملكة العثمانية وليث في ايديهم الى سنة
 ١٨٢١ ب م ثم نهضت في طلب الحرية في السنة المذكورة ووقعت الحروب
 بينهم وبين العثمانيين واستمرت بدون انقطاع مدة ثمانين سنين متوالية كما
 مر ذلك في خبر دولة آل عثمان فنجح اليونان بالحصول على بعض ما
 كانوا يتمنونوه وذلك باستيلائهم على قسم من بلادهم القديمة بمساعدة بعض
 دول اوربا فاستقلوا ودعوا اميراً مسكوبيا ليملك عليهم فقتله احدهم ثم
 ملكوا عليهم اوثون ابن ملك بافاريا ثمك عليهم نحو ٣٠ سنة ثم طردوه
 سنة ١٨٦١ قائلين بانه لم يكن له ولد ثم ملكوا عليهم جورج الاول ابن
 ملك الدنيمارك ولم يحدث امرٌ يذكر من بعد ان نبوا تحت الملك ولا نعلم
 ماذا تكون آخرة هذا الملك الجديد. لانه منذ القديم لم يقم رجل معتبر في
 بلادهم الا وقتلوه او نفوه كما فعلوا بشمستوكليس وسقراط واريستيديس
 الصديق وغيرهم والله اعلم

الباب الثامن

في ذكر بعض شعراء اليونان وفلاسفتهم وطوائفهم

ان اول شعراء اليونان واشهرهم هو هوميروس . قيل انه كان اعشى
يطوف متسولاً وهو ينشد قصائده وكان ينشدها قطعة قطعة في اثناء
تطوفه ثم جمعت وقد ذكرنا عمن اعتنى بجمعها . ومجموعها قصيدتان طويلتان
انقسمتا الى عدة اقسام احدهما تعرف بالايلياد وموضوعها حوادث حروب
طروادة والثانية سميت اوديسي وموضوعها سفرات عولوس بعد استفتاح
طروادة وهما من اجود الشعر وافصح . وكان وطنه ازميز وعاش في اواسط
القرن التاسع ق م

والثاني من شعراء اليونان هنر يودوس وكان معاصراً لهوميروس نشأ
في ضيعة من ضيع بيوتيا ولم يصل لنا من شعره الا قصيدتان احدهما
سميت نسبة الالهة موضوعها ميشولوجية اليونانيين اي خرافاتهم واعتقاداتهم
لجهة تواليد آلهتهم وما جرى بينهم من الحوادث . والثانية سميت الاشغال
اليومية وموضوعها الزراعة ومتعلقاتها وله ايضاً قصيدة اخرى تعرف بترس
هيرا كليس وشعره جيد ومقبول لكنه لم يضا شعر هوميروس

اما حكماء اليونانيين وفلاسفتهم فاقد منهم واشهرهم تاليس عاش سنة
٥٤٧ ق م وهو اول فلاسفة اليونان وموضوعه الطائفة الايونية نسبة الى
وطنه ايونيا ومن اشهر تعاليمه ان الماء هو اول الكائنات وعنه وجدت
سائر الصور والمواد وان الله اوجد كل شيء من الماء وهو راي قديم ذهب

اليه قدماء المصريين وعندهم اخذ ثاليس لانه تملذ في مصر وهو ما زال مقبولاً ومعولاً عليه عند كثيرين من علماء هذا العصر. الثاني صولون وقد سبق ذكره فلا حاجة الى التكرار ومنهم فيثاغوروس وهو مؤسس الطائفة المدعوة باسمه ومن عقائدها التناسخ وهو اول من علم عن استدارة الارض ووضع جدول الضرب للارقام الهندية ومنهم سقراط وهو مؤسس الطائفة السقراطية نسبة اليه ومن تعاليمها المعقولات ووحداية الله. ومنهم انتيشينوس ودوجينس مؤسس الطائفة الكيونية ومعناها الكلبية لانهم شبهوا بالكلاب اذ نجحوا عنهم كل الامور ولم يقبلوا بشي منها فرفضوا المعرفة والعلم كشيء لا تنفع منه واتعدوا عن معاشره الناس ولذات الدنيا ولا موارثها كل اجناس الناس ولذلك دعوا بالكليين. ومنهم افلاطون منشيء الطائفة الاكديمية وسميت بهذا الاسم لانه كان يعلم تلاميذه في غياض بقرب مدينة اثينا سميت بغياض الاكديوس. ومنهم ابيكوروس مؤسس الطائفة الايكورية ومن تعاليمه انه يجب رفض كل شي غير التمتع باللذات وافراح الدنيا ومنها ايضا الرواقية ومؤسسها زينون وكان يعلم تلاميذه في رواق في مدينة اثينا ولذا سميت بهذا الاسم. وقد أُشير الى هاتين الطائفتين في اعمال ١٧ : ١٨. ومنهم اريسطوطاليس منشيء الغرافتية وقد اشتهرت تعاليمه جداً واعنقها ونسبت بها اهالي اوربا زماناً طويلاً وما زالوا يعولون على بعضها. ومن اطبايهم المشهورين بقراط الذي كتب عدة فصول مفيدة في الطب وظهر بعده جالينوس وروفس وغيرهما فتوسعوا فيه اكثر فاكثر

الفصل الثالث

في تاريخ الرومانيين القدماء

الباب الاول

في تاسيس رومية واخبار ملوكها الاولين الى سنة ٥٠٩
ق م حين اقيمت الحكومة القنصلية

ان السلطنة الرومانية كانت في الازمنة القديمة من اشهر ممالك الارض واعظمها وتاريخها يمتد من قرون عديدة وهو مشحون من الاخبار والحوادث الدموية وكثرة الشرور والظلم التي يجيها السمع ويكرهها الطبع ومع ان ذكرها غير مقبول تلجئنا الضرورة الى سردها واثباتها لكونها حوادث حقيقية ومن واجبات المؤرخ ان يذكرها كما توقع في اوقاتها فنقول ان مدينة رومية الشهيرة مبنية على نهر تير في ايطاليا على بعد ستة عشر ميلاً من البحر وسميت رومية نسبة الى بانها رومولوس وتأسست سنة ٧٥٣ ق م وكان رومولوس هذا رئيساً على ثلاثة الاف نفر من اللصوص وقطاع الطريق فاتوا وبنوا بعض اكواخ على تلة هناك اسمها البلاتين واقاموا حولها حائطاً لمنع مهاجمات الاعداء فكان ذلك

بداية أشهر مدن العالم وقيل ان ذلك الحائط كان واطناً حتى ان ريموس
اخا رومولوس احترقه لوطوم وقال لـ اخيه يوماً اتظن هذا السور سور
مدينة فغضب انرد من كلامه وطعنه بجر بقة كانت في يده فاماته وكان
ذلك الدم اول دم سفك والتطخت به اسوار هذه المدينة

ولما انتهى رومولوس واصحابه من بناء بيوتهم طلبوا لانفسهم نساء
وكانت ايطاليا يومئذ مسكونة ببعض قبائل متوحشة منهم قوم يقال
لهم الصايون كانوا قاطنين بجوار رومية فطلب رومولوس ان ياخذ من
بناتهم نساء لرجاله فابوا ولم يجيبوه الى طلبه فخذل عليهم وصمم على هلاكهم
فاعد لهم يوماً وليمة عظيمة ودعاهم اليها فحضروا الى دعوته مع بناتهم
ونسائهم واتفق رومولوس مع صحابه على علامة متى اظهرها لهم يجمعون
على القوم فيفتكون بهم فلما انتهى الصايون في الفرح والملاعب ولذات
الماكل والمشارب وقد اعجبتهم براعة الرومانيين وخفة حركاتهم في الرقص
والعب اظهر رومولوس تلك الاشارة الى اصحابه فساروا سيوفهم وهمجوا
على ضيوفهم وقتلوا اكثرهم وقبض كل من الرومانيين على امرأة واتخذها
زوجة له فلما بلغ طوائف الصايين هذا الخبر القبيح استشاطوا غضباً
وانضم بعضهم الى بعض واستعدوا لمحاربة الرومانيين فالتقوا رومولوس
بجموعه وابطاله ولما التقى الجمعان وتقابل المسكران وكاد يقع بينهم
القتال دخلت نساء الرومانيين الى ساحة الحرب وفرقت بين الطرفين
وكن يصحن باعلى اصواتهن فائلات ارجعوا ولا تضربوا بعضكم بعضاً فاية
فرقة منكبا انتصرت على الاخرى لانتجلب علينا سوى الحزن والاسف
لانا بنات الفرقة الواحدة ونساء الفرقة الثانية فاثركلامهن في قلوب
الفرقيين ورأى الصايون ان قلوب النساء قد تعلقت برجالهن الرومانيين
فتوقفوا عن الحرب وهكذا انتهى الامر على محبة وسلام وعقدوا معاهدة
فيما بينهم

وانتخب الشعب رومولوس ملكاً عليهم فسامهم احسن سياسة واقام
لم مجلساً مؤلفاً من القضاة والنواب لتنظيم احوال بلادهم وفض مشاكبتهم
واستمر ملكاً الى ان مات وكانت مدة حكمه ٣٧ سنة واختلفوا في موته
فمنهم من زعم انه خطف بغتة الى السماء وقال آخرون انه كان قد
صمم على ان يجعل نفسه ملكاً مستقلاً فخاصه الشعب ومزقوه ارباباً وهذا
هو الاصح

وبعد موت رومولوس قام ملك ثان على رومية يدعى توما ففيليبوس
وكان رجلاً حازماً حكماً محباً للسلام فسنة شرائع عديدة حسنة وعلم
شعبه الزراعة وعدة صنائع نافعة وكانت مدة ملكه ٤٣ سنة وخلفه
طلس هستيوس فكانت محبة للحرب والمغازي وفي ايامه وقع النزاع
وانتخب القتال بين الرومانيين والالبانيين الذين كانوا متجاورين ثم انتهى
الحال بينهم بان كل فريق من العسكريين ينتخب ثلاثة ابطال من شجعان
عسكره ليارز بعضهم بعضاً وان الذي ينتصر منهم على الاخر ينتسب
اليه انتصار الجيش وكان في جيش الالبانيين ثلاثة اخوة اسم كل منهم
كورياتيوس وكان ايضاً في جيش الرومانيين ثلاثة اسم كل منهم هوراتيوس
فانتخب هؤلاء الستة رجال ثلاثة من كل فريق ليقوموا مقام الجيشين
في القتال فركبوا خيولهم واعقلوا سلاحهم ونزلوا الى ساحة الميدان
وانتسب بينهم الضرب والطعان وكان كل فريق من الجيشين واقفاً تجاه
الاخر منتظراً النهاية فانتصر الكورياتيون في اول الامر على اخصامهم
وقتلوا منهم اثنين فاستعظم اخوها مصابهما وايقن بالتلف والعدم واذلم
يكن له استطاعة على مصادمة اخصامه الثلاثة اطلق عنان جواده
وفر من بينهم فجدوا في طلبه ليقتاوه وكانوا اعيوا من هول المعركة مع
خصمهم الذين قتلوها ولذلك فضرت خيولهم ولم يدرك هوراتيوس منهم
الواحد بعد واحد وكان ذلك غاية مراده لانه كان كفوواً لكل واحد

بفردة فلما اقترب منه الاول ارتد اليه وهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه فالتقاها قتيلاً ثم كره على الثاني والثالث فالحقهما باخيهما فلما رأى الالبانيون ما حل باصحابهم من النكال خابت آمالهم فنكسوا اعلامهم والتفوا سلاحهم الى الارض وسلموا نفوسهم الى اعدائهم فاستبشر الرومانيون بهذا الانتصار العظيم والتفوا هوراتيوس بالتبجيل والتعظيم لانه كان سبباً لانتصارهم وافتخارهم وكشف عارهم ورجعوا به الى المدينة وهم يثنون عليه . وما يستحق الذكر انه كان لهذا الشاب اخت مفرطة في الجمال كانت تحب رجلاً من الكور ياتين الثلاثة الذين قتلهم اخوها في ذلك اليوم فلما بلغها هذا الخبر مزقت ثيابها حزناً واسفاً عليه وقصدت باب المدينة وهي تندب وتنوح فالتقت باخيها في تلك الساعة وهو راجع الى البلد فاخذت تلومه وتشتمه على قتله حبيبها فغضب من اعمالها وقال لها باعاهرة اما كان يجب عليك ان تندبي اخويك المقتولين عوضاً عن حبيبك وان تظهرى حاسات الفرح والسرور في انتصار شعبك وخلص الامة ثم انه استل سيفه وضربها به فاماتها فحكمت عليه الشريعة بالموت جزاءً على هذا العمل الفظيع ولكنه حصل على العفو بواسطة الانتصار الذي جرى على يديه ولكن مع ذلك كان عاره بقتله اخته اعظم من الشرف والاعتبار الذي ناله بسبب انتصاره وسميت تلك الحرب حرب الهوراتيوس والكور ياتين نسبة الى اسماء الابطال المار ذكرهم

وبعد موت طلس هستيلوس انتخب الرومانيون انكوس مرتيوس ملكاً عليهم ومن بعده خلفه تركوين الاكبر وكان ابوه ناجراً غنياً ثم جلس بعده علي سرير الملك رجل يقال له مرفيوس فحكم ٤٤ سنة ثم قتله زوج ابنته المارغو تركوين الثاني وجلس مكانه فلما بلغ زوجته ابنة الملك المقتول هذا الخبر وكان اسمها طليا فرحت فرحاً عظيماً بانتصار زوجها على ابيها حباً بالملك والرياسة وركبت من وقتها في مركبتها وقصدت

دار الولاية لتلاقي زوجها الشرير وتهنئه بالملك وبينما كانت سائرة سيفة
احدى الشوارع التقت بجثة ابنها مطروحة هناك فلما رأى سائق المركبة
جثة الملك على تلك الحالة اضطرب وخاف وعول على الرجوع الى الوراء
فمنعته وشمته وامرته ان يتقدم واذا كان الشارع ضيقاً مرت المركبة على
جثة الملك فداستها الخيل وتلطخت عجلاتها بدم الملك ولم تبال طلياً بشيء
من ذلك ولما تمكن تركوين من الولاية سلك على سرير المملكة كما سلك
اسلافه بالجور والظلم وارتكاب الفواحش فلقبه الشعب بتركوين المتكبر
وكان الرومانيون يكرهونه جداً. ويقال ان امرأة دخلت عليه ذات
يوم الى الديوان وفي يدها تسعة مجلدات من الكتب وعرضتها عليه
للبيع وطلبت في ثمنها مبالغاً فاحشاً واذا كانت الكتب المذكورة بجهولة
عنده استعظم ثمنها وامنع عن مشتراها فرجعت المرأة بالكتب الى دارها
واحرقت منها ثلاثة ثم قصدته في اليوم الثاني واعرضت عليه الستة الباقية
بنفس الثمن الاول فامتنع ايضاً فتركته ورجعت اليه في اليوم الثالث
ومعها ثلاثة كتب فقط وعرضتها عليه بالثمن الاول فناثر الملك وتعب
من هذا الامر وصمم على ان يشتري الكتب منها ليرى ما فيها واذا بالمرأة
القتهم بين يديه واخفت في الحال فانذهل الملك وجميع من حضر من
الاكابر والاعيان ففتحوا الكتب واطالعوها فوجدوها رسائل واشارات
تتضمن على حكم ونبوات مؤلفة من بعض النساء فاحترمها الرومانيون غاية
الاحترام واعتبروها كآيات منزلة وحفظوها في خزائنهم وكانوا يتلونهابكل
خشوع واعتبار كما وقعوا في شدة اوضيق معتقدين بانها تنبئهم بما يحدث
عليهم في الازمنة المستقبلية

وكان عاقبة امر تركوين المذكور انه طرد مع عائلته من رومية بعد
ان حكم نحو عشرين سنة وكان السبب في ذلك ابنه سكستوس فانه
كان ذمياً قبيحاً الى الغاية فمقتته الشعب حتى لم يعد يمكنهم ان يحتملوا

قبائحه ومعاصيه فنفوه مع ابيه وكان طردها من رومية سنة ٥٠٩ ق م
 واستلم زمام الحكومة بعد تكوين اثنان من القضاة وتلقب كل واحد
 منهما بلقب فنصل ابي منفذ الاحكام وكان الشعب ينتخبون هولاء
 القناصل في كل سنة واول من تعين لهذه الوظيفة بروتوس وكولانينوس
 فكان بروتوس عادلاً مهيباً محباً للوطن حتى انه حكم بالموت على ابنه
 الاثنين بسبب جنابة ارتكباها ولم يشفق عليهما

الباب الثاني

في ذكر كور يولانوس واستيلاء الغالين على رومية وحروب
 قرطاجنة الثلاث

وكان سكان رومية يومئذ منقسمين الى حزبين الاول من الاشراف
 الثاني من العامة وكان جميع ارباب المجلس العالي واكثر الاكابر والعمد
 من القسم الاول فكان انتخاب القناصل منوطاً بهم ولذلك قويت شوكتهم
 وعظمت سطوتهم وصاروا اصحاب الحل والربط فنشأ عن ذلك فتن
 ومشاجرات بين الطرفين حتى كادت تقع بينهما الحروب ولكنهما اتفقا
 اخيراً بانه في كل سنة ينتخب خمسة اشخاص من وجوه العامة بوظيفة
 قضاة في المحاكم وبهذه الوساطة تحسنت احوال العامة وارتفع شأنهم
 وانحطت سطوة الاشراف بهذا التدبير ثم اشتدت البغضة والعداوة بين
 الفريقين وفي اثناء ذلك نهض رجل من الاشراف يقال له كور يولانوس
 وكان بطلاً صديداً وجباراً عنيداً فشرع في ابطال منصب القضاة
 وبذل في ذلك غاية اجتهاده فقاومته العامة وحرار بوه ولما تمكنوا منه نفوه

من البلاد فذهب الى مدينة اتيوم والتقى بشعب الفولسيين وكانت هذه الامة من اشد الطوائف عداوةً للرومانيين فاخذ يحرضهم وينشطهم على محاربة قومه ووعدهم بالغلبة والانتصار فانقادوا اليه واجابوه الى ذلك وعرضوا عليه فرسانهم وابطالم فالتخب منهم جيشاً عظيماً وقصد به مدينة رومية ولما اقترب منها وبلغ الرومانيين خبره خافوا واضطربوا وارسالوا اليه في الحال بعضاً من اعيان شيوخهم لاستعطاف خاطره فلم يصغ لكتلامهم واستمر في مسيره ثم ارسالوا اليه جماعة من خواص كهنتهم وعند وصولهم اليه وقعوا على قدميه وانحدوا منه ان يتحول عنهم ويغض النظر عن قبائحهم فلم يتمكنوا من تغيير مقاصده ولما اقترب من رومية نزل بعساكره تجاه الاسوار والحصون واخذ يتفكر في إيجاد الطرائق المناسبة لمهاجمة المدينة فيينا هو كذلك اذ اتاه سفارة ثلاثة مؤلفة من اشرف نساء الرومانيين وهن لابسات ثياب الاحزان وكانت في مقدمتهن امه فيتوريا وفرجيليا امراته فاستغاثتا به وتضرعتا اليه ان يكف عن هذا العمل ولا يكون سبباً لخراب وطنه وهلاك قومه فلما شاهد تذلها شفق عليهما والتفت الى امه وقال لها لقد انقذت يا اماه مدينة رومية بتوسلاتك ولكلك سوف تعدمين ولدك هذا عن قريب ثم نهص في الحال وارتد راجعاً بالعساكر الى مدينة اتيوم فصبه مملكة الفولسيين فلما بلغ القوم رجوعه عن رومية حقدوا عليه وصمموا على قتله وعند وصوله الى ابواب المدينة اماتوه

ثم انه مع تقادي الزمان انتظم حال الدولة الرومانية وتعاضل امرها وقويت شوكتها في الداخل والخارج وازداد عدد اهاليها وبقيت في رونقها وزهوتها الى ان دهما جيش الغاليين سكان فرنسا سنة ٣٨٩ ق م تحت قيادة الجنرال برنوس وحاصروا رومية ليفتحوها فدافعت عن نفسها مدة طويلة ثم افتتحوها بعد مهاجمات عديدة وعند دخول القائد المذكور الى

المدينة التي بجاعة من الشيوخ جالسين في دار جميلة على كرامتي من
عاج وفي يد كل منهم عصاً من عاج تلوح على وجوههم سمات الهيبة
والشجاعة فاندش القائد وباقي العسكر من هذا المنظر ولا سيما من
ثباتهم وعدم فرارهم فتقدم احد الجند وقبض على لحية احدهم وكان يقال
له باير يوس فاستشاط الرجل غضباً من صنيعه هذا وضرب الجندى
بعضاه فعند ذلك هجمت العساكر على باير يوس وجماعته وقتلوه جميعاً
ومن هناك انتشروا في المدينة واحرقوا اكثرها . وكانت رومية يومئذ
مدينة عظيمة فيها ابنية فاخرة وقصور شاهقة اعظمها وامنها قصر الكايتول
وهو اشبه بقلعة حصينة فلما افتتح الغاليون المدينة ودخلوها تجمع في هذا
القصر المذكور اكابر شجعان الرومانيين وحاصروا فيه فهجم عليهم مواكب
الاعداء كالجراد واحاطوا بذلك القصر فلم يتمكنوا منه واستمر الحال على مثل
ذلك مدة وفي بعض الليالي بينما كان عسكر الغاليين قد اقترب من ابواب
الحصن والحراس نيام استفاق رف من الاوز في احد الهياكل القرية
من ذلك المكان فايقظ بصياحه الحراس فصدوا القوم عن التقدم واحترم
الرومانيون هذا النوع من الطير وحرّموا على انفسهم اكله من ذلك اليوم .
ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى قام كاملوس احد ابطال الرومانيين
وانتصر على الغاليين وقتك بهم حتى قيل انه لم يرجع احد منهم الى بلاده
وكان الرومانيون يصرفون اكثر اوقاتهم في محاربة الدول والممالك
الاجنبية فبرعوا في فن الحرب وكانوا كثيراً ما يظفرون في حروبهم
ومغازيهم حتى انهم اخضعوا اخيراً جميع ولايات وممالك ايطاليا واستولوا
عليها

وكانت قرطاجنة العدو لرومية وهي مدينة حصينة مبنية على شطوط
افريقية الشمالية على مسافة اربعة ايام ميل الى جنوبي رومية فاتصلت بينهما
العداوة الى النزاع والقتال وجرى بين الفريقين ثلاث حروب عظيمة

تعرف بالحروب البونيكية فقد فيها جيشٌ كثيرٌ من الطرفين وقد استوفيناها في تاريخ قرطاجنة فلا حاجة لتكرارها هنا وكان الرومانيون في حربهم الاخيرة مع اهل قرطاجنة قد فازوا بالنجاح والغلبة بواسطة قائدهم الشجاع المشهور المدعو سيبو فانه فتك بجيش الاعداء فتكا عظيماً ودخل مدينة قرطاجنة سنة ١٤٦ ق م واحرقها بالنار ورجع الى رومية بالغنائم والاموال. وعند وصوله اليها البسوه اكاليل الغلبة والانتصار التي هي من اعظم جوائزهم وساروا به الى الكايتول بموكب عظيم حسب العوائد الجارية عندهم

وكانت العادة بين الرومانيين عند وصول القائد المنتصر الى رومية انه يقف قليلاً في ميدان كيبوس مرتبوس وهي ساحة خارج المدينة وهناك يلبسونه ثوباً ارجوانياً منسوجاً بالذهب ويضعون على راسه نسرًا من ذهب ثم يدخلونه الى المركبة المعدة له لحفاة واصحابه واقاربه وهم في الملابس البيضاء ووراءهم القناصل وارباب المجلس في ملابسهم الرسمية وكان الجيش المنصور يمشي من ورائهم لابسا خوداً مكلفة بغصون الدفل وحاملوا البيارق رافعون في ايديهم نسرًا من الفضة مطلية بالذهب عوضاً عن البيارق ثم ياتون بالثيرات التي يرسم الذبح فيطلون قرونها بالذهب ويضعون على رؤوسهم اكاليل مختلفة الاشكال وبعد ذلك ياتون بالغنيمات الماخوذة من العدو مع تاج او اسلحة الملك او القائد المغلوب ويسيرون بها امامهم كما حصل عند دخول تيطس بالظفر الى رومية بعد غلبته على اورشليم فانه حملت امامه المنارة الذهبية وتابوت العهد وبقي الغنيمات التي اخذها من الهيكل. وفي اثناء الحروب التي اقيمت على انطيوخوس ومتريداتس وغيرها من الملوك الشرقيين كانوا يقودون في الموكب جمالاً وافيالاً وحموراً واسوداً وغيرها من الوحوش الضارية واحياناً كانوا ياتون بها الى المراعي حيث كانوا يتمون احتفالات الفرح بانواع شتى من

الملاعب . ثم بعد الغنائم المذكورة كانت تمشي فرقة من الاسرى وبينهم
الملوك والرجال المأسورون والنساء والاولاد جميعهم مقيدون بالسلاسل
الثقيلة فكانوا احياناً يزدرون بهم ويقتلونهم بلا رحمة وحياناً يقونهم
بأبي ايام حياتهم في حالة العبودية ويسلمونهم لبعض الرومانيين الفاقدين
اصحابهم في الحرب لينتقموا منهم ويعذبونهم ثم من بعد هذه الفرقة كانت
تدق آلات موسيقية بنغمات مرتفعة لتزيل تنهدات وصراخ اولئك
المنكودي الحظ وامامهم جماعة من الزاقصين واصحاب المساخر ينطنطون
ويهرولون وهكذا كانوا يتقدمون بالقائد المنتصر مارين في جميع اسواق
رومية الى ان يصلوا به الى الكايتول

الباب الثالث

في اخبار سلاً وماريوس الى قتل يوليوس قيصر سنة ٤٤ ق م

وما زال الرومانيون يفتحون البلاد والممالك الى ان اصحبت اسبانيا
باسرها ولاية رومانية ثم اثاروا حرباً على مملكة نوميديا في افريقية المعروفة
الآن بجزائر الغرب فافتحوها واستأمرؤا ملكها جوكرتا واتوا به الى رومية
فاماتوه في السجن جوعاً وعطشاً

ثم في سنة ٩١ ق م حاربوا ولايات ايطاليا المجاورة لم فاخضعوها .
ثم افاموا حرباً على متريداتس ملك بنطس في اسيا الصغرى ولم ينتصروا
عليه انتصاراً تاماً الا بعد مرور اربعين سنة وفي اثناء تلك الحرب قام
في رومية قائدان من اهل الشهرة وهما ماريوس وسلاً فكان ماريوس
جندياً شجاعاً ومع شجاعته وبراعته فصيحاً وذا تربية حسنة فحزب لكل

من هذين القائدين قومٌ من الاهالي وكانت قد وقعت بينهما الغيرة
 والبغضة حتى الجأها الحال الى القتال فحدث من ذلك حربٌ أهلية .
 ومن غريب الاتفاق الذي حدث في اثناء هذه الحروب ان رجلاً من
 عسكر سلاً المذكور كان قد قتل جندياً من جنود ماريوس وعندما
 نزع عن راسه الخوذة وجده انه اخوه فحزن من هذه الصدفة حزناً شديداً
 ومن فرط غمه على فقد اخيه قتل نفسه بيده اسفاً وحسرةً . واستمر
 القتال بين الفريقين مدة طويلة وحدث بينهما عدة وقائع فكانت الدائرة
 اولاً على ماريوس وجموعه ولكنه انتصر فيما بعد على خصمه وهزمه
 واستولى على رومية ثم اخذ ينتقم من اخصامه ومقاوميه فحدثت مذبحه
 عظيمة بين الاهالي قتل فيها عددٌ كثيرٌ من ارباب الوظائف والمجالس
 واشرف الناس جهاراً في الاسواق . واما ماريوس فلم يتخلص من العقاب
 الذي استحقه بارتكابه هذا العمل لان ضميره كان يوبخه ليلاً ونهاراً
 توبيخاً شديداً ولاجل التخلص من ذلك انصب على شرب المسكرات فكان
 يتناول منها كمية وافرة ليسلي نفسه ولم يكن الاً مدة قصيرة حتى اصيب
 بحمى شديدة انتهت بها حياته . ولما بلغ موته قصد رومية بميش
 عظيم فامتلكها ودعا نفسه الحاكم المطلق وقد سلك مسلك سالفه في قتل
 من كان متجرباً عليه من الاهالي فحكم مدة قصيرة ثم خلع نفسه عن
 معاطاة الاحكام ففرح الجميع بذلك لانه كان مبغضاً ومكروهاً من اكثر
 الناس وبعد تنازله ببرهة وجيزة مات

فلو احب الرومانيون الحرية كالايام السابقة لما خضعوا لظلم وجود
 سلاً وماريوس ولكنهم التهوا وتولعوا باللذات الناشئة عن الغنى الذي
 حصلوا عليه بواسطة فتوحاتهم وانتصاراتهم على ممالك الارض فالتهوا
 بالعرض عن الجوهر وصرقوا النظر عن صوالهم الحقيقية فكانوا يخضعون
 لروسائهم وكبرائهم الذين قادوهم في تلك الانتصارات العظيمة ويقدمون

لم احتراماً زائداً فوق الوصف

وبعد موت سلا وماريوس ظهر سيف رومية قائدان عظيمان احدهما يدعى بومبي والاخر يوليوس وكان بومبي اكبر سنًا واشهر لانه كان قد افتتح خمس عشرة مملكة واخذ ثمان مئة مدينة وتغلب على مثيرداتس اما يوليوس فلم يكن اقل همة وفروسية منه فانه هو ايضا اثار حروباً كثيرة على فرنسا وجرمانيا وبريتانيا ويقال انه انتصر في حروبه على ثلاثة ملايين من الناس وقتل نحو مليون منهم. ولما قويت شوكة هذين الاميرين وشاع بين الناس فخرهما وبطشهما كسالتيهما سلا وماريوس ضاقت عليهما البلاد بحيث ان كل الممالك الرومانية لم تعد تسعها فداخلهما الحسد والطمع وظهرت بينهما العداوة وكان قد انقسم شعب رومية الى حزبين بحسب اغراض هذين القائدين فانفرد كل منهما بحزبه واقتتلا في فرساليا من اعمال تساليا وكان قسم كبير من جيش بومبي مؤلفاً من اشراف الرومانيين الاحداث فلم يستطيعوا الوقوف امام فرسان يوليوس فولوا منهزمين خوفاً من العدم والتلف وتمكن يوليوس من الانتصار على عدوه انتصاراً عظيماً وهرب بومبي الى ارض مصر فقتل هناك واقبر رأسه الى يوليوس فحزن على موته وناح عليه ولكنه لم يرد ان يراه. ولما بلغ ارباب المجلس الروماني انتصار يوليوس قدموا اصواتاً احتفالية لآلهم ومخوه السلطنة المطلقة. ما دام حياً ولقبوه بقيصر وحكموا على شخصه بانقداسة فصنعوا له تماثلاً واقاموه بين تماثيل الآلهة والابطال في الكابيتول بالقرب من تماثيل المشتري وكتبوا عليه هذا تماثل قيصر نصف الاله فانظر الى غباوة الرومانيين وجهلهم في ذلك الزمان والى الدرجة التي توصلوا اليها من الاستعداد والتوحش. ولما رأى قيصر علورتبته ورفعة مكانه ومنزلته في اعين الشعب لم يبق عليه مما كان يرغبه ويشتهي الا شيئا واحداً وهو ان يسمي نفسه ملكاً فوجه افكاره وقواه لاستمالة

رضا الشعب والعساكر واخذ بنفق مبالغ وافرة على الولايم والضيانات
وانواع الافراح والمسرات التي كان يدعو اليها جمهور الناس لتليقهم
واستجلاب خواطرهم لنحوه فمن ذلك وليمة عظيمة دُعي اليها الجيش الروماني
جميعه فكان ممدوداً في اسواق رومية اثنان وعشرون الف مائدة مملوة
بالاطعمة اللذيذة والمشروبات الفاخرة ولم يمنع احدٌ من الجلوس والمناولة
سواء كان صعلوكاً ام حقيراً. واذ كان الرومانيون قد فقدوا تلك الحاسنات
الشريفة التي كانت عند اسلافهم ارتضوا ان يكونوا تحت نير عبودية
قيصر بشرط ان يحصلوا على الاطعمة اللذيذة والمناظر المبهجة فسلموا له
بما اراد. ولا ينكر بان قيصر كان رجلاً جليلاً مهيئاً بتصفاً بالصفات
الحميدة والحذاقة ولذلك نسي الشعب بانه كان قد خدعهم بهذه التليقات
واعدهم حرية بلادهم فكانوا يسرون في مشاهدته في المواسم والولائم
العمومية جالساً على عرش من ذهب وعلى راسه اكليل رصع بالجواهر
الثمينة

ولكن مع كل ذلك لم يخل الامر من وجود بعض الاشخاص من
الرومانيين الذين استمروا متمسكين بحجة الحرية بحجة مجردة فكان بعضهم
يبغض قيصر لظلمه وبعضهم حسداً وغيره من تقدمه فانفقوا على قتله
واسرعوا في استعمال الوسائط على هلاكه واعدامه وكان رئيساً هذه
الفتنة رجلين احدهما يدعى بروتوس والثاني كاسيوس اما بروتوس فكان
محباً لقيصر ومحبوباً منه ولكنه رأى ان واجباته لنحو تحرير وطنه تلزمه
ان يتظاهر بقتل صديقه قيصر واما كاسيوس فع ان كان موافقاً بروتوس
من جهة تحرير البلاد من نير العبودية كان له اسباب اخرى تحركه للقيام
وشي انه كان يبغض قيصر ويتمنى هلاكه حسداً على عظمته. واشترك
معهما في هذا العمل ستون رجلاً قد صمموا على اجراء مقاصدهم جهاراً
في دار المجلس العالمي خلافاً للاكثرين الذين كانوا قد اتفقوا على قتله

مرة عند انصراف الليل . وكانت العلامة بينهم انه عند قدوم قيصر الى
 دار الولاية يعطيه احدهم رقعةً كأنه طالب حاجة فيحنثذُر يجمعون عليه
 ويقتلونه . ولما كان الصباح الذي عينوه لقتله خرج قيصر من قصره
 حسب عادته محاطاً بجمهور غفير من اصدقائه المحتملين وعند نزوله
 الدرج خارج باب القصر تقدم اليه رجلٌ من المنجمين اسمه اريتميدوروس
 وناوله رقعةً تتضمن خبر تلك الفتنة فتناولها منه وقد ظن انها عريضة
 فسلمها لاحد كتبتة ولم يقرأها ولو قرأها لأمكنه ان يتخلص من الموت
 ثم مر قيصر بيوكبه الخاص في اسواق رومية والناس يقفون من حوانيتهم
 على الجانبين اجلالاً له ويهتفون في مديحه ويدعون له بطول العمر
 فخارته الكبرياء واستعظم بنفسه شاعراً بأنه قد صار من اعظم العالم
 واستمر في مسيره الى ان وصل الى دار المجلس العالي حيث كان مصفوقاً
 تمثيل كثيرة من مشاهير رجال الرومانيين ومن جملتهم تمثال القائد
 بومبي الذي اتى براسه الى قيصر من مصر وعند ما اقترب من هذا
 التمثال تقدم اليه احد المشتركين في هذا الفساد يقال له متاوس سمير
 فقدم له اعراضاً وجثا امامه اخذاً بطرف ردائه كأنه يستغيث به في
 قضاء حاجة له فوقف الملك ليرى ما في تلك الورقة ولم يعلم انها حيلة
 وعلامة اتفقوا عليها لاتمام مقاصدهم الا انه لم ينته منها حتى وافاه رجل
 امرع من البرق وطعنه بخنجر في كتفه فالتفت قيصر اليه واخطف
 الخنجر من يده وشتمه فعند ذلك هجم عليه الباقون فدافع عن نفسه
 بجسارة ونشاط لامزيد عليهما ثم ظهر بروتوس من بين الجمهور وطعنه
 بخنجره وقد ذكرنا ما كان بينه وبين قيصر من الصداقة والمودة فلما رآه
 قد رفع يده عليه توقف عن المدافعة ونظر اليه بعين التوبيخ قائلاً وانت
 ايضاً يا بروتوس ثم ستر وجهه بطرف ثوبه وسقط على الارض ميتاً امام
 تمثال بومبي فعمس اولئك العصاة اسلحتهم في دمه المسفوك وخاطب

بروتوس شيشرون احد ارباب المجلس الذي كان خطيباً شهيراً ومحجّباً
للوطن فانّالاً له تمهال وافرح يا ابا وطننا لان رومية قد تحرّرت الآن .
وكان وقوع هذه الحادثة سنة ٤٤ ق م

الباب الرابع

في حكم اوغسطس قيصر وامتداد السلطنة في ايامه مع ذكر
الوسائط التي سببت لها هذه الشهرة والقوة

وبعد موت يوليوس قيصر حدث خلل عظيم في احكام رومية فنهض
اصدقاؤه واعوانه لاختناره والانتقام من المذنبين فاضطر بروتوس
وكاسيوس وغيرها من المشتركين في التنتة المار ذكرها ان يهربوا من
المدينة وكان ليوليوس قيصر المقتول ابن اخت اسمه اوكتافيوس كان
صغيراً لما مات ابوه فتبناه خاله قيصر واعنى بتربيته وارسله الى بلاد
اليونان للتعلم والتهديب فلما قتل خاله المذكور في رومية كما تقدم كان
عمره ثماني عشرة سنة وعند ما بلغه هذا الخبر حضر الى رومية ليستولي
على ميراث خاله فاعطاه مرقس انطونيوس احد رؤساء الجمهورية جزءاً
عظيماً من الميراث وتزوج باخته اوكتاوة ثم اشركه معه في رئاسة
الجمهورية الرومانية واشركا اميراً ثالثاً معها يقال له لبيدوس وكانوا مثل
يوليوس قيصر يكرهون الحكومة الجمهورية ويميلون الى المذهب الملكي
فانتقوا على تشيت شمل اعدائهم وشرعوا في توطيد سلطنتهم واخذوا
يقتلون كل من كان مقاوماً لهم فكتبوا رقعة تتضمن ٣٠٠ اسم من اعضاء
المجلس العالي والقبن من اعيان الناس وسلوها لبعض من يعتمدون

عليهم وغرهم بالجوائز على قتلهم وكانوا يظهرون مزيد الفرح والسرور
عندما يأتينهم احد براس من كان اسمه مكتوباً سيفي تلك القائمة فكان
اكثرهم يقتلون اباؤهم واعمامهم ومن يعز عليهم طمعاً ورغبة في المال . اما
بروتوس وكاسيوس فكانا قد قصدوا بلاد اليونان والتجأوا الى ملكها واستعانوا
به على حرب رومية فامدهما بمئة الف مقاتل من شجعان قومه فاثنتيا
راجعين على الفور الى رومية بهذا الجيش العرمرم لتخليص المملكة من ايدي
المغتصبين . وكان قد بلغ خبرهما مرقس انطونيوس واوكتافيوس فخرجا
لتتاهلها بالجيوش الرومانية فالتقيا بهما في اطراف فيليبي ولما وقعت العين
على العين اشتبك القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على بروتوس
وكاسيوس وانهمزمت جموعهما وتبددت فالتزما ان يقتلانا نفسيهما خوفاً من
الاسر والانقام وبموتهما رافت احوال المملكة للشركاء الثلاثة ثم اتفق
اوكتافيوس وانطونيوس على طرد شريكهما الثالث فطرداه من شركتهما
وصفا لهما الوقت وراق ثم وقع بينهما الاختلاف والنزاع بسبب تزوج
انطونيوس بكليوباترا ملكة مصر واستنزائه باخت اوكتافيوس التي كان
متزوجاً بها فخاربا بعضهما بعضاً وانتهى الامر بانتصار اوكتافيوس على
انطونيوس في بلاد مصر فقتل انطونيوس نفسه بيده هناك فاصبح
اوكتافيوس بدون مقاوم ولا منازع واستقل بنفسه على احكام رومية
واخذ لنفسه لقب امبراطور واشتهر باسم قيصر واسمى ايضاً اوغسطس
ومعناه الموقر وهي القاب ثلاثة مترادفة على معنى واحد تطلق عند الرومانيين
على كل ملك من ملوكهم وكان المجلس العالي ايضاً اعطاه لقب باتر
باتريا اي ابي وطنه وغير ذلك من الالقاب على سبيل التخميم والتعظيم
ومن ذلك الوقت تحولت الجمهورية الرومانية الى دولة ملكية . وكان
اوغسطس من افراد الملوك عادلاً حليماً يميل الى المعارف والآداب فرتب
القوانين العادلة لراحة الاهالي وافتتح ممالك واقاليم كثيرة بشجاعة قواده

وامراته لاسيما قائده المسيحي اغريبا فانه كان من افراد الابطال ثم استولى على مصر وغيرها وكان مع سطوته وابهته وديعاً ايساً ومع انه لم يكن يومئذ في رومية الا قليلاً من اهل الصلاح ومجبي السلام تصرف هذا الملك باستعمال سطوته على طريقة اصلاح مما استعملها كثيرون غيره لانه في كل مدة حكمه كانت رومية في غاية الهدوء والسلام وفي ايامه عاش فيرجيل وهوراس واوفيد وغيرهم من مشاهير الشعراء وحازوا على انعامه وشملهم بانظاره ولذلك مدحوه في اشعارهم واطنبوا في وصفه وعاش اوغسطس قيصر المذكور عمراً طويلاً ثم مات سنة ١٤ بعد الميلاد وله من العمر ست وسبعون سنة بعد ان حكم احدى واربعين سنة حكومة ملكية فضلاً عن مدة الرياسة الجمهورية وكان العامل على اليهود بالقدس من قبله هيروودس وفي مدة حكمه صار الاكتاب العمومي المذكور في الانجيل الذي بسببه ذهب يوسف ومريم الى بيت لحم حيث وُلد المسيح

كانت السلطنة الرومانية في ايام اوغسطس في اعظم واطل درجة من زهوتها وغناها وكانت متسلطة على جميع شعوب اوربا ما عدا بعض القبائل في الجهات الشمالية الذين استمروا محافظين على استقلاليتهم. اما الممالك التي كانت تحت تصرف احكام الرومانيين في اوربا فهي اكثرها وفرنسا واسبانيا والمانيا وجميع ولايات ايطاليا واليونان وتركيا في اوربا وغيرها وكانوا ايضاً يحكمون على اكثر البلدان الواقعة بين اسيا الصغرى غرباً والهند شرقاً مع كل اسيا الصغرى وسوريا وفلسطين وغيرها وقد امتدت قوتهم وقويت شوكتهم بهذا المقدار حتى انهم اخضعوا اكثر ممالك افريقية كمصر ومراكش والحبشة وغيرها وكان لهم في كل ولاية ومملكة من هذه الممالك المذكورة ولاية وحكام وعساكر رومانية تسومها وتحفظها وبالْحَقِيقَةُ ان هذا الامر من اعجب العجب لانه لم يتيسر لتغير

من دول الارض ما تسر لهم من الفتوحات والانتصارات وليس ذلك الا بواسطة ادارة حكامهم وعلوهم امتهم . وفي ذلك العصر تحسنت صنائع البناء والنقش والتصوير وتوصلت الى درجة سامية من الكمال وامتدت في جميع اطراف السلطنة . وكانت المدن والبلدان مزينة بالهياكل المبهجة والقصور المرمرية المزخرفة المملوءة من التماثيل الجميلة والصور الثمينة فاقاموا في جميع البلدان التي افتتحها الرومانيون ابنية عامة كثيرة النفع كحسين الطرق وقيام الجسور المثينة وبناء الافنية لجلب الماء الى المدن والى يومنا هذا كثير من بقايا تلك المشروعات والعمليات العظيمة في اغلب البلدان التي وقعت تحت ايدي ذلك الشعب العظيم مع انها اقيمت منذ التي سنة ثانيا . واما مدينة رومية فكانت من اعظم مدن العالم وانهجها وكانت دارتها في زمن اوجسطس ٥٠ ميلاً وعدد سكانها اربعة ملايين وكانت محاطة باسوار عالية متينة البناء نظير باقي المدن القديمة لان الضرورة يومئذ الزمتهم الى ذلك لاجل وقاية المدن وصيانتها من هجمات العدو . وكان لها ثلاثون باباً وكانت من عجائب الزمان منظراً وبهجة حتى يكاد الواصف يهجز عن وصف زخارفها وحسن رونقها وزينتها لان القواد الذين افتتحوا الممالك الاجنبية بانتصاراتهم كانوا ياتون بجميع الامتعة والتحف النفيسة العجيبة التي يحوزون عليها في مغازيهم ويضعونها في قصور هذه المدينة وهياكلها زينة لها فكان فيها تماثيل جاءها بها من بلاد اليونان واعمدت من مصر وامتعة مجنسة عجيبية وغريبة من اسيا وغير ذلك من الفضة والذهب والحجارة الكريمة التي كانوا يجمعونها من اقطار المسكونة . وكان فيها قصور جميلة وهياكل مستظرفة اكثرها من المرمر المنقوش نقشاً جميلاً ومرايح ومحلات مدهشة للمشاهد والملاهي العمومية وغير ذلك من الابنية الفاخرة التي تدهش الابصار وتحير بحسنها الافكار وبالاجمال كانت مشحونة بغنائم وظرائف الدنيا باسرها . اما الوسائل التي استعملها

الرومانيون للحصول على هذه الشهرة والافتخار فهي الفتوحات والممالك التي
استولوا عليها والغنائم الكثيرة التي اكتسبوها بواسطة قساوتهم البربرية في
قتل اعدائهم وسلب اموالهم بدون ادنى رحمة ولا شفقة
ولا ينكر ان الرومانيين نظير اليونانيين والفرس والمصريين وغيرهم
من الامم القديمة كانوا يتصورون تصورات من جهة الفضيلة فكانوا يعملون
احياناً اعمالاً حسنة نستحق المدح ولكنهم كانوا نظير الشعوب المذكورين
فاقدي الاداب الحقيقية التي تستدعي معاملة الناس على نفس الاسلوب
الذي يريد ان يعاملونا به . وكانت رومية ايضاً نظير غيرها من الامم
القديمة فاقدة تلك الديانة الحقيقية التي تعلم الناس ان كل قوة غير مبنية
على مبادي العدالة والاستقامة لا بد من سقوطها وانقراضها فلذلك كانت
فاقدة المجد الحقيقي لانها لم تحصل على تلك العظمة والشهرة الا بواسطة
سفك الدماء والنهب ولكن مع كل ذلك استمرت زمناً طويلاً في
عظمتها وبهجتها بعد اوغسطس قيصر وزادت تنعمات اغنيائها واشرافها
وتوصلت في المعارف والفنون الى درجة سامية

الباب الخامس

في تعدد امبراطرة الرومانيين وبعض اخبارهم
وبعد موت اوغسطس خلفه طيباريوس سنة ١٤ ليلاد وكان
رجلاً جافياً فاتكاً شرس الطبع قبيح المنظر اقرع الراس مولعاً بشرب
المسكرات وكان فيه تيه وتعاضم ولذلك كان يفتخر على من تقدمه من
الملوك السالفين وكان كثيراً ما يقول في خطبه انه مولى الرعايا وقائد
القواد وملاك الاهالي وسيدهم واستوزر من يلائم طبعه من الوزراء والامراء

فاشاروا عليه بقتل عائلة اوغسطس فقتل اكثرهم وحكم على كثيرين من الناس بالموت بدون جنحة ظاهرة والقي جثثهم في الازقة والاسواق ليشاهدها الناس ومن جملة قبائحه انه امر يوماً بقتل امرأة مسكينة لانها ناحت على قتل ابنها . وكان مع بطشه وفتكه في اضطراب وارتياب عظيم خوفاً على نفسه من القتل فكان ضميره يوسوسه و يقلقه ومع اتصافه بهذه الخصال الذميمة كان خبيراً بالسياسة والتدبير فكانت ايامه صلحاً وسلاماً مع باقي الممالك الاجنبية ولم يحصل في مملكته ادنى اختلال في النظامات . وفي ايامه صلب السيد المسيح في اليهودية التي كانت وقتئذ ولاية رومانية . واليه تنسب مدينة طبرية التي بنواحي القدس بناها هيرودس انطياس بن هيرودس الكبير وكان عاملاً له على اليهودية وسماها باسمه . ومرض هذا الامبراطور مرضاً شديداً واذ كان مشرفاً على الصحة خنقه الحرس بفراشه فمات

ثم خلفه كليغولا وهو ثالث امبراطور من امبراطرة الرومانيين بعد اوغسطس تولى سنة ٣٧ بعد وفاة عمه طيباريوس فاستبشر به الرومانيون لانه كان في اول حكمه على جانب عظيم من الاستقامة والعدالة ثم لما مرض وشفي من مرضه استحوطت استقامته وعدالته الى التعدي والظلم وارتكاب الكبائر وسفك الدماء . وكان يحب اهل الملاهي والسخرية واللعب ويستحضرهم الى ديوانه ويدعوا لذلك ارباب المجلس ويظهر لهم الفرح والانشراح وكان كل من يرفع صوته من الوزراء والاعيان في هذا الاجتماع يأمر بضربه . ومن غريب اعماله انه كان قد اصطنع له اصطبلًا من المرمر لفرس كان يعزها وعمل لها حوضاً من العاج ورضع سروجه بالولوء والجواهر وقيد اسمها في دفتر الكهنة بزعمه انها ستصير ذات يوم حاكمة على الرومانيين . وبالجملة فانه كان من اقيح الناس سيرةً وكان من فرط تساوته وقبائحه انه اذا امر بقتل انسان لا يكتفي بقتله الا بحضور اهله

ليشاهدوا عذابه وموته . وفيه ايامه كانت الحروب غير منقطعة وعلى
الخصوص في بارثيا وبرثانيا . فلما كثر جورهُ وعم الناس شرهُ قتلهُ احد
قواده في قصره واراح الاهالي من ظلمه .

ثم خلفهُ كلوديوس سنة ٤١ وكان على غاية من الخفة والغفلة ومع
ذلك كانت له مشاركة في الادب والمعارف فقد ألف تاريخ رومية
وقرطاجنة وغير ذلك من الكتب التي فقدت وضاعت . وكان قد تزوج بامرأة
تسمى مسالينة فكانت تبغضهُ وتتمنى له الموت طمعاً في زواج شاب من
الامراء كانت تودهُ وتميل اليه فصممت يوماً على قتله لتولي محبوبها زمام
المملكة فلما انكشفت له خيانتها قتلها وتزوج بامرأة ارملة من نسل اوغسطس
اسمها اغريئة وكانت اشر واخبث من الاولى وكان لها ولد من زوجها
الاول يقال له نيرون وكان لكلوديوس المذكور ولد من زوجته اخرى
ايريطانيكوس فكانت تغار منه وتطمع في تولية المملكة لابنها نيرون
ليكون لها نفوذ الكلمة في الحكومة يجاهد فقصدت قتل زوجها كلوديوس
لتنال مرغوبها فسقطه كاساً مسمومة لتيته واذا كان قصدها ان تقيم ابنها
نيرون خليفة لايه عوضاً عن ابن ضرته المتقدم ذكره اخفت عن
الشعب موت كلوديوس واخذت تسميل اليها قلوب الاعيان والوزراء
وقواد الجيوش حتى تمكنت منهم ووافقها الجميع على تولية ابنها نيرون وابعوه
وهو ابن خمس عشرة سنة

وكان جلوس نيرون على مريز الملك سنة ٥٤ للميلاد وكان يظهر
منهُ في اول الامر الانس والوداعة وكال الاستقامة ثم تغيرت اطواره
وساءت احواله ففجع العذار وجار على العباد بالقتل والظلم والعذابات
المختلفة وكان يبغض المسيحيين بغضاً شديداً ويتمنى هلاكهم . وكان قد
بلغه ذات يوم ان كثيراً من اهل رومية اعتنقوا الديانة المسيحية فكره
ذلك منهم وامر بقتلهم ثم قتل بولس الرسول ظلماً وعدواناً وقتل بعده

بطرس الرسول ثم قتل مرقس الانجيلي بالاسكندرية لثنتي عشرة سنة
من ملكه ثم قتل امه وامرانه واخاه ومعلمه الفيلسوف سينيكاس . وكان قد
امر بمحرق جانب عظيم من مدينة رومية بالنار مجردا لكي يراها مشتعلة فعندما
اضطربت بالنار كان على احد السطوح المرتفعة يضرب على العود



صورة بولس الرسول ووجدت في احدى القبور القديمة منقوشة على
قطعة نحاس وهي من القرن الخامس

فاتهم المسيحيين بهذه الجريمة واجرى عليهم فصاصات صارمة . وكان
يصطنع الولايم ويدعو اليها الناس وينفق عليها الاموال الكثيرة ويجول
في الليل متنكرا يزي المالك باطراف المدينة ليتجسس اخبار الناس
وما يقولون فيه . واستمر على هذه الحالة الذميمة الى ان خلعه اكابر الشعب
فانزلوه عن كرسي الملك وحكموا عليه بالموت بضرب العصي فقتل نفسه
يده لينجو من العذاب وقيل ان عسكره هجموا عليه فقطعوه بالسيوف
حتى لم يبق في جسده عضو يعرف والقوه الى الخارج فادلوه الى الكلاب
ولم يدفن وقتلا يوجد نظيره في التدرب بجميع الخصال الرديئة وظهرت
قباحتها اكثر لسبب سمورتيته وشرف مقامه قال الشاعر

العيب في الجاهل المغفور مغمورٌ وعيب ذي الشرف المذكور مذكورٌ
كفوفة الظفر تحفي من صغارتها ومثلها في سواد العين مشهورٌ
وقام بعده غلبا واوثون في سنتي ٦٨ و٦٩ اما الاول فقتله جده واما
الثاني فقتل نفسه بيده

ثم قام بعدها فيتيلوس سنة ٦٩ وكان بطلاً هاماً وشجاعاً مقداماً
عديم الشفقة قاسي القلب يجب القتال ومباشرة الحرب ولا يهيمه صالح
الشعب فمقتله الناس وكرهوه واضمروا له الشر وفي اثناء ذلك قام عليه
احد قواد جيشه فخاربه واسره ثم اوثقه بجبل وامر العساكر ان تقوده
على هذه الحالة الى موضع معلوم في المدينة ليقتلوه فقادوه الى ذلك
المكان واماتوه هناك موتاً قبيحاً ثم قطعوا راسه ووضعوه على راس حربة
والقوا جثته في نهر تيبير وكان ذلك آخر العهد به

ثم خلفه فسباسيانوس سنة ٦٩ وكان متصفاً بالسياسة وحسن
التدبير وكان وقتئذ يحارب اليهود في اليهودية لعصيانهم على الدولة
الرومانية فلما بلغه موت سائقه جعلت عساكره تنادي باسمه قيصراً
فترك فلسطين وسار الى رومية وقام ابنه تيطس مكانه ودخل المدينة
بدون ادنى مقاومة فخضع له جميع الاهالي وبايعوه بالملك فحكم عشر
سنين اغلبها في الراحة والسلم وهو اول امبراطور روماني مات خنقاً انه
ثم خلفه ابنه تيطس سنة ٧٩ وكان قبل جلوسه على سرير السلطنة
لا يبعد منه الا القساوة والجبروت لاسيما ما ظهر منه من كثرة القتل
والنهب عند محاصرته القدس واستيلائه عليها فلما حكم سلك سبيل العدل
والانصاف وحمدت خصاله فاحبه الناس ولقبوه مسرة البشر ومن جملة
مناقبه انه مضى عليه يوم لم يفعل فيه شيئاً من الخير لرعاياه فبينما هو
يراجع نفسه بذلك في المساء هتف صارخاً آه يا صحابي ضيعت يوماً
وفي ايامه هاج بركان جبل يزوف بقرب نابولي وخرب ثلاث مدن

واحترق جانب عظيم من مدينة رومية ثم عقبه وباء مخيف مات به
كثيرون من الاهالي وقد منهم في يوم واحد عشرة الاف نفس فكان
تيطس ينفق على المصابين من خزائنه بكل سخاء ثم مرض تيطس بعد ذلك
بالحمى فدخل الحمام فمات به فجأة بعد ان حكم سنتين وشهرين

ثم خلفه اخوه دوميتيانوس سنة ٨١ وكان قبل نقله منصب
القيصرية متصفاً بكمال الاخلاق والسيرة الحسنة ولكن بعد جلوسه على
كرسي السلطنة تبدلت محاسنه بالقبائح والرزائل فاشبه نيرون في
ارتكاب الفواحش وقتل النفوس بدون جنابة وكان اذا لم يجد من يقتله
سأل نفسه بقتل الذباب حتى لا يخلو دقيقة واحدة من الاذية والضرب
قيل ان احد خدامه سئل يوماً هل عند الملك احد اجاب ولا ذبابة .
وكان مع هذه الاوصاف الذميمة متعظماً متكبراً حتى انه لقب نفسه الها
وسيداً . وكان يكره اليهود ويغضهم بغضاً شديداً فقتل اكثرهم ثم اضطهد
السيحيين وامر بقتلهم كما فعل نيرون وجبس يوحنا الانجيلي . ومن غريب
اعماله انه كان قد استدعى ارباب المجلس يوماً الى وليمة اعداها لهم وعند
حضورهم دخل بهم الى مخدع مظلم كان قد وضع فيه عدة توابيت مكتوب
على كل منها اسم واحد منهم وبعد ان تهددهم بالقتل امر باطلاقهم
ويقال انه دعاهم اليه يوماً آخر وطلب منهم ان يتذاكروا بعضهم مع بعض
عن الذلاطمة وفضلها وان يعطوا قرارهم عن احسن الاوافي المناسبة
لطبخ جنس من اجناس السمك . وكانت اكثر اعماله على هذا النمط فلما
زاد شره مقته الشعب وحقدوا عليه فاغروا على قتله اميراً يدعى اسطفانوس
فخضر اليه بوسيلة كتاب حضر به اليه ثم ناوله الكتاب فيبينه كان مشغولاً
بقراءته وثب عليه وقتله

ثم خلفه نرقا سنة ٩٦ وهو في سن السبعين وكان جواداً انيساً ذا
معرفة وسياسة ولكنه اذ كان مستأصب عليه ان يقوم بانتقال السلطنة

وحده فاستدعى اليه تراجان حاكم دار جرمانيا فتنبأه واشركه في الملك
 معه وعينه خليفة له . وكان قد امر برد من كان منفيًا من المسيحيين
 واباح لهم التمسك بدينهم ورجع يوحنا الانجيلي الى افسس
 ثم خلفه تراجان المذكور وكان على جانب عظيم من الحكمة والفتنة
 وشدة البأس فخفف المكوس واهتم بجلب كل ما يقتضي لراحة الشعب
 فانشأ القناطر واصلح الطرق وجدد المواني البحرية لتكثير التجارات
 والمعاملات وبنى في رومية ملعباً لسباق الخيل وجدد مكتبة عظيمة واقام
 العمود الرخامي الابيض السمي التراجيان ورسم عليه الحروب التي وقعت
 بين الرومانيين وباقي الدول الاجنبية وجميع انتصارات القيصرية في ذلك
 الزمان . وكان قد عبر نهري الفرات والدجلة بعساكره واخضع ما بين
 النهرين وبلاد العرب وغيرها من الممالك الشرقية وصيرها ولايات رومانية
 فاشتهر ذكره في سائر الاقطار حتى ان ملوك الهند بعثوا اليه سفراء
 ليهنئوه على انتصاره . وكان مضطهداً للمسيحيين ومن فرط بغضه لهم امر
 بقتل سمعان بن اكلاو باسقف اورشليم وعند زيارته انطاكية سنة ١٠٧
 امر بطرح اغناطيوس اسقف تلك المدينة الى جب الاسود فمات شهيداً
 ثم جلس بعده على سرير الملك ابن عمه ادر يانوس سنة ١٧ او كان
 سريع الغضب كثير القلب لا يثبت على رأي فكان تارة حليماً واخرى
 قاسياً جافياً وكان مبعضاً للمسيحيين واليهود فقتل منهم خلقاً كثيراً وهو
 الذي رمم مدينة القدس وبنائها وبعد ان كانت قد هدمت في حصار
 تيطس فرجع اليها اليهود وزادوا في تحسينها وتحصينها وكان قد بلغه انهم
 يريدون ان يخرجوا عن طاعته فارسل اليهم العساكر وقتل اكثرهم
 وخرب المدينة حتى صارت قاعاً صاففاً وكان هذا الخراب لثلاث وخمسين
 سنة من خراب تيطس
 ثم تولى بعد هذا القيصر تيطس انطونيوس سنة ١٣٨ وكان حليماً

عادلاً محباً للسلام مطبوعاً على مكارم الاخلاق وفي ايامه حصلت المسيحيون على تمام الراحة لانه كان قد رفع عنهم تلك الاضطهادات السابقة واعطاهم حريتهم وكانت مدة حكمه ٢٣ سنة

ثم خلفه مرقس اور بيلوس انطونينوس سنة ١٦١ وكان متمسكاً بمذهب زينون الحكيم احد الفلاسفة المتقشفين وكان منعكفاً على المطالعات والدروس واكتساب العلوم والفنون ولكن اذ كانت حالة المملكة يومئذ في فناء واضطراب لم يعد يمكنه ان يلتفت اليها بل التزم ان ينهض الى محاربة الولايات التي كانت قد عصت عليه في الجهات الشمالية ويخضعها . وفي ايامه فاض نهر رومية فازعج الاقاليم المجاورة واضر بالاهاالي ثم عقب ذلك زلزلة عظيمة ازعجت المسكونة وحدث وبلاء عظيم هلك به خلق كثير ثم خلفه ابنه كومدوس سنة ١٨٠ وكان قد شارك اياه في حرب البرابرة ولكنه بعد موت ابيه عقد معهم صلحاً وخالف في ذلك وصية والده ليغتتم فرصة التمتع في ملاهي رومية ولذاتها وعند موته قام مكانه بولاية الامر برتيناكس والي المدينة سنة ١٩٣ فضح الجند من جرى ذلك لانهم لم يكونوا يريدونه قيصرًا عليهم فتصدده نحو ثلاث مئة نفر منهم الى داره وهجموا عليه وقتلوه . فلما خلا سرير السلطنة من ملك او ولي عهد استصوب الشعب ان يضعوا المنصب الملكي في المزداد فينالهُ من يدفع فيه مالا أكثر من غيره فاجتمع الاكابر والاعيان وارباب الوظائف والاركان واخذ بعضهم يتزايد على البعض فاستقر البيع على يوليانوس وكان ذا ثروة عظيمة فبايعوه بالملك وصادقوا على ولايته بدون ارادة عامة الجند المتفرقة يومئذ في بريتانيا وسوريا وباقي الاقاليم الخارجية الذين عند وقوفهم على هذا الخبر خلعوا الطاعة وبايع جنود كل اقليم ملكاً اختاروه من القواد حتى كادت المملكة تنزق الى عدة قياصرة فاختارت العساكر المحافظة على سواحل ايطاليا سفيروس القائد قيصرًا على المملكة

وكان موصوفاً بالشجاعة وحسن التدبير فقصده رومية بسرعة مع جيشه ودخلها بجوكب عظيم وتبوأ تحت المملكة بدون حرب ولا قتال. وكان المجلس العالي قد اصدر حكماً بعزل يوليانيوس المذكور وقتله كمجرم فقبض عليه الجنود وقتلوه بعد ان حكم ٢٦ يوماً فقط وذكر بعضهم ان سبب قتله كان عدم تقديمه العطايا التي كانت قد وعد بها ارباب المجلس عند مبايعتهم اياه تحت المملكة. وفي غضون ذلك حدثت حرب اهلية بين شعوب الرومانيين استمرت نحو اربع سنين

وكان سفيروس يقارب يوليوس قيصر في الشجاعة والبسالة والارادة العسكرية فانتصر على مقاوميه وعاملهم بقساوة لا مزيد عليها وقبض على الذين كانوا قد باعوا كرسي المملكة لسالفه واثار حرباً على الاسكوتيين سنة ٢١١ ومات في مدينة يورك من اعمال انكثرت

ثم تولى بعده ابنه كاراكلاً وكان دموياً شريفاً قتل اخاه وجرح امه في ذراعيها وفنك باكبر الناس وقتل منهم نحو عشرين الف نفس ثم اضطرب واخذ القلق والوسواس من جرى ذلك ولازمه الوهم والخوف حتى انه كان يرى كثيراً احلاماً زعجة فكان يلهي ذاته عنها بالولائم والالاعاب المختلفة وكانت تقوده مغشوشة فكانت دنائره الذهبية من نحاس مغشاة بالذهب ومسكوكاته الفضية من رصاص مغشاة بالفضة وكان يخزن المعاملة الخالصة في خزائنه لوقت الزوم والحاجة. وكان يتزين بزى اسكندر المكدوني في اللبس والعوائد حتى انه اتخذ لنفسه سنة الاف من العساكر المكدونية تقليداً لعساكر اسكندر وعلق ايضاً تمثال اسكندر على الهياكل والماهد وسمى نفسه اسكندر لتكون هذه التائيل رمزاً له ثم شرع واستعد للغزو والفتوحات على منوال اسكندر ولكنه لم ينجح فلما رأى جنده حالته المهانة وانحطاط ناموس دولتهم بوجوده قتله وهو يومئذ ببلاد سوريا بدسية مكرينوس الحاكم الذي خلفه

في السلطنة زماناً يسيراً

ثم قام بعد مكرينوس المذكور بسيانوس هليوكوبالوس سنة ٢١٨ وكان غلاماً بديع الحسن والجمال وقيل لهُ بسيانوس يعني الشمس لحسنه وجماله وكان في أكثر الاوقات يتزني بزوي النساء فيضع في عنقه قلادة من ذهب وفي يده اساور من الذهب وكان ينشر في قصره انواع الزهور والرياحين وينشر تحت رجله الفضة والذهب فاستعجب الناس افعاله فقام عليه الاهالي وقتلوه وكانت مدة حكمه اربع سنوات ثم خلفه ابن عمه اسكندر سفيروس سنة ٢٢٢ وكان ملكاً عادلاً حليماً ايساً وديعاً الى الغاية وكانت امه مسيحية يقال لها مامه فكان يستشيرها في جميع اموره ويعمل برايتها فلهذا ابطل عبادة الاوثان واخرج الاصنام من رومية ودعا الناس الى الديانة المسيحية وكان كثيراً ما يجتمع الاهالي ويعظمهم بالخطابات المفيدة ويدارك بحسن ملاحظته ما يقع من الخلل والنساذ في المملكة وكان ينعم على اهل الفنون والصنائع بالجوائز السنية لترغيبهم وتشيطهم ولم يكن يقبل في ديوانه احداً من ارباب الملاهي والالات من المغنين كباقي اسلافه وامر بدفع اجور المسكر في اوقاتها وكان يزور المرضى من الجند في خيامهم وتصدى سفيروس لحرب العجم فقصد تلك البلاد بجيش عظيم وعند وصوله الى انطاكية عصت عليه فرقة من عسكره وصممت على قتله فقادها الى الطاعة بواسطة شجاعته وثباته ثم تقدم تجاه بلاد العجم وحارب ملكها اردشير وانصر عليه ورجع الى رومية ظافراً منصوراً واستمر ملكاً الى ان قام عليه بعض المساكر وهو يومئذ في حرب القبائل المتبربرة وقتلوه مع امه بدسية مكسيمينوس وكان السبب في ذلك ان سفيروس قبل وقوع هذه الحادثة باثنتين وثلاثين سنة وهو اذ ذاك قائد الجوش الرومانية كان قد نزل بجيشه على مدينة تراس وهي مدينة مكسيمينوس المار

ذكره فامر المصارعين والبهلوانية وجميع ارباب الملاهي والحرف ان
 تلعب امامه ذات يوم وكان مكسيمينوس في ذلك المكان وكان جباراً
 عنيداً شديد القوة شرس الاخلاق طويل القامة فتقدم هذا الى امام
 سفيروس وتمثل بين يديه وطلب منه ان ياذن له بالدخول بين زمرة
 المصارعين ليريه شيئاً من براعته فاذن له بذلك فدخل بينهم وظهر
 من النشاط والقوة الشديدة ما ادهش به العقول فاستحسن سفيروس
 عمله وانشرح من برازه وحسن حركاته فقرر به اليه وادخله نقرأ في
 سلك عسكره ثم اخذ يقدمه ويرقيه في الوظائف والمناصب الى ان صيره
 من اكابر القواد فلما اشتهر امره وانتشر ذكره جحد فضل مولاه واحسانه
 الذي كان سبباً لارتقائه وحدثته نفسه على قتله واعدامه طمعاً بمنصب
 القيصرية فاخذ يستميل اليه القلوب والخواطر ويحرض الجند على قتل
 سفيروس قيصرهم حتى قاموا عليه وقتلوه كما وصفنا وشرحنا وبيعوا هذا
 الغدار المذكور ونادوا باسمه قيصراً . وقد ذكرنا ما كان فيه من القوة
 والبطش وشراسة الاخلاق فاحتقر الناس اشد الاحتقار وعاملهم بالجفاء
 والاستكبار وكان قد زحف لقتال اهل جرمانيا بالجيوش الرومانية فساء ذلك
 في اعين الشعب وتمنوا له الهلاك نظراً لما شاهدوه من قبائحهم وفظائمه
 فرفضوه وعزلوه في غيابه باتفاق المجلس العالي وسماوا مكانه غودريان
 وابنه غودريان الاصغر معاً لداعي لياقتهم واهليتهما لهذا المنصب العالي
 وكان غودريان وقتئذ عاملاً على ايبالة من اقاليم قرطاجنة في افريقية .
 وكان للرومانيين حكمدار في بلاد المغرب يسمى كاليانوس فلم يوافقهم
 على هذا العمل ونهض في الحال لمقاومة الرجلين المذكورين فقتلها بعد
 معركة شديدة . فلما بلغ اعيان المجلس في رومية هذا الخبر اتججوا رجلين
 من افرادهم واقاموها على كرسي المملكة يقال لاحدهما مكسيموس والثاني
 بلبينوس وعندما تمت هذه الاخبار واتصلت الى مسامع مكسيمينوس

القيصر المعزول وهو يومئذ يحارب بلاد جرمانيا استشاط غضباً وغضباً من أعمال المجلس وما اجراه في حقه فارتد راجعاً على الفور قاصداً رومية وفي اثنا عشر مسيره حوّل وجهه نحو ايطاليا لينتقم من اخصامه ومبغضيه . وكان المجلس قد اصدر امراً الى ولاية ونواب تلك الاقاليم التي لا يد من مرور مكسيمينوس عليها برفع الذخائر والمؤونة وباقي اللوازم العسكرية من جميع المدن والقرى التي في تلك الاطراف حتى عند وصوله اليها لا يجد فيها ما يستعين به على قطع الطريق وكان الامر كذلك فانه عند قدوم هذا الملك بالجيوش الجارة الى تلك البلاد وجدها خالية من المأكولات ولوازم العسكر وكان قد نفذ زاده فساءت اموره وتضعفت احواله فهاج العسكر عليه لشدة ما قاسوا من الجوع ومن مشقات الحرب وقتلوه في مضر به . وبعد موته سمي المجلس عوضاً عنه شاباً اسمه غودريان وهو من نسل غودريان المذكور سابقاً فبايعوه واجلسوه على كرسي المملكة . وكانت الفرس في ايامه قد غزت اكثر الولايات الرومانية التي في جوارها واستولت على اكثرها بطريق التعدي والعدوان فنهض هذا الملك لمحاربتهم وزحف اليهم بالعاكر فحاربهم وانتصر عليهم في اكثر المعارك واستخلص منهم تلك الولايات ثم مرض بعد ذلك ومات

الباب السادس

في اخبار باقي قياصرة رومية الى انقراض السلطنة

وفي سنة ٢٤٤ للميلاد تبوأ تحت السلطنة القيصرية رجل عربي الاصل يدعى فيلبس وكان حاذقاً فنجياً وكان قبل ارتقائه الى هذا

المنصب والياً على المدينة فهاج عليه الجنود اخيراً وعزلوه واقاموا مكانه رجلاً يسمى ديسوس وكان من اكبر قوادم فتحارب الاثنان وكانت الدائرة على فيلبس المذكور فقتل بعد ان حكم خمس سنين وكانت مدة حكم ديسوس المذكور عديمة الانتظام كثيرة الفتن والفساد وتولدت هذه الاختلالات والمفاسد في اكثر الولايات الرومانية حتى كادت الدولة تكون على خطر عظيم وتبع اكثر ذلك من سوء تصرف القياصرة واعتصابهم كرسي المملكة بدون اهلية ولا استحقاق وفي ايام هذا الملك سنة ٢٥١ تحرك الغوثيون من الاقاليم الشمالية وخرجوا من بلادهم واجتازوا نهر الطونة وحاربوا الولايات الرومانية واستولوا عليها ونهبوها واضرروا باهلها فالتم ديسوس ان يسير اليهم تخليص تلك البلاد من ايديهم فحاربهم نحو سنتين ثم قتل في تلك الوقائع وخلفه قائد جيشه المسمى غالوس فعقد صلحاً مع اولئك البرابرة وارضاهم بالمال لكي يرجع الى حظوظه ولذاته في رومية بدون ان يلتفت الى صالح وطنه وفي اثناء ذلك زحف الفرس لاستخلاص سوريا من يد الرومانيين وتحرك اهل الشمال ثانية فكانت الحكومة في اضطراب وارتباك بين الشمال والشرق وكان مع غالوس قائد يدعى اميليانوس فتولج هذا حرب اهل الشمال وبعد انتصاره عليه طمع سيفي لبس تاج الملك فلقلب نفسه قيصرًا بين جنده وتقدم نحو مدينة رومية ليحارب مولاه فاستعد غالوس لقتاله وخرج بالعاكر لاستقباله ولكنه اذ كان مكروهاً من الجند وقواد العساكر قتلوه وسموا مكانه اميليانوس امبراطورًا

وكان في رومية رجل شيخ اسمه فاليريان قد تسمى قاضياً من طرف المجلس الكبير في ايام ديسوس وكان محبوباً ومعزوزاً من جميع الناس فلما بلغه قتل غالوس نهض بجيش عظيم لقتال اميليانوس طمعاً بالقيصرية فمات اليه الجنود وسموه قيصرًا عوضاً عن اميليانوس المذكور وكان

سابور الاول ملك الفرس قد استولى يومئذ على انطاكية ثم قصد مدينة
 حصن ليستخلصها من ايدي الرومانيين فزحف اليه فاليريان للمدافعة عن
 تلك البلاد واقام مكانه ابنه غلينوس نائباً في رومية وكان شاباً
 مهملًا عديم المعرفة في السياسة والامور الحربية . فعند وصول فاليريان
 الى سور يا اشتبكت الحرب بينه وبين سابور المذكور فانصر سابور عليه
 بواسطة مكيدة دبرها له فهزم جيشه واخذه اسيراً وكان يهينه ويحقره
 ويستصعبه معه اينا حل ويلبسه احسن الثياب الفاخرة ويقصد بذلك
 الاستهزاء به والتهكم عليه وكان اذا اراد ان يركب فرسه طرحه على
 بطنه وداسه برجله واستمر فاليريان على هذه الحالة التعيسة عدة سنوات
 ثم مات في اسر الفرس وقام مكانه بالمملكة ابنه غلينوس وفي ايامه كانت
 المملكة الرومانية في اسوأ حال مضطربة من خارج ومرتبكة من داخل
 بواسطة المغازي والثورات حتى كادت تشرف على الخراب والدمار وقد
 انصب عليها في وقت واحد جميع المصائب والنكبات كالقحط وفيض
 الانهر والابوثة ومع هذه الدواشي كان الامبراطور غلينوس ملتئماً بولائه
 ودعواته ومنتكباً على مسراته وشهواته غير مبال باغارة الاعداء ولا
 مكترث بمخرب المملكة وكان يقول مادام اقليم ايطاليا تحت امري وتصرف
 يدي فلا ابالي بضياع باقي الاقاليم الخارجية فغضب الجند من فعاله وقاموا
 عليه وقتلوه واتخبوا مكانه كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠ وكان معدوداً
 من فحول روماء الجيوش . وكان الغوثيون قد جمعوا جيشاً عرمرماً ونزلوا
 على سواحل البحر الاسود واغاروا على المدن الرومانية في تلك الاطراف
 فسار هذا الملك لقتالهم وانتصر عليهم نصرة عظيمة ومات عقب ذلك
 بالطاعون

ثم خلفه اوريليان قيصر سنة ٢٧٠ وكان بطلاً صنديداً وجباراً
 عنيداً وكانت بريتانيا وفرنسا واسبانيا في ايامه في حالة العvisان فزحف

الى تلك الممالك وبدد شمل العصاة وادخلهم تحت الطاعة والانتقاد .
 وكانت زنوبيا ملكة تدمر ارملة اوديناتوس احد القواد الذي كان مخالفاً
 للرومانيين ومظاهراً لهم على الفرس قد قويت شوكتها بعد موت زوجها
 ومدت يدها لاستخلاص ولايات الرومانيين التي في تلك الجوار فاستولت
 على اكثرها وساعدتها الاقدار الى انها تملك الديار المصرية ولكنها لم تظل
 احكامها في مصر حتى طردت منها فقصدتها هذا القيصر الى سوريا
 وحاربها وانتصر عليها في موقعي انطاكية وحمص وقبض عليها واخذها
 اسيرة الى رومية ودخل بها الى المدينة في موكب عظيم وهي مقيدة بزناجير
 ذهبية . ثم نهض اوريليان بعد ذلك لمحاربة الفرس في اسيا وعند وصوله
 الى القسطنطينية قامت عليه فتنة من جنده اثارها كاتب سره فقتل
 عقبها

وتولى بعده سنة ٢٧٥ تاسيتوس احد ارباب مجلس رومية بعد فترة
 ثمانية اشهر بدون ملك وكان من ذرية تاسيتوس المورخ المشهور وكان
 شيخاً مسناً فاضلاً عاقلاً صافي النية ولكنها لم تظل ايامه فمات في
 كبدوكية بعد ستة اشهر من حكمه من جرى الاتعاب والمهموم التي
 تراكت عليه

وخلفه اخوه فلوريانوس الذي لم يكن اهلاً لهذا المنصب ودعا
 نفسه امبراطوراً قبل قرار المجلس بتثبيته قيصرًا وكان قائد جيوش
 الشرق المدعو بروتوس لا يميل لهذا القيصر فقاومه بمساعدة المجلس وتولى
 مكانه سنة ٢٧٧ ونودي باسمه ملكاً . وكانت طوائف البرابرة في اثناء
 الفترة التي كانت فيها الكرسي بدون ملك اغارت على فرنسا وما يليها من
 البلاد ونهبت مدائن كثيرة فانتقض عليهم بروتوس وبدد شملهم واستخلص
 منهم المدن والاموال ثم شرع في تخصيص الحدود والثغور لاجل صيانة
 البلاد وكان لا يدع الجند في البطالة بل يستعملهم في الخدمة العمومية

كهارة القناطر والجسور واصلاح شغل الطرق وفتح الترع فغضب الجند من مداومة هذه الخدمة فقاموا عليه وقتلوه
ثم خلفه كاروس الوالي وكان قد اشرك معه في الاحكام ابنه كار يوس ونوميريان واذا صمم على حرب الفرس اخذ معه ابنه نوميريان واقام ابنه كار ينوس نائبا في غيابه وعند وصوله الى ما بين النهرين مات هناك بصاعقة على ما قيل سنة ٢٨٢ بعد ان اخضع عدة مدائن في تلك الجهات فتشام الرومانيون من هذه الحادثة ووقفوا الحرب ثم مات ابنه نوميريان بعد ذلك قتيلا عند رجوع الجيش من اسيا واما كار ينوس الذي كان قد تخلف على تحت السلطنة بالنيابة عن ابيه فارتكب من القبائح والشور ما لم يرتكبه نيزون في زمانه وكان مع ذلك محبوبا من الجميع ما عدا جنود الشرق فانها لم تخضع له وفادت باسم ديوكليتيان الذي كان في اول امره فلاحا من اهل دلمانيا ثم ارتقى باجتهاده الى رتبة قائد جيش من جيوش الرومانيين فلذلك وقع الخصام والنزاع بين عساكر الولايات الشرقية والغربية ونهض الفريقان لمحاربة بعضهما البعض فالتقيا في ميسيا واقتتلا اشد قتال وبينما كانت دلائل الانتصار تلوح على صفوف عسكر كار ينوس قتله احد قومه وبموته اصبحت الحكومة في يد ديوكليتيان وكان المذكور ذاهمة ونشاط وكان حكمه ابتداء نظام جديد اكل في حكم قسطنطين الكبير
واذ رأى ديوكليتيان اتساع السلطنة وعدم امكان ادارة مهامها كما ينبغي من مركز واحد اشرك معه في الحكومة صديقا مخلصا له يدعى مكسيميانوس وساواه بنفسه في نفوذ الكلمة وجعل اقامته في ميلان ووجه زمام ايطاليا وافر بقية ثم انتخب رجلين وهما قسطنطينوس مكوروس وغالير يوس ووجهما ادارة ولايتي الدانيوب والرين واما هو فجعل دار اقامته في مدينة نيكوميديا في اسيا الصغرى ليكون قريبا من الولايات

الشرقية ولاسيما من الفرس ليروي غليله وينتقم منهم من اجل مهاجرتهم المتتابعة على الاملاك الرومانية ومن اجل الاهانة القبيحة التي اجروها على القيصر فالير بان . واما المجلس الكبير فابقاه في رومية وبعده المسافة بينها وبين المراكز المتقدم ذكرها كان المجلس عديم الحركة اسماً بلا جسم وكان هذان الامبراطوران يشتركان في تدبير المملكة معاً مع غاية الوفق والمحبة وكانا يضيان وينهيان في الاشغال الكلية والجزئية من تلقاء انفسهما بدون سوال فكان ديوكليتيان راس الدولة ومكسيميانوس عضده . وفي ايام هذا الملك ذهب قسطنطينوس القائد واخضع بريتانيا التي كانت قد اظهرت العصاوة واستقلت بنفسها من عيد عشر سنين . وبينما كان غالير يوس مشغولاً في حرب الغوثيين ومكسيميانوس منهمكاً في اطفاء نيران الثورات في افريقية كان ديوكليتيان موجهاً كل عزمه ومستعداً لمقاومة الفرس فانتهاز فرصة الاضطراب الكائن وقتئذ في بلاد العجم بسبب تسمية الملك نارسيس وارسل نير ياداتيس ملكاً على ارمينية التي كان سابور قد افتتحها وجعلها من ملحقات مملكته ورفع مداخلة الرومانيين من حق تسمية ملوكها . وكان نير ياداتيس المذكور من ذرية ملوك ارمينية وكان يومئذ مقبلاً في رومية تحت حماية الرومانيين منهزماً من وجه الفرس فلما وصل الى ارمينية ترحب به الاهالي ونادوا باسمه واستقرت له الولاية مدة . ولكن لما استقام حال بلاد فارس وسكنت الفتن والاضطرابات خاف نير ياداتيس من هجوم العجم عليه واستغاث بالرومانيين فعند ذلك زحف ديوكليتيان لحرب الفرس فانصر عليهم في عدة مواقع ثم عقد معهم صلحاً بعد ان استولى على جملة ولايات وجعل ارمينية من ملحقات رومية وبعد ذلك ارتد راجعاً الى رومية وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه تنازل عن الكرسي الملكي سنة ٣٠٤ وسكن في دلماتيا وجعل صاحبه مكسيميانوس يتخى ايضاً في نفس ذلك اليوم .

ولكن مع كل الشهرة والعظمة التي اكتسبها ديوكيتيان جلب عاراً عظيماً على اسمه بسبب الاضطهاد الفظيع الذي اثاره على المسيحيين في كل اقاليم سلطنته اذ كانت قصده ان يحو اثرهم ويطفي خبرهم من على وجه الارض ومن فريد اعماله انه أمر يوماً وهو في مدينة نيكوميديّة بحرق ٦٠٠ نفس من المسيحيين كانوا مجتمعين يوم عيد الميلاد للعبادة فمات جميعهم

اما عدد الاضطهادات التي اثارها قياصرة الرومانيين على المسيحيين فهي عشرة اولها سنة ٦٤ للميلاد في زمن نيرون . الثاني سنة ٩٥ في ايام دوميتيان . الثالث سنة ١٠٧ في ايام تراجان . الرابع سنة ١١٨ في ايام ادريان . الخامس سنة ٢١٢ في ايام كاراكلا . السادس سنة ٣٢٥ في ايام مكسيمينوس . السابع سنة ٢٥٠ في ايام ديسيوس . الثامن سنة ٢٥٧ في ايام فاليريان . التاسع سنة ٢٧٤ في ايام اوريليان . والعاشر سنة ٣٠٣ في ايام ديوكيتيان المذكور . وبعد هذا الملك انتقلت الامبراطورية الى قسطنطينوس كلوروس الذي كان اقامه ديوكيتيان مع غاليريوس كما سبق الكلام وبقي امبراطوراً نحو ١٥ شهراً حين وقع مريضاً في مدينة بورك من اعمال انكلترا ولما بلغ ذلك ابنه قسطنطين امره سرّاً من نيكوميديّة وقصده الى هناك فوصل قبل وفاته فسماه خليفة له وصادق له على ذلك اهل بريتانيا ونودي به باسمه فيها سنة ٣٠٦ ثم زحف على فرنسا وبعد ما دبر امورها سار الى ايطاليا وكان المجلس الكبير غير راضٍ بقسطنطين فخرج الاهالي ضده ونادوا باسم مكسنتيوس بن مكسيانوس امبراطوراً في رومية فقهره قسطنطين بعد حرب تذكر وقتله ثم انتصر على باقي المقاومين واخضع البلاد شيئاً فشيئاً حتى استبد بالسلطنة وحده بدون منازع

وكان الملك قسطنطين عظيم الهامة صحيح البنية شديد الباس لايبالي

بالمشقات والاختطار ولا بكل من الاتعاب والاسفار وكان مع ذلك
 مشهوراً بكلال الرافة والشفقة منفرداً بالاوصاف الحميدة والاراء الصائبة
 السيدة فلم يغفل عن صوالح الحكومة وعن استجلاب رضا الشعب
 وبالجملة كان من افراد الرجال وصناديد الابطال . وقد امتازت ايامه
 عن باقي ايام القياصرة بامرین عظیمین اولهما نقل كرسي السلطنة الى
 القسطنطينية والثاني اعتناقه في سنة ٣١٢ الديانة المسيحية وشدة تمسكه
 بها حتى لم يكن احد من الملوك اشد حمية منه عليها فجعلها ديانة الولاة
 والحكام وهدم هياكل الاصنام واذ لم يكن في ذلك الوقت اسقف عام
 على جميع الكنائس فكان هو في واقع الامر صاحب القول عليهن . وسنة
 ايامه ظهر الاعتقاد الاريومي الذي قاومه اثناسيوس رئيس اساقفة
 الاسكندرية فامر قسطنطين بالثام بجمع اكثريكي في مدينة نيس في
 ايطاليا فنقرر به هرطقة اريوس وكان ذلك اول مجمع مسكوني . وقيل ان
 سبب نقل قسطنطين سرير السلطنة الى القسطنطينية هو انه لما دخل الى
 مدينة رومية في اول امره مويداً منصوراً لم يلق من اهلها بشائنة
 وجه وترحيب وذلك لتمسكه بالديانة المسيحية فغضب من ذلك ولاسباب
 من انعكاف الاهالي على العبادة الاصنامية وصمم على ان يبني مدينة
 غير رومية يجعلها مقر الحكومة ودار السلطنة فاختار مدينة بيزانقيا لتزامنها
 وحسن موقعها بين اوربا واسيا ولكونها مشرفة على ثلاثة ابحار فرسمها وبني
 اسوارها وقصورها واتمها على احسن حال فرغب الاهالي فيها لكثرة
 منافعها وفوائدها وقصدها الناس من جميع الاقطار واشتهرت بالقسطنطينية
 نسبة لقسطنطين . وكان قسطنطين هذا قد افرز من خزائنه مبالغ
 جسيمة من الاموال لاجل قيام الكنائس في مدينة اورشليم وفي الاراضي
 المقدسة فاتخذت امه هيلانة على ذاتها العناية بذلك فسافرت من
 القسطنطينية في بعض اشهر سنة ٣٢٦ الى اورشليم وكان سفرها المذكور

علة لسعادة سكان تلك البلاد الذين كانوا يلتجئون اليها من اغنياء
 وقراء وارامل وايتام ومديونين ومرضى ومحبوسين فانها كانت تعولهم
 وتنفذهم وتوزع عليهم الاموال الكثيرة وعند وصولها الى القدس هدمت
 معبد الزهرة الذي كان الوثنيون قد شيدهوه على جبل الجلجلة ثم اعنتت
 بكشف قبر المسيح ويقال انها وجدت بقايا من الصليب فجاءت بها الى
 القسطنطينية . وكانت هذه الامبراطورة قبل اعتناقها الديانة المسيحية
 متزوجة بقسطنطينوس كلوروس ابي قسطنطين الذي لم يكن وقتئذ
 سوى قائد من القواد الرومانية . فلما صار قيصرًا أطلقها بحسب عادة
 الرومانيين الوثنيين طمعاً بزواجه بثاودورة ابنة الامبراطور مكسيميانوس
 فلما ارتقى ابنها قسطنطين الى كرسي القيصرية بعد موت ابيه ارسل
 فاحضرامه هيلانة الى البلاط الملكي وشرفها بتسمية اوغسطا اي ملكة
 ثم عرفها بحقيقة الديانة المسيحية التي كان قد اعتنقها فتنصرت من يومها
 وانعمت على العبادة وكانت غيورة على اقتناء الفضائل الانجيلية

وعند وفاة قسطنطين سنة ٣٣٧ انقسمت المملكة بين اولاده الثلاثة
 وهم قسطنطين الثاني وقسطنطيوس وقسطانس وكانوا قساة القلوب
 منعكبين على الملاهي والتنعمات التي من شانها ان تهدم اركان النجاح
 وتفسد الازهان فكان اول شيء فعلوه انهم اصدروا امرًا يقتل سبعة
 اشخاص من اقربائهم خوفاً منهم على الاحكام ثم اخذوا يعدمون باقي
 اعضاء عائلتهم شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منها سوى ولدتين ضعيفين من ابناء
 عمهم ثم وقع بينهم الشقاق والخلاف وعادى كل واحد منهم الآخر . وفي
 تلك الاثناء نهض سابور الثاني ملك الفرس لغزو الولايات الرومانية
 فوفاه قسطنطين احد الاخوة المذكورين الذي كان مهيمه في القسم
 الشرقي من المملكة وانتشبت بينهما حرب شديدة استظهرت فيها الفرس
 ثم انتهى الحال بوقوع الصلح بين الفريقين . وعند رجوع قسطنطين الى

بلاده وقع بينه وبين اخيه قسطنس منازعة مات بسببها سنة ٣٤٠ وبقي
 قسطنس وحده حاكماً على الافطار الغربية مدة عشر سنوات الى ان
 قتله مغنطيوس قائد الجيوش الرومانية في غاليا طمعاً باختلاس منصبه.
 ولما بلغ قسطنطيوس قتل اخيه استشاط غضباً ونهض في الحال بجيش
 عديد للانتقام من مغنطيوس فانتصر عليه بعد عدة وقائع هائلة قتل فيها
 اربعة وخمسون الفا من خاص عسكره واذ رأى مغنطيوس ما حلَّ به
 من الدل والنكال قتل نفسه

فهذه الثورات المتتابعة زعزعت اركان الدولة الرومانية وجعلتها في
 خطر عظيم فكانت يرايه الشمال تهجم عليها من جهة المغرب واكسرة
 الفرس تهددها من جهة المشرق فتضايق قسطنطيوس من جرى ذلك ولم
 يعد يرى نفسه كفوفاً للقيام بجميع مهام المملكة فاشرك معه ابن عمه
 يوليان وسماه قيصر على الولايات الغالية فسار يوليان الى قتال الافرنج
 وحلفائهم الذين كانوا قد غزوا البلاد لخارجهم وانتصر عليهم واشتهر اسمه
 بين الجنود ومالت اليه القلوب حتى انه اقيم امبراطوراً سنة ٣٦٠ وكان
 قد صمم على قتال قسطنطيوس طمعاً ان يستقل بنفسه على افطار
 المملكة فجنده الجنود وسار بنفسه قاصداً القسطنطينية وكان قسطنطيوس
 يومئذٍ مشتغلاً بحرب الفرس مات قبل وصول يوليان اليه وبموته انقرض
 يوليان باحكام المملكة وتلقب بالجاحد لانه جحد الديانة المسيحية واعاد
 الديانة الوثنية سنة ٣٦٣ ولما صفا له الوقت وراق استعد لحرب الشرق
 فتقدم نحو اسيا فشتى في انطاكية ثم حوَّك وجهه نحو القدس فوافق
 بسوريا والبال واخذ يجمع اليهود الى اورشليم وابتدأ بعمار هيكلهم لكي
 يبين بذلك فساد الكسب المقدسة ويكذب نبوة المسيح بهذا الشأن
 وذكر اميانوس احد مورخي الامم الذي عاش في تلك الايام انهم اذ
 كانوا يحفرن الاساس خرجت نار من الارض وحرقت النعلة وسموا

رعوداً وشرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل . ثم قصد بلاد الشرق فاجتاز الفرات وحارب الفرس فانتصر اولاً ولكنه انكسر اخيراً وبينما كان يحاول الفرار جرح جرحاً بليغاً مات به . وبموته نودي باسم يوفيان امبراطوراً مكانه سنة ٣٦٣ فعقد صلحاً مع الفرس بعد ان اعطاهم اربع ولايات رومانية . وفي ايامه تشيدت النصرانية ثانية ولكنه توفي قبل رجوعه الى القسطنطينية

ثم خلفه فالنتينان قائد الحرس سنة ٣٦٤ وكان فظاً غليظاً فاشركه معه في المملكة اخاه فالانس وخصه باحكام البلاد المشرقية وابتقى لنفسه الممالك المغربية ثم سار بنفسه لقتال البرابرة في شمالي اوربا فخاربهم وانتصر عليهم ولكن مع كل ذلك كانت المملكة تزداد سقوطاً يوماً بعد يوم لان الحروب الداخلية التي حدثت في مدة حكم اولاد قسطنطين الكبير اهلكت جانباً عظيماً من العساكر وتركت حدود المملكة عرضة لهاجمات الاعداء وغاراتهم . وكان هذا الملك يعاقب على الذنب باشد العقاب ولذلك كان قد حبس ديين مفترسين في قفص واجاعها حتى اذا اراد قتل احد اطلقها عليه

ثم مات هذا القيصر سنة ٣٧٥ بعد ما حكم ١٢ سنة تقريباً وترك المملكة الغربية لابنه غراطيان بينما كان فالانس متولياً على الشرقية وكان قد اشترط على غراطيان ان يشارك معه اخاه الاصغر فالنتينان الثاني الذي كان وقتئذ قاصراً . وفي تلك الاثناء قام الهونيون (وهم قوم برابرة اشداء من سكان اسيا الشمالية) على الغوثيين الذين كانت احكامهم ممتدة من بحر البلتيك الى حدود نهر الدانوب فخاف منهم الغوثيون والتجأوا الى فالانس المذكور وطلبوا منه ان يجيرهم ويأذن لهم ان يسكنوا في بلاده فاجابهم الى سواهم واقبلهم في مملكته وسمح لهم ان يتاجروا ويتعاطوا اسباب التجارة وكان عددهم نحو مليون نفس . وكان الرومانيون

يجبرون عليهم ويعاملونهم بكل قساوة حتى لم يعد لهم استطاعة على الإقامة
 بينهم فخلعوا طاعتهم وصمموا على استخلاص المملكة من أيديهم فاعتقلوا
 بسلاحيهم وزحفوا بجمعهم على القسطنطينية وحاصروها فخرج الامبراطور
 فالانس لقتالهم بمساكر المدينة وانتشب القتال بين الفريقين فكانت
 الدائرة على الرومانيين فانهم جموعهم وجرح امبراطورهم ثم مات عقب
 ذلك . ولما اتصل هذا الخبر الى غراغيان امبراطور المملكة الغربية نهض
 لانتقاذ المملكة الشرقية والانتقام من القوم ولكنه اذ رأى ضعف حاله
 وانحطاط سطوة حكومته اشرك معه رجلاً يسمى ثيودسيوس وكان
 اسبانيولي الاصل موصوفاً بالحدافة وحسن التدبير فولاه عوض فالانس
 فنجح ثيودسيوس واصلح الاحوال في اثناء اربع سنين بحسن سياسته
 وتدبيره وعقد صلحاً مع الغوثيين بعد ان اخضعهم وفي غضون هذه
 الحركات قام في الغرب القائد الروماني المدعو مكسيموس وزحف بجيش
 جرار على فرنسا وتسمى امبراطوراً وكان غراطيان وقتئذ في باريز ففر
 هارباً الى مدينة ليون وهناك قتل بوثاية مكسيموس المذكور ثم نهض
 مكسيموس بعد ذلك لمحاربة ايطاليا طمعاً باشهار نفسه امبراطوراً على
 جميع الممالك الرومانية . وكان لغراطيان زوجة تدعى جوستينا وولد يسمى
 فالنتينيان الثاني وابنة اسمها غلاً فهربت جوستينا مع ولديها الى ثيودسيوس
 واستجارت به فالتقاها بالترحاب والتبجيل وتزوج بابنتها غلاً ثم استعد
 لحرب مكسيموس فنهض بجيش عديد وحاربه فظفر به وقتله واعاد
 الملك الى فالنتينيان بن غراطيان سنة ٣٨٨ غير انه لم تطل ايامه
 حتى مات وبهوته انفرد ثيودسيوس بحكومة السلطنة الرومانية وحده ومان
 سنة ٣٩٥ في مدينة ميلان

الباب السابع

في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض
الغربية منهما

وكان ثيودسيوس المذكور ولدان احدهما يسمى اركاديوس والاخر
يسمى هونوريوس فقمم بينهما السلطنة في حياته وجعلها امبراطوريتين
مستقلتين احدهما امبراطورية المشرق وكرسيها القسطنطينية والثانية
امبراطورية المغرب وكرسيها رومية فتولى هونوريوس على المغرب واخوه
اركاديوس على المشرق. وكان لهونوريوس وزير من افاضل الناس يقال
له سبليكو من قوم القندال فكان يوده ويستشير في جميع اموره
نظراً لادارته وحسن سياسته. وكانت الممالك التابعة رومية وقتئذ
اطاليا وافريقية وفرنسا واسبانيا وبريطانيا وعدة ولايات في بافاريا
والنمسا وغيرها ولكن مع كثرة هذه الولايات والتملكات التي تدل على
عظم السطوة الرومانية لم يعد الرومانيون قادرين على المدافعة عن انفسهم
وحفظ بلادهم من غزوات البرابرة المتصلة لان انقسامهم وتحزبهم من
الجهة الواحدة وانعكافهم على الملاهي واللذات من الجهة الاخرى استأصت
منهم تلك الحماسة والبسالة التي اشتهروا فيها قديماً وجعلتهم يرتضون
بجالتهم مما كانت دنية ويسلمون انفسهم للقدر فكانت الاعداء تغزوهم
وهم وقوف وان نهضوا لمقاومتهم خسروا وتقهقروا بحيث لم يبق ادنى ريب
من جهة مرعة انقراض تلك السلطنة العظيمة لاسيما بعد انقسامها. وحدث

في سنة ٤٠٢ ان قوماً من الغوث المقيمين في الغرب تحت رياسة قائد
 يقال له الاريك دخلوا بلاد اليونان ونهبوا اكثر مدائنها وهدموها
 وكان لامبراطور الشرق وزير يدعى روفينوس موصوف بالحذافة وحسن
 التدبير فانعمهم بحسن سياسته ان يخرجوا من بلاده ويقصدوا بلاد
 ايطاليا حيث الغنائم الكثيرة ووعدهم سرّاً بالمساعدة والامداد فهذه
 الوسطة ابعدهم عن اراضي المملكة الشرقية والتي سخطهم على هونوريوس
 الذي بمساعي وادارة وزيره ستيليكو امكته ان يصادم غاراتهم وهجماتهم
 المتتابعة ويبعدهم عن بلادهم مؤقتاً ثم بعد هذه الحادثة بايام يسيرة نقل
 هونوريوس سرير السلطنة من مدينة ميلان الى رافينا وفي غضون ذلك
 اغار على الرومانيين اقوام من قبائل جرمانيا المتحالفين وكانوا نحو مئتي
 الف رجل تحت رياسة ملكهم رودوغاست فالتقاهم ستيليكو الوزير
 حاسر الرومانيين وبعد قتال شديد انتصر عليهم فقتل ملكهم وبدد
 جمعهم ثم قصد بلاد غاليا بعد هذه النصره فوقع باهلها وامتلكها من
 حدود الرين الى جبال البرن. ولما اشتهر امر هذا الوزير حسده اكثر
 الناس فوشوا به الى هونوريوس واتهموه بخيانة كاذبة فامر بقتله بدون
 فحص ولا اثبات وببوته تشددت عزائم ملك الاريك على قتال الرومانيين
 فرحف ثانية على رومية بجيش جرار وتهدد اهلها بالهلاك والخراب فخاف
 الشعب من كثرة الاعداء المتجمعة عليهم واذا لم يمكنهم المدافعة تعهدوا
 لملك الاريك بدفع مبالغ وافرة اذا رفع عنهم تلك البلية فاجابهم الى
 ذلك وانسحب عنهم ولكنه اذا راي منهم عدم الوفاء في ما اتفقوا عليه
 عاد اليهم بعزم اشد من الاول فخار بهم وافتتح المدينة عنوة والتي فيها
 النهب والسلب بعد ان قتل الوقا من الاهالي واحرق جانباً منها ثم قصد
 جنوب ايطاليا حيث كانت مرصعاً ان يركب البحر المتوسط ويمتاز الى
 افريقية ليفتتحها ولكنه مات سيفه اثناء ذلك وخلفه اخوه ادولفوس.

وكان قصد هذا الملك ان يجعل رومية سرير سلطنة الغوثيين ثم عدل عن هذا الفكر خوفاً من عدم امتزاج شعبه المتوحش مع شعب الرومانيين المتدمن فاختر السكن في مكان آخر يناسب حالة شعبه فترك ايطاليا وسار مع جنده واستوطن في اسبانيا بعد ان تسمى ملكاً على ايطاليا اربع سنوات وتزوج پلاسيديا اخت هونوريوس . اما الرمايون فكانت سطوتهم وشوكتهم تضعف يوماً بعد يوم بحيث التزم هونوريوس ان يتنازل عن زمام احكام بريتانيا وعن اراضي جرمانيا العليا والسفلى ثم توفي عقب ذلك بعد ان حكم ٢٨ سنة وخلفه قسطنطيوس احد فواد الرومانيين المشهورين . وكان هذا القائد قد تزوج بيلاسيديا المذكورة عقب رجوعها من ايطاليا بعد وفاة زوجها في اسبانيا ولكنه لم يستقر بالخلافة الا زماناً يسيراً حتى قام عليه البعض وقتلوه بخلفه ابنه فالنتينيان الثالث واذ كان عمره ست سنوات كانت امه تحكم بالوكالة عنه وفي تلك الايام زحف جنساريك ملك الفندال في اسبانيا الى افريقية فغزاها واستخلص جميع الولايات الرومانية من يد بونيفاس الوالي الروماني وفي اثناء ذلك خسرت رومية ايضاً تملكاتها الاسبانية والفرنساوية حتى لم يبق لها الا بلاد ايطاليا التي اسلخت عنها بعد ذلك بقايل وفي ايام هذا الملك سنة ٤٥٢ غزا ايطاليا اتيلا ملك قبائل الهون وبينما كان قاصداً مدينة رومية ليفتحها توفي قبل وصوله اليها فلم يلحقها منه اذى ثم قتل فالنتينيان الثالث سنة ٤٥٥ وخلفه عشرة ملوك لم نذكرهم جماً بالاختصار وكان آخرهم رومولوس اوغستولوس وفي ايامه تجمعت قبائل الهول القاطنة يومئذ على شطوط بحر البلتيك وزحفت تحت راية ملكها اودواكر فغزت بلاد بافاريا والنمسا ثم تقدمت على رومية واستفحتها وومات رومولوس المذكور عقب ذلك سنة ٤٧٦ وانقرضت به الدولة الرومانية بعد قيامها ١٢٢٩ سنة . ومما يستحق العجب ان اول

ملك اسس هذه المملكة كان رومولوس الاول وآخر ملوكها هو رومولوس الثاني وهذا من غريب الاتفاق

الباب الثامن

في عوائد الرومانيين القدماء وبعض اصطلاحاتهم

ان الرومانيين كانوا ينقسمون الى قسمين اي الاشراف والعامّة ثم بعد ذلك اضيف الى هذين القسمين قسم ثالث يعرف بحزب الاسياد وهو في درجة وسطى بين الاشراف والعامّة وحدث بينهم من جرّ ذلك منازعات ومخاضات كثيرة . واما روساء الدين فكانوا ينتخبون من اعيان الاهالي وكانت وظائف روساء الكهنة ذات اهمية سياسية عظيمة لانهم كانوا مولجين بتقديم الذبائح البشرية للآلهة ويعتنون بالطقوس الدينية ولكثرة الخرافات الكثيرة وقتئذ اقاموا جمعية من الناس المنجمين والمبصرين لاجل تفسير الاحلام والالهامات والمناظر الغريبة والانباء عن امور مستقبلية وكانوا يستندون في تفليكاتهم على هيئة السماء وهيئة اعماد الحيوانات والطيور وغير ذلك وكان الرومانيون يعتقدون بها كل الاعتقاد . وكان اولئك المنجمون في رومية يفسرون للشعب ارادة الآلهة من جهة اشهار الحرب او عقد الصلح حتى لم يكن احد يجسر على مناقضتهم ومن فرط اعتقاد الناس بهم لم يباشر احد عملاً مهماً قبل ان يستشيرهم ويأخذ رأيهم فلذلك كانت وظيفة المنجم ذات اهمية عظيمة حتى كان كثيرون من خواص ارباب المجلس العالي يجتهدون في الحصول عليها . وكان كانوا وسيرون المعدودان من افراد رجال رومية في العالم وذكاة العقل من جملة اولئك المنجمين ولكنهما لم يكونا يعتقدان في تلك الحيل

والخرافات الكاذبة ويقال ان كانوا المذكور قال يوماً لاحد اصحابه كيف
 يمكن ان ينظر منجم الى وجه منجم آخر ولا يضحك
 اما ديانة الرومانيين فهي مستعارة من الديانة اليونانية وكانت عبادة
 جوبيتر اي المشتري وغيره من الآلهة متضمنة فيها . وكانوا يعقدون باله
 خصوصي لكل من فضائل الناس ورزاياهم وقوام الجسدية والعقلية ولكل
 شيء مادي او جوهري من العالم المنظور وغير المنظور وكان لهم ايضا آلهة
 خصوصية لكل واد وجبل وساقية وكثيراً ما كانوا يؤثون عليهم وابطالهم
 العظام وبالاخص ان جميع انواع العبادات الوثنية كان جائزاً استعمالها في
 رومية . اما اليهود والمسيحيون الذين لم يكن بينهما فرق عند الرومانيين
 فكابدوا مشقات كثيرة بسبب الاضطهادات البربرية التي اثارها عليهم
 اولئك القوم واستمرت الحال على مثل ذلك مدة طويلة حتى انتصرت
 اخيراً العقائد النصرانية على تلك الخرافات الباطلة وصارت ديانة السلطنة .
 وكان للرومانيين هياكل كثيرة جميلة البناء مزخرفة بالمخوتات المستخرقة
 ومملوءة من التقدسات التي كان الشعب باقي بها وكان عدد اكبرها واشهرها
 ما يبني عن الاربعة مئة وكان الكهنة يخدمون في تلك الهياكل ويقدمون
 ذبائح من الثيران والغنم وغيرها من الحيوانات . وكان لهم هياكل اخرى
 يرسم الآلهة التي من الطبقة الثانية وهي اقل ظرفاً من الاولى ودعوها
 البيوت المقدسة وكان في بيت كل عائلة غنية معبد مختص بها لاجل عبادة
 آلهتها الخصوصية

اما الزواج فكان عندهم من الامور الضرورية وعاقبوا من امتنع
 باشد القصاصات الصارمة وفي بعض الاجيال فرض قضائهم وقتاً مخصوصاً
 لزواج الشبان فيلتزم من بلغ السن المعين ان يتزوج في برهة محدودة
 وجعلوا ذلك فريضة شرعية . وكان اوغسطس ايضاً يشدد القصاصات
 على الذين يتوقفون عن الزيجة ويمنح كثيري النسل عطايا كثيرة . وكانوا

يخطبون البنات مدة طويلة قبل عقد الزواج الذي يجرونه باحتفال عظيم بحضور الكهنة والمتجدين ويحرون شروط الزيجة بخضر جهور من الشهود وكان القرنان يثبتان تلك الشروط بقشة يكسرانها امام الحاضرين وبعد ذلك يهدي العريس عروسه خاتماً تلبسه في الوسلى من يدها اليسرى لاعتماد انه يوجد عرق يمتد من تلك الاصبع الى القلب ثم يختمون احتفالهم بشيافة يقيمها ابو العروس . وعند تمسبط العروس وقت الزفاف كانوا يفرقون شعرها بسنان ربح اشارة بانها ستكون عن قريب قرينة



هيئة ملابس الراس عند نساء الرومانيين القدماء

مقاتل ثم يتوجونها باكليل من زهور ويضعون على راسها مندبلاً يليق بها وعند نهاية لبسها يرافقها الى بيت العريس ثلاثة صبيان ممن كان والدوم احياء ويحمل امامها خمسة مشاعل ومردت ومغزل . وعند وصولها الى البيت تربط جوانب الباب بحبال من صوف مغمسة في شحم مذوب لاجل منع قوة السحر وبعد ذلك يحماوتها ويدخلون بها الى الغرفة اذ لم

يكن يسمع لها ان تدوس العتبة برجلها ثم يتقدم العريس ويهدبها مفاتيح
 البيت مع انائين فيهما مالا ونار. ثم يصنع ضيافة عظيمة لجميع اهل العرس
 مصحوبة بالآلات الطرب والرقص وكان المدعون يشدون مدايح للعريسين
 وكانت العادة عند الرومانيين ان يحرقوا موتاهم كما كانت تفعل
 اليونان في الازمنة القديمة غير ان هذه العادة القبيحة لم يكونوا يستعملونها
 الا في ايام الشيخة الاخيرة وبعد ذلك ادرجت في اقطار المملكة واستمرت
 الى حين دخول الديانة المسيحية وكانوا يفركون جثث الاموات بانواع
 الطيب ويلبسونها الثياب الفاخرة ويلقونهم على فراش مغطى بالزهور
 ويزينون ابواب البيت باغصان السرو. واذ كانوا يعتقدون ان شارون
 الموكل بارواح الاموات لا يحمل روح الميت ويعبر بها نهر الموت ما لم
 ياخذ الرمم المعين كانوا يضعون قطعة صغيرة من النقود في فم الميت برم
 شارون المذكور. وكانوا يوقدون المشاعل ويحملونها امام الجنائز واقرباء
 الميت واصدقاؤه يحملون جسده على نعش مكشوف مغطى باثن الاقشة
 وموكب الجنائز يسير تحت ادارة شرط الرومانيين. فاذا كان الميت
 جندياً يضعون عليه علامات رتبته وترافقه الجند منكسي الاسلحة امامه
 حسب العادة الجارية الآن وكانوا يحملون امام النعش تماثيل الميت
 وتماثيل سلفائه وبعد ذلك يأتي الموسيقيون والندايون والرقاصون
 والمهرجون ويمشون امام الميت ثم يسيروا وراء النعش اهل الميت وبناته في
 الملابس المحزنة بلطمن ويندبته مكشوفات الرؤوس ومحلولات الشعور
 ثم القضاة والاشراف بدون ثياب رسمية ثم عبيد الميت الذين كان قد حررهم
 في مدة حياته لابسين طرايش الحربة. اما جنازة العطاء والاعيان من
 ذوي الرتب فامتازت عن غيرها في الاحتفال والمدائح التي تتناشدها
 اصحاب الميت فوق جثته في الكايتول وكان ذلك كثير الاستعمال في
 اواخر مدة الشيخة وعند نهاية هذه الاحتفالات كانوا يرشون القبر

وينثرونه بالزهور ويدعون الميت وداعاً خبيراً وبعد ذلك يرش الكهنة
 جميع الناس الحاضرين بالماء ويصرفونهم الى بيوتهم . ولكن لما ادخلت
 عادة حرق اجساد الموتى كانوا يطرحون الجسد على حزمة من حطب على
 شبه مذبح ثم يدور الجمهور حوله بكل هدوء على صوت الات الموسيقى ثم
 يتقدم احد الاقرباء بمشعل ويضرم النار في ذلك الحطب ثم يلقون
 الاطياب في الهبب ويطنفون الوقيد المشتعل بالخمر ثم يجتمعون الرقاد
 في أنية ثينة ويلقونها في قبر العائلة . واذا كانت الميت من طغمة الجنود
 فيضعون سلاحه والغنائم التي يكون قد سلبها من العدو على الحزمة المقدم
 ذكرها تحرق مع البقية

واذ كان الاعتقاد العام عند الاقدمين بان ارواح الاموات يسرها
 سفك الدم كانوا يذبحون على قبر الميت تلك الحيوانات التي كان يميل
 اليها في مدة حياته . واما في الازمنة القديمة المتوحشة فكانت تلك الذبايح
 بشرية فكانوا ياتون بالعبيد والامرى ويذبحونهم على قبور ساداتهم
 واحياناً كان ياتي بعض الاصحاب ويقدمون انفسهم للذبح حباً بالمقودين
 وجرت بعض حوادث نظير هذه بين الرومانيين الاقدمين لكنهم مع
 تمادي الايام ابطالوا تلك العادة القبيحة عندما ابتداوا يمدنون

اما صنائع الرومانيين القدماء فالتحصرت في حراثة الارض وبعض
 مهن بسيطة متعلقة بها وكانوا يعتبرون امهر الحراثين كافضل الناس . وكان
 الحراثون يميلون الى الخرافات فكانوا يمتنعون عن الاشغال كافة في خامس
 يوم من الهلة . وفي السابع والعاشر منه كانوا يزرعون الدوالي ويضعون
 التبر على صفار البقر لاجل التطبيع . وفي العاشر منه يداشرون في السفر
 وكانوا ياتون بمجموعة حمار وبعقونها على حدود الحقول لاعتقادهم بان
 ذلك مما يحسن تربتها ويمنع عنها المحل . وفي زمان المشيخة الاولى لم يكن
 في بساتين الرومانيين سوى قليل من انواع البقول واشجار الفاكية واما

التفاح والكرز وغيرها من الاثمار اللذيذة والزهور الجميلة فقد استجلبوها من بلاد النجم واسيا الصغرى بعد مدة طويلة . وكانت العادة عندهم ان يظلوا مساطب جنائهم ومماشيا باغصان الدوالي ويعلقون فيها التماثيل ويحيطونها بسياج مرتفعة من الشوك والعليق والمرجح ان الرومانيين اكتسبوا معرفة زرع الكروم واستخراج الخمر من اليونانيين فكانوا وقت استخراجهم يتهجون ويفرحون ويصبون الخمر الجديد على الارض اكراما للمشي والزهرة

وكان للرومانيين اليد الطولى في الابنية والنقش على الحجر والمرمر وفي اقامة الجنائن المستخرقة . ومن اشهر ابنيهم في تلك الاعصار قصر الفيلسوف بيليني صاحب الثروة العظيمة فكانت له املاك عديدة منها القصر المذكور الذي لم تضرب صفحا عن ذكره لشهرته في بطون التواريخ . ولما كانت حروب الرومانيين تكاد تكون متواصلة الا قليلا كانت امورهم العسكرية وما يتعلق بمهامها الحربية تشغل انتباه اشهر رجالهم وتوجه التفات الجمهور الى الاستعدادات والاختراعات التي من شأنها ان ترفع شأنهم وتلقي هيبتهم في قلوب اعدائهم . وحكمت الشريعة وقتئذ على كل رجل من احرارهم ان يخدم في العسكرية رغما عنه في اي وقت كان من سن السبع عشرة الى سن الست والاربعين . وكانت القوات الرومانية مقسومة الى فرق ومواكب فاشتملت كل فرقة على ثلاثة الاف من العساكر المشاة وثلاث مئة من الخيالة ثم زادوا عددها بعد ذلك فجعلوها سبعة الاف وكان يبرق الفرقة نسرا من فضة يحمله ضابط من ذوي الرتب على رمح . اما الخيالة فكانوا يحملون علامات من شريط منقوش عليها بالحرف ذهبية الاحرف الاولى من اسم الامبراطور وعدد الفرقة . ولم يكن عندهم من آلات الموسيقى العسكرية سوى النفير . وكان بعض العساكر يتسلحون بمحربات خفيفة والبعض بمحربات ثقيلة ويتقلدون الاتراس والبلطات

على اليمين ويتدرعون بدروع من نحاس او فولاذ وتحت الدرع ثوب احمر واصل الى الركبة وعلى رؤوسهم خوذة من نحاس بشراريب من شعر الخليل . واما القواد فكانوا يلبسون قمصاناً مدرّعةً بخشفات من النحاس او الفولاذ مصفحة احياناً بالذهب وتحتها اثوابٌ ضيقة واصلة الى اواسط الساقين وكانوا يركبون الخيل بدون ركابات وكانت سروجهم قطع قماش ملفوفة بحسب رغبة الراكب وكان تدبير الساكر ونظامها متقناً غاية الاتقان وقوانينهم في غاية ما يكون من الصرامة

اما مراكب الرومانيين البحرية فكانت على شبه مراكب قرطاجنة غليظة وضعيفة البناء عالية المؤخر والجوانب ومع انها كبيرة لم تكن تصلح لمصادمة الانواء والارياح العاصفة وكان لها صفان او ثلاثة صفوف من المقاذيف بحسب عدد طبقاتها اما مقدمها فكان مدرّعاً بالحديد على هيئة راس حيوان وعلى ظهرها الاعلى برجٌ غير ثابت تستخدمه العساكر كتراسٍ لاطلاق الاسلحة وفيه جسرٌ يستعملونه وقت العبور والهجوم على مراكب العدو . وقيل اكتشاف آلة الحلك التي بواسطتها استؤمن السفر في اواسط الياجر كان سير المراكب منحصراً في الشطوط . وحسب المركب كبيراً اذا كان محموله نحو ثلاثة الاف كيلة . وكان تجار الولايات البحرية التي على شطوط البحر المتوسط يجلبون الى رومية جميع انواع محاصيل الشرق غير ان تلك التجارة انحصرت فيما بعد باهل رومية بعد فتح اوغسطس الديار المصرية وصارت حينئذٍ مدينة الاسكندرية مركزاً لتلك التجارة

وكان للرومانيين مراصم كثيرة قد شيدها لاجل الفرجة على الوحوش الضاربة وعلى مصارعة الابطال . وانواع الملاعب بالسيف . وكانوا يحفظون الوحوش البرية في اوجرة حول الفسحة الوسطى من المراصم ويصونون تلك الفسحة تصويماً متيناً ويحيطونها بقناةٍ من الماء لاجل

صيانة المتفرجين وعند اجتماعهم في هذا المرسح كانوا يطلقون الوحوش بعضها على بعض فكانت تضر ببعضها ويقتل كثير منها . ويقال انه قتل منها احد عشر الفا في مشاهد الاشهر الاربعة التي اقيمت فيها الافراح لاجل انتصار الرومانيين على اهل داسيا وقتل ايضا في حادثة اخرى نظيرها خمس مئة اسد في برهة وجيزة . وكثيرون ايضا من المسيحيين الاولين ماتوا شهداء بواسطة طرحهم للوحوش في تلك المراسح . ومن ملاعب الرومانيين التي افتخروا بها المصارعة بالسيف اي لعب الحكم وهذا النوع من اللعب حدث في رومية على ما قيل في اواخر القرن الخامس من تاسيسها وكانوا قد استعملوه في اول الامر امام جنازة بقصد الاحتفال والتعظيم ومن ثم صار استعماله في الجنائز العمومية وبعد ذلك حسبه ضرورة يا وواجبا للاحتفالات الرسمية التي اقيمت في ايام المواسم والاعياد . اما الاسلحة التي استعملوها في تلك المصارعات فكانت مضرة وقاتلة وكثيرا ما وقع عدد وافر من اولئك المصارعين قتلى على الارض لاجل تفرج الآخريين . وفي اول الامر خصصوا تلك المصارعات للجرمين او للاسرى ثم للبيد فكانوا يتصارعون باسلحة مختلفة تارة بالاسلحة الكاملة واخرى بجرية ذات ثلاث شوكلات وشبكة بواسطة يجتهد احد الخصمين ان يعرقل خصمه ويشبكه بها وهكذا يتمكن من قتله . وكان الامبراطور كومودوس يشترك احيانا كثيرة في تلك المصارعات متحفظا على نفسه باعقاله الاسلحة الكثيرة . واستمرت هذه العادة دارجة ومستعملة بينهم الى القرن الرابع حينما ابطلها الملك قسطنطين الكبير واقام عوضا عنها ملاعب اخرى من شأنها ان تنشط الجسد وتقويه لان تهمده . فهذه الاخبار كافية لتظهر لنا حالة تلك الازمنة المتوحشة وتجعلنا شاكرين المراحم الالهية التي لم تسمح بان يكون نصيبنا في تلك الازمنة العبيسة



برج حربي بحري



سفينة حربية رومانية

وسنة ٣٩١ من تاسيس رومية اي سنة ٣٦٢ ق م ادخلت اللعب
 التياترية الى رومية ولم تكن في البداية الا الرقص على انغام الناي ولم
 تعتبر الروايات عندهم الا بعد ذلك بمئة سنة وقيل ان اول مرشح بني
 لهذه المناظر كان يسع ٤٠ الف نسمة من المنفرجين. واما الصنائع اللطيفة
 او الرياضية فلم تُعرف عند الرومانيين الا بعد القرن السادس من تاسيس
 رومية اذ اكتسبها جنودها من الامم الذين فتحوا بلادهم وادخلوها الى
 رومية. ثم بعد ذلك ابتدا الاغنياء ان يتقنوا دورهم ويزينوها بالتصاوير
 وانواع النقوش. وكان في مساكن الاشراف مخدع جميلة فيها مكاتب
 مباحة لمن يرغب الاطلاع عليها من الادباء والعلماء وكانت الكتب نادرة
 الوجود لسبب كثفتها وصعوبة نسخها فكتبت على الرقوق وبعضها على
 الورق المصنوع من اوراق النبات المصري المعروف باسم بابيروس فكانوا
 يصاون اطراف الاوراق بعضها مع بعض ويلقونها درجاً ويحفظونها ضمن
 لفافة من الجلد او الحرير. واما ملابس الرومانيين الاغنياء فكانت قيصاً
 واسعاً من صوف لا مكان له وثوباً آخر ابيض ضيق يلبسونه تحت
 القميص وقت الخروج من البيت الى السوق وعند رجوعهم
 الى بيوتهم يزعون القميص. وكان رجالهم غالباً مكشوفي
 الرؤوس يلبسون في ارجلهم نارة اخذية مكشوفة
 مزبوطة بالرجل بواسطة شرائط وتارة

جزمة قصيرة

الفصل الثالث

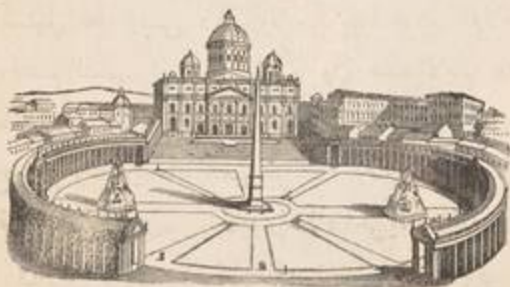
في اخبار ايطاليا

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد

هذه المملكة موقعها في جنوبي اوربا وممتدة الى داخل البحر المتوسط وهي شبه جزيرة واشبه بفردة جزمة في وضعها وتكوينها وعدد سكانها الان نحو سبعة وعشرين مليوناً اكثرهم على المذهب الباباوي . وحكمها من نوع الملكي المقيد . اما هواؤها فهو في غاية الاعتدال والنقاوة حتى ان صيفها لا يكاد يختلف عن فصل الربيع . اما ارضها فمخصبة جداً وفيها كثير من الفاكهة المتنوعة كالتيق والعب والبردقان والخمر الجيد وكل نوع من المحاصيل كالارز والقطن وسائر انواع الحبوب وفيها ايضاً دود القز وانواع البرفير والمرم والرخام . ولاهها صنائع عديدة يعتنون بانقاذها وتحسينها كالصوير والنقش والابنية المرخوفة والات الطرب وغيرها من انواع كراخين الاعمشة والفخار والترفوري . واكثر اهلها يحبون الملاهي والمسرات كالغناء والرقص وجانب عظيم منهم في حالة الكسل والشقاوة

والفقر يميلون طبعاً الى تصديق الخرافات والقصاص التي لا طائل تحتها
 في هذه البلاد عدة بحيرات وانهر وجبال . منها البركان المسي
 فاسوفوس الذي بقرب مدينة نابولي وهو جبل شهير وقديم العهد ينقذف
 منه أحياناً دخن و لهيب نار ممتزجة بمواد ذائبة . وفي جزيرة سبيليا وهي
 صقلية بركان آخر يدعى اتنا نظير ذاك ويوجد بقربه كروم مخصصة من
 العنب والتين والبردقان والزيتون وبساتين وجنانن عديدة ذات زهور
 جميلة . وعند هذا الجبل مدينة عظيمة البنيان يقال لها كاتانيا
 ومن اعظم مدن ايطاليا مدينة رومية وهي مدينة كبيرة ذات ابنية
 جميلة وقصور فاخرة عظيمة . وبها كنيسة مار بطرس وهي من ابهج واعظم

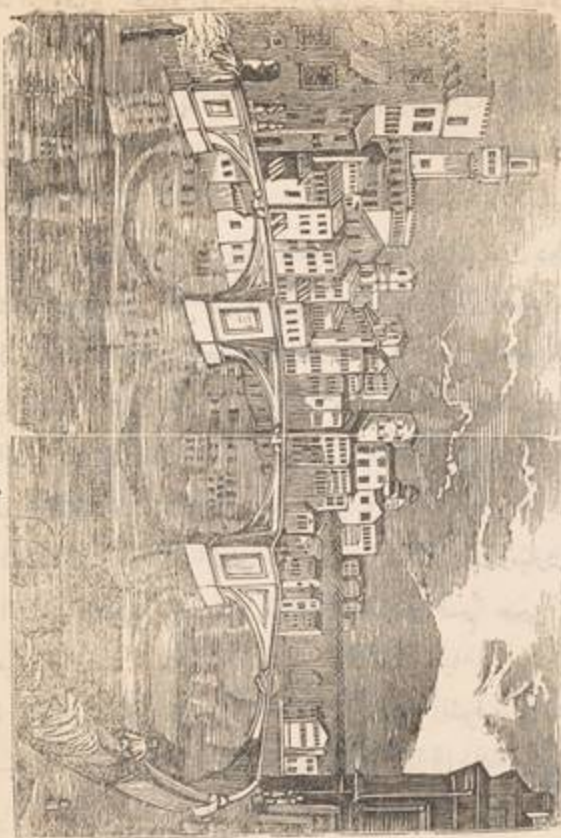


كنيسة مار بطرس في رومية

الهاكل في العالم وبقربها قصر الفاتيكان الشهير المخصص لسكن الباباوات .
 وفي هذه المدينة كثير من الصور والتماثيل القديمة التي تفوق على غيرها
 من صور ومنقوشات باقي الناس في الصنعة وحسن الرسم الدالة على
 براعة وحذافة سكانها الاقدمين ولا سيما خرائبها المتفرقة التي تدهل
 العقول وتدهش النواظر بهيجتها وجمالها وعظم ارتفاعها . وقد افرزنا فصلاً
 مخصوصاً لذكر اخبار هذه المدينة وبعض حوادثها . ثم مدينة نابولي وهي
 جميلة المنظر وبها ابنية فاخرة . ومدينة فينيس وهي من اشهر مدائن تلك
 البلاد واجملها . ومدينة تورين عاصمة سردينيا . ومدينة فلورنسا البهجة .

ومدينة جينوا واقليم تسكانا الذي هو من اجمل اقاليم ايطاليا واخرها
 وغيرها من المدن المشهورة التي لا يسعنا الوقت ان نتعرض لها لان ذلك
 مما يخرجنا عن موضوع روح الكتاب المقصود به التليح لا الاسهاب
 وخلاصة الكلام ان مملكة ايطاليا بوجه الاجمال جميلة وظريفة
 جيدة الهواء يقصدها ذوو الامراض من باقي جهات اوربا واميركا في
 فصل الشتاء لاعتماد اقاليمها وتقصدها السياح من جميع الاقطار للفرجة
 على ما فيها من الاثار القديمة والابنية الفاخرة ولكن مع كل منزهاتها
 وحسن هوائها وزخرفة قصور مدنها وخرائب رومية المدهشة لا يرغب
 السائح ان يتوطن فيها نظراً لشراسة اخلاق الجانب الاكبر من شعبيها
 والجهل المستولي عليه وليس ذلك الا من سوء تصرف الولاة والحكام
 الاقدمين وعدم التفاتهم الى تنوير الشعب. وفي هذه الايام بعد انضمام
 ممالكها الصغيرة وولاياتها الى مملكة مستقلة اخذ ملكها فيكتور عمانوئيل
 في اصلاح شانها وتحسين حالة شعبيها بواسطة وضع الشرائع والنظامات
 الحسنة وتأسيس المدارس الكلية واعطاء الحرية اللائقة حتى انه
 في زمن قريب يمكن للايطاليين ان يضاهاوا باقي
 اصحاب الرتبة الاولى في التمدن
 والمعارف

منظر المدينة فلورنسا



الباب الثاني

في تاريخ إيطاليا ويتضمن بعض اخبار البندقية

ان هذه المملكة كانت تسمى قديماً ساتور بنا ثم غلب عليها اسم إيطاليا نسبة الى ايطالوس احد ملوكها القدماء الذين وفدوا اليها من اركاديا (وهي قسم من المورة) في القرن الرابع عشر قبل المسيح . وكان يسكنها

وقتشذ امم وقبائل مختلفة الاجناس والالقباب يعسر تاصيلها لتقادم عهدنا
اذ لم تقدنا التوارنج شبتاً عنهم الا ظهور رومولوس مؤسس السلطنة
الرومانية التي ضمت اليها كل بلاد ايطاليا واوربا واكثر ولايات الشرق
الامر الذي الجأنا الى فتح باب مخصوص لاختبار الرومانيين والاختصار
في هذا الفصل

وبقيت ايطاليا في ايدي الرومانيين الى ان انقرضت دولتهم سنة
٤٧٦ للميلاد واستولى على البلاد اودواكر ملك الهول فزنع عنها اسم
الدولة الرومانية ودعاها مملكة ايطاليا . ثم افتتحها ثيودوريك ملك
الاستروغوث وبقيت تحت تسلط خلفائه الى سنة ٥٥٢ حينما استخلصها
من ايديهم السلطنة الشرقية عن يد القائد بليساير يوس اولاً ثم بواسطة
نارسيس القائد الثاني الذي اقيم والياً عليها في مقاطعة رافينا . سنة ٥٩٨
اتى ايطاليا قوم يقال لهم اللونغو بارد الذين سموها فيما بعد لومبارد واستولوا
على اقسامها الجنوبية فانقسمت حينئذ الى قسمين قسم سمي ايطاليا
اللومباردية وقسم ايطاليا الرومية . فاستمرت ايطاليا الرومية تحت تسلط
ولاة الروم المنتسبين من طرف قبصرة السلطنة الشرقية الى سنة ٧٥٢
للمسيح عبارة عن مئتي سنة وكان عدد ولايتها في المدة المذكورة تسعة
عشر والياً اولهم نارسيس المذكور واخرهم اوتيجيوس وكان كل من هولاء
الولاة يلقب باسم اكارخوس

وسنة ٧٢٦ حدث هياج في ايطاليا بسبب اختلافات دينية بين
الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية انتهت باستقلال امارة رومية ودخولها
في سلك الجمهورية تحت رياسة البابا . سنة ٧٥٢ امتد اللومبارديون الى
جبة جنوبي ايطاليا فاستخلصوا من الروم جانباً من املاكهم ودعوه
مقاطعة بنفاتو . وبعد ذلك هاجم ايطاليا الفرنساويون في ايام ملكهم
بيبين ثم في ايام ابنه شارلمان الذي اسس سلطنة غربية مكان السلطنة

الرومانية التي انقرضت وتزوج امبراطوراً عليها سنة ٨٠٠ ميلاد فكانت
اغلب ايطاليا من جملة ممالك سلطنته ولكن بموت كارلوس السمين
انتقلت سلطنة الغرب من العائلة الكارولنجية واختلس ايطاليا اكابر
امرائها فخص كل واحد منهم لنفسه ولاية من ولاياتها وكان اشهرها
نابولي وتوسكانا وبارما وجنوا ولومبارديا وسردينيا ورومية وفنيس اي
التي هي من اشهر مدائن تلك البلاد واجمها

ومع قلة العلاقات التي كانت بين الدول المختلفة وقلة وسائل الاتصال
كان الابطاليانيين ولا سيما اللومباردين مشهورين ورغبة في التجارة واتقان
الفنون وخاصة بعد مخالطتهم لاهالي المشرق بعد الحروب الصليبية ومع
ان الغرض من تلك الحروب والمغازي انما هو مجرد افتتاح البلاد عن هوس
خارج عن الصواب قد عادت بالنفع على التجارة وتولع الابطاليانيون في
اقتانها بحيث انه في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كادت تجارات
اوربا تكون في ايديهم وكانوا يحسبون روساء المتجر والصنائع ولم تخط
منزلتهم الى وقت معاهدة المدائن الانسياتيكية للتجارة

واذ كانت فنيس من امهات مدائن ايطاليا التي اكتسبت شهرة
عظيمة في الاحقاب القديمة رأينا ان نذكر عنها شيئاً قبل استيفاء الكلام
عن تاريخ ايطاليا فنقول انه في سنة ٤٥٣ ميلاد غزا ايطاليا قوم من
برابرة شمالي اوربا وكان بقرب هذه المدينة طوائف من السكان فلما
دهمته هذه البلية فر بعضهم من وجه مطاردتهم وقصدوا سواحل البحر
واخذوها لهم مسكناً وكانوا يعيشون بالتجارة وصيد السمك واستخراج
الملح . وكان هناك عدة جزر صغيرة متقاربة بعضها لبعض فاخذ القوم
يقعون فيها الابنية ويستوطنونها وكانت تتردد اليها الناس من اكثر
الجهات وتنضم الى اولئك القوم حتى في مدة قصيرة اكتست تلك الصخور
القرعة بالابنية والقصور الفاخرة واصبحت كمدينة واحدة متصلة بعضها

ببعض بالجسور والقناطر المستظرفة . وعلى توالي الايام اشتهر اهلها في التجارة
 والقوة البحرية اشتهاراً عظيماً . وكانت هذه الجزر في اول الامر منفردة
 ومستقلة عن بعضها ولكنها في سنة ٦٩٧ اتحدت معاً واقامت عليها رئيساً
 عاماً ليسوسما ويدبر امورها ومن ذلك اليوم صارت تحسب مشيخة تابعة
 السلطنة الشرقية و بقيت تابعة لها الى القرن العاشر حين استقلت استقلالاً
 تاماً . سنة ٩٩٧ لكان بطرس اورسيولو الثاني رئيساً عليها قويت
 شوكتها بهذا المقدار حتى انها اخضعت كل الاساكن البحرية في دلتانيا
 وايناريا وصارت تعد اقوى واغنى دولة في اوربا لاسيا في عمارتها
 البحرية . وما زالت شوكة الفينيسيين تزداد وتقوى يوماً بعد يوم حتى انهم
 في القرن الحادي عشر جهزوا عمارة عظيمة مؤلفة من مئتي سفينة وارسلوها
 لمساعدة المشبكيين في الحروب الصليبية الاولى . ثم ساعدوا الصليبيين بعد
 ذلك على فتح مدينة القسطنطينية سنة ١٢٠٤ وحازوا منها على غنائم وافرة
 وتحف متكاثرة من نفائس الجواهر والمعادن وانواع الصور والتماثيل
 المشغولة وجاءوا بها الى بلادهم ولكن بعد ذلك بقليل اخذ طاعهم في
 سقوط وهبوط اذ حاشرتهم مشيخة جنوا واستظهرت عليهم في جملة وقائع .
 وفي القرن الخامس عشر حارب فينيسيا السلطان محمد الثاني واستخلص
 منها عدة جزائر في الارخبيل وبعض الولايات في المورة ولكن لما كانت
 شوكة اهل البندقية لا تزال عظيمة في اوربا وصيتهم منتشر في كل اطرافها
 خافهم مجاروم وحسد ملوك الافرنج على ثروتهم ونجاحهم فاخذ البابا
 يوليوس الثاني يهيج الدول عليهم وبعد ان استمال اليه بعض الملوك
 اعتصب معهم على اذلال تلك الجمهورية فكان امبراطور المانيا وملك
 فرنسا وملك اراغون والبابا يوليوس المذكور رواء تلك العصبة المعروفة
 بعصبة كبري فاناروا على البندقية واستخلص البابا جميع المدن التي كانت
 للبنادقة في الاراضي الباباوية واسترجع فردينند ملك نابولي المدن التي

استولت عليها المشيخة المذكورة على سواحل كلابرو. فلما رأى أهل البندقية أنهم محصورون من كل جهة وليس لهم نصير التزموا ان يسلموا بما أتت به التقادير وانحصروا داخل اسوار مملكتهم سنة ١٥٧١ استخلص منها السلطان سليم الثاني جزيرة قبرس سنة ١٦٦٩ استخلص منها السلطان محمد الرابع جزيرة كريت فهذه المسائب مع غيرها اضعفتها واضرت تجارتها جداً ولكنها استمرت في استقلاليتها الى القرن الثامن عشر حينما خضعت لفرنسا سنة ١٧٩٨ استولت عليها دولة النمسا وبقيت تحت تصرف احكامها الى ان الحقت بمملكة إيطاليا سنة ١٨٦٦ كما سيأتي شرح ذلك في محله.

اما احوال إيطاليا فاستمرت على الحالة المذكورة آنفاً نحو سبعين سنة وكانت المنازعات فيها متصلة دائمة من أهل الطمع وارباب الفساد فكان المجر يغزون اراضيها الشمالية بينما كانت اقاليمها الجنوبية عرضة لمغازي الاسلام الذين افتحوا سبيلها واستولوا عليها زماناً يسيراً الى ان اخرجهم منها امراء نورمنديا واقاموا مكانهم وبينما كانت الاحوال مضطربة في إيطاليا استدعى البابا يوحنا الثاني عشر اوثون الكبير ملك جرمانيا اليه لينقذه من جور احد ملوك إيطاليا الذي كان قد تعدى عليه فسار اليه وحارب خصمه وافرج عنه تلك الشدة وتزوج ملكاً على كل إيطاليا ثم امبراطوراً على كل السلطنة الغربية وكان ذلك سنة ٩٦٢ للمسيح فاستمرت إيطاليا خاضعة لملوك جرمانيا الى سنة ١٢٦٨ ثم اخذت بعد ذلك تستقل امرياتها الواحدة بعد الاخرى وصارت كل امرية منها قائمة بذاتها تحت حكم ملك او جمهورية او امرية ودام حال إيطاليا على هذا التوال الى سنة ١٥٠٤ حين وقع النزاع بين فرنسا واسبانيا في شأن هذه البلاد فكانت كل دولة منها تود ان تضع يدها عليها وتستخلصها لنفسها. وبعد ان بذت فرنسا غاية

جهدها في امتلاكها لم تنل بغيتها وفازت اسبانيا باستيلائها على مملكة
الصلقيتين سنة ١٥٠٥ ثم استولت على امريه ميلان سنة ١٥٤٠ اذ حصرت
ايطاليا شمالاً وجنوباً وتصرفت يباقي ولاياتها كما ارادت ولم يبق مستقلاً
الا البندقية . وفي القرن السابع عشر اخذت قوة اسبانيا في ايطاليا ان
تضعف وتنقص حتى كادت تزول بالكيفية واغتصبت منها اوستريا سنة
١٧٠٦ امريه ميلان ومملكة الصقليتين فبقينا تحت حكمها مدة ثم تنازلت
عن الصقليتين وعن امريه بارما الى فرعين من عائلة البوربون
الاسبانوليين بشرط ان لا تُضمَّ الى مملكة اسبانيا

ولكن لم يمض زمن طويل حتى تبدلت احوال ايطاليا بسبب
حروب المشيخة الفرنسية ووقائع نابوليون الاول الذي بعد ان ضم
يونيوني وسافوي الى فرنسا حدث انفصال امريه ميلان عن النمسا وجعلها
دولة جمهورية واستعاضت النمسا بدلاً عنها بالبندقية وملحقاتها . ولكن
بعد حرب اوسترليتس سنة ١٨٠٥ اُزِم نابوليون دولة النمسا ان تتنازل
عن البندقية وضمها الى امريه ميلان وسماها مملكة ايطاليا واقام فيها
البرنس اوجان ابن زوجته الاولى نائباً عنه بالملك . ثم افرز نابولي وجعلها
مملكة قائمة بذاتها واقام عليها صهره الجنرال يواكيم مورات . اما توسكانا
ورومية وجنوا وغيرها فاضيفت الى اعمال فرنسا . فعلى هذا الوجه كانت كل
ايطاليا تابعة فرنسا ما عدا سردينيا وجزيرة سيسيليا . ولكن بعد
حوادث سنة ١٨١٤ رجعت رومية وملحقاتها للبابا ورجعت نابولي سنة
١٨١٦ الى فردينند ملكها الاول واستولت دولة النمسا على ميلان والبندقية
وسميتا مملكة اللومبارديا والبندقية وهكذا باقى الاقاليم رجعت لاربابها .
وفي سنة ١٨٥٩ انتصرت فرنسا لسردينيا فخارتا النمسا واستخلصنا منها
اللومبارديا واضيفت الى احكام فيكتور عمانوئيل الثاني ملك سردينيا . وفي
سنة ١٨٦٠ انعقد اربع جمعيات من عمد اهل ايطاليا بمدينة فلورنسا

وبولونيا وبارما ومودينا وبعد مداوات كثيرة استقر الراي على خلع ملوكهم لتقصيرهم وعدم اهليتهم وضم ممالكهم لمملكة سردينيا تحت ولاية فيكتور عمانوئيل المتار اليه فاستحسن الآهالي آراءهم ووافقوا عليها وقبل ملك سردينيا هذا الانضمام واخذت الممالك تنضم اليه الواحدة بعد الاخرى من ذلك اليوم وكان اول من انضم اليه نابولي وصقلية واومبريا التابعة لمملكة رومية وغيرها وفي سنة ١٨٦١ نودي به ملكاً على ايطاليا . وفي سنة ١٨٦٦ انضمت اليه اعمال البندقية من بعد المعركة الهائلة التي وقعت بين النمسا وبروسيا عند ما تحزبت بروسيا لايطاليا . ثم في سنة ١٨٧١ وضع يده على مدينة رومية وجعلها بتر كرمسي المملكة . وبعد موت فيكتور عمانوئيل قام مكانه ابنه هومبر وذلك في ٩٢ سنة ١٨٧٨ وجعل مكان اقامته في مدينة فيورنسا

فهذا هو باختصار تاريخ ايطاليا التي كانت ميداناً واسعاً للشاجرات والحروب بعد انقراض السلطنة الرومانية وما تقدم يظهر ان هذه البلاد لم تصرف دولة مستقلة كأنكثرا او فرنسا او غيرها تحت ولاية ملك عام او مشيخة عامة بل كانت على الدوام متجزئة بين امراء كثيرين ومنقسمة الى ممالك صغيرة منها منها مستقلة ومنها تابعة بحيث بعسر وصف كل منها على حدته واستيفاه الشرح عنها واما انضمامها الآن فهو مما لم يحصل عليه الايطاليون قبل هذا التاريخ وهذا الاتحاد يتضمن فوائد جمة تؤول للنجاح .
الامة ووضعها في مصاف ذوي
الرتب الاولى

الفصل الرابع

في اخبار رومية وبعض اخبارها

انه لامر معلوم ان روماء الديانة الاولين كانوا جميعاً متساوين في ما يختص بامر الدين والسلطة الكنائسية غير انه امتاز اساقفة المدن الكبيرة على ما سواها نظراً لوجودهم في مراكز الحكومات واحتياج الغير اليهم لاجل المساعدات . فكانت رومية والقسطنطينية والاسكندرية وانطاكية والقدس مراكز السلطة الكنائسية وتعتبر اساقفتها على نوع ما كروساء الدين . ولكن اذ كانت رومية كرسي الامبراطورية الرومانية ونحت الدنيا بتمامها كان لاساقفتها شرف وامتياز على غيرهم فخطوا . من الاحترام والاکرام باوفرها ولم يكن لهم امتياز آخر غير ذلك . وفي اثناء القرن الرابع فافت عظمة رومية والقسطنطينية على باقي المدن المذكورة وانحصرت فيها سطوة اساقفتها ومن ثم اخذت كل منهما تدعي السيادة والرياسة على اختها فوقع النزاع والحصام بين الكنيستين اعني الشرقية والغربية واستمر البغض والحسد بينهما الى اوائل القرن الثامن في ايام ليو الثالث امبراطور الشرق الذي قاوم مسألة عبادة الصور والتماثيل بينهما تشبثت رومية في استعمالها فانفجرت حينئذ المداوة الظاهرة بين الكنيستين وحصل الانقسام الذي لم يعد يجد سبباً للانضمام وفي اواسط القرن الثامن لم يجد غريغور يوس الثاني اسقف رومية

طريقاً لا يظال تثبت الكنيسة الشرقية في رفض عبادة الايقونات حوّل قواه الى تهيج الشعب الروماني للانتقام الى هذه المسئلة الدينية فقصت رومية ورافينا على قوادها وولاتهما المتولين ادارة الاحكام من قبل ساطنة القسطنطينية وتقلد كل شعب ايطاليا السلاح واثارها هيجاناً عظيماً في كل اقطار البلاد وكسرا جميع تماثيل قياصرة الرومانيين الموجودة في رومية وقتلوا الوالي الكبير المقيم في رافينا وكل مقاربي مشروع عبادة الصور واستقلت اماره رومية وصارت دولة جمهورية تحت رياسة البابا . ولكن مع ذلك لم يكف ولاة الروم عن مقاومة الباباوات ومضادتهم فكادت الاحوال في اضطراب عظيم فانتهز فرصة هذه الثورات لويتر باند ملك لومبارديا واستولى على رافينا واخضع جميع المدن التابعة لها ثم استرجعها منه عاجلاً سلاطين الروم واذ لم يستطيعوا ان يحفظوا البلاد كالايام السابقة نهض استولفوس ملك لومبارديا وافتتح رافينا من ابدي ولاة الروم وتمهد رومية بالخراب فنهض البابا استفانوس الثالث وذهب الى فرنسا مستغيثاً بملوكها فانجدوه واستخلصوا من اللومبارديين ولاية رافينا واهدوها للحبر الروماني ليستولي على محاصيلها وايراداتها وينفقها في منافع الكنيسة ويكون هو رئيساً مدنياً خاضعاً لاحكام فرنسا . وصادق على ذلك ملك شارلمان وزاده اراضي اخرى كان قد استملكها من مغازبه على لومبارديا فصارت تملك الحبر الروماني عظمة وغناه وافرآ جداً وازدادت ثروته يوماً بعد يوم لتوارد الهدايا اليه من كل جهة ومكان وقدم له كثير من الامراء والاعيان فرى ومقاطعات برمتها حتى انه في وقت قريب اجتمع في شخص الباباوات سطوة الدين والدنيا وصاروا ملوكاً ارضيين وروساء دين معاً بحيث ان عظمتهم كانت مساوية لسطوتهم بلا حدٍ وهكذا مع تمادي الايام صار للباباوات اهمية عظيمة وحق كبير في تولية ملوك الارض وعزلهم حسب مشيئتهم

واما كلمة بابا فكانت قديماً تطلق على جميع الاساقفة بدون استثناء ولم تخصص بالخبر الروماني الا في سنة ١٠٧٣ في زمن غريغور يوس السابع الذي شيد اركان سلطة الباباوات السياسية فكانت سطوتهم يومئذ في اعلى طبقة سائدة على كل ملوك الارض اذ كان لغيرهم من الملوك تاج واحد واما هم فكان لبعضهم ثلاثة تيجان احدها فوق الاخرى دلالة على السطة المثلثة المتجمعة فيهم وهي رياسة الكنيسة العمومية واسقفية رومية والولايات المدنية على الاراضي الرومانية. وبلغ اعتبار هولاء الاحبار الى هذا المقدار حتى انهم احياناً عندما كانوا يعلون ظهور الخيل يمسك لهم الركاب كثيرون من الملوك والسلاطين. وكانوا احياناً يصدرون حرماً على امرة باسرها ويأمرون بحماريتها. وسنة ١٠٧٧ ازم البابا غريغور يوس هنري الرابع امبراطور المانيا ان يقف حافياً ثلاثة ايام في فصل الشتاء امام باب قصره ليطلب منه الغفران وقد استوفينا هذا الخبر في ترجمة هنري الرابع كما سيأتي. وسنة ١١٧١ رفس بابا آخر برجله تاج ملك آخر من ملوك جرمانيا حينما كان الملك جاثياً امامه وبالاجمال تقول ان قباحة شعوب تلك الاعصار جعلتهم ان لا يروا في رؤساء الدين خطاه فكانوا يدعون لكل احكامهم واجراءتهم ويخضعون لكل ما يستقر عليه رايهم كأنه منزل لا عيب فيه. والى هذا المقدار اتصلت سيادة الباباوات وشوكتهم حتى لم يبق في اوربا مملكة الا واضطربت من افعالهم ولاكرمي الا وارتج من شوكتهم

وفي القرن الحادي عشر وقع النزاع والخصام بين الباباوات وبين باقي ممالك اوربا وعلى الخصوص مع المانيا في شان السيامات الاكبريكية التي نشأ عنها حروب كثيرة. لانه كما لا يخفى ان الاكليروس في تلك الازمنة كانوا عندما يرتسمون على مقاطعة ابريشية ملزومين ان يخلعوا ملكهم بيمين الامانة والطاعة وبعد ذلك يلقبه الملك بلقبه الكنائسي

ويقلده وظيفته سواء كان بطريركاً او اسقفاً او غير ذلك من الوظائف
ويأذن له ان يتصرف بالتملكات المختصة بابرشيته لكونها مربوطة بالتزامات
اميرية ثم يعطيه عكازاً وسيفاً دلالة على السلطة الزمنية ثم صليباً وخاتماً
اشارة على السلطة الروحية وبدون هذا التصريف من قبل الملك لم
يمكن للاكليروس الدخول في وظيفتهم

فلم يقبل الباباوات بهذا الامر واخصهم غريغوريوس السابع فانه
نهض سنة ١٠٧٣ لمقاومة ذلك وطلب رفع مداخلة الملوك في هذا الامر
واراد تخصيص هذه الحقوق وحصرها بالباباوات فنشأ عن ذلك مخاصمات
قوية ومحاربات شديدة اخصها بين جرمانيا وايطاليا في ايام ملكها هنري
الرابع ثم ابنه هنري الخامس الذي غزا ايطاليا مرتين واسمر البابا اوربانوس
الثاني ثم اطلقه واستمر ذلك الحال الى سنة ١٢٢٢ حين عقد صلح بين
الطرفين في ايام البابا كاليكتوس الثاني وفض هذا المشكل على وجه
مرض للفريقين وهو ان يكون للملك حق التصرف المدني والبابا التصرف
الكنايسي وفي اول القرن التالي حاجت تلك الخصومات ائنة واضطرت
نيرانها وامتزجت بين منازعات اخرى كانت قائمة وقتئذ بين قسمين
كبيرين في المانيا وايطاليا يقال لهما الغوالف والجيلين ولكنهما انطفت
اخيراً سنة ١٢٦٨ عند موت كونراد ملك جرمانيا

ولكن مع كل سطوة الباباوات يومئذ وتوطيد سلطتهم على الاراضي
الرومانية كثيراً ما كانت مدينة رومية تصام وتقاومهم عندما يتذكر
اهلها تجدها القديم فكثيراً ما خلعوا الطاعة ورفعوا علم العصيان ضد رياسة
الباباوات وكثيراً ما خلع الخبر الاعظم عن كرسيه ونفي من رومية حتى
التزم في وقت ما ان ينقل الباباوات كرسي الخبرية الى افيينيون من اعمال
فرنسا حيث اقاموا فيها نحو سبعين سنة هرباً وخوفاً من هيجان ومقاومة
الشعب واذا لم يوجد في رومية قوة كافية لتوقيف اسباب الفتن والحركات

كثيراً ما كان يظهر بعض البلغاء من ذوي النباهة والاقدام على عظام الامور وبواسطة مناداتهم واعمالهم يستقبلون قلوب الاهالي الى الاتحاد معهم بطلب الحرية والاستقلال فينشا عن ذلك تحزبات وخصومات تؤول للخلل وسلب الراحة . غير ان تلك المشروعات لم تنجح حتى النجاح لان سلطة الباباوات كانت كفوءة لاختادها واحفاء نيرانها بواسطة القاء القبض على المسيبيين . ومن اشتهر هولاء القوم ارنولد دي بريسكي ونيكولا دي رينزي الذي حكم مدينة رومية مدة في القرن الرابع عشر وكان لاحبار رومية شوكة عظيمة وهيبة قوية ليس فقط بين الناس ولكن بين الدول ايضاً حتى ان الملوك كانت تؤدي لهم مزيد الاحترام والطاعة وحسب سعيداً من كان ميل الخير الاعظم نحوهم . واذ كان للاخبار دخل في الامور المدنية واغراض في الامور السياسية كان ذلك موجياً لتعرضهم الى نتائج تلك المداخلات في اشهار الاسلحة عليهم وعلى اراضيهم فانه امر غني عن البيان انه بسبب تحزب الباباوات لبعض الملوك او الامراء او لاغراض اخرى كثيراً ما اوجبوا حروباً في بلاد ايطاليا وكثيراً ما قامت عليهم الملوك وحراربتهم ونهبت رومية وباقي اراضيهم لاسيا سنة ١٥٢٧ في زمن البابا اكليننضس السابع حين هاجمته جيوش الامبراطور شارلكان تحت قيادة الدوك دي بوربون وفتكت بجيوشه واملاكه وامرته بعد ما نهبوا المدينة واحدثوا فيها وفي الاهالي ما يقصر عنه الشرح وما لا يتصوره عقل

وكان البابا اينوسنت فيف في ايام فيليب اوغسطس ملك فرنسا وابنه لويس الثامن في القرن الثالث عشر قد اصدر امرأ باضطهاد وابداء الولدنيين والاليجنسيين وها فرقان من مذاهب النصرانية في جنوبي فرنسا . وكان السبب في ذلك ان تابعي هاتين الفرقتين كانوا يندرون الشعب بالامور الدينية ويجولون من مكان الى مكان حاملين الكتاب

المقدس ومبشرين به فالتصق بهم كثيرون من الناس واقتدوا بتعاليمهم
 من جملتهم بطرس فالدو رجل من قرية فوفي فرنسا وتاجر عظيم في مدينة
 ليون فحركته الغيرة والمحبة الى خلاص الانفس فباع كل املاكه ووزعها
 على الفقراء ثم انه ترجم التوراة الى لغة الفودوا وجمال كارزا من مكان
 الى مكان فتبعه كثير من الناس وتلقبوا بالولدانيين نسبة الى بطرس
 فالدو المذكور مقدمهم الشهير ويعرفون ايضا باسم فودوا نسبة الى فو
 مدينته . ومع ان ظهور فالدو المذكور كان في القرن الثاني عشر زعم بعض
 المؤرخين ان هاتين الشيعتين نبقتا في عهد الرسل ويستندون في اثبات
 قديمتهما على شهادة معانديهما رئيسي اساقفة طورين وصانكوزين اذ
 يقولان ان الولدانيين هم اقدم القبائل واكثرهم تقوى . واما الولدانيون
 فيؤكدون ان كنيستهم اسمها الرسل واستمرت من ذلك الوقت متمسكة
 بتعاليم الرسل البسيطة بدون ادنى تغير . فلما رأس الخبر الاعظم نجاح
 هؤلاء القوم وانه بواسطة تعاليمهم وادعاء عامتهم في حق التبشير تنسب
 حقوق الكنيسة الرومانية ويقع اخلال في نظامها شرع في استعمال الوسائط
 ملاشأتهم واثار عليهم اضطهادات شديدة وعدمهم من المجرمين بالخرطقة
 واهاج عليهم ملوك فرنسا وباقي الشعب كما تقدم فكانوا يعذبونهم بسائر
 انواع التعذيبات التي لا تخطر على بال بشر فكان منهم من يحرق حيا
 ومنهم من يمزقون اعضاءه بالسيف الى غير ذلك من العذابات الاليمة
 ودامت عليهم الاضطهادات مدة طويلة . وكان عدد من قتل منهم في
 اثناء هذه الاضطهادات على ما قيل نحو مليون نفس ومع كل ذلك لم يزل
 موجودا منهم الى يومنا هذا نحو عشرين الف نسمة في بلاد ايطاليا
 اما انتخاب الباباوات قديما فكان يجري بعرفة الاكليروس والشعب .
 ولكن اذ كان يحدث من جراء ذلك اختلافات ومنازعات شديدة اوجد
 البابا غريغور يوس العاشر طريقة مناسبة لرفع اسباب تلك المنازعات وهي

انه عند انتخابهم حبراً كانت تجتمع الكردينالية في مكان معلوم ويقفل عليهم الباب من خارج فيأخذون في المداولة واعطاء القرار في تسمية خليفة للكرسي وكانوا ملزومين ان يتموا انتخابهم في مدة ثمانية ايام فان لم يتم لهم ذلك في المدة المعينة كانوا يمنعون عنهم المأكولات ولا يقدمون لهم سوى الخبز وقليل من الخمر فقط في كل الوقت الذي كانوا يصرفونه علاوة على الثانية ايام. ومن شروط ذلك الاجتماع ان البابا الذي سوف يقع عليه الاختيار يقتضي ضرورة ان يكون من زمرة المجتمعين لان غيرهم. وعند ما كان يقر الرأي على احد كانوا يحملونه على الاكتاف وياخذونه في الحال الى كنيسة مار بطرس وينادون باسمه غب اجراء الاحتفالات اللازمة ويقلدونه بفتحاحين احدها من ذهب والاخر من فضة رمزاً الى مفاتيح السماء الموعود بها الى مار بطرس

وللباباوات رسل عند الدول الاجنبية على نوعين احدهما يدعى قاصداً وهو الذي ينوب عنه في الامور الدينية والاخر يدعى نونوس وهو الذي يقوم مقامه في الامور السياسية. واغلب متوظفي حكومة الباباوات هم من طغمة اهل الدين ما عدا العساكر الذين يبلغ عددهم اثني عشر الفا فانهم من عامة الناس

وسنة ١٥١٧ ظهر مرتينوس لوثيروس من اعمال جرمانيا منادياً باصلاح الكنيسة فاهتزت ممالك اوربا باسرها من تعاليمه وموافاته وقد ذكرناه واوردنا شيئاً من اخباره في تاريخ جرمانيا فلا حاجة الى ذكرها هنا. ومن ذلك الوقت ابتدأت السلطة الباباوية الزمنية في السقوط والمهبوط يوماً بعد يوم حتى ان بعض الممالك في اوربا رفضت كل صلوة معهم سواء كانت سياسية ام دينية بعد ان وقع بينهم مخاصات ومحاربات شديدة. ولم يزل امرهم في انحطاط وسقوط الى سنة ١٨٧١ حين دخل الابطالايانيون الى رومية وجعلوها عاصمة المملكة وذلك عقب انقضاء

المجمع المسكوني الذي صدق ونادى بعصمة البابا بيوس التاسع . ولكن
 مع انه فقد السلطة الزمنية لم يزل راساً للكنيسة الرومانية .
 اما البابا المتولي الآن فهو ليون الثالث عشر جلس
 على كرسي الرياسة في ٢٠ شباط

سنة ١٨٧٨

الفصل الخامس

في اخبار الدولة الرومانية الشرقية بعد انفصالها عن السلطنة الغربية وذلك من سنة ٣٩٥ الى سنة ١٤٥٣ عبارة
عن ١٠٥٨ سنة

قد ذكرنا في ما مضى كيفية انقسام الدولة الرومانية الى مملكتين غربية وشرقية بعد ان شرحنا اخبار الدولة الاولى وحوادث ملوكها الى زمن اقراضها ونذكر الآن اخبار السلطنة الثانية وما يتعلق بها من ام الحوادث والاخبار على وجه الاختصار فنقول انه بعد وفاة ثيودوسيوس الاول جلس ابنه اركاديوس سنة ٣٩٥ على كرسي السلطنة الشرقية . وكان من جملة ممالكها وملحقاتها الخارجية مصر وسوريا واسيا الصغرى ثم تراكيا وهي قسم كبير من بلاد الرومي ثم داسيا اي مولدافيا وفلاخيا وما يليها من النواحي . وكان هذا الملك ضعيف الراس عديم التدبير لم يحدث في ايامه ما يستحق الذكر فكانت البلاد في راحة وسلام . ومات اركاديوس بعد ثلاث عشرة سنة من حكمه وخلفه ابنه ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٠٨ وكان عمره يومئذ تسع سنين وكان كايه في ضعف العقل وقلة الادراك فلهذا كانت مدة ايامه تحت طاعة وزرائه واخيه بوليكر يا فكانت متسلطة عليه وقائمة بتدبير المملكة . وحدث في زمانه ان قبائل الهونيين اي الجبر اغاروا على القسطنطينية فحاصروها وضيقوا على الاهالي بعد ان استولوا على

سبعين مدينة ونهبوها فالتزم ثيودوسيوس ان يعقد صلحاً مع قائدهم تحت شروط مينة للسلطنة

وبعد موت ثيودوسيوس المذكور خلفته اخته بوليكر يا فكانت ذات حكمة وفراصة موصوفة بالعدل والاداب وهي اول انثى جلست على سرير السلطنة الرومانية . وكان السبب في انتخابها انحطاط مقام الدولة الرومانية والاهانة التي لحقت بها في ايام اخيها وابيها فاقتضى الحال رفع شان الدولة وتقوية شوكتها فاختار اكابر المملكة هذه الاميرة لتكون ملكة عليهم وذلك لما يعهدونه من حكمتها وحسن تدبيرها فبايعوها بالملك . ولكن لما كان حكم النساء عند الروم على خلاف العادة خافت من ان يخلعوا بعد ذلك عن الكرسي فتزوجت برجل متقدم في السن من اكابر المجلس يدعى مارسيان وفوضت اليه امور المملكة فكانت احكامها مفردة ومختدة مع زوجها ثلاث سنين ثم انفرد زوجها بالملك الى سنة ٤٥٧ وموت الملكة المذكورة اقرضت عائلة ثيودوسيوس الاول . وبعد موت زوجها مارسيان تبوأ ليو الاول سرير المملكة بانتخاب قواد الرومانيين وهو اول امبراطور توجه بطرك . ثم خلفه ابنه ليو الثاني سنة ٤٧٤ وكان اولاً رئيس المحافظين في ولاية من ولايات الاناضول . ثم تولى بعده زينو ثم انسطاسيوس وكان هذا الرجل قد نشأ في مدينة من مدن ايطاليا وهو من عائلة خاملة الذكر فارتقى بمهارته الى ان صار من جملة ضباط القصر الملكي فساعدته التقادير الى ان تزوج بالقيصرة اريانة ام قيصر زينو فسعت في ترقية الى المسند القيصري وامرت المجلس الروماني بانتخابه قيصرًا وكان في اول حكمه مكرماً معظماً من جميع الرعايا ثم سلك مسلك الظلم والمدوان فصار محمقاً ومبغوضاً من الجميع . وكان ديناً بهذا المقدر حتى انه كان يعرض بيع المناصب والرتب لمن يشترى . ثم خلفه جوستينوس واصل مواده في بلاد الروملي وكان اولاً يعرى المواشي ثم انتظم في سلك

العسكرية وارتقى الى اعلى الرتب في ايام ليوا الاول ثم استولى على سرير
المملكة بالحيلة والخداع بعد انسطاسيوس وسلك في احكامه سبيل العدل
والانصاف

وبعد جوستينوس قام جوستينيانوس سنة ٥٢٧ للميلاد فزهت السلطنة
في ايامه وعظمت سطوتها بسبب انتصاراته الكثيرة فاستخلص بلاد افريقية
من ايدي الفندال بواسطة بليساير بوس القائد الشهير الذي اخضع
قرطاجنة ايضا واسر ملكها جليم واتي به الى القسطنطينية فقتل هناك في
وسط محفل عظيم. ومن ذلك الوقت صارت افريقية تابعة سلطنة
القسطنطينية. ثم زحف بليساير بوس على ايطاليا واخضعها مع سيسيليا
وقهر فيتيچس ملك الاستروغوث واتي به اسيرا الى القسطنطينية مقيدا
بالزناجير. فهذه الانتصارات والافتتاحات حركت حمية قباذ بن فيروز ملك
فارس على حرب الروم وتجهز بجيش عظيم لقتالهم ولما بلغ خبره جوستينيانوس
ارسل اليه قائده بليساير بوس بالجيوش الكثيرة فجري بينهما عدة وقائع
تارة انتصر فيها الفرس واخرى الروم فاستمر الحال على ذلك مدة مستطيلة
واذ لم يتمكن الواحد من الاخر تمكنا كافيًا اوقفا الحرب وتمهادنا مدة خمسين
سنة. وكانت قبائل الغوث في ايطاليا قد اظهرت العصاة يومئذ على
المملكة الشرقية واستقلت في تلك البلاد فارسل اليها الملك جوستينيانوس
القائد بليساير بوس ثانية ليقاتها ويخضعها وعند وصوله الى ايطاليا وشي
به بعض حساده ومبغضيه الى الملك وتكلم في حقه بما لا يليق فاستدعاه
الى القسطنطينية وارسل مكانه نارسيس القائد فاستخلص البلاد من
ايدي الغوث وادخلهم تحت الطاعة والاقبياد ومن ذلك العهد صارت
حكومة ايطاليا منوطة بايدي الولاة الروم فكانوا يحكمون عايبا ويسوسونها
من طرف سلطة القسطنطينية. وفي تلك البرهة نهض قوم من الباغار بين
واتحدوا مع قبائل بلاد السرب وتقدموا بمجموعهم الى مكدونية وثرাকা

فهاجموها ونهبوها وامتدوا في غزواتهم وغاراتهم الى ان اقتربوا من
القسطنطينية فخرج لقتالهم القائد بيلسار يوس المذكور فواقع بهم وشتت
شملهم وكانت هذه الحروب آخر انتصاراته اذ رفضه بعد ذلك الملك واكابر
الوزراء بسبب وقوع بعض مفاسد وقتن اتهموه بها فصار مكروهاً ومبغضاً
من الجميع وصرف باقي عمره في التذلل والهوان

ولكن مع كل سطوة المملكة وشهرة عظمتها ومجدها من خارج كانت
احوالها الداخلية غير مرضية بسبب المصائب التي دهمتها لا سيما بوقوع
الزلازل الكثيرة التي حدثت في اقطار المملكة واضرت باكثر المدائن
وعلى الخصوص مدينة انطاكية فانه كان قد هُدم اكثرها وقتل فيها نحو
٢٥٠ الف نسمة ثم عقب ذلك وبات عام دام وقتاً طويلاً وكان يموت
بهذا الطاعون في القسطنطينية يوماً نحو خمسة الاف نسمة على ما قيل
ثم اتصل العدد الى عشرة الاف في كل يوم واستمر ذلك على مدة ثلاثة
اشهر حتى قل عدد الجنس البشري في ايام الملك جوستينيانوس وانقرضت
مدائن كثيرة في الشرق من سكانها

واشتهر هذا الملك في اشتغاله بمساعدة تريبونيان الفقيه على استخلاص
السنن والشرائع الرومانية الكثيرة المجموعة منذ اجيال عديدة وفي سن
قوانين وشرائع مدنية تعرف بالقانون الجوستينياني فكان ذلك من اعظم
اعمال ذلك العصر وهو الآن قاعدة واساس الاحكام المدنية الحاضرة
ثم قام بعد جوستينيانوس ابن اخيه جوستينوس الثاني وكان في اول امره
حميد السيرة موصوفاً بالعدل والاستقامة ثم ظلم وجرار في الرعية واشتغل
بالولائم والملاهي عن الاحكام وترك تدبير المملكة بيد زوجته صوفية التي
احبت شابا يسمى طيبار يوس متصفاً بالذكاء والاراء السديدة فكانت تستشير
في جميع امورها ولا تعمل الا برأيه فطلبت من زوجها وحملته على ان يتبناه
وان يوحي له بالقيصرية بعده فاصدة ان تزوج به فاجابها الى سواها

وتبناه وعهد اليه المملكة وجعله مستشاراً وشريكاً معه في السلطنة .
وفي ايام جوستينوس المذكور هاجم شمالي ايطاليا قوم من اللونغوبارد
فتملكوها واستقلوا بها بعد ان طردوا منها حكام السلطنة ودعوا ايطاليا
اللومباردية . وكان ملك التتر الهبارة قد ارسل الى جوستينوس سفراء
لعقد معاهدة حبية بين الدولتين فوفض هذا الطلب واطهر التعاضم
والكبرياء ثم اتفق بعد ذلك مع ملك التركمان وتحالف معه على حرب
كسرى انوشروان ملك فارس بسبب منازعتها على بلاد ارمينيا . فقامت
الحرب بين جوستينوس وانوشروان واستمر القتال بين الدولتين الى موت
الملكين فانقطعت الحرب بموتها مدة . وكانت مدة حكم جوستينوس ثلاث
عشرة سنة

وقام بعده بالملك طيباريوس السالف ذكره . وعند جلوسه على
كرسي السلطنة اقام حرباً مع هرمز بن انوشروان وارسل اقتتاله قائداً
من خاص قواده يدعى موريس بثمانين الف فارس فحارب العجم وانتصر
عليهم في عدة مواقع . فكفأ الملك هذا القائد بالمواهب الجزيلة وزوجه
بابنته وعهد اليه الملك . وبعد موت طيباريوس تبوأ تحت السلطنة
موريس المقدم ذكره وفي ايامه حدثت ثورة في بلاد الفرس الزمت
هرمز بن انوشروان ان يفر من البلاد ويأتي اليه مستغيثاً به فترحب به
واكرمه وامده بالجيش واعاده الى كرسي العجم تحت اسم ابرويز خسرو
الثاني . ثم حوّل هذا الملك التفاته الى حرب التتر الهبارة الذين كانوا قد
اتوا من اسيا واتحدوا مع اللومبارديين وسكنوا بانونينا التي هي بلاد المجر
فارسل لقتالهم قائداً من قواده واصحبه بجيش عديد فانصر عليهم في
خمس وقائع . وكان ملك التتر قد اسر من عسكر الروم في تلك الحروب
اثني عشر الف فارس فاعرض على موريس افتدائه الاسرى المذكورين
وجعل على كل واحد دينار . واذ كان موريس موصوفاً بالبخل الذي لا

مزید عليه لم يقبل بذلك ثم راجعه ملك التتر وطلب منه نصف دينار فداء عن كل رأس فرفض سوا له وابي ان يعطيه شيئاً فاغتاظ ملك التتر من فرط بخله وذبح جميع امرى الروم فلما اشتهر هذا الامر نفرت طباع الناس من ملكهم وابعضوه وحقد عليه جميع الجند واظهروا عليه العصيان واقاموا مكانه رجلاً من رعاع الجند يدعى فوكاس فبايعوه بالسلطنة سنة ٦٠٢

وكان موريس وقتئذ بالقسطنطينية فلما بلغه هذا الخبر فر هارباً مع عائلته الى خلكيدون فارسل فوكاس في اثره فقبضوا عليه وجاءوا به اليه مقيداً مع اولاده وكانوا خمسة فامر بضرب اعناق الاولاد بمحضر ابينهم .
 وبينما كانوا يقتلونهم كان ابوم ينادي ويقول عادل انت يا الله وعادلة هي احكامك ولما انتهوا من قتلهم امر فوكاس بقتل موريس ابينهم فقتل .
 ومن اعمال هذا الملك الفظيعة انه عند جلوسه على تخت السلطنة اصدر امراً الى عامله بمصر يامره برفض جنس المصريين من الوظائف الميرية فحدث من جراء ذلك اضطراب وفتنة في الاسكندرية وكان اكثر اهل هذه الفتنة طائفة اليهود بالاسكندرية فحكم عليهم هذا الملك ان يتنصروا فتنصروا واعتمدوا رغباً عنهم

اما خسرو الثاني ملك الفرس الذي هو ابرويز بن هرمز فعند سماعه بقتل موريس الذي انقذه واعاده الى ملك ابيه اظهر الحزن والاسف وانتهز الفرصة لفتح باب الحرب مع الروم متخذاً ذلك حجةً وسبباً للانتقام من فوكاس فنهض واستخلص من ولايات الروم الشرقية عدة حصون وقلاع واتصلت غاراته الى بلاد سوريا وكان فوكاس قد سير جيشاً جراراً لقتاله فانكسر وتفرق

وكانت امة الروم قد نفرت من تصرف فوكاس واعماله القبيحة وندمت ووزراء السلطنة وباقي الامراء على مبايعته وصمموا على خلعه فكتب احدهم رسالة من طرف اكابرهم الى هيراكليوس والي افريقية

وهو المعروف عند مورخي العرب باسم هرقل ان يحضر لتخليص القسطنطينية من ايدي فوكاس . فلما وقف هيراكليوس على هذه الرسالة جهز عمارة عظيمة وشحنها بالمهمات والعساكر وارسل ابنه طليعة امامه ثم سار بنفسه الى القسطنطينية وعند وصوله اليها قبض الشعب على فوكاس واتوا به الى هيراكليوس وضربوا عنقه وعنق اخوته ومن يلوذ به وبابيعوا هيراكليوس في سنة ٦١٠ للمسيح وعمره ٣٥ سنة

وقد ذكرنا ان ابرويز خسرو ملك فارس كان قد تغلب على اكثر ولايات الروم الشرقية في زمن فوكاس فاستمر بافتتاح البلاد في ايام هيراكليوس ايضاً حتى استولى على انطاكية والقدس والاسكندرية ثم اتصلت معازيه الى ديار مصر وبلاد المغرب وصالح مصر على ان تدفع له مالاً معلوماً كما كانت تدفع لقيصرية الروم . ثم انه بعد هذه الانتصارات قصد بلاد الافاضل واستولى على بروسه الواقعة على بوغاز القسطنطينية واستعان هناك بقبائل التتر الهبارة وتعاهد معهم على ان يغيروا على بلاد الرومي فانغاروا على تلك الجهات ونهبوا المدائن والقرى واستمروا في غزوم حتى اقتربوا من اسوار القسطنطينية وانتشروا في تلك الاماكن . فكانت السلطنة الرومية يومئذ في ضيق شديد محاطة بعساكر الاعداء من جميع الجهات حتى لم يبق من مملكتها اذ ذاك الا مدينة القسطنطينية وبعض اقاليم على سواحل البحر . فلما اشتد الحال على هيراكليوس وائس من النصر لقلّة عدد العساكر وعدم وجود النقود الكافية لتعيين الجيوش صمم ان يسافر الى تونس وينقل مرير ملكه اليها لانها كانت من جملة ولاياته الغربية . فصدّه عن ذلك بطرك القسطنطينية وفتح خزائن الكنيسة وامدّه بما يلزم من الاموال لتعيين الجنود والابطال فصالح التتر المذكورين ورفع عنه اثقالم تحت مبلغ معلوم من المال ثم انه عين جيشاً عرمرماً وزحف بنفسه لقتال الفرس وعند وصوله الى كيليكية

نصب خيامه في ايسوس حيث انتصر اسكندر على داريوس فوافته جنود
 الفرس الى هناك فانتصر عليهم بعد قتال شديد ثم رجع الى القسطنطينية
 ظافراً منصوراً. وكانت عساكر الفرس بعد هذه الهزيمة لا تزال تشن
 الغارة عند وقوع الفرص على تملكات الروم الشرقية وتثير الفتن وتلقي
 الفساد في اطراف تلك البلاد فنهض هيراكليوس ثانية لصددهم وردعهم
 فعبر البحر الاسود وقطع جبال ارمينية وكان قد اتحد مع التركان على
 قتال الفرس فامدوهم بجانب من الجند ثم قصد بلاد العجم وعند وصوله
 الى نينوى وقع بينه وبينهم قتال هائل انتصر فيه جنده على الفرس
 انتصاراً عظيماً. واتفق بعد ذلك بايام قليلة ان شيرويه وثب على ابيه
 ابرويز خسرو ملك فارس فقتله وجلس مكانه وعقد صلحاً مع هيراكليوس
 بعد ان رد له جميع الولايات التي كان قد افتتحها ابوه من الروم فانسحب
 هيراكليوس بعد ذلك من حربه وارتمد راجعاً الى بلاده بالغز والنصر
 ولكن لم تكن او اواخر ايام هيراكليوس كواسطها فانه بعد رجوعه الى
 القسطنطينية اعمل ادارة الاحكام وانهمك في مجادلات دينية من جهة
 لاهوت المسيح. وفي اثناء ذلك افتتحت المسلمون في ايام خلافة ابي بكر
 مدينة القدس ودمشق الشام واستولت على جانب كبير من سوريا.
 وكانت مدة حكمه احدى وثلاثين سنة. وكان نائبه على مصر المقوقس
 الذي حاربه عمرو بن العاص في ايام خلافة عمر بن الخطاب وافتتح
 منه البلاد

ومنذ موت هيراكليوس الى قيام جوستينيان الثاني سنة ٦٨٥ لم
 يحدث شي يستحق الذكر سوى مهاجمة المسلمين القسطنطينية مراراً
 عديدة ورجوعهم عنها بالقتل والخبيثة. وكان جوستينيان المذكور عنيداً
 قاسياً عديم الشفقة مضطرباً في جميع احواله فمقتته الشعب وقواد الجنود
 فغلقوه عن الكرسي وخلفه ليونتيوس ثم طيباريوس الى سنة ٧٠٥. وكان

طيار يوس نظير جوستينيان السالف الذكر فخلعه الشعب عن الكرسي فسار الى بلغاريا وهناك جمع عسكراً ثم رجع كاراً الى القسطنطينية لاسترجاع تاج الملك فدخلها واغضب الكرسي فهرباً وبقي ملكاً مدة ست سنوات ثم قام عليه الشعب وقتله

وسنة ٧١٦ تبوأ مرير السلطنة ليو الثالث وكان اصله من ايسوريا وهي مقاطعة صغيرة في اسيا الصغرى وهو من نسب حقير الا انه كان حاذقاً نجيباً مربع الادراك الامور البعيدة فارتقى بهذه الواسطة الى رتبة سامية في العسكرية ثم تسمى بعد ذلك قيصر واستبد بالسلطنة الى سنة ٧٤١ وفي ايامه افتتح باب الجرال بين الكنيستين الشرقية والغربية من جهة عبادة الصور ووقع بينهما الاختلاف والنزاع في شأن هذه المسئلة حتى انتهى بهما الامر الى الانقسام وفي ايامه ايضاً خسرت الروم جميع مملكتها في ايطاليا

وكان بعد موت ليو الرابع ان زوجته ايرينا تبوأت كرسي السلطنة بالنيابة عن ولدها قسطنطين السادس الذي كان يومئذ صغير السن فلما بلغ ابنها اشدّه نزع الملك من يدها وقبض على زمام السلطنة فحسدته واضمرت له الشرطمة بالملك ثم احتالت عليه فاعدمته بصره واستبدت باحكام السلطنة نحو خمس سنين وهي التي اعادت عبادة الصور الى الكنيسة الشرقية سنة ٨٠١ ارسلت كتاباً الى شارلمان ملك فرنسا تعرض عليه ان يتزوج بها ويضم السلطنتين الى سلطنة واحدة كما كانتا سابقاً فقام عليها قهرمانها نيسيفوروس واستخلص منها كرسي السلطنة وجلس مكانها بعد ما نفاها الى جزيرة ليسبوس حيث قضت هناك سنة كاملة في احتياج وضيق شديد وبقي نيسيفوروس المذكور ملكاً الى ان قتله كرومنوس ملك البلغار سنة ٨١١ وفي ايامه غزا المسلمون اسيا الصغرى وقهروا الروم سيفه املاكهم الشرقية وضربوا عليهم الاموال ثم

خلف نيسيفوروس ميخائيل الاول سنة ٨١١ وكان قد حارب كروموس ملك البلغار ليأخذ بثار سالفه نيسيفوروس فانكسر وانهمزت جيوشه والتزم ان يهرب ويلتجى الي بعض الاديرة . ثم خلفه ليو الخامس سنة ٨١٣ وهو ارمني الاصل وكان بطلاً هاماً ذا صولة وهيبة وعند جلوسه على كرسي السلطنة جهز العساكر والجنود وسار بنفسه لحرب البلغار بين فانتصر عليهم وقهرهم وقتل منهم عدداً كثيراً . ثم خلفه ميخائيل الثاني سنة ٨٢٠ ثم ثيوفيلوس قليل الحظ سنة ٨٢٩ . ثم ميخائيل الثالث سنة ٨٤٢ وهو اخر ملك تولى من ذرية هيراكليوس وكان طفلاً صغيراً فكانت امه ثيودورا تحكم عنه بالثيابة وكان لها اخ يدعى برداس كان قد اقيم وصياً على الولد في حياة ابيه فاخذ الطمع في تاج الملك ووجه افكاره الى الحصول عليه فطنق يستعمل الوسائط اللازمة لنوال المرغوب واذ نجح في مقاصده طرد ثيودورا من القصر الملكي غير مبال بال معروف الذي كان قد ناله من يدها وتصرف بالملك مدة ٢٤ سنة . وكان برداس المذكور محباً للعلوم والفنون وهو الذي اقام فوتيوس الشهير بطرياقاً على القسطنطينية سنة ٨٥٨ . ولكن لما بلغ ميخائيل سن الكمال نفر من برداس لاختلاسه الملك فعمل على قتله بواسطة تابعه باسيل واستبد بالاحكام الى سنة ٨٦٧ وكانت الحروب يومئذ متصلة بينه وبين المسلمين في خلافة المتوكل بالله واخيراً مات قتلاً من يد باسيل

ثم قام بعد ميخائيل الثالث باسيل المعروف بالمكدوني سنة ٨٧٦ وهو اول سلاطين الدولة المكدونية وكان اصل هذا الامبراطور من عائلة فقيرة وسائساً عند سائفه ميخائيل الثالث ماهراً جداً في تربية الخيل . فاجبه ميخائيل ومال اليه لقتله برداس واشركه معه بالاحكام واذ كان هذا الامبراطور موصوفاً بالفراسة والذكاء ومحباً لانتشار المعارف لم يمتثل اطوار ميخائيل الفظة وقساوته الشنيعة فعمل على قتله واستبدل بالاحكام

الى سنة ٨٨٦ واعاد للسلطنة جانباً من عزمها وشرقها الاولين باستخلاصه
 كريت والصقليتين ثم باصلاح نظمات وشرائع البلاد وتحسينها وتقويتها
 بحيث صارت تستطيع ان تفتح حروباً وتقاوم مهاجمات العرب وقبائل
 اوربا . ولهذا الامبراطور تاليف يعرف بفرن الاحكام كتبه لابنه ليوطيخ
 في باريز سنة ١٥٨٣ وترجم اللغة الفرناوية سنة ١٥٩٠ وله ايضاً مجموع
 للشرائع في ٦٠ مجلداً تعرف بالباسيلية ابتدا فيها باسيل واكملها ابنه وهي
 مطبوعة ايضاً في باريز حديثاً . واستمرت الاحكام في ايدي سلاطين
 العائلة المكدونية الى سنة ١٠٥٦ ليلاد ومن اشهر سلاطينها واعظهم
 نيسيفوروس فوكس ويوحنا زمبسيس فكانت البلاد في ايامها نامية
 وزاهية وكان يوحنا زمبسيس قد حارب المسكوب عند غارتهم على
 القسطنطينية فانتصر عليهم وقهرهم . ثم زحف الى سوريا فاستخلص اولاً
 جزيرة قبرس ثم مدينة انطاكية من ايدي المسلمين وبعد ان ارجف
 بغاراته قلوب اهل تلك البلاد زحف بالعساكر وقطع نهر الفرات وافتتح
 مدائن وحصوناً كثيرة في تلك الجهات . ولكن بعد موت هذا السلطان
 الشهير تبوأ سرير الملك عدة ملوك خاملي الذكر ضربنا عنهم صفحاً وكان
 اخرهم ميخائيل السادس فكانت المملكة في ايامه في حالة السقوط والضعف
 ولما رأى الروم ضعف ملوكهم وسقوط دولتهم بايعوا اسحق كومنينوس
 بالسلطنة سنة ١٠٥٦ وكان المذكور من عائلة معتبرة من عيال الرومانيين
 فاستبد بالاحكام نحو سنتين ثم تنازل بسبب مرض اعتراه . ومن خلفائه
 اليكسيوس كومنينوس جلس سنة ١٠٨١ وكانت البلاد في ايامه في
 اضطراب وخطر عظيم من مهاجمات الاتراك واستخلاصهم الولايات
 الشرقية ومن تهديدات النورمانيين واقدمهم على القسطنطينية تحت
 رياسة روبرت غيسكار بعد ما كانوا استولوا على جميع مملكات الروم في
 ايطاليا . فنهض اليكسيوس بالجيش للدفاع والمحاماة عن بلاده من سطوة

الاعداء والتي بالنورمنديين الذين كانوا يومئذ محاصرين مدينة دوراتسو
 فقاتلهم وانهزم من امامهم بعد وقائع هائلة. ثم تجددت تلك الحروب ثانية
 بين الفريقين بجزيرة كورفو فكانت الدائرة على اليكسيوس .
 واتفق في ذلك الوقت موت روبرت غيسكار فانسحب النورمانديون عن
 الحرب بموت ملكهم وارتدوا راجعين الى بلادهم وكان ذلك سبباً لنجاة
 السلطنة الرومية وخلصها من ايدي المغنصبين . وكان لاليكسيوس
 الذي نحن في صدده ابنة يقال لها حنة كومينا ذات عقل وادب وذكاء
 مفطرط وكانت من احسن نساء عصرها وانجبهن . واعظم من اشتهر من
 جنس النساء في فن التاريخ . واشتهر اليكسيوس هذا في صحف التاريخ
 بخيائه للصليبيين ومقاومته لهم سراً فكان يدعوهم في اول الامر من
 اوربا ويعدم بالمساعدة على اعدائهم ليضعف بواسطتهم قوة الاتراك
 السلجوقيين الذين كانوا يهددونهم بالحروب والغارات ثم عند انتصاراتهم
 يعمل على ضررهم . وكان جل قصده بهذه التدابير السياسية تهيج ممالك
 اوربا وتشغيل افكار شعوبها بتجهيز الرجال وجمع الاموال لمحاربة سوريا
 وفلسطين ليوقى سلطنته من مغازي طوائف الافرنج التي كانت طالما
 تشتاق الى فتح تلك البلاد طمعاً باكتساب غناها . وقد جاءه الامر طبق
 مراده فانه بسبب حروب الاتراك مع الصليبيين انتهاز الفرصة فاستخلص
 عدة مدائن وجزائر كان المسلمون قد استفتحوها منه وجعل البلاد ان
 تكون في امن وسلام ليس فقط في ايامه بل ومن بعده ايضاً زمناً طويلاً
 ومن ملوك هذه الدولة اسحق انجيليوس حكم من سنة ١١٨٥ الى
 سنة ١١٩٥ وفي ايامه استقلت بلاد البلغار بعد حروب هائلة واخذت
 جزيرة قبرس ويعدت كريت الى فينيس ثم اظهر العصيان عليه اخوه
 اليكسيوس انجيليوس فانزلته عن الكرسي وسجنه بعد ما قلع عينيه وجلس
 مكانه . فهرب ابن اسحق المذكور وكان اسمه اليكسيوس ايضاً الى مدينة

رومية واستغاث بالبابا انزست الثالث في اعادة ملك ابيه اليه . وكان وقتئذ مجتمعاً في مدينة فيديس جمهوراً غفيراً من عظماء اوربا واثرافها بقصد ارسال تجرودة صليبية رابعة الى فلسطين فارسل البابا اليهم اليكسيوس واضمحبه بتوصية قوية لمحج عليهم فيها ان يتقدوه من تعدي عمه وظلمه . فاجابوه الى ذلك وارسلوا معه جماعة من الحجاج القاصدين زيارة الاراضي المقدسة مع عشرين الفا من القنيسيين الى القسطنطينية وعند وصولهم الى المدينة حاصروها بعد ان احرقوا عمارة الروم المحافظة عليها . ولما اشتد الحال على اليكسيوس انجيليوس هرب سرّاً خوفاً من القتل فعند ذلك حلت الاهالي ملكها الاول اسحق من الاعتقال ونادت باسم ابنه اليكسيوس وفتحت ابواب المدينة الى اللاتينيين فدخلوها على سبيل الضيافة . وكان لما وعد البابا اليكسيوس بالمساعدة على هذه الكيفية اخذ منه وعداً بانه عند نهاية الامر ونوال المرغوب يجعل السلطنة الشرقية ان تكون خاضعة لاحكام الباباوات وقوانينهم وانه يكون مساعداً في جميع الحروب الصليبية وان يعطي منقذيه تضميناً كافياً مقابلة لاتعابهم . فاستعظم الروم هذه الشروط ورفضوها ولاسيما انهم تقروا من خدش استقلالية كنيستهم . فاجتمع جمهور اعيانهم وطلبوا من المجلس العالي ان يعزل لهم اليكسيوس بن اسحق المذكور و ينتخب لهم امبراطوراً آخر يكون اكثر لياقةً لذلك المنصب السامي . فلبى المجلس مرغوبهم واجلبهم الى مطلوبهم واقام لهم اليكسيوس دو كاس الملقب مازوفلوس ملكاً وعند جلوسه على سرير السلطنة قبض على اليكسيوس بن اسحق وقتله واما ابوه فمات بعد ذلك في شيخوخة محزنة

واذ لم يف مازوفلوس بوعد سالفه اليكسيوس الذي تعهد به للبابا نهض اللاتينيون وحاصروا المدينة وتملكوها ونهبوها وهدموا قصورها وابنيتها المستظرفة واقاموا عليها قائدهم بودوين امبراطوراً وبقي ملكاً الى

ان مات قتيلاً في وقعة حدثت بينه وبين اهالي ثراكيا واستمر حكم
اللاتين على السلطنة الشرقية من سنة ١٢٠٦ الى ١٢٦١ وكانت حروب
الروم في اثناء هذه المدة متصلة دائمة مع اللاتين طمعاً باستخلاص العاصمة
من ايديهم . وفي غضون ذلك استت امة الروم مملكتين روميتين احدهما
في نيقية سنة ١٢٢٢ وملكها ثيودور لاسكاريس والثانية في طرابزون
وملكها اليكسيوس كومنينوس فكانتا في نمو عظيم يوماً بعد يوم بينما كانت
سلطة اللاتينيين في القسطنطينية في هبوط وسقوط . وفي سنة ١٢٦٠ اذ
كان ميخائيل باليولوغوس ملكاً على نيقية نهض مع صاحبه يوحنا
لاسكاريس وهاجما القسطنطينية في زمن سلطانها بودوين الثاني
فاستخلصها من ايدي اللاتين واعاد اليها تحت السلطنة كما كانت في
سالف الازمنة وجلس على سريرها ميخائيل باليولوغوس السالف الذكر
وكان يوحنا لاسكاريس الذي اعانه واشترك معه على استخلاصها
وتحريرها منتظراً الخلافة بعده . فعامله باليولوغوس بقساوة وحشية اذ
قلع عينيه ونفاه من اقطار السلطنة . فخرمه البطريرك ارسانيوس على
هذا الفعل القبيح واستمر باليولوغوس ملكاً الى ان توفي سنة ١٢٨٠ فقام
مكانه ابنه اندرونيكوس وفي ايامه اغار على السلطنة طوائف من
الاسبانوليين فلم يتمكنوا منها وكانت البلاد يومئذ في قلق واضطراب
بسبب ثورات داخلية

وسنة ١٣٥٥ تبوأ سرير السلطنة يوحنا باليولوغوس وكانت مدة
حكمه نحو ٣٦ سنة وكان ملكاً ظالماً قاسي القلب قبيح السيرة ومن جملة
قبائح انه قلع عين ابنه الاكبر اندرونيكوس وحفيده يوحنا وبمجهما
وسمى مانويل ابنه الثاني وريثاً له . فهاج الشعب من هذا الصنيع الشنيع
واجتمع اعيانهم فاخرجوا الاعميين من السجن واعادوها رغماً الى كرمي
المملكة . فالتزم باليولوغوس ان يهرب مع ابنه مانويل وسبب ذلك وقع

تجزبات وانقسامات بين الاهالي الجأتهم الى ان يشهروا السلاح بعضهم على البعض واخيراً اتفقوا على ان يقسموا السلطنة الى قسمين فخصوا مدينة القسطنطينية لباليولوغوس وابنه مانويل وضموا باقي البلاد الى حدود القسطنطينية الاميرين الضريرين

وفي سنة ١٢٩٥ اغار على القسطنطينية السلطان بايزيد من آل عثمان وتهدد ملكها بالخراب فعقد معه صلحاً تحت مال معلوم يدفعه له فانسحب عنه ثم هاجمها ثانية سنة ١٣٩٩ تحت حجة الاخذ بشار يوحنا الاعمى فحاصرها وضيق عليها فالتمز مانويل ان يهرب الى فرنسا يطلب الامداد والتجدة فلم يجده احد . وافق في اثناء ذلك ظهور تيمورلنك واغارته على الولايات العثمانية فاخطر السلطان بايزيد ان يرحل عن القسطنطينية خوفاً من سطوة تيمور على بلاده ففكر راجعاً وحاربه بقرب مدينة انقره فانهمزت جيوشه وقتل هو في تلك الموقعة . وقام مكانه محمد الاول فاستولى على بلاد البشناق والفالخ ثم جلس بعده السلطان مراد صاحب الوفائع المشهورة مع الدول الافرنجية ولاسيا في موقعة فارنا . ثم صعد بعده على سرير الملك السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح وكان من الشجعان الموصوفين ولم يكن دابة الا الغزو والجهاد وافتتاح البلاد وكان قد صمم النية على استخلاص القسطنطينية والاستيلاء على السلطنة الشرقية فجهز العساكر والجنود وعقد الرايات والبنود وزحف اليها بثلاث مئة الف مقاتل في زمن ملكها قسطنطين الذي هو آخر سلاطينها فحاصرها برماً وبحراً الى ان افتتحها قوة وقهراً في اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ١٤٥٣ وصارت من ذلك اليوم كرسي سلطنة دولة آل عثمان . وقد مر استيفاه الكلام على حصارها وافتتاحها في تاريخ الدولة العثمانية ومن ذلك الوقت انقرضت السلطنة الشرقية وهكذا بالتدرج فقدت جميع مملكتها وولاياتها فان اثينا سقطت سنة ١٤٥٦ ثم مولدانيا

وبلادهم السرب وطرايزون والباينا ثم بلاد القرم وغيرها من المدائن
الاوربية التي قد مر ذكرها في الكلام عن تاريخ آل عثمان فسبحان
من يغير ولا يتغير

الفصل السادس

في مملكة اسبانيا

الباب الاول

في جغرافية هذه البلاد

ان مملكة اسبانيا هي شبه جزيرة وتحسب من الممالك الشهيرة نظراً
لوضعها وقدميتها ومحاصيلها . اما هواؤها فيجيد لا يتسلط فيها البرد الشديد
كباقي البلاد الشمالية . وفيها كثير من الجبال المصخرة المرتفعة واودية
مستظرفة مبهجة الى الغاية . اما حدودها فللشمال الشرقي فرنسا يفصلها
سلسلة جبال البيرانيز اي جبال البرن وللشمال الغربي الاوقيانوس
الاتلانتيكي وخليج يسكي وغرباً البورتوغال وجنوباً البحر المتوسط وبوغاز
جبل طارق الفاصل بينها وبين افريقية وشرقاً البحر المتوسط ايضاً . ومن
جملة ما ينبت في هذه البلاد القمح وغيره من الحبوب والنباتات والبقول
وانواع من الاثمار والفواكه كالرمان والتين والليمون واللوز خصوصاً العنب

الذي يستخرجون منه الخمر الجيدة . ويوجد فيها من احسن اجناس الخيل
ولا سيما الغنم المسماة مروية وهي ذات اصواف عظيمة رقيقة يصنعون منها
الثالات النفيسة والاقمشة الثمينة . وبها ايضاً غسل النحل والحرير والقرمز
وغير ذلك

اما سكانها فيبلغ عددهم سبعة عشر مليوناً عدا سكان املاكها
الخارجية . واكثر اهلها في حالة الغباوة ويمتازون بصلابة الراي . والنقر
بينهم كثير من جراء حروبهم الداخلية التي تكاد تكون متواصلة ولكن
مع ذلك يوجد فيهم الانس واللفظ وهم يحبون الملاهي والمسرات
وعاصمة هذه المملكة مدينة مدريد وهي من المدن الظريفة تحوي
على ٢٧٥ الفاً من السكان يحيطها سور كبير وازقتها عريضة ونظيفة
وفيهما من الابنية والمعامل والمدارس والمكاتب ما يكفي لان يجعلها بين
صفوف مدائن الرتبة الاولى وكانت في زمن تملك الرومانيين قرية
حقيرة ولما افتتحها المغاربة سنة ١١٠٩ اقاموا فيها الحصون والابراج
واطلقوا عليها اسم مدريد . وسنة ١٤٠٠ اعنتي بتحصينها وتكبيرها الملك
هنري الثالث ولكنها لم تصر عاصمة المملكة الا سنة ١٥٦٣ في ايام فيليب
الثاني

ولهذه المملكة تملكات خارجية يبلغ عدد اهلها نحو ستة ملايين
ونصف منها جزيرة كوبا الشهيرة وجزيرة بورتوريكو في اميركا وهي التي
اكتشفها كريستوفورس كولمبوس سنة ١٤٩٢ ومن ذلك الوقت صارت
من تملكات الاسبانويين ولكنها دخلت في ايدي الانكليز مدة قصيرة
ثم ارجعتها لاصحابها والمرجح بانها لا تبقى تابعة اسبانيا زمناً طويلاً وسيصيرها
ما اصاب باقي تملكاتنا في اميركا . ومنها ارخبيل الفيليبين بين جزائر
الاقويانوس

وفي هذه المملكة قصور وكنائس وابنية فاخرة من اعجب ما يوجد في

العالم اقامها العرب في زمن تملكهم تلك البلاد . اما الديانة الغالبة فهي
اللاتينية

الباب الثاني

في تاريخ اسبانيا منذ منشاءها الى ظهور فردينند وايزابلا
في القرن الخامس عشر للميلاد

ان اول من دخل اسبانيا الفينيقيون بقصد التجارة لكثرة معادنها
وغلاتها فكانوا يبيعون لاهلها محصولات بلادهم ويجلبون منهم الذهب
والفضة . وكثرة ترددهم اليها بنوا عند مضيق جبل طارق عمودين كبيرين
وها المعروفان بعمودي هرقل فكانا علامة حد لاسفارهم اذ لم يتجرأوا
وقتشد على الدخول الى المحيط التاسع . ثم بعد الفينيقيين دخل اليونان الى
اسبانيا وبنوا فيها عدة مدائن . ثم دخل بعدهم القرطاجنيون وملكوها
ولكنهم لم يلبثوا زمناً طويلاً حتى استخلصها الرومانيون من ايديهم سنة
١٣٤ ق م وبقيت في حكمهم الى سنة ٤٠٦ للميلاد حين اتى قوم من
برابرة شمالي اوربا يدعون سوافيين وهم قبائل مختلفة من شعوب جرمانيا
كالكيشيين والفنداليين الذين باسمهم تسمت البلاد انديلوسيا اسم
الاندلس واستولوا عليها . فسكن بعض هذه القبائل فيها مدة قصيرة ثم
رحلوا عنها وبعضهم اقاموا فيها اكثر من مئة سنة . وفي اثناء ذلك اتى
قوم من نواحي الدينبارك واسوج نروج سنة ٤٧١ للميلاد يدعون بانغووثيين
فدخلوا الى اسبانيا وتغلبوا عليها واستولوا على قسم من فرنسا ايضاً . وكان
اليونانيون يترددون كثيراً على اسبانيا حتى صار لهم جملة مراكز على

الشواطئ البحرية في زمن الملك جوستينيانوس فنهض الغوثيون لمقاومتهم
 سنة ٦٢١ واهدوهم عن تلك الجهات واستقلوا في البلاد بدون معارض
 ولا منازع وكانت مدة اقامتهم فيها ٢٠٠ سنة . وكان آخر ملوكهم
 رودريك الذي في ايامه هاجمت المسلمون البلاد واستملكوها كما تقدم
 القول في اخبار العرب ما عدا اراضي استوربا التي على الشاطئ الشمالي
 واذ كان لكل امر سبب لا بأس من ذكر الاسباب التي هيأت الطريق
 لدخول المسلمين الى اسبانيا فنقول ان رئيس قبيلة الغوث المسمى اورك
 كان قد نظم لاسبانيا قوانين جديدة وتنظييات مفيدة ارتقى بسببها الى
 درجة سامية عند الاهالي فاقاموه عليها ملكاً . ثم تنصر الغوثيون في ايام
 الملك ريكارد الاول واختلطوا بالامة اللاتينية والامة الاسبانيولية
 الاصلية فصاروا جميعاً امة واحدة اسبانيولية . وكان الغوثيون يقيمون
 ملوكهم بالانتخاب فكان ذلك مصدراً للنزاع والتخربات والحروب الاهلية
 فاتفق في اواخر القرن السابع ان ملكاً من هولاء القوم يقال له فيتيتر
 وقع بينه وبين دوك كردوفا نزاع فاستطال على الدوك المذكور وقلع
 عينيه فنهض ابن الدوك للانتقام من الملك والاخذ بثرايه وكان
 اسمه رودريك والعرب يسمونه لزريق وقاتل الملك فيتيتر وانتصر عليه
 واغتصب منه تاج المملكة سنة ٧١٠ للميلاد . حينئذ ذهب اولاد الملك
 المتخلع مع باقي اقاربهم الى بلاد المغرب والتجأوا الى موسى بن نصير
 العامل من طرف الوليد بن عبد الملك وطلبوا منه ان يقيم حرباً على
 الاندلس وينتقم من ملكها رودريك فكتب موسى الى الوليد يستأذنه
 بذلك فاذن له . فارسل موسى جيشاً جراراً تحت قيادة طارق بن زياد
 فانفتح البلاد شيئاً بعد شيء وكان الاسبانيوليون يفرون من امامهم
 منزهين حتى انحصروا اخيراً في اراضي استوربا الوعرة الكائنة على الشاطئ
 الشمالي واستوطنوا بها لكونها صعبة المراتي لا يمكن الوصول اليها وكانت

فلوهم مع ذلك مملوءة خوفاً ورعباً من سطوة اعدائهم المسلمين . فذه
العيشة المتعبة مع ما تبعها من الاحتياجات والصعوبات صلّدت قلوبهم
وجعلتهم قوماً ذوي اقدام وبطش لا يباليون بالاحوال والمصائب ولا
يرهبون حادئات الدهر

اما المسلمون تحت حكم الخلفاء الامويين فكانوا ممتعين بالراحة
والسكينة لا فلاقل بينهم تزعمهم فنشأت بينهم العلوم والمعارف وازهرت
وانت باثمار لم يأت بها غيرهم من اقوام تلك الاعصار فانهم اتقوا فن
الزراعة وعلم البحر والتجارة وغير ذلك بينما كان سكان باقي اوربا غائضين
في لجة بخر الجهالة والغباوة لا يعرفون شيئاً من الفنون والعلوم . وقد ترجم
افرس بن رشد الكردوثي كتاب ارسطاطاليس فقريء الكتاب في
مدارس كردوفا وفي افر يقية بين المراكشيين وانصبوا على درسه وعتدوه
قسماً من العلوم الرياضية لما فيه من الحكم والبراعة . وزها في مدارس
المسلمين ايضاً علم الجبر والحساب وانصبت الطلبة على العلم من كل نادر
وتنافسوا به . اما الافرنج فلم يكن منهم من يعرف ما هي الحروف المحيائية
حتى ولا اشرافهم ايضاً . ولما راس المسلمون حالم في عزه وانهمسكوا
في التمتع واللذات وانعكوا على ممارسة الفنون فاكسبهم ذلك الرخاوة
ونخافة الجسم واضعف جانباً من قواهم العسكرية وحميتهم الحربية ثم
انتشبت بينهم خصومات وقلقل فعند ذلك اغنم الاستوربون الفرصة
وانسحبوا من شمالي البلاد خلقاً كثيراً واندفعوا على املاك المسلمين
وامتلكوها مدينة بعد مدينة ومقاطعة بعد اخرى الى ان استولوا على القسم
الاكبر منها . وسنة ١٢٨٢ هاجم المسلمين قوم الكاستيليين بجيش جرار
تحت قيادة الفونسو السادس وفريدر يكو دي ييفار الملقب بسيد كامبيادور
وكان بطلاً شجاعاً فوصلوا الى مدينة طوليدو اسي طليطلة التي على نهر
تاغوس وامتلكوها بعد حصار ثلاث سنوات . فلما راى المسلمون ما حل

بهم استنجدوا اخوتهم المراكشيين فبادروا لمساعدتهم وقاوموا الاسبانويولين
اشد مقاومة فكسروهم كسرة هائلة في الزلقة . وكان قائداً على قوم
المراكشيين رجل اسمه يوسف واذا رأى ان النصر جاءه على يده
اخذه الطمع في الجلوس على تخت الخلافة الاندلسية فنجح في مساعيه
وارتقى الى تلك الرتبة الرفيعة فكان راس دولة المرابدين

ومن ذلك الوقت لم تنقطع الحروب بين الاسبانويولين والمغاربة
وكان النصر متردداً بين الفريقين الى ان انتصر الاسبانويولون اخيراً سنة
١٤٥٠ على اعدائهم فاقاموهم من البلاد التي انتشروا فيها وحصروهم في
مملكة غرناطة التي كان المسلمون قد اسسوها منذ سنة ١٢٨٢ . وكانت
هذه المملكة كثيرة المان والسكان واهلها من ذوي الغنى والمقدرة .
وعاصمتها تدعى غرناطة ايضاً وكانت مزينة بالابنية الجميلة المزخرفة التي
تذهل الناظرين . ومن محاسن ابنتها الحمراء وهو قصر فاق زهاء مائة
على جميع قصور العالم ولم تزل آثاره الى الان

ومع ان الاسبانويولين استولوا على اقسام كبرى في البلاد كانت
املاكهم غير منضمة بعضها الى بعض بل منقسمة الى عدة ممالك صغيرة
مستقلة وكانت الحروب بينهم متواصلة والخسومات دائمة غير طالبين ان
هذا الانشقاق يكون وبالاً وتهلكة لهم ولصنفته وقع اخيراً الامتزاج
والالفة بين تلك الممالك واتحد اهلها بعضهم مع بعض وكان اشهرهن
واعظمن مملكة كاستيل المشتعلة على استور يا فضتها الملك فردينند سنة
١٢٣٠ مع ولاية ليون وصيرها مملكة واحدة ثم اغتصب من المراكشيين
مدينة كروفا واشبيلية وكذلك جسم الاول الاراغوني احد ملوك ذلك
العصر تغلب على بعض الجزائر وعلى مملكتي فالنسيا وموريكا . كما ان
الفونسو الحادي عشر من كاستيل استظهر على الجزائر سنة ١٣٠٩ فبذلك
صارت المملكة الاسبانوية ذات شوكة وعظمة

وبعد موت الفونسو هذا خلفه ابنه بطرس الاول وكان ملكاً ظالماً بهذا المقدار حتى انه قام على امراته الملكة بلانش البوربونيه وقتلها ثم جار على اخيه هنري بالظلم والعدوان حتى الزمه ان يعاديه ويقصد ضرره . فذهب هنري الى كارلوس الخامس ملك فرنسا واستجار به فاجاره لانه كان يريد ان يتتقم من بطرس لقتله بلانش وانجده بجيش من العساكر الفرنسيه فحاربوا بطرس وخلعوه عن سرير ملكه . ففر هارباً واستجار بادورد الملقب بالامير الاسود وكان يومئذ متولياً اماره الانكليز في اكييتين من اعمال فرنسا . فاجاره مراعاة لقوانين الشرف واراد ان يخضع له من اعدائه ففرج في قوم من جنده الى اسبانيا ويطش بالفرنساويين والكاستيليين وكسره كسرة هائلة واخذ قائدهم اسيراً وارجع بطرس الاول الى سرير ملكه . ولكنه بحال رجوعه رجع بطرس الى ما كان عليه من السيئات والمظالم فاهمله الامير الاسود ولم يشأ ان يساعده بعد . وكان شارل الخامس قد افتدى قائد جيشه الذي امره الامير الاسود فارجه اذ ذاك لنجدة هنري فحارب كلاهما بطرس الاول واستظها عليه في وقعة عظيمة وبعد ان قبضا عليه وقتلاه صعد هنري على تخت المملكة سنة ١٣٦٩ تحت اسم هنري الثاني وظهر من نسله عدة ملوك حكموا مملكتي كاستيل واراغون الى اواسط القرن الخامس عشر

وكانت اسبانيا وقتئذ منقسمة الى قسمين كبيرين الاول مملكة الغاربية في غرناطة والثاني المالك الاربع المسيحية التي كان لكلٍ منهم ملك مستقل . فالمملكة الاولى كاستيل وتمتد من بحر يسكي الى البحر المتوسط . الثانية مملكة اراغون وتتضمن نفس اراغون وباقي الولايات التي بينها وبين البحر المتوسط . الثالثة مملكة البورتوغال او بوزنتانيا القديمة وكانت قبل ذلك العصر بيد المسلمين زماناً الى ان اتاها الفونسو واستظهر

على اهلها في واقعة كبيرة واخذ مدينة ليسبون واستولى على اربع ولايات
منها فصارت مملكة اسبانيولية سنة ١١٣٩ والمملكة الرابعة كانت مقاطعة
بيريني النافارية

الباب الثالث

في اخبار الملك فردينند والمملكة ايزابله التفتيش الديني
الذي حصل في ايامهما وخروج المسلمين من اسبانيا
وحوادث اخرى الى سنة ١٨٧٤

ولما استوى حال اسبانيا واعتصبت ممالكها بعضها مع بعض حصلت
البلاد في غنى ونجاح لاسيا بواسطة نظاماتها المستحسنة التي اوجدت فيها
الراحة والسلم فكانت في تقدم بينما كانت شوكة المسلمين في انحطاط. وما
زاد اسبانيا سطوة انضمام انسابها الى مملكتين قويتين وهما مملكة كستيلة
ومملكة اراغون اللتان انحصرتا فيما بعد في عائلة واحدة بتزوج فردينند
ملك اراغون بايزابله ملكة كستيلة سنة ١٥٦٩. فلما اقرن هذان الشخصان
اتفقا على ضم الممالك الاسبانيولية الى واحدة وطردها المغاربة من غرناطة
وغير ذلك من الامور مما سيأتي ذكره

وكانت ايزابله هذه على جانب عظيم من الخدافة في الآداب والمعارف
رفيقة الطبع انيسة لطيفة مستقيمة الراي ذات اقدام في الامور وكان لها من
العمر يومئذ ثمانى عشرة سنة وهي ذات جمال باهر يذهل الناظر وقد طلبها
كثيرون من ذوي الغنى والرفعة فأبت الى ان خطبها فردينند ملك
اراغون وتزوجها وبذلك صارت مملكتنا اراغون وكاستيل مملكة واحدة

من اقوى ممالك الدنيا واعظمها. الا ان ايزابله كانت متولية زمام مملكتها كاستيل لانها كانت قد اشترطت على زوجها فردينند بان يقي حكم المملكة المذكورة بيدها. فافرغت هذه الملكة الجليلة كل جهدها في ترقية اسباب نجاح مملكتها ولاجل تنكيس سطوة الاشراف وكبر بائهم قوت واحيت جمعية الاخوية المقدسة المعروفة بسانتا هرمندا التي تشكلت منذ القرن الثالث عشر لاجل الغاية المذكورة وسلمت اعضاءها زمام ضبط البلاد. فكانوا يحكمون ويعدلون بين الشعب ويقاصون المذنبين ويعاقبون ساليي الراحة العمومية بدون نظر الى رتبهم ومقاماتهم. فتقوى العدل في اقرب وقت واطمان الاهالي وعادت تلك الجمعية بالضرر على الاشراف. فتشكوا منها للملك والمملكة وطلبوا محوها فلم تستجب طلبتهم بل بالعكس لما رأى فردينند المنافع الصادرة عن الجمعية المذكورة سعى في ثقتها وبذل جهده في حمايتها وامل نوال المرغوب بواسطتها في اضعاف احكام البارونات وحقوقهم الالتزامية وكانت الملكة ايزابله تعلق بنفسها من جوادها وتحويل من مكان الى آخر تفتقد احوال الرعايا وتنصف بينهم حسب مقتضى الشريعة ولم تاخذ بالوجه او تبال بذية رفعة او نعمة بل تجري القانون على اي تعداه وبذلك رتع الاهالي بالامن والهدو وشيد حكمها وتقوى. غير ان تلك الطهارة والاستقامة التي اتصفت بها ذاتها الجليلة قد افسدها بعض المفسدين فملاوا قلبها وسواسا وخرافة وجعلوها تعد وعدا صادقا بانها تتصل كل هرطقة في مملكتها. وقد ذكرنا في الكلام عن باباوات رومية ما اجراه انيوسنت الثالث من الاضطهاد على الولدنسيين والابيجنسيين وكيف نظم مجلسا لفحص المراطقة وابداتهم. فاذا كانت ايزابله مرتبطة بعهد السالف ذكره تمكن اصحاب الغايات من افناعها على غير رضى قلبي منها ان تصادق على وجوب اجراء التفتيش الديني في اسبانيا كما كان جاريا في فرنسا فصادقت عليه وأقيم

التجسس في المملكة وبلغ حاله الى اعلى درجة من الفحش مما لم يصل اليه
في اماكن اخرى . واول مدينة اقيم فيها التجسس المذكور مدينة اشبيلية
في ١٧ ايلول سنة ١٤٨٠ وسماه احد الناس بالخدمة المقدسة فارسل لها
البابا سكستوس السادس غفراناً مجانياً على حسن تصرفات اهلها وكان
ذلك بطلب بعض الرهبان الدومينيكيين وموافقة الملك ايضاً

وكان اليهود خلقاً كثيراً في اسبانيا ذوي املاك وثروة وكان
غناهم ظاهراً لعموم الناس فهاج عند ذلك حسد الحساد من الاشراف
وطمع الملك فيهم ومالوا باجمعهم عليهم وصمموا على خرابهم واهلاكهم
فاقاموا عليهم حججاً وشهوداً بانهم في اعيادهم الاحفالية يذبحون اولاداً
مسيحيين وقد حلف خمسة وعشرون من الاشراف بانهم رأوا اليهود في عيد
الفصح يصلبون ولداً مسيحياً . فصدق الشعب كل ما قيل على اليهود
واضطهدوهم حتى الموت في جميع اطراف اوربا . وكان الاسرائيليون في
معظم زهاتهم في اسبانيا على جانب عظيم من الذكاء والاداب والعارف
يشاركون المسلمين في الانعكاف عليها . وبعد اغتلاب المغاربة في اسبانيا
بقي اليهود مع الاسبانيوليين وهم يتقدمون رويداً رويداً الى ان صاروا
اغنى قوم من المملكة وكان الاشراف يستدينون منهم الاموال ولذلك لم
يجدوا طريقاً لوفاء ديونهم الا بتدمير اليهود وابادة كل املاكهم لمنفعة
الكنيسة والشعب

وفي اثناء ذلك اصدر التجسسون امراً يقولون فيه انه من المقتضي
القبض والشكاية على تابعي الهرطقة وعلى الذين يقطن بهم الهرطقة . فتواردت
الشكايات من كل فجٍ عميق . وكان اوجيدا احد رؤساء التجسسين وقومه
القتلة قد جعلوا اقامتهم في قلعة سبانا خارج المدينة لكي يتمكنوا من اجراء
افعالهم الرديئة من قتل الانفس والانتقام من عباد الله الا يرباء فكانوا كما
رأوا احداً من اليهود يوم السبت لابساً ثياباً احسن حالاً من ثياب

بأقي أيام الاسبوع ياخذون ذلك الرجل ويلصونه وينتقمون منه ظلماً
 وعدواناً . وفي برهة الاربعة الايام الاول من اقامتهم في القلعة احرقوا
 بالنار ستة رجال ولغاية شهر تشرين الثاني بلغ عدد المحروقين ثلاث مئة
 رجل . ولم يكتب هولاء القوم بالانتقام من الاحياء فقط بل نبشوا
 الاموات من قبورهم واحرقوا رممهم على رؤوس الاشهاد ولم يهابوا الاله
 ولا الانسان وكان اضطهادهم في الغالب متجهاً نحو الاغنياء سواء كانوا
 احياء ام امواتاً فكانوا يضبطون املاكهم وموترو كلتهم

وفي غضون ذلك ضرب الله مدينة اشبيلية بوباء اهلك من اهلها
 ١٥٠٠٠ نفس فلم يعتبر المتجسسون ذلك بل انتقلوا الى مكان آخر
 واستمروا على ما كانوا عليه من الاذية حتى انهم في مدة سنة واحدة اهلكوا
 التي نفس حرقاً . واذ كان هذا المشروع يعد من المشروعات المقدسة
 اقام الخبر الروماني الخوري توركيادا معلم ذمة الملكة ايزابله رئيساً عاماً في
 كاستيل واراغون على ذلك التفتيش الديني واعطاه سلطاناً بان يرتب
 مجلساً جديداً هناك . فبادر حالاً الى ذلك الامر واقام مجلساً كبيراً مؤلفاً
 من عمد الناس والاشراف وكان عدد جمعياته الفرعية ثلاثين جمعية
 منتشرة في اطراف المملكةتين

واول امر اجراه المجلس المذكور انه اشهر اعلاناً في الكنائس ايام
 الاحاد مضمونه ان كل من يعرف او يشتبه بشخص انه تابع الهرطقة
 يلتزم ان يقرر عنه في الحال وان لا يحل الكهنة كل من تهامل بهذا
 الامر . فالتزم الانسان ان يقرر عن يعرفه بهذه الحالة ولو كان اباه او
 امه او احد اقاربه حتى ان الشكايات كانت تقبل وتسمع ولو زوراً .
 فكان الكاتب يسجل اسماء الشهود مع شهادتهم وبعد ذلك يامر المجلس
 بالقبض على المشتكى عليه فياخذونه قبل الفحص ويسجنونه في سرداب
 مظلم تحت الارض حيث وضع رقبة من قبل المجلس قد تعاهدوا على

انفسهم بقسم ان لا يدعوا احداً من المسجونين يراهم او يشعر بهم
 ليتجسوا حركاتهم واقوالهم ويخبروا المجلس عنها . وبعد ابقاء المسجون
 زماناً في ذلك السرداب يؤتى به للمحاكمة امام المجلس فان ابى ان يقر
 بكونه مذنباً يوضع حالاً تحت العذاب الاليم اما بالآلة معدة لذلك واما
 بالنار وذلك في مكان منعزل بلا حنو ولا شفقة واذا اقر من شدة
 العذاب بان افكاره هرطقية يكفون عن تعذيبه في الحال مشتوطين عليه
 ان يعيد هذا الاقرار مرة اخرى في اليوم التالي اذا بقي حياً فاذا ابى ان
 يفعل ذلك يعرضون حالاً جسده المتوجع الى عذاب اشد من الاول
 فلا يكون امامه سوى الموت المر او عيشة الذل والفاقة والمسكنة مملوءة
 جسده من القروح فيضعف نسله ويكون مهتوك العرض بين الناس
 ثم ان التجسسين الحوّا على فردينند وايزابله ان يصدرا امرآ بنفي كل
 اليهود الذين لا يقبلون المعمودية فاجابهم الى ذلك واصدرا امرآ بهذا
 الخصوص سنة ١٤٩٢ فالتمز هولاء المنكود والحظ ان ينزحوا عن بلادهم
 واطانهم ويتفرقوا في اقطار المسكونة تائبين من مكارم الى مكان لا
 ينت لهم ولا مأوى مهانين ومحتقرين من الجميع هذا فضلاً عن الموت
 الذي ابتلع الوفاً كثيرة منهم بسبب الجوع وخصامة المعيشة وضيقها بعد ما
 كانوا بارغد عيش ونعمة

وفي اثناء ذلك اقام المراكشيون حرباً في شمالي البلاد واستولوا على
 قلعة الزهراء بعد ان فتكوا بالاسبانويولين محافظيها فتحوّت حينئذ افكار
 فردينند وايزابله الى مداركة هذا الامر ومصادمة الاعداء فجردا جنودهما
 وشنا عليهم الغارة . وكان قد وقع الانقسام والاختلاف بين المراكشيين
 فحل بهم حينئذ الوبال والويل . وكان سيدهم المولى ابو الحسن قد خاصم
 امراته الشرعية السلطانة زريدة وجار عليها جوراً عنيفاً فجمعت ذات
 يوم بعض القلائد والحلى الثمينة وهربت بها من القصر هي واولادها . فلما

راى الشعب حالها وما اقترى به زوجها عليها اغتاظوا جداً وبادروا حالاً الى خلع ابي الحسن عن كرسي الملك واقاموا مكانه ابنه ابا عبدالله من زوجته زريدة المذكورة واما ابو الحسن فانه قصد ملقا فقبولوه هناك بترحاب واحتفال وهكذا انقسمت المملكة على ذاتها

ونجح الاسبانيون في هذه الحرب اذ كانوا تحت قيادة بطلين عظيمين اي فردينند وايزابله . فان فردينند كان في مقدمة الجيش يقودهم بحسن تدبيره وجودة رايه ويشجعهم على الثبات والمجوم قائلاً لهم انه اذا رآهم في ضيق او شدّة لا يتخلّى عنهم بل يقدمهم بنفسه وماله . اما ايزابله فتولت مصاريف الحرب وخدمة العسكر وتدبير المرضي والمجروحين كالام الخيون فكانت تجول في الحرب من مكان الى آخر وعندما كانت قلوب العساكر تسقط وتهبط كانت تشجعهم وتطيب قلوبهم بالفاظها العذبة فتقلع منها الخوف والرعب وتمكن فيها الفراسة والحماسة فيهبمون على اعدائهم بحجة الاسود الكوامر فينتصرون ويظفرون فكانت بالحقيقة هي روح تلك الحرب وعلّة قوتها . وبعد عدة وقائع انهزم المغاربة ودارت الدائرة على جموعهم فاستولى الاسبانيون على مملكة غرناطة وطرودوا جميع المسلمين من تلك الاطراف بعد حروب تذكر وكان ذلك سنة ١٤٩٢ للمسيح وهي ذات السنة التي فيها اكتشف كولبوس الشهير قارة اميركا باسعاف وامداد الملكة ايزابله هذه . وقد حصر بعض المؤرخين عدد الوقائع التي جرت بين الاسبانيولين والمسلمين منذ دخولهم الى وقت خروجهم فبلغت ثلاثة الاف وسبع مئة

وسنة ١٥١٦ توفي فردينند المذكور وخلفه ابنه كارلوس الخامس المعروف بشارلكان وبعد جلوسه بوضع سنين توفي جده مكسيميليان سلطان النمسا والفلمنك فانتخبه الشعب امبراطوراً على كل بلاد جرمانيا كما سيأتي تبيان ذلك في محله . وكانت اسبانيا وقتئذ من الدول

الاوربية الاولية . ومن مشاهير ملوكها فيليب الثاني ابن شارلكان تبوأ
سريير الملك سنة ١٥٥٦ وسنة ١٠٨٠ لبس تاج مملكة البورتوغال التي
بقيت تابعة لاحكام اسبانيا الى سنة ١٦٤٠ وكان ملكاً عظيم الشأن ذا
هيبه وسطوة

وكان ابوه قد تنازل له عن مملكة نابولي والصقليتين سنة ١٥٥٤ قبل
جلوسه على الكرسي فاتسع بذلك ملكه وعظم امره ثم تزوج بريم ملكة
انكلترا ولكن من غير ان يكون له سلطة على الانكليز . وفي السنة التالية
من ملكه تنازل له ابوه ايضاً عن مملكة هولاندا فازداد قوة وسطوة .
وكانت افكاره متجهية الى اخضاع فرنسا والاستيلاء عليها فحاربها وكسر
جيشها في عدة وقائع ولكنه لم ينجح في مقاصده فعقد مع ملكها هنري
الرابع صلحاً سنة ١٥٩٨ وفي السنة التي توفي فيها . وكان هذا الملك غيوراً
في مذهبه الكاثوليكي عدواً لدوداً للمذهب البروتستانت الذي كان آخذاً
في الامتداد والانتشار في ممالك اوربا . واذا قصد ان يقيم مفتشين في
ولاياته الفلمنكية لازالة الهرطقات حصل على مقاومات شديدة من قبل
الاهالي فخلعوا طاعته واشبهوا عليه علم العصيان وبعد حروب مهلكة خسر
بعض تلك الولايات سنة ١٥٧٩

وجلس بعد فيليب المذكور على سريير الملك ابنه فيليب الثالث سنة
١٥٩٨ وكان ضعيف الراي فاتر الهمة عديم الدربة في سلوك طرائق
الرياسة والسياسة . وبعد جلوسه بيضع سنين طرد جميع المغاربة الذين
كانو قد استوطنوا في اسبانيا واخاروا الاقامة فيها على الرحيل وكانوا
نحو ٢٠٠ الف نسمة واكثرهم من اهل الصنائع والعلوم . وما يحكى عنه انه
كان ذات يوم جالساً في قاعة المجلس الشوري بالقرب من وفاق كبير
مشتمل بالنار لتدفئة المكان وكانت النار مضطربة بهذا المقدار حتى انها
احدثت حرارة زائدة الحدة فمن شدة كبر يائه لم يتنازل الى ان يقوم

ويسحب كرميه بل امر ان تطفأ النار . واذ كان الخادم المتولج امر
الوجاق غائباً لم تجسر باقي الخدم ان تجري تلك المأمورية فلبثت النار
مضطربة واشتدت حرارتها في القاعة حتى اضرت بالملك ومات بسببها
ثم قام بعده بالمملكة ابنه فيليب الرابع سنة ١٦٢١ فحكم ٤٥ سنة
وكانت اكثر ايامه تعيسة على اسبانيا فانها خسرت بلاد الفلمنك سنة
١٦٣٠ وبلاد البورتوغال سنة ١٦٣٠ وتنازلت عن جملة مقاطعات الى
فرنسا سنة ١٦٥٩ فاخذت المملكة من ذلك الحين في انحطاط وسقوط .
وبعد وفاة هذا الملك جلس ابنه كارلوس الثاني مكانه فتوفي سنة ١٧٠٠
بدون وريث وخلفه امير فرنساوي اسمه فيليب دوك انجو وهو حفيد
لويس الرابع عشر ملك فرنسا كان كارلوس قد اوصى له بالملك من بعده
ليس فقط لاهليته ولكن لكونه من اقاربه فدعي فيليب الخامس وهو
راس عائلة البوربون الاسبانية . فنهض حينئذ الارشيدوق شارل
النساوي وادعى بحقه لتاج مملكة اسبانيا فنشأ عن ذلك نزاع عظيم
اعتبه قن وحروب ليس فقط بين النمسا واسبانيا ولكن بين باقي دول
اوربا لان لويس الرابع عشر ملك فرنسا تحزب لحفيده فيليب المذكور
وانتصرت انكلترا وبروسيا وهولاندا للنمسا فاصطلت نيران الحرب بين
الفرقيين وهي الحروب المعروفة بمحرف الوراثة الاسبانية وكانت الدائرة
فيها على فرنسا واسبانيا فخلع فيليب عن كرمي ملكه مدة ثم اعيد اليها
وبقي ملكاً الى ان مات

وقد تظاهرت اسبانيا ضد انكلترا مراراً عديدة ولا سيما وقت الثورة
الاميركانية فانها اتحدت مع فرنسا في مقاومتها ومحاربتها ولكنه اخيراً عقد
بينهما صلح سنة ١٧٨٣ فنقضته بعد ذلك بنحو ١٠ سنوات حين
اشتركت ثانية مع فرنسا وقت اشتباكما مع انكلترا
وسنة ١٨٠٨ حينما كان نابوليون الاول في سمو مجده وسطوته الزم

فردينند السابع ملك اسبانيا ان يتنازل عن تحت المملكة واقام مكانه اخاه
 يوسف بونابارتي بقوة السيف . فلم يقبل بذلك عموم الشعب الاسبانيولي .
 فخلعوا طاعته وانزلوه عن الكرسي ولذلك انتسبت حروب هائلة
 بين الطرفين . واذ كانت انكثرا وقتئذ تترقب الفرصة لكي تضعف
 قوة فرنسا وتلاشي سطوة نابوليون احتشدت للاسبانيولين وارسلت
 فرقاً من العساكر الى اسبانيا وبورتوغال تحت قيادة الدوك ولينتون
 الشجاع الشهير واعدتهم على ابعاد الفرنسيين وترجيع فردينند الى
 كرسيه سنة ١٨١٤ . ثم مات فردينند المذكور سنة ١٨٣٣ وخلفته ابنته
 ايزابله الثانية واذ كان للملكة المذكورة عم اسمه دون كارلوس كانت آماله
 متجهة الى نيل تاج الملك اخذ في استعمال الوسائل التي توصله الى ذلك
 المقصود فخرّب له عددٌ غفيرٌ من الاهالي وبسبب ذلك هاجت الفتن
 والحروب بينه وبينها دامت الى سنة ١٨٦٠ ثم راقّت الاحوال واستقرها
 الامر ولكن مع ذلك الهدوم تستقر احوال اسبانيا على ما ينبغي لان
 نيران الفتن والحركات كانت لم تزول منقذة في صدور اهل الفساد ولم
 تخمد من رؤوس اصحاب المقاصد والغايات . ولما التهب شرارها واضطربت
 نارها التزمت ايزابله ان تهرب من اسبانيا في ٣٠ ايلول سنة ١٨٦٨
 وتذهب الى فرنسا . فاستلم زمام المملكة الماريشال سيرانو والجنرال پريم
 الاول نائب ملك والثاني رئيس مجلس الوزراء . اما النزاع فلبث قائماً
 داخل البلاد فكان البعض يطلبون المشيخة والبعض يطلبون ملكاً الى ان
 قرّر قرارهم اخيراً على انتخاب الابن الثاني لنيكتور عمانوئيل ملك ايطاليا .
 ففي سنة ١٨٧٠ نودي به ملكاً تحت اسم اماديو الاول وكان دخوله الى
 اسبانيا في ذات النهار الذي قتل به الجنرال پريم من احد خصومه
 ولكن مع كل ذلك لم تسترح داخلية اسبانيا من الفتن والفساد لان
 الحزب الجمهوري لم يفتر عن اجراء ما يوجب الاختلال في المملكة . واذ

كانت هذه الحركات والمفاسد متصلة بين الاهالي ولم تفعل فيها
 المعاملات السلمية والتهديدات الحربية وكان الملك امدادو الاول من
 الذين يكرهون الحركات ويحبون الهدوء والسكون تنازل عن تاج ملكه في
 شهر شباط سنة ١٨٧٣ وتزوج من العاصمة تاركا البلاد لاهلها وهو في غنى
 عن هذا التعب والعناء وقام مكانه ألتنس الثاني عشر في آخر سنة ١٨٧٤
 فتوفي في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٥ وخلفه في الملك ابنه الفونس الثالث
 عشر المولود في ١٧ ايار سنة ١٨٨٦ وهو الملك الحالي بكفالة والدته الملكة
 ماريا كريستيانا التي اقسمت بمين كنفالة الملك في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٨٨٥

الفصل السابع

في وصف مملكة البورتوغال وتاريخها

ان مملكة البورتوغال تمتد في القسم الغربي من اسبانيا ويمجدها شمالاً
 وشرقاً مملكة اسبانيا وجنوباً وغرباً المحيط الاطلسيكي وعدد سكانها اربعة
 ملايين. ويتبع هذه المملكة عدة جزائر يبلغ عدد اهلها نحو ٣٦٠ الفاً
 هذا ما عدا املاكها ومستعمراتها الاجنبية فان لها في افريقية جزائر
 الراس الاخضر وجزائر سانس توماز وموساميد وموزمبيق وغيرها. وفي
 اسيا غوا وساليت وباردز وغير ذلك من البلاد في الهند ثم ما كان في
 الصين وجزيرة تيمور بين جزائر البحر. وعدد سكان هذه الاملاك الخارجية
 يبلغ ثلاثة ملايين وثمان مئة وثمانين الفاً فيكون مجموع اهل البورتوغال
 ثمانية ملايين ونيفاً. وكانت مملكة البرازيل ايضاً تابعة البورتوغال قبل
 سنة ١٨٢٢ واذا صارت دولة مستقلة سنتكلم عنها عند ذكر دول قارة
 اميركا

اما هواء هذه البلاد فمعتدل وترتبتها مخضبة وهي كثيرة المعادن
ولكن قلما يعتني الاهالي باستخراجها وفيها يربي من الحيوانات الخيل
والمواشي ودود القز. ومن اعظم حواصلها ملح البحر وهو من اروج تجارتها
التي تحمل الى خارج البلاد لا سيما الى انكلترا. ومن طيب اثمارها التين
والبردقان والذرنج والعب الجيد. ومن مصطنعاتها الفخار والصيني والصباغ
والنسج والاسلحة واصطناع الباور والجوخ. ومن اعظم مدنها مدينة ليسبون
والعرب يسمونها اشبونة وهي قسبة المملكة مبنية على مصب نهر تاغوس
الذي هو من اكبر انهرها. وفيها ابنية فاخرة وقصور جميلة مستظرفة
وكثايس عديدة وسكانها ٢٥٠ الفاً ولها مكتبة فيها ٨٠ الف مجلد. ثم
مدينة بورتو وهي من اعظم مدن البورتوغال بعد ليسبون كثيرة التجارة
غزيرة المياه ولها ميناء حسن وبيدها جيد الى الغاية وعدد سكانها ٨٠
الفاً واسم البورتوغال مأخوذ الصدر منها. اما الديانة العامة في هذه البلاد
فهي الديانة الالمانية والاديرة فيها كثيرة يبلغ عددها ٤٩٨ منها ٣٦٠
للرهبان و١٣٨ للراهبات. ولنتقدم الان لذكر بعض اخبار هذه المملكة
من جهة تاريخها فنقول

ان بلاد البورتوغال كانت تدعى في الزمن السابق عند الرومانيين
لوسيتانيا. وقد استولوا عليها عند افتتاحهم اسبانيا واستمرت في ايديهم
٧٥٠ سنة الى حين دخول الفندال والسواب وغيرهم من شعوب برايرة
الشمال الذين حكموها الى سنة ٧١٣ حين استخلصها منهم العرب وضموها
الى مملكتهم بالاندلس فصارت ملحقة بها. ولما قويت شوكة الاسبانوليين
في الاندلس واخذوا في استرجاع بلادهم وطرد العرب منها استخلص
هنري البورغوني من عائلة فرنسا الملكية بلاد البورتوغال بعد ان كسر
جيوش المسلمين وسمي عاينها اميراً تحت حماية الفونس السادس ملك
كاستيل في اسبانيا وخلفه الابن الفونس الاول الذي بعد محاربة المغاربة

واستظهاره عليهم سنة ١١٣٩ نودي باسمه ملكاً فاستقلت بورتوغال عن اسبانيا من ذلك الوقت

ثم اخذت بورتوغال في التقدم والنجاح وتوسيع دائرة املاكها بواسطة استخلاصها الاراضي من العرب الذين في جوارها . وبواسطة اسفارها البحرية وتعرضها للاهوال والمخاطر في المحيط الشاسع اصبحت في سطوة وغنى لا مزيد عليهما لاسيا في القرن الخامس عشر وقت اكتشافها طريق الهند واستيلائها على جملة مدائن وارياضي في افريقية واسيا فكانت تعد بين ممالك الارض من الدول البحرية الاولية . ولا يسعنا ان نذكر بالتفصيل ما استولى عليه البورتوغاليون من الاملاك في القارتين المذكورتين خصوصاً في قارة اسيا بالهند والصين وجزائر اليابان لكننا نقول انهم حازوا على اراضي واملاك كثيرة وبسببها حصلوا على غنى ومجد وشهرة عظيمة . ولم يكتفوا بذلك بل مدوا ايديهم ايضاً الى قارة اميركا في بداية القرن السادس عشر واستولوا على بلاد البرازيل التي مكثت في ايديهم الى سنة ١٨٢٢

غير ان التوفيق لم يخدمهم زماناً طويلاً فانه في سنة ١٥٨٠ نهض فيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن عم شارلكان واغتصب تاج دولة البورتوغال وازاد البلاد الى مملكته فكان ذلك سبباً لتاخير الدولتين في المستقبل . لان الاسبانويولين نظراً لاملاكهم الاميركانية من الجهة الواحدة ونظراً لانشغالهم في الحروب والمسائل السياسية من الجهة الاخرى اهملوا الالتفات اللازم الى فتوحات البورتوغاليين في اسيا وافر يقياً فاتهمز القنكيون تلك الفرصة وازاروا على املاك البورتوغاليين في اسيا فطردوهم من اليابان واستخلصوا جزائر مولوك وكادوا يستولون على برازيل ايضاً . وسنة ١٦٤٠ قام اهل البورتوغال على الاسبانويولين وخرجوا عن طاعتهم وملكوهم يوحنا الرابع احد دوكت ابراغنا الذين هم من ذرية

ملوكهم القدماء والذين ما زال الملك في عقبهم الى الآن . وبعد استقلاليتهم اتحدوا مع فرنسا واتخذوها معينة ومساعدة لهم . ولكنهم في ايام بطرس الثاني تركوا فرنسا واستندوا على الانكليز واعتمدوا عليهم وعقدوا فيما بينهم عهداً سنة ١٧٠٣ فصاروا انكثرا من ذلك اليوم صاحبة الكلام ويدها زمام الحل والربط في البورتوغال . وكانت الصنائع والزراعة والتجـر وسياسة المملكة في يدها بحيث لم يكن للبورتوغاليين في المملكة سوى مجرد الاسم فقط

ولما كان نابوليون الاول في سمو سعده واقباله صمم على افتتاح بلاد البورتوغال فارسل لها جيشاً تحت قيادة الجنرال جونو سنة ١٨٠٧ فنغلب عليها وامتلكها وسمي عليها والياً تحت لقب دوك داربانتيس . فظاهرت حينئذ انكثرا لمساعدة البورتوغال وارسلت جيشاً تحت قيادة الدوك ولينتون فخارب الفرنسيين وازاحهم منها بعد ما ارسل العائلة الملكية الى برازيل لتقيم هناك وتستريح من غوائل الحروب واهوالها فكشوا هناك الى سنة ١٨٢١ وحكم البلاد في مدة غيابهم نواب تحت مناظرة انكثرا

وسنة ١٨٢٠ حدث في مدينة بورتوشغ وبهاج من الشعب وكان قد صدم ان يجعلوا الحكومة البورتوغالية حكومة مقيدة بشرائع البلاد ونظامات المجلس . فقبل الملك يوحنا السادس بهذه الشروط ورجع الى اوربا سنة ١٨٢١ واستبد بالملك الى سنة ١٨٢٦ . ولكن بعد خروجه من برازيل بسنة واحدة نهض البرازيليون بطلب الاستقلالية فانفصلوا عن بورتوغال واستقلوا بانفسهم وانفجوا لانفسهم امبراطوراً يقال له دون بيدرو بن يوحنا السادس المذكور وثبتت استقلالية برازيل عند ما دعي دون بيدرو ليرث اياه في تاج مملكة بورتوغال فلم يذهب بل تنازل عنه الى ابنته دونا ماريا ولبت امبراطوراً في برازيل وعند جلوس دونا ماريا على سرير الملك نهض لمقاومتها عمدا دون

ميكل طمعاً باستخلاص المملكة لنفسه فتحزب معه جمهورٌ غفير من
 الشعب واستمرت الفتنة والقتال في اقطار المملكة نحو سنة حتى التزم
 اخيراً ان ياتي ابوها من برازيل ويحارب اخاه ويوطد كرسي ابنته .
 وكانت هذه الملكة عاقلة اديبة موصوفة بالفهم وحسن السيرة فاستبدت
 بالاحكام الى سنة ١٨٥٤ ثم توفيت وتركت اولاداً قاصرين منهم بطرس
 ولي عهداً . واذ كان يومئذ قاصراً اجمع راي الوزراء على اقامة زوجها
 الامير فرديناند وكيلاً مؤقتاً الى ان يكون ابنها بلغ سن الرشد فاقاموه من
 ذلك اليوم وكيلاً ووصياً ومكث بالوكالة الى ان استوفى ابنه بطرس الاكبر
 سن اللياقة فتنازل له عن الاحكام واستبدت بطرس بالمملكة تحت اسم بطرس
 الخامس ولكنه لم يلبث ملكاً اكثر من ستة اشهر حتى ادركته المنية . فقام
 بعده اخوه دون لويس فتسلم زمام المملكة في اواخر سنة ١٨٦١ وهو
 فتى حديث السن لكنه كان من افراد العصر في المعارف وحسن الاخلاق .
 ثم خلفه الدون كارلوس وهو الملك الحالي وولد في ٢٨ ايلول سنة ١٨٦٣ اورفي
 كرسي الملك في ١٩ تشرين اول سنة ١٨٨٩ وتزوج في ٢٢
 ايار سنة ١٨٨٦ الدوقة اميلي كريمة الكونت دي باري المولودة
 في ٢٨ ايلول سنة ١٨٦٥ وله منها ولدان ذكران
 اكبرهما البرنس لويس فيليب دوق
 ديه براغزا وولد في ٢١
 حزيران سنة ١٨٨٢

الفصل الثامن

في تاريخ فرنسا

الباب الاول

في وصف فرنسا الحالي

ان هذه البلاد يحدها شمالاً بحر المانش و بوزاز كالس الفاصل بينها وبين انكلترا ثم البلجيك و المانيا . و شرقاً المانيا ايضاً و بلاد السويس و ايطاليا . و جنوباً البحر المتوسط و جبال الپيرينه الفاصلة بينها وبين اسبانيا . و غرباً الاوقيانوس الاثلاثيكي

اما الآن فليس لفرنسا من الحدود ما كان لها عندما كانت تدعى غاليا قديماً لانها بعد سقوط الدولة البونابارتية اولاً سنة ١٨١٥ للميلاد و سقوطها ثانية سنة ١٨٧١ قد خسرت حدودها الطبيعية في الجهة الشرقية و الجهة الشمالية و الفاصل بينها الآن و بين الجهتين المذكورتين هو خط صناعي اقامته ايدي السياسة . اما عدد سكانها قبل الحرب الاخيرة فكان نحو ثمانية و ثلاثين مليوناً اما الآن فهو نحو ستة و ثلاثين مليوناً و نصف . هذا بعد طرح سكان الازراس و خمس اللورين الذي انضم الى المانيا بعد الحرب و هو نحو مليون و نصف و اكثرهم على المذهب الكاثوليكي و الحربية

مطلقة لجميع المذاهب

وعلى شطوط فرنسا عدة جزائر راجعة اليها وهي جزيرة كورسيكا
 وجزائر يارس في الجهة الجنوبية من البحر المتوسط وجزائر ري واوليرون
 واويسان وليل ديو وبليل في الجهة الغربية من البحر المحيط . ومن
 املاكها عدة مستعمرات في جهات مختلفة في غير قارة اوربا . ففي افريقية
 بلاد الجزائر في الجهة الشمالية وولاية السينيكال وجزيرة غوري في الناحية
 الغربية وجزائر لاريونيون وسنت ماري ومايوت وبوربون في الجهة
 الجنوبية الشرقية منها وعدد اهلها جميعاً نحو ثلاثة ملايين و ٢٥٠ الفاً وعم
 مسلمون وكاثوليك وبروتستانت ويهود . ومن املاكها في اسيا ميناه
 بونديشيري وكر بكال وماهي وناون وسانديرناغور في الهند وسايغون
 في الكوشين صين وعدد اهلها جميعاً نحو ٣٥٠ الفاً . ولها في اميركا عدة جزائر
 اشهرها جزيرة كواديلوب ومارتينيك وسان بيير وميلكون وقسم من ولاية
 الفيان الفرنسية في الناحية الشمالية الشرقية من اميركا الجنوبية . وفي
 المحيط جزيرة خلكيدونيا الجديدة وجزائر مركز وغيرها وعدد سكان
 جميعها نحو ٥٢٠ الفاً . وكان لفرنسا سابقاً في اميركا كانادا ولويزيانة وسان
 دومينيك وسانت لومي وتاباكو واماكن كثيرة في اسيا اعظمها مركز
 سورات وقد خربت كل ذلك خصوصاً في زمان الدولة البونابارتية الاولى
 ان فرنسا هي اجمل ارض سياسية وتجارية نظراً لحسن موقعها
 الطبيعي وهي غنية بالمعادن والمحصولات . وفيها كثير من الفحم الحجري
 العظيم النفع والحديد والرصاص والنحاس والقطران الارضي اما النفضة
 والذهب فقليلان فيها . وفيها انواع الرخام والمرمر وحجر الطبع وغيرها من
 الحجارة ونها انواع الجص والتراب الكبريتي والزاجي ونحوها وكثير من
 اليتايح المعدنية المختلفة . واكثر اراضيها مخصبة جيدة تعطي اكثر انواع
 الحبوب والثمار والكرم فيها في غاية النجاح يستخرجون منه كل انواع الخمر

المشهوره . وبها دود القز بكثرة وانواع الطير والحوانات المستخدمة .
 وصنائعها في غاية النجاح والانتاج واهاليها متميزون عمن سواهم بانقان
 عمل الجوخ وجميع اقمشة الحرير والصوف والكتان والقطن والجلود والبور
 والصيني والفخار المطلي وعمل الخلي واكثر الآلات المفيدة ونحو ذلك .
 اما دائرة المنجر فيها ففي غاية ما يمكن من الاتساع والنمو داخل البلاد
 وخارجها . وفيها كثير من المدن الكبيرة المعتبرة كليون ومرسيليا وبوردو
 وتور واورليان وغيرها وعاصمتها باريس وهي من اجمل مدن الدنيا
 واعظمها بعد لندن . وفيها كثير من القصور المزخرفة باظرف اعمال البشر
 والمرايح المعتبرة الكثيرة ويمر في وسطها نهر السين فيقسمها شطرين وهو
 اعظم انهرها بعد نهر اللوار . وفي فرنسا كثير من الانهر والجداول والوديان
 والجبال مما لايسعنا ضيق المقام تعدادها وحكمها الآن من النوع الجمهوري

الباب الثاني

في اصل فرنسا وشعوبها القدماء واديانهم وعوائدهم وتعلب
 الرومانيين ثم الافرنك عليهم وتأسيس الدولة الاولى
 الملكية المعروفة بالميروفنجية سنة ٤٨١ ب . م
 ثم سقوطها وانقراضها سنة ٧٥٢

ان فرنسا كانت تدعى قديماً غاليا او غاله ويمتد تاريخها الى القرن
 السادس عشر ق م وهو في اعصره الاولى كباقي تواريخ مبادئ الممالك
 القديمة لايعلم عنه الا القليل . اما شعوبها فهم من قبائل مختلفة دخلت
 البلاد في اوقات غير معلومة واستوطنت فيها . واخص تلك الشعوب قوم

الكتيين جاؤوا من الشرق من نواحي بكتريان مع الامم التي هاجرت الى بلاد اليونان وايطاليا وتقدموا في شمالي غاليا حتى اشرقوا على المحيط ونزل بعضهم وقطعوا البحر وعمروا جزائر بريطانيا الانكليزية . وقد وافى غاليا قبائل اخرى قاطنة في جنوب البلاد وهم الايبير او الباسك الذين يظن فيهم انهم اتوا من شمالي افريقية واسبانيا ولم يزل البعض من الفاسكون او الباسك القاطنين في جنوبي فرنسا عند جبال البيريني يتكلمون بلغتهم . ثم اتاها ايضا النينقيون بحراً ودخل بعضهم اواسط غاليا واختلطوا بالامم التي وافت قبلهم . ثم اتى اليونان ونزلوا في الشطوط البحرية الجنوبية في القرن السادس ق م ويقال انهم اول من وضعوا اساسات مدينة مرسيليا اما عوائد الغالين القدماء وملابسهم واطعمتهم فكانت خشنة كساير الامم القديمة وكانوا على جانب عظيم من الحماسة والحدة والشجاعة والكرم والسخاء والقيام بحق الضيافة . فكانوا بكرمون جداً من نزل بجوارهم غاضين النظر عن اصله وفصله وينتصرون لكل من استغاث والتجأ بهم . وكانوا طوال القامة اجشاء الصوت قليلي التكلم سريع الغضب قريبي الرضا يطلبون بعضهم بعضاً الى المبارزة الشخصية عند الغضب . وكانت اسلحتهم البلطات والحراب وكانوا يتسربلون بالدروع وعلى رؤوسهم الخوذ وانرامهم كبيرة جداً تسترهم من الراس الى القدم . وكان لنسائهم الحرية في اختيار الازواج وكن ياتين رجالهن بالمهر . فكان الاب اذا اراد زواج ابنة له دعا جمهوراً من الشباب الى منزله فخرج الابنة ويدها كاس ملاءة خمرًا فمن ناولته الكاس كانت عريساً لها وكان للرجل التسلط على المرأة وعلى اولاده وله حق التصرف في حياتهم جميعاً . وكانوا عند موت رب العائلة يحرقون معه كل ما كان عزيزاً لديه حتى ومن الحيوانات . ويطرحون معه ايضاً بعض المكاتب ظناً منهم ان الميت المحروق يستطيع اخذها معه الى اقاربهم المتوفين . اما اديانهم

فأشبهت اديان اهل الشرق كالمثود مثلاً ولا بد ان هذه العادة المار ذكرها في حرق جثث امواتهم مأخوذة عن هولاء المثود. وكان لهم عقائد بعضها حسنة وبعضها سيئة ومذهبهم يعرف بالدرويدية اسم نسبة الى كهنتهم الدرويد. وكان لهؤلاء بعض التعاليم الحسنة فكانوا يعلمون بالشواب والعقاب بعد الموت ويحرضون رعيتهم جداً في شأن تربية الاولاد حسناً وعمل الخير ويقولون ان من اقترض صاحبه مالا في هذه الحياة ياخذ في الحياة الآتية ومن قتل نفسه لاجل صديق له يلاقيه في العالم الآخرون الاباء في عيالهم هم بمنزلة ارباب وملوك. وعلموا احياناً بتناسخ الارواح والاشياء من هذا القبيل واقاموا احتفالات عبادتهم بين احراش السنديان مقدمين احياناً الذبائح البشرية لزعمهم ان الالهة لاتسرق الا بالدم. وكان هولاء الكهنة اصحاب الحل والعقد ذوي سطوة عظيمة على الشعب وبعدهم الاعيان ثم العامة وبقي هذا المذهب الى بعد دخول الديانة المسيحية الى فرنسا وكان اوغسطس قيصر بعد يوليوس قيصر قد اصدر امراً ببلاشاته ومع ذلك بقي زمناً طويلاً يمارس في بعض النحاء المملكة

وكان الغاليون اي الفرنساويين القدماء على جانب عظيم من البسالة والشجاعة ومحبة الاستقلال والحرية لا يرضخون لما ياتتهم ويأتي بلادهم بالذل والعبودية. وكانوا يحبون الحروب والغزوات سطوتهم وباسمهم اكثر الامم المجاورة لهم حتى الدولة الرومانية التي وطدت اركان سطوتها في اغلب اجزاء العالم المعروف يومئذ وكادوا يهدمون اركان دولتها. وقد هاجموا ايطاليا مراراً من سنة ١٤٠٠ الى سنة ٥٨٧ ق م وفتحوا مدينة رومية عاصمتها سنة ٣٩٠ ثم قطعوا جبال الالب ونهر الدانوب وافسدوا البلاد ونهبوها ودخلوا اراضي اليونان ايضاً واعملوا فيها السيف والنهب ثم امتدوا ودخلوا اسيا وفتحوا فيها منازل ومستعمرات. وقد لقيت

تلك الاراضي باسمهم غلاطية نسبة الى غاله . ولم تتمكن الدولة الرومانية من قهر الغالين الذين كثيراً ما كادوا يهدمون اركانها الا بعد ان صرفت اعواماً كثيرة في اجراء استعدادات كلية ولم تتمكن من التغلب عليهم واخضاعهم لسلطتها الا من سنة ٥٨ الى سنة ٥٠ ق م بعد حروب هائلة عن يد اعظم واشهر قوادها يوليوس قيصر . وكانت الدولة الرومانية تنظر بعين الاهتمام الى اخضاع هولاء القوم فيبعد ما فتح يوليوس قيصر عليهم حروباً دموية طويلة مفتحة الدولة الرومانية انعامات وهبات وافرة ورفعت قدره وشأنه ولكن مع ذلك لم تستطع ان تقبض على زمام التملك على هذه الامة زماناً طويلاً جداً . فبقيت تحت تسلطها الى اواسط القرن الخامس لليالاد حين هاجت غاليا قبيلة من قبائل المشرق كانت قد هجرت اسيا في زمن غير معلوم تماماً ونزلت في شمالي فرنسا في بلاد بلجيوم وفي تخوم المانيا الغربية يقال لها قبيلة الافرنك فدخلتها وقطعت الى اسبانيا ووقعت فيها السلب والنهب مدة من الزمان ثم عبرت البحر ودخلت افريقية وتضعضت فيها . وسنة ٣٥٨ في سلطنة يوليانوس قيصر هاجم الافرنك غاليا مرة ثانية ونزلوا عند شطوط نهر الموز فنازعهم يوليانوس قيصر زماناً طويلاً ولم يقدر على اخضاعهم فتركهم اخيراً يستوطنون عند شطوط النهر المذكور وكانت الامة الافرنكية مقسومة الى عدة قبائل كل منها خاضع لامير خاص وكان جميع هولاء الامراء خاضعين لامير واحد قيل اسمه فاراموند وابتدأ حكم هذا الامير سنة ٤٢٠ لليالاد وبقي الى ٤٣٠ ثم خلفه ابنه كلوديون ودامت ولايته الى سنة ٤٤٨ وهو اول من اخذ في توسيع دائرة سلطة الافرنك . ثم توفي وخلفه ميروفي احد اقاربه سنة ٤٤٨ وسنة ٤٥١ اتحدت القبائل الافرنكية مع الغالين سكان فرنسا القدماء وانضموا جميعاً الى الرومانيين لمحاربة الهوثيين الذين كانوا قد هاجموا غاليا ووقعوا فيها السلب والتخريب وحرار يوم وطردهم بعد معارك شديدة فتحولوا

الى جرمانيا . وبعد هذه الحادثة وطد الافرنك اركان حكومتهم في غالبا الشمالية تحت قيادة كبير امراءهم ميروفي المذكور وهو اول امير دعا ذاته ملكاً وتوفي سنة ٤٥٦ وتولى مكانه ابنه شيلديريك الاول الى سنة ٤٨١ ثم خلفه ابنه كلوفيس وقد دعي جميع الملوك الذين خلفوا ميروفي من عائلته الملوك الميروفنجيين نسبة اليه وهذه العائلة هي العائلة الاولى التي تبوأّت تحت مملكة فرنسا على ان المؤرخين لا يورخون ابتداء مملكة الافرنك الا منذ تبوأ تختها كلوفيس الاول بن شيلديريك بن ميروفي وذلك من سنة ٤٨١ للميلاد لانه اول من تغلب على جميع قبائل الافرنك التي هو منها واخضعها لسلطوته وفتح الجانب الاعظم من غالبا

ولما تولى كلوفيس المذكور سنة ٤٨١ كانت الرومان والالمان والفيزيغوث والبورغنديين وغيرهم يتنازعون في غالبا فاتصر الافرنك عليهم جميعاً . ففي سنة ٤٨٦ كسر كلوفيس جيش الرومانيين في سواسون وطردهم من جميع الاقطار التي كانوا لايزالون فيها . وسنة ٤٩٦ حارب الالمان وانتصر عليهم في موقعة توليبياك ودفعهم الى ما وراء نهر الرين واخضع بعضهم . واذ كانت الديانة المسيحية قد انتشرت قبل ذلك بزمان طويل في تلك التجموع تنصر الملك كلوفيس عقب المعركة التي ربحها على الالمان وكان السبب في تنصره زوجته كلوتيلد فتعمد في مدينة ريمس مع عائلته وجنوده واعيان دولته وكان هو الملك المسيحي الوحيد في ذلك العصر بينما انحاز غيره من الملوك الى ارتقة اربوس وبناء على ذلك حاز ملوك فرنسا التقدم الديني على من سواهم من الملوك الكاثوليكين

وسنة ٥٠٠ للميلاد حارب كلوفيس جماعة البورغنديين واخضعهم فحملوا اليه الخراج وفي سنة ٥٠٧ حارب الفيزيغوث وانتصر عليهم وطردهم وحاصرهم في اقليم سبتيانيا وهو قسم كبير من جنوب فرنسا واخرج ما اعده من ايديهم . وبعد ذلك اذ اختلط الافرنك بالاهالي الاصليين تغلب

اسم الافرنك على كل سكان بلاد غاليا فسميت بلادهم فرانكا ثم بعد ذلك
 ببعض سنين بدلت الكاف بالسين فصار اسمها فرنسا وفي الاصل لم يكن
 اسمهم افرنك بل انما ذلك لقب غلب عليهم من (فرانكس اي شجعان)
 ثم توفي كلوفيس سنة ٥١١ بعد ان حكم ٣٠ سنة وهو من اشهر ملوك
 هذه الدولة وله اربعة اولاد وهم شيلديبرت وكلوثير وكلوديمير وتياري .
 فانقسموا الملك بينهم ونتج من ذلك اربع ممالك متفرقة فاخذ شيلديبرت
 الاولى وكانت مدينة باريس تحتها لها والثانية قاعدتها سواسون والثالثة
 قاعدتها اورليان والرابعة متس . وفي سنة ٥٣٤ انضموا جميعا وكسروا
 شوكة البورغونديين ومحو رسوم ملكهم بالتام واخضعوا بلادهم كباقي
 البلاد . وبقيت فرنسا منقسمة الى ان مات ثلاثة منهم فضمها كلوثير الاول
 سنة ٥٥٨ مملكة واحدة تحت حكمه لكنها انقسمت بعده ثانية وذلك
 سنة ٥٦١ وصارت اربع ممالك مستقلة كالاول . وكانت باريس ايضا
 تحتها الاولى وسواسن الثانية وملتس الثالثة وبورغنديا الرابعة . وفي سنة
 ٥٦٧ توفي كاربيرت ملك باريس فصارت ثلاثا واستمرت هكذا منقسمة
 الى سنة ٦١٣ . وقد اعقب هذا الانقسام حروب اهلية طويلة نتج عنها
 انضمام زمانا يسيرا في عهد كلوثير الثاني وبقيت منضمة الى عهد ابنه
 داغوبرت الاول سنة ٦٣٨

وبعد وفاته انقسمت مرة ثالثة الى اربع ممالك وهي اوسترازي
 ونوستري وبورغونيا واكتانيا وكانت الاثنان الاوليان ممتازتين عن
 الاثنتين الاخرين بالسطوة والنفوذ مدة من الزمان . ثم اجتمعت ايضا
 مملكة واحدة من سنة ٦٨٧ الى سنة ٦٨٣ في حكم شيلديريك الثاني ثم
 في سنة ٦٨٧ تقوت اوسترازي وارتفع شأنها على نوستري وتقدم امرؤها
 وغازوا باقي الولايات فادخلوا بورغونيا تحت طاعتهم ثم اكتانيا وهو
 القسم الرابع من مملكة فرنسا الذي استخلصه شارل مارتل من عرب

الانديلس سنة ٧٣٢ في زمن خلافة عبد الرحمن بعد حرب مهلكة قيل انه قتل فيها نحو ٣٠٠ الف رجل من جيوش العرب وربما كان ذلك مبالغة

وسنة ٧٥٢ للميلاد انقضت الدولة الفرنساوية الاولى وهي الدولة الميروفنجية وسبب انقراضها طياشة ملكها شيلديريك الثالث وقلة درايتها اذ كان له وزير يقال له پابين على جانب عظيم من الخدق والدراية والافتداهم وكان من اشرف رجال فرنسا وعظمائهم فكان قابضاً على زمام الامور ولم يكن لشيلديريك المذكور من الملك الا مجرد الاسم كما كان قد آل امر سلفائه ايضاً منذ سنة ٦٨٧ فانهم كانوا ملوكاً بالاسم فقط فقبض پابين على الملك شيلديريك وحجز عليه في احد الاديرة واستولى على الملك بدون ممانع ثم توفي شيلديريك بعد قليل وبموته كانت نهاية الدولة الاولى التي ملكت فرنسا مدة ٣٠٤ سنين وعدد الملوك الذين خرجوا منها ٣٤ ملكاً

فهذه هي الدولة الاولى التي وطدت اركان المملكة الفرنساوية وسنت لها نظامات موافقة لروح ذلك العصر اذ كانت قبل ذلك شوكة الملك ضعيفة جداً فكان النفوذ لجمعية الملة العمومية التي اجتمعت كل سنة في وقت معين وكان لها الحق في انتخاب الملوك وفي اعطائهم الامدادات والاعانات اللازمة وكانت هي التي تشرع القوانين والشرائع وتحكم في فصل جميع الدعاوي بدون معارض. وكانت الخدمة العسكرية بالاختيار لا بالاغتصاب. وكانت القيمة التي يمنحها الجيش توزع عليه بالخصص حتى ان الملك نفسه كان لا ياخذ منها الا ما يخصه بالقرعة. ويؤيد ذلك ما حدث بعد معركة سواسون التي اشرنا اليها في ما تقدم فان جنود الملك كلوفيس الاول صاحب النصر في تلك المعركة كانوا قد نهبوا كنييسة سواسون واخذوا منها امتعتها ومن جملتها اناة ذهب كبير ثمين فبعث

اسقف الكنيسة الى كلوفيس رسلاً يترجونه ان يرجع الاناء المذكور على الاقل فقال لهم ان وقع هذا الاناء في نصيبه يرجعه الى الكنيسة فلما جمعت العتائم ووُضعت في وسط الجنود طلب كلوفيس ان يعطوه قبل التسعة الاناء المذكور زيادة على حصته فاطهر جميع العساكر انهم يريدون اجابة طلب الملك الا انه خرج من بينهم عسكري جسور تقدم كالوحش ورفع بلطته وضرب بها الاناء بشدة وقال للملك باعلى صوته ما لك شيء مطلقاً سوى ما يخضك بالقرعة ولا تقر لك بامتياز خصوصي وكانوا احياناً يهينونه اذا لم يمثل الى طلبهم فاشبهوا من هذا القبيل الانكسارية في الدولة العثمانية

الباب الثالث

في قيام الدولة الفرنسية الثانية وانقراضها وهي المعروفة
بالكارلوفنجية من سنة ٧٥٢ الى سنة ٩٨٧

ان هذه الدولة هي من عائلة الدوك بابين الذي اغتصب الملك من شيلدير بك الثالث وتعرف بالكارلوفنجية وقد دعيت بهذا الاسم نسبة الى كارلوس الكبير ابن بابين اشهر الملوك الذين خرجوا منها وهو المعروف ايضاً باسم شارلمان ملك فرنسا وامبراطور المغرب وكان هو راس هذه الدولة واول ملوكها. وقد ذكرنا ما كان عنده من السطوة والاقدام فقام بتدبير المملكة اتم قيام وضم مقاطعات فرنسا الى مملكة واحدة ما عدا مقاطعة بر يطانيا الفرنسية وتغلب على سبتيانيا من سنة ٧٥٢ الى سنة ٧٥٩ ثم على اكيثانيا من سنة ٧٥٩ الى سنة ٨٦٨ وامتد سلطانه ونفوذ كنيته

الى ايطاليا ومانيا والزم السكسونيين ان يدفعوا اليه الخراج سنة ٧٥٤
 اتى البابا استفانوس الثاني الى فرنسا ووعده بابين بالمساعدة العسكرية
 على اثباته في الملك وهو وعد البابا بالمساعدة العسكرية وكان اللومبارديون
 قد تهددوا رومية فخارهم بابين والجا استوائ ملكهم الى احترام البابا
 وجعل للكنيسة الرومانية عدة امتيازات وما كنها عدة اراض



شارلمان

وبعد موت هذا الملك سنة ٧٦٨ خلفه ولده شارلمان المذكور
 وكارلومان. ففي سنة ٧٧١ توفي كارلومان واستبد شارلمان بالملك وحده
 وكان ذا شوكة وبأس موصوفاً بالذكاء والدراية وله حروب ونصرات
 كثيرة. فانه قد تغلب على نصف ايطاليا من سنة ٧٧٣ الى سنة ٧٧٤
 وعلى سكسونيا و بافار يا ثم اتى رومية وثبت للكرسي الباباوي الحقوق التي

كان منحها له والده وعند ما دخل رومية المرة الاولى صعد على درج
 كيسة ماري بطرس وقبّل بوعر كل درجة منه. ثم حارب الاندلس
 وتغلب على اسبانيا الشمالية سنة ٧٧٨ وعلى الاقار اي التتر الهبارة اهل
 بانونيا سنة ٧٨٧ وضم جميع الممالك المذكورة الى مملكة كبيرة سماها بالسلطنة
 الغربية المتجددة واراد بالتجددة احياء السلطنة الرومانية الغربية بعد
 اندراسها. سنة ٨٠٠ الميلاد ذهب الى رومية وتوّج يوم عيد الميلاد من
 البابا ليو الثالث امبراطوراً على المغرب. هذا وقد رغب شارلمان في ترقية
 اسباب العلوم والفنون كما رغب فيها الخليفة هرون الرشيد في الشرق اذ
 كان معاصراً له. فذاع صيته عند الملوك وارتفع مكانه فكان اشهر
 ملك ظهر في اوربا من وقت سقوط الدولة الرومانية الغربية الى سقوط
 الدولة الشرقية. واسس في باريس مدرسة جامعة لسائر المعارف وكان
 يصرف اكثر اوقاته في مطالعة العلوم واكتساب المعارف وكان مجلسه
 محفوظاً بالعلماء. سنة ٨١٣ اشرك معه في الملك ابنه لويس الملقب بالحليم
 وما زال في عزّ ونجاح الى ان توفي سنة ٨١٤ فتولى مكانه ولده لويس
 المذكور. خير ان هذه السلطنة لم تتجاوز سنة ٨٤٣ حتى انقسمت الى ثلاث
 ممالك مستقلة وهي فرنسا والمانيا واطاليا وصار تاج السلطنة يتداوله
 بعض الذرية في ايطاليا مرة واقاربهم من امراء العائلة الكارلوفنجية اخرى
 حتى انتقل الى طائفة من الاعيان ليسوا من تلك العائلة ثم انتهى الامر
 بابقائه بيد الالمان واقراض هذه العائلة سنة ٩٨٧

اما سبب ضعف هذه العائلة وتلاشيها فهو انه لما كان الملك لويس
 المذكور ابن شارلمان فاتر الهمة وضعيفاً غير قادر ان يقوم بحق سياسة
 كل الممالك التي فتحها والده قسم قبل وفاته سلطنته المتسعة بين اولاده
 الثلاثة سنة ٨٤٣ كما ذكر. فملك ابنه الاكبر على بلاد جرمانيا والثاني على
 فرنسا والثالث على ايطاليا. الا انه لم يعين حدوداً مناسبة لفصل فرنسا

عن المانيا ولكنه اعطى ولده البكر لوتير الذي تبوأ كرسي سلطنة المانيا
بلاداً في الجهة الشمالية اليسارية من نهر الرين مع انها كانت من اراضي
فرنسا بحسب التقوم القديمة والنواصل الطبيعية. ولما كان هولاء الملوك
الثلاثة المذكورون غير اهل للقيام بحق ادارة ممالكهم المقسومة كما قام
بحقها جدم شارلمان شرعوا في استعمال وسائل غير مناسبة واجراءات
مضرة ردية ظانين انها توطد اركان سطوتهم وقواعد ممالكهم وسنوا
شرائع وقوانين اتت بلادهم بعدم بنوائب عديدة ودواهي كثيرة لاسيا
حين صارت سطوة اشرافهم تزايد وتعاظم

اما تلك الترتيبات والاجراءات المضرة التي اقاموها فهي اعطاه
الذين يحسنون خدمتهم القاباً عالية ورتباً سامية وامتيازات لم ولنسلم
من بعدهم وهي التزامات وراثية اي ان يحكموا على مقاطعات من ممالكهم
ويورثوها لذريرتهم وان يتصرفوا بها المالك بالملك وذلك ليستندوا
عليهم عند ما تمس الحاجة. فاتي ذلك بمضار ونكبات كثيرة على ممالكهم
لان هولاء الحكام مع تمادي الايام تقووا كثيراً حتى صاروا اصحاب
شوكة وسطوة فخلعوا طاعة مواليتهم وجاهروهم بالعصيان واستقلوا باقطاعاتهم
بعد ثورات ومنازعات وحروب كثيرة ثم شرعوا يحاربون بعضهم بعضاً
ويخربون سيف البلاد كيفاً شاؤوا واستبدوا وامسكوا اخيراً عنان سلطنة
مطلقة في ما يتعلق بسياسة الرعايا واقام بعضهم الحروب على نفس الملك
فاتي ذلك الدولة والامة بالضعف والتقهقر مدة سنين كثيرة وما زالت
عصبية اعيانهم تتعاظم وتغتم فرصة التسلط على السلطنة الملكية حتى انه في
سنة ٨٨٧ قام احد اولئك الاعيان الملتزمين يقال له اودون وهو وجد
العائلة الثالثة المعروفة بانكاييتانية وسلب الملك من يد العائلة الثانية التي
نحس في صدها الى سنة ٨٩٨. ومن ذلك الوقت اخذ يتناوله تارة
الكارولونجيون وطوراً خلفاء اودون المذكور الى سنة ٩٨٧ حين كان لويس

الخامس الملقب بالكسلان ملكاً من العائلة الكارلوفنجية فنهض حينئذ
كبير وزرائه وفعل ما فعله سالفه الاول باخر ملوك الدولة الاولى .
وقيل ان امراته بلانش دسّت له سماً بالاتفاق مع وزيره المذكور هوك
كايت فمات في السنة العشرين من عمره والاولى من ملكه وبه تلاشت
الدولة الثانية وقام عوضاً عنه هوك كاييت راس الدولة الثالثة

الباب الرابع

في قيام الدولة الثالثة المعروفة بالكاييتانية وسقوطها

من سنة ٩٨٧ الى سنة ١٧٨١

ان هوك كاييت المتقدم ذكره الذي اغتصب الملك من يد آخر
ملوك العائلة الكارلوفنجية كان من اعظم اشراف فرانسا واشدهم باساً
واكثرهم واوسعهم املاكاً فقبض على عنان الملك وتبوأ تحت فرانسا سنة
٩٨٧ واستبد في الملك الى سنة ٩٩٦ وكان نسله كثيراً وخرج من عائلته
رجال كثيرون ذوو حذق ودراية واقدام ومثلوكوا فرانسا زماناً طويلاً
اطول من الزمان الذي ملكت فيه العائلتان السابقتان . وقد تفرعت هذه
العائلة الى جملة فروع وهي امراء كاييت نسبة الى خلفاء هوك كاييت
المذكور الذين استمروا يتناولون الملك الى سنة ١٣٢٨ . وامراء فالوا
الاولون والثانيون اولهم فيليب السادس واخرهم هنري الثالث من سنة
١٣٢٨ الى ١٥٨٩ . وامراء اورليان وهم فرع من امراء فالوا . وامراء
بوربون اولهم هنري الرابع وآخروهم كارلوس العاشر من سنة ١٥٨٩ الى
سنة ١٧٩٣ ومن سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٣٠ ثم فرع اورليان من السنة
المذكورة الى سنة ١٨٤٨ . وقد دامت دولتهم باتصال مدة ٨٦٤ سنة منذ

سنة ٩٨٧ للميلاد الى سنة ١٧٩٣ حين قُتل لويس السادس عشر عند حدوث الثورة الفرنسية العظيمة التي احدثت انقلابات كلية في الهيئة والسياسة والعوائد. وهذا هو الذي حمل الامة الفرنسية على اعتبار تاريخ الثورة المذكورة حداً تنتهي اليه تواريخ القرون المتأخرة

وعند ما جلس على كرسي ملك فرنسا هوك كايت مؤسس الدولة الثالثة كانت البلاد لم تزل على ما هي عليه في زمن الدولة الثانية. فان الجمعيات التي اسلفنا عنها كانت لم تزل مستمرة على عظم شوكتها وتنفيذ اوامرها فكانت هي تنتخب من العائلة الملكية الامير الذي يتبوا كرمي المملكة ولا يولّى ملك الا برضاها ولم تقدر الملوك ان ترتب قانوناً جديداً من غير رضا ارباب تلك الجمعيات. اما هوك كايت فانه عند جلوسه على كرسي المملكة احدث في سياستها تغييرات عظيمة اثرت في شوكة الجمعيات العمومية المتقدمة وفي احكامها فاخذت من ذلك الوقت تتزايد القوة الملكية في فرنسا شيئاً بعد شيء حتى الى ابام الملك كارلوس السابع في القرن الخامس عشر حين كسر شوكة الاشراف وابطل التراتيب والحقوق الالتزامية في القوانين العسكرية وانشأ فرقة من عساكر المشاة وجعل عليهم ضباطاً لاجل تعليمهم وقيادتهم فصاروا يخضعون له ويعتبرونه كولي نعمتهم. ثم ان الحروب الصليبية التي كان للفرنسيين دخل عظيم فيها ولئن هلك فيها نفوس عديدة وصُرف لاجلها اموال جزيلة اورثت البلاد نتائج حسنة جداً سواء كان من جهة المشروعات والتراتيب العسكرية ام من جهة اتقان التجارة والزراعة ونحو ذلك

ومن ملوك هذه العائلة فيليب الثاني الملقب اوغسطس جلس سنة ١١٨٠. وسنة ١١٨٩ اتحد مع ريكاردوس ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وقام الاثنان بجيش جرار وجاؤوا سوربة لنجدة الصليبيين وهي الحرب الصليبية الثالثة ولما وصلا الى سبيليا اي جزيرة صقلية وقع بينهما شقاق ومنافرة

افضت الى اقتراحها. على ان فيليب اوغسطس اتى سوريا وله يوم مجيد في اخذ عكا ثم قفل راجعاً سنة ١١٩١ الى فرنسا واخذ يهيج الاحزاب ضد ريكاردوس المذكور انفاً. ولما عاد هذا الاخير الى مملكته بعد عقده الهدنة مع صلاح الدين الايوبي انتشبت الحروب بينه وبين فيليب الذي لم ينل فيها فوزاً يستحق الذكر في مدة تملك ريكاردوس ولكنه من سنة ١٢٠٤ الى سنة ١٢٠٥ استخلص من ايدي انكثرا عمالات نورمنديا وانجو پواتو. وقد رغب هذا الملك في ترقية اسباب المعارف والتجارة وله عدة مناقب حسنة ثم توفي سنة ١٢٢٣

وقد خلفه الملك لويس الثامن ولم يحدث في ايامه امر مهم وكانت مدة حكمه ٣ سنين فقط فخلفه لويس التاسع المعروف بالقديس لويس سنة ١٢٢٦ وهو من مشاهير هذه العائلة فهد مصالح المملكة وساسها احسن سياسة وجعل للتاج ما يستحقه من الاعتبار والسلطان واقام دعائم الملك على اتمن اساس. وكان ثقيلاً ورعاً محباً للاداب والمعارف. وسنة ١٢٤٤ اعتراه مرض شديد اوشك ان يموت فيه فنذر انه اذا شفي ياتي الى محاربة المسلمين في فلسطين. فقام سنة ١٢٤٨ واتى مصرًا وفتح دمياط سنة ١٢٤٩ ثم تقدم الى داخلية البلاد وحدث بينه وبين جيش المسلمين معركة في المنصورة سنة ١٢٥٠ انتصر فيها ولكن بسبب المجاعة والمرض الذي اصاب جيشه بعد ذلك التزم ان يقفل الى الورا فوقع اسيراً مع اثنين من اخوته في قبضة العدو فافتدى نفسه مع اخويه بمقدار من الذهب يبلغ نحو سبعة ملايين فرنك وباخلاء دمياط وتحوله عن القطر المصري فخرج من مصر واتى فلسطين واقام فيها مدة اربع سنين وفي اثناء اقامته فتح قيسرية وصور وهذه كانت نتيجة جميع اعماله في هذه التجربة. واذ كانت امه تطلب اليه ان يرجع الى مملكته منذ مدة طويلة عاد الى فرنسا واخذ في اصلاح احوال داخلتها. وسنة ١٢٧٠ نهض مرة اخرى

لجدة الاراضي المقدسة في فلسطين لكنه اتى اولاً تونس بقصد الانقام
من التونسيين الذين كثيراً ما كانوا يتعدون على السفن الفرنسية
وغيرها ويسلبونها وامسى البحر عسر السالك بسببهم . فنجح اولاً بعض النجاح
على ان الدهر لم يسلمه الى النهاية اذ اصاب جيشه مرض الطاعون واضراً
به جداً ثم اصيب هو ايضاً به فادر كته المنية في تونس

وقد ازدادت فرنسا نمواً ايضاً في مدة فيليب الثالث خيفة القديس
لويس من سنة ١٢٧٠ الى سنة ١٢٨٤ اذ اضاف المذكور مقاطعة لانغدوك
الى التاج وبتداخله في جميع المنازعات الحاصلة يومئذ في املاك اسبانيا
السيجية امتد نفوذ كمنته الى ايطاليا لاسيما في نابولي . وقد خلفه ولده
فيليب الرابع سنة ١٢٨٤ فشرع في استرجاع الاملاك التي كانت قد
اعطيت الى لوتير امبراطور المانيا واثار عدة حروب في نفس فرنسا على
بعض الامراء الفرنسيين اصحاب المقاطعات ومع ادورد الاول ملك
انكلترا ونجح في اكثرها ووسع نطاق المملكة ونجح في مقاطعته ضد سلطة
البابا الزمنية وكسر شوكة خدمة الدين وسلطة الاشراف وجعل بينهم
وبين السيادة حاجزاً وهو مجلس المشورة فكانت تنظر فيه قضايا المملكة
والشعب . ووقع بين فيليب الرابع وبين البابا بونيفاس الثامن مخاضات
ومنازعات كثيرة فاخرج البابا المذكور ضده ثلاثة منشور ودعاه ضالاً
واراتيكياً ثم حرمه . فاغتاظ فيليب جداً وارسل جيشاً الى ايطاليا فقبضوا
على البابا واهانوه اهانة عظيمة واذ لم يكتف اصحاب فيليب بتنكيس
البابا بونيفاس بما حصل عليه من الازلال اهانوه اهانة لم يسع قط بثقلها
وهي انهم اركبوه بغلاً من غير مريح ولجام ووجهه مدار الى نحو
موخر البغل وطاقوا مستهزئين به فهذه الاهانة بالحرب الروماني مع فقد
امواله الكثيرة التي وضع فيليب ملك فرنسا وقواده ايديهم عليها اثر
به تأثيراً عظيماً اعدته الحياة

وبعد وفاة فيليب الرابع خلفه فيليب الخامس الملقب بالطويل بعد وفاة اخيه لويس العاشر الذي لم يملك الا سنتين . فرجعت فرنسا القهقري من ذلك اليوم . لانه بعد موت فيليب الرابع اقام دعائم الملك اخذ اولاده وحفدته في الميل الى الاعيان بدون تبصر في عواقب الامر والنتائج المضرة التي تترتب عليه . فجاه ذلك الاشراف طبق المراد واغتموا تلك الفرصة لارجاع سلطتهم ثانية باعانة اولئك الملوك الذين كانوا يجهلون مصالح الملك كما ينبغي . وقد حصل مثل هذه الاعانة للاشراف من الفرع الثاني الملكي الملقب بقالوا الذي اشرنا اليه في صدر الكلام عن هذه الدولة وذلك اقتداءً بخلفاء فيليب الرابع . فبسبب هذا التصرف المعلوم اشرفت فرنسا على السقوط والاضمحلال بعد ذلك الفوز والنجاح وقبح الباب للدول المجاورة لما على مهاجمتها واستخلاص املاك كثيرة منها فاعتم الانكليز فرصة اختلال احوالها وضعفها وشرعوا في الحروب المعروفة بحروب المئة سنة وقهرهم في عدة اماكن بعد ان استولوا على جانب كبير من بلادهم . وكان مبدأ هذه الحروب سنة ١٣٣٧ وامتدت الى سنة ١٤٥٢ تشب نيرانها من وقت الى وقت واشهر الوقائع التي انتصر فيها الانكليز على الفرنسيين معركة كريسبي سنة ١٣٤٦ وواقعة بواتي سنة ١٣٥٦ حين اخذ ملكهم يوحنا الثاني اسير حرب وتوفي مرهوناً في بلاد الانكليز . وبينما كانت فرنسا آخذة في النهوض في زمن حكم كارلوس الخامس الملقب بالعاقل من سنة ١٣٦٤ الى سنة ١٣٨٠ عادت القهقري في ايام كارلوس السادس اذ كان قاصراً بعد لا يستطيع ادارة مهام الدولة ثم لاختلال عقله فيما بعد بمرض المونوماانيا . واذ ذلك كادت فرنسا تشرف على الاضمحلال بالكلية خاصة بسبب نزاع وشقاق امراء العائلة الملكية اصحاب الثروة والنفوذ وتداخلهم في سياسة المالك طمعاً في الاستيلاء على التاج ورغبة في السلطنة ونفوذ الكلمة لاسيما مع ما آل اليه امر العائلة

الثانية من اشراف وامراء بورغونيا الذين كانت سطوتهم تضاهي سطوة الملك بل تزيد عليها خاصة في امارة كارلوس المجازف . وما زاد فرنسا ضعفاً ووهناً على ضعفها المشاجرات والمنازعات العديدة التي أهرقت فيها دماء كثيرة بين شيعتي ارمينياك وبورغندا . اما الحروب مع انكلترا فكانت بلا فتور وسنة ١٤١٥ انتصر الانكليز في واقعة اجنكور وتغلبوا على اكثر الايلات البحرية الفرنسية وتوغلوا في اواسط البلاد واستولوا على احكامها ونودي باسم ملكهم هنري الخامس ملكاً عليها وتزوج بعده ابنه هنري السادس فكانت فرنسا مملكة انكليزية محضة جملة سنوات . وبينما كانت غارقة في ليج اوقيانوس القلق والاضطراب والبلايا محيطية بها من كل ناحية ولا ترى لها منفذاً للتخلص من ذلك الارتباك اذا بطالع سعيد بزغ في افقها سنة ١٤٢٩ وذلك بظهور الابنة جان دارك وهي ابنة احد الفلاحين متظاهرة بالتقوى والورع . فزعمت ان الله ارسل اليها ملاكاً يامرها ان تخلص فرنسا من بلاياها وانه تراءى لها للملاك ومريم العذراء عدة مرات وامراها ان تذهب الى الملك وتطلعه عما كان . فترددت حسب زعمها في اول الامر ثم كاشفت والدها عما كان وطلبت اليه ان يسمح لها بالذهاب الى الملك فلم يجب طلبها ولكنها ذهبت اخيراً خفية عنه وادت الملك كارلوس السابع وكان وقتئذ في شينيون واطلعه على الخبر فتعجب من شجاعتها غاية التعجب ولم يكن لها من العمر حينئذ الا ١٨ سنة . وبعد مفاوضات طويلة اتقاد اخيراً الملك وارباب ديوانه الى طلبها وكان الانكليز يومئذ يحاصرون مدينة اورليان وكادوا يفتقونها فجيز الملك لجان دارك المذكورة جيشاً صغيراً فقادته بشجاعة تقصر دونها شجاعة الرجال وهمهم ولم يمض الا بضعة ايام حتى انكسر جيش الانكليز ونهقر بعد ان فقد منه خلق كثير وما برحت تطاردهم وتدفعهم حتى اوصلتهم الى مدينة رمس ثم كسرتهم هناك ايضاً مرة اخرى بعد

ان كبدتهم خسائر عظيمة ثم تحوَّلت بالجيش نحو باريس لطرد الانكليز منها وفعلت اموراً ادهشت الانكليز حتى ظنوها ساحرة . وبينما كانت تحاصر مدينة كومبيان هجمت امام الجيش على الاسوار فكبا بها فرمها ووقعت اسيرة في ايدي الانكليز فاخذوها ومن غيظهم منها حكموا عليها بالموت بدعوى انها ساحرة واماتوها حرقاً بالنار فكان ذلك فعلاً ملوماً ومنظراً محزناً جداً تقشعر منه الاجسام . وسنة ١٤٤٤ عقد صلح مع الانكليز بعد ان خسروا معظم فتوحاتهم في فرنسا واقتصروا على بعض الاقاليم البحرية . ثم في سنة ١٤٥٢ تجددت الحرب مع الانكليز ثانية ودامت الى سنة ١٤٥٣ فطرد الانكليز بالكلية من اراضي فرنسا وكانت هذه الحروب نهاية الحروب المسماة بحروب المئة سنة

وبعد ان اقتذت فرنسا من ايدي الانكليز شرع كارلوس السابع في تقويم اودها واصلاح شأنها وازال ما لحق حكومتها من الخلل وجدد بها وجاقا من العساكر المستمرة فكان بذلك قدوة لمن اتى بعده من الملوك حيث سلكوا على منواله ولم يحتاجوا الى طلب العساكر من الامراء الملتزمين كما في الماضي وكسر من شوكة الاعيان جانباً عظيماً وحصل بينه وبينهم حروب كانت له النصر عليهم . ثم توفي سنة ١٤٦١ وخلفه ولده لويس الحادي عشر فحذا حذو سالفه وتغلب على عصبة الاعيان وازاد الى حكم التاج احدى عشرة ايالة كانت كل واحدة منها مستقلة بالتصرف ولئن كانت ولايات حكمها بيد الملك في الظاهر . وكان هذا الملك شديد الاستقامة عالي الهمة محباً للعلوم والمعارف واثماً جملة اماكن لانتشارها وكان محامياً للآداب مكرماً للعلماء واهل الطباعة والفنون وكان قد اخترع هذا الفن في ما يانس يوحنا غوتنبرغ سنة ١٤٥٠ ثم نقل الى باريس سنة ١٤٧٠ في عهد هذا الملك فانتست بهذه الواسطة دائرة العلوم وتقدمت باقرب وقت . وكان علم الطب يومئذٍ قليل التقدم ممزوجاً

بالضاللات والاعمال الصحرية ولم يكن له مدرسة خاصة فجدد له هذا الملك مدرسة خاصة سنة ١٤٧٢ . وكان لهذا الملك مزيد الالتفات الى التجارة فاحضر من بلاد اليونان ومن بلاد ايطاليا كثيرين من ارباب الحرف والصنائع وجدد المعامل لعمل الاقشة المزركشة بالذهب والفضة واقشة الحرير . ومن عظيم مشروعاته ترتيبه البريد وكانت البرد في مبداء الامر معدة لمصالح الملك والبابا خاصة ثم اتسعت دائرتها سنة ١٤٨١ حتى صارت تستعمل في مصالح الاهالي ومراسلاتهم . وبالجملة احدث اصلاحات كثيرة نافعة ووسع نطاق المملكة بدون ايقاع حروب ولم يحدث في ايامه سوى واقعتين ومع ذلك اكتسب بسياسته من الفتوحات ما لا يكتسبه غيره من الملوك بالاسلحة ثم مات سنة ١٤٨٣ وترك جميع ثغور المملكة محصنة مستوفية سائر اللوازم

وخلفه ابنه كارلوس الثامن ولم يكن له ما كان لايه من الاوصاف والحامد . وكان والده قد ترك جيشا يبلغ ستين الفا على احسن حالة واكمل نظام فشرع في محاربة ايطاليا فدامت الحرب من سنة ١٤٩٤ الى سنة ١٤٩٨ وفتح اميرية ميلان ثم خرجت من يده ولم يجن من هذه الحرب سوى المشقات وفقدان العسكر . ثم توفي سنة ١٤٩٨ في ريعان شبابه ولم يترك عقباً خلفه لويس الثاني عشر وهو اقرب اقاربه اليه فتبادى في الحروب في ايطاليا حتى افنى فيها ماله ورجاله وفتح سنة ١٥٠٠ إمارة ميلان ثانية وسنة ١٥٠١ استولى على بلاد لومبارديا وبالجملة تقول ان ايام هذا الملك صرقت اكثرها في الحروب ومات اخيراً سنة ١٥١٥ بعد ان خسر اقليم ميلان الذي كان قد فتحه

وقام باعباء المملكة بعده فرنسيس الاول وكان قد اظهر منذ صباه ما يدل على حسن مستقبله وكان سالفه قد وجه في حياته بعض ماموريات نجح فيها حق النجاح فلما استلم زمام الاحكام شرع في انجاز

مقاصد سلفه من جهة استرجاع ميلان وبعد ان جدّ المعاهدات القديمة التي كانت بين فرنسا ودولتي انكلترا والبندقية زحف الى ايطاليا بجيش لم يسبق لفرنسا الى ذلك الوقت انها بعثت بثله الى ما وراء جبال الالب وكانت الخزينة عند موت سلفه قد امتست في عسر الا ان ذلك لم يشته عن عزمه فسار حتى جاوز جبال الب وانتصر سنة ١٥١٥ على سويسرة في واقعة مارينيان واستولى على بعض المدن الحصينة منها مدينة نوار وتخلي اهل سويسرة عن اقليم ميلان وانعقدت شروط الصلح وصارت حكومة جنيفا تحت حمايته ثم انكسرت جيوشه في بيكوك سنة ١٥٢٢ في محاربة الامبراطور شارلكان فغسر اكثر فتوحاته . وسنة ١٥٢٥ عزم على استرجاع ما فقده من الاملاك في ايطاليا فانتصر في مبداء الامر ثم انكسر في واقعة پافيا وانجرح ووقع اسيراً في قبضة العدو واخذ الى اسبانيا وبقي في اسر الامبراطور شارلكان اكثر من ١٢ شهراً . ثم عقدت معاهدة ما لها تخلية كل الاقاليم التي فتحها فرنسيس في ايطاليا ودفع مبلغ من النقود نظير فدية . وهكذا تخلص فرنسيس من اسره بعد ان قاسى كثيراً . وسنة ١٢٥٩ عزم هذا الملك على ارجاع اقليم ميلان وارسل جيشاً لفتح فانكسر كسرة عظيمة وتجددت ثانية شروط الصلح وكان الوسيط في عقدها البابا اكلينمنس . وهكذا مع حذق فرنسيس ودرايته وشجاعته لم يتيسر له مدة ملكه ان يغال ما كان يصبو اليه وبالجهد استطاع ان يدفع عنه قوة الامبراطور شارلكان وسطوته

ومن ثم عظم السلام بالمعاهدة التي عقدها فرنسيس مع هنري الثامن ملك انكلترا . وكان من شروط هذه المعاهدة ان ولي عهد فرنسا يتزوج بالاميرة مارية الانكليزية . وقد رغب هذا الملك في ترقية اسباب المعارف والفنون فراج سوقها بعد ان كان كاسداً حتى صار يلقب ابا العلوم والمعارف فكان رايه ان ليس لتعظيم العلماء حد ينتهي اليه وانه مادام

العلم معظماً في مملكة دام عزها وفلاحها واذا أهين فيها اسقطت . واذا كان
 قد نشأ من صفوه على حب العلم وممارسته كان يجب مجالسة العلماء فكانوا
 يصاحبونه في كل مكان ولا يفارقونه في اسفاره ولا في منزهاته وكان
 يقدم المناصب الرفيعة ويجزل لهم العطاء . وقد اعتنى جداً بالفنون
 والصناعات وانشأ عدة ابنية عظيمة فاخرة كقصر فونتنبلو وقصر سان
 جرمين وغير ذلك من الابنية المعتبرة الجميلة الى ان توفي اخيراً سنة ١٥٤٧
 ثم خلفه هنري الثاني . وسنة ١٥٥٢ اضاف المذكور الى حكم التاج
 ثلاث عمالات كان كل منها مرووساً باسقف وكان هولاء الاساقفة
 يقيمون الحروب على ما جاورهم لتوسيع نطاق عمالاتهم واخضاع جيرانهم
 وكانوا يعتقلون الرماح والسيوف وكانوا في كل مكان في حرب مع الاهالي
 لان الشعب طلب الحرية وهم فرضوا عليه الطاعة العمياء
 وفي ايام الملك كارلوس التاسع الذي حكم سنة ١٥٦٠ حدثت مذبحة
 البروتستانت المعروفة بمذبحة ماري برثولماوس سميت بذلك لانها حدثت
 يوم عيد ماري برثولماوس في ٢٤ آب سنة ١٥٧٢ . وكان ذلك بامر
 الملك ووشاية امه ماري دي ماديسيس . فاقام الكاثوليكيون المتعصبون
 بحق تنفيذ هذا الامر البربري حق القيام في أكثر انحاء المملكة وكان
 ذلك النهار يوماً هائلاً على البروتستانت يفوق وبله ويل يوم ذبح الاطفال
 في بيت لحم ونواحيها بامر هيروودس . فقتل في ذلك النهار عددٌ غفير قيل
 عشرة الاف في مدينة باريس وستون الفاً في باقي مدن فرنسا واخلاصة
 انه كان يوماً جهنمياً وكانت فرنسا كأنها قبرٌ مفتوحٌ معدٌ لابتلاع البشر .
 ويؤكدون ان الملك نفسه كان واقفاً في احدى نوافذ صرحه في اللوفر
 يشاهد تلك المناظر الرائعة متهاللاً وانه قتل عدة انفس بغدارته التي كان
 يطلقها على اولئك المساكين . ولما بلغ البابا هذا الخبر مرَّ جداً وامر بقيام
 تشكرات وابتهالات لله في جميع الكنائس الكاثوليكية من اجل هذا

العمل . واستمر ذلك التعصب ضد البروتستانت جملة سنوات وكانوا يلقبون
هو كينوت . ولحوادث تلك الاضطهادات كتب مطولة وشروح مستوفية
وفي اثناء حكم الملك هنري الثالث آخر امراء عائلة فالوا كانت فرنسا
مقسومة ثلاثة اقسام . القسم الاول البروتستانت ورئيسهم امير كوندي
وهنري ناكار الذي تبوأ مرير الملك فيما بعد تحت اسم هنري الرابع . القسم
الثاني البوليستيك او الكاثوليكي المعتدل وانضم هذا الى القسم الاول ورئيسه
الدوك دالانسون اخو الملك هنري الثالث . القسم الثالث الكاثوليك
المعتصبون او الحمر ورئيسهم الدوك دي كيز . فوقع بين الطرفين وقائع
يطول شرحها وكان النوز فيها للتقسيمين الاولين . فعقد هنري الثالث صلحا
مع هنري الرابع يعرف بصلح لوش او بوليو . فهاج حزب الكاثوليك
المعتصبين واقاموا الاتحاد المعروف بالاتحاد المقدس وكانت الغاية فيه
تخليص الديانة بمحو ذكر الكافينيين اي البروتستانت وابداتهم عن
آخروهم . وتقرر في ذلك الاتحاد انه من واجبات كل ابناء الوطن ان
ينضموا اليه والأيعتبرون ويعاملون كاعضاء وان يقبضوا على الملك هنري
الثالث ويضعوه في دير ويقيموا مكانه الدوك دي كيز ملكاً على فرنسا .
اما هنري الثالث فلما كان مرتاباً من جهة غاية ذلك الاتحاد المدعو
بالاتحاد المقدس وكان ايضاً يخشى سطوة الدوك دي كيز والاضطراب
تهدهده فر هارباً من باريس واتى بلوا وارسل يدعو اليه الدوك دي كيز
ولما حضر قتله . فهاج جميع كاثوليكي فرنسا ضده من جراء هذا العمل
فاضطر ان ينضم الى هنري الرابع وحاصر باريس واذا وشك ان يتغلب
عليها قتله رجل يدعى كلامان في اليوم الاول من شهر آب سنة ١٥٨٩
فمات في اليوم الثاني وبه انقرض آل فالوا ونودي باسم هنري الرابع
ملكاً على فرنسا من قسم عظيم من الجنود
وبتملك هنري الرابع ابتداء فرع آخر من العائلة الملكية وهو فرع من

البوربون. وكانت ولادة هذا الملك في ١٢ ك سنة ١٥٠٣ في مدينة بور
 حيث له قصر باقٍ الى هذا اليوم على ما كان عليه من القديمة . وهو من
 سلالة الكونت روبرت دي كلارون الابن السادس للملك لويس التاسع
 وكان رجلاً حاذقاً مدركاً بروستانتى المعتقد في بداية الامر ولكنه اتبع
 المذهب الكاثوليكي فيما بعد لئوال ما ربه لانه بعد وفاة سالفه هنري
 الثالث تركه قسم كبير من الجنود الكاثوليكية فاضطر ان يرفع الحصار
 عن باريس . ومع كل اجتهاده وشدة باسه وانتصاره مرتين على
 مقاوميه في اراك وايقري لم يستطع ان يدخل العاصمة الى سنة ١٥٩٣
 حين ترك مذهبه القديم البروتستانتى واعتنق المذهب الكاثوليكي ولولا
 ذلك لاستمرت القلاقل والحروب المنازعات زماناً طويلاً ولم يتمكن من
 اخضاع القوم . سنة ١٥٩٨ ابرز امراً يعرف بامر نانت نسبة الى المدينة
 التي اعطي فيها اجاز به للبروتستانت ان يتمتعوا بممارسة رسوم مذهبهم
 بكل حرية بدون مانع ولا معارض الامر الذي الفاه حفيده لويس الرابع
 عشر . وفي تلك السنة عقد صلحاً مع ملك اسبانيا ومن ثم انكب
 على اصلاح داخلية البلاد واخماد الفتنة وعصب الجراح التي انت بها
 الثورات والحروب الدينية الاهلية وتوفي اخيراً قتيلاً في ١٤ من شهر
 ايار سنة ١٦١٠ وخلفه ابنه لويس الثالث عشر الملقب بالعاذل
 وكان عمر لويس ٩ سنين عند وفاة ابيه فكانت نيابة الملك في يد
 امه ماري دي مديسيس الى ان بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره فقبض
 على عنان الملك . وكان ضعيف العزيمة فاتر الهمة وكان الكاردينال ريشليو
 الشهير هو الذي يدبر امر المملكة ومهامها واما الملك فكان له الاسم فقط .
 وفي ايام دولته كثرت الحروب من داخل ومن خارج ولكنه فاز وانتصر
 فيها . فحارب اسبانيا والنمسا وايطاليا في الخارج ومن داخل كانت الحروب
 الدينية فتغلب على البروتستانت وفتح مدينة روشيل التي كان البروتستانت

محاصرين فيها من عظم جور الكاثوليكين عليهم وذلك بعد حصار شديد
ولكنه لم يبلغ الامر الذي كان والده اجاز به للبروتستانت ان يتمتعوا
بمقوقهم الدينية ومات سنة ١٦٤٣ وكان قد سبقه الى القبر وزيره
الكردينال ريشليو بيضعة اشهر وهذا الوزير المذكور هو الذي اسس
الملك المطلق ومهد طريقه للويس الرابع عشر بعد ان كسر شوكة
البروتستانت ومحا اثر تصرفات الاشراف وهو الذي رفع شان فرنسا الى
ذرى المجد والفخر في الحروب المسماة بحروب الثلاثين سنة وذلك من
سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ ونقل اليها الرجحان الذي كان قبل ذلك
لدولة النمسا

وبعد وفاة هذا الملك خلفه ابنه لويس الرابع عشر الملقب بالكبير
ولم يكن له اذ ذاك من العمر سوى خمس سنين فكان تحت وصاية
ووكالة امه حنة دوتريش والكردينال مازارين الوزير الاول الذي خلف
الكردينال ريشليو وكانت الحروب يومئذ لم تنزل متعاقبة فعقد سنة ١٦٤٨
صلح وستفاليا ثم سنة ١٦٥٩ عقد صلح البيرني فصارت فرنسا بشروط
هذين الصلحين اعظم ممالك اوربا سطوة ونفوذاً وقد تعصبت عليها اكثر
دول اوربا ودافعت حق الدفاع وازدادت قوتها وسطوتها في صلح نيم سنة
١٦٧٨ ثم اخذت اخيراً بالقهقري من طول الحروب مع اسبانيا المسماة
بحروب وراثه اسبانيا وقد رغب جده لويس الرابع عشر في ترقية اسباب
التجارة والفنون والعلوم وخفض رسوم الاموال الاميرية وفعل اموراً
كثيرة مستحقة الاعتبار فزهت البلاد ونمت وكادت تحسف رونق اعظم
دول اوربا ولكن عند ما الفى اوامر جده المار ذكرها من جهة البروتستانت
اخذت عيال كثيرة بروستانتية من اهل الشهرة والمعارف والفنون تهجر
اوطانها عند ما باتت مسلوبة الحرية من ممارسة رسوم ديانتها ومن ثم
حدثت الحروب الكثيرة التي اشرنا عنها وجلبت هذه الامور على الدولة

الضعف والتأخر الادبي والمادي فاضحت فرنسا فاقدة أكثر فتوحاتها في الشرق والشمال والجنوب وانحصرت ضمن دائرة حدودها الاولى وهكذا فقدت في اواخر ايام هذا الملك العظيم الشان عزها وبهاؤها وروثها بالنسبة الى اوائها وبالاجمال نقول ان عصره كان من ابهج وازهى الاعصار السالفة وقد ظهر فيه عدة مشاهير من ارباب الحرب والعلم ككوندي وتورين ودوكازن وكوبير ولوقوا وراسين وموليارد ولافونتين وبوالوا ويوسوي وفنيلون مؤلف تليماك ولوبرون وغيرهم. وهو الذي انشأ دار الانفاليد وقصر فرساليا الذي اتفق عليه اموالاً جزيلة وكانت وفاة هذا الملك في الاول من شهر ايلول سنة ١٧١٥ للميلاد في السنة السابعة والسبعين من عمره والثانية والسبعين من ملكه

وخلفه حفيد ابنه لويس الخامس عشر وكان ايضاً فاتر المهمة ضعيف العزيمة محاطاً بمجمهور من النساء اللاتي ينجل الانسان ان يصف بمجايهاهن الذميمة فبات عنان الملك يتقلب في اكف اميالهن واغراضهن. وحدثت في ايامه حروب كثيرة اكثرها في فائدة دولة النمسا وذلك من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٦٣ وقد حازت فرنسا في ايامه اللورين وجزيرة كورسيكا على انها ضيعت مستعمراتها في الخارج ودام حكمه من سنة ١٧١٥ الى سنة ١٧٧٤ للميلاد ثم توفي بمرض الجدري

وتبواً بعده تحت الملك حفيده لويس السادس عشر سنة ١٧٧٤ وقد اطنب المؤرخون في مديحه وقالوا انه كان ثقيلاً ورعاً محباً للشعب وراغباً في تقدمه ونجاحه غير انه كان ضعيف العزيمة لا يعتمد ولا على نفسه وفي ايام دولته حدثت الثورة العظيمة في فرنسا وهذه الثورة هي ابتداء تاريخ فرنسا الحديث وسقوط الدولة الثالثة الفرنسية

الباب الخامس

في الثورة الفرنسية واسبابها وقيام الجمهورية الى الامبراطورية

الاولى من سنة ١٧٧٩ الى سنة ١٨٠٤

ان الشيء بالشئ يذكر. وقبل ان نشرع في الكلام عن حوادث الثورة التي حدثت سنة ١٧٨٩ رأينا انه من اللازم ان نذكر شيئاً عن الحوادث التي مهّدت لها السبيل والتي كانت مصدرها لها فنقول. قد علمنا فيما تقدم ان فرنسا ابتدأت بانتهاء السبيل والسياسي والمادي والادبي منذ اواخر مدة ملك لويس الرابع عشر وفي زمن تملك ابن حفيده لويس الخامس عشر لان هذا الاخير لم يكن يهتم الا بالقيام بحق شهواته وامباله الفاسدة فاحاط به نساء كثيرات اقمن في بلاطه في فرساليا مستوليات على قلبه فامسى عنان الدولة في ايديهن وبات زمام ادارة المهام وسياسة العباد في اكف اغراضهن وايمانهن وكن مهتمات في ما ياتيهن وباتي اهلن واعوانهن بالمجد والسطوة وكسب الاموال وتنفيذ المآرب قاطعات النظر عن صوالح البلاد والرعايا. وفي اواخر ملك لويس الخامس عشر باتت سياسة البلاد الداخلية في ارتباك عظيم وفي ايامه طرد الرهبان اليسوعيون من فرنسا كما طردوا من الممالك الاوربية الاخرى. فكان ذلك مصدراً لاضطرابات كثيرة لان الرهبنة المذكورة كانت ذات شهرة وسطوة عظيمة. فهذه السياسة واعمال اخرى كثيرة نظيرها لا يسعنا ضيق المقام لاستيفائها اضعفت قوة الدولة ووقعت المالية في عسر

لا مزيد عليه وقطعت العلاقات التي ربطت فرنسا باسبانيا و نابولي ونكست شرفها واذلتها في عيون دولتي انكلترا وروسيا وهكذا امتت الامة فاقدة الامل في ما يرفع عنها ذلك الجور والظلم وبات الجميع ينتظرون زمان الشروع في اصلاح ما قد طرأ من الفساد . ولو لم يمت لويس الخامس عشر وظالت حياته ولو مدة يسيرة لابتدأت الثورة في ايامه ولكن الذي اخر حلوها مدة خمس عشرة سنة هو تبوء حفيده تحت الملك لانه كان محباً للشعب جداً وكان يحاول اصلاح الاحوال بتشييد اركان الدولة بالاشتراك مع مجلس نواب الامة الذي كان قد الغاء سالفة

وكانت حينئذ الامة الفرنسية مقسومة ثلاث اقسام وهي الامراء وخدمة الدين والعامه وكانت اعنت السياسة وزمام ادارة مهام الامور قد اضحت في ذلك الوقت في ايدي الامراء وخدمة الدين . اما الشعب فلم تكن له يد فيها ولا كان لهم حق في المراتب ولا في ادارة امر ما من الامور العمومية فصرف هذا الملك التمس الحظ قصارى جهده و همته بمساعدة وزرائه لاصلاح احوال الامة والدولة فلم يات كل ذلك بادنى نتيجة حسنة . ولما كان روح الثورة قد انتشر بين الشعب واخذت الجرائد تتجاوز حدود الاعتدال في الكلام ضد الملك وحوكمته رأى لويس السادس عشر ان لا فائدة من الاصرار على الملكية اذ لا عضد له ولا معين فعزم على الخروج من فرنسا وخرج من قصره في التوليري في ٢٠ حزيران سنة ١٧٩١ ومع الملكة واخته وابنه وبنته وركبوا جميعهم مركبة كانت معدة لهم وساروا مرراً متنكرين ولكنه انكشف امرهم اذ عرفهم في مدينة فارين فقبضوا على الملك واهانوه واعلموا الحكومة في باريس بذلك فارسلت امراً بترجيع الملك الى باريس للحاكمه . فقلل ذلك اعتباره عند الشعب والجمعية الوطنية وجعل مضادى الحكومة الملكية يشددون طلب قيام الجمهورية

ولما رأيت ملوك دول أوروبا ما هو جارٍ في فرنسا خافوا ان يبيتوا هم
 ايضاً هدفاً لأمور كهذه وعلى الخصوص بعد ما راوا ما حدث عندما التي
 القبض على الملك فاتفق امبراطور المانيا وملك بروسيا بموجب معاهدة سنة
 ١٧٩١ مآلها ان الدول تعتبر ما هو جارٍ على لويس السادس عشر ملك
 فرنسا كأنه جارٍ عليها جميعاً. فاغتازت الامة الفرنسية من ذلك واجمع
 رايها مع ملكها ووزرائه على شهر الحرب على المانيا وبروسيا وكان
 ذلك في العشرين من نيسان سنة ١٧٩٢ وصادقت الجمعية على ذلك
 فانقضت نيران تلك الحروب الشديدة التي دامت مدة ثلاث وعشرين
 سنة ونالت بها فرنسا انحرأكليل المجد كما سيأتي ذكره في مكانه فالـ
 الجميع وقتئذٍ الى الملك ولكن الى مدة قصيرة ثم حدثت بعد ذلك امور
 كثيرة لا يسعنا استيفؤها لضيق المقام وهاج الشعب هيجاناً عظيماً وهجم
 على بلاط الملك وطلب اليه المصادقة على نظامات جديدة كانت قد قررتها
 الجمعية المدعوة بالحكومة الاجرائية فأبى وبعد ان حدثت امور يطول
 شرحها قبضوا على الملك وعلى عائلته وسجنوه في دار التامبل وبقي مسجوناً
 مدة اربعة اشهر. وكان ممن حبس معه زوجته ماري انطوانت شقيقة
 امبراطور المانيا والنمسا ثم ابنته وشقيقته الاميرة اليسانبات وخادم.
 وفي اثناء سجنه اقيمت الحججة عليه بأنه قد خان الوطن وحنقوا عليه كل
 الحنق لا سيما عندما راوا انتصارات جيوش الاعداء الالمانية والبروسية
 وتمهددها العاصمة. وفي ٢١ ايلول سنة ١٧٩٢ اقاموا جمعية الكوثانسيون
 ناسيونال اي جمعية اتفاق الامة وقررت هذه الجمعية باتفاق اعضائها
 الغاء الملكية وقبضت على زمام السلطة الاجرائية والنظامية وكانت الجنود
 الفرنسية قد اظهرت ما لا مزيد عليه من الشجاعة والبسالة وسرعة
 الحركة في محاربة الدول المتحدة فسرت الحكومة الجمهورية الفرنسية
 بهذا النجاح واعلنت وجوب الغاء المظالم الناتجة عن وجود الملوك في كل

اوربا ونشرت اعلاناً مآلهُ انها مستعدة ان تساعد الامة التي ترغب في خلع ملكها طلباً للحرية واعلنت ايضاً انها ستلغي السلطة الملكية من كل البلاد التي تدخلها جنودها وتقيم عوضاً عنها سلطة الامة وتلقي الحجز على املاك خدمة الدين والامراء قياماً بحق مصاريف الحرب وكان كل ذلك في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٩٢

وبعد انقضاء اربعة اشهر من تاريخ سيجن لويس السادس عشر واقامة الحجة عليه كما تقدم حكم عليه بالموت فطلب الملك فرصة ثلاثة ايام ليستعد فيها للموت فرفض مجلس النواب ان يمنحه أكثر من ٢٤ ساعة وفي صباح ٢١ من كانون الثاني سنة ١٧٩٤ جاؤوا بالملك الى محل القتل موثق اليدين وكانت تلوح على وجه علامات الشجاعة وعدم الاضطراب فخلع ثيابه ولما وصل الى اعلى المكان المعد لقتله بعد عن الجلادين وتقدم قليلاً الى جهة الساحة حيث كان مجتمعاً جمعٌ غفير وجيش جرار. وقال مخاطباً الشعب بصوت مرتفع: ايها الفرنسيون اني اموت بريئاً مما اتهمني به هذا الشعب واسامح من رغب في قتلي واسأل الله ان لا يحمل فرنسا مسؤولية سفك دمي. وكان يرغب في ان يطيل الكلام غير ان الاوامر صدرت بضرب الطبول والالات الموسيقية العسكرية حتى لم يقدر احدٌ بعد ان يسمع صوت الملك فساقوه الى الذبح وضرب عنقه

وحدث بعد قتل الملك في فرنسا شغبٌ عظيم وكان القتال مشدداً خارج المملكة وداخلها وكانت البلاد في ذلك الوقت كأنها قبرٌ مفتوحٌ معدٌ لا ابتلاع القتلى. ووقعت فرنسا في الحروب المستطيلة التي اتت بها بعد قتل ملكها. اذ تحالفت جميع الدول على محاربتها وابادة شعبها واقتسام مملكتهم. وكان في مقدمة هذه الدول النمسا وبروسيا. وزد على ذلك الحرب الاهلية التي اثارها اهل بلجيوم وولاية فاندي بسبب سياسة جمعية الكونفانسيون المألومة الخالية من الحقانية وفي ٨ شباط سنة ١٧٩٣ شهر

مجلس الكونتفانسيرن الحرب على انكلترا وهولاندا وجميع دول اوربا
عدا اسوج والدانيرك وفيثيسيا والدولة العثمانية . فانثبتت نيران الحرب
في كل فرنسا وكان ابتداءؤها في بلاد بلجيوم في ٢٠ شباط سنة ١٧٩٣
ومن ذلك الحين كانت الحروب متصلة بين فرنسا وأكثر دول اوربا
ودامت الى سقوط الامبراطورية الاولى سنة ١٨١٥

وحدثت بعد ذلك امور كثيرة فظيعة اقتتعت منها الابدان . منها
انهم بعد ما حكموا على الملك بالقتل اقاموا ايضا الحجمة على الملكة واتهموها
بانها كانت مشاركة في كل اعمال زوجها وحكموا عليها بالموت ايضا فاركبوها
مركبة لنقل البضائع واتوا بها الى حيث كانوا قد قتلوا زوجها من مدة
قريبة وبعد ان صعدت على المذبحة خرّت على ركبتيها وصرخت صوتاً
مرتفعاً قائلة يا الهي اسألك ان تسامح قاتلي . ثم نهضت فساوقها الى المذبحة
وقتلوها وذلك في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٧٩٣ ودفنوها في القبر الذي
كانوا قد دفنوا فيه زوجها منذ تسعة اشهر واخذوا ولدها ولي العهد
وسلموه لرجل اسكاف وفوضوا اليه امر تربيته . وكان رجل يسمى
روبسبير مشهور بالظلم والعدوان قد تولى ادارة تلك العمدة القاسية
البربرية فاستدعى الاميرة اليسانبات شقيقة الملك لويس السادس عشر
التي كانت لم تنزل مسجونة في دار التامل واقام محاكمتها في ٩ ايار سنة
١٧٩٤ في مجلس الجنابات حيث أصدر عليها الحكم بالموت فقتلوا ظلماً
وعدواناً في نفس ذلك النهار

ثم ان روبسبير المذكور لكي يميل بالشعب اليه كان قد امر قبل
ذلك بنهب الكنائس والاديرة و باضطهاد خدمة الدين بوجه الاجمال
واباح قتلهم فاقام القوم بحق تنفيذ هذا الامر البربري حق القيام . ثم
امر بنقرير نسق جديد لحساب الاشهر والسنين وكان قصده ابطال جميع
الاصطلاحات السابقة وقرراول التاريخ منذ قيام الجمهورية في ٢٢

أيلول سنة ١٧٩٢ وغير أسماء الأشهر والأيام مبتدئاً من شهر أيلول وقسم
 الأسابيع إلى عشرة أيام وغير أسماء الأيام فسمى يوم الأحد الأول والاثني
 الثاني والثلاثا الثالث وهلمّ جراً إلى العاشر. وكان كل شهر ثلاثين يوماً
 وأضاف لآخر السنة ستة أيام وبعدها أصبح وحده قابضاً على زمام
 الأمور شرع في نشر ما كان يجب أن ينشره من تعاليم فولتير وروسو الكافرين
 الذين كانوا قد هيجوا حب الثورة في قلوب الفرنسيين وعجلاً وقوعها
 بواسطة كتاباتهم. وفي ١٠ أيار سنة ١٧٩٤ أمر روبسبير بعد أن اتفق
 مع أعيانه الأريدياء نظيره الذين كانوا يدعون أنهم يتوبون عن الإمة
 بإبطال الديانة المسيحية وجميع الأديان وأعلن أنه من الواجب أن يقر
 الإنسان بوجود الخالق وخلود النفس فقط وأمر أيضاً بقتل خدمة الدين
 وجميع الذين ينتصرون ويتحزبون لهم. ففاز هؤلاء الأريدياء الأشرار مدة
 ولكن بعد ذلك بمدة ليست طويلة حدثت ثورة في باريس وسقط روبسبير
 ورفقاؤه من رجال الحكومة وأقيمت الدعوى على روبسبير نفسه وعلى
 أعيانه تخيم عليهم بالموت فنالوا أجزاء أعمالهم الشيعة البربرية وماتوا موت
 الأندال. فإنه عندما صعد ذلك الذي خضب أرض فرنسا بدماء أولادها
 هو وأعيانه على المذبح أظهروا من الخوف والجبن ما يعيب الرجال فكانوا
 سيكون كالإطفال حتى أن بعضهم ماتوا من مجرد النظر إلى قتل رفقاءهم
 وكان ذلك في ٢٧ و ٢٨ تموز سنة ١٧٩٤

وكانت جيوش الحكومة قد انتصرت وطردت جيوش الأعداء من
 فرنسا واسترجعت مدينة طولون من الإنكليز بالقوة وذلك تحت إدارة
 شاب لم يتعود بعد خوض المعارك ولم يحضر ساحات القتال قبل
 حضوره في هذا الحصار وهو البطل المشهور نابوليون بوناپارت وبعد
 ذلك أمرت بجمع الأسلحة من الأهالي ورجعت الراحة الأهلية مدة يسيرة
 إذ حدثت بعد ذلك قلاقل كثيرة. وفي ٢٧ تشرين الأول سنة ١٧٩٥

اقاموا حكومة جديدة تعرف بحكومة الديركتور مؤلفة من خمسة اشخاص
 مديرين للحكومة الاجرائية ولذلك دعيت حكومتهم حكومة الديركتور
 اي الحكومة المديرية ودامت هذه الحكومة من ٢٧ تشرين اول سنة ١٧٩٥
 الى ١١ تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ للميلاد وحدثت في زمانها حروب
 كلية نالت بها فرنسا انحر اكاليل المجد والسطوة والقوة . فخاربت المانيا
 والنمسا اولاً ثم حاربت دول ايطاليا المختلفة تحت قيادة القائد بوناپارت
 الشهير فانصرت انتصارات كلية وفتح كل ايطاليا ووضع عليها ضرائب واقام
 فيها حكومات واضعاً لها نظامات وقوانين جمهورية . وكانت وقتئذٍ ايطاليا
 مقسومة الى ممالك صغيرة ودوقيات مستقلة اكثرها خاضعاً للنمسا وبعد
 ان انتصر في معارك عديدة وقعت بينه وبين جيوش النمسا في ايطاليا
 ومهد الامور وعقد معاهدات مع دول ايطاليا ودوقياتها تقدم لمحاربة
 النمسا في اراضيها وهناك ايضاً فاز فوزاً عظيماً وفتح اكثر مدنها غير ان
 الجيوش الفرنسية الاخرى التي كانت تحت قيادة غيره من اشهر قواد
 فرنسا لم تات بنتيجة حسنة عند ما كانت تحارب المانيا والنمسا من الجهة
 الشرقية وارتدت الى فرنسا بعد وقائع كلية بدون ادى نتيجة . ومن ثم
 طلبت دولة النمسا الصلح فعقد بوناپارت معها صلحاً اتى فرنسا بالفرح
 والشرف والفوائد السياسية والمادية وعاد راجعاً بعد ذلك الى باريس
 فتلقاه الشعب والحكومة بزيد الاعتبار واثني الجميع عليه مزيد الثناء
 والشكر وكان ذلك سنة ١٧٩٧ . وبعد ان اقام مدة في باريس عرضت
 عليه حكومة الديركتور ان ياخذ قيادة العارة البحرية التي كانت قد
 تعينت لغزو الاسا كل الانكليزية ولكنها استصوبت اخيراً الراي الذي
 كان قدمه بوناپارت بفتح البلاد المصرية وبلاد سوريا لكي تكونا مفتاح
 بلاد الهند وكان جلُّ قصد الحكومة ان تبعده عن فرنسا لانها امست
 خائفة سطوته . فجهزت له اربعة وثلاثين الف جندي مع عدد عظيم من

السفن البحرية الحربية واخرى لنقل المهمات . فركب بونابارت هو وجنده تلك السفن وقلعوا قاصدين الاسكندرية . وفي اثناء السفر فتح جزيرة مالطة من فرسان انصار بيت المقدس وقد مرّ ذكرهم في تاريخ آل عثمان . فترك بونابارت فيها ثلاثة الاف عسكري وتقدم الى الاسكندرية مع بقية الجيش واكثر السفن فاخذ الاسكندرية والاساكل البحرية ثم تقدم بجنوده الى داخلية البلاد قاصداً القاهرة فاستولى عليها بعد معركةين التشتت نيرانهما بينه وبين مراد بك قائد جيش المماليك . الاولى عند الرحمانية بالقرب من دمنهور . والثانية امام اهرام الجيزة . وفي غضون ذلك وردت اليه الاخبار لجهة انتصار عمارة الانكليز على عمارته الفرنسيات في ابي قبر واحتراق الجانب الاعظم من بوارجه واسر الجانب الاخر فتكدر واضطرب لانه امسى منفصلاً عن فرنسا ومع كل ذلك ما زال الامل يخامر قلبه بالتغلب على جميع الموانع والصعوبات وبعد ان مهد الامور في القطر المصري تقدم بفرقة من الجنود لفتح بلاد سوريا فاخذ العريش وغزة ويافا وتقدم واقام الحصار على عكا مفتاح هذه البلاد وضائقها جداً واوشك ان يفتحها لولا مساعدة الانكليز للجزار والي سوريا ووقع مرض الطاعون بين صفوف عسكره فانثنى راجعاً عنها تاركاً فتوحاته في المدن التي ذكرناها آنفاً وعاد الى مصر ومنها سافر راجعاً الى باريس بعد معركة ابي قبر الهائلة التي هلك فيها ١٢ الف جندي من عسكر آل عثمان والانكليز تاركاً قيادة الجيش الاولى الى القائد المشهور كليبر الذي لم يكن دون بونابارت بالشيخاعة والحذق والدراية وقد قتله فيما بعد رجل احق بدسيسة من قبل المماليك ومسلمي مصر . فقاسمى بونابارت اخطاراً عظيمة في اثناء سفره الى ان وصل الى فرنسا اذ اوشك ان يبيت اسيراً في قبضة الانكليز وذلك في اواخر سنة ١٧٩٩ للميلاد . وكانت دولة النمسا ودول ايطاليا لتوقف عن اجراء بعض شروط المعاهدة التي قررها بونابارت قبل

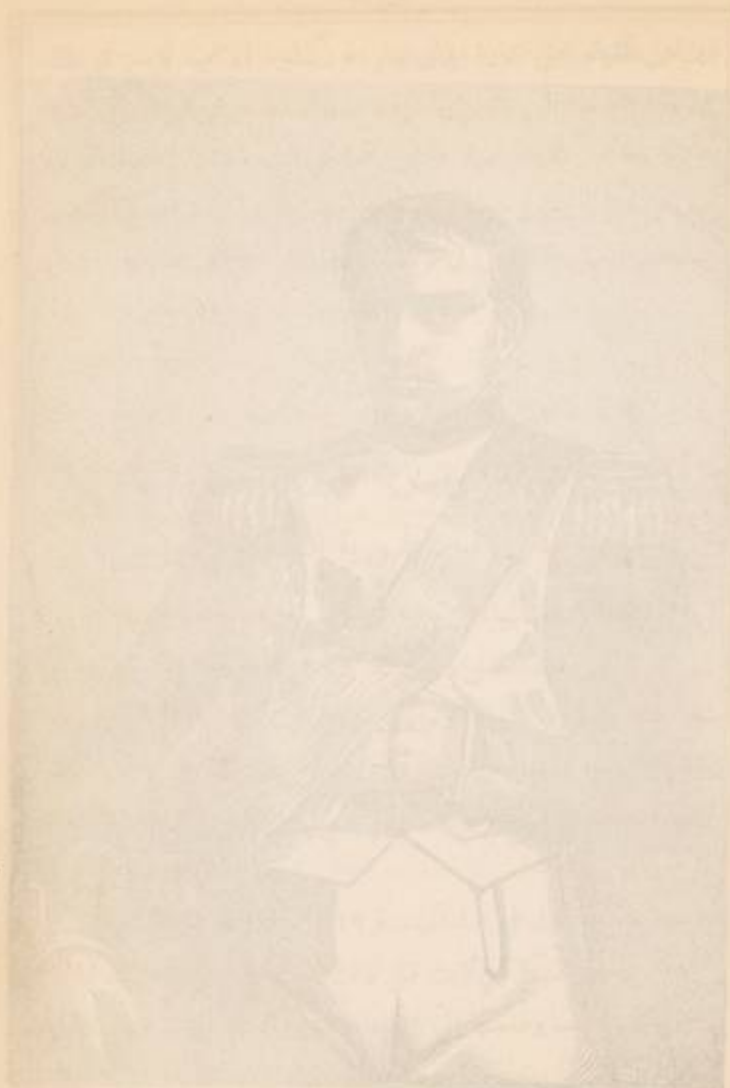
ذهابه الى مصر وكانت انكثرت هيج دول اوربا على فرنسا فباتت تلك
 المعاهدة متعلقة بين الموت والحياة واخذت فرنسا والنمسا ودول ايطاليا
 تستعد جميعاً للحرب وفي اثناء ذلك بعثت فرنسا شزيمة صغيرة تحت قيادة
 القائد هومبرت وعارة بحرية الى ايرلاندا من املاك انكثرو ليضم نار
 الميجان بين الاهالي ويحسبهم على العصيان املاً بتخفيف انكثرو لعلمها
 نطلع عن تهيج النمسا وباقي دول اوربا على فرنسا ثم اخذت تجهيز جيشاً
 آخر لتجدة القائد هومبرت في ايرلاندا فتاخر ذلك فحارب هذا القائد
 بالفر القليل الذي كان معه مدة ليست بقليلة واضطر اخيراً ان يسلم
 وبعد ذلك انت بعض البوارج الانكليزية ببعض الجنود وانزلتها في ميناء
 اوستند الفرنسية لجهة الاوقيانوس فدفعهم الفرنسيون واهلكوا منهم
 عدداً عظيماً

هذا وكانت حكومة نابولي قد شهرت الحرب على فرنسا وولت
 قيادة جيشها الى القائد النمساوي ماك فحاربه القائد الفرنسي في
 ايطاليا وكسره واستولى على مدينة نابولي نفسها والزم الملك واهل بيته
 واعيان دولته ان يلتجئوا الى البوارج الانكليزية التي كانت تحت قيادة
 الاميرال نيلسون في جزيرة صقلية وقرر القائد الفرنسي الجمهوري في
 تلك البلاد وما كانت القلاقل والاضطرابات آخذة بالازدياد ودول
 اوربا مصممة على كبح عنفوان الفرنسيين اخذت فرنسا تستعد كل
 الاستعداد وتجنّد الجنود واخيراً لما رأته لا بد من فتح الحرب بعثت
 في ١٢ اذار سنة ١٧٩٩ الى القائد جوردان صورة اعلان شهر الحرب
 ليعث به الى دولة النمسا وامرته حكومة الديركتوار ان يهاجم جيش
 النمسا الذي كان تحت قيادة الارشيدوق شارل وبعثت ايضاً بمثل هذه
 الاوامر الى القواد الذين كانوا في ايطاليا وهكذا شبت الحرب وقامت
 عن قدم وساق فنجحت الجيوش الفرنسية في اول الامر كل النجاح

وكان نجاحها في ايطاليا مستديماً غير ان جيش الرين الذي كان تحت قيادة جوردان انكسر اخيراً وثققر الى الحدود ولولا بعض الموانع التي حالت بين الارشيدوق النمساوي وبينه لا نزل به الويل والهوان . فعاد القائد جوردان الى باريس تاركاً قيادة جيشه الى احد اركان حربه ليعرض على الحكومة سوء حالة الجيش واحتياجه الى الزاد والمهمات وفي غضون ذلك كان رجوع بونا بارت من مصر

ولما اتى بونا بارت باريس وجد حكومة الديركتوار في اسوأ حال فافدة سطوتها واعتبارها اذ ليس لها رئيس فيه الاهلية واللياقة لان يدبر مهام امورها كما ينبغي فاخذ بمساعي اخيه لوسيان وبعض اعوانه ممن كانوا يميلون اليه بقلب الحكومة المديرية واقامة حكومة جديدة فنجحت مساعيه وابطل حكومة الديركتوار واقام الحكومة المعروفة بحكومة الكونسولات وهي مؤلفة من ثلاثة اشخاص يدعون قناصل وتبواً هو رياستها فسمي قنصلاً اولاً الى عشر سنين وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٩٩ ثم سمي قنصلاً مدة حياته سنة ١٨٠٢ . وسنة ١٨٠٠ بعد ان تبواً المسند الاول في الحكومة الجديدة استلم قيادة جيش ايطاليا وتقدم لمحاربة ايطاليا والنمسا اذ تكثرت بالعهود التي كان عقدها معها قبل سفره الى مصر فخار بهما وانتصر عليهما بينما كان القائد مورو قائد جيش الرين منتصباً في الجهة الشرقية . فطلبت النمسا الصلح فعقد معها معاهدة تعرف بمعاهدة لوتشيل وذلك في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ . وسنة ١٨٠٢ عقد معاهدة أميين مع الانكليز غير ان هذه المعاهدة لم تتم من الطرفين وتجدد بعد ذلك العدوان والتنافر

هذا و بعد ان انهي بونا بارت اعماله العظيمة في الخارج انكب على اصلاح داخلية بلاده وضمده جراحاتها التي اتت بها الثورة والحروب الكثيرة الداخلية والخارجية وسوء ادارة مهام امور الدولة التي كان يسومها قوم



الملك فيصل بن الحسين

الملك فيصل بن الحسين بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان



ناپوليون الاول امبراطور فرنسا وبين

في
متن
المر
بال
فقد
عاط
قبل
المش
وعم
ليزا
تلك

غير اهل للقيام بحق ادارة اعمال عظيمة وكثيرة الالهية لاسيا في تلك الظروف الصعبة التي باتت فيها فرنسا فتكلت مساعده بالنجاح العظيم . وهكذا بعد ان كان قد ساء المجلس القضائي (السينا) سنة ١٨٠٢ اتصالاً طول حياته على الجمهورية رقاها الى الامبراطورية سنة ١٨٠٤ وهكذا انتهت الحكومة الجمهورية الاولى في فرنسا التي دامت اثني عشرة سنة

الباب السادس

في قيام الامبراطورية الفرنسية الاولى وسقوطها وارجاع الملكية وسقوطها ايضاً الى قيام الجمهورية الثانية والامبراطورية الثالثة وذلك من سنة ١٨٠٤ الى سنة ١٨٤٨

انه لما كان هذا الفصل ذا اهمية كلية في تاريخ فرنسا وكان معظمه متعلقاً بالامبراطور نابوليون الاول ولم نتصد في ما تقدم لثقرير حياة هذا الرجل العظيم رأينا قبل ان نستوفي الكلام من جهته ان نقرر اولاً ولو بالايجاز خبر حياة هذا الرجل الذي لم يقم في الارض كثيرون نظيره فنقول

ان نابوليون وُلد في ١٥ آب سنة ١٧٦٩ للميلاد في مدينة اجاكسيو عاصمة جزيرة كورسيكا التي كانت قبل ذلك تابعة لولاية جينوا الايطالية قبل ان فتحها فرنسا وضممتها الى بلادها . وكان والده شارل بوناپارت من المشهورين في الجزيرة المذكورة وكان له ثمانية اولاد فخمسة منهم ذكور وهم يوسف ونابوليون ولوسيان ولويس وجيروم . وثلاثة منهم اناث وهن ليزا وپاولينا وكارولينا . وكانت ولادة نابوليون بعد ان استولت فرنسا على تلك الجزيرة بنحو شهرين . وكان ينمو في القامة ويتقدم في الاداب تحت

ادارة امه التي كانت على جانب عظيم من التهذيب والتقوى والدراية لان
 اياه شارل بونا بارت توفي حديث السن فاعتنى بامر عائلته اخوه لوسيان
 الذي كان رئيس شمامسة وكان يخصص بالاعتناء نابوليون اذ رأى فيه
 ما يدل على حسن استعداداته. ولما كان هذا الشماس على مضجع الموت
 اجتمع حوله اولاد اخيه كلهم فقال مخاطباً كبيرهم وهو يوسف انك انت
 اكبر اخوتك سناً غير ان نابوليون هو اكبركم دراية ومعرفة ولا يفترق في
 المستقبل الى اعتناء احد فانه قادر ان يعتني بذاته

ولما بلغ نابوليون سن العشر سنوات أدخل الى مدرسة حرية في
 مدينة بريين فاقام فيها اربع سنين وانصب كل الانصباب على المطالعة
 واقتبال العلوم ولا سيما العلوم الرياضية وهام بمطالعة التاريخ جداً. وكان
 حاد الطبع قليل الكلام والحركة قليل اللعب وكثير التفكير وكان شديد
 الميل لمطالعة فن الهندسة ولا سيما ما كان يتعلق منها بهندسة الحصون
 والقلع ولما بلغ سن الاربع عشرة سنة انتقل من مدرسة بريين الى مدرسة
 باريس فبرع جداً وفاق على جميع التلامذة رفاقه. وفي اول ايلول من
 سنة ١٧٨٥ نال الديبلوما وهي شهادة المدرسة ورتبة وكيل قائمقام في
 سلك الجندي وبعد مدة قصيرة ارسلوه الى فرقة من الجيوش مقيمة في
 مدينة فالانس فرقوه الى رتبة قائمقام وبعد ذلك بسنتين اتى باريس ولما
 ابتدأت الثورة سنة ١٧٨٩ كان بونا بارت في مدينة فالانس ومع ان
 كثيرين من الماعورين والضباط كانوا يخرجون من الخدمة العسكرية
 ثبت بونا بارت في خدمته وقبل بالثورة وبالتغيرات التي اتت بها ثم رفته
 جمعية الكونفانسيون الى رتبة فريق بعد حصار طولون وفتحها من الانكبابز
 وهكذا ما زال نجم سعده يطلع في برج السعود الى ان اضحى في قبضة
 يده عنان اعظم شعوب العالم وادارة مهام امورهم وذلك عند ما اقامه
 المجلس القضائي سنة ١٨٠٤ امبراطوراً على فرنسا. وبعد ذلك بسنة سُمي

وتزوج ملكاً على ايطاليا في مدينة ميلان الايطالية
 الا ان الدولة الانكليزية منذ سنة ١٨٠٣ لم تكن تنظر الى ترقى
 نابوليون واجراءاته بعين القبول فجددت التنافر مع فرنسا وكانت تترقب
 الفرص لاذلالها ولم ترض ان تعقد معه صلحاً ولا ان تعرفه رئيس الامة
 الفرنسية فغضب من ذلك واخذ يجري استعدادات وتجهيزات كلية
 لقطع خليج المانش وغزو المملكة الانكليزية وبيضا هو منهمك في ذلك
 اتحدت دولة النمسا مع دولة روسيا على محاربهه فالتزم ان يترك استعداداته
 البحرية ويحول وجهه نحو تلك الصاعقة الجديدة فتغلب على النمسا وروسيا
 ودخل فينا عاصمة النمسا ومحق الاوسترو روس في معركة اوسترليتز
 الشهيرة. وبيضا كان صدى انتصارات نابوليون مائلاً واسط اوروبا سنة
 ١٨٠٥ كانت الاخبار مكدره لجهة العارة البحرية الفرنسية التي ابادها
 الاميرال نيلسون الانكليزي في ترافلكار حيث قُتل فيها ايضاً. فبعد
 انتصار نابوليون في اوسترليتز عقد مع النمسا الصلح المعروف بصلح بريسبورج
 الذي بموجبه ضم الى مملكة ايطاليا املاك فينيسيا المعطاة للنمسا سنة
 ١٧٩٨ وسنة ١٨٠١ وجعل دوقتي ورتمبرج وبافاريا في سلك الممالك
 واعطى دوقية بادن الكبرى الى صهره مورات وسلخ مملكة نابولي من
 فرديناند الرابع ملك سيسيليا المزدوجة فاعطاه سيسيليا فقط وهي جزيرة
 صقلية. واعطى اخاه يوسف مملكة نابولي واقام اخاه لويس نابوليون ملكاً
 على هولاندا وانشأ الاتحاد المعروف باتحاد الرين قبطلت امبراطورية
 المانيا وبات الاتحاد المذكور تحت حماية نابوليون وذلك سنة ١٨٠٦
 اما انكلترا وبروسيا وروسيا فكانت تنظر الى هذه الامور بعين
 النفور والخوف من اخلال ميزانية اوروبا فاتفقت بروسيا وروسيا على
 مقاومة نابوليون واشمهرتا الحرب على فرنسا. فقام نابوليون سنة ١ٸ٠٦
 وحارب بروسيا اولاً وقهرها قهراً عظيماً ودخل برلين عاصمتها واخذ منها

ضرائب وبعض اقسام من مملكتها ثم حارب اسكندر الاول الروسي
 واقتصر عليه ايضا بعض معارك عظيمة وعقد معه ومع ملك بروسيا صلح
 تيلسيت سنة ١٨٠٧ واقام اخاه جيروم بوناپارت ملكا على فاستفاليا من
 اعمال المانيا وجعل سكسونيا في سلك الممالك وفضل املاك بروسيا في
 بولونيا وجعلها دوقية تعرف بدوقية فارسوفي الكبرى وازافها الى مملكة
 سكسونية ومن جملة الشروط التي تقرر في معاهدة هذا الصلح بعض
 شروط سرية منها معاهدة دفاع ومهاجمة واقتسام ممالك اوربا بين القيصر
 الروسي والامبراطور الفرنسي خلا المملكة العثمانية والمملكة البريطانية
 وان كل دول اوربا تقفل موانئها على السفن الانكليزية ولا تدخل بلادها
 وفي تلك السنة نفسها عقدت شروط بين فرنسا واسبانيا مآلها اقتسام
 دولة البورتوغال بينهما فدخلتها الجيوش الفرنسية واستولت على
 عاصمتها ليسبون وهربت العائلة الملكية الى ريوجينيرو في برازيل ومن ذلك
 اليوم امتدت الحرب هناك بين فرنسا وانكلترا الى سقوط الدولة
 البونابارتية سنة ١٨٠٨ ثم كتاب التشريع الفرنسي المعروف بكود
 نابوليون لانه هو الذي شرع فيه وتم تحت مناظرته وفي السنة نفسها
 دخل مورات صهر نابوليون اسبانيا بثمانين الف جندي فوقع من ذلك
 فيها الشقاق والقتال حتى اضطرت العائلة الملكية ان تلجئ الى بايون
 ومن ثم اقام كارلوس الرابع ملك اسبانيا نابوليون قاضيا بينه وبين
 ولده لفصل الخلاف الواقع بينهما فكانت النتيجة اخيرا استعفاء كارلوس
 واولاده وتنازلهم عن الملك لنابوليون فاقام نابوليون اخاه يوسف
 نابوليون ملكا على اسبانيا وتبوا تحت مملكة نابولي عوضا عن اخيه يوسف
 صهره مورات الا ان ذلك لم يات بنتيجة حسنة للملك الجديد ولا
 للامبراطورية لان الاسبانوليين لم يكونوا يرضخون لما ياتيهم بالذل
 والعبودية ومن ذلك الحين الى سقوط الامبراطورية لم تقرر الحروب بين

اسبانيا وفرنسا لاسيما ان انكلترا لم تكن تفر عن معاودة اسبانيا طورا
 باخذ السلاح ظاهرا وتارة يبدل الذهب الواضح فهلك في الحروب
 الاسبانيولية من سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨١٣ ما ينيف عن ٤٠٠,٠٠٠
 نفس من فرنسا وبين المان وايطاليان وبولونيين

ولما كانت فرنسا قد ضعفت بسبب فقدان عدد عظيم من نخبة
 جيوشها نهضت دولة النمسا ناكثة بالعبود سنة ١٨٠٩ لمحاربتها فلاقها
 نابوليون وكسر جيوشها في جملة معارك هائلة وحاصر فينا ورامها بالقنابل
 والكرات المشوة واستولى عليها وبعد ان فاز في معركة واغرام الهائلة
 فعوض ان يقسم املاك النمسا الى ولايات صغيرة ارتضى باخذ بعض
 مقاطعات وبعقد عهد الزواج على الاميرة ماري لويزا ابنة امبراطور النمسا
 فتزوج بها وطلق امراته الامبراطورة جوزيفين التي قبلت بشرب تلك
 الكاس المرة فخرمه البابا لاجل ذلك العمل المذموم اما نابوليون فلم يبال
 بجرمه بل ارسل وقبض عليه واقي به الى فرنسا اسيرا وبقي فيها الى سنة
 ١٨١٤ وسنة ١٨١١ وُلد لنابوليون ولد ذكر من زوجته ماري لويزا ودعي
 من حين ولادته ملك رومية

وسنة ١٨١٢ شهرت الامبراطورية الحرب على القيصر الروسي لانه
 نكث بعهود صلح تيلسيت فنهض نابوليون بجيش جرار وقطع المانيا ودخل
 بلاد روسيا فوقعت بينه وبين الروسيين معركةتان كبيرتان وما زال
 يطارد العدو الى ابواب موسكو عاصمة روسيا في ذلك الوقت حيث التقى
 بالجنرال كوتوزوف الروسي فهزم جيشه وشتت شمله ودخل موسكو
 غير ان الروسيين كانوا قد هياوا طريقة لاحراق عاصمتهم قبل ان
 يخلوها فاضرموا فيها النار وكاد يهلك نابوليون وكل جيشه فانهمزم
 الفرنسيون واخذوا من ذلك الوقت ينهقرون ويهلكون افواجا افواجا
 من البرد الشديد والجوع والمرض واخيرا لما اخذ الضعف منهم كل ماخذ

شرع القواد الروسيون في مهاجمتهم ومطاردتهم فهلك أكثرهم إلا القليل
 فهرب نابوليون وعاد الى باريس متنكراً وجنّد صفوفًا جديدة وخرج سنة
 ١٨١٣ لمحاربة الدول المتحدة وهي روسيا والنمسا وبروسيا وأكثر ولايات
 المانيا التي كانت قد هاجت عليه بسبب خيبتهم في حربه الاخيرة مع
 الروسيين فانتصر اولاً وفاز ولكنه غلب اخيراً ودخل المتحدون باريس
 وفادوا بارجاع الملكية من سلالة آل بوربون في ٣١ اذار سنة ١٨١٤
 ودعوا لويس الثامن عشر وهو اخو لويس السادس عشر المقتول . فاستعفى
 نابوليون في ٤ نيسان سنة ١٨١٤ واعطوه جزيرة الالب ليملك عليها
 فاقام فيها عشرة اشهر ثم عاد ودخل فرنسا في اول اذار سنة ١٨١٥ واتى
 باريس بدون مقاوم فهرب لويس الثامن عشر ليلاً وعاد الى انكلترا
 اما الدول المتحدة فلما رأت ذلك نهضت ايضاً لمحاربة فرنسا ومعها
 انكلترا فخرج نابوليون من باريس واخذ قيادة الجيش وانتصر في لينيني على
 الجيوش البروسية انتصاراً عظيماً ولكنه غلب في معركة واترلو الشهيرة
 من الدوك ولينتون فانهز الجيش الانكليزي وكانت معركة هائلة جداً فانتهى
 راجعاً الى الوراء ودخل باريس وتنازل عن الملك الى ابنه تحت اسم
 نابوليون الثاني في ٢٢ حزيران سنة ١٨١٥ غير ان الدول المتحدة لم تقبل
 بان يتبوأ تحت فرنسا احد من سلالة نابوليون . وكانت مدة حكمه بعد
 رجوعه من جزيرة الالب مئة يوم فقط وبعد تنازله عن الملك ذهب الى
 روشفورت وطلب من حكومة انكلترا ان تقبله ضيفاً في بلادها حيث
 يقيم تحت شرائع البلاد وقوانينها فركب من روشفورت البارجة الانكليزية
 المسماة بلروفون فأتت به الى پليموث احدى المواني الانكليزية وقبل ان
 ينزل منها الى البر ارسلت اليه الحكومة الانكليزية معتمدين انكليزيين
 اعلنا له انه اسير الدول المتحدة فاقام العججة على ذلك ولكن من غير
 فائدة فابقت الحكومة الانكليزية في البلروفون تحت الترسيم عشرة ايام ثم

شيعته الى جزيرة القديسة هيلانة في جنوبي الاوقيانوس الانلانتيني
 فبقي هناك اسيراً الى ان توفي في ٥ ايار سنة ١٨٢١ مَحْطُودُ فَن و بقيت
 جثته هناك الى سنة ١٨٤٠ ثم اتى به الفرنسيون من تلك الجزيرة ودفنوه
 في دار الاثالييد في باريس وهكذا كانت نهاية الامبراطورية الاولى
 الفرنسية وصاحبها

وبعد سقوط نابوليون والامبراطورية انحصرت فرنسا ضمن حدودها
 القديمة ودعت الدول المتحدة الملك لويس الثامن عشر ثانية ليتبوأ تخت
 فرنسا فجلس على كرسي الملك ثانية في شهر تموز سنة ١٨١٥ ودامت مدة
 ولايته ٩ سنوات ثم توفي سنة ١٨٢٤ بدون عقب فتبوأ تخت الملك اخوه
 كارلوس العاشر وله عدة اجراءات حسنة وفي ايام ملكه فتح الفرنسيون
 جزائر الغرب في ٦ تموز سنة ١٨٣٠ وبعد هذا الانتصار بيضعة ايام اراد
 تقرير بعض قوانين مغايرة لروح الشعب وسلب حرية المطابع والجراند
 فاغاض هذا الامر الشعب جداً وحدث هيجاناً عظيماً كانت نتيجته سقوط
 كارلوس عن تخت الملك وذلك في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ تموز سنة ١٨٣٠ فاستعفى
 متنازلاً عن الملك لحفيده الدوك دي بورديو ولكن بدون نتيجة فذهب
 الى اكوس في بلاد الانكليز ومن هناك اتى براغ ومنها الى كورتيز مدينة
 نمساوية وتوفي فيها سنة ١٨٣٦ في السنة ٨٠ من عمره فتبوأ تخت الملك
 بعده لويس فيليب من سلالة آل اورليان في ٩ آب سنة ١٨٣٠ وكان
 على جانب من الخلق والدراية والشجاعة والاقدام وقد اظنبت المورخون
 في مديحه واحداث اصلاحات كثيرة في فرنسا ودامت ولايته من سنة
 ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٨ اذ حدثت الثورة الفرنسية الثالثة فسقطت الملكية
 ثانية واقامت الجمهورية الثانية فذهب لويس فيليب وعائلته الى انكلترا
 ومات هناك سنة ١٨٥٠ في السنة ٧٧ من عمره وفي ايام هذا الملك تم
 فتح الجزائر في افرقيته

الباب السابع

في قيام الجمهورية الثانية من سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٢ وقيام
الامبراطورية الثالثة من سنة ١٨٥٢ الى ١٨٧١ وسقوطها

وقيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١

كثيراً ما يرى ارباب السياسة من نافذة الحاضر ما سيحدث في
المستقبل . ان نابوليون الاول عند ما قدم له المجلس القضائي تاج
الامبراطورية قال لم بعد ان شكرهم وشكر الامة الفرنسية انه سيركب
في المستقبل احد انسابي سرير هذه السلطنة ايضاً . وها قد جاء الزمان
الذي اشار عنه ذلك الرجل العجيب حيث سقطت الملكية ثانية واقامت
الجمهورية الثانية وتبوء المسند اول في ادارة مهام امورها لويس نابوليون
ابن اخي الامبراطور نابوليون الاول . هذا ولما كان خبر رجوع الملك
للسلامة البونابارية مستحق الاعتبار لم نجد بدءاً من تقرير بعض الاسباب
والحوادث الاكثر اهمية بهذا الشأن وذلك بالايجاز الكلي فنقول

انه بعد عودة نابوليون الاول بالخبية من معركة واترلو اجتهد بان
يقيم ابنه الذي من امراته الثانية والذي كان ولي عهد فرنسا امبراطوراً
على فرنسا تحت اسم نابوليون الثاني فلم تسلم بذلك الدول المتحدة فأرسل
الى جده امبراطور النمسا حيث ربي في بلاطه وتوفي بداء السل

سنة ١٨٣٢

فلما توفي ولي عهد نابوليون الاول صار حق التملك على تحت فرنسا للبرنس نابوليون الثالث الذي كان قد أدرج اسمه في دفتر ولاية العهد عند ولادته اذ لم يكن لنابوليون الاول عمه ولد لان الشريعة التي سنت بمصادقة الامة في ولاية العهد لم تعط حق ارث الملك اذا لم يكن للامبراطور نسل الا لاولاد يوسف ولويس واذا لم يكن لنابوليون الاول ولا لاختيه يوسف اولاد ادرج اسم شارل لويس ابن لويس نابوليون تطبيقاً للشريعة المار ذكرها في راس دفتر سلالة العائلة النابوليونية وجرى احتفال عظيم عند ولادته كأنه مزعم ان يكون وريثاً لتحت مملكة فرنسا . فلما توفي ابن عمه ولي العهد الشرعي واصبح هو ولي عهد الامبراطورية اخذ يعلق اماله بالمستقبل ويصرف قصارى همته ومساعدته في الوصول الى ما طالما كان يتمناه . وبعد رجوع الملكية الى فرنسا خرجت الاوامر بنفي العائلة النابوليونية من كل محوم فرنسا

واذ كان البرنس نابوليون غير مرن بدوام حكم الملك لويس فيليب وعلماً كراهية الاعيان جميعاً الملك المشار اليه مما كان يراه من ميل العامة نحوه وشدة ميل جموع فرنسا و بين نحو الامبراطورية السابقة عزم اخيراً سنة ١٨٣٦ على الخروج من ظلمة المنفى الى ساحة الشهرة وجعل يبذل جهده باشاعة اسمه واكتساب الشهرة وذلك بواسطة التأليف الكثيرة التي نشرها من سنة ١٧٣٢ الى سنة ١٨٣٦ وباستخدام غيرها من الوسائل ايضاً ولكن بمقدار ما كان صيت العائلة النابوليونية شهيراً كانت الوسائل التي استخدمها لنوال مرغوبه قاصرة وضعيفة ولم تاته بالمرغوب ومع ذلك لم يفتر عن التظاهر والاجتهاد لنوال غايته الى ان قبضت عليه اخيراً الحكومة ونفته الى البلاد المتحدة ثم عاد منها عندما بلغه خبر مرض والدته في سويسرا فاقام عندها نحو شهرين . الى ان ماتت سنة ١٨٣٧ ثم اخذ يحدد الوسائل لنوال مرغوباته وكانت فرنسا

في تلك الايام مرتبكة بسبب المعاهدة التي عقدت بين الدول في اوربا
 في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ التي كان من شروطها منع فرنسا عن الدخول
 في الاتحاد الاوربي. فكان اخراج فرنسا من ذلك الاتحاد سبب خسائر
 سياسية كلية. وفتحت الباب للبرنس نابوليون ان يقيم ثورة في فرنسا
 فاخذ البرنس بصرف جيوده وحمته في ذلك ولكنه لم ينجح ايضا بل
 تمّض عليه وسجن في قلعة هام وبقي مسجوناً مدة ست سنوات متوالية الى
 ان امت سنة ١٨٤٦ لما بلغه مرض والده الذي كان شيخاً ومشرفاً على
 الموت وانه يرغب في ان يرى ولده قبل وفاته ولومرة واحدة. فقيماً بحق
 الواجبات النبوية ارتضى بان يطلب من الملك لويس فيليب ان ياذن له
 ليضي ويدفن والده ثم يرجع الى السجن ليقتضي باقي حياته كما قد حكم
 عليه فلم يجبه الملك الى ما طالب فعزم على الفرار لكي يرى اياه الذي كان
 منفياً حينئذ في مدينة فيورنسا فدير طريقة للفرار من تلك القلعة مع ما
 فيها من الخفر والجنود ونجح فيها. فخرج نابوليون من تلك القلعة بعد ان
 حلق شاربيه وتزى بزي فاعل واقتى بلجيكا ومنها الى مدينة لندن ولما
 علمت حكومة فرنسا هربه كتبت الى دوك توسكانا ان لا يسمع لنا نابوليون
 بالدخول لبلادته وهكذا سدّ بوجهه باب الذهاب الى والده المر بوض
 وصارت انكلترا منفياً جديداً له

واما فرنسا فكانت في ذلك الوقت في هيجان واضطراب عظيم وذلك
 لان الاهالي كانوا قد طلبوا الى الملك لويس فيليب اصلاح قوانين
 الانتخاب وغير ذلك فرفض طلبهم فزاد ذلك هيجان الامة وسلبت الامنية
 وكثر التمرد والقتل في شوارع باريس ولم يعد الملك يامن على حياته
 والتم ان يهرب الى انكلترا. فدامت الاحوال على هذا المنوال وامتد
 النزاع الى كل اطراف فرنسا ونودي بالجمهورية واستقر الراي اخيراً على
 انتخاب البرنس نابوليون ليكون رئيساً لها فقسلم زمام الامور في ٢٠ ك ١

سنة ١٨٤٨ واخذ يصرف المحمة بقمع اصحاب الاهواء المخرفة واصلاح الخراب الذي احدثته الثورة عند سقوط الملك لويس فيليب . ولم يمسز الا القليل حتى توطدت الامنية واخذ دولاب الاعمال يدور تجاري عادته . وسدت ابواب الفتن والفساد وفتحت المدارس . هذا فضلاً عن الاصلاحات التي احدثها في دوائر الاحكام والمجالس والعسكرية وهكذا ما زال نابوليون يزيد سطوته ويوطد اركان دولته باستمالة قلوب الامة مع ما كان له من الاضداد والخصوم الاشداء وفرنسا تتقدم ونمو يوماً فيوماً الى ان ارتقى الى مسند الامبراطورية في ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٥٢ فغازق صلب السبق على كل ملوك اوربا ووصلت فرنسا في ايام دولته الى اعلى درجات المجد والشرف واصبحت ميزان العالم السياسي

وفي اوائل السنة الثالثة من تبوء نابوليون تحت الملك ثبت نيران حرب القرم اي سنة ١٨٥٤ التي دامت مدة ثلاث سنوات وانتهت سنة ١٨٥٦ فكان فيها للجيوش الفرنسية من الاعمال الحربية العظيمة ما اكسبها عظمة ومجداً لا مزيد عليهما . وبعد ان فتحوا قلعة سيبياستابول طلب القيصر الروسي الصلح وعقدت الجمعية الدولية في باريس بعد ان كانت تجري في فينا عاصمة النمسا وقرروا معاهدة سنة ١٨٥٦ المعروفة بمعاهدة باريس . ومن ذلك الوقت اصبحت باريس مرشحاً لتردد اليه اكثر ملوك القرن التاسع عشر واعيانه

وسنة ١٨٥٩ حدثت حرب ايطاليا فاخذ نابوليون نفسه قيادة الجيش لمحاربة اوستريا فخارب الامبراطور فرنسيس يوسف وانتصر عليه في معركة ماجاننا وسولفرينو وكسر جيوشه واخذ منه ما كان باقياً من الاملاك الايطالية تحت تسلطه وضمها الى ممالك ايطاليا فانقردت كل ايطاليا لادانتها واخذ مقابل ذلك مقاطعتي سافوا ونيس وعقد الصلح مع اوستريا بعد ان قهرها . وسنة ١٨٦٠ ذهبت الجيوش الفرنسية تحت

قيادة الجنرال مونتوبان مع بعض الجيوش الانكليزية وكانوا جميعاً ١٥٠,٠٠٠ مقاتل فدخلوا الصين ثم الكوشين صين وكسروا جيوش امبراطور الصين الكثيرة العدد والعديد وبددوا شملهم . فبعث امبراطور الصين يدعوه للصلح فصالحوه تحت شروط لو سمعها قبل ذلك الصينيون لاقشعرت ابدانهم منها . وسنة ١٨٦٢ ارسل نابوليون جيشاً الى المكسيك وفتحها وأقيم عليها امبراطوراً الارشيدوق فردينند مكسيميليان شقيق امبراطور اوستريا . ولكن هذه الحرب لم تجدر نفعا لفرنسا ولا لذلك الامبراطور المنكود الحظ لانها كانت سبب انصرام حياته ولم يمن نابوليون منها سوى القدرح او اللوم في سياسته والمصاريف الباهظة على خزينة المملكة . وهكذا مازال طالع نابوليون وفرنسا سعيداً الى سنة ١٨٧٠ حين شبت نيران الحرب الاخيرة بينها وبين بروسيا والمانيا . ولا يخفى ان من جملة الاسباب التي سببت فتح الحرب هي احقاد كامنة في الصدور من عيد طويل لانه لما انتصر الفرنسيون في معركة ينا سنة ١٨٠٦ ليلاد صمم البروسيون على اخذ الثار الى ان انتشبت نيران معركة ليسيك ومعركة واترلو وهما المعركتان اللتان سببتا سقوط نابوليون الاول ودخول المنتصرين لاسيا البروسيين الى باريس فهكذا تمكن البروسيون من ان يخذوا بعض ما كان عندهم من الرغبة في الانتقام . الا ان الدول المتحدة مع بروسيا كانت تمنعها عن تنفيذ كل ما ربهها وهكذا كانت الامتياز تنتهزان كل فرصة للانتقام احدها من الاخرى . وما زالت الاحقاد كامنة في الصدور الى ان وقع ما وقع والذي هيج هذه الاحقاد ما حصل سنة ١٨٦٧ من النزاع بين هاتين الدولتين بسبب اقامة بروسيا في لوكسبرج ولولا مداخلة انكتررا لانتشبت الحرب بينهما فان جمعية لندن الدولية اطلحت الامر في تلك السنة وهكذا اخمدت نيران الحرب التي كادت تشب في ذلك الزمان اخماداً وقتياً . لان رماد السياسة سترها بدون ان يطفيها

ومند حدوث الثورة في اسبانيا سنة ١٨٦٨ وخلع الملكة ايزابله عن الملك اخذ الاسبانيون يسعون في قامة ملك ليتبوا عرش ملك بلادهم وكان الجنرال بريم الاسبانيولي قد صرف اقصى جهده بهذا الشأن الى انهم اخيراً طلبوا ليوبولد البروسي . فلما بلغ نابوليون ودولته بان الامير ليوبولد ارتضى بان يصير ملكاً على اسبانيا وراى في عين السياسة ان ذلك مما يحل بميزانية اوربا اذ يجعل اتحاداً قوياً بين دولتي اسبانيا وبروسيا ويعرض فرنسا يضا الى مخاوف عظيمة اذ يجعلها في مركز خطر نظراً لوضعها الجغرافي التزم ان يشهر الحرب ضد بروسيا فتوسطت انكثرا لانهاء ذلك الخلاف بسياسة الاقلام ولكن بدون فائدة . ولا ريب ان بروسيا كانت تعلم جيداً ان سماحها لامير الماني ان يجلس على كرسي مملكة اسبانيا يسبب شوب نيران الحروب بينها وبين فرنسا ولكنها تظاهرت بعدم مداخلتها في ذلك بينما كانت ترغبه وتعضده مراراً وفي ١٦ تموز سنة ١٨٧٠ شهرت فرنسا رسمياً الحرب على بروسيا وخرج نابوليون من باريس ومعه قيادة الجيش وخرج ملك بروسيا ايضاً من الطرف الاخر قائداً جيوشه الجرارة وحدثت المعركة الاولى بين الفريقين في ٦ آب امام مدينة ساربروك وكان الفوز فيها للفرنساوين وحضر هذه المعركة نابوليون وابنه وشي المعركة الاولى والاخيرة التي انتصر فيها الفرنسيون وكان سبب رجحانهم فيها مدافعهم الراشة التي كانت تحصد صفوف البروسيين ومن ذلك اليوم لم يبق للفرنساوين قائم في جميع الحروب والمعارك التي حدثت بين القشتين وما زال الفرنسيون في تأخر والبروسيون في نجاح الى ان حدثت معركة سيدان في ٤ ايلول واقهر الفرنسيون فيها اي اقهار واحاط بهم الالمان من كل جهة واخذوا يرمونهم بالكرات المحشوة والمحرقة فاشتعل القسم الاعظم من المدينة وكادوا يهلكون لولا طلب التسليم وذلك بعد ان بذلوا ارواحهم وكل ما هو في

طاقتهم للتخلص من الاسر المهين فلم يجد لهم ذلك نفعا . فسلم الامبراطور نابوليون سيفه لملك بروسيا وكل جيوشه ايضا واصبح اسيرا مع نحو ثمانين الفا من الجنود وبقي اسيرا في قصر وبلهم شوه في قاستغاليا من اعمال المانيا الى ان انتهت الحرب بين فرنسا وبروسيا

ولما بلغ ذلك الخبر الشعب والحكومة في باريس اضطربوا اضطرابا عظيما واخذوا في تحصين العاصمة والاستعداد للحصار واعلنوا سقوط الامبراطورية واقاموا حكومة مؤقتة تُعرف بحكومة المحاماة عن الوطن وذلك في ٤ ايلول سنة ١٨٧٠ اما البروسيون فما برحوا ينتصرون في اكثر المعارك التي كانوا يقيمونها لابل في جميعها ويحاصرون القلع ويفتحونها وتقدموا وحاصروا باريس وفي اثناء ذلك سلم المارشال بازين في ميتس مع نحو ١٥٠,٠٠٠ جندي فسيقوا امرى الى المانيا افواجا افواجا . وما زال الالمان يقيمون الحرب على قدم وساق ويشدون الحصار على باريس ويرمونها بالكرات المحشوة الى ان سلمت اخيرا وعقدت شروط الصلح بين الدولتين المتحاربتين تحت شروط لم يجر لها مثيل في كل القرون الماضية . ومن جملة ما سلخ ولاية الازراس وخمس ولايات اللورين من فرنسا ودفع غرامة الحرب خمس مليارات من الفرنكات . وهذا المقدار يبلغ نحو نصف عشر مال العالم وابقاه خمسين الف جندي الماني في ولايات فرنسا الى ان تدفع التضمينات المذكورة . فهذا ما جنته فرنسا في الحرب الاخيرة اي هلاك عدد عظيم من الانفس والذل والهوان وفقد جانب عظيم من انحر اراضيها وهكذا سقطت الامبراطورية الثالثة وعادت الجمهوريه ثالثة ورئيسها ادولف تييرس

وبيما كانت هذه الامور جارية مع الاعداء في الخارج كانت القلاقل والاضطرابات آخذة كل ماخذ من داخل بين الفرنسيين انفسهم فان كثيرين من رؤساء الاحزاب ومجبي الثورات كانوا قد هيجوا واستألو

كثيرين من الاوباش وسفلة القوم طمعاً بالارتقاء الى المراتب السامية فاقاموا جمعية يباريس تعرف بالكومون واتخذوا من حزبهم بعض القواد والجنود واقاموا الثورة في باريس واخذوا يهيجون الشعب للقيام ضد الحكومة الجديدة فوضعوا ايديهم على مخازن الحكومة ومهماتهم وتحصنوا في باريس حاسبين ان حكومتهم هي الحكومة الرسمية وطاعين في حكومة تيرس واعوانه واذ لم تقدر الحكومة على توقيف الثورة والتأثرين بقلم السياسة اضطرت ان تلجى الى اخذ السلاح وشهر الحرب عليهم فحاصرت باريس زماناً ليس بقليل ووقع بين الفئتين عدة وقائع الى ان فازت اخيراً حكومة تيرس بالفوز والغلبة والقت القبض على من كان له دخل في تلك الثورة وقتلت البعض ونفت البعض الآخر وهكذا اخذت الراحة تعود الى فرنسا . على ان اولئك التأثرين لما رأوا عدم نجاحهم في ما طالما صبو اليه اخذوا يوقعون السلب والنهب في باريس واحرقوا اعظم قصورها وابهجها وانفخوا كثيراً من الآثار النفيسة التي لا تعوض واحترق جانب عظيم من مكتبة اللوفر المتبرة فكان ما اتلفه الفرنسيون انفسهم يقارب ما اتلفه الالمان في زمن الحرب بطوله

هذا وقد ظن اكثر الناس في اثناء الحرب بين فرنسا ومانيا وبعد نهايتها ان فرنسا لا تخرج من وهدة القهقري التي وصلت اليها الا بعد زمان طويل جداً وظن البعض انها ربما لا تخرج منها الى ما شاء الله على انه لم يمض الا بعض السنين حتى رأينا هذه الامة العظيمة الشان قد نهضت نهوضاً عظيماً من سقطتها وقد وفيت غرامة الحرب الهائلة المقدار واخذت تنقدم سريعاً جداً وقد توطدت الامنية في داخليتها واخذت دولاب الاعمال يدور كجاري عادته على محور جيد وفي ٢٤ شهر ايار سنة ١٨٧٣ استعفى تيرس من رياسة الجمهورية وانتخب مكانه الماريسال مكماهون الذي شهرته تغني عن ذكر صفاته وفي خلال سنة ١٨٧٨ تنازل

المذكور عن الرئاسة وانتخب مكانه جول كريفي في بداية سنة ١٨٧٩
 وفي عيد حكومته اشتهرت فرنسا سيادتها على تونس الغرب وذلك سنة
 ١٨٨٠ ثم استولت على تونكين وشاريت الصين سنة ١٨٨٤ ثم خلفه
 سادي كارنو الذي قتله في مدينة ليون الفوضوي كازاريو في سنة ١٨٩٣
 وجاء بعده جان كريمير باريه الذي استقال من الرئاسة في شهر كانون
 الثاني سنة ١٨٩٥ وخلفه فيلكس فور الرئيس الحالي الذي
 انتخب في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٩٥ ومولده
 في مدينة باريز في ٣١ كانون الثاني

سنة ١٨٤١

جز
 باس
 ملكا
 الفر
 اما
 جانب
 تعتبر
 ليسوا
 الار
 من ا

الفصل الرابع

في تاريخ مملكة الانكليز

الباب الاول

في جغرافية انكلترا ووصفها الحالي

ان المملكة الانكليزية كائنة على جزيرتين منفصلتين فالاولى تدعى جزيرة بريتانيا الكبرى وتشتمل على انكلترا وويلس واسكوتسيا المعروفة باسكوتلاندا . والثانية جزيرة ايرلاندا ولذلك يسمي الانكليز مملكتهم مملكة بريتانيا الكبرى وايرلاندا . فجزيرة بريتانيا واقعة على شطوط اوربا الغربية يفصلها عن فرنسا الخليج الانكليزي الذي عرض مضيقه ٢٥ ميلاً . اما ايرلاندا فموقعها غربي جزيرة بريتانيا على مسافة نحو ٦٠ ميلاً ولكن جانباً منها اقرب جداً الى اسكوتسيا

ومع ان هاتين الجزيرتين لا تُعدان من البلاد المتسعة وبقعتهما تعتبر من الرتبة السابعة من ولايات اوربا بالنظر الى المساحة فاهاليها ليسوا باقل من ٣٢ مليوناً ويتبعها ايضاً تملكات خارجية كثيرة في القارات الاربع بحيث ان ملكة بريتانيا تحكم على اكثر من ٢٠٠ مليون تقريباً من الشعوب كما يظهر من الجدول الآتي . هذا عدا ما هي عليه من القوة

البحرية واتساع المتجر والمعامل والصنائع والعلوم فذلك تعتبر الأولى على وجه الارض في الغنى والقوة والهيئة الاجتماعية

عدد سكان بريطانيا الكبرى وما يتبعها

عدد في سنة ١٨٩٣

في بريطانيا

عدد

٢٢,٧٠٤,١٠٨ في انكلترا ووالس

٠٣,٣٥٨,٦١٣ في اسكتلندا

٠٥,٤٠٢,٧٥٩ في ايرلندا

٠٠٠٥٣,٨٦٧ في جزيرة مان

٠٠٠٩٠,٥٦٣ في جزائر نورمونديا

٣١,٨١٧,١٠٨ عساكر وبحرية خارج البلاد

١٥٩,٦٦٦,٤٢٨ في الهند الشرقية

في املاكها الخارجية ما عدا الهند

عدد

١٦٠,٣٦٩ في اوربا

٥,١٣٣,٧٢٢ في اميركا

١,٨٦٠,٠٠٠ في افريقية

١,٩٥٨,٦٥٠ في استراليا

٢,٤٠٥,٢٨٧ في سيلان

١١,٩٤٣,٥٧٢ في هونغ كونغ وغير اماكن

٢٠٣,٤٢٧,١٠٨

اما اوصاف اهلها فلا يمكننا اطالة الشرح بالتكلم عنها ولكن يجب القول بانهم شريفو النفس اصحاب حزم وعزم في الامور محبو الوطن وعمل الخير مستقيمو السيرة والتصرف منعكفون على التقدم في الصنائع والعلوم وعندهم الحرية الكاملة في اعمالهم وطبائعهم ومذاهبهم شديدو الزناة والديانة العامة بينهم هي البروتستانتية

وفي هذه البلاد انهر كثيرة منها نهر التاميس الذي تصعد فيه مراكب كثيرة الى لندن ونهر مرسى الذي يصب في بحر ايرلاندا وغيرها. والهواة معتدل في هذه الولايات وارضها منجسة واهلها يعتنون في امر الزراعة اكثر من غيرهم. وفي هذه البلاد معادن كثيرة من الفحم الحجري والحديد والنحاس والرصاص والقصدير. وفيها من المعامل العظيمة ما لا يوجد في ممالك اوربا

وقصبة بريطانيا الكبرى مدينة لندن وهي اعظم مدن العالم وعدد سكانها مع ضواحيها يبلغ نحو ستة ملايين نسمة واسواقها نحو عشرة الآف سوق يخترقها نهر التاميس في الوسط فتعبر الناس من جانب الى آخر على جسور منقنة جداً منها حديد ومنها حجر وليس لهذه المدينة سورٌ يحيط بها كباريس وبرلين وباقي مدن اوربا الكبيرة بل يحيطها خلافاً ظريف مبثقعٌ بضيع صغيرة وقصور وابنية مستظرفة لسكن فصل الصيف وفي هذه المدينة كثيرٌ من الابنية العظيمة مثل كنيسة وستمنستر وكنيسة ماري بولس وسراي بوكينهام التي هي محل اقامة الملكة. وفي هذه المدينة سكك حديدية كثيرة جانبٌ منها تحت الارض بين الاسواق يسير فيها الناس من جهة الى اخرى باسرع وقت

ومن مدن انكلترا مانشستر حيث تعمل الاقمشة القطنية للعالم. وليفربول وهي ميناء تجاري لمراكب العالم. وبرمينكهام وشيفلد محل عمل الآلات والاسلحة الحديدية وغيرها. وفي الجهة الغربية من انكلترا مقاطعة

وإلى يتكلم أهلها بلغة مخصوصة لانتهاها الانكليز. وفيها جبال كثيرة يستخرج منها الفحم الحجري وغيره من المعادن ومع ان أهلها كانوا قديماً في غاية التوحش فلان يعيشون حسناً وهم اصحاب غيرة واجتهاد

أما اسكوتلاندا فهي الى جهة الشمال من انكلترا وهي مقسومة الى قسمين اعلى واسفل. فالقسم الاعلى يشتمل على جبال عالية باردة وبعض سكانها يتكلمون الغاليكي الذي يعسر فهمه. أما القسم الاسفل فهو لجهة الجنوب يعادل انكلترا في الجودة وأهلها يعتنون جداً في العلوم ويرغبون في اشاعة المعرفة. وتكثر في هذه البلاد معادن الفحم والحديد وفيها معامل عظيمة ومدارس كلية واشهر مدنها ادنبرج وفيها مدرسة طيبة لانظير لها في كل العالم. وكلاسكو وهي شهيرة في معاملها واقمشتها

أما جزيرة ايرلاندا فيفصلها عن جزيرة بريطانيا الكبرى خليج مار جرجس وبحر ايرلاندا وهي جيدة التربة وهواؤها رطب معتدل وأهلها فقراء بسبب عدم النقات الحكومة. فكثير منهم يهاجرون بلادهم ويستوطنون في اميركا. ولكن المأمول انه بواسطة التغييرات الجديدة التي احدثتها الحكومة ستتحسن احوال هؤلاء الشعوب الذين أكثرهم باباويون. ومن اشهر مدن هذه الجزيرة دويلين وبلفاست. وكانت هذه الجزيرة مستقلة قديماً لم تغلب عليها الانكليز الا سنة ١١٧٢ مسيحية ولم تصر جزءاً من المملكة الا سنة ١٨٠١ حين قبلت في المعاهدة مع القسمين الاخيرين

الباب الثاني

في اصل البريتانيين القدماء واصنافهم وديانتهم وتملك
الرومان على بلادهم الى سنة ٤٢٠ للميلاد

ان اصل البريتانيين لا يعرف بالتحقيق وتاريخهم القديم كباقي
التواريخ القديمة لا يوثق به والمرجح عند العامة ان بريطانيا تشعبت شيئاً
بعد شيء من محلات مختلفة من قارة اوربا غير انه لا يعلم في اي وقت
دخلها الناس اولاً والخبر الوحيد الذي يوثق به من هذا القبيل هو ان
جماعة من الكلتيين وهم فرع من الغالين اي الفرنساويين الذين مقر
بلادهم بين نهر السين ونهر غارون اتوا من شطوط فرنسا ونزلوا على
شواطئ بريطانيا بدون مقاومة احد وكان قصدهم في انتقالهم توسيع دائرة
مفجرهم وفقاً لارادة ملكهم تيوتات الذي كان محباً للتجارة وتقدمها حباً
مفرطاً ثم بعد هولاء اتي ايضاً قوم من البلج من شمالي فرنسا وهم ايضاً
فرع من الغالين وسكنوا البلاد فرجما ينتسب الى هاتين الفئتين
البريتانيون الاولون

ولم يكن للبريتانيين القدماء شيء من المعرفة والتمدن فكانت ملابس
العامة من جلود الوحوش الضارية وكانت زينتهم صبغ اجسادهم بعصير
بعض الثبات يطلون به ابدانهم واحياناً ينقشون عليها صور بعض
الحيوانات اما المتقدمون فيهم فكانوا يزرعون بما زر من قماش حول

وسنطهم ويطوقون اعناقهم بسلاسل من ذهب ونساوهم يلبسوا اساور
ذهبية. وكانت مساكنهم اكواخا حقيرة يقيمونها نارة من اوراق الاشجار
وطورا من طين وكان شغلهم الوحيد صيد الحيوانات واشبهوا عرب البادية



كلتيون سكان برينانيا الاقدمون

جائلين من مكان الى آخر بحسب فصول السنة فكانوا في زمن الصيف
يحلون غالباً في الاودية المنخفضة حيث يجدون مرعى وماء لمواشيهم وفي
الشتاء ينتقلون الى التلال والجبال لاجل النشاف للصحة. وكانت ماكلهم
لحوم الحيوانات والالبان ولكن بعد دخول البلجيين من غاليا عملوا الاهالي
ما كانوا يعرفونه من امر الزراعة ومن ذلك الوقت ابتدأوا ان يصنعوا
الحبزا. اما احكامهم فكانت عائلية اعني ان كل رب عائلة كان مسوولاً
لجيرانه عن عائلته

وكان الشعب ينقسم ثلاث رتب اشرف واكليروس وعامة وكان
اهل هذه الرتبة الاخيرة من ادنياء الشعب بعامون كالعييد اما الاشرف
فكانوا كالامراء كل منهم يحكم على مقاطعة مستقلة واما السكنة فكانوا

ينقسمون ثلاث رتب اخصها المعروفة بالدرويد. فكانوا معتبرين عند
الشعب وكان لهم حق المناظرة ايضاً على كل اعمال الرعية وكان لرئيس هذه
الرتبة السلطة والتصرف المطلق في كل الاشغال . فدام تسلط الدرويد
على الشعب الى زمن نبرون امبراطور الرومانيين حين استولى على البلاد
وامر بقتلهم . واما الرتبتان الاخرى فاختصت احدهما بنظم الاشعار
وانشادها على القياثير والاخرى بالدرس العقلي للفلسفة والاعمال الطبيعية
وفي كل علم او فن من شأنه ان يذهل الشعب ويجعل لهم حرمة عظيمة
في عينيه . وبناء عليه اعتبر الشعب اهل هذه الرتبة انصاف آلهة ممتازين
بمواهب مماوية خصوصية . اما ديانة البريتانيين فكانت صنمية من النوع
الاردلي وكثيراً ما قدموا ذبايح انسانية لآلهتهم الكاذبة وكانوا يسجدون
للصخور والحجارة وينابيع المياه واما ما كان في مزيد الاعتبار عندهم
وكانوا يعبدونه بوقار غريب فهو شجر السنديان ونبات آخر ينمو على
قاعدته وهذه المعارف عن حالة البريتانيين القدماء وعوائدهم وعبادتهم
اتصلت للمتأخرين بواسطة الاشعار التي نظموها وانتقلت من قرن الى آخر
وسنة ٥٥ ق م اتى بريتانيا يوليوس قيصر قائد جيش الرومانيين
بقصد افتتاحها فقاومه الاهالي وساعدهم على ذلك هيجان عظيم حدث في
البحر شنت كل السفن فاستصوب قيصر ان يؤخر المهاجمة الى وقت
آخر . ففي الربيع المقبل حضر ثانية ومعه كاسيوس قائد فرقة من العساكر
المشهورة في الحروب ودخل البلاد ولكنه لم يتغلب عليها تغلباً كاملاً .
وسنة ٤٣ ب م ارسل كلوديوس امبراطور الرومانيين الرابع بعض القواد
ليتملكوا الجزيرة فقاومهم كاراكتاكوس رئيس قبيلة بريطانية فانكسر
وقبض عليه وأرسل اسيراً الى رومية غير ان كلوديوس اطلقه بعد
ذلك . وسنة ٥٧ للمسيح اتى سوثونوس بولينوس من قبل الامبراطور
نبرون ليستلم زمام الاحكام فوجد بين كهنة الدرويد المار ذكرهم روح

العصاة ومحببة الاستقلالية فعزم على ابادتهم واذا هربوا من امامه لحقهم
 وقتك بهم فلم يسلم منهم الا طوييل العمر
 وكان بين البريتانيين قبيلة تدعى قبيلة ايسني متراصة عليها الملكة
 بواديكييا فنضت هذه الملكة وحركت همه الاهالي على اخذ الثار من
 الرومانيين لاجل قتلهم الدروبيديين فاجابوها الى ذلك وبينما كان
 سويتونيوس السالف ذكره منشغلاً في ملاحقة هؤلاء الكهنة نهض
 البريتانيون على الرومانيين القاطنين بينهم وقتلوا منهم ٧٠ الفاً واحرقوا
 مدنهم . ولكن عند رجوع سويتونيوس من سفره ونظره الى ما حل بقومه
 انتقم من البريتانيين وقتل منهم ٨٠ الفاً على ما قيل وضابق الملكة بواديكييا
 فاختارت الموت على الوقوع في ايدي الاعداء وشربت سما وماتت . ولم
 يكتف سويتونيوس بهذا الانتقام بل استمر على مضايقة البريتانيين بقساوة
 شديدة حتى امرت الدولة الرومانية بعزله وارسلت مامورين غيره كانت
 سياستهم مجانسة الاهالي وتوطيد السلام . ومن جملة هؤلاء القواد
 يوليوس اغريكولا الذي بواسطة سياسته العادلة الحكيمة اكمل اخضاع
 ولاية بريتانيا وثبت سيادة رومية . وكان ذلك من سنة ٨١ الى سنة ٩١
 للميلاد في ايام دوميتيان امبراطور رومية الحادي عشر
 وفي اثناء تملك الرومانيين كانت بريتانيا مقسومة الى خمس ايالات
 يحكمها مامورون من طرف الحاكم الاكبر . وكانت البلاد مضطربة على
 الدوام بسبب غزوات شعوب اسكوتسيا المتوحشة الذين كانت مساكنهم
 في جبال كاليدونيا . فالتمزم اغريكولا ان يقيم سوراً كبيراً بين نهر فورث
 ونهر كلايد لاجل منع غزوات السكوتسيين . وبعد ذلك اقيم سور آخر
 اعظم من الاول يمتد على مسافة ٨٠ ميلاً اطلق عليه اسم سور ادريان
 نسبة الى ادريان امبراطور رومية الرابع عشر سنة ١٢١ مسيحية . ثم بعد
 ذلك بجملة سنين صارت تقوية هذا السور بمعرفة الامبراطور سثيروس

وهو سلطان رومية التاسع عشر الذي توفي في مدينة يورك من اعمال
بريتانيا سنة ٠٢١١. وسنة ٢٨٧ عصى المملكة الرومانية احد قوادها البحر بين
المدعو كاروسوسو فالتصق بالبريتانيين الذين كانوا يصبون الى خلع
طاعة رومية فقبولوه وسموه عليهم ملكاً وبعد ذلك بسنين قليلة قام عليه
احد اتباعه وقتله طمعاً بالولاية فعينت الدولة الرومانية قسطنطينوس
القائد لاختضاع بريطانيا فسار اليها واخضعها عفواً لان الحروب الداخلية
والانقسامات سهلت عليه الامر فرجعت بريطانيا الى حالتها الاولى ولاية
رومانية بعد انفصال عشر سنوات ودامت على ذلك الى القرن الخامس

وفي مدة الاربعة الاجيال ونيف التي حكم بها الرومانيون البلاد
البريتانية تقدم الاهالي تقدماً نشيطاً في بناء المدائن واتقان الصنائع
والزراعة وغير ذلك حتى حصلت البلاد على نوع من الثروة والتقدم
ولاسيا بواسطة دخول الديانة المسيحية التي لم تلبث الاً زمناً قصيراً فقط
لثدة الاضطهاد الذي اثير عليها في زمن تسلط الانكلوساكسونيين
ولكنها ظهرت ثانية سنة ٥٩٦ كما سيأتي

وفي القرن الخامس قام على المملكة الرومانية بعض قبائل من برايرة
الشمال وكانت احوال ايطاليا يومئذ في اضطراب فالتزم الرومانيون في
ايام الامبراطور فالنتينيان ان يسحبوا قوتهم العسكرية من بريطانيا لاجل
الحماية عن وطنهم فانسحبوا جميعاً تاركين البلاد بيد اهاليها. وكان حدوث
ذلك سنة ٤٣٠

الباب الثالث

في ذكر تملك الدولة السكسونية وحكم الدولة الديناركية وذلك
من سنة ٤٢٠ الى ١٠٦٦

فلما ترك البريتانيون الى حالهم وجدوا انفسهم غير قادرين على مقاومة
غزوات جيرانيين البكتيين والاسكوتيين لانهم في مدة خضوعهم
للمومانيين فقدوا ذلك الروح الحربي الذي كان لهم فاضمحوا عرضةً لمغازي
اعدائهم الذين كانوا يمتدون رويداً رويداً الى داخل البلاد حتى التزم
اخيراً احد رؤساء البريتانيين سنة ٤٤٩ ان يلتبس معونة السكوتيين
(قبيلة جرمانية عند شواطئ نهر الالب) ليسانعدهم على مقاومتهم . واذ
كان بين القبيلتين مودة وصلة قديمتان اتى البريتانيين فرقةً من هولاء
القوم تحت قيادة هنجيست وهورسا وساعدوهم على طرد البكتيين
والاسكوتيين من البلاد وارجعهم الى الجبال التي اتوا منها . ولكن
عوضاً عن ان يرجع السكوتيون بعد ذلك الى بلادهم طمعوا في استملاك
البلاد واستحسنوا ان يقيموا مكان المطرودين فاتاهم الامداد يومياً وانضم
اليهم فرق سكسونية وانكليزية حتى صاروا عدداً غفيراً . فلما شعر البريتانيون
بمقاصد مساعدتهم نهضوا لطردهم ولكن لعدم اتحاد بعضهم مع البعض
لم ينجحوا في مساعدتهم . فدامت الخصومات والحروب بينهم ١٥٠ سنة
حتى كاد ينقرض البريتانيون جميعهم والذي سلم منهم نزع والتجأ الى
جبال ويلس وكورنوال وبعضهم جازوا المانش وذهبوا الى اموريكما من

اعمال فرنسا وسكنوا هناك وسمي ذلك المكان باسم بريطانيا نسبة
للبريتانيين

اما الانكليون والسكسونيون فقسموا البلاد الى سبع مقاطعات تعرف
بالسبع ولايات السكونية وهي كنت وسوسيكس وواسكس وايسيكس
ونورثمبريا وانكليا الشرقية ومرسيا . واقاموا ملكاً على كلٍ من هذه
المقاطعات وكان احد هولاء السبعة رئيساً على الستة له حق المناظرة
العمومية والسيادة على البقية . فمن جرى ذلك وقعت بينهم منازعات عديدة
آلت اخيراً لا تفكك ذلك النظام

وسنة ٥٩٦ دخلت الديانة المسيحية دخولاً حقيقياً بواسطة اوغسطينوس
وغیره من الرهبان المرسلين من طرف البابا غريغوريوس وذلك في زمن
اثلرت ملك مقاطعة كنت حينما كان ملكاً عاماً على باقي المقاطعات المارة
ذكرها . وكانت يرثا زوجة الملك اثلرت المذكور وابنة كاربيرت ملك
باريس قد اقتبلت الايمان المسيحي قبل ذلك بقليل فسعت في ارتداد زوجها
فارتدت واعتمد هو وكثير من رعاياه بعده . ومن ذلك الحين اخذت الديانة
الاصنامية لتلاشي والديانة المسيحية تمتد شيئاً فشيئاً حتى انها في مدة قرون
يسيرة عمت البلاد جميعها

وكان كلما قام ملك عام على السبع المقاطعات يجتهد في توسيع دائرة
ملكه واخضاع الممالك الصغيرة اليه فاخذ هذا الامر يزداد شيئاً فشيئاً حتى
انه في سنة ٨٢٨ في زمن الملك اغبرت ملك ولاية واسيكس لم يبق ملك
مستقل على الولايات الست الاخر فغضب عليها الخراج وصارت جميعها
تابعة اغبرت المذكور وهو اول من استقل بالبلاد واول ملك من ملوك
انكلترا من الدولة الانكلوسا كسونية . ولكن مع ذلك لم ترخ البلاد في
ايامه لان من تاريخ ملكه ابتدأت هجمات الديناريكين التي انتهت اخيراً
باستيلاهم على البلاد فكانوا يضرثون في البلاد ضرراً جسيماً وخاصة

بالاديرة واماكن التربية اذ وجهوا كل قوام نحو خرابها . وسنة ٨٦٥ م
كان الملك اثلبرت وهو الثالث بعد اغبرت ملكاً على انكلترا اتي الدينماركيون
تحت قيادة رئيس عمارتهم الشهير المدعو رغنز لودبروك ونزلوا على شاطئ
نورثمبرلاند فقاومهم رئيس تلك الجهة واسر قائدهم وطرحه في مغارة
ملوئة من الحيات فاماتته ورجع الدينماركيون بدون فائدة ولكن بعد ذلك
بقليل نهض اولاد رغنز المذكور واقاربه واخذوا بثاره وانتقموا له من
البريتانيين اشد الانتقام بعد ان افتتحوا اطراف البلاد واستولوا عليها
وبعد وفاة اغبرت تبوأ تحت الملك ابنه ثم اولاد ابنه الثلاثة وفي
مدة حكمهم كانت الحرب مع الدينماركيين متصلة وغزوات هولاء مستديرة
حتى انه في ايام الملك الفريد كانوا قد استولوا على ولايات نورثمبريا ومرسيا
وانكليا الشرقية فكان مركز الفريد من اصعب المراكز لانه من الجهة
الواحدة اراد استخلاص البلاد من المعتصبين ومن الجهة الاخرى خاف
من اقتدارهم واستيلائهم على باقي الجزيرة . فبينما كان متخبراً من هذا
الامر وساعياً في تدبير منعه نهض احد قواد الدينماركيين المدعو كثروم
واهجم البريتانيين في فصل الشتاء بمجموع كثيرة فداهمهم وهم غير مستعدين
وانتصر عليهم الفريد ملكهم واختبأ في بيت احد الفلاحين وبقي هناك مدة
متنكراً . قيل انه في اثناء اقامته في ذلك البيت كان يخدم اهله
وانه يوماً كان يوماً ما واقفاً يحبز كعكاً تاه في البحر افكار التدابير
فاحترق الكعك ولم ينتبه فوجدته صاحبة البيت تويحاً فاسياً على اهله .
ولكن لم يطل الحال الا ونهض احد اشراف الانكلز وقاوم الدينماركيين
وفتلك بهم وهم تحت رياسة ابن رغنز لودبروك المار ذكره . حينئذ
نهض الفريد من مخبئه وانضم اليه جمهور البريتانيين وضيّق على الدينماركيين
في مراكزهم وظفر بهم ابي ظفر حتى اضطر كثروم رئيسهم ان يسلم .
فاسترجع الفريد بلاده من ايدي المعتصبين

واذ رأى الفريد ان استئصال الدينماركيين من البلاد امرٌ مستحيل
 نظراً لطول اقامتهم فيها وعددهم الغفير عقد مع كثيرون معاهدة خصص له
 فيها ولبن يخلفه ولاية انكليا الشرقية وولاية نورثمبريا بشرط قبول جميع
 الدينماركيين الديانة المسيحية وان يكونوا ملزومين للقيام والاتحاد مع
 البريتانيين في محاربة الاعداء لدى الحاجة . فقب عقد هذا الارتباط
 التفت الفريد الى اصلاح ما كان التحق بالبلاد من جراء حروبها واقام
 القلع واتحصينات وشرع في تقوية العمارة من دون ان يفض النظر عن
 اسباب ترقية حال الشعب بواسطة الصنائع والعلوم وايجاد المدارس
 وتوسيع دائرة التنوير . ومع كل انشغاله في تدبير امور المملكة كتب جملة
 مؤلفات وترجم عدة كتب الى اللغة الانكليزية . منها تاريخ الكنيسة
 للعلامة بيد وكتاب في الفلسفة . وفي وصية هذا الملك وجدت عبارة
 طالما الانكليز يلجئون فيها وهي هذه يجب ان يكون الانكليز احراراً
 كالفكرهم . ثم توفي هذا الفاضل سنة ٩٠٠ تاركاً لبلادته مثلاً شريفاً في
 كل امر ولقب بالفريد الكبير

ثم جلس بعده ابنه ادورد وحكم الى سنة ٩٢٤ . وقام بعده ابنه
 اثلستان فكان شجاعاً حارب الدينماركيين وكسبهم مراراً واستبد بالملكة
 وحده . فذاعت سطوة انكثرا في الخارج وصارت الدول الاجنبية تطلب
 الاتحاد معها . وفي ايامه عقدت اول معاهدة مع فرنسا وتزوجت اخت
 له بكارلوس الثالث ملك فرنسا واخرى بملك جرمانيا اوثو الكبير واخرى
 بأخر من الذوات الفرنساويين العظام ثم توفي سنة ٩٤٠

ومن ملوك الدولة السكسونية ادغرتوبواً مريير الملك سنة ٩٥٩ وكانت
 بريثانيا في ايامه حاصلة على تمام الراحة والسلام مهيبة من الجميع في
 الداخل والخارج . فكان حكيماً ونشيطاً في سياسته يزور كل اقطار بلادته
 مرة في السنة ويفتقد احوالها وكانت عمارته البحرية نحو ٤٠٠ قطعة . وبما

بذكر عنه أنه فرض على رعيته ثلاث مئة رأس ذئب في السنة لأنها كانت كثيرة الوجود في تلك البراري . وبهذه الوسطة قرض الذئاب التي كانت مائة القطر

وفي أيام الملك اثريد اذ كان بغض الديناريين اخذ من قلوب الانكليز كل ماخذ نظراً لمقاصدهم في استملاك بلادهم اصدر الملك المذكور امراً عاماً سنة ١٠٠٢ بقتل كل الديناريين القاطنين في انكلترا فقتل الانكليز منهم عدداً كبيراً وكانت اخت ملك الدينمارك من جملة المقتولين في تلك المذبحة . فهاج الدينماركيون واتوا مع ملكهم سوين الى برتانيا واقاموا الحروب على قدم وساق وافتتحو البلاد . فالتزم اثريد ان يهرب مع زوجته وابنيه واتجأ الى نورمنديا وهي ولاية فرنساوية كان اثريد متزوجاً بابنة دو كهاريكاردوس الثاني واقام هناك الى ان توفي . ولكن لم يستقر سوين في برتانيا حتى توفي هو ايضاً تاركاً فتوحاته وحقوقه لابنه كانت الذي يحسب اول ملوك العائلة الدينماركية في انكلترا . وكان كانوت عادلاً حكيماً محسناً لطيفاً فسي في توسيع نطاق المملكة واحداث جملة تحسينات في نظام الاحكام والسياسة وفرض جانباً من سطوة الاشراف المضرة فاحبه جميع رعاياه لحسن تصرفه وخلوص نيته وفي ايامه كانت البلاد في هدو وسلام والشعب منعكفاً على تحصيل المكاسب والفوائد الناتجة من الهدو والسكينة . فانتهز كانت تلك الفرصة وذهب لزيارة الحبر الروماني في رومية وبينما كانت في ايطاليا التقى بكونراد امبراطور جرمانيا وزوج ابنته بابنه هنري الثالث . وغب رجوعه الى بلاد الدينمارك من زيارته في رومية بعث كتاباً الى جميع قبائل انكلترا يتضمن العبارات الآتية وهي ليعلم جميعكم بانني قد كرمت حياتي لله ونذرت بانني احكم كل مالمكي بالعدل وان افعل المستقيم في كل امر . فان كنت في ما مضى وانا في مدة عنفوان الشبوية وعدم المبالاة خرقت مبادئ

العدل والحقانية فاني عازم الآن بمعونة الله ان اعوض ذلك تعويضاً كاملاً . فبناء عليه أرجو وأمر كل من سلمته زمام الاحكام من يريد طاعتي ويود خلاص نفسه ان لا يظلم احداً فقيراً كان ام غنياً . ودعوا الاشراف وغير الاشراف يتناولون حقوقهم بالسوية وفقاً للشرايع التي لا ينبغي ايقاع الخلل فيها لاختوفاً مني ولا حياءً برضى خاطر الاقوياء ولا لاجل ملء صناديق خزينتي فاني لا اريد مالاً مجموعاً بالظلم

وكان بعد وفاة اثلريد في نورمنديا ان زوجته رجعت الى بريطانيا وتزوجت بكانوت المذكور واما ولداها فيقيا في نورمنديا ولم يتجاسرا على الذهاب الى هناك . ففي سنة ١٠٣٦ لما توفي كانوت وقام عوضاً عنه ابنته هارولد حضر من نورمنديا ابن اثلريد الاكبر وكان اسمه الفريد وطلب استرجاع تاج ابيه . فنهض اعوان هارولد وقتلوه واستبد هارولد بالملك مدة ثلاث سنين ولم يحدث في ايامه شيء يستحق الذكر . وقام بعده اخوه هرديكانوت سنة ١٠٣٩ ولم تطل ايامه فتوفي بعد سنة من حكمه وبه انقرضت الدولة الدنيارية ورجعت العائلة السكسونية

فاول من تبوأ تحت الملك من العائلة المذكورة بعد هرديكانوت المذكور ادورد احد اولاد اثلريد السالف ذكره وذلك سنة ١٠٤١ . وكان المذكور يميل الى اهل نورمنديا لانه صرف بينهم ٢٧ سنة من حياته فاحضر منهم الى بريطانيا عدداً كبيراً ووظفهم الوظائف العليا فتأثر البريتانيون من ذلك وداخلهم التبره والحسد ونهض احد اشرافهم الامير غودوين وقاوم هذا المشروع وبواسطة ما كان له من النفوذ نجح باخراج النورمنديين من البلاد وتعهد بحفظ السلام والقيام بمقتضيات المملكة بدون احتياج الى الاجانب . ثم تزوج الملك ادورد بابنة غودوين المذكور واذ لم يرزق نسلاً ارسل فدعا ابن اخيه الاكبر (الذي كان له حق بالارث قبله) بناء على ان يخلفه بالمملكة فحضر مع ابنه ادغر ولكن

حالما وصل الى البلاد توفي تاركاً ابنه في سن لا يلبق بالسلطنة . وفي
 اثناء ذلك توفي الملك ادورد سنة ١٠٦٦ وهو آخر ملوك العائلة السكونية .
 فبعد موت ادورد قام هارولد اخو زوجته اي ابن غودوين الماز ذكره
 واغتصب نفسه تاج الملك فقاومه اخوه في السنة ذاتها واهاج عليه
 حرباً بعد ان استنجد بالنورمنديين لمساعدته فقتل الاثنان في اثناء تلك
 المواقع الكبيرة وبموت هارولد انقراض حكم الدولة السكونية . فكان
 عدد ملوكها من سنة ٨٢٧ الى سنة ١٠٦٦ سبعة عشر ملكاً يفصلهم
 ثلاثة ملوك دنيا ركيين وهم كانوت وابناه من سنة ١٠١٦ الى سنة ١٠٢٩
 كما مر

الباب الرابع

في ذكر تملك العائلة النورمندية والعائلة البلا تاجينية

من سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٣٩٩

انه بعد انقراض الدولة السكونية كما تقدم حكم انكلترا دولة
 نورمندية اعني حكام من بلاد نورمنديه التي هي ولاية فرنساوية مجاورة
 للانكايز . فكان اول ملوك هذه الدولة ولهم الاول الملقب بالظافر . وكان
 قبل استيلائه على تحت انكلترا حاكماً في ولاية نورمنديه تحت يد فيليب
 الاول ملك فرنسا . فلبعد ولهم كان فيليب وقتئذ صغير السن قصير
 المعرفة تحت وصاية بودوين احد اشراف النرساويين وكان زمام فرنسا
 بيدو . ومع ان بودوين المذكور كان عمًا لفيليب فكان ايضاً حموً اوليم
 وبالضرورة كان يرغب صالح صهره وابنته . فانتبهز ولهم تلك الفرصة المناسبة
 واغار على البريتانيين الذين كانوا مهتمين في اقامة ملك عليهم ولم يترك

لم وقتاً المذاكرة في ذلك الامر وبواسطة تدبيره ومساعدته ازال كل
الموانع والزعم اشرف الانكليز ان يخضعوا لرياسته وتزوج عليهم ملكاً يوم
عيد الميلاد سنة ١٠٦٦ في كيسة وستمنستر وشرع حالاً في بناء القلع
والحصون وملاها من حراس النور منديين

ثم بعد تملك وليم زمام البلاد بوقت وجيز ذهب لزيارة نور مندية
بلاد وترك ادارة الاحكام في يد اخيه اودو اسقف بايو. واذ كان يخشى
سطوة اشرف الانكليز ولا يامن خلوصهم اخذ معه عدداً كبيراً منهم
خوفاً من حدوث فتنة في غيبته فلم يجد ذلك الاحتياط نفعاً لان تعديلات
النور منديين وظلمهم الزمت البريتانيين ان يتظاهروا بالعصيان فاعتنموا
فرصة غياب وليم وارسلوا يستدعون ملك الدنيارك لمساعدتهم ووعده
بتاج الملك واذ لم يات اتحدوا مع السكسونيين الذين كانوا باقين في
البلاد واثارها جملة فتن ومعارك قتلتوا في احداها ٣٠٠٠ من عسكر
النور منديين ذبح السيف ٠ فلما بلغ ذلك وليم حضر عاجلاً وفتك بالعصاة
وبعد ان اخمد الفتنة اجري قصاصات صارمة على المعتصبين وانتقم من
الاهالي اشد انتقام وذبح منهم عدداً كبيراً بعد ان احرق بيوتهم واخرب
مزرعاتهم فنزح كثيرون من الانكليز والتجأوا الى اسكوتلاندا المجاورة
لم وبسبب ذلك مع ما نتج عنه من عطل الارض ومحل المواسم حدثت
مجاعة عظيمة في انكلترا قيل انه هلك فيها زهاء مئة الف نسمة من الجوع
وكان وليم المذكور عند قيامه من نور مندية لافتتاح انكلترا قد ترك
زمام الاحكام في يد ابنه روبرتوس فبقيت في يده عدة سنين حتى بلغ
فيليب الاول سن الكمال واستلم سلطنة فرنسا. فلما رأى فيليب ما حصل
عليه وليم من التقدم والنجاح في انكلترا اخذته الغيرة والحسد وشرع
بفصل نور مندية عنه وترك روبرتوس مستقلاً فيها بدون مداخلة ابيه
واذ لم يرتض وليم بذلك وقعت الحروب بين الاب والابن واستدامت

جملة سنين حتى قيل انه في احدى المواقع بارز روبرتوس اياه واذا كانا
 في ملبسهما الحريرة بحسب عوائد تلك الاعصر لم يعرف احدهما الاخر
 حتى غلب الاب فنجعل الابن . ثم مات وليم من وقعته عن فرسه سنة
 ١٠٨٧ عند ما كان ذاهباً لتخليص بعض اراضي نورمنديّة التي كان
 الفرساويون قد اختلسوها وخلفه ابنه وليم الثاني الملقب روفوس اي
 الاحمر من احمرار شعره . وكان وليم روفوس المذكور يريد ان ينزع
 نورمنديّة عن اخيه روبرتوس ويضمها الى مملكة انكلترا فتأهب لقتاله
 واشتبكت الحروب بينهما زماناً طويلاً ولم يحصل وليم على ما كان يبتغيه .
 وفي تلك الاثناء ظهرت الحروب الصليبية لتخليص الاراضي المقدسة وكان
 روبرتوس والي نورمنديّة من جملة الذين انضموا الى زمرة المحاربين ولكن
 اذ لم يكن عنده مال كافٍ للوازم الحرب استقرض من اخيه وليم مبلغاً
 وافراً وارهن عنده كل الولاية وتوجه . فأتى ذلك وليم طبق المرغوب
 وامل نوال المراد ولكن ما اكل ما يتنى المرء يدركه فانه بعد ذلك بقبائل
 ذهب وليم ذات يوم بقصد الصيد الى الحرش الجديد الذي كان قد
 انشاه والده وبينما كان جائلاً فيه اصيب ببيلة انتهت حياته فاتهم احد
 امراء الانكليز بهذا الفعل ولكن اذ لم يكن لوليم روفوس عند جماعة
 الانكليز قيمة ولا مقدار لقبائحه وجوره لم يتعن احدٌ لفحص سبب ميته
 وسنة ١١٠٠ قام هنري الاول ملكاً على انكلترا وهو الابن الاصغر
 لوليم الظافر مع ان حق الارث كان لروبرتوس والي نورمنديّة ولكن اذ
 لم يكن قد رجع بعد من سفرته الى الاراضي المقدسة اغتم هنري الفرصة
 وسعى في لبس تاج المملكة وكانت سياسته ممدوحة واجراءاته حسنة غير
 انه لم يرض على ذلك ثلاثون يوماً حتى رجع روبرتوس واذا وجد له
 حزباً في انكلترا نهض لتخليص الملك من اخيه واتى بقوات كثيرة وتزل
 في ميثا بورتسموث . فوافاه رئيس اساقفة كتر بري وعقد بين الاخوين

صالحاً. فتنازل روبرتوس لآخيه عن حقوقه بشرط ان يرتب له معاشاً سنوياً وان كل الذين تحالفوا معه ضده يكونون معافين مستأمنين على اراضيهم واموالهم. ولكن بعد قيام روبرتوس نكث هنري بشروط هذه المعاهدة واوصل الضرر الى من كانت تظاهر في مقاومته. سنة ١١٠٦ استفتح هنري بلاد نورمنديّة بعد قتال عظيم واسر اخاه وسجنه في قصر كرويدف حيث توفي في سن الثمانين وغم البلاد الى تاج انكلترا. سنة ١١١٩ قام ابن روبرتوس بمساعدة لويس السادس ملك فرنسا لاستخلاص مملكة ابيه فانصر عليهما هنري في حرب برنويل ولم ينالا ارباباً. و بعد ذلك وقع النزاع بين هنري وبين البابا كما كان وقع مع ملوك آخرين ايضاً من جهة السيامات الاكثريكية واعطاء الاساقفة العكاز والخاتم وتخليفهم بمين الطاعة للملك فان الملوك ارادوا ان يكون ذلك مختصاً بهم اما البابا فانكر عليهم هذا الحق مؤكداً انه لا يستطيع السلطان الزماني ان يمنح المقامات الدينية المشار اليها بالعكاز والخاتم وقد دعي الملوك الذين يدومون استعمال ذلك بالسميونيين نسبة الى سيمون الساحر الذي اراد ان يشتري موهبة الروح القدس بالمال

وكان لهنري المذكور ولدان شرعيان فقط صبي وابنة فلاجل منع النزاع بعد وفاته استحسن ان يسمي ابنه ملكاً على انكلترا وعلى نورمنديّة في حياته فاخذته الى نورمنديّة ليعرفه بالاشراف وابقاه هناك مدةً وبينما كان الولد راجعاً الى انكلترا غرق ومات. واما الابنة وهي ماتيلدا فكانت قد تزوجت بهنري الخامس امبراطور جرمانيا ولكن حين وفاة اخيها كانت ارملة بدون اولاد فزوجها ابوها بامير فرنساوي يدعى جوفروا بلانتا جنيت وهو كونت انجو (اسم مقاطعة في فرنسا) واقامها خليفة له على انكلترا ونورمنديّة ثم توفي سنة ١١٣٥

فبعد توفي هنري الاول نهض رجل من الاشراف في نورمنديّة

يدعى اسطفان وهو ابن ابنة وليم الظافر التي كانت تزوجت بكونت بلوا
 واغتصب حكم انكترا لذاته مع انه كان من جملة الذين اقرؤوا وخضعوا
 لخلافة ماتيلدا ابنة هنري الثاني . وكان اسطفان المذكور حسن الصفات
 لين الجانب فجعله ذلك محبوباً عند الجميع وساعده ايضاً نفوذ اخيه
 اسقف انكترا اذ جعل الكيسة تعضده . واذ كانت البلاد وقتئذ مقسومة
 الى عشائر كان امر تولية امرآق على مملكة امرآ جديدآ عند رساء تلك
 العشائر فلم يصدر منهم مقاومة لمقاصد اسطفان المذكور ففتوح ملكآ على
 انكترا وطاعه الجميع ولكن لم يمض عليه وقت طويل حتى تبدلت صفاته
 الحسنة بجمرة العظمة والاستكبار فاخذ يتعدى على حقوق الاهالي
 والاكليروس ويجري من المظالم ما لا يستطيع احد على حمله ففتنه
 الشعب ونهض بعضهم لخلعه فقاومهم اعوانه واتخذون له ومن جرى
 ذلك انتشبت في البلاد حروب اهلية هزقت فيها دماء كثيرة . فاشتدت
 ماتيلدا تلك الفرصة وانت لمحاربتة واستخلاص البلاد من يده فلم تنجح
 في اولس الامر ولكنها اخيراً اسرته سنة ١١٤١ وحبسته واستوات على
 زمام المملكة . ولكن بعد قليل اذ لم تحسن التصرف هاج عليها الشعب
 فالتمت ان تهرب ورجع اسطفان من سجنه الى تحت الملك . واذ كان
 ابنه الاكبر قد مات اجري عهداً مع هنري ابن ماتيلدا زوجة جوفروا
 بلانتاجيت المار ذكره مآله ان اسطفان يبقى ملكآ مدة حياته وان هنري
 يكون خليفته في الملك وقبل بذلك الجميع

ففي السنة التالية اي سنة ١١٥٤ توفى اسطفان وجلس على تخت
 المملكة هنري المذكور وهو هنري الثاني من ملوك الانكليز والاول من
 العائلة البلانتاجينية^(١) . وكان هذا الملك على جانب عظيم من الحماسة

(١) ان هذه الكلمة هي اسم نبات اطلقت على هذه العائلة من خشية كان بعضها
 اعضاؤها في برانيطهم

والشجاعة صاحباً ومنتهياً لكل ما يودول لتجاح البلاد وكان مع ذلك غنياً جداً له جملة مقاطعات في فرنسا ورثها من ابيه . فشرع حالاً بازالة القلع والحصون التي كان انشأها روساه العشار بقصد العصاوة وقت الحاجة فقلت بذلك اسباب الحروب الكثيرة التي كانت تجري داخل البلاد . ثم قسم البلاد الى ست مقاطعات واقام قضاءً مخصوصين للفحص عن احوالها وراحة اهلها واصلح الاعوجاجات القديمة ونكس سطوة الاشراف فاتاه ذلك بالمدح والشكر من الجميع . وحدث امران مهمان في مدة ولاية هذا الملك اولهما مشاجرتة مع توماس ابكيت رئيس اساقفة كتر بري وثانيهما انضمام ايرلاندا الى انكلترا اذ كانت قبل ذلك منقسمة الى خمس ولايات مستقلة . اما سبب مشاجرة هنري الثاني مع توماس ابكيت فهوان المذكور كان وزيراً فهبماً حاذقاً في خدمة الملك واذ كان للكنيسة في ذلك الوقت مدعيات سفسطية لم يوافق عليها هنري الثاني واراد تنكيس مداخلتها فالتخب وزيره توماس المذكور واقامه رئيس اساقفة آملاً بنوال المرغوب بواسطته . ولكنه عوضاً عن الحصول على ذلك وجد في توماس مقاومة كلية جلبت عليه اكداراً بليغة . فنهض اربعة من رجال الملك هنري وذهبوا الى كتر بري وقتلوا توماس ابكيت على المذبح فاصدين بذلك رضى سيدهم فكان هذا العمل الفظيع سبباً لاضطرابات واتعاب كثيرة لان البابا تهدده بالحرم فالتزم هنري لاجل تسكين غضب البابا ان يذهب لزيارة قبر ابكيت ويظهر بذلك علامات الاسف على ما وقع . فلما وصل الى الدير حيث كان القبر قامت عليه زمرة الرهبان وهجموا عليه وضربوه فاحتمل منهم هنري تلك المعاملة بكل طول اناة ولم يدافع عن نفسه وبناء على صبره واحتماله حصل على سماح الخبر الروماني وغفرانه ومن ملوك هذه الدولة ريكاردوس الملقب بقلب الاسد نتوج سنة ١١٨٩ وكان شجاعاً نشيطاً غريب القوة والبسالة محباً للحروب والبارزات وهو الذي

ذكرناه في الحروب الصليبية حين ذهب مع فرقة من قومه لاجل مساعدة الصليبيين واكتسب شهرة عظيمة في تلك المعارك ولكنه فيما كان راجعاً



ريكاردوس الملقب بقلب الاسد

الى بلاده أمر في بلاد النمسا مدة سنتين ولم يتخلص من اسره حتى فداه قومه بمبلغ جسيم ثم توفي من نبله اصابته وهو يحاصر قلعة في نورمنديه . ومنهم يوحنا اخو ريكاردوس السالف ذكره وهو ارباب ملك قام بين ملوك الانكليز . وفي ايامه خسر الانكليز نورمنديه والاراضي التي تملكوها في فرنسا ومن اجراءاته الذميمة انه قتل ابن اخيه الذي كان وريث

الملك عوضاً عنه فاستشاط اشراف الانكليز غضباً من هذه الافعال واجتمعوا في ١٩ حزيران سنة ١٢١٥ والزموا الملك ان يمضي تعهداً على نفسه وعلى من يخلفه مآله التنازل عن السلطة المطلقة وهذه المعاهدة تعتبر اساس حرية الانكليز. ثم توفي سنة ١٢١٦ وخلفه ابنه هنري الثالث وهو في سن التسع سنين. فاستبدت بالمملكة ٥٥ سنة وكان صاحب مقاصد حسنة لكنه غير كفوء للاحكام

وجلس بعده ادورد الاول سنة ١٢٧٢ ولقب بذي الساقين لطول ساقيه وكان فارساً مهاباً حارب ببسالة في فلسطين وفي الحروب الداخلية التي انتشرت في انكلترا. وهو الذي تغلب على ولاية ويس وضمها الى انكلترا اذ كانت قبلاً مستقلة. ثم انه شرع باخضاع اسكوتلاندا ايضاً ولكنه لم ينجح كثيراً وقاومه الاهلون المرة بعد الاخرى حتى توفي وخلفه ابنه ادورد الثاني سنة ١٣٠٧ فسلك مسلك ابيه من جهة اخضاع اسكوتلاندا ولكنه كان خائياً من فروسية ابيه وسياسته ومع انه زحف اليها بمئة الف مقاتل لاقاه الاسكوتسيون تحت قيادة رئيسهم روبرت بروس بثلاثين الفا وفتكوا بجيشه فتكاً ذريعاً واهلكوا منهم عدداً غفيراً فقتل ادورد راجعاً بالخيبة والفشل. ولم تكن مناقب ادورد الأخر احسن حالاً من التي ذكرناها فان الخفة وطباشة العقل كانتا من جملة مزاياه واخيراً قامت عليه امراته وحاربتة واسرته وبسبب وشايتها قتل اشنع قتل في الحبس

ثم قام بعده ابنه ادورد الثالث سنة ١٣٦٧ وهو في سن الثاني عشرة وحكم ببسالة خلافاً لايه فضرب الاسكوتسيين وفاز عليهم ثم زحف على فرنسا بجيش عظيم واقام عليها القتال مدعيًا بان له حقاً في تاجها أكثر من فيليب فالوا الذي كان وقتئذٍ على تحت مملكها وذلك لان والدته كانت ابنة فيليب الرابع احد ملوك فرنسا السابقين. فكان

ذلك سبباً لفتوح الحروب المعروفة بحروب المئة سنة بين انكلترا وفرنسا التي هزقت فيها دماء كثيرة وتأسست بسببها العداوة الشديدة بين الامتين. وفي بداية هذه الحروب طلب ادورد الثالث من ملك فرنسا المبارزة الشخصية فابى فيليب واستخار ملاقاته بجيش من المقاتلين فوقع بينهما قتال شديد في محل يدعى كريسي في فرنسا سنة ١٣٤٦ كانت الدائرة فيه على الفرنسيين وقتل منهم في تلك المعركة نحو ثلاثين الف شخص وجملة من كبار القوم واستولى البريتانيون على عدة اماكن فرسواوية. واذ كانت مدينة كالي التي على المانش هي مفتاح فرنسا الانكليز حول ادورد الثالث الثمانية نحو افتتاح تلك المدينة وبعد حصار اثني عشر شهراً استسلمها وطلب من الاهالي ان ياتوا اليه بستة اشخاص من كبارهم لكي يقتلهم فدية عن اهل المدينة. فاول من قدم ذاته فدية عن بلاده على ما قيل رجل فاضل يدعى اوستاك ثم تبعه خمسة اخرون والحبال في اعترافهم وهم حفاة الارجل. وفيما كان الملك مصمماً على قتلهم حضرت الملكة زوجته التي كانت في محاربة الاسكوتسيين وتوسلت اليه بان يعفو عنهم فاجابها الى ذلك واطلقهم. ومن ذلك الحين استولى الانكليز على مدينة كالي وبقيت في ايديهم نحو قرنين. وكان لادورد الثالث ابن وهو وريث عهده يلقب بالامير الاسود بسبب لون درعه واسلحته الحربية فارسله ابوه سنة ١٣٥٠ لمحاربة فرنسا. وكان ملكها وقتئذ يوحنا الصالح ابن فيليب فالوا السالف ذكره. فالتقاء بخمسين الف مقاتل ولم يكن مع الامير الاسود سوى عشرة الاف فقط فرمتهم الانكليز بالنبال وانتصروا عليهم واسروا ملكهم واخذوه الى مدينة لندن حيث بقي تحت الحفظ حتى مات. وسنة ١٣٧٦ توفي الامير الاسود وبعده بسنة خلفه ابوه. ومن كل هذه الحروب لم تكتسب انكلترا الا ثلاث مدن شهيرة وهي كالي وبوردو وبايون

وقد ظهر في عصر هذا الملك رجل يقال له يوحنا ويكلييف من
اعمال يورك وُلد سنة ١٤٢٤ وكان متفناً في العلوم صاحب عقل ثاقب
فانتخب رئيساً للمدرسة الكلية في كانتربري واذ كان له اراء دينية مخالفة
للعقائد الروماني لم يتوقف عن اشهارها فشرع بنادي ويعلم بها علانية منها
عدم وجوب الرهبنة وانكار سلطة الباباوات الروحية والزمنية وانكار
الاستحالة وعدم لزوم الاعتراف وعدم التسليم بهلاك الاطفال الذين
يموتون بدون المعمودية الى غير ذلك فوافقه كثير من الناس واصبحت
تلك التعاليم موضوع المذاكرة والبحث عند البعض حتى صار له جملة تلامذة
تابعين افكاره فكان ذلك اول صوت نوادي به للاصلاح وبعده
البروتستانت خميرة لتعاليم يوحنا هوس وجيرم دي براك ومرتينوس
لوثيريوس ولذلك يسمون ويكلييف المذكور نجمة صبح الاصلاح . اما
الكنيسة الرومانية فحسبت ويكلييف المذكور من اعظم المجرمين بالهرطقة
وبناء عليه صدر امر البابا غريغوريوس الحادي عشر الى اسقف لندن
ورئيس اساقفة كانتربري بان يلتقوا القبض على ويكلييف ويطغثوا خبره
فدعوه الى مجمع للحماكة ولكنهم لم يستطيعوا ان يصدروا عليه حكماً لان
احد امراء الانكليز تصدى حمايته فاطلقوه بعدما حرصوه على حفظ
السكوت . اما هو فازداد غيرة واخذ يعلم باكثر نشاط حتى التزم البابويون
ان يهتسوا في اطفاه مفاعيل تلك التعاليم فعدوا جمعاً في مدينة لندن
سنة ١٣٨٢ وحكموا بالهرطقة على بعض تعاليمه واخرجوه من مدينة
اكسفرده خوفاً من ازدياد الشر . ولهذا العالم جملة مؤلفات وله ايضاً
ترجمة انكليزية للتوراة

وفي ايام ريكاردوس الثاني ابن الملك الاسود الذي خلف جده
ادورد الثالث تركت الاحكام في انكلترا لتهامل الملك وانهماك بالذات
فتشأ عن ذلك ثورة كان رئيسها رجل حداد يدعى وات تايلر ومعه

جملة رفقاء آخرين فمشوا على لندن بمئة الف مقاتل واضربوا بالبلاد ضرباً
بليغاً . فالنظام الملك ومهد الامور بحسن سياسته بعد ان قتل رئيس تلك
الفتنة فانفض النزاع مؤقتاً ولكن بعد ذلك بقليل اشتعلت نيرانه ثانية
وزاد مقت الشعب للمكسهم لتساوته وسوء تدبيره فانزلوه عن الكرسي
وحجزوا عليه في قلعة وهناك قتل اومات جوعاً وبه انتهى تملك العائلة
البلانجاينية وكان عدد ملوكها ثمانية وعدد ملوك نورمنديية سلفائهم اربعة

الباب الخامس

في ذكر ملوك عائلة لانكستر وعائلة يورك من ١٣٩٩
الى سنة ١٤٨٥

انه بعد اقراض العائلتين السالف ذكرها تناول تاج انكلترا عائلة
لانكستر ونسبت هكذا نسبة الى دوک لانكستر اول ملوكها . وكان الدوک
المذكور من العائلة الملكية مشهوراً بين قومه ومقبولاً عند الاكثرين
وهو المحرك للعادنة المذكورة في الباب السابق التي بها قتل ريكاردوس .
اغتصب تحت الملك لنفسه سنة ١٤٠٠ وقبل به الجميع ودعي هنري الرابع
وفي مدة حكمه هاج عليه فنتنان كان متراً ساً على واحدة منهما رئيس
اساقفة يورك ولم يبلغ منشأها من هنري ما ربا فانه قهرها ومات بسلام
بعد ما حكم جملة سنين

وسنة ١٤١٣ تبوأ سرير انكلترا هنري الخامس ابن السالف ذكره
وكان جسوراً مهيئاً فبعد جلوسه بسنتين زحف لمحاربة الفرنسيين
وافتح بلادهم وتملكها وانتشرت في اطرافها الجنود الانكليزية واستولى

زامها الحكام البريتانيون واضحى الاهلون في ضنك عظيم يكابدون النذل
 والجور العنيف . ولكن لم ينل هنري ثمرة اتعابه لانه في وسط انتصاراته
 توفي وهو في سن الاربع والثلاثين . وقام بعده ابنه هنري السادس وهو
 في سن التسعة اشهر فوضع على راسه تاجا فرنسا وانكلترا وهو في حضن
 مرضعته في مدينة باريس وكانت فرنسا اذ ذلك دولة انكليزية ولكن لم
 يرض على ذلك الا بضع سنين حتى تخلص الفرنسيون من نير الانكليز
 واخرجوهم من البلاد شيئاً فشيئاً بواسطة امرأة فرنسوية كما اوضحنا في
 الكلام عن فرنسا ولم يبق في ايديهم الا بعض الاماكن فقط فخلع حينئذ
 تاج فرنسا عن راس هنري السادس الذي لعدم اهليته للاحكام كان
 تاج انكلترا ايضا سببا لفقد حياته فيما بعد . والسبب في ذلك هو انه
 كان لطيف المزاج بسيط القلب لا يصلح للوظائف الملكية في تلك
 الاعصار فكان محقرا بين قومه وكانت امراته مرغريت انجو تحكم عليه
 حكم الام على ولدها . وفي ايام هذا الملك حدثت الحروب الاهلية المعروفة
 بحروب الورد التي دامت مدة ثلاثين سنة . وكان السبب في ذلك هو ان
 ورثة ريكاردوس الثاني الذين اغتصب منهم تاج الملك الدوك لانكستر
 بعد ان عمل على قتل الملك كما تقدم القول انتظروا فرصة مناسبة خلع
 الطاعة واخذ الثار فلم يستطيعوا على التظاهر في ايام تملكه ولا في مدة
 تملك ابنه هنري الخامس لانهما كانا جبارين عنيدين يخافهما الجميع
 ولكن عند تولي هنري السادس نهضوا لطلب استرجاع الملك الى العائلة
 السابقة وكان وقتئذ الدوك يورك هو الوريث الاقرب من تلك العائلة
 فقام سنة ١٤٥٥ وحمل السلاح ضد الملك وتحزب معه جمهور غفير ولولا
 مرغريت زوجة هنري السادس وتحزب القسم الاكبر من الاشراف لكان
 فاز الدوك يورك بمقاصده ورفع التاج عن راس خصمه . فمن ذلك الحين
 اتقسمت انكلترا الى حزبين كبيرين يمتاز رجال الواحد عن الآخر بلبس

وردة من شريط مختلفة الالوان اما على يرانيطهم او على صدورهم فكان
 حزب اليوركين اي التابعين للدوك يورك يلبسون وردة من شريط ابيض
 والحزب الملكي يلبس وردة من شريط احمر ومن ذلك تسمت تلك الحروب
 حروب الورد مع انه كان الاولى تسميتها حروب الشوك لانها هشتت
 عدداً كبيراً من الفريقين واقفلت البلاد زماناً طويلاً فضلاً عن الخسائر
 الجسيمة التي احدثتها. وفي سنة ١٤٦١ غلب حزب الورد الابيض تحت
 قيادة الامير واريك حزب الورد الاحمر بعد ما قتل منه ٣٦ الفا واسروا
 الملك فنودي باسم الدوك يورك ملكاً على بريطانيا العظمى ولقب ادورد
 الرابع ولكن بعد ذلك بقليل وقع الخصام بين الامير واريك وبين
 الملك ادورد فاخرج هنري السادس من السجن واجلسه على تخت الملك
 والتزم ادورد ان يهرب الى فرنسا ولكنه لم يثتر عن مداومة الحرب حتى
 انتصر مع حزبه على الحزب الملكي واسترجع تاج المملكة بعد ما قتل هنري
 السادس وابنه سنة ١٤٦٤ وحكم الى سنة ١٤٨٣ واظهر من القساوة ما
 لا مزيد عليه حتى انه امر بقتل احد اخوته ولكن اشتاقا عليه خيرة
 بآية ميتة يريد ان يموت واذا كان اخوه من محبي المسكرات اختار ان
 يوضع في برميل مملوء من النبيذ ويقفل عليه ففعل به كما طلب ومات
 على تلك الصورة

اما احوال الامة الانكليزية فكانت في ذلك القرن آخذة في النجاح
 ولا سيما زراعتها حتى ان الفلاحين الذين من اوطى درجة صاروا احماب
 اراضي وكان لهم حق الاشتراك في انتخاب وجاتق المحامين. واذا كثر
 عدد الذين ينتخبون وكان ذلك موجبا للارتباك اصدت الحكومة سنة
 بانه لاحق لاحد ان يكون من ذوي الاصوات في الانتخاب ما لم
 يكن صاحب ايراد ليرتين انكليزيتين من ملك خاص له وبما ان النقود
 في ذلك القرن كانت قليلة المنحصر حق اعطاء الصوت سيف ذي لاقتدار

من اهل الفلاحة فانت تلك الشريعة بالغاية المطلوبة . وكان للنقود قيمة هذا مقدارها حتى انه من صرف ١٢ ليرة في السنة حسب من اصحاب الثروة العظيمة ومن المعلوم ان الايرادات كانت وقتئذ قليلة فان معاش القضاة الذين ياخذون الآن من الالنين الى الثلاثة الاف ليرة كانت في ذلك الوقت ٧٣ ليرة وكانت الالبسة ايضاً ذات قيمة كبيرة حتى انه كان يوصى بها من ساف الى خلف كارث . وكانت وسائل المواصلات عسرة جداً بحيث لم يرغب احد في التعرب عن بلاده فانه ما عدا السائح الذهاب لزيارة الاراضي المقدسة والتاجر الذي يقصد الموالد لاجل بيع بضائعه بالكدكت ترى رجلاً يتجاسر على ترك وطنه . وكانت الكتابة غير معروفة الا عند القليل الى ان اخترع فن الطبع رجل يدعى كاكستون فاخذت حينئذ المعارف في الامتداد وطبعت الكتب المقدسة وانتشرت الانارة الحقيقية التي كانت بلا شك واسطة للاصلاح

وسنة ١٤٥٣ توفي ادورد الرابع وترك ولدين اكبرها تسمى ادورد الخامس وكانا كلاهما تحت وصاية عمهما ريكاردوس دوك غلوسستر الذي بالخال وضع عينيه على تاج الملك واعتمد بان يعتصبه لنفسه فاخذ يستعمل الوسائل اللازمة لذلك فزال كل ما رآه مانعاً لنوال مقصده وامات جملة من مقاوميه واخيراً ارسل من خنق الاخوين معاً وها في برج لندن واشهر ذاته ملكاً وتسمى ريكاردوس الثالث ولكن لم تطل عليه السنون حتى قتل في حرب اقامها عليه هنري تيودر الورث الوحيد هنري السادس الملك السابق وكان ذلك بمساعدة فرنسا التي قدمت له جميع مهام الحرب . وموت ريكاردوس الثالث انتهت حروب الورد التي هلك فيها ١٠٠ الف نفس بعد ما دامت ٣٠ سنة . وانتهى ايضاً حكم العائلة اليوركية المتسلسلة من العائلة الپلاننجاينية

الباب السادس

في تملك العائلة التيودرية من سنة ١٤٨٥ الى سنة ١٦٠٣

ان الملوك الذين تبوأوا تحت انككترا من هذه العائلة خمسة . اولهم هنري تيودر المتقدم ذكره وهو هنري السابع قام سنة ١٤٨٥ وكان محباً للهدو كارهاً الحروب والفن وهو اول من شرع بما هو جار عليه الحال الى الان في عدم اشهار الحرب عاجلاً عند وقوع النزاع بين دولة ودولة واستعمال طول الاناة لاجل المداولة وتعاطي وسائط السلم اولاً ثم توسط الغير لازالة الموانع اذا امكن ذلك قبل المبادرة لسفك الدم . وهو نم المشروع . ودلالة لكرهه الحروب عقد تحالفاً دائماً مع جيمس الرابع ملك اسكوتلاندا وازوجه بابنته مرغريت وازوج ابنته ارثور بكاترينا ابنة فردينند وايزابلا ملك ومملكة اسبانيا ولكن اذ قضي على ارثور بعد زواجه بوقت وجيز اجتهد ملك انككترا ان يزوج كاترينا بابنه الثاني هنري فاستحصل الرخصة اللازمة من البابا وعقد كتاب خطبتهما وكانت سياسة هنري السابع متجهة بالاختصاص الى تخفيف سطوة العشار في البلاد فادخل اواسط الشعب في الخدمات الاميرية وقدمهم حتى انه رفع الامتيازات التي كانت تدعى بها اهل العشار الى ذلك الوقت وفي ايامه قام رجلان دجالان ادعيا بحقهما لتاج الملك اكثر من هنري السابع فكان احدهما ابن رجل خباز قال عن نفسه انه ابن اخ ادورد الرابع والاخر ابن

رجل جزار ادعى بانه هو احد الاميرين الصغيرين اللذين امامتهما الملك ريكاردوس في البرج كما سبقت الاشارة الى ذلك . فكانت هذه الفتنة سبباً لهيجان عظيم لان كثيراً من الناس ومن الاشراف تحزبوا لهذين الرجلين وتظاهروا بالعصاوة ولكن اخيراً نجحت الحكومة بالقضاء القبض عليهما فامرت بشنق ابن الخباز واما ابن الجزار فجعل خادماً بفلس الصمون في مطبخ الملك . وقد خسرت انكلترا في ايامه مقاطعة بريتانيا وهي املاكها الوحيدة الباقية لها في فرنسا وذلك بدون حرب لانه اذ كان هنري السابع محبباً للمال ومبغضاً للحرب قبل من كارلوس الثامن ملك فرنسا مبلغ ٤٠٠ الف ليرة لاجل تنازله عن تلك المقاطعة وكان داب هنري جمع المال فكان يخصص لنفسه كل ما وصلت اليه يده حتى انه بعد موته وجد في قصره مبلغ عظيم يحاكي العشرة ملايين ليرة انكليزية

ثانيهم هنري الثامن وهو ابن السالف ذكره . لبس التاج سنة ١٥٠٩ وهو ابن ثماني عشرة سنة فكان بارعاً عالماً ولكنه كان ايضاً عنيداً قاسياً سريع الغضب كثيراً ما امر بقتل بعض الشعب وهو في حدة خلقه . وكان له ست زوجات احدهن ماتت موتاً طبيعياً واثنان طلقهما واثنان قتلها واما السادسة فحضرت دفنه . وكانت امراته الاولى كاترينا وزوجة اخيه ارثور . زُفت اليه بعد جلوسه وليت معه ١٨ سنة وولدت له جملة اولاد ماتوا جميعاً في طفوليتهم ما عدا ابنة يقال لها ماري . واذ كان هنري يشتفي اولاداً ذكوراً ليخلفوه في الملك وكان قد وقع في حب ابنة من الاشراف سعى في تخليه كاترينا وطلب من البابا الكليمنضس الثاني ان يأذن له بذلك وكان البابا وقتئذ تحت الترسيم في قبضة كارلوس الخامس سلطان جرمانيا والمالك الغربية فخاف من اعطاء الرخصة في تخليه كاترينا اذ كانت ابنة اخ كارلوس الخامس السائد السلطة في اوربا

ولكنه لاجل عدم التظاهر في مقاومة ملك الانكليز ارسل قاصداً من طرفه لاستماع الدعوى في انكلترا فابت كاترينا الدخول في المرافعة ورفعت دعواها الى رومية فرجع القاصد كما اتى . حينئذ اجتمع رؤساء الدين في انكلترا واصدروا قراراً بان زواج هنري بكاترينا كان غير جائز من اوله لانها امراة اخيه فطلقت . وقد حارب هذا الملك فرنسا ثلاث مرات مرةً بالاتحاد عمه ملك اسبانيا ابي امراته حين استولت تلك المملكة على مقاطعة ناكارالفرنساوية ومرتين بالاتحاد مع شارلكان . وفي ايامه هاجم الاسكوتسيون انكلترا مرتين ورجعوا خائبين بعد ان قتل ملكهم جمس الرابع في اثناء المعركة . وحدث في داخل البلاد جملة اصلاحات اتت الشعب الانكليزي بفوائد جمّة . ومن اعظم ما اشتهر به هنري الثامن اعتناقه المذهب البروتستانتي من بعد ما كان له عدواً لدوداً في اول الامر وكان كتب والف كتاباً ردّاً على لوثيروس سماه السبعة الامرار الذي لاجله لقبه البابا ليون العاشر بحامي الايمان . فعضد هنري الاصلاح الى درجة منكرة حتى انه كان يامر بقتل من لا يقبله وقد ترجمت وطبعت في ايامه الكتب المقدسة باللغة الانكليزية وانضمت مقاطعة وپلس الى انكلترا وصارت ترسل نواباً من طرفها الى المجلس الكبير ثم مات اخيراً سنة ١٥٤٧ وهو في سنة الست والخمسين

اما الملك الثالث فهو ادورد السادس ابن هنري الثامن وكان عمره عشرين سنين عند جلوسه على كرسي المملكة فكان شاباً ظريفاً ذا معرفة وسياسة ولكنه لم يعيش زماناً طويلاً فتوفي بمرض السل وهو في سن الست عشرة

الرابع الملكة مريم شقيقة ادورد المذكور تبوّأت تحت الملك سنة ١٥٥٣ وتزوجت في السنة التالية بفيليب الثاني ملك اسبانيا وهو ابن شارلكان المشهور ولقبت بالدموية لانها اذ كانت تابعة المذهب الروماني اجتهدت

ان تزيل المعتقد البروتستاني فامرت بحرق من انكر سلطة البابا حتى ان كثيرين من الاساقفة والقسوس الانجيليين هلكوا في وسط لهب النار في ايامها . وكان المجلس الكبير قد قاومها على هذه الاعمال الفظيعة فخلعت اعضاءه واقامت مكانهم اناساً اخرين ممن خضعوا لاوامرها فوافقوها على هذا المشروع واصدروا امراً بآبادة وملاشاة مسيحي المرطقة فكان عدد من قتل منهم ٢٧٧ نفرًا اكثرهم من اعيان الناس واكبرهم ثم قطعوا النفقات المعينة لمعاش الاكليروس المتزوج هذا ما عدا البلص والتعدي الذي جرى على كثيرين . وقد اشتهرت هذه الملكة الحرب على فرنسا مساعدة لزوجها فيليب ملك اسبانيا فلم يات ذلك انكلترا سوى خسارة مدينة كالي التي كان لها حينئذ ٣١١ سنة تحت تملكها . وكانت مدة ملك مريم المذكورة خمس سنين وماتت في حالة تعبسة من شدة الوسواس والغموم التي كانت قد تراكت عليها

الخامس الملكة اليصابات ابنة هنري الثامن واخت مريم المذكورة من امٍ اخرى تتوَّجت سنة ١٥٥٧ وكانت بروتستانتية ولكنها لم تعرض لاذية الكاثوليكين وقد ساعدت الاسكوتسيين على طلب حريتهم في امر الدين فاخذ الاصلاح يمتد وينتشر في تلك البلاد حتى عم اكثر اقاليمها وبلدانها وبالاجمال نقول ان انكلترا في ايام هذه الملكة العظيمة وصلت الى اعلى درجات المجد والفخار لان سياستها وحسن تدبيرها كانا احسن مما وجد الى ذلك الحين وكانت مع هذه الاوصاف على جانب عظيم من الحذاقة والحزم والجمال والعفة . وكان قد طلبها كثير من اشراف البلاد ليتزوجوا بها فلم تقبل واختارت ان تبقى حرة رئيسة على جسدها كما كانت على مملكها وكانت بهذا المقدار تائف من الزواج حتى انها كانت تظهر الاسف والحزن عندما يبلغها زواج من تعرفن من السيدات وكان قد خطبها لنفسه فيليب الثاني ملك اسبانيا فابت

وامتنعت فاغتاظ منها وصمم على افتتاح بلادها فجهز عمارة بحرية وارسلها
سراً لتلك الاطراف لاختضاع الولايات البريتانية فهاجت عليها عواصف
شديدة اعدمت جانباً منها واما ما سلم من العواصف فالتفتته العمارة
الانكليزية

ولهذه الملكة بعض اعمال قاسية تحاكي اعمال ابيها هنري الثامن منها
انها امرت بقتل مريم ملكة اسكوتسيا التي اتت الى انكلترا طالبة الحماية
من مقاومتها بعد ان حجزت عليها نحو ٩ سنة. ولكن نجاح المملكة وثقتها
سواء كان بحسن سياستها ام بواسطة الرجال العظام الذين اشتهروا في
ذلك الوقت واعانوا على انتشار المعارف والصناعات اخفى نقائصها وزلاتها.
وفي مدة تملك هذه الملكة حصلت مذبحة مار برثلاموس في فرنسا حيث
قتل جمهور غفير من البروتستانت فكان امتداد المعتقد البروتستانتي سبباً
لمقاومات وحروب كثيرة في اوربا وكان اكثرهم جرمانيين وفرنساويين
وهولانديين فكانوا يتركون بلادهم ويذهبون للاحتواء في اماكن مختلفة
اخضعها انكلترا لان اليصابات كانت تحمي كل من استجار بها من هذا
القبيل وادخلوا معهم جملة من الصناعات والفنون مما كان مجهولاً او غير
متقن في انكلترا فكان ذلك من جملة اسباب التقدم والنجاح. وفي مدة
حكم اليصابات ادخل الهولانديون الشاي الى انكلترا والجرمانيون الساعات
وادخل احد امراء الانكليز التبغ والبطاطا سنة ١٥٨٠ عملت المركبات
وفي سنة ١٥٠٠ تشكلت شركة الهند الشرقية التي كانت سبباً لادخال
كل تلك البلاد في طاعة بريطانيا الى الآن هذا ما عدا التأليف العديدة
وترجمة الكتب الكثيرة التي اتى بها رجال ذلك العصر ثم توفيت هذه
الملكة في سن السبعين وتركت الاسف والحزن لشعب الانكليز اذ لم يبق
قط في انكلترا من يسوس البلاد مثل تلك الجلييلة

الباب السابع

في تملك عائلة ستوارت

ان اصل ملوك هذه الدولة من اسكوتسيا وكانت اكثر ايامهم عديمة الراحة والانتظام من جرى النزاع والمشاجرات المستطيلة التي كانت تحدث من الشعب ضد السلطة المطلقة سواء كان من طرف الحكام ام من طرف الامراء العظام الامر الذي كان قد اقلق المملكة وافقد المجلس نفوذه الشرعي وفي اثناء تلك المشاجرات انتقلت الحكومة مدة من حالة الملكية الى حالة المشيخة تحت رئاسة اوليفر كرومويل كما ستقف عليه . وبعد موت اليبابات خلفها جيمس ستوارت وهو اول ملوك انكلترا بهذا الاسم والسادس في اسكوتلاندا وكان ابتداء حكمه سنة ١٦٠٣ وكان السبب في انتخابه ملكاً هو ان اليبابات عند موتها كانت قد اقرت له بالخلافة من بعدها لانه كان ابن ابن ابنة هنري السابع ملكة اسكوتسيا التي قطعت اليبابات رامها . ومن ذلك الوقت انضمت اسكوتسيا الى بريطانيا العظمى وصارتا تحت حكم ملك واحد

وكان هذا الملك حاذقاً اديباً نجيباً بارعاً في العلوم والمعارف محباً للمطالعات وقد ألف كتباً عديدة مفيدة وكان متمكناً في اللغة العبرانية واليونانية واللاتينية مغرماً بالتكلم بها حتى ان وزراءه كان يصعب عليهم احياناً كثيرة ان يفهموا معنى كلامه واما هو فكان يحسب نفسه من

درجة سليمان في الحكمة . وفي ايامه حاول بعض البابويين احراق مجلس
البارلمان بمن فيه بغضاً للبروتستانت الذين كانوا يزدادون ويتقدمون
بمقدار ما كان اوائك ينقصون ويتأخرون فضعوا كميناً وضعوا فيه ٣٥
برميلاً من البارود وبينما كانوا يترقبون فرصة مناسبة لاقام هذا العمل
اكتشف الملك جسم على هذه المكيدة فبادر في الحال وارسل حراساً
يراقبون اعمال المشتركين في تلك الديسة فوقعت يدهم على رجل اسمه
كاي فوكس وهو في نفس المكان حيث كان البارود موضوعاً فقبضوا
عليه واحضروه امام الملك واخذوا يستنطقونه فاعترف بحقيقة الحال
واقرب عن ثمانين رجلاً من رفقائه فاحذرهم الملك وحكم عليهم جميعاً
بالموت . وكان لجلس صفة حميدة نادرة الوجود عند الملوك بنوع الاجمال
وهي انه كان مبغضاً للحروب ولذلك قضى مدة حكمه في السلم وتحسين
احوال الرعية ومات سنة ١٦٢٥ وخلفه ابنه كارلوس الاول

وكانت مدة كارلوس متعبة اكثر من زمان ابيه وذلك لانه كان
وقتيئذ كثير من البروتستانت يقاومون كنيسة المملكة والاساقفة
لاجل تشبهتهم وتمسكهم بالاحنقالات والعوائد الرومانية التي بقيت من
بعد خلع الاعتقاد الكاثوليكي . وجانب آخر من الشعب كان يعتقد بان
ملوك انكلترا لم سطوة اكثر من اللازم ولذلك قصدوا ان يضعوا حداً
لهذه السلطة وان يجعلوا الملك يملك لاجل مجرد انشراحه ومجده بل
لاجل خير الشعب . واما كارلوس فلم يخضع لهذه الاعتقادات والتصورات
حاسباً ان عامة الناس خلقوا لاجل تسلط الملوك عليهم فقط . ففي بداية
حكمه اثار اضطهادات على الطائفة الانجيلية ولم يسمح لاحد من قوسهم
ان يباشرو عظماً ولا للشعب ان يحضروا الى الكنيسة لاجل استماع الوعظ
وضايقهم كثيراً لكنه لم يجسر ان يامر بحرقهم بالنار كما فعلت الملكة
مريم فسافر كثيرون منهم الى اميركا طالبين حرية الدين وكان يوحنا

همدين ويوحنا پيم واوليفر كرومويل وغيرهم من الذوات المشهورين قد
 صمموا على السفر الى اميركا فتمنعهم الملك فصاروا بعد حين اقوى اعدائه
 وكان البارليمنت (مجلس الامة) الى حين حكم كارلوس الاول لم
 يجسر اعضاؤه قط على مقاومة ارادة الملك واما الآن فوقع بينهم وبين
 كارلوس مشاجرات مستديمة واصروا على حفظ حقوقهم وكرامتهم وعدم
 اطلاق العنان للملك فكان ذلك سبباً اعظم من مناصبهم وتولية خلافهم
 وما يستحق الاستغراب انه كلما اقام الملك مجلساً جديداً وجد مقاومة
 من اعضائه اشد من سابقهم لان روح الحرية كان قد تمكن في صدور
 العامة والنور كشف عن بصيرتهم رداء الاستعباد لارادة شخص مطلق
 التصرف وما زال الحال يزداد يوماً فيوماً حتى لم يبق وجه لصرف هذا
 المشكل بالكلام فتسلح الفريقان ونهضا لمحاربة بعضهم بعضاً وكانت
 اكثرية عظماء انكلترا واسكوتلاندا واساقفة الكنيسة الانكليزية
 واكبر رؤسها مع جميع شبان المملكة الفطاحل متحزبين للملك كارلوس واما
 حزب المجلس فكان بعض الشرفاء والاكثرين كانوا من اهل الصنائع
 وعامة الشعب فعزم هؤلاء على مقاومة الملك وحزبه وصمموا انهم لا ينتهون
 عن عزمهم ولو صرفوا جميع اموالهم فابتدأت الحرب بين الفريقين سنة
 ١٦٤٢ وحدثت مواقع كثيرة بينهما جرت فيها الدماء كالغدران وكان
 من جملة المتحزبين للمجلس رجل يقال له اوايفر كرومويل من عائلة
 معتبرة موصوفاً بالشجاعة وعلو الهمة فنهض لمقاومة الملك واعوانه وعين
 على نفقة نفسه الايام من العساكر الجهادية كان هو مديرها ورئيسها فنجح
 في اعماله واشتهر في مواقع حتى ارتقى الى رتبة فريق ولأمر يريد الله
 انتصر في موقعتين عظيمتين احدهما في مارستين مورسنة ١٦٤٤ والاخرى
 في ناسبي سنة ١٦٤٥ فالتزم الملك كارلوس ان يسلم نفسه لاحكام
 القضاء والقدر اذ لم يجد مكاناً للتخلص من ايدي مقاوميه فقبض عليه

اوليفر كرومويل والقاء في قصره تحت الترسيم واخذ كرومويل من ذلك
 الحين بوجه افكاره وآماله الى الجلوس على سرير المملكة فاستعمل لذلك
 الوسائط المناسبة واستمال اليه قلوب العساكر وقواد الجيوش ثم اشتغل
 في اقناع المجلس ان يحكم بقتل الملك كارلوس واذا رأى كثيرين منهم
 لا يوافقونه في هذا الرأي وضع السيف في اعناق البعض ونفى البعض
 منهم ولم يبق في المجلس الا من كان موافقاً له ولما تم له ما اراد اقام
 محاكمة كارلوس بحضور اعضاء المجلس فوجد خائناً مستحق الموت فاضطرب
 الشعب من هذا الحكم واستعظموه ولكن لم يستطع احد ان يحرك ساكناً
 لان هيبة كرومويل وسطوته كانتا كافيتين لمنع العصاوة والشقاق . فعند
 ذلك امر باحضار الملك من قصره الى محل القتل فاتي به في ٣٠
 تشرين الثاني سنة ١٦٤٩ حيث كان موضوعاً قطعة من خشب والجلاد
 ينفطه واقفاً بالقرب منها وعساكر كرومويل وقوفاً بسلاحهم حوله فتقدم
 الملك نحوهم بكل ثبات وهدو وقال لقد نزعوا عني تاجي الذي ينفي
 ولكي ذاهب لانال تاجاً لن ينفي ثم جثا على ركبته وصلى ثم التفت نحو
 الشعب وودعهم وبعد ذلك وضع عنقه على تلك الخشبة المذكورة فرفع
 الجلاد بلفته وقطع بها راس الملك وكان الملك قد ترك ولداً ذكر
 يخاف كرومويل من عاقبة امره لثلاث مهيج الشعب ثانية ويدعي بالارث
 فيادر في الحال باجراء التفتيش عليه ليهلكه فعثرت به الجنود وهو مع
 زمرة من المتخزين له فاحاطوا به وضايقوه ولكنه اخيراً تخلص من بين
 ايديهم وهرب

فلما خلت كرسي مملكة انكلترا من ملك اوولي عهد تجمع عظام
 الشعب واكابر الاشراف واقاموا عليها مديراً ورئيساً كرومويل المذكور
 واطلقوا عليه اسم محامي انكلترا وهموا بحكومتهم الحالية بالجمهورية فكان
 كرومويل يتعاطى مهام الاحكام ورياسة الجيوش فارتفع قدره وانتشر

ذكره ووقعت هيبته في قلوب الناس وما زالت سطوته تمتد في البلاد حتى انه في اقرب وقت استولى على زمام المملكة فنفر اعضاء المجلس الكبير من هذا الامر واعترضوه على ذلك اما هو فلم يلتفت اليهم بل عزلم في الحال واقام اناساً غيرهم ممن كان ياتمنهم ويعتمد عليهم الا انهم لم يقوموا بوظائفهم اكثر من خمسة اشهر حتى استعفوا جميعهم فقبل استعفائهم حالاً اذ كان ذلك اعز مشتهاه وغاية متمناه

وسنة ١٦٥٤ نودي به السيد المحامي لجمهوريه انكلترا وبقي متقلداً ذلك المنصب مدة اربع سنوات وكان حاكماً حازماً ذا اقتدار وسطوة مهيبة مكرماً من اهل المملكة وسائر الدول وكان دائماً لابساً درعاً تحت ثيابه خوفاً من غدر اعدائه واستمر كذلك الى ان مات مجموعاً سنة ١٦٥٨ وهو في سن التسع والخمسين وخلفه ابنه ريكاردس في نفس المنصب ولكنه لم يكن كفواً له واذ لم يمكنه ان يجعل اهل المملكة تنقاد لاوامره خلع نفسه من الوظيفة فاصبحت الحكومة في قلق واضطراب واشتاق الشعب الى ترجيع سليلة ملوكهم ظانين ان الحكومة لاتنجح ثانية الا تحت زمام احكامهم وكان الجنرال جورج منك اول رجل ذي سطوة وهيبه في العسكرية بعد موت كرومويل المذكور فدعا بكر كارلوس الاول للرجوع الى بلاده ووعده بمساعدة العسكر له لاجل تسميته ملكاً وكان هذا الامير المنفي قد صرف زمان غربته في اماكن مختلفة في اوربا واتصل الى ادنى درجة من الفاقة فاسرع بالرجوع الى انكلترا ودخل مدينة لندن بكل عز واکرام ففرح الشعب بقدمه وتوجوه سنة ١٦٦٠ ولقبوه بكارلوس الثاني ولما استبد بزمام الاحكام وصفت له الايام امر بشنق كثيرين من الاشخاص الذين تداخلوا بقتل ابيه الملك السابق ثم اخرج جثة اوليفر كرومويل من مدفنها وامر بتعليقها على المشنقة ثم اعادها الى مكانها

وكان كارلوس الثاني هذا قد عاش عبثة رخية مدة نفيه وعند
 جلوسه على كرسي المملكة استمر على ما كان عليه وصرف أكثر أيامه
 ولياليه في شرب الخمر وفي قضاء شهواته الدنية. واتفق سنة ١٦٦٥ ان
 انكلترا اقامت حرباً على هولاندا مدعية انها لتعرض لتعطيل تجارتها
 فارسات عمارة بحرية تحتوي على ١١٤ قطعة حربية تحت رياسة الدوك
 يورك اخي الملك وعند وصولها الى تلك الاطراف اشتبك القتال بين
 الطرفين في ٢١ نيسان من السنة المذكورة كان النصر فيها للانكليز. ثم في
 السنة نفسها حدث وباء عظيم في مدينة لندن اهلك تسعين الف نسمة
 من الاهالي في سنة واحدة ثم عقبه حريقه هائلة احرقت ثلاثة عشر الف
 بيت من المدينة ولم تؤثر هاتان الضرباتان ادنى تأثير في الملك بل استمر
 على حالته المعهودة. وكان قد سلم زمام الاحكام بايدي اناس من اهل
 الشقاوة عديي المعرفة والشفقة حتى ان الديانة والفضيلة حسبتا خيانة
 ورذيلة في مدة حكمه. وقد حدثت موقعتان اخريان بين انكلترا وهولاندا
 كانت الدائرة فيهما على الانكليز واخيراً وقع الصلح بين الدولتين وصار
 امضاء المعاهدة في بريدا في ١٠ تموز سنة ١٦٦٧ وفي تلك المعاهدة اعطت
 هولاندا لانكلترا مدينة نيويورك من تملكها في اميركا وكان مقصد
 انكلترا في اتحادها مع هولاندا ان تقاوم مطامع فرنسا في فتحها
 فارسك قاصداً من طرفها الى هولاندا وعقدت معها صلحاً واشترك معها
 في هذا الاتحاد مملكة اسوج وزوج فسمي ذلك الاتحاد المثلث. ومن سياسة
 هذا الملك المحقوتة انه ابطل بعض شرائع المملكة بدون مخاضرة المجلس
 واقام خمسة نواب من الاشراف للقيام ببهام المملكة وتأييد سلطنته
 المطلقة بدون التفاوت الى البرلمنت فعقد هولاء عهداً مع لويس الرابع
 عشر ملك فرنسا على حرب هولاندا براً وبحراً ونهب اموالها وابادة مشيختها
 فلم يصدق الهولانديون هذا الخبر ولكنهم تحققوه عند ما شهر الملك

كارلوس الحرب عليهم سنة ١٦٧٢ باتحاد فرنسا فكان هذا الامر يعد
من اعظم العيوب نظراً للمعاهدات التي كانوا قد اتفقوا عليها . ومن ثم
انتشبت الحرب بجرماً بين العارة الانكليزية والعمارة الهولاندية وكانت
العمارة الفرنساوية هناك فلم تات الانكليز بالمساعدة المطلوبة . وبعد عدة
وقائع انسحبت عمارة هولاندا من ميدان المعركة ولم تتبعها عمارة الانكليز
فكانت غلبة غير كاملة . ثم بعد ذلك غزا الفرنسيون هولاندا برباً
واضروا باهلها ضرراً جسيماً كما منذ كرك ذلك مفصلاً في محله . واذا لم تجن
انككترا ثمرة من هذه الحروب الا اهلاك رجالها وصرف اموالها وتب المجلس
اعمال الملك على سوء تصرفه بتلك السياسة وعلى ابطاله شريعة قصاص
مخالفتي الاصلاح الديني فان العامة اعتبرته منحة للبابا وبين وتعدباً على
حقوق المجلس في ابطال شيء كان قد عقده فسلم الملك لدعوى المجلس
وايطل مجلس النواب المذكور ثم عقد الصلح مع هولاندا وزوج ابنته مريم
بالبرنس وليم اورانج الهولاندي لتوطيد روابط المحبة والاتحاد . وكان قد
حدث جملة اضطرابات في داخلية البلاد من جهة الدين والدنيا لم
يتصرف بها كارلوس التصرف الحسن واستمر على حالته الى ان مات سنة
١٦٨٦ وخلفه اخوه جيمس الثاني

وكان جيمس المذكور كاثوليكياً في اعتقاده ولم يكن اهتمامه الا في
كيفية ارجاع شعب بريطانيا العظمى ثانية تحت سلطة بابا رومية وبهذا
العمل جلب على نفسه بغض رعاياه حتى ردلوه واحتقروه وحقدوا عليه
وصمموا على عزله ليتخلصوا منه ثم هاجت منهم العظام والاشراف ودعوا
وليم برنس اورانج ليأتي من هولاندا ويصير ملكاً عليهم ولم يكن لهذا
البرنس حق بالتملك غير انه كان قد تزوج بابنة اخي هذا الملك كما سبقت
الاشارة فحضر وعند وصوله الى انككترا بادر الناس لاستقباله وجاءوا به
الى القصر الملكي بموكب عظيم فبايعوه الملك وتوجوه مع امراته سنة

١٦٨٩ تحت لقب الملك ولیم الثالث والملکة ماري. واما جسم فكان قد فر
 هارباً الى فرنسا وكان بعض احزابه يحاولون ان يعيدوه ثانية الى كرسي المملكة
 ولكنهم لم ينجحوا في ذلك فهذا التغيير الذي حدث في المملكة يسمى اعتيادياً
 بشورة سنة ١٦٨٨ المجيدة. ومن ذلك اليوم صار وضع بعض النظمات
 والقوانين لاجل تقييد السلطة الملكية وتثبيت الشرائع السنونة والتي تُسن
 ومن جملة تلك القوانين انه لا يباح بالتاج الملكي لاحد الا لمن كان
 بروستانتياً. وفي تلك الاثناء اضطررت المملكة الى قرضه دراهم لاصلاح
 لوازمها فتناولته من اغتياها بلادها وكان ذلك اول دين على الدولة فتشكل
 لاجله سنة ١٦٩٤ البنك المعروف بينك انكثرا وهو البنك الباقي الى يومنا
 هذا. اما ولیم فانكب على اصلاح داخلية البلاد واخذ الفتن فتمت في
 ايامه الاقاليم البريتانية وزهت ومن ذلك الحين اخذت تجارتها تمتد من
 خارج وصنائعها من داخل. ومما ساعد ايضاً على هذا التقدم هو ما حدث
 في فرنسا في مثل ذلك الوقت في ايام ملكها لويس الرابع عشر عند الغائه
 النخبة المعطاة للبروتستانت من جده هنري الرابع في ممارسة امور ديانتهم
 بلا معارض فانه عند ذلك اتى واستوطن في انكثرا خمسون الفا من
 المهاجرين الفرنسيين وكان اغلبهم من ارباب الصنائع والمهنيين فاقاموا
 فيها الاشغال معلمين ما كان مجبولاً ومساعدين في ما كان جارياً فامتدت
 بواسطتهم دائرة الاعمال والفنون. ولتقدم انكثرا اسباب اخرى كثيرة
 لا يسعنا ذكرها. واذ كان هذا الملك الفاضل مفرماً في الصيد كان ذلك
 سبباً لتعجيل موته فانه وقع عن جواده يوماً ما في سنة ١٧٠٢ وهو
 يصطاد ومات بعد ذلك بشهر وكانت الملكة قد توفيت قبله بعدة سنين
 ثم تبوأ بعده تحت المملكة حنة ابنة جسم الثاني وكان حكمها حكماً
 مجيداً لانكثرا وفي ايامها انتصر الدوك ملبروك الشهير في وقائع مشهورة
 على الفرنسيين وكان ذلك بالاتحاد مع هولاندا والنمسا لاجل تنكيس

سطو
 وكان
 مع
 الانك
 طارة
 مفتاح
 على
 بروجو
 ودر
 والش
 الملك
 سنة
 على
 الانك

هذا
 فلقبه

سطوة فرنسا التي ارادت ان تقيم ملكاً على اسبانيا احد اعضاء ملوكها .
 وكان اشهر تلك الوقائع حرب بلينهم حيث كانت خسارة فرنسا بين
 مع حلفائهم اهل بافاريا ٣٥ الفاً . وفقد الماريشال تالار واما خسائر
 الانكليز وحلفائهم فكانت ١٢ الفاً . وفي ايام هذه الملكة أخذ حصن جبل
 طارق سنة ١٧٠٤ من الاسبانيوليين وهو اعظم حصن في العالم ويعتبر
 مفتاحاً للبحر المتوسط وقد اجتهد الاسبانيوليون والفرنساويون مراراً عديدة
 على اخذه من ايدي الانكليز فلم يستطيعوا . واشتهر عصر الملكة حنة
 بوجود العلماء والفلاسفة المشهورين مثل نيوتون ولوك وميلتون وبنيان
 ودريدن الذين عاشوا وقتئذٍ والقوا مؤلفات عديدة في الفلك والهندسة
 والشعر والديانة وغير ذلك وبواسطتهم امتدت العلوم والفنون في اقطار
 المملكة وفي العالم اجمع . واستبدت الملكة حنة بالتصرف الملكي مدة ١٢
 سنة وماتت سنة ١٧١٤ ولها من العمر ٤٩ سنة وكانت هي آخر من ملك
 على انكلترا من عائلة ستوارت الذين كانت بداية احكامهم على تملك
 الانكليز سنة ١٦٠٣

الفصل الثامن

في ملوك بريطانيا العظمى من عائلة هانوفر

وكان الملك جيمس الثاني قد توفي في فرنسا سنة ١٧٠١ وخلف ابناً
 هناك فذهب له لويس الرابع عشر ملك فرنسا وتوجه ملكاً على انكلترا
 فلقبه شعب الانكليز بالمدعي اذ كانوا مصممين على عدم قبولهم ملكاً

تريكيًا عليهم. وكان اقرب ورثت بروتستانتية للملكة حنة اميرة الماني
 من آل هانوفر امه ابنة جيمس الاول وعمره يومئذ ٥٥ سنة فنودي
 بهذا الامير ملكاً على انكلترا تحت لقب جورج الاول وهو اول ملك من
 العائلة الهانوفرية ولم يكن يعرف اللغة الانكليزية ولا شيئاً عن احوال
 المملكة التي كان مزماً ان يتقلد زمامها فصرف اكثر اوقاته في هانوفر
 لانه احب وطنه محبة شديدة ولم يكن له ميل ورغبة في السكن في
 قصر ملوك الانكليز. وفي ايام هذا الملك حدثت جملة حروب مع اسبانيا
 لانها ارادت ان تمنع اتصالية التجارة الانكليزية مع تملكاتها الاميركانية
 وان تستخلص منها جبل طارق فلم تنجح ولا في واحدة منها ثم مات
 سنة ١٧٢٧

وخلفه ابنه جورج الثاني الذي ولد ايضاً في جرمانيا وكان في حياة
 ابيه متقلداً رياضة العساكر الانكليزية. وفي ايامه كانت الحرب مع
 اسبانيا لا تزال سائرة على قدم الاسراع فانتصر جورج في موقعة ديتنجن
 ولكنه خسر في موقعة فونطينوي ثم حارب الفرنسيين لاتحادهم مع
 اسبانيا وانتصر عليهم. وسنة ١٧٤٥ حاول ابن جيمس الثاني ان يعيد اليه
 تاج ابائه فجهز بجيش قليل مؤلف من فلاحى اسكوتلاندا وتقدم الى
 نحو انكلترا ولكنه لم ينجح في مشروعه واضطر اخيراً الى الفرار ووقعت
 جموعه في ايدي الانكليز قتلوهم عن اخرهم. ثم في سنة ١٧٥٥ انتشبت
 الحروب ثانية بين الفرنسيين والانكليز بسبب تملكاتهم الاميركانية فان
 كلاً من الدولتين ارادت استخلاص تملكات الدولة الاخرى والسيادة
 في تلك الاقطار. وكان وقتئذ في وزارة انكلترا وليم پت الشهير بالسياسة
 وحسن التدبير فجعل انكلترا تتحد مع بروسيا وتساعدتها في الحروب القائمة
 وقتئذ بينها وبين اوستريا وروسيا بسبب بولونيا وبعض املاك جرمانية
 واذ كانت فرنسا من التحالفين ضد بروسيا التزمت عند ما رأت مضادة

انكترا نريدريكوس الكبير ان تزيد قوتها العسكرية في اوربا لمقاومة
 المتحالفين فنتج عن ذلك ضعفها في اميركا وكان ذلك غاية مراد وليم پت
 فاغتنم الانكليز الفرصة المناسبة وجرى بين الطرفين عدة وقائع هائلة في
 اميركا انتصرت فيها الانكليز واستولت عساكرها على مدينة كويك
 تحت قيادة الجنرال ولف وعلى مقاطعتي كندا اللتين كانتا من تملكات
 فرنسا وبين واخافتهما الى املاكها الكثيرة فصارت كل البلاد المتحدة
 تملكات انكليزية . وبعد نهاية هذه الحروب بمدة وجيزة توفي جورج الثاني
 وله من العمر ٧٧ سنة

ثم قام بعده ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ وله من العمر نحو ٢٣
 سنة وكانت احوال المملكة وقتئذ جيدة جدا فترأمت عليها مصائب شتى
 حتى انه كان خيرا له لومات يوم لتوجيه . وكان عاقلا حكيما ذا
 سيرة حسنة يعد من افضل الملوك ولكنه كان عنيدا بهذا المقدار حتى
 انه كان احيانا كثيرة يرفض مشورة من كانوا احكم منه . وفي ايامه
 حدث الثورة الاميركانية واستقلت تلك المملكة العظيمة وخلعت طاعة
 الانكليز كما سياتي تفصيل ذلك عند ذكر اخبار دولة اميركا وتظاهرت
 فرنسا بمساعدة الاميركان ومقاومة الانكليز واغتنت اسبانيا ايضا تلك
 الفرصة لاستخلاص جبل طارق من ايدي الانكليز فلم ياتها ذلك بادنى
 فائدة لمهارة وبراعة واليها اليوت الشجاع المشهور الذي دفع عنها مصادمة
 العدو بشرف جزيل . وبسبب بعض تعصبات دينية في مدينة لندن بين
 الكاثوليكين والبروتستانت حصل نوع من العيجان بواسطة الحروب فاخذ
 البعض يحرق بيوت البعض فكانت ٣٦ حريقة في وقت واحد في كل
 اطراف المدينة . وسنة ١٧٩٨ تظاهرت ايرلاندا بالعصاوة وكان السبب
 في ذلك استقلالية اميركا وجمهورية فرنسا فهيجتا فيها الرغبة والاشتياق
 الى الافتداء بهما ولكن اذ لم يكن بين شعبها روح الحزم والانضمام بسبب

اختلاف المذهب ولم يوافق البروتستانت الكاثوليكين على مشروعهم
تحولت تلك السياسة الى قضية دينية بين الطرفين

وقد اشتهر في ذلك العصر الاميرال نيلسون احد رساء العارة
الانكليزية بانتصاراته الكثيرة منها غلبته في ابي قبر على العارة الفرنسيات
التي جاءت بنابوليون وجيوشه لافتح الديار المصرية والتقدم على الولايات
الانكليزية الهندية فوافها في ٢١ آب سنة ١٧٩٨ واصطلت نيران
الحرب بين الطرفين وكانت القوة متساوية وفي اقل من ست ساعات
انتصر عليهم انتصاراً كاملاً ولم يسلم من سفن الفرنسيين التي كانت
سبع عشرة قطعة غير اربع فقط فانها فازت بالفرار والبقية اُمرت
واحرقت وكان من جملتها مركب الاوربان المعروف بمركب نصف الدنيا
فان لهيبه حوّل ظلام الليل الى نهار واذا كانت رجاله في اشد الضنك
والخطر ارسل لهم نيلسون القوارب وخلصهم . وفي اثناء هذه المعركة
اصيب نيلسون برصاصة في جبهته ولكنها لم تكن قاتلة . وكان هذا
الاميرال المذكور من عجائب الدهر ذكاه وفهاً وشجاعاً لا يبالي بالاختطار
ولا يقدر العواقب وقد ارتقى الى هذا المنصب الرفيع بهارته ودرابته
لانه كان من عائلة خاملة الذكر . وما يستحق ان يحكى انه كان يعين
واحدة ويدير واحدة فقدما في بعض وقائع السابقة وكان من اشد
الناس بغضاً للفرنساويين حتى انه اصطنع لنفسه تابوتاً من خشب السفينة
المدعوة بنصف الدنيا واوصى ان يدفن به عند موته وهذا من اغرب
الامور

وسنة ١٨٠١ اتحدت دولة الدنيارلك مع دولة اسوج وزوج على حرب
الانكليز بجزاً وكان ذلك باتفاق وراسية روسيا وفرنسا فجهزت انكلترا
عارة بحرية وارسلتها الى بحر البلتيك تحت رياسة سار هيد پاركر وكان
نيلسون حينئذ متقلداً الرياسة الثانية فلما اشراف على خليج مدينة كوبنهاغن

عاصمة الدينبارك وجدا تحصينات قوية جداً برّاً وبحراً تمتعها عن العبور في ذلك الخليج نظراً لكثرة حصونه وقلة مائه فوليح سار هيد باركر الاميرال نيلسون ان يتعاطى امر الهجوم فامر نيلسون بفتح البناجر واطلاق النار من بعد ما قسم مراكبه الى فرق ورتب كيفية المعركة فاشتبك القتال بين الفريقين واضطربت نيران الحرب وصعد لهبها على نوع هائل جداً حتى ان نيلسون عند اجتياحه بولي العهد بعد هذه الواقعة قال انه في المئة وخمس مواقع التي حضرها لم يشاهد قتالاً رائعاً مثل ذلك القتال نظراً لعدم وجود عمق كافٍ والتزام المراكب ان تتقدم الى قدام لكي تتمكن من العدو. وما زالت الحرب قائمة على قدم وساق حتى مست بعض سفنه القاع ولم يعد يمكنها الحركة تخسر نيلسون في اثناء ذلك ربع قوته ووقع في خطر عظيم تخميناً رفع له سار هيد باركر علامة الرجوع خوفاً من حلول الاذى عليه واما نيلسون فلما اخبر بان الرئيس الاول بدعوه للانحجاب انتزع النظارة ووضعها على عينه العوراء ووجهها نحو الاشارة وقال اني لا ارى شيئاً مما تقولون فابقوا راية الحرب منتشرة وواظبوا على اشغالكم ثم رجع الى ما كان عليه من تشديد الحرب والهجوم على الاعداء حتى اغرق جملة من مراكبهم الاعداد ونكس راياتهم وضعضع احوالهم و بعد انتصاره هذا عليهم عقد معهم صلحاً تحت شروط معلومة. ومن ذلك الوقت ارتفعت منزلة نيلسون ووقعت محبته في قلوب رجال الدولة الانكليزية فسموه لورداً وقلدوه رياسة البحر العمومية ثم توفي هذا البطل سنة ١٨٠٥ في حرب ترافلكار الشهيرة عند ما تعاضدت فرنسا واسبانيا ضد انكلترا فالتقاهما نيلسون بسبع وعشرين قطعة حربية بينما كانت عمارة العدو ٤٠ قطعة. وكان نيلسون قبل وقوع الحرب قد دخل الى غرفته وكتب وصيته ثم صعد الى ظهر المركب واعطى اشارة لباقي ضباط المراكب يحثهم على الحرب ويعلمهم بان انكلترا تنتظر في ذلك اليوم من كل

رجل من رجالها ان يقوم بحق خدمته ويعمل ما يتوجب عليه ثم امر
باطلاق القنابل والمدافع فاطلقت في الحال واشتد بين الفريقين القتال
وكان نيلسون لسوء حظه لا يسا كل نياشينه فجلب عليه ذلك مراقبة
خصوصية من طرف الاعداء وكان بجانب بارجه سفينة فرساوية على
مسافة عشرين ذراعاً فقط فاطلق عليه احد جنودها رصاصة اصابت
ظهره فكسرت العظم وجرحته جرحاً بليغاً فوق مغطياً عليه فنقلوه الى
غرفته ثم افاق وهو على آخر رمق فاستدعى القبطان اليه فلم يحضر الا بعد
خمسين دقيقة لانه كان منهمكاً في ادارة الحرب ولم يمكنه ان يترك
مركزه الا بعد نهاية المعركة فدخل عليه ليهنئه على الانتصار التام الذي
انتصرته انكثرا في ذلك اليوم فساله نيلسون ان يعلم عن عدد المراكب
الماخوذة من الاعداء واذا لم يكن بعد واقفاً على حقيقة عددها قال ليست
هي باقل من ١٤ او ١٥ فاجاب نيلسون جيداً ولكنني كنت اشترطت على
نفسي عشرين مركباً وبعد ذلك الوقت بساعتين اسلم الروح وهو يقول
انني لم ترض ومسروراً اذ تمت ما علي ومن ذلك الوقت تلاشت قوة
نابوليون البحرية ولم يبق لها قائم بعد

ولكن مع ذلك لم تزل انكثرا في خوف واحتماب من سطوة ذلك
الجبار العنيد فكانت تراقب خطواته وتنتهز كل فرصة لتضعفه وتكسر
شوكته فساعدت ملك نابولي عليه براً وخوفاً من ان نابوليون يستعين
عليها بمراكب الدنيارك ارسلت عمارة قوية فضربت كورنباغن واخذت
مراكبها الحربية رهينة بشرط انها ترجعها لها عند ما يتم الصلح العام في
اوربا

فبينما كانت انكثرا تكتسب مجداً وغزراً من خارج بواسطة انتصاراتها
العديدة وتوسيع مملكاتها وتوطيد قواعد حكمها في الهند كانت من داخل
تزداد نمواً ونجاحاً وغنى بواسطة تقدم المعامل وسائر الصنائع فصار يمكنها

غزل القطن وبيعه باثمان بحسة اذ لم يمكن لاحد غيرها ان يسابقها على ذلك فصارت رئيسة سوق العالم في السطوة والتجارة هذا فضلاً عن تقدمها بالاختراعات الميكانيكية وبالاختراجات الكيماوية وفي اصلاح الطرق الكثيرة وايجاد العربات العمومية لتسهيل منقولاتها في داخل البلاد وفي فتح الترع الكثيرة حتى انه في اربعين سنة فتحت مئة وخمسة وستين ترعة هذا فضلاً عن عزمها الشديد في امتداد علومها واكتشافاتها الجديدة فانها اكتشفت شطوط اوستراليا وزيلاندا الجديدة التي قصدها كثير من الناس سنة ١٧٨٨ وسكنوها وغير ذلك من البلاد . واما العلوم والفنون فكانت سوقها في رواج لا مزيد عليه ولا سيما علم الهيئة الذي بواسطة نظارة الفيلسوف هرشل تقدم تقدماً بليغاً وكذلك علم الكيمياء بواسطة بريستلي وكافنديش . واما النقش والتصوير والشعر فقد بلغت درجة سامية ومما يستحق الذكر اكثر من كل ذلك ابطالها التجارة بالعبيد

ولنرجع الآن الى ما كنا بصدوده من اخبار الملك جورج المذكور فنقول انه كان قد اعتراه اختلال في عقله ابتداءً فيه سنة ١٧٨٨ ودام معه عدة شهور ثم اشتد عليه الحال سنة ١٨٠٤ وما زال في ازدياد حتى اختل بالكلية ولم يعد يعلم ما هو جار في المملكة فتولج ادارة الملك ابنه الاكبر . وفي زمن وكالته كسرت انكلترا شوكة بوناپارت باتحاد بعض دول اوربا ولا سيما في واقعة واترلو الشهيرة التي بها انقرض حكم نابوليون الاول وكان وقتئذ قائد جيوش الانكليز الدوك ولينتون الشهير الذي ذاع صيته واشتهر في اقطار العالم بالبسالة والادارة الحربية والانتصارات العديدة في بلاد الهند واوربا ولا سيما في واقعة واترلو المذكورة . ثم لتواج هذا الملك سنة ١٨٢٠ تحت اسم جورج الرابع ولم يحدث في ايامه من الامور المهمة سوى مداخلة انكلترا مع فرنسا وروسيا في اطفاء نيران

الحرب التي كانت متقدمة بين الدولة العثمانية والدولة اليونانية عندما نهضت طالبة استقلاليتها. وسنة ١٨٣٠ توفي هذا الملك وخلفه ولیم الرابع وفي ايامه اتسعت دائرة المعاملات التجارية وتحسنت احكام المملكة وصدرت نظامات جديدة مستحسنة وقت الحكومة من الثورات الداخلية . وفي السنة الاولى من حكمه صار انشاء السكة الحديدية الاولى بين ليقربول ومانشستر . وسنة ١٨٣٤ صدر قرار المجلس الكبير باعتراف عبيد الهند الغربية واعطاء ساداتهم على سبيل التعويض مبلغاً قدره ٢٠ مليوناً من الليرات الانكليزية

ثم خلف ولیم الرابع فكتوريا الملكة الحالية وذلك سنة ١٨٣٧ وهي ابنة الدوك كفت الابن الرابع لجورج الثالث تزوجت في ١٠ شباط سنة ١٨٤٠ بالبرنس البرت من جرمانيا وفي ايامها حدث جملة حركات في مملكات انكلترا لاسيا في الهند لم تنل اصحاب المقاصد والغايات فيها ما رايها بل اخمدت هذه الملكة نيرانها بالقوة الفائقة وامتدت سطوتها وهيبتها في كل جهاتها . وكذلك اشتهرت الحرب على بلاد افغانستان واستولت عليها بعد وقائع هائلة . وقد اشتركت ايضاً في محاربة الدولة المصرية واخراجها من الديار الشامية سنة ١٨٤٠ . وفي سنتي ١٨٤٠ و ١٨٤١ حاربت بلاد الصين وفتحت الباب لدخول التجارة الانكليزية اليها ثم حاربت الروسيين في القرع سنة ١٨٥٤ واستظهرت عليهم كما ذكرنا ذلك باكثر تطويل في اخبار الدولة العثمانية واخضعت بلاد الهند عندما عصت عليها سنة ١٨٥٧ واستلمت زمام حكومتها من ايدي الشركة التي كانت قد صار لها فوق المئة سنة مسئولية زمامها وبذلك انتظمت الاحوال نظاماً لا يشوبه فساد وتودي باسم فكتوريا سلطانة الهند . ثم حاربت ثانية ملك الصين واجرت معه معاهدات افضل من الاولى يمكنها بواسطتها ان توصل تجارتها الى اقصى تلك البلاد وتزيد غناها . وبالاجمال ان احوال انكلترا

في ايام هذه المملكة بلغت غاية النجاح والاقبال من داخل ومن خارج ولذلك ترى رعاياها يحبونها ويعتبرونها ويثنون عليها وهي في الواقع تستحق ان تنظم في سلك اكبر الملوك العظام نظراً لحكمتها وجودة رايها وحسن سياستها

الباب التاسع

في ذكر مقاطعة ويلس اي غال

ان الذي يزور هذه المقاطعة ويختلط مع شعبها لا يخطر في باله قط انه موجود في قسم من بريطانيا العظمى نظراً لاختلاف اسماء سكانها ولغتها عن اسماء الانكليز ولغتهم ولكن اكثرهم في هذه الايام صاروا يتكلمون اللغة الانكليزية حتى ان لغتهم الاصلية كادت الآن تزول وتضمحل وهي اشبه باللغتين الايرلاندية والغالية فهذا اكبر دليل وبرهان بان اهلها واهل ايرلاندا او جبال اسكوتلاندا هم من جنس واحد . واما تاريخ ويلس القديم فهو مجهول غير معروف . ولما دخل الرومانيون الى بريطانيا كان سكان جبال ويلس اناساً اشداء غلاظ الرقاب ماهرين في استعمال ضرب النبت فدافعوا عن جبالهم ومواطنهم بشجاعة وبسالة لامتزيد عليهما فلم يتمكن الرومانيون من الاستيلاء عليهم . ولما اتى السكسونيون لحرب انكلترا اخضعوها بامرها ما عدا ويلس فانهم لم يتمكنوا منها الا على جانب صغير فقط وبقي القسم الاكبر منها مستقلاً تحت حكم امرائهم واشراقتهم كما فعل سلفاؤهم في زمن الرومانيين فيظهر ان اولئك الامراء كانوا ساكنين في قصور منيعة وحصينة كان الاهالي يحامون

ويدافعون عن انفسهم فيها في زمن الحرب . ولم يزل اثار بعضها باقياً الى الآن . وجاء الى ولس في تلك الازمنة قوم من الغرباء فتوطنوا فيها واذ كانوا من الشعراء نظموا اشعاراً نفيسة وقصوا قصصاً تتضمن غارات ووقائع امراء وابطال ولس فكان عامة الشعب يسر ويطرب من استماعها لتضمنها اخبار وحروب قوادم ومواقفهم الهائلة الدموية . وكانوا يدعون اولئك الشعراء الى قصور الامراء فيعيشون بكل رفاهية ومرور . وقد توصل اهل ولس الى درجة فيبحة بهذا المقدار حتى انهم كانوا يدعون النبوة نظراً لسطوتهم وقوة باسهم وشجاعتهم

ولا يخفى ان وجود عشيرة صغيرة مستقلة في جوار مملكة ذات شوكة عظيمة مما يصعب احتمالها عليها فلذلك رأيت ملوك انكلترا ان السكوت عن هذه المقاطعة وعدم ادخالها تحت الطاعة والالقياد مما يشين شرفها ويحط مقام عظمتها فصممت على محاربتها وارسلت جيشاً عرمرماً لقتالها واخضاعها فلم يتمكن منها الى سنة ١٢٥٧ حين كان ادورد الاول ملكاً على انكلترا ولوين اميراً على ولس . فجهز ادورد عسكرياً جزاراً للحرب ولس واذ كان شعراء ولس يحبون الحروب الشديدة هيجوا امراء البلاد ليظهروا نشاطهم وشجاعتهم في تلك الوقائع وكان احد الشعراء قد اخبر لوين المذكور بانه سوف يسود ويتملك على جزيرة بريطانيا ولذلك عند ما اشرفت مواكب الملك ادورد على تلك الاطراف خرج للقاءه الامير لوين بعسكر قليل فانكسر وقتل ثم قام مكانه اخوه داود فدافع عن وطنه بكل بسالة وبعد عدة وقائع انهزمت جموعه وتفرقت اما هو فوقع في اسر الملك ادورد فامر بشنقه . وموته انقرضت سلالة امراء ولس وزالت استقلاليتها وصارت ايالة انكليزية من ذلك اليوم . وكان الملك ادورد قد غضب على اولئك الشعراء بسبب تهيجهم الشعب ضده فامر بجمعهم وقتلهم على ما قيل . واما الملك الذي قام بعده فكان مولده في ولس

وأعطي لقب برنس اوف ويلس المعروف ببرنس دي غال ومن ذلك الوقت الى الآن صار هذا الاسم لقباً لابكار ملوك انكلترا . واهل ويلس الان يعنون بزراعة ارضهم وبالصنائع المختلفة وفي بلادهم بعض معادن ثمينة من الفحم والحديد

الباب العاشر

في تلميح اخبار اسكوتلاندا اي اسكوتسيا

ان سكان اسكوتلاندا على ما يستفاد من التواريخ كانوا من الامة الغالية والمظنون انهم من نفس الشعب الذي سكن بريطانيا وويلس وايرلاندا في الازمنة القديمة وكانوا اصحاب سطوة وبأس حتى انهم قاوموا الرومانيين وحاربوهم عند هجومهم على بلادهم ولما تغلبت الرومان عليهم لم يتمكن قط من اخضاع اهالي الجبال وكانوا يضايقون الرومانيين بهذا المقدار حتى انهم التزموا باقامة سور من نواحي صاوى فريث الى نهر التين ليغفلوا من مضايقتهم ومع كل هذه الاحتياطات لم يكن ذلك السور كافياً لمنع تعديات احدكم على الآخر . وفي القرن الثالث او الرابع اتى قوم من الغوثيين من اوربا واستوطنوا في اسكوتلاندا في الاراضي الواطئة واستعمالوا الزراعة وكانوا يعيشون منها . واما الاسكوتسيون فكانت مساكنهم في الجبال وكانت معيشتهم بواسطة القنص وهكذا اتقسم الشعب الى اهالي الجبل واهالي الوطا وكثيراً ما وقع بينهما حروب ومنازعات ولم يزلوا على هذه الحالة نوعاً الى عهد قريب

قيل انه سنة ٨٣٩ نهض كيث الثاني الذي كان من قواد اهل الجبال وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكاً على اسكوتلاندا وكان

هو اول من استولى على تلك المملكة ومن ذلك الوقت الى زمن ادورد الاول ملك انكلترا قام ملوك كثيرون ولكن ليس في تواريخهم شي مهم وقد تقدم القول في تاريخ انكلترا ان ملكها ادورد الذي اخضع ولس اثار حرباً على الاسكوتسيين وجهز جيشاً لاختضاع ما بقي من الايلات العاصية في اسكوتلاندا وكيف مات قبل اتمام قصده وذكرنا ايضاً عن كسرة ابنه ادورد الثاني في موقعة بانوكبرن على يد روبرت بروس سنة ١٣١٣ وكانت تلك الحادثة سبباً لتحرير اسكوتلاندا التي كانت ملوك انكلترا تهددها . فمن ذلك العصر الى زمن جمس الخامس ليس في تاريخ اسكوتلاندا سوى حوادث حروب اهلية ومقاتلات شديدة مع انكلترا . اما جلوس جمس المذكور على كرسي المملكة فكان سنة ١٥١٣ وله من العمر ١٣ سنة . وفي آخر ايامه مقتله الشعب ورذله حتى لم يعد احد يطيع له امرأ . فشق ذلك عليه وانتهت به الحال الى انه امان نفسه جوعاً وعطشاً وهو ابن ٣١ سنة . وكان للمذكور ابنة اسمها ماري ولدت قبل موته بايام يسيرة فتسمت بعد ابيها ملكة تحت وكالة امها التي كانت قد ارسلتها الى فرنسا للتهذيب والتعليم . فانقنت العلوم والاداب وبرعت فيها وفضلاً عن ذلك كانت على جانب عظيم من الجمال حتى قيل انها كانت اجمل نساء عصرها . ولما بلغت سن الست عشرة تزوجت بامير فرنساوي صار ملكاً على فرنسا بعد زواجها به بسنة واحدة وهو المعروف بفرنسيس الثاني ولسوء حظها لم تطل حياة زوجها اكثر من ثمانية عشر شهراً حتى توفي فالتزمت ان ترجع الى اسكوتلاندا حيث لبست تاج ابيها المحفوظ لها

ثم تزوجت برجل من اقاربها يدعى لورد هنري دارنلي فغار عليها واتمها برجل ايطالياني يسمى دافيد رينسيو كان مستخدماً عندها بوظيفة معتمد وكاتم امرار فاستدعى به ذات يوم وقتله بحضورها . واتفق

بعد ذلك بايام قليلة انه مرض مرضاً شديداً فنقلته من سرايتها الى قصر منفرد خارج المدينة كان ملبوعاً بالبارود ففي صباح ٩ شباط سنة ١٥٦٧ اشتعل ذلك القصر بالنار فالتهب البارود واقتلع ذلك البيت بمن فيه فكانت جثة الملك ممزقة ومطروحة في احد الحقول . فاستعظم الشعب ذلك الامر واتهموا به اللورد بوثويل الذي كان تزوج بماري بعد تلك الحادثة بثلاثة اشهر وانه لم يقتل الملك الا بسعيه . فقام عليه البعض وارادوا ان يقتلوه فهرب الى نورمنديا حيث مات بعد عشر سنين . ومن ذلك اليوم وقعت بغضة ماري في قلوب الناس ولاسيما لتمسكها بالذهب الكاثوليكي بينما كان الاصلاح قد امتد بين الاهالي فقاموا عليها وانتقوا على خلعها وما علمت منهم ذلك بادرت في الحال وقصدت انكثرها خوفاً على نفسها من القتل والتجأت الى الملكة اليصابات قريبتها ولسوء حظها عامتها اليصابات بشس المعاملة فانها قبضت عليها والقمتها تحت الترسيم نحو ١٩ سنة ثم قتلتها بعد ذلك

وكان لماري ولد من اللورد دارنلي خلفها على ملك اسكوتلاندا تحت اسم جيمس السادس . وبعد وفاة الملكة اليصابات صار ملكاً على انكلترا ايضاً تحت اسم جيمس الاول فكان محباً للعلوم وانتشار المعارف واقام عدة مدارس في اسكوتلاندا لم تزل آخذة في التقدم الى عهدنا هذا . واستمرت اسكوتلاندا من سنة ١٦٠٣ الى هذه الايام خاضعة لاحكام انكلترا مع انها عصت احياناً وحاربت حروباً عديدة لاسترجاع الملك الى عائلة ستوارت ولكنها لم تنجح

الباب الحادي عشر

في تليخ اخبار ايرلاندا

ان تاريخ ايرلاندا او ايرين الخضر كما تُسمى احياناً هو مملوءة من الحوادث اللذيذة ولكننا نقول بوجه الاختصار ان سكانها الاولين كانوا من الكلتيين الاشداء نظير البريتانيين الذين كانوا يقاتلون بالنبايت ويميلون الى القتال اكثر من التمتع والرفاهية . وكانوا ينقسمون الى عشائر عديدة ويدعون رؤسائهم ملوكاً وكانت ملوكهم في نفور ومشاجرات مستديمة بعضهم مع بعض . اما ديانتهم الاصلية فنظير بقية العشائر الكلتية كديانة الدرويد ولكن سنة ٥٥٠ اتاهم رسول مسيحي اسمه بتريك وكان رجلاً نقياً حكيماً فاحبوه واثقفوه واقتبلوا منه الديانة المسيحية وابتدوا يتدنون بالتدريج وعاش بتريك المذكور عمراً طويلاً ومات عندهم . وبعد مماته شرع الناس ينسبون اليه اعمالاً عجائبية الى انهم اخيراً حسبوه قديساً ويزعمون حتى الآن انه يجامى عن صالح بلادهم في السماء ويفرزون يوماً في كل سنة لاجل تقديم الصلاة والاكرام له فيذهبون الى الكنيسة ويشربون الخمر ويقتلون بعضهم مع بعض بالنبايت . ومن جملة توهماتهم الغريبة الباقية الى هذا اليوم اعتقادهم بان القديس المذكور قد اهلك وابد جميع الافاعي والدبابات الضارة التي كانت في ايرلاندا واما السبب الذي جعلهم يعتقدون بذلك فهو عدم وجود شيء من تلك الحيوانات عندهم حتى ان الفلاحين القاطنين بقرب بحيرة كلارني يعتقدون بخرافة مضحكة عن هذا القديس وهي انه في

واخر حياة بريك هذا وجدت حية عظيمة في تلك البلاد تمتعت عن
 النزاع مع باقي الدبابات المذكورة فحاولها بريك زمناً طويلاً ولم يقدر
 عليها. وكانت تلك الحية تتردد كثيراً الى شواطئ بحيرة كلارني فلما اعياه
 امرها احضر صندوقاً كبيراً من خشب السنديان ذا اقفال قوية وجاء به
 الى تلك البحيرة ولما اقترب من تلك الحية حيأها بالسلام ولاطفها بالكلام
 وقال لها قد اتيتك بهذا البيت الجميل لتسكني فيه وتعيشي باقي عمرك
 في ارغد عيش واحسن حال واما الحية فلم تسلك عليها تلك الحيلة ولكنها
 اذ لم ترد ان تهينته وتصدده نظراً لصداقته المتظاهرة اعذرت قائلة
 ان الصندوق لا يسعها فأكد لها بانه كاف لسكنها ثم خاطبها قائلاً ان
 كان عندك يا عزيزتي ادنى شبهة في كلامي فادخليه وجربي واما هي
 فلكي تشه وتظهر خضوعها له دخلت ذلك الصندوق تاركة فيراطاً او
 أكثر من ذنبها خارج الصندوق وقالت ألم اقل لك انه لا يسعني فقال
 احترصي على ذنبك يا عزيزتي ثم اطبق الغطاء عليها فاضطرت ان تجذب
 ذنبها الى داخل الصندوق فعند ذلك قفله وحمله على كتفه فصرخت
 الحية اطلقني فقال لها مهلاً اني ساطفك غداً ثم التى الصندوق في البحيرة
 ففرق وذهب القديس الى حال سبيله. ومن العجب ان الصيادين المقيمين
 بقرب تلك البحيرة ينقلون هذه الحرافة الغريبة ويعتقدونها ويؤكدون
 بانهم ما زالوا يسمعون صوت الحية الى هذه الايام وهي تقول ألم يات
 الغد بعد ألم يات الغد بعد

وكان هنري الثامن ملك انكلترا قد حارب ايرلاندا واخضعها ولم
 تنزل الى الان تحت حكم الانكايز ولكنهم لم يلتفتوا اليها كما يجب الى زمن
 جيمس الاول فانه شرع في اصلاح حاله شعبيها وارباب الشرائع والحكام
 في ايامنا هذه قد اجتهدوا ايضاً في تمدنها وتحسين حالها

الفصل العاشر

في وصف مملكة البلجيك وتاريخها

هذه المملكة يحدها شمالاً مملكة هولاندا . وشرقاً بلاد جرمانيا . وجنوباً فرنسا . وغرباً البحر الشمالي . اما ارض هذه البلاد فتنسطة وهوأو هامعتدل وفيها كثير من الاشجار المتنوعة والرياح والمزارع الخصبه وبها عدة اودية وجبال وفي ارضها كثير من معادن الرصاص والحديد وحجر الفحم والزنك . ومقالع البلاط الاسود والرخام وغير ذلك . ومن حواصلها القمح والشعير والكتان . والصناعات فيها رائجة من ذلك الاقمشة الجيدة والجوخ والصوف . وعدد اهل هذه المملكة خمسة ملايين اكثرهم لاتينيون . وبالنسبة الى مساحة البلاد لا يوجد مملكة في العالم مزدحمة بالناس مثل هذه المملكة . وحكمها من نوع الملكي المقيد . واهلها شهرة عظيمة في التجارة وصنع الاقمشة المتنوعة واستخراج السكر وعمل البيرة وهم اشدهم الباس لطفاه الطباع يميلون الى اكتساب العلوم واتقان الصنائع ويعتنون بالفلاحة والزراعة

واعظم مدن هذه المملكة مدينة بروكسيل وهي قاعدة البلاد وعدد اهلها نحو مئة الف نسمة وفيها مكتبة عظيمة تحتوي على جميع انواع العلوم والفنون تنيف عن ١٠٠ الف مجلد . وعلى اربعة فرامبخ الى الجنوب الشرقي منها قرية واترلو التي انهزم فيها نابوليون الاول وكسره المتعاهدون

بجنودهم بعد موقعة سنة ١٨١٥ كما مر

اما تاريخ هذه البلاد فلا يحتاج الى التطويل لقصر عهده وقلة اهميته لان المملكة لم تناسس وتستقل الا من سنة ١٨٣٠ فقط. وكانت قبل ذلك العهد تابعة ممالك اخرى. فان يوليوس قيصر كان قد ضمها الى احد الاقسام التي قسم فرنسا اليها عند استيلائه عليها ومكثت في ايدي الرومانيين الى سنة ٤٠٩. ولما دخلت الافرنك الى فرنسا كانت بلجيكا وقتئذ تابعة سلطنتهم التي كانت ممتدة في ايام الملك كلوفيس من حدود الرين الى اللوار. وعقب تويغ هذا الملك سنة ٥١١ نقاسمها بنوه الاربعة وتناولها خلفاؤهم الى سنة ٨٠٠ حين ضمها شارلمان وجعلها قسماً من سلطنته. وبعد انقراض سلطنته انقسمت بلاد البلجيك الى جملة امريات اخصها امرية بروابان فانها كانت اعظم الجميع ثم اخذت في النمو والامتداد يوماً بعد يوم حتى ابتلعت باقي الامريات وانحصرت البلاد فيها. وبسبب الوراثه انتقلت سنة ١٤٠٦ الى العائلة البورغونية ومنها سنة ١٤٧٧ الى عائلة اوستريا الملكية بسبب الزواج وبعد ذلك بقليل صارت من املاك سلطنة شارلكان الذي قسمها الى ١٧ ولاية متحدة تعرف بدائرة بورغونيا

وبعد شارلكان تناول البلجيك ورثته ملوك اسبانيا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٧١٤ ثم رجعت الى اوستريا واستمرت تحت احكامها الى سنة ١٧٩٢ حين دخلت اليها جيوش الجمهورية الفرنسية وامتلكتها وقسمتها الى ٩ مقاطعات وليت في يدها الى زمن سقوط نابليون الاول سنة ١٨١٥ عند ما انتقلت الدول المتحدة يومئذ على ضم بلجيكا وهولاندا معاً. فانضمتا تحت رياسة غليوم الاول ملك هولاندا وصارتا دولة واحدة معروفة بمملكة البلاد الواطية ولكن اذ لم يحصل الاتفاق في ذلك الاتحاد بين التريقين اتهم اهالي بلجيكا فرصة طرد البوربونيين من فرنسا سنة ١٨٣٠ فرفعوا راية العصيان على الحكومة الهولاندية وحاربوها وجرى

بين الطرفين عدة وقائع مهلكة افضت اخيراً الى انفصال احدهما عن
الآخرى . ومن ذلك الوقت صارت البلجيك دولة مستقلة بذاتها وكان
اولى من تولى عليها ملكاً ليوبولد الاول امير ساكس كوبرج سنة ١٨٣١
ثم خلفه ابنه ليوبولد الثاني في ١ كانون الاول سنة ١٨٦٥ وهو الملك الحالي

الفصل الحادى عشر

في وصف هولاندا المعروفة ببلاد الفلمنك وتاريخها

هذه البلاد يحدها شمالاً وغرباً بحر جرمانيا وشرقاً هانوفر وبروسيا
الرينية وجنوباً مملكة بلجيكا . ويقال لهذه المملكة ايضاً البلاد الواطية
سميت بذلك لوطوا ارضها عن مساحة البحر . ويخترقها نهر الرين في عدة
اماكن وفيها انهر عظيمة وبحاري كثيرة تسلك فيها السفن الصغيرة في
ايام الصيف ولكنها تجلد في فصل الشتاء . اما هواة هذه البلاد فردي على
الاغلب لكثرة البحيرات والانهر التي تمر فيها ولولا مجاورتها البحر ونظافة
سكانها لكان مضرراً للبدن . وفيها كثير من المروج والاوودية المستظرفة
البهجة والمراعي الخضبة للمواشي التي يتخذون من البانها السمن والجبن
والزبدة . ومن محصولاتها القمح والشعير والقوة والدخان . وفي ارضها كثير
من معادن الحديد وغيره . وفيها كراخين ومعامل كثيرة يصنع بها قماش
الكتان والصوف والحرير والجوخ والقطن والورق . وعدد اهلها بحسب

تعداد سنة ١٧٧٠ بلغ ٣ ملايين و٦١٧ ألفاً أكثرهم من البروتستانت .
 ولهذه المملكة املاك خارجية كثيرة في اسيا وجزائر البحر وافريقية
 واميركا اخصها في الهند الشرقية يبلغ عدد سكانها نحو ٢٣ مليوناً ونصفاً
 واهل هذه المملكة بوجه الاجمال من اهل السخاء والكرم واكثرهم
 مغرمون بشرب الدخان وموصوفون بالشجاعة والفتنة وعمل الخير . ولهم
 رغبة كلية في المطالعات والتعلم حتى ان اكثر شبانهم على جانب عظيم
 من التهذيب والمعرفة لاجتهادهم وكثرة مدارسهم . وحكمهم من نوع الملكي
 المقيد . ومن اعظم مدن هذه المملكة مدينة امستردام وهي مدينة ظريفة
 ذات ميناء حسن واسواق جميلة مبنية على راس خليج وعدد سكانها ٢٣
 الف نسمة وكانت قديماً من اشهر مدائن الارض في التجارة . ومدينة
 هاي وهي قاعدة البلاد ومقر كرسي الملك واهلها يبلغون نحو ٧٠ الف
 نفس

اما تاريخ هولاندا فهو سهل المناولة لعدم قدميته واهميته وكان
 الرومانيون يسمون بلاد الفلمنك بجزائر الباتافيين نسبة الى قبيلة جاءت
 قديماً اليها وسكنت فيها حتى انه في ايام يوليوس قيصر اشتهرت وصارت
 امة عظيمة . وكانت قبل دخول الناس اليها مغمورة تغطيها المياه ستة
 اشهر في السنة وفي السنة الاخرى يكثر فيها العشب والنبات فتصير
 اراضيها رطبة ومضرة الى الغاية . فعند دخول الناس اليها شرعوا في بناء
 سدود عظيمة في بعض الاماكن لوقاية ارضها من الفيضان عند عولمد
 فاخذها واولها بصطلاح بهذه الوساطة ثم قصدها بعد ذلك قبائل اخر
 كالنريزانيين والبروكتارين وانضموا الى الباتافيين اي الهولانديين
 واتخذوها لهم مسكناً . ففي القرن الثامن لما كانت امة الافرنك مستولية على
 فرنسا حارب ملكها شارل مارتل هولاندا فانصر عليها واخضعها . وفي ايام
 شارلمان صارت جزءاً من املاك سلطنته الغربية وادخل اليها الديانة

النصرانية . ولكن لضعف خلفاء شارلمان ولازدياد سطوة الاشراف حسب
 روح ذلك العصر انقسمت هولاندا الى ١٧ قسماً كل قسم منها تناوله امير
 واستقل به . فمنها كانت امرية الفلدرين وامريات برابان ولو كزمبورج
 وليمبورج واسقفيتا غرونيغين واوترخت وغيرها . واستمر حال البلاد على
 هذا المنوال الى القرن الخامس عشر حين ضمها معاً فيليب الثالث الملقب
 بالصالح احد امراء بورغونيا وتناولها بعده ابنه كارلوس الملقب بالجسور
 وفي سنة ١٤٧٨ تناولت امرية بورغونيا ماريا ابنة كارلوس الجسور
 وورثت جميع املاك ابيها . وكان لويس الحادي عشر ملك فرنسا قد صمم
 يومئذ على ان يتغلب على تلك الامرية ويضمها الى مملكته واذ كانت
 رعايا ماريا المذكورة غير منقادة اليها ورافعة راية الخروج عن طاعتها
 خافت من عواقب الامور وطلبت ان تنزوج ابن بقدر على حمايتها فتزوجت
 بكسميليان ارشيدوك اوستريا وبسبب هذا الاتحاد انتقل الى عائلة
 اوستريا الملكية جميع املاك وحقوق امراء بورغونيا ومن جراء ذلك
 وقعت بينها وبين فرنسا الخصومات والفتن التي لم تخمد ناراها الا بعد
 عدة اجيال . ولكن بعد توفي الامبراطور شارل كان انتقلت هولاندا الى
 ورثته في اسبانيا واستمرت تحت تسلطهم مدة طويلة . ولما عول فيليب
 الثاني ملك اسبانيا ان يلاشي مذهب البروتستانت الذي كان منتشراً
 وممتداً في بلاد الفلمنك ساء ذلك الاهالي وصمموا على خلع طاعة الاسبانيول
 فاتحد سبع من ولاياتها سنة ١٥٧٩ ونادوا بالشيخة وقاموا الاسبانيولين
 بسالة لامزيد عليها وحرروا انفسهم واستقلوا ببلادهم . ولما كان
 الاسبانيولون لا يفترون عن مقاومة الفلمنكيين طمعاً باخضاعهم والانتقام
 منهم كانت الحروب بين الطرفين متصلة فالتزم الهولانديون ان يستنجدوا
 بالانكليز ويطلبوا مساعدتهم في ايام الملكة اليبابات فارسلت لهموتهم
 عمارة بحرية مشحونة بالمهات والعساكر الحربية فالتقت بالعمارة الاسبانيولية

في بوغاز قادس بخارتها وانتصرت عليها واستولت على المدينة عنوة سنة ١٥٩٧ . وسنة ١٦٠٠ حاربوا النمساويين وغازوا عليهم في نيوبورت وغنموا منهم غنائم جسيمة ومع انهم كابدوا مشقات واهوالاً شديدة وفقدوا رئيسهم وليم برنس اورانج نجحوا في نوال مقاصدهم حتى التزمت اسبانيا والنمسا ان تقرّ لهم باستقلاليتهم اقراراً نهائياً في مصالحة وستفاليا سنة ١٦٤٨ . وكان يومئذ الهولانديون في رفاهية وعيش رغيد وتجارتهم في اتساع ونجاح حتى ان مدينة انتورب كانت تعد في ذلك الوقت كاعظم مدائن العالم في التجارة والشهرة ولكن بسبب الحروب المار ذكرها التزم تجار هذه المدينة ان ينقلوا الى امستردام ويجعلوها مركزاً لهم فكان ذلك سبباً لتقدمها . وكان للهولانديين عزم واقدام غريبات في جميع اعمالهم وقوة وشجاعة عظيمتان في حروبهم . فكانوا اعظم دولة اوربية في النجاح والاقبال وتقدم التجارة اذ افتقروا اثار البورتوغاليين في اسفارهم الى الصين والهند واستولوا على جملة اراضي فيها ثم تبعوهم ايضاً الى اقطار قارة اميركا وكادوا يستخلصون منهم مملكة برازيل . وكانت احوالهم الداخلية مع كل ذلك في تقدم وارتقاء وعمارتهم البحرية في ازدياد واقتدار فحسدتهم اكثر الدول وخافهم بعض الملوك وقد وقع بينهم وبين الانكليز عدة وقائع بحرية فكانوا يصادمونهم بنوع غريب حتى كان الانكليز بكل صعوبة يستظفرون عليهم في بعض الاحيان

ولما نشأت حروب الوراثة الاسبانية في اوربا وكانت فرنسا ساعية في توسيع دائرة اراضيها عقد الهولانديون مع الانكليز والاسوجيين اتحاداً على مقاومتها وهو المعروف بالاتحاد الثلاثي فالتزم لويس الرابع عشر ملك فرنسا ان يتوقف عن عزمه ويجري محاربة الصلح مع باقي الدول فتمت شروطه في اكنس لا شابل سنة ١٦٦٨ وبوجبها ترك لفرنسا جميع الاراضي التي كانت امتلاكها الى ذلك الوقت واشترط عليها ان تنازل عن كل

دعاؤها بالولايات الاسبانيولية. ولكن اذ كانت بغية الملك لويس الانتقام من هولاندا على ما بدا منها في مقاومتها له سعى في حل ذلك الاتحاد المذكور واخذ يستميل انكثرا اليه حتى استجلب خاطر ملكها كارلوس الثاني نحوه بعد ما غره بالدرهم الجزيلة فنهض لمعونه وحارب معه الفلمنكيين براً وبحراً واضروا بهم ضرراً جسيماً وربما كانوا ابادوهم لو لم ينتصر لهم امبراطور جرمانيا ومنتخب براندبورج وملك اسبانيا. ولكن اذ لم يكن شعب انكثرا راضياً باعمال الملك كارلوس باتحاده مع فرنسا على حرب الهولانديين نهض المجلس الكبير في السنة التالية وقاوم الملك على صنيعه المذموم والزعم ان ينسحب عن ساحة القتال فانسحب من يومه واعتزل وبعد ذلك انسحبت فرنسا ايضاً

وسنة ١٧٩٥ استولت على هولاندا المشيخة الفرنسية ولقبتهما بشيخة باتاف. ولما جلس نابوليون الاول امبراطوراً على كرسي مملكة فرنسا اطلق عليها لقب مملكة سنة ١٨٠٦ بعد ما اقام اخاه لويس بوناپارت ملكاً على كرسياها. وسنة ١٨١٠ انضمت الى فرنسا وصارت قسماً من املاكها فتعطل مئجرها وتوقفت حركتها فانتهزت انكثرا تلك الفرصة واستولت على املاكها الخارجية ولكن عند سقوط نابوليون سنة ١٨١٤ حصل لهولاندا الفرج من ذلك الامر ورجع اليها بونس اورانج الذي هرب منها سنة ١٨٠٥ فضم اليه بلاد البلجيك وتسمى على المملكتين ملكاً تحت لقب غليوم الاول ودُعيت البلاد من ذلك اليوم مملكة البلاد الواطية. فارجع حينئذ الانكليز للهولانديين كل املاكهم الخارجية التي كانوا استولوا عليها ما عدا راس الرجاء الصالح وسيلان وغيانا.

وسنة ١٨٣١ احدثت ثورة عظيمة في بلاد البلجيك لم تستطع حكومة هولاندا على اخماد نارها فالتزموا ان يعزلوا عن البلجيكين وجعلوا بينهم حداً فاصلاً بمعاهدة جرت سنة ١٨٣٣. وسنة ١٨٤٩ تبوأ سرير مملكة

هولاندا الملك غليوم الثالث وبعد وفاته خلفته ابنته ولهمينا هيلانة باولينا ماريا وولدت في ٣١ آب سنة ١٨٨٠ ونودي بها ملكة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ وهي الملكة الحالية. ونظراً لصغر سنها اقاموا والدتها الملكة وصية في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ ولم تزل هذه المملكة حتى الآن تدعى مملكة (نذرلاند) اي البلاد الواطية

الفصل الثاني عشر

في الممالك الجرمانية او السلطنة الالمانية

الباب الاول

في وصف هذه البلاد واقسامها

ان بلاد جرمانيا وتعرف ايضاً بالمانيا يحدها شمالاً البحر الجرمانى وتقوم دنيارك وبحر البلتيك وشرقاً بروسيا واوسترى وجنوباً اوسترى وسويسرا وغرباً فرنسا وبلجيكا وهولاندا واهلها يبالغون نحو ٤١ مليوناً ونيف بما فيه بروسيا ولحققتها الجديدة. واذ كانت جرمانيا تتضمن ممالك وامريات عديدة وليس لنا محل هنا ان نصف كلاً منها على حدها ونحدد وضعها ونذكر حالة شعوبها وواصفهم اقتصرنا على وضع الجدول الآتي ليتبين منه اسماء وعدد الممالك والدول التي تتكون منها السلطنة الجرمانية وآية منها مملكة وآية امرية وعدد شعوب كل منها لتكون الفائدة تامة

جدول الدول الجرمانية وعدد شعوبها

اسماء	عدد
١ مملكة بروسيا وملحقاتها	٢٤,٧٠٠,٠٠٠
٢ بافاريا	٤,٨٦٥,٠٠٠
٣ ساكس	٢,٥٦٠,٠٠٠
٤ وورتمبرج	١,٨٢٠,٠٠٠
٥ كراوندوقات بادن	١,٤٦٥,٠٠٠
٦ هس	٨٥٥,٠٠٠
٧ مكلنبورغ سويرين	٨٦٠,٠٠٠
٨ ساكس وايمر	٢٧٠,٠٠٠
٩ مكلنبورغ استر بيلتس	١٠٠,٠٠٠
١٠ اولدينبورغ	٣١٧,٠٠٠
١١ دوكلات برونزويك	٣١٢,٠٠٠
١٢ ساكس ميننجن	١٨٨,٠٠٠
١٣ ساكس الثنبورغ	١٤٣,٠٠٠
١٤ ساكس كوبورغ غوطا	١٧٥,٠٠٠
١٥ دانهاالت	٢٠٥,٠٠٠
١٦ امرية شوارسبورغ رودولستاد	٧٦,٠٠٠
١٧ شوارسبورغ سوندرسهاوزن	٦٨,٠٠٠
١٨ والدبك	٥٦٧,٠٠٠
١٩ روس (في سلالة الابكار)	٤٦,٠٠٠

٢٠	امرية روس	٩٠,٠٠٠
٢١	شوامبورغ ليب	٣٢,٠٠٠
٢٢	ليب ديتمولد	١١٢,٠٠٠
٢٣	مدائن حرة لويك	٥٣,٠٠٠
٢٤	بريم	١٢٣,٠٠٠
٢٥	همبورغ	٣٤٠,٠٠٠
٢٦	مكتسبات جرمانيا من فرنسا الازناس والورين	١,٥٥٠,٠٠٠

ومن اعظم مدائن الممالك الجرمانية همبورج وهي مدينة شهيرة لتجارتها.
ثم مونيخ فصبه مملكة بافاريا. ودرسدن عاصمة ساكسونيا وهي من اطرف
مدن اوربا. وليسيك وكارلسروخ عاصمة امرية بادن حيث يجتمع بها
كثير من عظماء واغنياء العالم في كل سنة للتنزه في زمن الصيف
ويصرفون اكثر اوقاتهم في الملاهي ولعب القمار وبهذه الوسطة يتبعهم
جمهور غفير من الناس المتوسطي الحال من ذوي المطاعم في المكاسب
السريعة فكثير منهم يفقدون اموالهم وبعضهم الحياة بسبب خسائرهم
الباهظة. وما عدا مدائن جرمانيا الفخر بفة فيها انهر عديدة اكثر من
خمسين اكثرها عظيمة وكبيرة بحيث تجري فيها السفن واشهرها الدانوب
والرين والالب والاور والمين

واكثر اهالي جرمانيا على مذهب البروتستانت والحرية مطلقة لجميع
المذاهب. وهم موصوفون بالحزم والثبات في الاعمال والحرص والامانة. وهم
الذين اخترعوا البارود وعمل النظارات وصناعة الطبع التي هي افضلها
اخترعها غوتنبرج الشهير في اواسط القرن الخامس عشر بمساعدة رقيقه
بطرس شافر ويوحنا فاوست. ولهم اليد الطولى في اصطناع الآلات
الموسيقية والالعب المتنوعة للاولاد. وعلاؤهم مشهورون بالغبرة في
تأليف الكتب والتدقيق في اللغات الاجنبية. ولهم انصباب غريب على



يوسف هو تفریح و غار است محضرتا من الملبأمة

۱۲۳۴ و ۱۲۳۵ فی ۱۲۳۶
 ۱۲۳۷ و ۱۲۳۸ و ۱۲۳۹
 ۱۲۴۰ و ۱۲۴۱ و ۱۲۴۲

المباحث في العلوم والفنون والتدقيق في الامور البعيدة فلا يكفون عن الاجتهاد في تحصيل المعارف وايجاد الفوائد للبشر. وبينهم انتشر الاصلاح الديني في القرن السادس عشر. وقد تقدم الجرمانيون تقدماً عظيماً في معرفة فنون الحرب فيعدون الان من اعظم الدول واشدها قوة في اوربا وما ساعدتهم في تقدمهم انما هو انفسهم بعضهم لبعض واقبيادهم لروسائهم وانقسمت بلاد جرمانيا قديماً الى ٣٩ قسماً وكل قسم منها له حاكم مخصوص. اما من رتبة الامراء او من رتبة القواد المشهورين ثم جرت العادة بين اهالي تلك الولايات من بداءة سنة ٩١٢ ان ينتخبوا ملكاً من اولئك الامراء ويسمونه امبراطوراً على كل اعمال جرمانيا فيكون مطلق التصرف ورئيساً على الجميع وبعد موته ينتخبون آخر واستمر الحال كذلك الى سنة ١٤٣٨ حين اتسخت هذه العادة وصار تاج المملكة وراثته في عائلة هابسبورج الى سنة ١٨٠٦ عند ما انحلت السلطنة الجرمانية واتحدت ممالكها الغربية وانشئت المعاهدة المعروفة بمعاهدة الرين تحت حماية نابوليون الاول. ولكن بعد سقوط المذكور سنة ١٨١٥ تبدلت تلك المعاهدة باخرى جديدة بين اربع وثلاثين دولة وتلقبت بالمعاهدة الجرمانية تحت رياسة امبراطور النمسا. اما الخمس ممالك الاخر تسمى التسع والثلاثين فالتحقت بمالك اخرى اما بالارث او باقتراض سلالة الملك. وكانت كل مملكة من الاربع والثلاثين المذكورة مستقلة في داخليتها الا انها خاضعة الى مجلس عام منظم من وكلاء كثيرين يرسلون من طرف المقاطعات المختلفة الى مدينة فرانكفورت لاجل المحاماة عن حقوق الممالك الداخلية وتحسين حالة الامة وسن التراتيب والقوانين العمومية. وبسبب ذلك الاتحاد والارتباط كانت الممالك الجرمانية ملتزمة ان تساعد بعضها البعض وقت الحاجة حتى ان جميع رجالها كانت تساق الى الحرب عند الطلب بدون استثناء وليس ذلك الا احتياطاً من مهاجمات الاعداء على بلادها

وحذراً من سطوة فرنسا التي كانت قد أضرت بها ضرراً عظيماً في أيام نابوليون الاول . فدام هذا الترتيب الى سنة ١٨٦٦ حين اضطرت نيران الحرب بين بروسيا والنمسا وانتصرت فيها الاولى بعد حرب وجيزة فانفصلت دولة النمسا من المعاهدة الجرمانية واسست دولة بروسيا معاهدة تعرف بمعاهدة المانيا الشمالية فتحالف معها احدى وعشرون دولة من الدول الجرمانية واما البقية فعقدت منها معاهدة تحت رئاسة دولة بافاريا تعرف بالمعاهدة الجنوبية وستضمها بروسيا الى املاكها واثنان بقية تحت تسلط ملك هولاندا وهما دوقيات لوكزيمبورج ولينبورج

الباب الثاني عشر

في اخبار الجرمانين القدماء وما حدث في ايام سلاطينهم من سنة ٩١٢ مسيحية الى ظهور مرتينوس لوثيروس

ان قبائل جرمانيا الاولى كان يقال لها برايرة منها قبيلة الغوثيين والفيز يغوثيين والفندين والسويقيين والكهبريين والنوطونيين والهروليين والالمانيين وغير ذلك من القبائل والطوائف التي جاءت من اسيا وسكنت تلك البلاد . وكانوا على جانب عظيم من النوحس والتمرد بلبسون جلود الوحوش الصارية ويشنون الغارات في كل جهات اور باحتي انهم استولوا على عدة مدائن واستخلصوا جملة ممالك واضروا باكثر السلطنات العظيمة واقلقوا الارض بمجربهم ووقائعهم المتصلة حتى ان السلطنة الرومانية مع كل سطوتها وقوة بطشها وشوكتها كانت تمهائم وتحسب حسابهم وما زالوا كذلك الى زمن القيصر فخارهم واخضعهم بعد حرب

شديدة ووقائع عديدة

فبواسطة دخول الرومانيين الى جرمانيا تحسنت احوال هؤلاء البرابرة فانهم اقتبسوا عنهم جملة صنائع وعوائد مفيدة جعلتهم متمدين نوعاً سواة كان في معيشتهم ورفاهيتهم ام في امورهم وسياستهم الحربية واصطناع اسلحتهم وازدادوا يوماً في التقدم والنجاح بينما كان الرومانيون يضعفون ويسقطون ولم يمض عليهم اربع مئة سنة حتى اغتلم الجرمانيون تلك الفرصة فاستعدوا ونهضوا لافتح البلاد التي كانت خاضعة لرومية فدخلوا اسبانيا واطاليا وبلاد اليونان وغيرها من الممالك واستوطنوا بين تلك المدائن الزاهرة الغنية حيث جمعت رومية غناها ومجدها . واما ما بقي من اولئك البرابرة في بلاد جرمانيا الذين لم يخرجوا مع القوم للغزو فاخذوا يتقدمون وينفون حتى انهم في ايام شارلمان ملك فرنسا الشهير صاروا امة عظيمة ذات شوكة وباس . ولصكن مع كل ذلك استظهر عليهم هذا الملك فاخضعهم في القرن الثامن واستولى على بلادهم وتسمى سلطاناً عليها واقام فيها واصلح شانها وتناولها خلفاؤه من بعده وبقيت مقعدة بالسلطنة الغريبة الجديدة التي اسسها شارلمان المذكور الى سنة ٨٨٧ نهاية امبراطورية كارلوس السمين . فمن ذلك الوقت اخذ بنيان الامبراطورية في الارتجاج واعقب ذلك سقوطها التام فاضمحلت وتلاشت كأنها اضعفت احلام وانفصل تاج المانيا عن تاج فرنسا وصارتا دولتين متمازتين عدوتين لبعضهما الى هذا اليوم . وبعد ذلك بقليل اتحد بعض ممالك جرمانيا وابطلوا حقوق الوراثة الملكية واستقر الراي على اقامة للملوك بالانتخاب ولم يكن الاتحاد الالماني في اول الامر عاماً بين كل ممالك جرمانيا بل كان منحصراً بين خمس ممالك فقط وهي فرانكونيا وساكسونيا وسوابيا وبافاريا ولورين . وكان القصد في ذلك الانضمام ان يكونوا يوماً واحدة للمحاربة والمدافعة عن بلادهم من غزو الهونيين الذين كانوا منتشرين في كل

جيات بانونيا التي لُقبت بهونكاريا نسبةً لم وهي بلاد المجر. فتحالف شعب هذه الممالك وامراؤها واقاموا عليهم ملكاً يدعى كونزاد امير فرانكونيا وذلك سنة ٩١٢ وهو الاول من ملوك جرمانيا فاستبد بالسلطنة العامة الى سنة ٩٢٠ واذا رأى نفسه متعباً من مهام السياسة والحروب تنازل عن تاج الملك الى خصمه هنري الاول امير ساكسونيا الذي به ابتدأت عائلة ملكية جديدة فاظهر مزيد الشجاعة والبسالة في محاربة المجر اذ كسر شوكتهم ودفع ضررهم عن بلاده

وكانت جرمانيا وقتئذٍ بعد سقوط سلطنة شارلمان رئيسة السياسة في اوربا ولها التقدم العام على باقي الممالك في امم الامور والاعمال ولا سيما في ايام اوثون الكبير الذي خلف اياه هنري الاول سنة ٩٣٦ فانه كان ملكاً مهيباً ذا سطوة وشوكة فاوجد للسلطنة رونقاً جديداً وبهجةً غريبة فعظم بأسها وخيف بطشها في اوربا. ولكن لم تكن الراحة تامة داخل البلاد لانه اذ كان الاشراف يشتغلون في توطيد شوكتهم التي اكتسبوها في ما مضى كان الامبراطور اوثون وخلفاؤه بعده يسعون في كسر تلك الشوكة فنشأ عن ذلك منازعات اهلية اوجبت اشهار السلاح بين الامبراطور وبعض الاشراف المذكورين

وكان السبب في اكتساب اشراف المانيا الشوكة والاستقلال هو انه بعد موت الامبراطور كارلومان (احد خلفاء شارلمان في السلطنة الغربية) حصل لبعض خلفائه عجز وعسر عظيمان. فانتهز تلك الفرصة الاشراف ومن هو اقل منهم ايضاً وادعوا لانفسهم حقوقاً وامتيازات جديدة فحصلوا عليها لعدم وجود من يقاومهم. وكان ايضاً البعض الآخر من اولئك السلاطين مشغولين بحروب دائمة من داخل فاضطروا ان يطلبوا مساعدة الاكابر واحزابهم فلذلك كانوا يراعون خاطرهم ويتغافلون عن تعدياتهم الكثيرة ويمنحونهم حقوقاً فوق العادة. فبهذه الوساطة صار

للاشراف مقام كبير وشوكة عظيمة وبالتدريج صارت الالتزامات وراثية في العائلة يطلبها ويتناولها الوارثون كحقوق شرعية . وفضلاً عن ذلك كان هؤلاء الاشراف يرتبون في اراضيهم قوانين واحكاماً خصوصية مخالفة لنظام المملكة حسب استحسانهم . وكان السلاطين يرون ذلك ويفضون النظر عنه لاحتياجهم اليهم . ولكي يطمئن اوثون من ثورات اولئك الاشراف وهياجهم ارتأى ان يقيم في البلاد حزباً آخر يوازي ويعادل حزب الاشراف ليقمع به شوكتهم عند اللزوم فاخذ ينشط حزب الاكليروس ومنحهم حقوق الامراء المدنيين وامتيازاتهم وغمرهم بالانعامات وساوام بالصف الآخر فكان ذلك من بشس السياسات لانه ولئن اتى هذا التدبير موقفاً ببعض الفوائد ووقف سير شوكة الاشراف ولكنه عاد اخيراً بنتائج ردية لانه لما تقوى حزب الاكليروس واغتنى رجاله وجد ملوك المانيا فيهم عداوة مريرة ومقاومة شديدة لمقاصدهم فعوض العدو الواحد صار لهم اثنان وكان الاخير اشد ضرراً من الاول

وقد قهر اوثون مملكة بوهيميا واطافها الى احكام جرمانيا وضرب عليها المال . ثم حارب المجر في اوكسبرج وانتصر عليهم وحارب الدينبارك وفرنسا وقهرها وبالجملة كان رجلاً مسعوداً ومنصوراً في جميع حروبه ومعازيه . وقد تزوج بعدلايد ارملة لوثير لومبارديا واذا صار له بسبب هذا الزواج حق المداخلة في امور ايطاليا فدعاها البابا يوحنا الثاني عشر ليخلصه من جور بيرنجر ملك ايطاليا فذهب اوثون اليه وخلعه عن كرسي المملكة وضم ايطاليا الى امبراطورية المانيا بعد ان تتوج ملكاً عليها سنة ٩٦٢ . فلما رأى اوثون ما هو فيه من النجاح والظفر عميت بصائرُه واغترَّ بفتوحاته ولقب نفسه اوغسطس قيصر زاعماً انه خليفة امبراطرة الرومانيين القدماء وانه ورثهم في حقوقهم وسلطنتهم فلم يسر البابا يوحنا الثاني عشر من انتصار اوثون الغريب ومن دعواه بالامبراطورية الرومانية

وخاف ان يفقد رياسته الزمئية فجاهر ضده وجره الآخريين ايضاً فانقض اوثون عليه وخلعه عن كرسيه ونصب مكانه ليو الثامن وصمم من ذلك الوقت ان يجعل السلطة المدنية تسود على السلطة الكنائسية وان تسمية الباباوات وتقويض الاساقفة ينحصران فيه وفي خلفائه من بعده . ولكن بعد رجوع اوثون الى بلاده وتوفي البابا ليوانكر اهل رومية على اوثون حق تسمية الخليفة الجديد فالتزم ان يحاربهم فوافعهم بالجنود والرجال واخضعهم واقام من اراد ثم مات هذا الملك الشهير سنة ٩٧٣ مكللاً بالمجد والظفر

وخلف اوثون الكبير ابنه اوثون الثاني الذي كان قد تسمى خليفة في حياة ابيه وكان قد قام له خصم من اقاربه وهو امير مملكة بافاريا فظهر له العداوة والعصاة طمعاً بالملك ولكنه لم يقدر عليه . واذا كان قد صمم لوثير ملك فرنسا على امتلاك مقاطعة اللورين ارسل جيشاً واستولى على ميتس وغيرها من الولايات التابعة لاحكام جرمانيا فزحف اليه اوثون وحاربه ودخل بجنده الى وسط مدينة باريس قوة وجبراً والزم فرنسا على التباعد والسكوت عن تلك الدعوى ثم زحف من هناك الى ايطاليا واخضع بعض البلاد التي اظهرت العصاة . وكان يومئذ شعب عظيم بين اهالي رومية بسبب انتخاب باباوات في وقت واحد وكان كل واحد منهم يحرم ويعلن الآخر فاعاد اوثون بنديكتوس السابع الى كرسي الخبرية و بعد ذلك بمدة يسيرة توفي في رومية وعمره ٢٨ سنة وخلفه ابنه اوثون الثالث سنة ٩٨٣ فكانت بداية ايام متعبة

بسبب ترمد الايطاليين لانه كان قد ظهر يومئذ في رومية رجل يقال له كريسنتيوس لقب نفسه قنصلاً وشرع بارجاع المشيخة الى رومية بعدما خلع البابا غريغور يوس عن كرسيه فواقفه عامة الشعب على هذا المشروع ولكنه لم يتمكن من اتمام مقاصده اذ لم يجد بين الشعب الروماني محبة

الحرية . فوفاهُ أوثون الثالث وحاربه في مدينة ميلان وقبض عليه وقتله بعد ما استولى على المدينة ثم اعاد البابا غريغوريوس الى كرسيه . وقد استظهر هذا الامبراطور على الدينبارك وعقد معاهدة مع ملكها ايريك الذي كان ملكاً ايضاً على اسوج ونروج ومن جملة الشروط المدرجة فيها ان يسمح الملك ايريك للمسلمين المسيحيين بالدخول الى بلاده وتكون لهم الحرية في تعليم الشعب فاتى ذلك بفوائد جليلة . ومن جملة اعماله ايضاً انه طرد المسلمين من جنوبي ايطاليا حيث كان صار لهم ٤٠ سنة بغزون البلاد

وبعد موت أوثون الثالث وقع الانتخاب على هنري الثاني حفيد أوثون الثاني فاقاموه امبراطوراً عليهم وكان المذكور على جانب عظيم من التواضع والزهد حتى قيل انه نزع تاج السلطنة عن راسه وذهب الى بعض الاديرة قاصداً ان يصرف باقي عمره في العيشة المنفردة . فقال له رئيس الدير ذات يوم وكان قد قبله كاحد الرهبان اعلم ايها الاخ انه من شروط الرهبنة الطاعة والخضوع لاوامر الرئيس فبحسب كوني رئيسك آمرُك الآن ان ترجع الى كرسيك فان ذلك افضل جداً من انسحابك فاجاب هنري سؤاله ورجع الى سريره ملكه واستمر امبراطوراً الى ان توفي سنة ١٠٢٤ . فاجتمع امراء جرمانيا للمفاوضة والمذاكرة في انتخاب خليفة له وبعد مرور ستة اسابيع اتفق رايهم على كونراد الثاني امير مقاطعة فرانكونيا فبايعوه الملك والبسوه التاج وفي مدة حكمه اُخضعت يرغونيا بالسلطنة الجرمانية . وبعد موته خلفه هنري الثالث فكانت ايامه في بداية الامر مشتبكة بمحروب متصلة مع المجر واهالي بوهيميا وبولونيا فانتصر في جميع وقائعهم . وكانت سطوته مطلقة أكثر من جميع سلفائه من سلاطين جرمانيا فتذمر اشرف الشعب من صنيعه وحقدوا عليه ولكنهم لم يستطيعوا التظاهر بالعداوة الى ايام ابنه هنري الرابع الذي تبوأ سريه

السلطنة سنة ١٠٥٦

واشتهر حكم هنري الرابع بالحروب والفتن التي وقعت بينه وبين بابا
 رومية بسبب حق تسمية وتقليد الاكليروس وظائفهم . وقد ذكرنا فيما تقدم
 ان اوثون الكبير ومن خلفه قد جعلوا هذا الامر تحت سلطة كرسي
 السلطنة ولكن في ايام هنري الثالث انكر عليهم هذا الحق البابا اسكندر
 الثاني واصدر منشوراً يصرح به انه بما ان السلطة الروحية هي اعظم من
 السلطة العالمية فلا يليق للاكليروس ان ياخذوا تسميتهم وحق التصرف
 بوظيفتهم من رؤساء عالميين بل انهم ينالون ذلك راساً من الله وبناءً
 عليه ينبغي ان الامبراطور يخضع للسلطة الكنائسية ولا يكون له حق ان
 يتصرف بملكه الا برخصة من البابا . ففي ايام هنري الرابع الذي نحن
 بصدده ارسل اليه البابا غريغوريوس السابع رسولاً يمنع عن التثبيت
 في دعواه بحق السيامات الاكليريكية ويطلب اليه ان يجنب التعدي
 على ما هو من وظائف الباباوات فلم يقبل هنري ترك هذه الحقوق لانها
 كانت ثابتة لاسلافه فرفض مداخلة البابا في ذلك واحتقر رسوله وردده
 خائباً . فغضب غريغوريوس من معاندة هنري واذ كان يعلم ما في قلوب
 اشرف الجرمانيين من البغضة والعداوة المتسلسلة من ايام هنري الثالث
 وما قبل اشهر حرماً ضد هذا السلطان مانعاً اياه عن التصرف بحكمه
 ومحرضاً الشعب للخروج عن طاعته فنشأ عن ذلك منازعات شديدة افضت
 لاخذ الاسلحة وسفك الدماء زمناً طويلاً . وتعرف تلك الحروب بحروب
 السيامات الاكليريكية . وكان من جملة من خرج عن طاعة هنري الرابع
 امراء المانيا واعيانها واكابر قسوسها فاخذوا في قتاله وحرصوا عليه امه
 وزوجته واولاده حتى ابغضوه وتبرأوا منه وانضموا الى حزب اعدائه .
 فاصح هذا الامبراطور محاطاً بالاخطار من جميع قومه ومتروكاً من اهله
 ولم يجد سبيلاً للتخلص من تلك الورطة الا بواسطة تهديد غضب الخبر

الروماني فذهب اليه سنة ١٠٧٦ الى ايطاليا ليطلب العفو والسماح على ما صدر منه فلم يقبله البابا في اول الامر بل ابقاه ثلاثة ايام داخل الدار الخارجية ملفوفاً بعباءة وحافي الرجلين في شهر كانون الثاني ثم بعد ذلك اذن له بالدخول عليه . وبعد ما اخذ عليه عهد الطاعة واشترط عليه شروطاً فاضحة حله من الحرم واطلقه . ولكن بعد ذلك بستين نهض هنري للانتقام من البابا وكان قد تحزب معه جمهور من اللومبارديين وبينما كان مشتغلاً في محاربه عصته رعاياه فخرمه البابا ثانية ونادى بتنزيله بعد ان عين مكانه رودولف امير الصوابيين فلم يثن عزم هنري عن الاستمرار في سبيل نعيم مقاصده فاخذ عاجلاً في تقوية قوته الحربية وكان قد استمال اليه بعض الاساقفة الذين لم يسروا من صنيع غريغوريوس فانزل البابا عن كرسي الحبرية بالقوة الجبرية واقام مكانه اكليمنضوس الثالث . ثم ان هنري بعد ما اخمد الفتنة الداخلية في جرمانيا وقتل رودولف اتنى على ايطاليا واقام الحصار على رومية حتى افتتحها بعد سنتين متواليتين اما غريغوريوس فهرب والتجأ الى روبرتوس ملك نورمنديا ومات هناك . وبعد رجوع الامبراطور الى جرمانيا نهض جماعة من اهل رومية ممن كانوا يعادون هنري المذكور فانزلوا البابا اكليمنضوس الذي كان قد اقامه واقاموا مكانه البابا فيكتور الا انه لم تطل ايامه حتى توفي وبموته فتح الباب لدخول اوربانوس الثاني

اما هنري فكانت مصائبه الاخيرة شراً من الاولى لان البابا اوربانوس هيج عليه الحروب من كل جهة وجعل ابنة كوزاد يقوم عليه ويعصيه ويتخذ مع باقي اعدائه فاستخلص اكثر ولايات ايطاليا بمساعدة البابا المذكور واقام عليها ملكاً ولكن لم يصف الزمان للبابا اوربانوس ولا لكوزاد لان الموت فاجأها في وقت قريب . تخلف اوربانوس البابا باسكال الثاني وقد حدا حدو سائقه فانه عند جلوسه على كرسي الحبرية شهر

حرماً ضد هنري الرابع واغرى هنري ابنه الاصغر ان يعصى اياه ويجلس
مكانه كما اغرى اوربانوس كوزراد قبله فنجح الابن بهذا المشروع وخلع
والده عن سرير السلطنة واذله وجلس مكانه تحت اسم هنري الخامس
فهرب هنري الرابع الى بلاد البلجيك وهناك صرف باقي عمره باحتياج
شديد

وقد نشأ عن المشاجرة التي حصلت بين هنري المذكور وبين البابا
غريغور يوس عداوة مرّة وحروب كثيرة بين حزبين عظيمين احدهما
يقال له حزب الغوالم والآخر حزب الجيبلين . تمكثت نيران تلك الحروب
مضطربة بين المانيا وايطاليا ثلاثة قرون من غير تخود فكان حزب
الغوالم يعضد الباباوات ومدعياتهم وحزب الجيبلين يحامي عن شوكة
الامبراطورية ولا محل هنا لذكر الوقائع والحسائر التي حدثت بسبب تلك
الحروب

اما هنري الخامس فلم يستقرّ زماناً طويلاً مكان ابيه حتى اخذ
يسلك سلوكه في مقاومة الكنيسة وروسائها وذلك لان البابا باسكال
كان لا يزال مصراً على رفض حقوق السلاطين والملوك في المداخلة
بمسئلة السيامات الاكيريكية . فاستمر هنري الخامس في تلك المنازعات
عدة سنوات يغزو ايطاليا ويضرب بها حتى اضعف شوكة البابا بتكرار
مغازبه وحروبه واخيراً امره والزمه قهراً ان يقر له بتلك الحقوق
ويخضع لسلطانه غير ان البابا بعد تخلصه من قبضة الاسرا قام الحجّة على
تلك المعاملة الاغتصابية التي اجراها معه الامبراطور هنري وحرّمه فاستشاط
هنري غيظاً وقصد مدينة رومية بالعساكر والابطال فاضربها وباملاكها
ضرباً جسيماً وطرد البابا منها واقام حبراً آخر مكانه وكسر شوكة المعاندين
واستمرت تلك المنازعات مدة ليست يسيرة حتى قام البابا كاليكتوس الثاني
واصلح الامور بواسطة مجمع عقده في مدينة ورمس حيث تنازل الامبراطور

هنري الخامس لكرسي رومية في حق التصرف الديني للاكايوس . وكان هذا الامبراطور قد اقام حروباً كثيرة مع المجر واهل بولونيا وفرنسا وغيرها فعدت مدة احكامه من جملة الاحكام الدموية التي جرت في ممالك اوربا ثم توفي سنة ١١٢٥ ولم يترك نسلًا

وجلس بعده على سرير السلطنة لوثير امير سويلتبرج سنة ١١٢٥ بانتخاب الشعب فخارب البوهيميين واخضعهم ثم انتصر للبابا اينوسنت الثاني ضد انا كليتوس الذي ادعى البابوية وزحف على ايطاليا لاجل توطيد سلطة البابا في رومية . وكان روجير امير مملكة ابوليا متعصباً لانا كليتوس فوقعت بينهما حرب بهذا السبب الحيات روجير ان يترك املاكه في ايطاليا ويقصد سيسيليا التي كان قد تملكها مؤخراً من المسلمين واما انا كليتوس فكان قد قبض عليه وسجن

وتبوأ تحت السلطنة بعد لوثير المذكور كونراد الثالث سنة ١١٤١ وفي ايامه وقعت حروب اهلية كان سببها امير ولاية بافاريا الذي انكر على كونراد حق السلطنة فهضا لمحاربة بعضهما بعضاً واستمرت بينهما الحروب زمناً طويلاً . وبعد نهايتها اشترك كونراد في الحروب الصليبية فسار بجيش عديد الى بيت المقدس ولكنه رجع بالخبية كما مر ذلك في تاريخ الصليبيين . ثم تولى بعده زمام السلطنة فردريك بارباروسا سنة ١١٥٢ بانتخاب الشعب وكان شجاعاً مقداماً وبطلاً هاماً حارب البولونيين واخضعهم ووقع الرعب في قلوب البوهيميين الذين كانوا لا يفترون عن التظاهر بالعصاة والتمرد . ثم حارب ملك الدنيارك واذله . وكان وقتئذ اللومبارديون يصبون لاستنشاق نسيم الحرية والتخلص من جور جرمانيا فشحجهم على ذلك البابا اسكندر الثالث فخلعوا الطاعة ورفعوا راية العصيان على السلطنة فخار بهم فريدريك ولم يفر منهم بطائل . ثم زحف الى ايطاليا بجيش جرار لاختذ النار والانتقام من اهله

لانهم كانوا سبباً لهذه الحروب فحاصر بعض مدن تلك البلاد وهدمها ولا
 سيما ميلان فانه على ما قيل محاربا بالكلية وزرعها ملجأ
 ثم خلفه ابنه هنري السادس سنة ١١٩٠ وكان كابييه موصوفاً
 بالشجاعة وقوة الباس فادعى بتاج ملك صقلية بعد موت ولیم ملكها لان
 زوجته كانت اخت الامبراطور المذكور فانصرت عليه بممالك ايطاليا
 هذا الحق واذا اعترضوه في هذا الامر جرء عسكرياً وزحف به على
 ايطاليا واستولى تقريباً على كل كامبانيا وكالابريا وابوليا ثم افتتح في بحر يدة
 اخرى مملكتي صقلية وناپولي ونال ما كان يؤمله . وكانت مقاصد هذا
 الملك متهمة الى ابطال عادة انتخاب السلاطين وان يجعلها وراثية في
 عائلته فتمحوا له بعد مشاجرات طويلة بتسمية ابنه فريديريك الثاني
 امبراطوراً من بعده . وكان فريديريك المذكور صغير السن عند موت ابيه
 فاقيم عمه فيليب وصياً عليه الى ان بلغ العمر اللائق فاستلم زمام السلطنة
 وكانت وقتئذ الحروب الصليبية منتشرة في بلاد الشرق . واذ رغب البابا
 في ان يستميل هذا الامبراطور لمعاودة الصليبيين ازوجه ابنة يوحنا
 بريان ملك القدس بعد ان وهبها ابوها تلك المملكة في مقابلة جهازها
 وكان البابا يلح عليه للقيام الى تلك الجهات فوعد فريديريك بالذهاب
 ولم يذهب . ولما طال الوقت وانقطع الامل لم يعد الخبر الروماني يجد
 سبيلاً سوى شهر الحرب على فريديريك الامر الذي دعا هذا الامبراطور
 الى شهر الحرب على ايطاليا . فزحف اليها وضيق عليها فالتزم البابا ان
 يهرب من رومية ووضع فريديريك يده على كل املاك الكرمي الروماني .
 ثم وفي بعد ذلك نذره وذهب الى الاراضي المقدسة فنجح في سفرته
 اكثر من سلفائه اذ عقد صلحاً بدون حرب على عشر سنوات مع الملك
 الكامل الايوبي تحت شروط معلومة منها استرجاع مدينة القدس مع بعض
 البلاد المجاورة . ولما صمم فريديريك ان يتوج نفسه ملكاً على مدينة

القدس اعترضه البابا غريغوريوس التاسع في ذلك ومنع الاكليروس عن تنويجه فالتزم فريدريك ان يتناول التاج عن المذبح ويتوج نفسه بيده .
فقرمه البابا ثانية وبهذا السبب انتشبت الحروب مرة اخرى بينه وبين ايطاليا واشتدت بهذا المقدار حتى جرت فيها الدماء كسواقي الماء . وبينما كانت جرمانيا في تلك الايام مضطربة الاحوال وعديمة الانتظام من جري الحروب والوقائع نهضت بعض الممالك المتحالفة مع السلطنة الجرمانية وهي دنمارك وهولاندا وهنكاريا وخلعت الطاعة واستقلت

وسنة ١١٤١ جرى الاتحاد المعروف بالاتحاد الانسياتيكي بين اكثر مدائن جرمانيا الجنوبية مثل هامبورج ولويك وبرونزيك وغيرها قصداً لحفظ حريتهم وردع سطوة امراء الولايات واهل الطمع عن اذيتهم . وقد تسمت تلك المدن بمدائن الهالس التي معناها باللغة الجرمانية المدائن المشتركة واتي هذا الاتحاد بنتائج مفيدة للتجارة بهذا المقدار حتى انه دخل تحت لوائه ثمانون مدينة من اعظم المدائن الكائنة على بحر البتيك ونهر الرين واقطف اهاليها ثمار المكاسب والسلم والقوة الناتجين ضرورة من التوافق والتعاقد . وكانت المعاهدة الانسياتيكية مكرمة ومهابة عند الجميع حتى ان اعظم الملوك كانوا يودون مصاحبتها ويخشون بأسها ويحافظون على علاقاتهم الحبية معها . ولكن عند اكتشاف اميركا وافتتاح باب جديد للتجارة اخذت صوالح المدن الانسياتيكية ترجع الى الوراء فانحل عقد ذلك الاتحاد سنة ١٦٣٠ ولم يبق مشتركاً فيه سوى ثلاث مدن فقط وهي هامبورج وبريم ولويك وانضمت هذه ايضا الى بروسيا سنة ١٨٦٧ ولم يبق للحكومة الانسياتيكية اسم الا الآن

ثم بعد موت فريدريك الثاني حدث اضطراب عظيم بسبب انتخاب خليفة له فسمى جملة اشخاص ولكنه لم يقع اتفاق عام على احد منهم حتى قام اخيراً رودولف هابسبورج احد الامراء المشاهير من عائلة

العوائل القديمة وكان ذا ثروة واملاك كثيرة في بلاد السويس فبايعوه السلطنة سنة ١٢٧٣ ومنه نبقت ملوك النمسا وكثير من ملوك جرمانيا ضربنا صفحا عن ذكرهم لعدم اهمية اخبارهم في مختصر كهذا الى حين ظهور الامبراطور كارلوس الخامس المعروف بشارلكان

الباب الثالث

في بعض اخبار مرتينوس لوثيروس والاضطراب الذي حدث في جرمانيا بسبب آرائه الدينية

ان اول من تظاهر في اراء دينية مخالفة لمعتقد الروماني الكاثوليكي بعد ويكيليف الانكليزي رجل يقال له يوحنا هس من مدينة براك في بوهيميا في اواخر القرن الثالث عشر وبسبب اذاعته تلك الراء ومناداته بها بين الشعب حدث سجن عظيم في الكنيسة . ولما عظم الامر واشتد قصد سيغيسموند سلطان جرمانيا ان يزيل تلك الاسباب ويصلح حال الكنيسة فانفق مع الحبر الروماني على عقد مجلس للنظر في تلك الامور فعقد مجمع في مدينة قسطنسية التابعة امرية بادن سنة ١٤١٤ واحضر يوحنا هس للرافعة فحكم عليه بالمرطقة ومن ثم بالموت فأحرق ولم يرتد عن آرائه . وكان ليوحنا هس صديق عالم يقال له جيروم فوافقه في آرائه وعلم بها فاصابه ما اصاب صديقه ومات حرقا بالنار بعد رفيقيه بستين . ولكن لم تمت تلك التعاليم بموت ذينك الرجلين فانها امتدت أكثر فأكثر واشغلت افكار الشعوب حتى انفجرت اخيراً في القرن السادس عشر بمناذاة مرتينوس لوثيروس

وكان لوثيروس المذكور من مدينة اسلابان من اعمال سكسونيا وُلد

سنة ١٤٨٣ ومع ان اهله كانوا من ذوي الفقر والفاقة تربى تربية جيدة وتمكن من العلوم وكان له صفات خصوصية تدل على نباهته وندور فريخته وكانت نفسه تميل طبعاً الى معرفة الامور الصعبة التي تقصر دونها همم الرجال وكان زاهداً في امور الدنيا يجب الوحدة والانفراد. فدخل الى دير من اديرة الرهبنة الاوغسطينية وترهب واشتهر بالثقوى والصلاح والاجتهاد الغريب في المطالعات والعلوم اللاهوتية وعثر يوماً على نسخة من الكتاب المقدس في مكتبة الدير فاخذها وبذل جهده في تصفحها ومراجعتها المرة بعد الاخرى حتى تمكن من تعامها ومعانيها فاقبست منها ايات كثيرة لم يكن اقرانه قد اعتادوا على استعمالها فحصل على تقدم عظيم وشهرة فائقة حتى ان فريدريك امير ساكسونيا اتخذه ان يكون معلماً للفلسفة واللاهوت في مدرسة انشأها في مدينة وتمبرج. وكان وقتئذ البابا لاون العاشر حبراً في رومية فتوسع سنة ١٥١٧ في منح الغفرانات التي كان سلفاؤه قد شرعوا فيها لمن يذهب ويساعد في الحروب الصليبية اولمن يبذل شيئاً من الدراهم لبناء كنائس او مقاصد اخرى دينية وولج اناساً مخصوصين لبيع تلك الغفرانات بالدراهم وفاء عن ذنوبهم ومعاصيهم من جملتهم احد الرهبان الدومينيكيين البلقاء اسمه تنزل فكان يجول مع رفقائه بين شعوب جرمانيا منادياً بالبركات الروحية التي تعقب الغفرانات الممنوحة من راس الكنيسة المنظور ببيعونها للعامة بالبخس الاثمان. فنفرت قلوب الملوك والامراء من ذلك الصنيع اذ رأوا اموال رعاياهم ذاهبة الى خزينة البابا لاون لينفقها في الاسراف والتبذير. وكان كثيرون من اتقياء الناس يتأسفون على ضلال العامة في تصديق ذلك التعليم والاعتماد عليه في خلاص الانفس من جملتهم مرتينوس لوثيروس الذي نحن في صدده فانه لم يتوقف عن المناذاة علناً في الكنائس والمحافل بفساد ذلك التعليم وغيره من العقائد التي حسيبها من البدع التي تضر بالديانة

والآداب فاستولى كلامه على قلوب الناس وخبثت العامة الى استماع مقالاته . فاقترح ٩٥ مسألة لتضمن فحوى افكاره واراته في شان الغفران ونشرها على العامة وطرحها امام العلماء ليجحوا ويثبتوا منها ما استحسوه وعين اياماً معلومة لاجتماعهم لاجل المذاكرة والمفاوضة فيها وكانت مع ذلك مظهرآ غايبة الطاعة والالتقياد للكنيسة الرومانية

فضت الايام المعينة ولم يات احد بل تصدّى لمعارضته بعض العلماء فكاتبوا رداً على تلك المسائل ونشروها مشنعين بحقه كل التشنيع . وكانت استناداتهم في احتجاجاتهم مبنية على اراء العلماء والاحبار والقوانين الكناسية اما هو فكان قدحه ببيع الغفرانات مبنياً على نصوص وبراهين فاطعة مقتبسة من الكتاب المقدس ومن العقل السليم . فظهر للعامة ان مجادلة اولئك اللاهوتيين واعتراضاتهم انما كانت مبنية على اغراض نفسانية لا ثقة فيها نظراً لركاكتها ومخالفتها للعقل وللنصوص الالهية

ولما لم يفتر لوثيروس عن السكوت في تغليظ تلك الاقوال اخذ خصومه يلحون على ديوان رومية في تاديده ومعاقبته لان تعاليمه كانت قد اثرت تاثيراً عظيماً في جميع الاقطار الالمانية وصارت من الامور الخطرة المقتضي مداركتها . فارسل البابا لاون يستدعي لوثيروس الى رومية للمحاكمة . فابى التوجه خوفاً من الغدر والخيانة والتمس فحصى دعواه في نفس المانيا وساعده على ذلك اصداقاه وامير سكسونيا وكتب هو كتاباً في ذلك الشأن الى الحبر الروماني يظهر به طاعته وامثالته لاوامر ديوان رومية فعفاه البابا لاون من التوجه الى رومية وامر نائبه في المانيا الكردينال كاتييجان ان يفحص تلك التشكيكات ويحكم بما يستحسنه فذهب اليه لوثيروس الى مدينة اوغسبرج وجرى بينهما مباحثات ومجادلات كثيرة فسلك كاتييجان معه مسلك الكبر والعنفوان لا مسلك الحق والاذعان وتهدده بالغضب والقصاص عند ما رآه متشبثاً باراته وغير

منش عن عزمه تخاف عليه اصحابه وعملوا على ارجاعه لوطنه فقبل
لوثيروس النصيحة ورجع . اما كاتييجان فلما بلغه هرب لوثيروس غضب
وكتب الى فريديريك امير سكسونيا يطلب منه ان يقبض عليه ويرسله
اسيراً الى رومية فابى فريديريك اجابة ذلك الطلب . ولكن مع كل هذه
المساعدة كان لوثيروس في ريب وخوف من جهة دوام حماية فريديريك
له نظراً لما يعلمه من سطوة الكنيسة في ذلك الوقت

واذ كانت حالة السياسة يومئذ في ارنياك بسبب موت الامبراطور
مكسيميليان وانتخاب خليفة له والكنيسة مهموكة في ذلك لم يلتفت كما
ينبغي الى لوثيروس ومقالاته فكان على نوع ما في هدوء وسكون وتمكنت
تعاليمه في قلوب كثيرين في سكسونيا وباقي جرمانيا واتصلت الى بلاد
السويس حيث كانت تباع الغفرانات بدون عائق ولا اعتراض بمعرفة رهبان
الفرنسيسكانيين . وعند ما كانوا يعرضون هذه البضاعة على الشعب للبيع
في مدينة زوريخ نهض لمقاومتهم زوينكليوس العالم الشهير وبجسارة
غريبة اعترضهم وصددهم ولم يقبل دخول هذا الامر الى وطنه ولم يحسب
ذلك مضرًا فقط بالعباد بل عدّه سلبًا واختلاسًا للحقوق الربانية ايضا
وساعده على الجاهرة والتصدي لمقاومة تلك الاعمال حرية البلاد وحكومتها
الجمهورية غير المقيدة براس مخصوص فكان مطلق التصرف في حركاته .

فسر لوثيروس بذلك اذ وجد له مساعداً يوزع رايه في تلك المسئلة
المهمة وابتداً حيثئذ يتظاهر باكثر جسارة في فساد اعتقادات الكنيسة
الرومانية حتى زلزل بنياداته واعترضاته اركان قواعد ديوان رومية .
حيثئذ امتلا البابا لاون وجميع اساقفة الكنيسة ومناصبها غيظًا وحنقًا
على لوثيروس فعدوا مجلسًا للبحث والمشورة في تلك التعاليم التي كان قد
صار لها ثلاث سنوات تنتشر وتمتد بين قبائل المانيا واصدروا منشورًا
يحرمون به لوثيروس ومؤنفاته وكل من يطالعها ويحثون العامة على حرق

كتبه ورسائله وعينوا له مهلة ٦٠ يوماً للتوبة والرجوع الى حضن الكنيسة وانه بعد مضي المدة المذكورة ان لم يرجع ويعترف بخطائه على رؤوس الاشهاد يكون مقطوعاً ومخذولاً وضالاً

فلم تقترهمة لوثيروس من هذا الحرم لانه كان ينتظره من قبل بل زاد تشبهاً بما عنده واخذ يذم البابا وظلمه وتعديه مسمياً اياه المسيح الدجال ويحرض الملوك على الخروج عن طاعته وعدم الاتقياد لامره وافتخر بكونه استوجب غضبه حباً بجرية البشر والصالح العموي . ومع انه الى ذلك الوقت لم يتبع احد من الامراء وعظماء الناس مذهب لوثيروس ولم يكن قد حصل تغيير في صورة الدين لكنه تقرر في عقول الاكثرين مجادلات لوثيروس واعتراضاته وادركوا ضعف احتجاجات الاكليروس واستحسنوا التخلص من امر ديوان رومية وفرحوا بالفرصة التي اتتهم للهرب من تحت ذلك النير . على انه يجب ان نذكر ان الطرق التي سلك فيها لوثيروس لاجل انتشار تعاليمه ومذمته من لم يوافقها عليها اوجبت له اللوم في الاعصر المتاخرة وحسبت من المثالب غير اللاتفة ولكن لم تنفر منها القلوب في عصره بل تلقاها الجميع بنرح وقبول لان الناس كانوا في قلق وكرب من جور رومية وتعديتها

ولما تبوأ شارلكان مريد سلطنة جرمانيا وراى انه لا بد له من استئالة البابا اليه لاجل مصالحه في بلاده الخارجة عن سلطنة جرمانيا ولا سيما لاجل مقاومة عدوه الاكبر فرنسيس الاول ملك فرنسا لم يجسر على الحماة عن لوثيروس فالزمه ان يحضر الى مدينة ورمس امام الجمعية المنعقدة فيها تحت رياسة الامبراطور نفسه لكي يجاوب عن التشنكات والدعاوى القائمة عليه . فذهب بكل جسارة وتلقاه الاهالي بالاكرام والاحترام وكان عدد المحدثين به من الناس اكثر ممن اجتمع حول شارلكان وقت دخوله المدينة بالاحتفال . ولما وقف لوثيروس امام ذلك

المجلس اظهر من الشجاعة والبسالة ما يدل على ثبات جنانه ومع انه اعترف بكونه تجاوز الحد في طعنه وذمه الكنيسة قال اني لا احيد عن معتقدي الا اذا افتموني بالبراهين القاطعة والادلة الواضحة من كلام الله عن بطلانه

واذ لم تنفع معه المحاورات والتهديدات اشار بعض القسوس على ارباب المجلس ان يسلكوا معه سلوك جمعية قسطنسية مع يوحنا هس ويريموا الكنيسة من هرطقة هذا المنتدع . فلم يقبل ذلك الراي لانه كان حضر تحت الاستثمان ويحسب الغد به على تلك الصورة من الامور المنكرة فمضى لوثيروس آمناً . ولكن بعد ذهابه بايام يسيرة صدر امر من البابا باسم شارل كاث وعموم مجلس ورمس بتاريخ ٢٦ نيسان سنة ١٥٢١ مضمونه ان لوثيروس قد استوجب القتل وانه لا يجوز لاحد من الابرء والاعيان ان يدخله تحت ظل حماه بعد نهاية المدة المعينة في ورقة الامان

واذ كان فريدريك امير ساكسونيا محباً للوثيروس وعرف انه لا بد من قتله اذا بقي جاثلاً حسب عاداته ارسل له جماعة من الفرسان قبضوا عليه في الطريق وهو راجع من ورمس وجاءوا به الى قلعة ورتبورج حيث بقي تسعة اشهر تحت الحفظ في مكان خفي لا يطلع احد عليه صارفاً اوقاته في الكتابات والتأليفات الدينية لاجل احياء عزم اصحابه التابعين آراءه وبواسطة صديقه ملائكثون العالم البليغ كانت تلك المؤلفات تطبع وتنتشر بين الناس . وبينما كان لوثيروس في ذلك المنفى اخذ يترجم بعض الكتاب المقدس الى اللغة الجرمانية مسمياً مجنحه باسم بطمس اشارة الى الجزيرة التي نفي اليها يوحنا اللاهوتي . فكان المذهب اللوثيري في تقدم وانتشار مع كل المقاومات والاضطهادات التي هاجت عليه ليس فقط في جرمانيا وايطاليا بل في فرنسا وانكلترا ايضاً لان

جمعية العلوم في باريس (اونيفرسيتيه) اصدرت حكماً قاطعاً يبطلان
مذهب لوثيروس واعلنت ذلك بكتابات رسمية لمعرفة الجميع وكذلك هنري
الثامن ملك انكلترا فانه كتب ردّاً على لوثيروس سماه بالامرار السبعة
مدافعة عن الكنيسة الرومانية . ولكن مع ذلك كله لم يثن عزم لوثيروس
ولم يكثرث بجمعية احيار باريس ولم يخش سطة هنري الثامن بل بادر
حالاً بنشر رده على حكم جمعية باريس وعلى كتاب الملك هنري وسلك
في نصه مسلك الخشونة والقدح ولم يحسب ذلك وقاحة منه في ذلك
العصر بل كان برهاناً ودليلاً على جسارته وثباته . وبعد مضي تسعة اشهر
من مجته خرج من قلعة ورتبورج ورجع الى مدينة وتمبرج حيث قبله
الجميع فرحين

واذ كان الامبراطور شارل كان يومئذ مهتماً بامور اخرى اهم من
امر لوثيروس تستدعي كل الالتفات اليها لاجل خير سلطنته اشتهرت
تعاليم لوثيروس وامتدت اكثر فاكثر في مدة الثمان سنوات التي عقبته
مشورة ورمس فانصلت الى فرنسا وانكلترا وهولاندا . ولكن لما هددت
حروب شارل كان مع فرنسا امر بالتثام مجمع في سباريس لاجل فض
الجدال الديني الذي اوجب القلق فصدر حكم المجلس المذكور بتثبيت حكم
مجمع ورمس ورفض التعاليم المستجدة . فاجتمع حينئذ امير ساكسونيا مع
بعض الامراء والكلاء الى مدينة من مدائن جرمانيا واقاموا الحجّة على
ذلك الحكم ومن ذلك اليوم غلب عليهم وعلى تابعي الاصلاح لقب
بروتستانت اي محاجين . ثم امر شارل كان بعقد مجلس آخر في اوغسبورج
لم يسمح البروتستانت للوثيروس ان يحضره خوفاً عليه من الغدر فحضر
مكانه ملائكثون وقدّم للمجلس صورة الايمان البروتستانتني واجتهد ان
يصلح الحال بين الطرفين فلم يأت ذلك بادنى فائدة واصدر المجلس حكماً
صارماً ضد البروتستانت . حينئذ اجتمع البروتستانت وعقدوا تحالفاً بعضهم

السلطنة في ايامه ووقعت هيبتها في قلوب ملوك اوربا لان الدولة الجرمانية
وقتشئذ كان لها التقدم ونفوذ الكلمة على سائر الدول الا فرنجية لا سيما اذ
كان امبراطورها من اصحاب الذكاء والمهارة

ولكن قبل جلوس شارل كان على سرير السلطنة جرمانيا نهض فرنسيس
الاول ملك فرنسا وزاحمه على لبس التاج اذ ارسل رسلاً الى بلاد المانيا
لالتقاء الوسوس بين الشعب وعدم قبولهم شارل كان امبراطوراً مظهراً لهم
انه صغير السن وليس فيه لياقة واهلية لمكافحة المسلمين الذين كانوا
يتهددون ممالك اوربا وان السلطنة تحتاج الى رئيس خبير صاحب دراية
وسياسة لكي يتخذ بحكمته نيران الاضطرابات الممتدة في داخلتها بسبب
المنازعات الدينية التي اشغلت عقول الاكثرين . وكان مع تلك النصائح
يبدل المال والهدايا لمن بيده زمام الحل والربط ليستميلهم اليه ولكن كل
تلك الوسائط لم تنفع لان الالمانيين بوجه العموم رفضوا سؤاله ولم يرتضوا
باقامة امبراطور اجنبي عليهم . فبحسب عادتهم في اوقات كهذه اجتمع رؤساء
الممالك وعقدوا مجلساً عاماً في مدينة فرانكفورت حيث قرأ رأي السبعة
الذين لم يوافقوا على الانتخاب بمبايعة شارل كان بعد ما اختاروا اولاً فردريك
امير ساكسونيا ولم يقبل

فلما اشتهر في ممالك اوربا وقوع الانتخاب على شارل كان غضب
فرنسيس الاول غضباً شديداً وداخله من الحقد والحسد ما يداخل كل
من كان طامعاً وصمم من ذلك الوقت على معارضة ومقاومته كما كان
شارل كان ايضاً عند حصوله على ما كان يصبو اليه صمم ايضاً على الانتقام
من عدوه ومن ثم نشأت العداوة التي لم يتخمد نيرانها في كل مدة هذين
الملكين . على انه كان يوجد اسباب آخر موجبة للفتور والخصام بين
الفرينيين . منها ان مملكة نابولي كانت في ايدي الفرنسيين فاستخلصها
منهم فردينند ظلماً وعدواناً وضمها الى اسبانيا فكان فرنسيس يسعى

لاسترجاع تاجها . ومنها ان امريه ميلان كانت وقتئذٍ في ايدي فرنسا
 وكان شارلكان يطلبها كاراضي امبراطوريتهم وحسب امريه بورغونيا ايضاً
 من متروكات اجداده وان وضع يد فرنسا عليها هو من باب التعدي
 والاعتصاب . فهذه الاسباب مع ما تقدم ذكره من العداوة هيئت الفتن
 بين فرنسا ومانيا زمناً طويلاً واشترك فيهما اكثر الدول الاوربية
 واذ كانت انكلترا وقتئذٍ ذات صولة وشوكة تحت حكم ملكها هنري
 الثامن اخذ كل من شارلكان وفرنسيس في استعمال الوسائط لاستجلاب
 خاطر هذا الملك اليه فنجح شارلكان بنوال غايته بواسطة الكردينال
 لسلي وزير هنري الثامن واعداً اياه بالكرسي الجبري . فانضم هنري الى
 الامبراطور شارلكان وكان سنداً عظيماً له ضد فرنسا . اما البابا لاون
 فكان يتردد في اول الامر بين الحزبين محتاراً في سياسته لان الخصمين
 كانا قوين ولا بد للنتصر منهما من الاستيلاء على كل ممالك ايطاليا مع
 ان غايته العظمى كانت ابعاد الاثني عن ايطاليا واستخلاصها من ايدي
 الاجانب فكث مدة وهو يتردد ولكنه اخيراً عقد معاهدة مع الملك فرنسيس
 ووعده بمساعدة الايطاليين بشرط ان يقسما بينهما مملكة نابولي التي كانت
 تحت تسلط شارلكان . ولكن بعد ذلك بقليل تنحى البابا لاون عن فرنسيس
 وانضم الى حزب شارلكان وعقد معه شروطاً ضد فرنسا فكانت تلك
 المعاهدة اساساً لشوكة شارلكان في ايطاليا

فبناء على هذه المعاهدة نشر المتاهدان راية الحرب على فرنسا وبنما
 كانا مستعدين على مهاجمة امريه ميلان اشتبكت الحرب في مملكة نافار
 التابعة اسبانيا . وسبب ذلك ان هذه المملكة كانت في ايدي عائلة والبرت
 على نوع من الاستقلال واستخلاصها منهم الاسبانيون في زمن ملكها
 حنا والبرت . وطلب اولاد هذا الملك مراراً عديدة من شارلكان ان
 يرد لهم مملكة ابيهم فكان يحاولهم من وقت الى آخر فانتهز لهم فرنسيس

ملك فرنسا وأمدتهم بالجيوش الفرنسية فدخلوا المملكة وتغلبوا عليها إذ لم يجدوا فيها من يقاومهم ثم تقدموا على مملكة كاستيل واقاموا الحصار على بعض مدنها فوافقتهم حينئذ العساكر الاسبانية وانضمت الى عساكر كاستيل وهجمت عليها وقتلتهم واذا كان قائد الجيوش الفرنسية الامير لسيار لا يحسن ادارة العساكر انهزم ثم أسر مع جملة من أسرى من اعيان الضباط واسترجع الاسبانيون مملكة ناغار في وقت اقل مما لزم للفرنساويين لافتتاحها

واذ رأى فرنسيس ما حلَّ بمجنوده ازداد حنقا واخذ يبحث عن علة يتعلل بها لهجم على اراضي شارلكان فاخذ يهيج الامير روبرت دي لامرك ملتزم اقليمي بولون وشمبانيا ليخرج عن طاعة شارلكان فقبل روبرت النصيحة وبعث اليه يعلمه بما قد صمم عليه وبعد ما ضمَّ جيوشه الى الجيوش التي جمعها سرا من فرنسا زحف على لوكرميورج وحاصر قلعة ورتون فتهجم شارلكان من وقاحة ذلك الامير وعرف باطن الطوية فاخذ يشكو من مداخله فرنسيس الاول المغايرة العهد بينهما فادعى فرنسيس بان ليس له مداخله في ذلك الامر وان الجيوش الفرنسية التي مع روبرت لم يرسلها هو برضاه بل انضمت اليه بدون علمه واذا كان ذلك عذرا غير مقبول ارسل شارلكان من ساعته يطلب من هنري الثامن ملك انكلترا ان يوجه جنوده لمحاربة الفرنسيين فخاف فرنسيس من عواقب الامر وامر روبرت ان يطلق سبيل العساكر الفرنسية اما شارلكان فلم يكتب بذلك بل جهز الجنود وارسلها للانتقام من روبرت فتغلبت على سائر مدنها واقاليمه ثم بعثها الى فرنسا فاستولت على مدينة موزون وامتدت من هناك الى محاصرة ميزيير فلم تنجح هناك بل رجعت مدبرة بالنشل والخيبة

حينئذ امر ملك انكلترا بانعقاد جمعية في مدينة كاليبس لاجل

المذاكرة في امر الصالح بين الفريقين فاجتمع الوزراء واخذوا يتفاوضون ويتداولون ولكن بدون فائدة لان كلا من الدولتين كانت تطلب من الاخرى مطالب باهظة . وفي اثناء المذاكرة ذهب الكردينال ولسي وزير انكترا لمقابلة الامبراطور شارل كان في جرمانيا بقصد اقناعه للمساهلة في شروط الصلح ولكن لما اجتمعا تداولا واعتصبا على حرب الملك فرنسيس وتوافقا على ان شارل كان يخيم عليه من جهة اسبانيا وهنري الثامن من جهة بيكارديا

وكان البابا لاون العاشر بناه على عهده مع شارل كان وبناه على محافظته مع فرنسيس ملك فرنسا بحجة تعدي حكومة ميلان الفرنسية عليه وهدمها حرمة الكنيسة في غارتها على بعض اراضيها قد تجهز واستعد لخاربة فرنسا واستأجر عسكرياً من بلاد سويسرا وضمه الى جيوش الامبراطور فهاجموا الفرنسيين في امريه ميلان واستظفروا عليهم واخيراً فتحوا مدينة ميلان واستولوا على باقي المدائن وفرّ الجنرال لوتريك الفرنسي الى ارض البندقية وانضمت مدينة پارما ومدينة بليزانسا الى الكنيسة وخسر الفرنسيون جميع املاكهم في البندقية ما عدا مدينة كريمون وبعض القلع والحصون . فلما بلغ البابا لاون اخبار تلك النصر العظيمة كاد بطيرفرحاً ولفرط سروره اصاب بحمى شديدة لم يتدارك امرها في مبداءها فتمتكت منه ومات بها على زعم بعض المؤرخين . وقبل الانتقال من هذا الموضوع لا بد من ذكر الحادثة الغريبة التي اوجبت انكسار العساكر الفرنسية في هذه الحرب فنقول انه كان قد تعين بين العساكر الفرنسية جمهور من اهالي سويسرا اما حباً بالكسب او لغاية اخرى . وكان ايضاً البابا لاون قد استأجر منهم ١٢ الفاً وضمهم الى عساكر شارل كان . فلما رأّت جمهورية سويسرا ان شعبها قد انضم مع الدولتين المتحاربتين وانهم سوف يدمرون بعضهم البعض فضلاً عن العار

الذي يجلبونه على بلادهم بعثت تطلب من قومها تخلية صفوف المعسكرين والعودة الى الوطن . فأخفي الامر الذي باسم العساكر التي من جهة البابا والامبراطور ولم يصل الى محله لان الكردينال روسيون كان ارشى الرسل حاملي تلك الرسالة . اما الامر الاخر الذي باسم اولئك الذين في صفوف الفرنسيين فوصل وكان السويسيون قد ضحروا من الحروب ولا سيما من عدم صرف اجورهم فبادروا حالاً للامثال الى امر حكومتهم وخرجوا من المعسكر ومن ذلك الوقت اخذ الفرنسيون يخسرون ويتأخرون

وبعد توفي البابا لاون اقيم مكانه ادر بان السادس وكان ادر بان هذا كردينالاً نائباً للامبراطور شارل كان في اسبانيا فغضمت شوكة الامبراطورية من ذلك اليوم وصفت لها الايام وزادت نفوذاً على باقي دول اوربا ولا سيما على فرنسا التي كادت حروبها معها تكون بلا انقطاع وعلى الخصوص في واقعة باو يا حيث انتصر جيش الامبراطور وامر الملك فرنسيس وبقي نحو سنة في الاعتقال ولم يطلق الا في بداءة سنة ١٥٢٦ تحت شروط مهينة

ومن اعمال هذا الامبراطور انه تغلب على رومية وافتحها سنة ١٥٢٧ في ايام البابا اكلينمنضوس وذلك بسبب اتحاده مع فرنسا ضد السلطنة الجرمانية فاسره وابقاه تحت الحفظ مدة من الزمان ولم يطلقه الا خشية من زيادة التعصب ضده في اوربا ومنها انه ذهب الى افريقية سنة ١٥٣٥ بعبارة عظيمة وجيش كثير فاستخلص تونس من يد معتصمها بربروس واعادها الى ملكها الاصلي المولى حسن الذي استجار به فكان هذا المشروع من اعظم اعماله واكثرها فائدة لانه خلص من الاعتقال نحو ٢٠ الف نفس من امري النصارى في تونس ومراكش ممن كان المغاربة قد قبضوا عليهم في معازيرهم البحرية وكان قد داخل هذا السلطان الباهر الشأن الزهد والورع بعد

تلك الوقائع والانتصارات العظيمة التي جرت على يده فنزع تاج السلطنة
 عن راسه ووضعهُ على راس ابنه فيليب وانقطع عن العالم واضطراباته
 وقصد ديراً في إحدى مقاطعات اسبانيا فصرف فيه نحو سنتين منعكفاً
 على النسك والعبادة. وكان في اوقات تفرغه يقصد الجنيحة ويُلهي نفسه
 في شغلها وزرع النباتات. وكانت له رغبة عظيمة في اصطناع الساعات وفي
 فن الآلات الميكانيكية فصرف فيها اوقاتاً ولكن دأبه الأكبر كان
 الصلاة والعبادة والتأهب للرحيل الى ديار الآخرة. ثم هجر كل تسلية
 واتبع الطرق المتعبة الشاقة بقصد التكفير عن ذنوبه وجرائمه فكان
 يجلد نفسه احياناً جلدًا مؤلماً حتى كانت دماؤه تسيل على الارض ومن
 جرى ذلك اعتراه القلق والخوف وتراكت عليه الاوهام والاحزان حتى
 انسلت راحته واضطرب ذهنه. ومن اغرب ما فعل انه صمم يوماً ما
 على ان يعمل له جنازة في حياته لكي يكون له سبباً قوياً فعالاً لعدم
 نسيان الموت فلنق نفسه بفائف الكفن وامر اتباعه ان يحملوه الى
 القبر الذي كان قد اعدّه لدفنه فحملوه على نعشٍ ويدهم الشموع وهم
 يتلون امامه صلاة الاموات فكان هو يتلو معهم ويتوح ويندب كما لو
 كانت جنازة حقيقية وعند نهاية الجنازة تركوه في الكنيسة وانصرفوا.
 فبعد انصرفهم قام وذهب الى مخدعه وهو في حالة الاضطراب الشديد
 متناسقاً على نفسه ومثاثراً من صورة الموت فاعتراه عقب ذلك حمى شديدة
 انتهت بها حياته في ٢١ ايلول سنة ١٨٥٥

ومن سلاطين جرمانيا بعد شارل كان المذكور فرديند الثاني قام
 سنة ١٦١٩ وكان عدواً مرّاً للبروتستانت في كل الاقطار الجرمانية حتى
 دعاه الكاثوليكيون الامبراطور الرسولي ولما كثر جوره وتعديه على
 البروتستانت انتصر لهم فردريك الخامس منتخب اميرة البالاتين وشهر
 السلاح ضد فرديند فلم ينجح في مساعيه. ثم انتصر لهم ايضاً كريستيان

الرابع ملك الدينبارك ولم ينجح ايضاً فالتزم البروتستانت ان يستغيثوا بغوستاف ادولفوس ملك اسوج فاعانهم وزحف على جرمانيا وحاربها فانتصر في عدة وقائع فاغتنمت فرنسا تلك الفرصة واتحدت مع اسوج ضد المانيا واستمرت تلك الحروب عدة سنين وهي المعروفة بحروب الثلاثين سنة الى ان انتهت سنة ١٦٤٨ في معاهدة وستفاليا التي عادت بالخسران على بيت اوستريا وعلى الخبر الروماني. اما على الاولين فلانها انزلتهم عن حقوق وارضاي كثيرة تابعة السلطنة الالمانية الى فرنسا واسوج وغيرها واما على الثاني فلانها اضعفت شوكة ديوان رومية ومدعيات قسوسها من جهة محو المراقبة عن وجه الارض وجعلت للبروتستانت الحرية التامة في استعمال شعائر دينهم. وقام بعد فردينند المذكور جملة سلاطين ضربنا صفحا عن ذكرهم لعدم اهمية ما حدث في ايامهم

وسنة ١٧٩٢ تسلطن على جرمانيا فرنسيس الثاني وفي ايامه حدثت حروب نابوليون الاول فكان المذكور من جملة الملوك والسلاطين الذين خضعوا لبطشه واقباله فالتزم في سنة ١٨٠٦ ان يتنازل عن سلطنة جرمانيا واقتصر على ان يكون امبراطوراً على اوستريا واستمر سلطاناً الى ان توفي سنة ١٨٢٦ وكانت سلطنة النمسا في اواخر ايامه من اعظم ممالك اوربا. ومن سنة ١٨٠٦ لم يعد يقم امبراطور على البلاد الجرمانية الى سنة ١٨٧١ حين تغلب وليم الاول ملك بروسيا على فرنسا فعرض عليه الالمان لقب امبراطور فقبله وبهذه الوساطة اتحدت جرمانيا ثانية تحت سلطنة واحدة وعرف امبراطورها باسم غليوم الاول ملك بروسيا وامبراطور المانيا. وخلفه بعد وفاته ابنه فريديريك الذي لم تطل مدة حياته بسبب مرضه لم ينجحته فتوفي سنة ١٨٨٨ وخلفه ابنه غليوم الثاني وهو الامبراطور الحالي الذي وُلد في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٥٩ وارثي الى سدة الملك في ١٥ حزيران سنة ١٨٨٨ وتزوج في ٢٧ شباط سنة

١٨٨١ بالبرنيس اوغستا فيكتوريا من شلسويغ هولستين ورزق منها
سنة بنين وابنة

الفصل الثالث عشر

في وصف سويسرا اي بلاد السويس وتاريخها

يحد هذه البلاد شمالاً امانة بادن وشرقاً اوستريا وجنوباً ايطاليا
وغرباً فرنسا. وسنة ١٨٧٠ بلغ عدد اهلها ٢,٦٧٠,٠٠٠ وهو اؤها جيد وترتبتها
مخضبة ومها جبال الالب او الباو هي اعلى جبال اوربا لايقطع عنها
الثلج من سنة الى سنة وفيها من الاماكن البهجة المكتسية بالنبات ما
يسرعون الناظرين. ويخرفها عدة بحيرات عذبة وانهر كبيرة والمراعي فيها
عظيمة مشبعة فيخرج منها احسن انواع السمن والزبدة والخبز ولذلك يعتني
اهلها بتربية الحيوانات والمواشي. ومن معادن هذه البلاد الحديد والنحاس
والرخام والكبريت وفيها كثير من المياه المعدنية التي تقصدها الناس
للمعالجة. ولاهلهارغبة عظيمة في اكتساب العلوم والمعارف ولم اليد الطولى
في جميع الصنائع ولا سيما في عمل الاقمشة القطنية والحريرية وفي اصطناع
الساعات ودفع الجلود. اما ديانة هذه البلاد فهي بين اللاتينية
والبروتستانتية مناصفة وحكها من نوع الشيخة الجمهورية ولها رئيس
ينتخبه الشعب كل سنة. وتنقسم هذه المملكة الى ٢٢ مقاطعة كل واحدة
منها مستقلة بنفسها في مصالحها الداخلية ولها مجلس ورئيس وجميع هذه
المقاطعات متحدة اتحاداً عاماً كدولة جمهورية كبيرة. ومن اعظم مدنها
زوريخ وبرن وولسرن وجنيفا. ومع ان وسائل المعيشة في هذه البلاد

كثيرة يوجد بين اهلها فقر كثير فلذلك يضطرون الى ترك اوطانهم
ويقصدون ممالك اوربا في طلب معاشهم فمنهم من يتجند بين عساكر
الاجانب ومنهم من يحول في البلاد الغربية متعاطياً اسباب التجارة والفناء
والموسيقى بحيث لا يكاد يوجد قطر في العالم خالياً منهم

وكانت بلاد سويسرا تعرف قديماً عند الرومانيين باسم هولوجيا
وشعبها من جملة قبائل برايرة الشمال استولى عليها الرومانيون سنة ٥٨
قبل الميلاد وبقيت تحت تسلطهم الى القرن الخامس حين انقرضت
سلطنتهم الغربية فانضمت الى جرمانيا ماعدا بعض ولايات منها ثم بعد
ذلك صارت قسماً من مملكة بورغونيا (التي هي الآن ولاية فرنساوية)
فتسلط عليها تارة الفرنساويون وتارة الالمانيون وفي زمن الالتزامات في
اوربا دخلت في ايدي عدة عشائر اخصها عائلة هابسبورج التي منها
رودولف هابسبورج سلطان جرمانيا فكانوا يحكمون البلاد ويتصرفون
فيها كيفما ارادوا وما جلس رودولف المذكور على سرير سلطنة جرمانيا
وكان ذا ثروة وشوكة عظيمنتين في بلاد سويسرا ضم القسم الاكبر من
هذه البلاد الى سلطنته فصارت تابعة لها فاحسن معاملتهم وكان محبوباً
منهم ولكن لما قام بعده ابنه البرت سنة ١٣٩٨ اساء التصرف معهم
وجار عليهم وارسل لهم عمالاً قساة فكانوا يظلمونهم ويتعدون عليهم بحيث
نقرت قلوب الناس منهم فابغضوهم واخذوا يسعون في التخلص من حكمهم
ومن هولاء العمال رجل قبيح الخصال يقال له جسرل نصب ذات يوم
عموداً في احدى ساحات المدينة ووضع على راس ذلك العمود برنيطته
وامر بان كل الذين يمرون من هناك يخضعون امامها ويقدمون لها مزيد
الاحترام فامتثل الناس امره خوفاً من العقاب والاهانة الا رجلاً حارساً
يقال له ولیم تل فانه لم يخضع لامر جسرل ولم يحترم برنيطته فلما بلغ
جسرل عدم اتياد تل الى امره غضب وصمم على قتله فارسل واستدعى

بابن تل . ثم التفت وقال لا يه اني اشفاقاً عليك اريد ان اعطيك فرصة
 لتنجو من الموت فما اني ساضع على راس ابنك تفاحة فانت بقوسك وارم
 هذه التفاحة بنبله من بعيد فان اصبته عفوت عنك والا فلا بد من
 قتلك . وكان تل المذكور من ارمى الناس بالشاب فجاه بقومه ورمى
 تلك التفاحة فاصابها وحصل على العفو . وكان مع تل نبلة اخرى مخبأة
 بين ثيابه فابصرها جسر وساله عنها فقال هي لكي ارمىك بها وارمخ الناس
 من شرك واذالك . فاستعظم خطابه فامر بقبضه وقيده وصمم على نفيه ثم
 القاه في بعض القوارب وعبر به قاصداً القاطع الثاني من بحيرة لومرن
 لينفيه هناك وبينما كان الملاحون يقذفون هبت عليهم ريح عاصفة حتى
 كاد القارب يغرق بهم . واذ كان تل نوتياً ماهراً حلوه من وثاقه ليعينهم
 ويساعدهم في تدبير ما يلزم لنجاة القارب فعند وصولهم الى الشاطئ خرج
 تل اولاً من القارب وجلس على بعض الصخور . بينما كان جسر ساعياً
 في الخروج رماه بنبله القاه قتيلاً ثم اخذ في الحرب واجتمع باصحابه في
 اقليم شونيز حيث كانوا جميعاً ساعين في استخلاص بلادهم والحصول على
 حريتهم

وكان للسويسيين ثلاثة رؤساء من محبي الوطن قد اجتمع رايهم على
 العصاوة وخلع طاعة السلطنة الجرمانية وكانوا مترقبين الفرص المناسبة
 لذلك . ولما بلغهم ما فعله وليم تل مروا جداً وحسبوا تلك الحادثة فرصة
 مناسبة للعمل فاقاموه عليهم رئيساً واتفقوا من ذلك اليوم على حرب القوم
 وجرت بينهم حروب عديدة ابتدأت سنة ١٣٠٤ وانتهت بانتصارهم على
 الجرمانيين سنة ١٣١٥ فطردوهم من بلادهم واستخلصوا المملكة من ايديهم
 وما يستحق العجب انه لم يزل الى الآن بعض جماعة من السويسيين
 يعتقدون بان وليم تل لم يميت الى الآن لكنه راقد في مغارة بالقرب من
 بحيرة لومرن مع رفيقين له من الماعدين في تاسيس الجمهورية للحفاظة

والحماسة عن بلادهم حتى اذا دخلت سويسرا مرة اخرى في قبضة الاسر
ينهض هولاء الرجال من رقادم ويتقلدون اسلحتهم القديمة ويحثون
الشعب على القيام وطلب الحرية

وبعد استقلال سويسرا لم تفتقر الحروب بين اهلها وبين ملوك
جرمانيا الذين صبوا الى استرجاعها ليس فقط لاجل توسيع دائرة سلطنتهم
و ثروتها ولكن لاجل الاستعانة بهم على الاعداء لانهم كانوا من الشجعان
والفرسان المعدودين. فدامت تلك الحروب بين الطرفين الى القرن الخامس
عشر وكان الانتصار فيها غالباً للسويسيين. فالتزمت حينئذ جرمانيا ان
تقر باستقلاليتهم بعد ان انسحبت عن محاربتهم. وسنة ١٦٤٨ انعقدت
الشروط العمومية بين الدول الاوربية المعروفة بصلح وستفاليا وقررت الجميع
باستقلاليتها ودامت كذلك الى سنة ١٧٩٢ حين استولت عليها الجمهورية
الفرنساوية ونظمت لها تراتيب وقوانين جديدة. ولكن بعد سقوط نابوليون
الاول سنة ١٨١٥ رفضوا تلك التنظيمات ورجعوا الى قوانينهم الاصلية
من بعد ما حسنها وهذبوها. وسنة ١٨٤٨ انظموا ترتيبات جديدة لاتحادهم
واحكامهم وهي التي اشرنا اليها في اول الفصل

و اول من نادى بالذهب البروتستانتي في هذه البلاد زوينكيوس
سنة ١٥١٩ في مدينة زوريخ ثم كلفينوس في مدينة جينيغا في الجبل
نفسه وهو فرنساوي الاصل من اعمال بيكارديا وكان من فطاحل الغناء
واعيان اللاهوتيين وله عدة مؤلفات مشهورة واكثر الفرنسيين
البروتستانت بلقبون كلفينيين باسمه

الفصل الرابع عشر

في بلاد النمسا اي اوستريا

الباب الاول

في وصف هذه البلاد

ان مقر سلطنة النمسا واقع في اواسط اوربا ويحدها شمالاً روسيا
وبروسيا وساكسونيا وشرقاً روسيا ايضاً ومولدافيا وجنوباً ايطاليا وبحر
البندقية وتركيا في اوربا وغرباً بافاريا وورتمبرج وسويسرا. وسنة ١٨٦٩
بلغ عدد سكانها نحو ٣٦ مليوناً بما فيه اهالي بلاد المجر الذين يبلغ عددهم
١٥ مليوناً ونصفاً. والديانة الغالبة في اوستريا هي اللاتينية وعاصمة البلاد
مدينة فيانا يخترقها نهر الدانوب المسمى نهر طونة الذي كثير ما يجرد
ماؤه في فصل الشتاء وتجتازهُ الناس على الجليد. وفي هذه المدينة كثير
من الابنية الفاخرة والمعابد المستظرفة والساحات الجميلة وعدد سكانها بلغ
سنة ١٨٦٤ نحو ٦٠٠ الف نفس بما فيه العساكر المقيمين فيها. ومن هذه
السلطنة ايضاً مدينة ترستة الواقعة على شاطئ بحر البندقية وهي ميناء
للسحج واهلها نحو ٧٥ الفاً
اما هواه هذه البلاد فعلى الغالب بارد وترتبتها جيدة سواء للزرع

او للمرعى وهي تعد من اغنى الممالك الاوربية من جهة المعادن فان فيها معادن الذهب والفضة والنحاس والزنبيق والرصاص والحديد والملح والتوتيا والانتيمون والزاج والزرنيخ وفي بعض المواضع من بلاد النمسا بعض الاحجار الثمينة كالياقوت الاحمر وغيره واثربة جيدة لعمل الخرز الفاخر وغير ذلك . وفيها كثير من العيون المعدنية فان في بلاد المجر ما يتيف عن الالف عين . اما الصنائع في اوستريا فهي في رواج وفيها عدة معامل معتبرة ولاهها الاعتناء في القان صناعة الجوخ والاقمشة الحريرية والقطنية والكتان والقرطاس والزجاج الصيني وعمل امته البيوت وصناعة الفراء ولكن ليس لهم خبرة كافية في الفلاحة والزراعة فلذلك الحراثة قليلة عندهم بالنسبة الى غيرها من البلاد . وفي هذه البلاد عدد عظيم من الحيوانات النافعة مثل البقر والخليل والحخير والضأن والخنزير وقد أخذ تعديلهما فبلغت نحو ٥٥ مليوناً . وفيها ايضا عدة جمعيات لتقدم صناعة الفلاحة وجملة شركات لاعانة الفلاحين وامدادهم بالمال بفوائد قليلة لاتقان مشروعاتهم . وللمساويين اعتناء بالعلم والتعلم عندهم مدارس كثيرة يبلغ عدد تلامذتها مليونين ونصفاً بين ذكور واثاث ولهم مكاتب لسائر العلوم الرياضية وعدة مكاتب مخصوصة بالصنائع وغيرها من المدارس الخاصة بالفنون البحرية والعسكرية والاحكام وغيرها

وتنقسم هذه السلطنة الان الى قسمين كبيرين القسم الاول مملكة النمسا وما يتبعها من البلاد الالمانية والسلافية كمرية سالسبورج وكارينول وستيريا والتيرول النمساوي ومملكة بوهيميا ومورافيا وغيرها من كانت مرتبطة بالاتحاد الالمانى وانقضت عنه . والقسم الثاني مملكة المجر التي ولئن كانت تعتبر قسماً من دولة النمسا منذ سنة ١٥٦٣ لم يلبس تاجها الا الامبراطور فرنسيس يوسف سنة ١٨٦٧ . وتعد هذه الدولة من الدول الاولى مادياً وادبياً

الباب الثاني

في تاريخ بلاد النمسا

ان هذه المملكة كانت في اول الامر ولاية من ولايات الرومانيين
 المسماة نوركاو بانونيا العليا انضمت الى السلطنة الرومانية سنة ٣٣ للميلاد في
 ايام طيباريوس قيصر. وفي القرن الخامس بعد انقراض تلك السلطنة
 استولت عليها بربرة الشمال كجماعة الهون والاستروغوث والفندال
 واللونغوبارد. ثم اقتسمها اهل بافاريا والتترا الى ان استولى عليها شارلمان
 ملك فرنسا سنة ٧٩١ للميلاد واطلق عليها اسم اوستريا وبقيت في ايدي
 الفرنساويين الى سنة ٩٨٢ حين استولى عليها اوثون الثاني سلطان
 جرمانيا وولى عليها ليوبولد الاول من عائلة بامبيرج وتوارثها نسله من
 بعدهم تحت لقب مرغراف اي ولاية ثم تحت لقب مركيز ودوك. وكان
 عدد من تولى اوستريا تحت هذه الالقب من هذه العائلة ثني عشر
 رجلاً. ثم بعد انقراض هذه العائلة سنة ١٢٤٦ دخلت اوستريا في ايدي
 فريدريك الثاني امبراطور جرمانيا ثم انتقلت بعد سنين الى اوتوكراد ملك
 بوهيميا ثم انضمت الى المانيا سنة ١٢٧٦ في زمن الامبراطور رودولف
 هابسبورج الذي ولى عليها ابنه البرت سنة ١٢٨٢ وبقيت تحت تسلط تلك
 العائلة يتداولها الخلف عن السلف تحت لقب دوك الى سنة ١٤٥٣. ثم
 بعد ذلك العهد اطلق عليها لقب ارشيدوك بدون ان تنفصل عن السلطنة
 الجرمانية وقد قام من ارشيدوكاتها الذين هم من عائلة هابسبورج عدة

اشخاص تبوأ^١وا سرير السلطنة الالمانية ولكن لم يستقر لهم حق الوراثة فيها الا الى سنة ١٤٣٨ حين انتخب لسريرها البرت الخامس ارشيدوك اوستريا تحت اسم البرت الثاني

وفي ذلك الوقت كانت اوستريا قد تعاظمت جدا اولاً بانضمام ستيريا والالزاس والصواب المعطاة اليها من الامبراطور رودولف وثانياً بسبب اقتران الامبراطور مكسيميليان ثمار يامن عائلة بورغونياسنة ١٤٧٧ فأضيف اليها بلاد هولاندا وقسم كبير من بورغونيا اي برغنديا . ولما استولى شارل لكان على السلطنة الجرمانية واوستريا اضاف اليها مملكة اسبانيا مع كل مملكتها الخارجية ولكن بالقسمة التي جرت بينه وبين اخيه الارشيدوك فردينند سنة ١٥٢١ وقعت هولاندا ودائرة بورغونيا في سهم شارل لكان وارشيدوكية اوستريا مع توابعها في سهم فردينند الذي في سنة ١٥٢٦ سمي ملكاً على بوهيميا عقب موت ملكها لويس . فضمها الى اوستريا مع ولايات مورافيا وسيليزيا ولوزاس مع الاسقفيات الثلاث التي كانت تحت حكم المطارين وهي تول ومتس وفرودون . ولما تنازل شارل لكان عن الاحكام سنة ١٥٥٦ وجلس اخوه فردينند مكانه على تحت السلطنة الجرمانية قاومه البابا بولس الرابع تحت حجة ان تنازل الواحد وانتخاب الثاني بدون مصادقة مجلس رومية لا يصح فلم يعبأ فردينند بهذا الكلام ورفض لزوم التثبيت من الكرسي الروماني كما كانت العادة جارية في تلك الايام . وكانت احكامه في غاية من الهدو والسلم حتى انه صرف أكثر ايامه الاخيرة في الاجتهاد بان يصلح الكاثوليك مع البروتستانت فلم ينجح

وسنة ١٦٤٨ في ايام سلطنة فردينند الثالث عند انعقاد صلح وستفاليا الذي هو نهاية حروب الثلاثين سنة بين المانيا وفرنسا واسوج انتزعت من اوستريا ولايتا اللوزاس والالزاس والاسقفيات الثلاث ولكنها استعاضت

تلك الخسارة فيما بعد باستيلائها على ترانسلفانيا اي الاردل في ايام
الامبراطور ليوبولد الاول سنة ١٦٩٩ وعلى كرواتيا . وفي سنة ١٧١٣
ورثت اوستريا من كارلوس الثاني ملك اسبانيا اراضي بورغونيا وامرية
مانتو ومملكتي نابولي ومردينيا ولكنها استبدلت سردينيا بمملكة صقلية
سنة ١٧١٤ ثم بعد ذلك بيضع ستين ارجعت الصقليتين اي نابولي
وصقلية الى دون كارلوس الاسبانيولي واخذت عوضاً عنها امرية پارما
وبلاشنسوا وكواستالا

وعند موت كارلوس السادس ارشيدوك اوستريا وامبراطور المانيا
ورثته ابنته مارياتريزا في السلطنة سنة ١٧٤٠ اذ لم يترك نسلًا من
الذكور فتزوجت بفرنسيس دوك لورين وجعلته شريكاً بالاحكام . وكان
وقتنه منتخب امرية بافاريا يصبو للحصول على السدة الامبراطورية
وعضدته فرنسا تقاومه فرنسيس اشد مقاومة وبعد منازعات ومتاعب
كثيرة نودي باسم فرنسيس الاول امبراطوراً سنة ١٧٤٥ وهو جد العائلة
المعروفة بعائلة اوستريا لورين المستولية الآن . ثم توفي بعد ان حكم ٢٠
سنة وخلف ستة عشر ولداً منهم يوسف الثاني الذي خلفه على الكرسي
من بعد موت امه مارياتريزا سنة ١٧٨٠ . ومنهم ماري انتوانيت المتكودة
الحظ التي تزوجت بلويس السادس عشر ملك فرنسا وقتلها الشعب
اشنع قتلة

ثم ان حروب الجمهورية الفرنسية مع المانيا في آخر القرن الثامن
عشر وحروب نابوليون الاول في اوائل القرن التاسع عشر حين فاز على
النمساويين ودخل مدينة فيانا بالقوة والافتدار سلبت من اوستريا قسماً
كبيراً من املاكها في المانيا وايطاليا مع جانب عظيم من سطوتها وسيادتها
وازلت فرنسيس الثاني عن سلطنته الجرمانية وحصرته حكمه في الممالك
التي له فيها حق الوراثة فقط . فمن ذلك الوقت نبغت الامبراطورية

النمساوية ولقب فرنسيس الثاني بفرنسيس الاول واشتأت السلطنة
الجرمانية. ولكن عند سقوط نابوليون ووقوع حوادث سنة ١٨١٥ استرجعت
اوستريا ولاياتها القديمة ما عدا دائرة بورغونيا فانها استعاضتها بمملكة
لومبارديا وفينيس اي البندقية

وسنة ١٨٤٨ عقب الثورة الفرنسية نبغ في اوستريا ثورة تعرف
بثورة اللومباردية والبندقية كان المقصود فيها خلع سلطة النمسا والاتصاق
بايطاليا لانهما فرعان منها. واذ كان النمساويون غير مرتضين من سياسة
مترنيخ الوزير قاموا هم ايضاً في مدينة فيانا واطهروا العصيان. فألزمت
العائلة الامبراطورية مترنيخ ان يتنازل عن وظيفته فتنازل وهرب الى
انكلترا. اما الامبراطور فردينند الاول فاذا لم يقدر على تهدئة الشعب
ترك هو ايضاً فيانا وذهب الى اينسبروك حيث اقام نحو ثلاثة اشهر. ثم
رجع الى العاصمة بطلب من الاهالي ولكن اذ رأى ان روح الثورة لم
يزل متقدماً في قلوب الشعب اخذ عائلته ووزراءه وذهب الى اولوتر
واقام الحصار على فيانا وبعد قتال شديد دخلتها جنوده واخضع اصحاب
الفتن. ولما حصلت الراحة في البلاد تنازل فردينند الاول عن تاج
السلطنة لابن اخيه فرنسيس يوسف في ٢ كانون الاول من سنة ١٨٤٨
وهو الامبراطور المستولي الان

وسنة ١٨٥٩ نبغ النزاع بين سردينيا والنمسا بسبب بعض املاك
ايطالية واغراض سياسية افضى بهم الى القتال رغماً عن كل الوسائط
التي استعملتها الدول المتحابة لحفظ السلام. واذ كانت فرنسا تريد مساعدة
الاطالائيين في حصولهم على حريتهم نهض نابوليون الثالث لمساعدة
سردينيا واستظهرت الدولتان المتحلفتان على اوستريا في واقعتي ماجنتا
وسولفرينو ثم عقد نابوليون صلحاً مع امبراطور النمسا بعد ما حصل منه
على تنازل عن الجانب الاكبر من لومبارديا الى ايطاليا وانسحبت عساكر

الفر يقين بعدما نودي باسم فيكتور عمانوئيل ملكاً على لومبارديا. اما فيس
 فتح انها بقيت تحت تسلط اوستريا اشترط دخولها في الاتحاد الايطالياني
 ولما كانت العداوة بين دولتي النمسا وبروسيا متأسمة من قديم
 الزمان بسبب الرياسة على الممالك الجرمانية. وكانت ايطاليا ترغب استخلاص
 عمالة البندقية من النمسا وقعت المعاهدة بين ايطاليا وبروسيا على محاربة
 النمسا فاصطلت نيرانها سنة ١٨٦٦ وانصر البروسيون على النمساوين في
 معركة شهيرة في سادوفا واستخلصوا منهم جملة اماكن انضمت الى بلادهم
 وحار التنازل لايطاليا عن البندقية وباقي لومبارديا. وبسبب الحروب
 المار ذكرها ترتب على النمسا ديون كثيرة ووقعت في الارتباك ولكن
 لحسن التفات امبراطورها وتدبيره الحكيمه اخذت البلاد تنخص
 من ذلك الارتباك وتقدم في سيرها ونموها في الثروة والاقتدار.

وفي ٨ حزيران سنة ١٨٦٧ توج هذا الامبراطور

ملكاً على بلاد المجر فصار لقبه سلطان

النمسا وملك المجر فازداد بسبب

ذلك دخل الحكومة

وسطونها

الفصل الخامس عشر

في مملكة روسيا

الباب الاول

في وصف هذه البلاد واهلها

هذه المملكة يحدها شمالاً بحر بلتيك ومملكة الدنيارك وشرقاً روسيا وجنوباً بلاد النمسا وبعض الممالك الجرمانية وغرباً مملكة البلجيك ودوكانو لوكزامبورج الكبرى وفرنسا . وكان عدد اهلها قبل حربها مع النمسا سنة ١٨٥٦ تسعة عشر مليوناً ولكن بعد ان انضمت اليها مملكة هانوفر واراخي شليسويك هولستين ولاونبرج وهس كاسيل وهس هامبورج وامرية ناسو ومدينة فرانكفورت وبعض اقسام بافاريا وغير ذلك من الولايات والاقاليم اتسعت املاكها وزاد عدد سكانها فصارت تحسب نحو ٣٥ مليوناً . اما انهرها وجبالها فتوسطة وهو اؤها بارد رطب ولكنه في النواحي الجنوبية معتدل وتربتها بالاجمال قليلة الخصب غير ان ما يخرج من زرعها يكفي لوازم اهلها ولبرد اقليمها ثقل بها زراعة العنب . ولكن الاقاليم التي على شاطئ نهر الرين تكثر فيها الكروم ويخرج منها العنب الجيد . ومن محصولاتها البطاطا واللفت والدخان وقصب السكر والعسل والقنب

والزعفران وفيها أيضاً الخليل والحزير والكهرباء . ومن معادنها النحاس والرصاص والشب وملح البارود والزاج والحديد والملح . والصنائع في بلاد بروسيا عظيمة متقدمة حتى انها تضاهي تقريباً صناعات فرنسا وانكلترا خصوصاً قماش الكتان والصوف والحزير والقطن واصطناع الاسلحة المتنوعة والقرطاس والساعات والبلور والحزف . والمطابع فيها عديدة والعلوم ناجحة والمدارس كثيرة بحيث قوانين البلاد تلزم الاهالي ان يرسلوا اولادهم للمدارس عقب بلوغهم سن الست سنين وقد بلغ عدد التلامذة سنة ١٨٦١ ثلاثة ملايين . والديانة العامة هي البروتستانية

ومن امهات مدن بروسيا مدينة برلين عاصمة المملكة وهي من المدن الظريفة ذات ابنية وقصور جميلة واسواق واسعة يحيطها سور له ستة عشر باباً واهلها يبلغون ٥٠٠ الف . ثم مدينة برساو وهي ثانية برلين في الاتساع وكثرة الاهالي وبها معامل وصنائع عديدة وتجارها كثيرة . ومدينة كونيبرج وهي مدينة ظريفة وعدد اهلها نحو ٨٠ الف نفس وبها قصر جميل للملك وكنيسة عظيمة جيدة البناء

اما الحكم فمن نوع الملكي المقيّد . وعساكرها كثيرة العدد نظراً لقوانينها وشرائعها لان كل رجل من الاهالي عند بلوغه السبع عشرة سنة يجب ان يدخل في العسكرية ثلاث سنوات وبعد ذلك يبقى رديفاً الى سن الثلاثين سنة وفي اثناء هذه المدة يلتزم ان يتعلم مرة واحدة في كل اسبوع وبهذه الوساطة ترى اكثر رجالها عسكرياً عند اللزوم والاحتياج وبالجملة ان عساكر هذه البلاد وشهرة قوادها وخبرتهم في امور الحرب تفوق باقي جنود اوربا كما اتضح من حروبها الاخيرة مع النمسا وفرنسا . ولكن بقدر ما قوتها البرية عظيمة ومنظمة بعكس ذلك عايرتها البحرية . اما الآن فهي مجتهدة في تكثير مراكبها الحربية وقد خصت مبلغاً جسيماً لبناء سفن جديدة مدرّعة اقتداءً بياقي الدول

وتنقسم هذه المملكة الآن الى تسع ايلات وهي بروسيا وبوزن
وبرندا بوج وبوميرانيا وسيليزيا وساكونيا ووستفاليا والرين وهونزولرن
والغة هذه المملكة هي اللغة الجرمانية ولكنه يوجد في اطرافها اقوام من
الصقالبة الذين لم يزالوا يتكلمون بلغتهم الاصلية

الباب الثاني

في تاريخ مملكة بروسيا

انه في القرن الاول من الميلاد جاء قوم من اللومباردين وجماعة من
قبائل الصواب والفندال واستوطنوا ايالة براندبورج التي هي من جملة
ايلات بروسيا المار ذكرها ومكثوا سوية الى القرن الخامس حينما نهض
الفنداليون وطردوا تلك الشعوب من بينهم واستقروا في تلك الايالة
واخضعوها لانفسهم الا أنهم لم يمكثوا بها زماناً طويلاً حتى دهمهم الرومانيون
فاخضعوهم واستولوا عليهم . ثم جاء بعد ذلك شارلمان ملك فرنسا وضم
تلك البلاد الى سلطنته ومن بعده اخذت تناوفا بعض امراء المقاطعات
الجرمانية الى ان دخلت في ايدي البرت الملقب بالدب في ايامه تهذبت
اخلاق اهلها واعتنقوا الديانة النصرانية بعد ان كانوا وثنيين . ثم في القرن
الخامس عشر لما كانت سيجرmond امبراطوراً على المانيا اقام فريدريك
السادس من عائلة هونزولرن حاكماً على ايالة براندبورج فاشتراها منه بمبلغ
٣٠٠ الف فيوريني واخذ لقب اليكتور حسب العادة الجارية في تلك
الايام وتسعى فريدريك الاول من براندبورج وجميع حكام بروسيا وملكها
من ذلك الوقت الى الآن هم من ذرية هذا الامير

وكانت يومئذ ايالة براندبورج منقسمة الى ثلاثة اقسام وهي المارش القديمة الكائنة غربي وادي الالب والمارش المتوسطة بين وادي الالب ونهر الاودر . والما المارش الجديدة فلم تنضم اليها الا سنة ١٤٤٥ في ايام فريدريك الثاني الملقب بسن الحديد عندما استخلصها من الكنتالارية التوطونيين الذين كانوا مستولين على ايالة بروسيا المنفصلة عن باقي الايالات الجرمانية

واما السبب في تسمية هذه الايالة ببروسيا فهو انه بعد خروج الامم الغوثية منها اغار عليها جماعة من السلاف الذين كانوا يسكنون وادي الفيستول وكان يقال لهم بروسي فامتلكوها وتسمت باسمهم وكانوا من البرابرة عابدي الاوثان . وفي اواخر القرن الثالث عشر اخضع هولاء القوم قبيلة التوطونيين التي كانت في محاربة المسلمين في فلسطين واستولوا على بلدانهم وحكموها . وكان قائدهم يسمى هرمن سالزا فجعل دار اقامته في مرينبورج سنة ١٣٠٩ . ثم تواردت عليهم طوائف الالمان التي في جوارهم فسكنت بينهم وفي مدة قصيرة تحسنت احوالهم وكثر عددهم ونمو قوة وغنى وابتنوا لهم مدنا وقرى . ولكن اذ كانوا لا يحسنون التصرف مع الرعايا ويكثرون في ظلمهم نهض الاهالي للتخلص منهم واستعانوا باهل بولونيا عليهم فساعدوهم على قتالهم حتى ظفروا بهم وتخلصوا من حكمهم سنة ١٤١٠ . وبعد محاربات اخرى بينهم وبين باقي طوائف البلاد المختلفة انقسمت بروسيا الى قسمين غربي وشرقي فالاول تبع مملكة بولونيا والثاني بقي يدا ولاته باسم بروس التوطوني تحت حماية بولونيا

وسنة ١٥٢٥ استولى زمام القسم الشرقي الامير البرت من عائلة براندبورج السالف ذكرها فاستقل به واورثه لذريته ومن ذلك الوقت صارت تلك الايالة معروفة بدوكانو بروس يتناولها حكام ايالة براندبورج الذين ائتمروا ادارتها وسعوا في نفوذيتها حتى صارت من الامريات المتسعة

ذات سطوة وشوكة يتبعها جملة ملحقات . في سنة ١٦٨٣ لما كان فريديريك الثالث اميراً على امرية بروسيا وليوبولد امبراطوراً على السلطنة الجرمانية اعان فريديريك ليوبولد على محاربة الاتراك . وتحالف معه سنة ١٧٠٠ ضد لويس الرابع عشر ملك فرنسا في حروب وراثية اسبانيا فمقابلته لتلك الخدمة طلب من الامبراطور ان يلقبه ملكاً فاجاب طلبه . وسنة ١٧٠١ لقبه ملكاً تحت اسم فريديريك الاول فصارت بلاده مملكة مستقلة من ذلك اليوم واعترف بنتويجه جميع دول اوربا بحكم وعدل واثقن احوال المملكة وسعى في ترقية اسباب تقدمها ثم توفي سنة ١٧١٣

وجلس بعده على كرسي المملكة ابنه فريديريك غليوم الاول ولم يكن ميله كايه الى امتداد التمدن والمعرفة بل اتجهت امياله الى الامور الحربية والتراتب العسكرية والاعمال الجسدية . وكان دابه التفتيش على من كانت ابدانهم واجسادهم قوية وقاماتهم طويلة فيأتي بهم ويدخلهم في سلك عسكره . وكان لهذا الملك الاي مخصوص خدمته من نخب الرجال واطولهم قامه يبلغ طول الرجل ثلاثة اذرع ونصفاً . ومن جملة مزاياه انه كان محباً للمال لا يطيق ان يرى انساناً كسلاناً بدون شغل وكثيراً ما كان يحمل عصاه ويدور في اسواق برلين وحيثما وجد شخصاً بلا شغل ضربه ضرباً مؤلماً

وبعد موت فريديريك غليوم الاول خلفه ابنه فريديريك الثاني الملقب بالكبير سنة ١٧٤٠ وكان شديد الباس عالي الهمة وفي السنة الاولى من حكمه توفي الامبراطور كارلوس السادس من عائلة اوستريا تاركاً السلطنة لابنته ماريا تريزا واذ كانت المذكورة في ارتباك عظيم من جهة احوال المملكة وسياستها انتمز الملك فريديريك تلك الفرصة وادعى بحقوقه في ايالة سيليزيا فزحف اليها بالعساكر وامتلكها وضمها الى مملكته . واذ نهضت الملكة المذكورة لقتاله واسترجاع تلك الايالة

حاربها وانتصر على جيوشها في فريدبرج سنة ١٧٤٥ ثم عقد معها شروطاً في مدينة دريسد تتضمن تنازلها له عن الايالة المذكورة. وكانت همة فريدريك لا تقتصر عن اصلاح حال المملكة طرفه عين فيذل غاية جيده في ترقية التجارة والصنائع المختلفة والفنون والعلوم خصوصاً في التنظيمات والترتيبات العسكرية. فاصبحت البلاد في ايامه في اعلى درجة من المجد والعز والشوكة والغنى فاحدقت بها عين الجميع وحسدها الحاسدون وخافها أكثر الملوك وتظاهروا ضدها ولاجل تنكيس سطوتها اتحد على حربها ومقاومتها فرنسا والنمسا وروسيا ثم ساكسونيا واسوج فانقضت جيوشهم بعضها مع بعض وشهروا على فريدريك الحرب وهي المعروفة بحرب السبع سنين وقاتلوه فانصر عليهم في بعض الوقائع ولكنهم اخيراً استظهروا عليه واستخلصوا منه عدة اماكن ومدائن حتى اوشكت مملكته تقع في ايدي المتحدين. ولكنه شمر اخيراً عن ساعد العزم والثبات واقبحم صفوف النمساويين والفرنساويين سنة ١٧٥٧ في روسباخ ففتك بهم فتكاً عظيماً واخذ في استرجاع املاكه شيئاً فشيئاً. وسنة ١٧٦٣ عقد صلحاً مع الدول المذكورة واقروا له بايالة سيليزيا التي كانت في اول الامر سبباً لهذه المنازعة. وبعد خروج فريدريك من هذه الحرب المستطيلة حول التفاته الى داخلية بلاده ورجع الى ما كان عليه من الاصلاح والتحسين فاجد فيها السعة والتجاح وضم اليها سنة ١٧٢٢ القسم الغربي من بروسيا وبعض الاقاليم والمخقات وذلك عند انقسام اراضي بولونيا. وما يستحق الذكر انه كان قد شرع يوماً في بناء قصر عظيم للنزهة في بستان كثير الاشجار والزهور وكان بجانب ذلك البستان طاحون تدور بالهواء لرجل من عامة الناس وكانت تضر بنضارة القصر لقربها منه فارسل فريدريك بعض غلمانه ليشتريها له من صاحبها بالثمن فاجى ولم يقبل فضاغف له في ثمنها فامتنع ايضاً ولما بلغ فريدريك ذلك استعظم الامر واستدعى الرجل

اليه وقال له ماذا يمنعك عن بيعها وقد ضاعفت لك في ثمنها فاجابه ياسيدي انها عزيزة عليّ وهي عندي بمنزلة قصرك بوتسد . فازداد الملك تعجباً من جسارته وقال له يا جاهل ألا تعلم اني قادر على اخذها منك غصباً وقهراً . فاجابه الرجل نعم كان يمكنك ذلك لو لم يكن عندنا قضاة في برلين . فتبسم الملك والتفت الى من حوله من الوزراء والاعيان قائلاً لقد صدق الرجل في كل كلامه ثم اطلقه و بقيت الطاحون كما كانت الى هذا العصر شاهدة على حلم هذا الملك وعدله واستمر فريدريك المذكور بالملك الى ان مات سنة ١٧٨٦ في عزه واقبال

ثم خلفه ابن اخيه فريدريك غليوم الثاني وكان منعكفاً على الملاهي واللذات غير ملتفت لصالح البلاد وراحة العباد وفي ايامه انقسمت پولونيا ثانية سنة ١٧٩٣ وحازت بروسيا على جميع اقاليم پولونيا الكبرى وغيرها من الاراضي . وكان هذا الملك قد عول على محاربة الجمهورية الفرنسية ولكنه عدل اخيراً عن قصده وتوفي سنة ١٧٩٧ بعد ما حكم ١١ سنة . وخلفه ابنه فريدريك غليوم الثالث الذي في ايامه وقعت حروب نابوليون الشهيرة وخسرت بروسيا خسائر جسيمة اذ قتل من جيشها في معركة يانه سنة ١٨٠٦ نحو عشرين الف نسمة وكانت الاسرى اضعاف هذا العدد ودخل الفرنسيون برلين فاستولوا عليها وعلى غيرها من المدائن . وسنة ١٨٠٧ فقدت بروسيا جميع املاكها في ايطاليا وسفاليا وفرانكونيا ثم خسرت ايضاً پولونيا الكبرى التي اعطاها نابوليون للملك ساكسونيا بعد ان جعلها اميرية ولقبها بامرية فرسوفيا ولكنها الغيت سنة ١٨١٥ واقتسمتها بروسيا . وفي سنة ١٨١٤ وقع ايضاً بين بروسيا وفرنسا حروب مهلكة خسرت فيها بروسيا خسائر ليست بقليلة فقل اعتبارها وسقط رونق مجدها غير انها في السنة التالية بعد انتصارها مع باقي الدول المتحدة على الفرنسيين في واقعة واترلو وسقوط نابوليون اخذت بثارها

ودخلت عساكرها مدينة باريس واسترجعت اراضيها واملاكها وشرع ملكها فريدريك المذكور من ذلك اليوم باصلاح حال المملكة وبذل غاية الجهد في ارجاعها الى ما كانت عليه . وكان غيوراً ومحباً لرعاياه لا يفترعن خبيرهم الروحي حتى انه كان يوزع عليهم الكتب المقدسة . ثم توفي سنة ١٨٥١ تاركاً الملك لابنه فريدريك غليوم الرابع

فحكم هذا الملك الى سنة ١٨٥٨ واطاف الى مملكته امارتي هوهنزولرن سنة ١٨٥٨ ثم اعتراه مرض في دماغه واشتد عليه حتى انه لم يعد يمكنه الانتباه الى مهام المملكة فتولج اخوه مكانه نائباً وما زال الحال يشتد على الملك الى ان توفي في ٢ كانون الثاني سنة ١٨٦١ واستبد اخوه بالملك بعده تحت اسم غليوم الاول . وكان قبل جلوسه على سرير الملك ازوج ابنة البكر وريث عهده البرنس فريدريك غليوم ابنة ملكة انكلترا في بداية سنة ١٨٥٨ فكان ذلك من جملة اسباب التحالف والتعاقد بين الدولتين

وقد اشتهر هذا الملك بين الناس في حسن السيرة والسريرة ولاسيما في انصيا به على ترقية اسباب تقدم شعبه ونجاحهم . ولكن لما كانت البواطن غير راقية بين دولتي النمسا وبروسيا بسبب خصومتها واختلافها على السيادة والرياسة في قيادة الممالك الجرمانية انفجرت بينهما منازعات شديدة سنة ١٨٦٦ افضت بها الى شهر السلاح ومحاربة بعضهما بعضاً فكانت الدائرة في ذلك على النمسا في واقعة سادوا فارتفع شان بروسيا في ذلك الاستظمار واطافت الى املاكها جملة اراضي واما كن كما لمحنا عن ذلك في جغرافية هذه المملكة وعقدت اتحاداً عامًا مع ممالك وامريات ومدائن جرمانيا الشمالية وابطلت من ذلك الوقت اسم بروسيا واطلقت على ذاتها اسم اتحاد شمالي المانيا

فلما حصل البروسيون على هذه الشهرة والنفوذ والقوة تحرك فيهم روح

أخذ الثار من أعدائهم الفرنسيين الذين ظلوا اضطروا بهم في أيام نابوليون
الاول . فكان هذا الروح عاما في بروسيا وباقي البلاد الجرمانية وكان
الجميع ساعين ومنتظرين الفرصة المناسبة ليس لفتح الحرب ولكن لمقاومة
فرنسا عدوتهم القديمة التي لم تكن مسرورة من نجاحهم ولقد همهم .
فاستمرت هذه الاحساسات مكنونة في صدور الامتين الى ان نبغت
قضية انتخاب البرنس ليوبولد هوهنزولرن الجرمانى تحت مملكة اسبانيا .
فنهضت فرنسا لمقاومة هذا المشروع الذي من شأنه ان يزيد جرمانيا
سطوة ونفوذاً ويعرض فرنسا الى عواقب ردية اذ يجعلها بين امتين
قويتين متحدين في سياسة واحدة فوقع حينئذ النزاع بين فرنسا وبروسيا
واعلنت هذه الاخيرة عدم مداخلتها في ذلك الامر . واخيراً اذ رأى
البرنس ليوبولد ما وقع من الخصومة بين الدولتين بسببه رفض انتخاب
الاسبانيون له وحرر لهم بعدم قبوله وكان يظن ان المشكل قد انقضى .
ولكن لم تكتفِ فرنسا بهذا التنازل وكانت تريد ان بروسيا تعهد لها
بمنع امراء الجرمانيين ان يقبلوا تاج اسبانيا في المستقبل فلم تقبل بروسيا
ان تعطي تعهداً عليها في ذلك واذا تشبثت فرنسا بطلب التعهد المذكور
بواسطة سفيرها في برلين موسيو بنديتي الح المذكور على الملك غليوم
الاول الحاحاً يفوق حدود اللياقة فزجره الملك رافضاً ذلك الطلب .
حينئذ نادى فرنسا بالحرب ونهض القومان للقتال واصطلت بينهم
نيرانه سنة ١٨٧٠ فاستظهر البروسيون في اغلب وقائعهم وكانوا يتقدمون
على الاراضي الفرنسية ويستولون على قلعهم وحصونهم الى ان استولوا
في ٢ ايلول على امپراطورهم نابوليون الثالث في واقعة سيدان المملكة مع
عدد عظيم من الاسرى . ثم تقدموا بجمعهم الى باريس وبعدها حصار ١٣١
يوماً افتحوها في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٧١ . حينئذ عقد صلح بين
الدولتين تحت شروط معلومة اخصها ان فرنسا تسلم بروسيا ولايتي

الالزاس وخمس اللورين وتدفع لها فوق ذلك مبلغاً مقداره خمسة الاف مليون من الفرنكات في مقابلة مصاريفها . ومن يجب ذكرهم من مشاهير رجال بروسيا في القرن التاسع عشر الجنرال مولتك قائد الجيوش والبرنس بسمرك قائد السياسة الفريد

الفصل السادس عشر

في تاريخ روسيا

الباب الاول

في جغرافية هذه المملكة

انه لا يمكن تعيين حدود هذه المملكة في الازمنة القديمة اذ لم يكن لها حدود طبيعية كما في الازمنة المتأخرة نظراً لما كانت عليه من الاقسامات والتقدم والتأخر . اما حدودها الآن فمن الشمال البحر المتجمد الشمالي ومن الجنوب البحر الاسود واوستريا وسلطنة آل عثمان ومن الشرق بحر قزوين او الخزر وجبال اورال الفاصلة بينها وبين املاكها في اسيا ونهر دون ومن الغرب بحر بلتيك واسوج وروسيا واوستريا وبعض البلاد العثمانية . وهي اوسع ممالك الارض لامتدادها في اوربا واسيا ويحدها في اسيا

بعض المملكة العثمانية والفرس وتركستان والصين وعدد شعوب هذه السلطنة بحسب تعداد سنة ١٨٦٧ بلغ نحو ٨٢ مليوناً وهذا يباينه

الف	مليون
٣٧٠	٦٩ في روسيا في اوربا بما فيه بولونيا
٨٣٥	١ امرية فينلاندا
٦٦٢	٤ حكمدارية القوقاس
٣٣٠	٣ سيبيريا
٧٤٠	٢ اواسط اسيا
٩٣٧	٨١

واكثر اهالي هذه البلاد من طائفة الروم وفيها ايضاً من جميع طوائف العالم والحكم فيها من نوع الملكي المطلق وكانت اكثر الرعية بمنزلة العبيد للاشراف واعيان البلاد الذين كانوا يجورون عليهم ويستعبدونهم ولا يرغبون في تهذيبهم وتجاوهم. ولما تولى الامبراطور اسكندر الثاني اعتقهم من نير هذه العبودية العنيفة بالامر الذي اصدره في التاسع عشر من شهر شباط سنة ١٨٦١ ومن جرى هذا العمل الحسن المهم الذي اجراه الامبراطور امسى في خطر من مظالم الاشراف الذين لم يرتضوا بهذا الاصلاح لانهم لم يكونوا يهتمون سوى في صوالحهم الخصوصية قاطعين النظر عن صوالح البلاد وتقدم الرعايا وكثيراً ما تهددوا امبراطورهم وصمموا على قتله من هذا القبيل فنجاً مراراً من اشراك المنية التي نصبوها له

ثم ان اهالي روسيا منقسمون الى خمس طبقات وهي الاشراف وخدمة الدين والبورجوا اي اهل الحضرة واهل البادية والقرى وهم قسماً احرار ومستعبدون واما الآن فجميعهم احرار كما تقدم آنفاً. والامبراطور عندهم هو رئيس الكنيسة من عهد بطرس الاكبر وبعينه في ادارة مهامها

السينيدوس اي المجلس الديني . ويختلف التمدن في هذه المملكة باختلاف البلدان ومواقعها وعاداتها . اما العلوم والفنون وآداب وسائر الحرف والصناعات فليست بنامية الا في مدن مخصوصة

اما اراضي هذه البلاد فواسعة جداً وذات سهول عظيمة جداً تصلح للزرع وكثير منها مكتسبة بالعشب ترعاه المواشي ومنها مقفر لا نبات فيه وغير صالح للزرع . وفي اراضيها كثير من انواع المعادن والحيوانات المختلفة وحواصلها كثيرة جيدة على ان كثرة الظلم هناك اخرت الناس عن التقدم والاتساع في الغنى . وانهر هذه البلاد كثيرة وعظيمة وجبالها ايضاً لكنها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد . اما هواؤها فيختلف بحسب مواقع اجزائها فهو بارد جداً في الشمال وبعثد في الجنوب و يشتد البرد في ثلاثة ارباع السلطنة في الاقل مدة تسعة شهور من السنة و يعقبها صيف في غاية الحر والقصر . وفيها الآن عدة مدارس كلية وجزئية ولم يزل امبراطورها مجتهداً في تحرير ادارة لائحة فيما يخص بتعليم العامة واما الصنائع فيها فلم تزل منخطة عن باقي الممالك الاوربية بمراحل . وفي هذه المملكة عدة مدن معتبرة قاعدتها مدينة بطرسبرج وكانت عاصمتها اولاً مدينة موسكو القائمة في وسط سهل وسيع جداً في قلب المملكة . ولم يزل الجانب الاعظم من الروسيين الى الوقت الحاضر في حالة الخشونة ما عدا سكان بعض المدن المعتبرة

الباب الثاني

في اصل الروسيين و بدهاءة مملكتهم وديانتهم وعوائدهم من
قبل الميلاد الى سنة ١٤٦٢ للميلاد

ان هذه المملكة الواسعة العظيمة كانت في العصور القديمة مقراً للجملة
قبائل رُحَل مختلفة الاجناس والمذاهب والعوائد وافوا من اماكن مختلفة بعد
تفرُّق بني نوح وقيل ان بعضهم متسللون من جومر بن يافث بن نوح الذي
سكن نسله عند شطوط بحر بلتيك . واقدم تلك القبائل قبيلة السلاف ولم
يُعرف قديماً من اهل هذه المملكة الا سكان الاقاليم الجنوبية وكان
القدماء يسمون هذه الجهة باسمي سكيثيا وسرماتيا من دون تحديد معلوم
والقبائل المستوطنة بها كثيرة منها الروكسلان والسرمات والكيمريس
واليازيج والاغاتريس وغير ذلك ومن ثم وافاهم لقيف من طوائف مختلفة
كالفينية والتتر والقلمون والمغول والاتراك وغيرهم ولذا قيل لهذه البلاد
روسيا اي القبائل المنتهية . وكانوا قديماً على مذاهب مختلفة فمنهم من عبد
الاصنام ومنهم من عبد النار وغير ذلك من العبادات الخشنة . واما
عوائدهم فكانت من هذا القبيل ايضاً فكان الوالدون يقتلون بناتهم
خوف الفضيحة والعار والاولاد يقتلون والديه منى شاخوا وعجزوا لكي
يتخلصوا من الاهتمام بالقيام في امر معيشتهم . وكانوا يحرقون جثث موتاهم
الى غير ذلك من الامور المنكرة . وكان الروسيون القدماء على جانب عظيم
من البسالة والشجاعة وداهبهم الصيد والغزو وشن الغارة على من جاورهم من

الامم والقبائل

ثم انه في القرون الاولى من السلطنة الرومانية اغارت قبيلة السمرات (وهم فرع من السلاف سكان شمال روسيا الاصليين) على الجيات الجنوبية المتقدم ذكرها واستولوا عليها واستمرت خاضعة لهم الى القرن الثالث للميلاد حين هجمت عليهم امم الغوثيين وتغلبت على اكثر القبائل النازلة بين بحر بلتيك والبحر الاسود وتكون من ذلك بين انهار الفولكا والدينير والنييمن والدون مملكة عظيمة شملت جميع ما يعرف اليوم بروسيا في اوربا واستمرت الى سنة ٣٧٦ للميلاد الى ان خرجت عليها امة الهونيين واسقطوها فاستمرت بعد ذلك مدة اربعة اجيال ممرًا للامم الواردة من الشرق الى اوربا ومرسحًا للقلاقل والاضطرابات الدائمة بين الامم المتنازعة فيها. ومع تلك القلاقل والاضطرابات المتعاقبة قد تأسست فيها في القرن السادس مدن معتبرة واشهرها نوفوغرود الكبرى وكيف وكانت الاولى اشهر من الثانية حتى كان يقال من ذا الذي يجامر على الله ونوفوغرود الكبرى. ولما آل امر الروسيين الى تلك الحالة من تمزيق سلطنتهم وتنازع الامم الاجنبية فيها فلكي يتخلصوا من تلك المشاق والمضار اجتمعوا على ان يقيموا لهم ملكًا ليسوس احوالهم ويدبر امورهم فارسلوا وفدًا الى امة القاراك وهي من القبائل الجرمانية الساكنة عند شواطئ بحر بلتيك وطلبوا اليها ان تعطيهم ملكًا يملك عليهم. فاتاهم ثلاثة اخوة اسم احدهم روريك والثاني سيناوس والثالث تروفور وذلك سنة ٨٦٢ للميلاد ومن هذا الوقت يتبدى في روسيا تاريخ حقيقي متتابع اما المؤرخون فلا يحسبون بداءة التاريخ الرومي الا من اواخر القرن العاشر للميلاد حين تنصر ملكها فلاديمير الاول

فاقام الاخوة الثلاثة المذكورون كل منهم على مقاطعة وكان روريك احذقهم واعظمهم سطوة فاستولى على نوفوغرود بلقب الدوك الاكبر وسنة

١٦٤ توفى اخواه المتقدم ذكرهما واستبد بالحكم وحده واتحدت جميع القبائل الشمالية تحت سلطته واستولى على مدينة كييف ومن ثم اهتم في اصلاح حال بلاده وتحسينها وقاية من هجمات الامم المتبربرة وغارتهم الى ان مات سنة ١٧٩ وهو يعدُّ اول مؤسس لدولة روسيا. وبقي الملك بيد ذريته من بعده زماناً طويلاً وامتدت سلطتهم في وقت قريب حتى استولوا على القسم الجنوبي من روسيا واستقرت حكومتهم في كييف ولم يزوالوا على العبادة الوثنية الى ايام فلاديمير الاول الملقب بالكبير الذي استولى عليهم سنة ٩٨٠ فازدادت شوكتهم وعظمت سطوتهم وقد غزا فلاديمير المذكور بعض املاك السلطنة الرومانية الشرقية وضابق مدينة القسطنطينية بخاف اهلها وساعدته التقادير ففتح بعض املاكها وعقد الصلح مع الامبراطورين باسيليوس وقسطنطين بشرط ان يتزوج بشقيقتيها الاميرة حنة فتم ذلك وردَّ الى اخويها ما كان قد استولى عليه من اراضيها وبلاعا الى مدينة كييف تصرف في محفل حافل واتمدى به الجانب الاعظم من رعاياه ومن ثم شرع في سحق وملاشاة الاصنام التي كان يعبدها سابقاً

وكان يومئذ على القسطنطينية بطريك يدعى فوتيوس فطلب اليه فلاديمير ان يرسل الى بلاده كهنة من لدنه لتنصير الاهالي وتعليمهم فبعث البطريك المشار اليه اسقفاً يدعى ميخائيل سيرا واردفه ببعض الكهنة لينذروا الروسيين ويلقوا التعاليم الارثوذكسية في كنائسهم ويضموها الى بطريركية القسطنطينية فكان كذلك وخضعت كنائس روسيا الى بطاركة القسطنطينية الى سنة ١٥٨٨ ولذا استعمل الروسيون في لغتهم حروفاً هجائية من اللغة اليونانية الا ان اساس لغتهم السلافية بقي على ما كان عليه ما عدا بعض كلمات تتعلق بامورهم الدينية الكهنوتية ومن التاريخ السالف ذكره اي من سنة ١٥٨٨ انفصلت كنائس روسيا

عن الخضوع لبطاركة القسطنطينية واستقلت بنفسها واقم عليها بطريركاً
 خصوصي^٢ من نفس البلاد فمن ذلك الوقت اخذ بطاركتها السيادة على
 باقي البطاركة

وبعد ان استقلت بطاركة هذه الدولة واغتنوا خامرهم طلب المجد
 والسطوة ورفعة الشأن فصاروا يتداخلون في الامور السياسية التي ليست
 من تعلقاتهم ويشاركون ملوكهم في احكامهم لابل تطلبوا السيادة
 عليهم تحت برقع الديباجة حتى كان الملك يمشي يوماً في السنة بين يدي
 البطريرك مترجلاً مكشوف الراس قائداً فرسه الى الكنيسة . واتصل بهم
 الحال ان ادعى احد هولاء البطاركة المدعو نيفون بان تحت الطريركية
 هو اعلى مقاماً من تحت الملك وزعم انه لا يجوز فتح حرب او عقد صلح الا
 برأيه فنتج عن ذلك قن وتعكيرات كثيرة كما حصل في ممالك اخرى من
 مطامع خدمة الدين . ودام حال هولاء البطاركة على هذا المنوال
 الى عهد بطرس الاكبر حين ابطال وظيفة البطريركية وابدلها بالاسقفية
 وجعلها خاضعة للحكم المدني كسائر الرعية الامر الجاري الى هذا اليوم
 وما برحت شوكة الروسيين تزداد في مدة فلاديمير الكبير الى ان توفي
 سنة ١٠١٥ . وهو ذاهب لاختضاع احد بنيه الذي كان قد عصى عليه .
 وكان لفلاديمير اثنا عشر ولداً فوقع بينهم الشقاق بعد موت ابيهم وبعد
 ما كانت البلاد قد اخذت في الاتحاد والتقدم في عهد ابيهم امست بعد
 موته في حالة الارتباك ومع ذلك ارتفع شأن روسيا وازدادت شوكتها
 زماناً قليلاً في مدة الامير الاكبر ياروزلاف الاول صاحب شرائعهم
 واحكامهم وذلك من سنة ١٠١٩ الى سنة ١٠٥٤ ايم ثم بعد ذلك باتت
 في اسوأ حال فافدة ما كانت قد حصلته من السطوة ورفعة الشأن
 وشبت فيها نيران الحروب الاهلية التي اهرق فيها انهر من الدماء وذلك
 بسبب عادتهم السيئة من تقسيم المملكة بين امراء العائلة الملكية . فان كل

امير منهم كان يستولي على اقليم بما فيه ويستبد فيه على نوع ما وهكذا كان يعطى ايضا للاناث عند زواجهن فكان ذلك داعياً لشبوب نيران الحروب الاهلية التي انقسمت بها المملكة الى اقسام عديدة بتعذر بسببها اتحاد السلطنة فبقيت مدينة كيف مقراً للدوك الاكبر وبقية الاقسام تحت سلطة امراء من تلك العائلة ومع هذا الاضطراب الذي كان داخل المملكة كانت الغارات الشرقية تتداول عليها . ولكن بينما كانت آخذة ثانية في الاتحاد والنمو وسائرة في طريق النجاح دهما من سنة ١٢٢٤ وصاعداً ما لم تكن تترصده من البلايا والمصائب العظيمة التي انت البلاد بالويل والهوان

وذلك انه كان في تلك الاثناء قد ظهر في العالم الشرقي جبار عظيم يقال له تيموتشين الذي تلقب فيما بعد باسم جنكيز خان اي الامير العظيم فهذا الجبار المغولي الذي كان قد نشأ من حالة بسيطة بعد ان تغلب على الجانب الاعظم من العالم الشرقي حوّل افكاره ونظره ووجه سهامه نحو الامصار الغربية وارسل جيشاً سنة ١٢٢٣ لبلاد تحت امره اثنين من عظماء رجاله لغزو بعض الاقاليم الروسية الشرقية . فتقدم القائدان المذكوران بجيوشهما ولما صارا على الحدود ارسلوا وقد ادى الى بعض القبائل الروسية به يطلبان منهم الخضوع والامتثال الى بعض الشروط فغضب الروسيون من وقاحة التمر وتمنعوا من قبول مطالبهم وقتلوا الرسل . فلما بلغ ذلك القائدين المتقدم ذكرهما غضباً لامزيد عليه ونهضامن ساعتها وزحفاً بجيوشهما الجراراة فانتشروا كالجراد في تلك البلاد واخذوا في تدمير الاماكن التي يطأونها محتربين وناهيين وقتالين ما وجدته ايديهم غير محترمين لاشيخاً عاجزاً ولا طفلاً قاصراً ولا صبية ولا امرأة وانسدوا مدناً كثيرة واضرموا فيها النيران وبعد ان غنموا غنائم جسيمة قفلوا راجعين الى سيدهم جنكيز خان فالتقاهم احسن

ملتقى وانعم على القائدين ووهبهما هبات كثيرة ووهب العساكر الجانب
الاعظم من السلب

اما الروسيون فظنوا ان ما جرى كان نهاية البلايا التي حاقت بهم
وان التتر لا يعودون الى عمل ما قد عملوه فلم ياخذوا الاحتياطات اللازمة
من هذا القبيل لاسيا في الاماكن التي لم تطأها ارجل التتر وحسبوا ان
ذلك امر لا يعند به ولكن جاء الامر بخلاف ما توهموا اذ لم تطل مدة
غياب اولئك القوم الفاتكين حتى وافوهم ثانية وعملوا من الفظائع والخراب
والتدمير وانزلوا بالروسيين من البلايا ما يعجز القلم عن حق وصفه واسس
باتوخان بن جنكيز خان في القسم الجنوبي من روسيا السلطنة العظيمة
المعروفة بسلطنة كجوك وصار الروسيون يحملون الخراج الى التتر ثم في
سنة ١٢٤٠ استولى باتوبين توشي احد امراء المغول على امريه كيف
فامست روسيا على نوع ما مملكة تترية ولم يبق منها مستقل بامره الا
موسكو التي تاسست سنة ١١٤٧ والتي لقب صاحبها سنة ١٣٢٨ بامم
الدوك الكبير وهذا ودامت حال روسيا على هذا المنوال بوادي امراؤها
الطاعة والخراج الى خانات التتر مدة اكثر من قرن وذلك من سنة
١٢٤٠ الى سنة ١٤٨١ بعد ان قام فيها ايفان الثالث فخررها من ثقل
تلك العبودية الجائرة

الباب الثالث

في ما جرى منذ تولى ايفان الثالث من سنة ١٤٦٢

الى سنة ١٥٨٤

قد ذكرنا في ما تقدم ان مملكة روسيا انقادت للتتر واستعبدت لهم زمناً طويلاً ثم تغير حالها بالكلية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر باستيلائها على عدة امريات وجمهوريات وذلك ان خاتنة هورده الكبرى الممبها الضعف لما وقع فيها من الشقاق والحروب الداخلية ثم بوقوع حروب اهلية في المغول والتتر واستيلاء تيمورلنك على بلادهم ارتفعت عن روسيا ربة العبودية وعظم شان دوكتها الذين كانوا يحملون الخراج لتلك الحكومة وقويت شوكتهم حيث انضم اليهم عدة امريات خصوصية كانت متحدة تحت حكومة روسيا الشمالية منذ مدة مستطيلة. ثم ان ايفان الثالث ابن باسيليوس الثالث وولي عهده الذي كان من اشهر امراء دولة روريك اخذ بزمام دوكية موسكو الكبرى سنة ١٤٦٢ للمسيح وله من العمر ٢٣ سنة فاقبل عليه الدهر وسالته الايام فانتهاز الفرصة من ذلك الوقت وسعى في تمكين حكومته وتوطيدها في داخل المملكة واخذ في توسيع دائرتها بالحروب والغارات وبعد عدة غزوات تغلب على نوفوغرود التي كانت يومئذ جمهورية قوية الشوكة تتظاهر بالاستقلال تظاهراً أكلياً فادخلها ايفان المذكور تحت الطاعة سنة ١٤٧١ ثم خرجت

عن طاعته سنة ١٤٧٨ فلحق حكومتها من الظلم والعسف مالا مزيد عليه وفقدت مجدها ومزاياها واملاكها وسقط رونق نغارها واخذت في الانحطاط والجمول يوماً بعد يوم حتى انه في اقل من مئة سنة اضمحلت بالكلية وصارت لاتعد من المدائن العظيمة

وكان ايفان الثالث اول من ابطال من حكام روسيا ما كان جارياً عندهم من العادة الموجبة للمذلة اذ كان يجب على الدوكات الكبار ان يخرجوا الى مقابلة سفراء خانات هورده التي لقبث هورده الذهب مشاة على اقدمهم بل رفض حكومتهم بالكلية وامتنع عن دفع الجزية التي كان يدفعها سلفاؤه الى حكومة كيجاك منذ بضعة قرون . في سنة ١٤٨٠ بعث اليه احمد خان سفراء من لدنه ومعهم رسالة مختومة باختم الملكي يطلب بها منه الجزية فرسى ايفان بالرسالة الى الارض ووطئها بقدميه وقتل الرسل جميعهم الا واحداً رده الى مولاه فكبر ذلك على الخان المار ذكره وعزم على الانتقام من ايفان في نظير هذه الاساءة فشن الغارة على روسيا وما زال يتقدم فيها حتى الى شواطىء نهر اوغرا فوقع هناك في ايدي الروسيين وقتلوه بعد ان كان هرب من ايديهم وامسكوه ثانياً وبموته انظفأت بهجة هورده ونغارها ولم تبقى من سلطنة كيجاك ذات الشوكة والمطوية الا بعض القبائل وهي قازان وازدراهان والقرم . وصار لايفان الثالث مهابة وحرمة عظيمة عند هولاء التتر لاسيما تترقازان الذين اخضعهم بعد مقاتلات كثيرة وضرب عليهم المال واستولى اخيراً على بلادهم ومن ذلك الوقت صارت قازان تابعة لروسيا وصار الدوك الكبير يولي عليها حكماً من طرفه وكان ذلك سنة ١٤٨٦ م . ثم ان ايفان فتح ايضاً جملة امريات وضمها الى مملكته ولم تات سنة ١٤٩٩ حتى تمت وحدة الحكومة الروسية في عهد ايفان الثالث فصار يحكمها امير واحد واكتسب ايفان شهرة عظيمة بما بذله من الجهد في جلب التمدن الى

بلادها وبما صدر عنه من الفتوحات وبما انشأه من التنظيمات والابنية
 الفاخرة منها صرح كرميلين وهو قصرٌ عظيم في مدينة موسكو سكنه
 القيصرية الروسيون الى عهد بطرس الكبير وحدث في سائر مواضع
 ادارته نظاماً جديداً وترتيباً عسكرياً وبالجملة هو اول من اسس لمملكة
 روسيا اركان عظمتها وفخارها ثم ادركته الوفاة سنة ١٥٠٥

ولا يخفى ان ملوك روسيا يسمون كزار او تزار ولعل ذلك مأخوذ من
 لفظة جار التي هي لقب لكل من تملك على مقاطعة قازان واول من تلقب
 بهذا اللقب ايفان الثالث بعد ان تلقب على قازان في القرن السادس
 عشر ثم صار يلقب به من خلفه في الحكم وربما ان كلمة تزار مأخوذة عن
 لفظة تراس التي يلقب بها ملوك الفرس او عن لفظة قيصر التي يلقب بها
 ملوك الرومان والروم ولم يكن يراد دولة روسيا في القرنين السادس
 عشر والسابع عشر للميلاد الا ٢٥ مليوناً من الفرنكات فشان بين الحالة
 التي كانت عليها حينئذ وبين حالتها الآن من الثروة والشوكة

وقد خلف ايفان الثالث ابنه باسيليوس او باسيل الرابع وفي السنة
 الثالثة من ملكه التجأ اليه امير بلاد بولونيا الذي اراد الاستقلال بالحكومة
 واستغاث به فانتصر له باسيل وشبت نيران الحرب ودامت مدة طويلاً وانتهت
 سنة ١٥٢٢ بانتصار الروسيين في اكثر المواضع وعمما قيل ادخل باسيل
 تحت طاعته ترقازان الذين كانوا قد تظاهروا بالبعيانية ثم ادركته
 الوفاة سنة ١٥٣٤ وفي ايامه ازدادت مملكة روسيا اتساعاً حيث انضمت
 اليها اميرية ريزان وبعد موت باسيل الرابع خلفه ابنه ايفان الرابع
 الملقب بالهائل تحت وكالة امه هيلانة اذ لم يكن له من العمر الا اربع
 سنين وكان الروسيون قد اعتادوا على ان ارامل ملوكهم يعتزلن في
 الاديرة ويتنازلن عن ابهة المنصب الذي فقدنه بموت ازواجهن فاغتاضوا من
 استيلاء امرأة على ملك وليد صغير فتعكرت ايام نيابة هيلانة ولكنها فازت

بالصعوبات التي حالت قليلاً دون المرغوب إلا أنها لم تمتنع مدةً طويلة
 باجتماع ثمة تعيها اذ ماتت بعد ذلك بربع سنوات . واذ كان ايفان
 لا يزال حديثاً وغير كفوء للقيام بادارة المملكة باتت الدولة في اختلال
 عظيم ولكن لما بلغ ايفان السنة الرابعة عشرة من العمر اظهر من الدراية
 والذكاء والثبات ما يفوق طاقة سنه فتولى ادارة المملكة وسعى في قتل
 ونفي ظلمته . وقع تعصبات اهل البغي والفساد وهكذا لما كان مضطراً منذ
 حادثته على اجراء الانتقام وايقاع الرعب في قلوب رعاياه تعود قساوة
 الاخلاق التي استحكمت الى الظلم وحب سفك الدماء ولذا لقب بالقاسي
 والهائل

وكان ترفازان يحملون مع الضمير ربة الخضوع التي الزمهم بها
 ايفان الثالث فنبذوها عنهم سنة ١٥٥١ فزحف ايفان الرابع في جيش
 كبير لاختصاصهم ثانية وبعدها انكسرهم في جملة مواطن فتح مدينتهم
 عنوة وباد حكومتهم . سنة ١٥٥٤ حارب ايمورغي امير استرخان واستولى
 على بلاده . سنة ١٥٥٥ وقعت حرب بينه وبين خان القرم فكانت الدائرة
 فيها على الاخير . سنة ١٥٥٦ اشهر غوستاف واصا ملك اسوج الحرب
 على روسيا اجابة لتوسل اهل ليثونيا الذين باتوا هدفاً لتهديدات الروسيين
 فارسل ايفان جيشاً الى فينلاندا فانتصر على جيش الاسوجيين بقرب
 ويربرج واذ لم يات الاسوجيين الامدادات التي كان الليثونيون قد
 وعدوا بها عقدوا مع ايفان الصلح سنة ١٥٥٧ على ٤٠ سنة . ثم تغلب
 ايفان على ليوانيا في السنة التي بعدها واستولى سنة ١٥٦٢ على جملة اماكن
 من ليثونيا ولكنه انهزم في السنة التالية امام حاكم ويلنا عند سواحل
 نهر دنيسر . وكان اثر القرم قد اغاروا على روسيا بشجر يرض البولونيين وتوغلوا
 فيها حتى بلغوا ابواب موسكو واحرقوا ضواحيها سنة ١٥٧١ فدفعهم ايفان
 وعقد معهم صلحاً وعقد مع ملك بولونيا هدنة اجلها ثلاث سنين ثم وجه

سهامه نحو الاسويجين وانتصر عليهم وعقد سنة ١٥٧٥ مع ملكهم كريستيان الثالث هدنة اجلها سنتان

وكان ايفان قاسياً جداً سريع الغضب يفعل افعالاً تنفر منها الوحوش وتُشعرُ منها الابدان فانه كثيراً ما اطلق الوحوش الضاربة على جماهير الناس الذين كانوا يقفون احياناً للمكاملة في الشوارع فكانت تلك الوحوش تهجم عليهم وتوقع بهم اضراراً عظيمة وتهلك بعضهم وهو جالس عند احدى نوافذ قصره ينظر اليهم ضاحكاً على القوم الذين كانوا يولولون ويترآكضون من امام الوحوش . واذ كان يوماً يتناول الطعام زاره احد خواصه فبش في وجهه متبسماً فدنا ذلك المسكين من كرسيه وانحنى امامه بكل وقار فاخذ ايقان سكيناً وقطع اذنه وهو يتقمقه ضاحكاً . وكثيراً ما كان يلبس بعض المنكودي الحظ جلود الادباب و يطلق عليهم الكلاب الانكليزية الكبيرة فتحجم عليهم وتنهش اجسادهم وهو ينظر اليهم ضاحكاً حتى يستلقي على قفاه وفضائعه اكثر من ان تذكر . فان كانت هذه افعاله في اوقات نعيمه وحظه فكم بالحرى تكون في اوقات بؤسه وغيظه ومع ان ايفان كان قاسياً بهذا المقدار يعد من مشاهير ملوك روسيا بسبب التحسينات والتنظيمات الكلية التي اوجدها لترقية اسباب التجارة والعلم والصنائع

ومن ثم ينسب الى ايامه استكشاف بلاد سيبيريا . وذلك ان تاجراً من اصحاب الثروة كان مقيماً في حكومة اركانكل اخبر اولاً بوجود هذا القطر وتم استكشافه رئيس من روساء الكوزاك يسمى يورماك فان هذا الرئيس كان مولعاً بالغزو وشن الغارات وايقاع السلب والنهب في سواحل نهر فولكا وفي اكناف بحر الخزر فطردته فرقة من جيش روسيا ودفعته الى ما وراء الحدود فتوجه الى نواحي سيبيريا وتجاسر على الشروع في فتحها مع فرقة قدرها ٧,٠٠٠ نفس من الكوزاك . وبعد ان هجم

بضع مرار على ترسيبيريا وعلى خاتمهم كوتشوم تغلب ايضاً على مدينة سيبيريا التي كانت اعظم حصونهم سنة ١٥٨١ الا ان معظم اصحابه هلكوا . فلما لم تنبسر له الاقامة بها مع العدد القليل من الرجال الباقين معه اشترى من الكزار ايفان العفو عن ذنوبه القديمة بالتنازل عن فتوحه هذا . فتملكت العساكر الروسية بلاد سيبيريا سنة ١٥٨٣ ومع ذلك لم يتم انقياد هذه البلاد تماماً الا في ايام الكزار فيودور ايفا نوفييتش ابن ايفان وولي عهده وبني سنة ١٥٨٧ مدينة توبولسك التي صارت من ذلك الوقت تحت سيبيريا للولاية الروسيةين

الباب الرابع

في ما حدث منذ وفاة ايفان الرابع وانقراض سلالة روريك

الى ظهور بطرس الاكبر من سنة ١٥٨٤

الى سنة ١٦٨٢

وبعد وفاة ايفان الملقب بالهائل خلفه في الملك ولده فيودور وكان عمره اذ ذاك سبع عشرة سنة غير انه كان فاطر الهمة قليل النشاط والصحة لا يصلح لادارة زمام مملكة عظيمة متسعة تكثر فيها التغييرات والاتقلابات . ولما كان والده ايفان عالماً بعدم لياقة ولده المذكور اقام ثلاثة وكلاء مساعدين له فكان زمام المملكة يبدم ولم يكن لفيودور من الملك الا مجرد الاسم فقط

وان بوريس غودونوف اخا زوجة ايفان وخال فيودور لما رأى ما كان من ضعف ابن شقيقته وعدم صلاحيته للملك واتحالم جسمه طمع

بالاستيلاء على الملك من بعده واخذ يزرع الفساد والشقاق بين الوكلاء المذكورين وغيرهم من الاعيان واخيراً بمساعدة اعوانه اقام الحجة على الواحد بعد الآخر فقتل البعض ونفى وسجن البعض الآخر واصبح ذا سطوة وهيبة عظيمة . ثم قتل سنة ١٥٩٧ الامير ديمتري ابن ايفان من زوجته الاولى الذي كان له الحق في ارث تحت الملك . وكانت صحة فيودور تزداد اتحاليًا وامال بوريس تزداد انتعاشًا . وفي تلك الاثناء ولد لفيودور ابنة وتعلقت امال الناس بها وايس بوريس من بلوغ الارب على انه لم تطل حياة تلك الابنة بل ماتت بعد ولادتها بسنة . ثم مات اخيراً فيودور سنة ١٥٩٨ وبه انتهت دولة روريك

فاستولى بوريس على المملكة زوراً وتعدياً وتوَجَّح بتاج الملك باحتفال عظيم وبعدهما ارتكب كثيراً من الجرائم والفظائع لتوال مرغوبه اخذ يستميل قلوب الاهالي لتوطيد اركان دولته الجديدة . وفي غضون ذلك ظهر شاب يُقال له غريغوري يوريف كان قد دخل في زمرة الرهبان فوسوس له بعضهم انه شبيه بالامير ديمتري الذي قتله بوريس . وكان هذا الراهب على جانب عظيم من الدراية والذكاء فحدثه عقله انه سيتبوأ يوماً ما عرش امبراطورية روسيا فسمى نفسه ديمتري واخذ يستميل الكثيرين اليه زاعماً انه هو الامير ديمتري الذي شاع عنه انه قتل وانه هو الملك الشرعي للملكة وانه لم يقتل بل فر من ايدي الذين ارادوا قتله . ولما شاع امره اخيراً عند بوريس خاف ان يفعل به ما فعله بغيره ففر هارباً والتجأ الى بولونيا . فعضد دعواه ملك بولونيا مع خلق كثير من كانوا يكرهون بوريس وامله بجيش لمحاربة بوريس وتنزيله عن الملك . ولما بلغ الامر الى بوريس خاف وارتعد وارسل جيشاً لمحاربة ديمتري الكاذب فكسر ديمتري جيشه فارسل بوريس جيشاً ثانياً فانكسر ديمتري وعاد الى بولونيا

فاجتهد بوريس ان يقنع ملك بولونيا ان دعوى ديمتري كاذبة فلم
يجده نفعاً . واتفق ذات يوم بعد الغذاء انه اصاب بوريس ألم شديد
في احشائه فمات بعد ساعتين فانتهز ديمتري هذه الفرصة وقام بالعساكر
البولونية وتقدم ودخل روسيا ولبس تاج الملك بالقوة زوراً وعدواناً .
ولكن لم يطل الحال حتى انكشف امره فقام عليه الاهالي وقتلوه واحرقوا
جثته بالنار فتعاقب بعده كرسي الملك ثلاثة ملوك زعم كل منهم انه
الامير ديمتري الوريث الحقيقي . وهذه الامور المخلتة تدل على الاختلال
الذي كان في هذه الدولة وعدم انتظام احوالها ولا عجب من ذلك فان
كل امة كسدت فيها بضاعة العلم والنور سهل اغراؤها لان من طالع
مطولات الاسفار لا يخفى عليه ما ترتب على دعاوى اولئك المدعين
المزورين من ازدياد اختلال دولة روسيا

ان البولونيين الذين هم اول من عضدوا دعوى المزور الاول واضرموا
نيران الفتن والشقاق اوشكوا اخيراً ان يستولوا على دولة روسيا . وتمام
اهل اسوج جزءاً من بلادها في فينلاندا وزعموا ان لهم حقاً في تاج المملكة
المذكورة فتطلبوه فاتي ذلك الدولة بالخراب والدمار مدة طويلة وكادت
تسقط الى حضيض الاضمحلال . ولما كانت الدولة غارقة في وسط هذه
الانواء والشدائد عقد اخيراً كبراه الروسين جمعية سنة ١٦١٣ واستقر
الراي فيها على انتخاب شاب عمره خمس عشرة سنة يقال له ميخائيل
رومانوف وهو جد بطرس الكبير وقلدوه المنصب الملكي . وكان هذا الشاب
من عائلة اكليركية وهو ابن مطران يقال له فيلاريت وامه راهبة لها
قراية من جهة نساء ملوك روسيا الاقدمين

ولعل البعض يستغربون كيف ان مطراناً يكون ذا اولاد من راهبة
فالسبب في ذلك ان المطران المذكور كان من اعيان البلاد المتزوجين
اصحاب الصولة فجهده بوريس غودونوف على الترهب كما جبر زوجته على

ذلك أيضاً . وكان بعد هذا ان ديمتري الكاذب جعله مطراناً وارسله
سفيراً الى بولونيا فسجنه البولونيون لانهم كانوا يومئذ في حرب مع
الروسين . وكان انتخاب ميخائيل المذكور ملكاً في مدة سجن ابيه في
بولونيا ففدى والده بامرى البولونيين . ورفاه الى منصب البطريركية
فكان في الواقع هو صاحب الامر والنهي

وكان الملوك الروسين من سنة ١٤٩٠ لئلياد لا يتزوجون بنات
الدول الاجنبية وربما اقتبسوا ذلك عن العوائد الشرقية منذ استيلائهم
على امارتي قازان واسترخان . فكان اذا اراد الملك الزواج اتوا الى قصره
باجل بنات البلاد حسناً فتستقبلهن كبيرة نساء القصر وتجعل كلاً منهن
في مكان على حدها ثم تجتمعن ساعة الاكل على مائدة واحدة فيشاهدن
ويتنخب منهن من ارادها . وكان يعين للزفاف يوماً قبل الانتخاب فاذا
جاء اليوم المعين خلع على التي وقع عليها الانتخاب سراً خالعة العرس ثم يوزع
خلعاً اخرى على باقي البنات وينصرفن الى حيث اتين وعلى هذا الوجه
كان زواج الكزار ميخائيل بابنة رجل فقير الحال يحرث الارض

هذا ولم يكن تنصيب الملوك في روسيا بطريقة الانتخاب ولكن لما لم
يبق احد من ذرية ملوكها القدماء اقتضى انتخاب ملك جديد وتبع
بسبب هذا الانتخاب حروب جديدة بين الاسوجيين والبولونيين فان
كلاً من الفئتين زعمت ان لها حقاً في الاستيلاء على كرمي مملكة روسيا
ودامت الحرب بينهم زمناً طويلاً ثم عقد الصلح فاخذ اهل بولونيا امرية
ممولانسك والاسوجيون اخذوا اقليم اينغريا . وبعد هذا الصلح سكنت
احوال دولة روسيا ولم يعرض عليها من التغييرات ما يفسد ادارتها او
يصلح حالها

وسنة ١٦٤٥ توفي ميخائيل وخلفه ولده الكسيس وهو ابو بطرس
الكبير وله من العمر ست عشرة سنة . وقد سلك الكسيس في الزواج

مسلك ابيه فتزوج سنة ١٦٤٧ ثم تزوج ثانية سنة ١٦٧١. وفي عهد الكسيس حدثت منازعات وقتن داخلية وخارجية سفكت فيها دماء كثيرة ووقع ايضاً بينه وبين اهل اسوج واهل بولونيا حروب جديدة ففاز على الفئة الثانية واسترجع منها بعض الاقاليم ولكنه لم ينجح مع الفئة الاولى. وكان الكسيس من افاضل ملوك الروسيين فانه اول من وضع دستوراً للشرائع والقوانين وادخل في مملكه المتسعة صنائع الاقمشة والحرير. وكانت العادة في تلك الايام ان الاسرى يكونون ارقاء لمن وقعوا في امره فجعلهم الكسيس في خدمة الفلاحة وزراعة الاراضي وبذل غاية جهده لادخال النظام والترية العسكرية بين عساكره غير ان الدهر لم يسالمه الى النهاية لكي يتم مقاصده اذ ادر كته المنية سنة ١٦٧٧ وبوته وقع الاختلال بنظام الامور كلها

وكان الكسيس قد اعقب من زوجته الاولى ولدتين ذكرين وست بنات وكان اسم البكر منهما فيودور والثاني ايفان وكان الاثنان نجفي الجسم لاسيا ايفان. وكان عمر فيودور اذ ذلك خمس عشرة سنة وكان شاباً فاضلاً محبوباً فنبوا تحت الملك بعد موت ابيه. وكان الكسيس قد اعقب ايضاً من زوجته الثانية ولدتين بطرس وهو المعروف بالكبير وابنة يقال لها ناتالي واما البنات الست اللواتي من زوجته الاولى فكانن اشهرهن الاميرة صوفية التي امتازت على شقيقاتها بذكائها وفور عقلاها. وكان ولدها من زوجته الثانية غير محبوبين من الاهالي فلم يكن احد يظن ان بطرس سيتبوا يوماً تحت مملكة روسيا. ولما كانت عادة ملوك روسيا ان يتزوجوا بنات رعيتهم كانت هناك عادة اخرى وهي ان بناتهم كان يندرن في تلك الايام زواجهن فيقضي اغلبن حياتهن في الاديرة. وكان فيودور يزداد جسمه من يوم الى آخر نحولاً وسقماً. وسنة ١٦٨٢ لما احس بقرب حلول اجله وكان يعلم ان اخاه الثاني ايفان لا يصلح لمنصب

الملكية اوصى بوراثته الملك لاختيه بطرس ولم يكن لهذا الاخير اذ ذلك من
العمر الا عشر سنين لكنه كانت تلوح على وجهه دلائل النشاط
ووفور العقل

وقد سبقت الاشارة ان الاميرة صوفية كانت على جانب عظيم من
الدراية وجودة العقل وكانت شاعرة كاتبة فصيحة جميلة المنظر غير ان
طمعها كان سبباً في خسران بهجتها . فلما احست ان اخاها فيودور صار على
شمة مفارقة الحياة ورات ان اخويها ايوان و بطرس لا يصلحان اذ ذلك
للحكم لعدم صلاحية احدهما له ولصغر سن الثاني خرجت من عالم المنفى
اي الدير الى عالم الشهرة وعزمت على ان تاخذ بزمام الدولة وقصدت
ان تضر باخيها بطرس لكي تسلب منه حق التملك . فاخذت تضرم نيران
الدسائس والفتن بقصد الوصول الى مرغوبها فوقع في وجاه عساكر
الستريتش فتنه كبيرة سفكت بسببها دماء كثيرة واصبحت البلاد كأنها
قبر مفتوح لابتلاع الناس فكثرت التعدي والاضطراب ووقعت الحكومة
في ارتباك لا مزيد عليه . وكانت الاميرة صوفية تحرض اولئك الطغاة
سراً على الازدياد في الفواحش والقبائح طمعاً بنوال المرغوب ففعلوا من
الامور ما يعجز القلم عن وصفه فانهم فاقوا على الانكشارية من هذا
القبيل . هذا وما زال المهرج والقتل آخذة كل ماخذ الى ان انتهت
اخيراً في شهر حزيران سنة ١٦٨٢ واستقر الرأي بتنصيب الاميرين
ايوان و بطرس ملكين سوية واختهما صوفية شريكة لهما في الملك
بطريق الوكالة

الباب الخامس

في استيلاء بطرس الكبير واعماله العظيمة وما حصل من
المشاجرات والفتن في ايامه والحروب الى غير ذلك

من سنة ١٦٨٢ الى سنة ١٧٢٥

وحدثت ايضاً بعد ذلك فلاقل واضطرابات كثيرة وكانت الاميرة
صوفية تحاول الاستبداد بالحكم وحدها وعزمت على اهلاك اخيها بطرس
املاً بالوصول الى المرغوب . على ان مساعيا لم تات بفائدة فان اخاها
بطرس نقوً وصار له حزب عظيم فانتصر على كل الموانع التي كانت
تحول بينه وبين توطيد سطوته فكشف عن دسائس اخته صوفية واعادها
الى عالم المنفى في ديرها بمدينة موسكو . ومن ثم تولى الملك بطرس ولم
يعد لاخته ايقان يد في مهام الدولة ولم تطل حياته بل مات سنة ١٦٩٦
لليلاذ . فاستبد بطرس بالامر وحده ولم يعد له معارض ولا منازع على
انه كان يخشى عليه من بعض الاحزاب نظراً لحدائثة سنه . وكان اول
امر حاول اصلاحه في مملكته قمع شوكة عساكر السترليتس وردعهم عن
العصيان . وكان عازماً على محاربة تار الترقم وشن عليهم الغارة ولكن من
دون ان يبلغ اربه منهم وانتهى اخيراً الحال بينهم بعقد هدنة لم يجر
العمل بموجبها الا مدة وجيزة

وفي اثناء ذلك اخذ بطرس في تحصين بلاده من داخل ومن خارج

قاصداً بذلك ردع مهاجمات الاعداء لكي يتفرغ لادخال التمدن والفنون
 والمعارف الى مملكته اذ كان الروسيون لم يزالوا الى ذلك العصر في غاية
 الافتقار الى ذلك ولم يكن عندهم منه الا القليل بالنسبة الى ما كان عند
 غيرهم من دول اوربا المتمدنة . وكانت افكاره تصبو الى الفتوحات وتوسيع
 مملكته من جهة بحر بلتيك شمالاً والبحر الاسود جنوباً . وكانت مملكة آل
 عثمان يومئذ في ارتباك فانتزى بطرس هذه الفرصة واخذ في تمرين جيوشه
 استعداداً للحرب وجيز سنة ١٦٩٤ جيشاً كبيراً تحت قيادة الجنرال
 شرمتوف وسار هو بنفسه مع هذا الجيش بصفة جندي طوعي وحاصروا
 في اوائل فصل صيف سنة ١٦٩٥ مدينة ازوف وفتحوها بعد حروب
 وحصار طويل وفازوا على التتر والاتراك وعقب هذا النصر امر بتحصين
 البحر عند ازوف واقام فيه عدة سفن حربية احتياطاً . ثم عاد الى موسكو
 باحتفال عظيم وكان دخوله اليها بهذا الاحتفال شبيهاً باحتفالات قدماء
 الرومانيين عند رجوعهم من حروبهم وانتصاراتهم وعقب هذا الفوز
 عمل في روسيا اول نيشان للافتخار اذ لم يصنع قبل هذا العهد
 ولما راي في اثناء غزوته المار ذكرها ان سفنه لم تكن عمل اهل
 مملكته تأسف كثيراً فاخذته الحمية من ذلك وارسل سنة ١٦٩٧ جملة من
 شبان الروسيين الى هولاندا وايطاليا واوستريا ليقتبسوا العلوم والفنون
 من كل نوع ولم يكتف بذلك بل عزم على ان يتغرب هو بنفسه في الممالك
 الاوربية المتقدمة يومئذ في الاصلاح والتمدن لكي يتعلم منها حسن
 الادارة والتدبير وليدرس بعض العلوم والفنون . فبعد ان مهد ووطد
 سطوته في بلاده واناط بامر ادارتها وتدبير مهامها بعض اعيان وكبار
 دولته خرج متنكباً وبصحبته خادم واحد ونديمه واتوا جميعاً مدينة
 امستردام قاعدة هولاندا . فاتخذ له هناك منزلاً صغيراً في الترسيخانة
 البحرية وتربى بزى رئيس مركب ثم اتى قرية هناك يقال لها ساردم

حيث كان يصنع بها كثير من السفن فتعجب من كثرة ارباب المهن
والاشغال الجارية بها فابتاع لنفسه سفينة وكان قلعها مكسوراً فاصحبه
هو ثم اخذ يتعلم صناعة بناء السفن وسلك في معيشته مسلك اهل تلك
الحرفة في اللبس والمأكل والمشرب كواحد منهم الامر الذي لم يسبق له
نظير من انسان في مقامه ورتبته . وكان يشتغل مع اولئك الفعلة في معامل
الحديد والحبال والطواحين وغير ذلك وقيد نفسه في دفتر الترخيصة من
جملة الفعلة باسم بطرس ميخائيلوف . ثم رجع الى امستردام ثانية وتعلم فيها
فن التشريح وبعض عمليات جراحية وتعلم علم الطبيعيات والموالييد وغير
ذلك . و بعد ما جال في اماكن اخرى رجع الى امستردام وعاد الى ما
كان عليه من الاشغال وتم بنفسه بناء سفينة حربية تحمل ستين
مدفعاً كان قد شرع في عملها قبل سفره واستمر على تلك الحال منعكفاً على
الدروس والاعمال الى ان سافر في اول سنة ١٦٠٨ الى انكلترا في اثر
سفارة كان قد بعث بها قبل خروجه من مملكته للطواف في الممالك
الاوربية الاكثر تمدناً . فاقبله الملك ولیم ورعاياه بالترحاب . فاقام بطرس
مدة في انكلترا وهو على حالة البساطة واتخذ له منزلاً بقرب الترخيصة
الكبرى وصرف معظم وقته في الشغل والتعلم . فانقن هناك صناعة عمار
السفن على طريقة اكل مما هي في بلاد هولاندا وتعلم ايضاً فن الساعات
واقننه غاية الاتقان . وبالجملة انه لم يدع شيئاً من الفنون البحرية من
عظيمها وحقيقها من سبك المدافع الى قتل الحبال الا وباشره بيده . وبعد
ان اقام مدة طويلة في انكلترا رجع الى هولاندا ومنها اتى قينا عاصمة
اوستريا واقام فيها مدة . وبينما كان يستعد للسفر الى ايطاليا والبندقية
لتتميم مشروعه ورد اليه خبر وقوع بعض فلاقل في مملكه فعدل عن
مشروعه وقتل راجعاً سراً في شهر ايلول سنة ١٦٩٨ الى مدينة موسكو .
ولما دخل موسكو تعجب الاهالي غاية العجب من مشاهدته على حين

غفلة فاخذ حالاً في ملافاة الامر واصلاح ما قد فسد وقاص المذنبين
باشد العقابات واصرمها وكافاً الذين يستحقون المكافاة. ثم ابطل وجاق
عساكر السترلنيس ولم يبق منهم الا نفرًا قليلاً. واقام سنة ١٦٩٩ عوضاً
عن هذا الوجاق جنوداً منتظمة اشبه بالعساكر النمساوية واحداث ايضاً
عدة اصلاحات في العوائد الخشنة وفي نظام الدولة والديانة الى غير ذلك
بما يستحق الاعتبار وكنا نود ان نذكر اموراً كثيرة منها على ان ضيق
المقام لا يسمح بذلك

وحدث في اثنا غياب هذا الملك أن الدولة الروسية كانت قد انتصرت
على تر القرم وتغلبت على مدينة پريكوب المعروفة بمدينة الذهب ولم يكن
بينها وبين الدولة العثمانية سلم فبرجوع بطرس الى دياره عقد هدنة بينه
وبين الدولة المشار اليها وخوفاً من الفشل لم يجسر على ما ظالمًا كان يصبو
اليه لجهة توسيع حدود مملكته من ناحية المملكة العثمانية. واذ رأى ان
بحر الخزر لا يصلح للعمارات الحربية انتهز فرصة الهدنة المذكورة ووجه
مقاصده نحو بحر بلتيك ليكون له موان في تلك الاطراف. وكان لدولة
روسيا في الناحية المذكورة اقليمان قد فتحتهما بالحرب ثم خسرتهما ثانية
في عهد الدولة الديتيرية الكاذبة واستولى عليهما الاسوجيون. فتعاهد
بطرس مع فريدريك ملك دنمارك واوغسطس ملك بولونيا وتحزبوا
جميعاً على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج الذي مع صغر سنه كان يعد
من افراد ابطال القرن السابع عشر. فاشتبكت الحرب بين المتحالفين
والاسوجيين وجاء الامر بخلاف المظنون فان كارلوس المذكور فاز عليهم
جميعاً في وقائع عديدة حتى ايس بطرس من الغلبة. ولكن مع ذلك لم
ينثن عن عزمه واستمر على محاربة كارلوس مدة اكثر من تسع سنوات
يربح في جهة ويخسر في الاخرى الى ان ظفر به اخيراً سنة ١٧٠٩ في
واقعة يانتوفا. ففر كارلوس والتجأ الى الدولة العثمانية واستولى بطرس على

جملة اقاليم في الجهات الشمالية واعاد اوغسطس ملك بولونيا الى ملكه بعد ان كان قد عزلته عنه كارلوس. ومع انشغال بطرس في هذه الحروب لم ينفك عن الالتفات الى صوالح مملكته وتحسينها. وسنة ١٧٠٣ وضع اساسات مدينة بطرسبرج التي صارت من ذلك الحين قاعدة السلطنة الروسية الى الآن

وسنة ١٧١٠ اشهر السلطان احمد الثالث حرباً على روسيا وكانت فيها الواقعة المعروفة بواقعة نهر بروث فدارت فيها الدائرة على الروسيين ولولا تدارك كاترينا زوجة بطرس الثانية الاقي ذكرها لاوشك بطرس ان ييات اسيراً في قبضة الفريق العثماني فانها التزمت زوجها على عقد الصلح الذي تقررت شروطه بين الدولتين كما مر في تاريخ الدولة العثمانية اما كاترينا زوجة بطرس المذكورة فكانت ابنة احد الفقراء من قرية رنجان ولما بلغت سن الاربع عشرة سنة خدمت عند قسيس بروتستاني في مدينة مريانبورغ ولما صار عمرها ثمانى عشرة سنة تزوجت بعسكري اسوجي سنة ١٧٠٢ وفي غد عرسها هزم الروسيون شردمة من جيش الاسوجيين كان زوجها من جملتهم ولم تقف له على خبر وبعد ذلك بمدة يسيرة اسرها القائد الروسي بوير فخدمت عنه ثم انتقلت لخدمة السرعسكر كوزميتوف ثم اعطاها للإمير منزيكوف فاتفق ان بطرس الاكبر رآها يوماً عنده فاحبها وتزوج بها خفية سنة ١٧٠٧. وكان منذ مدة طويلة قد طلق امراته الاولى لانها كانت تعارضه في ما يريد اجراءه بمملكته. ولما تزوجت كاترينا ببطرس تركت الديانة البروتستانية التي تربت فيها واعتنقت الديانة الارثوذكسية فمهدوها ثانية وبدلوا اسمها من مرثا الى كاترينا

وبعد ان رجع كارلوس الثاني عشر من بلاد آل عثمان في اواخر سنة ١٧١٤ حدثت وقائع جديدة بين الروسيين وبينه كان الفوز فيها

لهم فانتسعت حدود دولتهم من الشمال والغرب . ولما كانت سنة ١٧١٧
 جدد الامبراطور بطرس سياحته في الممالك التي كان قد زارها قبلاً
 ليقتبس فيها العلوم والفنون وذلك لاغراض سياسية واشاهدة ما كان
 متولعاً بمشاهدته في الممالك الاجنبية واتى اخيراً فرنسا وهناك حصل له
 مزيد الاعتبار والاحترام ثم عاد راجعاً منها الى بلاده
 وكان بين بطرس وولده ولي عهده الكيس نفور من زمان
 طويل من جملة اوجه وكان يمثله هذا الامير في مدينة نابولي هاربا من



بطرس الاكبر

وجه ايده فاستدعاه والده واعدآ اياه اذا حضر بالعمو والسماح . فلما اتى مدينة موسكو عقد مجلساً من الامراء والاعيان وخدمة الدين واشهر امام هذا المخفل حرمان ولده المذكور من وراثة الملك بعده وفي هذا المعنى كلام طويل لاقتدر على استيفائه في هذا الباب المختصر . على اننا نقول ان الامبراطور بطرس بعد حرمانه ولده من الملك امر اخيراً بقتله ايضاً لاسباب لا نستدعي هذا الامر الهائل زاعماً ان الذي سمله على ذلك الاثم حبه للوطن وللمملكة لانه كان يخشى بعد موته من ان ابنه ذا السيرة المنهورة يلاشي ويهدم كل ما بناه والده وعمله في مدة طويلة و يرجع بالمملكة القهقري والتاخر وكان ذلك سنة ١٧١٨

ثم ان ما بقي من ايام الامبراطور بطرس بعد قتل ولده لم يصرفها الا في تكميل اغراضه وما ربه العظيمة . سنة ١٧٢٢ وقع بينه وبين دولة الفرس نزاع افضى الى فتح الحرب فسار سيفه ١٥ من ايار سنة ١٧٢٢ مع زوجته كاترينا وجيش عظيم . وفي ١٤ ايلول من السنة المذكورة وصل بجيوشه الى مدينة دربند وحدث بينهم وبين الفرس بعض مواقع كان الفوز فيها للروسيين . غير انهم لم يستطيعوا وقتئذ ان يتقدموا في فتوحاتهم لان سفنهم الحربية ومهماتهم وخيلهم وجيش نجدتهم غرقت جميعاً بقرب مدينة ازدهان فقفلوا راجعين الى موسكو ثم جددت الحرب ثانية في السنة التالية وفاز الروسيون واخذوا من الفرس بعض الاقاليم الواقعة عند بحر الخزر وهي جيلان واستراباد ومازندان . وكان بطرس سنة ١٧٢١ قد عقد صلحاً مع دولة اسوج يعرف بصلح الشمال . اورث دولته فقراً عظيماً اذ بموجبه استولى على اقاليم ليونيا واستيونيا واينغمانيا ونصف كار بليا ووير بروج . فلقبه عقب ذلك الصلح كبار دولته ووكلاؤها الاكبر و ابا الوطن وامبراطوراً وما زال الدهر مسالماً الى ان توفي في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٧٢٥ . وعندما شعر بقرب حلول اجله اراد

ان يكتب وصيته لكنه لم يستطع ولم يكتب الا بعض كلمات غير ظاهرة
عسرة القراءة جداً فلم يمكن ان يُقرأ منها الا ما معناه اعطوا كل شيء
الا

الباب السادس

في ذكر ما حدث بعد موت بطرس الكبير وانقطاع سلالة
رومانوف وقيام الدولة الهولستينية من سنة ١٧٢٥
الى سنة ١٨٨٤

قد سبق في ما تقدم ان بطرس عند موته لم يعين خليفة له وقد
مات عن حفيده بطرس الثاني وهو ابن الكيس المقتول وعن ابنته
البكر زوجة دوك هولستين غوترب . وكان هناك حزب كبير لابن
الكيس غير ان الامير منتز يكوف الذي كان يميل الى الامبراطورة كاترينا
زوجة بطرس الاكبر تدارك اخماد نفوذ المتعصبين لابن الكيس واثبت
حق الوراثة لكاترينا فتبوات تحت الملك بعد زوجها وكانت امرأة عاقلة
وعلى جانب عظيم من الدراية ووفور العقل ولئن كانت لاتعرف القراءة
والكتابة على ما قيل . وكانت ذات مقاصد عالية سامية كزوجها غير ان
الدهر لم يسمح لها بابرازها من حيز القوة الى الفعل اذ ماتت بعد استيلائها
الملك بستنين خلفها سنة ١٧٢٧ بموجب وصيتها بطرس الثاني ابن حفيد
زوجها وهو في سن الاثني عشرة سنة تحت وكالة ابنتها حنة واليصابات
ودوك هولستين والامير منتز يكوف وخمسة اشخاص من اعضاء المجلس
العالي الى ان يبلغ سن الست عشرة سنة من العمر . غير ان ايامه كانت

قصيرة اذ أُصيب سنة ١٨٣٠ بمرض الجدري فمات سريعاً فكان يقتضي بموجب وصية كاترينا الاولى ان يخلف بطرس الثاني ابنتها البكر حنة زوجة دوك هولستين وذريتهما ولكنها اذ توفيت تولت الملك الاميرة حنة ابنة ايفان الخامس اخي بطرس الاكبر ودام ملكها الى سنة ١٧٤٠ ولم يحدث في ايامها امر مهم يستحق الاعتبار فخلفتها الاميرة اليصابات ابنة بطرس الكبير . وسنة ١٧٤٢ لما استقرت بالملك ارسلت واتت بابن شقيقتها حنة الدوك هولستين لان له حقاً بالوراثة قبلها واعلنت بانه يكون وريثاً لها فاعتنق المذهب الرومي ودُعي باسم بطرس الثالث . ثم زوّجته في اول شهر ايلول سنة ١٧٤٤ بصوفيا اوغسطا ابنة كريستيان اوغسط التي اعتنقت المذهب الرومي ايضاً ودُعي كاترينا . وبعد عشر سنين من هذا الاقتران وُلد لها وُلد لها ولدٌ سمي بولس تولى في ما بعد تحت اسم بولس الاول . اما اليصابات فماتت في ٢٩ كانون الاول سنة ١٧٦١ بعد ان حكمت عشرين سنة وكانت حاذقة عاقلة محبة للعلم والآداب وانشأت داراً للعلوم في موسكو واكاديمية للفنون وبعد موتها خلفها بطرس الثالث وهو دوك هولستين المذكور انفاً فلما انتقل الملك سنة ١٧٦٢ الى العائلة الهولستينية بموت آخر وريث لدولة رومانوف وقف تقدم الدولة الروسية هنيئاً ولم يعيش بطرس الثالث الا سنة واحدمات مخنوقاً قبل ان زوجته كاترينا اشركت بهذا الفعل . فتبوأ عرش الملك سنة ١٧٦٣ واشتهرت جداً هذه الملكة بوفور عقلها وبمحسن التدبير والسياسة وعادت الدولة في ايامها الى التقدم وارثت الى اعلى درجات العز والفخار حتى بلغت ما بلغت من السطوة والشهرة الى ان صارت تعد من اعظم دول اوربا ووقعت الرعب في ما جاورها من الممالك . وحدث في زمن استيلاء كاترينا الثانية جملة حروب بين روسيا والدولة العثمانية وبولونيا واسوج وكان الفوز والغلبة لها في جميعها ففتحت

بلاد التتر الصغرى مع اقليم القرم واخذت ليشوانيا من البولونيين واستولت على كورلاد والشركس وظهرت سنة ١٧٧٢ بنصف مملكة بولونيا ودام ملكها معززاً الى سنة ١٧٩٦ وهي تعد من مشاهير هذه الدولة مع بطرس الكبير وقد فضلها بعضهم عليه.

وخلف كاترينا ولدها بولس الاول فكان فاتر الهمة ضعيف الراي بينه وبين امه بون عظيم وكانت يومئذ الحروب قائمة في اوربا على قدم وساق بين دولة فرنسا ودول اوستريا واطاليا وانكترا . فدخل بولس المذكور في التحزب الاوربي على فرنسا وجهز سنة ١٧٩٩ جيشاً وارسله تحت قيادة القائد سوفاروف الى نواحي ايطاليا وبلاد السويس لمحاربة الفرنسيين . سنة ١٨٠٠ لما عاد بونا بارت من مصر تحالف معه على انه مات في السنة التالية والمظنون ان موته كان اغتصاباً . فخلفه سنة ١٨٠١ ولده اسكندر الاول وكان شاباً نجيباً شجاعاً سافر العزم . فتجدد النفور في ايامه بين دولته ودولة فرنسا الى سنة ١٨٠٥ وتحزب مع دولة اوستريا بمداخلات انكترا فانتصر نابليون الاول عليه وعلى اوستريا في واقعة اوسترليتز الشهيرة وكانت واقعت هائلة حضرها كل من امبراطوري روسيا واوستريا وفرنسا ولذلك دُعيت بموقعة الثلاثة امبراطورين . فعقدت اوستريا مع نابليون صلح بريسبورج واما اسكندر فانسحب بباقي جيشه من دون ان يعقد صلحاً . سنة ١٨٠٦ بينما كان نابليون الاول يحارب بروسيا انتصر لها اسكندر فقهره نابليون بعد ان قهر بروسيا في جملة معارك عظيمة اخصها معركة فريدلند التي دامت اثني عشرة ساعة وهلك فيها من الطرفين ٥٠٠٠٠٠ نفس . فطلب اسكندر الصلح فاجابه نابليون اليه وعقدت شروطه عند شهر التيامين المعروفة بشروط تيلسيت وقد سبقت الاشارة عنها في تاريخ فرنسا

ولما كان في شروط هذا الصلح ما يصعب القيام به نكث اخيراً

اسكندر ببعضها فتجددت الحرب سنة ١٨١٢ بينه وبين فرنسا ودخل نابوليون الاول روسيا بجيش جرار . فكان الروسيون يخلون البلاد ويحرقونها فاضر ذلك بالفرنسا وبين كثيرًا ولما دخلوا موسكو وظنوا ان المصاعب قد زالت أحرق الروسيون عاصمتهم حتى لا يكون لاعدائهم مأوى بها ولا واسطة للتزود فكاد يهلك نابوليون مع جيشه وانهمزوا جميعاً على اسوأ حال من جرى شدة البرد القاسي ولحق بهم الروسيون واعملوا فيهم السيف والنار فهلك منهم مئات الوف وقد مر ذلك في تاريخ فرنسا . ومع ما تحمته روسيا في هذه الحرب من الخسائر الجسيمة لم تكف عن اظهار البسالة في اعمالها فانها اخذت في تلك الاثناء اقليم فينلاندا واقليم الكرج وبوثلنيا الشرقية وحاربت فرنسا سنة ١٨١٣ وسنة ١٨١٤ مع الدول المتحدة ودخل الامبراطور اسكندر باريس حين حدث تنزيل نابوليون الاول عن الملك المرة الاولى سنة ١٨١٥ استولت على أكثر من ثلثي بولونيا التي كان نابوليون الاول قبل ذلك بثان سنين عقب صلح تيلسيت انشأها دولة مستقلة فجعل لها اسكندر حكومة منظمة وسمها مملكة بولونيا . وكانت روسيا وقتئذ من اعظم دول اوربا في السطوة والنفوذ ورئيسة للاتحاد المعروف بالاتحاد المقدس المتعقد بينها وبين دول اوستريا وانكارتا وبروسيا وبعض دول اوربا الثانوية على محاربة فرنسا ونابوليون سنة ١٨٢٥ توفي اسكندر الاول وخلفه ولده نكولا . ولما رمخت قدمه واستبد بالسلطنة تتبع خطوات سلفائه في محبة الافتتاح وتوسيع دائرة ممالكه فسلطت روسيا في ايامه على القسم الاعظم من ارمينيا واخذته من يد الفرس واخذت ايضاً اباله اخالسكي ومصب نهر دانوب من الدولة العثمانية وتظاهرت في مساعدة تحرير اليونان من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٧ . سنة ١٨٢٩ وقع خلاف بينها وبين الدولة العلية وبلغت الجيوش الروسية الى نواحي القسطنطينية فتدخلت الدول الاولى في

اوربا وفصلت الخلاف الواقع بين الطرفين بدون قتال . ثم سعت روسيا في تحرير اهل السرب والفلاخ والبغدان ولكنها لم تنجح يومئذ بان تجعلهم تحت حمايتها على نوع رسمي . وفي سنة ١٨٣٠ اثار اهل بولونيا ثورة عظيمة فقهرهم الامبراطور تقولا وادخلهم في الطاعة ثانية بعد صعوبات كلية ومن ذلك الحين امتست بولونيا قسماً من مملكة روسيا بعد ان كانت حائزة قبل ذلك على نوع من الاستقلال ومراعاة الخاطر . وما زالت روسيا متقدمة في طرق النجاح والفلاح الى سنة ١٨٥٣ . ولما راي الامبراطور تقولا ان الظفر سائر في مقدمة اعلامه في كل صقع وناد وان الدهر قد صفاه له وسالته الايام عزم في السنة المذكورة على محاربة الدولة العثمانية لاسباب ذكرناها في تاريخ الدولة العلية فاضطرت نيران الحرب بين الدولتين واشترك فيها بعض دول اوربا ضد روسيا فاستدامت اكثر من سنتين وسفك فيها دماء كثيرة وانكسر الجيش الروسي في اغلب المواقع وفي غضون هذه الحرب توفي الامبراطور تقولا وخلفه ابنه اسكندر الثاني وبعد ان تبوأ زمام السلطنة يبضعة اشهر بعث الى الدول المتحدة يطلب الصلح بعد فقد مدينة سيماستبول في القرم فعمدت جمعية دولية في باريس تمت فيها شروط الصلح في اواخر شهر اذار سنة ١٨٦٥ وقد استوفينا ذلك في تاريخ آل عثمان

وبعد اتمام شروط المصالحة المذكورة اخذ اسكندر في ملافاة واصلاح ما فسد في الحروب المشار اليها وارجاع السلم والراحة الداخلية وتوطيد وتقويم حال سلطنته وشرع في مشروعات حسنة جداً لم يسبقه اليها احد من سلفائه فابتدأ بتحرير الرعايا العامة من ثقل نير سلطة الاعيان الجائرة ووضع نظامات جديدة من هذا القبيل ونظم كيفية تعليمهم فامسى من جرى اجراءاته هذه الممدوحة في خطر مبين من مطامع الاشراف لان تلك الاصلاحات كانت تباين مقاصدهم وما ربههم كل المباينة وكثيراً ما

تهددوه بالقتل فنجأ من اشراك المنية التي نصبوها له . وبينما كان في اثر هذه المشروعات والاصلاحات متفقداً حال بلاده تجددت الثورة في بولونيا سنة ١٨٦٣ فنلأ في الامر حالاً غير انه لم يتمكن من ارجاع التأثيرين الى حيز الطاعة الا بعد الثورة بسنتين فسفكت فيها دماء كثيرة وادخلهم اخيراً في الطاعة واقام اخاه قسطنطين نائب ملك عليها فهدأت الاحوال واستنكت . وفي هذا الوقت تقدمت فتوحات روسيا في الشرق الاعلى من قارة اسيا فاستولت على اغلب خانات تركستان كبخارى وسمرقند والكشغار وغيرها . ولما كانت شروط معاهدة باريس تنقل على روسيا انتهمت فرصة انشغال فرنسا بالحروب الاخيرة مع بروسيا سنة ١٨٧٠ وطلبت ابطال بعض شروط المعاهدة فعقدت جمعية دولية في مدينة لندن حيث صار تسوية الخلاف في تنقيح بعض الشروط ايجاباً لطلب روسيا

وفي سنة ١٨٧٦ اذ كانت نار الفتن مشتعلة في بعض ولايات الدولة العثمانية الكائنة في اوربا كالمهرسك والبشناق وجبل الاسود اتخذ الملك اسكندر تلك الحوادث وسيلة لشهر الحرب على آل عثمان بغية تحرير تلك البلاد الثائرة من سلطان المسلمين فامد الاهلين اولاً بالدخائر والمؤن الحربية ثم بالمال ثم بالرجال فاصطلت نيران الحرب في كل تلك الانحاء واستدامت نحواً من سنتين وكان الظفر بها للروس بعد ان كابدوا خسائر بكل عن وصفها القلم ووصلت عساكرهم الى ابواب القسطنطينية ولولا نظاهر الانكليز لمقاومتهم وادخال بوارجهم الى مرفأ المدينة لدخلوها وفي اثناء ذلك وقع الصلح بين الدولتين ونقرت شروطه بين الفريقين وتعهدت الدولة بدفع غرامة الحرب وقدرها نحو ٣٠ مليون ليرة . واما كيفية حل تحرير تلك البلاد الثائرة وما يتعلق بادارتها المستقبلية فقد ترك لراي الدول الكبيرة التي اجتمع نوابها في برلين سنة ١٨٧٨ وبمقتضى ما تقرر في ذلك المؤتمر صار الاجراء بموجبه وحينئذ قامت العساكر

الروسية من امام القسطنطينية ورجعت الى الاوطان. وفي تاريخ تركيا ذكرنا شيئاً عن قرارات مؤتمر برلين. وقد عاش الملك اسكندر الثاني بعد ذلك الى سنة ١٨٨١ ومات قتلاً من جماعة النيهيلست اضداده الذين كانوا يطلبون حرية الشعب وتغيير نظمات البلاد وجلس مكانه ابنه اسكندر الثالث في ١٣ اذار سنة ١٨٨١ ولما توفي سنة ١٨٩٤ خلفه ولده تقولا الثاني في ٢٠ تموز من السنة تقسما وهو الامبراطور الحالي

الفصل السابع عشر

في وصف بلاد اسوج ونروج وتاريخها

ان مملكة اسوج ونروج ويقال لها سويد ونورويج ويحدها شمالاً البحر المتجمد الشمالي. وشرقاً مملكة روسيا وبحر البلتيك وخليج بوثنيا. وجنوباً بحر البلتيك المذكور وبوغازا كاتيغات وسكاجراك. وغرباً البحر الشمالي. وعدد اهله اربعة ملايين ومئتا الف في اسوج ومليون و٧٥٠ الفاً في نروج. وقد كانت المملكتان منفصلتين احدهما عن الاخرى ثم اتحدتا معاً وصارتا تحت حكم ملك واحد سنة ١٨١٤ ولكل منهما لغة وعوائد واصطلاحات تخالف الاخرى. وفي هذه المملكة كثير من البحيرات والانهر والجبال الشاهقة التي لا ينقطع عنها الثلج. وفيها ايضاً معادن الحديد والفضة والنحاس والكبريت والرصاص. وهواؤها بارد والشتاء بها قاس.

الى الغاية وتدوم ستة اشهر بحيث لا يوجد وقت للربيع والحريف وصيفها
 قصير جداً لا تزيد مدته اكثر من خمسين يوماً . واما تربتها فقليلة
 الخصب ولا يصلح للزراعة الا القليل منها . وفي غاباتها وجبالها اجناس
 كثيرة من الحيوانات يتخذون جلودها للقراء . وهناك حيوان يسمى الزنه
 وهو عظيم الخلقه على قدر الثور الكبير اشبه بالابل يستعمله الاهالي لنقل
 الامتعة وجز العر بات . وفي بحيراتها كثير من انواع السمك خصوصاً النوع
 المسمى مورواي الحوت فانهم يصطادون منه مقادير وافرة ويستخرجون
 منه الشحم والزيت المعروف بزيت كبد الحوت المفيد لبعض امراض

اما الصنائع في هذه البلاد فرائجة وفيها كثير من المعامل لاصطناع
 اقمشة الصوف والقطن والحريز وغير ذلك . وتنقسم اسوج الى ٢٤ مقاطعة .
 ونروج الى ١٢ مقاطعة . ومن مدن اسوج استوكهلم وهي من امهات مدن
 المملكة ومقر كرسي الملك واهلها نحو ١٢٠ الف نفس وهي مدينة ظريفة
 ذات ميناء حسن ومعامل كثيرة . ومدينة غوتنبرج وهي بعد استوكهلم في
 التجارة والصنائع . ثم مدينة كريستيانيا وهي فصلة بلاد نروج واهلها نحو ٣٥
 الف نسمة وهي مدينة حسنة ذات تجارة عظيمة في الحديد والخشب
 والسمك وبها مقر كرسي نائب الملك . وليس لهذه المملكة من الولايات
 خارج اوربا الا جزيرة مار برثولماوس في اطراف الهند الغربية وهي جزيرة
 صغيرة يبلغ عدد اهلها نحو خمسة الاف نسمة

واكثر اهالي هذه البلاد من طائفة البروتستانت . وحكمها من نوع
 الملكي المقيد . وبما ان بردها قاس جداً تجد اهلها من ذوي الشجاعة
 والبأس وهم ايضا حسان الخلقه اصحاب خفة ونشاط يتجدون على الاشغال
 الشاقة ويميلون للحرب طبعاً ولاسكنهم مع ذلك موصوفون بالانس والدعة
 ولم رغبة شديدة في العلوم والمطالعات حتى يقال انه لا يوجد بينهم
 واحد في الالف من يجهد القراءة والكتابة

اما تاريخ هذه المملكة فلا يعلم عنه شيء في الازمنة القديمة سوى
 ان اهلها كان اصلهم من الجرمانيين فانوا واستوطنوا فيها منذ القديم
 وتصرّوا في القرن التاسع بواسطة مرسلين انكليز وفرنساويين وكان يقال
 لهم القبائل السكندنافية . وكانت هذه البلاد خاضعة للملك دنيارك واول
 من اخضعها الملكة مرغريته والديمار اذ تغلبت عليها بقوتها وحيلتها وصيرتها
 مع نروج ودنيارك مملكة واحدة . ولكن بعد موت هذه الملكة هاج
 الاسوجيون على طلب الحرية وبعد قتال يذكّر تخلصوا من امر الدنياركيين
 ثم رجعوا اليهم ثانية واتخذوا لهم منهم ملوكاً ومدبرين . ولما كانت سنة
 ١٥٣٠ اذ كان كريستيان الثاني ملكاً على دنيارك ومطران اوبسال رئيساً
 على مطارنة المملكة وكانا كلاهما كثيري العيوب فاسي القلب متفقين
 على ظلم الرعايا ونهبهم لم يعد ممكناً للاسوجيين تحمل ذلك الجور العنيف
 فاخذوا يسعون في ايجاد طريقة لتخلصهم . فلما شم الملك رائحة ذلك اتفق
 مع المطران على ضبط اكابر مدينة استوكهلم وحكامها فالتقى القبض
 على ٩٤ رجلاً من ارباب المشورة وامر بقتلهم محتجاً بان البابا قد حكم
 ب كفرهم واخرجهم من دين النصرانية لعدم طاعتهم للمطران . فحينئذ نهر
 الاهالي من هذا العمل الفظيع ولم تعد الصعوبات تمنعهم عن طلب
 الخلاص من عبودية الدنياركيين فاقاموا عليهم قائداً يسمى غوستاف
 واصا . وهو شاب من نسل الملوك القدماء كان مختبئاً في وسط الغابات
 وكان شجاعاً مشهوراً فصيحاً اديباً محباً لوطنه وجاهدوا الجهاد الحسن في
 مقاومة ظالمهم وبعد عدة وقائع بطول شرحها انتصروا عليهم وقبض
 غوستاف واصا على الملك كريستيان والمطران وطردهما من اسوج فانتخب
 الاهالي ملكاً عليهم سنة ١٥٢٣ . وحالما استأمن على مركزه اخذ ينتقم من
 الاساقفة والقسس ممن اعتقد انهم مسئولون على اموال اسوج وينفقونها
 في ظلم الناس ومحرابة الملوك فعاقبهم ما امكن وفي مدة وجيزة نزع من

البلاد الديانة اللاتينية الغالبة وجعل رعاياه يتمسكون بالمذهب البروتستانتي
ثم توفي في عزه وفخره وله من العمر ٧٠ سنة
وخلقه في المملكة احد اولاده المسمى غوستاف ادولف فتبوا تاجها
سنة ١٦١١ وكان من اشجع ابناء زمانه موصوفاً بالحزم والفهم سعيدي في
مغازيه فاخذت البلاد في ايامه تتقدم حتى اكتسبت شهرة عظيمة لاسيا
بواسطة انتصاراته الكثيرة وافتتاحاته العديدة . وكانت المملكة يومئذ
مشتبكة في حرب مع روسيا ودينبارك وبولونيا فبعد ما عقد صلحاً مع
الدولتين الاوليين استظهر على بولونيا في موقعتين عظيمتين والزها ان
تنازل له عن كل حصون ليفونيا وبولونيا البروسية . وبعد نهاية هذه
الحروب اتحد مع امراء المانيا البروتستانت وتحزب للطائفة البروتستانتية
ضد الامبراطور فردينند الثاني الذي كان يعاملهم بالقساوة والجناء فشهروا
عليه حرباً وافتحم جيوشه سنة ١٦٣١ في واقعة ليبسك التي كانت تحت
قيادة الجنرال تلي ففتك بهم وانتصر عليهم انتصاراً عظيماً بعدما قتل منهم
عدداً وافراً . ثم في سنة ١٦٣٢ فتك ثانية بجيوش فردينند في لوتسين
ولكنه قتل في وسط المعركة . وخلاصة الكلام انه اضعف سلطنة فردينند
الثاني وفتح نحو مئة محل في بلاد المانيا ارجعت بعد موته
وجلس على سرير المملكة بعد ادواف المذكور ابنته كريستينا وكانت
كاثوليكية المذهب فريدة في جودة العقل والفتنة محبة للعلوم والعلاء
غير ان بعضهم اتهمها بقبح السيرة فبعد ان استبدت بالملك بضع سنين
تنازلت عن الكرمي لقرينها كارلوس العاشر من العائلة المسماة بالنتنطرتين
فتفتح جملة فتوحات وانتصر على الدينباركبير مراراً واشتهر بانتصاره في
واقعة وارسو عند محاربه في بولونيا وازاد اقليم ايسكانيا الى اسوج
ومن اعظم ملوك العائلة المذكورة الملك كارلوس الثاني عشر وولد
في ٢٧ حزيران سنة ١٦٨٢ وكان منذ صغره فريداً بين الناس ذاهمة

عالية وصفات مستكملة محباً لركوب الخيل وللرياضات العنيفة وتحمل
الاعتاب الشاقة وكان مع ذلك غير ناقص في العلوم والفضائل الادبية
فنشأ شاباً حكيماً وجباراً منيعاً . وكان له من العمر خمس عشرة سنة
جلس على سرير الملك مكان ابيه كارلوس الحادي عشر وقام باعباء
المملكة اتم قيام ففتح فتوحات كثيرة وفعل افعالاً عجيبة بقصر اللسان عن
وصفها وتعجز الافلام عن شرحها . وكان بطرس الكبير ملك روسيا قد
اتحد مع فريدريك ملك دنيمارك واوغسطس ملك بولونيا على حربه
فالقيام كارلوس وحاربهم وانتصر عليهم في عدة وقائع بعد ما فرق جوعهم
ومزقها وانزل اوغسطس عن تحت بولونيا قوة واقدراراً واقام مكانه
ملكاً آخر يدعى استانسلاس . ثم حدثت بينه وبين بطرس المذكور
مواقع اخرى انتصر فيها عليه لا سيما في واقعة زفا المشهورة سنة ١٧٠١
فانه كسر فيها جيوش الروسيين اشأم كسرة فذاع صيته وانتشربين
بمالك الارض حتى امتد اكثر دول اوربا في خوف وحذر من سطوته
وبطشه . وما زالت الحروب بينه وبين بطرس المذكور متصلة بدون
انقطاع مدة تسع سنين الى ان حدثت بينهما اخيراً واقعة ييلتوفا المشهورة
سنة ١٧٠٩ وكانت قد كُتت وضعفت جيوش كارلوس من كثرة الحروب
والمشقات المتتابة وهلك اكثرها من الجوع والبرد فانتصر بطرس عليه
بعد موقعتين عظيمتين وانجرح كارلوس فيها جرحاً بليغاً وتشت شمال جيشه
كل التشت وأمر منه جانب فقر هارباً وهو على اسوأ حال واتجأ الى
الدولة العثمانية واقام في بلادها مدة طويلة بعد ما فقد اكثر فتوحاته
وضاعت على مملكة اسوج اقاليم وولايات معتبرة . وبعد رجوع كارلوس الى
بلادته نهض سنة ١٧١٨ لمحاربة زوج واسترجاع الاقاليم التي كانت قد
استولت عليها من بلادده وفي اثناء محاصرته مدينة فردريكال اصابته
رصاصة في صدره مات منها على الفور . ولم يبق لاسوج قائم بعد كارلوس

الثاني عشر واخذت من بعده في الانحطاط شيئاً فشيئاً وغيّرت الامة
نظامات البلاد ورفعت من ايدي ملوكها التصرف المطلق واودعته مجالس
شورية فكان ذلك سبباً لاطفاء نيران كثيرة على ان البلاد لم تخل من
الفتن والمفاسد

وسنة ١٧٥١ تبوأ سرير مملكة اسوج ادولف فريدريك من عائلة
هولستين غوتورب ثم تناول الملكة بعده كارلوس الثالث عشر واذا لم يكن
من يرثه من ذريته تبنى المارشال برندوت الفرناوي ليكون وارثاً. وفي
ايامه انضمت مملكة نروج الى اسوج سنة ١٨١٤. وبعد وفاة كارلوس
المذكور قام بالملك بعده المارشال برندوت المذكور سنة ١٨١٨ تحت
اسم كارلوس الرابع عشر وقام بعده باعباء المملكة اوسكار الاول سنة ١٨٤٤
ثم خلفه اوسكار الثاني سنة ١٨٧٢ وهو الملك الحالي

الفصل الثامن عشر

في وصف مملكة الدانمارك وتاريخها

هذه المملكة في احدى الممالك الاسكندنافية الثلاث واصغرهن
يحدّها شمالاً مضيق سكاجرانك الفاصل بينها وبين نروج وشرقاً اسوج
وجنوباً همبورج ونهر الالب اللذان يفصلانها عن هانوفر وغرباً بحر جرمانيا
اي بحر الشمال. وهي على شبه جزيرة يتبعها ارجيل للشرق وبعض الجزائر
الصغيرة وعدد سكانها قبل سنة ١٨٦٦ كان مليونين ونصفاً ولكن

بعد انفصال الثلاث امريات التي ضمتها بروسيا اليها وهي شليسويك وهولستين ولاونبرج تنازل عدد اهلها الى مليون . ويتبع هذه المملكة بعض الاملاك في الخارج منها جزيرة ايسلاندا في المحيط الاطلنطي اكتشفها احد قرصان زوج سنة ٨٦٠ ومن ذلك الوقت اخذ النرويجيون يستوطنون فيها . وفيها جبل هائل يدعى هكلا وهو يركن يتصاعد منه احياناً نار ودخان ومواد ملتهبة فتتهز الجزيرة من هيجانه . وعدد سكان هذه الجزيرة ٦٥ الفاً . ومن املاكها جزيرة كرينلاندا وهي ايضاً في اميركا الشمالية اكتشفت في القرن التاسع وعدد اهلها نحو عشرة الاف نسمة يسكنون في القسم الغربي الجنوبي من الجزيرة . ومن املاكها ايضاً جزائر فارو في شمال اسكوتلاندا يبلغ عدد سكانها نحو ٩,٠٠٠ نفس وثلاث جزائر صغيرة في الهند الغربية اهلها نحو ٣٨ الفاً . وكانت بلاد فنلاندا ايضاً تابعة لاسوج قديماً اخضعها الاسويجيين في اواسط القرن الثاني عشر وادخلوا اليها الديانة المسيحية بعد ان كان اهلها عبدة اوثان ولكن في معاهدة نيستاد الواقعة سنة ١٧٢١ استولت روسيا على ما كان يعرف باقليم فيبورج وسنة ١٨٠٩ استخلصت باقي البلاد من الاسويجيين قهراً بحيث لم يبق لهم علاقة في تلك الناحية . ومن مدن هذه المملكة مدينة كوبنهاغن قسبة البلاد وهي مدينة حصينة جميلة ذات ميناء حسن وتجارة عظيمة تمتد في غالب بلاد اوربا واهلها نحو ٥٠ الفاً . ثم مدينة السينور موقعها على البوغاز الداخل الى بحر بلتيك المسمى سند وفيه هذه المدينة كانت تؤخذ قديماً الخفارة للملك من جميع السفن التي تدخل في البحر المذكور اما هواة هذه البلاد فرطب لان الجانب الاكبر منها محاط بالمياه ويردها معتدل بالنسبة الى موقعها . وفيها يقصر النهار ويطول بخلاف العادة المألوفة فيكون في بعض شهور الشتاء ست ساعات ونصفاً وفي بعض شهور الصيف سبع عشرة ساعة ونصفاً

اما محصولات هذه البلاد فتكاد لا تذكر بالاجمال واشهرها القمح والشعير والذرة . ومع انهم يستخرجون من الشعير البيرا التي هي مشروب عموم الاهالي ويصطنعون من الذرة أكثر خبز البلاد يرسلون من هذين الصنفين مقادير وافرة الى الخارج برسم التجارة . ولاهل دينيمارك اليد الطولى في اصطناع اقمشة الصوف والكتان والفخار والساعات الخشبية والوجاقات وفي هذه البلاد معامل كثيرة لصب الحديد وللقرطاس وعمل البلور والعريبات واللات الموسيقى والصابون والشمع والسكر . وأكثر هذه المعامل تخضع بالحكومة منها معمل عظيم في مدينة كوبنهاغن لعمل الفرفوري وكرخانة جوخ في أرسرود

اما الحكم فيها فهو من نوع الملكي المقيد يجري بواسطة مجالس ودواوين . والديانة العامة هي البروتستانتية والعلوم فيها ناجحة . وقد اشتهر فيها جملة افاضل مثل تيخو براهي وثورسولدسن واندرسن وغيرهم . اما تاريخ هذه البلاد فهو كباقي تاريخ الممالك الصغيرة لا يحاط باهمية عظيمة وكانت قديماً تنقسم الى عدة مقاطعات صغيرة يسكنها شعوب مختلفة الاجناس كالغوثيين والكهريين والانغليين وكانوا قبائل متبررة يجوبون الحرب وشن الغارات برّاً وبحراً . ولكن بمعاشرتهم الرومانيين تحسنت احوالهم واكتسبوا منهم فوائد كثيرة واشتهروا في الشجاعة والنبات في الوقائع والمغازي حتى انهم قاوموا شارلمان واضرّوا بالسلطنة الكارولونجية وبالمانيا واسبانيا ضرراً جسيماً وبنوعٍ خصوصي بانكثرتا حينما اقتحمها في القرن التاسع وامتلكوها مرتين لا سيما في ايام كانت الذي ادخل اليها الديانة النصرانية في القرن الحادي عشر كما سبقت الاشارة في الكلام على انكثرتا

وسنة ١٣٩٧ انضم الى مملكة الدنيمارك مملكتا اسوج ونروج تحت رياسة الملكة مرغريته ابنة والديمار الثاني التي كانت على جانب عظيم من

الذكاء والبطش حتى انهم يسمونها سميراميس الشمال تشبيهاً لها بسميراميس ملكة المشرق . والاتحاد المذكور يعرف باتحاد كمار ولكن لم يكن له من الفائدة سوى الاسم فقط لان الاضطراب والاختلال كانا متصلين وانتهى الحال بانسكاكه سنة ١٤٤٩ . وسنة ١٤٣٨ انتخب الدينماركيون ملكاً عليهم كريستيان الاول امير اولدنبورج الذي دام الملك في عقبه الى سنة ١٤٦٣ . ومن اعاله انه كان قد ضم امر يتي شليسويك وهولستين . وسنة ١٥١٣ تبوأ تحت المملكة كريستيان الثاني حفيد الاول وكان قاسياً ظالماً اطلق عليه لقب نيرون الشمال . واذا كانت اسوج يومئذ منقسمة الى حزبين حرك رئيس اساقفة اوپسال كريستيان على افتتاح تلك المملكة فزحف اليها وحاربها وقتل ملكها . وبعدها استولى عليها عدل وليمة دعا اليها الاشراف والاساقفة فلما اجتمع الجمع وكان عددهم اربعة وتسعين شخصاً قتلهم عن بكرة ابيهم ثم اطلق العساكر على الاهالي فانقضوا عليهم كالبواشق وقتلوا من وقع بين ايديهم فكانت الدماء تجري من كل اطراف المملكة . فالتزم حينئذ الاسوجيين ان يقرؤا له بالرياسة وتوجهوا ملكاً عليهم سنة ١٥٢٠ فدام كريستيان متسلطاً عليهم الى سنة ١٥٢٣ حين قام غوستاف واصا احد اشراف الاسوجيين مع جمهور من ابناء وطنه وخاموه عن كرسي مملكتهم . ثم خلع ايضاً عن تحت مملكة الدينمارك ومات محبوباً سنة ١٥٢٩ . ومن ذلك الوقت انفصلت اسوج عن دينمارك انفصلاً نهائياً واما نزوح فبقيت منضعة اليها الى سنة ١٨١٤

ومن ملوك هذه الدولة فريدريك الثاني تملك سنة ١٥٥٩ وكان اول امر شرع به شهر الحرب على الاسوجيين طمعاً باخضاعهم الى مملكته فحاربهم مدة سبع سنين من دون نتيجة . وهو الذي وهب فيجو براشي الفلكي الشهير جزيرة هون لبناء مرصد سلطاني لرصد الاجرام السماوية باق الى هذا اليوم . ومن ملوكهم ايضاً كريستيان السابع جلس على كرسي المملكة

سنة ١٧٦٦ وتزوج بكارولين ما تيلد اخت جورج الثالث ملك الانكليز. وبما ان حكومة الدنيمارك كانت من حزب فرنسا في زمن حروب نابليون الاول هاجمت الانكليز عاصمتها سنة ١٨٠٧ واطلقت عليها القنابل واستولت عليها فهرب الملك الى هولستين ومات هناك في السنة التالية وخلفه ابنه فريدريك السادس فاصح ما دمره الانكليز من المملكة. ثم حارب الاسويجين الذين كانوا مصممين على استخلاص بلاد نروج فاستظهر عليهم والزمهم على طلب المصالحة. وسلك مسلك ابيه في التحزب والميل الى فرنسا ولكنه سنة ١٨١٤ عقد مع انكلترا واسوج صلحا بعد ان تنازل عن نروج الى اسوج وعن جزيرة هليكولاند^(١) الى انكلترا. وسنة ١٨١٥ تنازل الى بروسيا عن بوميرانيا الاسوجية وعن روغن الماخوذتين من اسوج بدلاً من نروج واستعاضهما بامرية لاونبرج التي استرجعتها بروسيا مع غيرها فيما بعد كما تقدم القول. وكان آخر ملوك عائلة اولدنبورج الملك فريدريك السابع تولى سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٨٦٣

واذ لم يترك وارثاً تولى بعده الامير كريستيان غلوسبورج وفقاً لمعاهدة لندن سنة ١٨٥٢ وتلقب

بكريستيان التاسع وهو
المتولي الان

— ٥٥٥ —

(١) ان جزيرة هليكولاند ومعناها الارض المقدسة كائنه في البحر الشمالي وهي ذات فائدة عظيمة لانكلترا في وقت الحرب لانهم استخدموها ذلك كخفزن لوضع مهماتها ولوازمها البحرية. وتعد سكانها ٢٨٠١٠١ بقية صدعها كيبرون للنتزه والاستحمام في البحر ثم هبنتها انكلترا سنة ١٨٩٠ لالمانيا

القسم الرابع

في تاريخ امريكا

الفصل الاول

في وصفها الجغرافي واخبار اهلها القدماء

اعلم ان قارة اميركا هي قسم عظيم جداً من الكرة الارضية وهي
الجزء الثاني من اجزاء الدنيا الخمسة. اما حدودها فمن الشرق الاوقيانوس
الاتلانتيكي الذي يفصل بينها وبين قارتي افريقيا واوربا. ومن الغرب
الاوقيانوس الباسيفيكي وهو الفاصل بينها وبين اسيا. ومن الشمال البحر
الشمالى. ومن الجنوب المحيط ايضاً. وعدد اهلها ٩٠ مليون نفس منها ٥٥
مليوناً في اميركا الشمالية وخمس ملايين في الهند الغربية و ٣٠ مليوناً في
اميركا الجنوبية

وهذه القارة قسمان اصليان يُعرف احدهما باميركا الشمالية والثاني
باميركا الجنوبية يفصلهما برزخ داريان الذي يبلغ عرضه بين ٣٠ او ٤٠
ميلاً. وبين اميركا واسيا من الجهة الشمالية الغربية مسافة وجيزة يفصل
بينهما بوزاز بيرين او بهرين وهو بوزاز ضيق معظم طوله نحو ٣٠ او ٤٠

ميلاً وفي بعض الاماكن ١٨ ميلاً فقط . وقد انقسمت هذه القارة الى عدة اقسام كبرى منها ستة في اميركا الشمالية واثنا عشر في اميركا الجنوبية سنذكرها في محلاتها ان شاء الله تعالى . والحكم في هذه الاقسام من نوع الجمهورية . وبين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية عدة جزائر حسنة يقال لها جزائر الهند الغربية . واكثر هذه البلاد غنية بالمعادن الثمينة من ذهب وفضة وحديد ونحاس وورصاص وزئبق وغير ذلك . وفيها انواع الرخام والحجارة الثمينة كاللؤلؤ والزمرد والياقوت والماس اما هواؤها فمختلف بحسب مواقع اجزائها في المنطقة الحارة او الباردة . فانه في شمالي اميركا الشمالية يشتد البرد بهذا المقدار حتى لا تنمو فيها الاشجار ولا ينبت بارضها نبات ويجمد بحرها من الجليد مدة تسعة اشهر فلا يمكن لمخلوق ذي حياة ان يسكنها حتى في الصيف ايضاً ومن النوادير ان يرى فيها دب اورنه . ولكن كلما تقدمت جنوباً اعتدلت المنطقة بحيث متى وصلت الى الولايات المتحدة والاماكن التي تجاه خليج مكسيكو وباقي الاراضي الواقعة شمالي اميركا الجنوبية تجد اعتدالاً كاملاً وهواء لطيفاً كهواء الربيع والصيف . واذا تقدمت أكثر فأكثر نحو الجنوب يبرد الهواء ويطول فيها الشتاء حتى ان البلاد التي عند راس هورن يدوم شتاؤها مدة تسعة اشهر . اما حيوانات هذه القارة فكثيرة منها ما يوجد في بقية اجزاء العالم كالقيل والجل والنمر والكركدن والاسد والنعام وفرس النهر والزرافة ومنها ما يندر وجوده او لا وجود له في باقي القارات كالجاموس البري والماعز البري والغنم البري والوعل وانواع كثيرة من الغزلان والقروود والدبابات والزحافات والطيور . وفيها ايضاً جبال كثيرة وانهر عديدة اعظمها نهر امازون ونهر ميسيبي اللذان لا نظير لهما في باقي قارات الكرة . وبالاجمال ان هذه القارة كثيرة المحصولات وافرة الخيرات والغلال واسعة الاراضي والفلوات حتى لو زاد

اهلها على عدد عشر اضعاف لكان لهم مكان ومعاش . واكثر سكان
 هذه القارة من نسل اهل اوربا الذين هاجروا اليها بعد اكتشافها
 واستوطنوها . وفيها بعض من العبيد الذين جلبوا اليها من افريقية وبعض
 من الهنود الاصليين الذين كانوا هناك قبل اكتشافها

ولم تكن هذه القارة معروفة عند اهل العالم القديم حتى كشفها
 كريستوفر كولومبس سنة ١٤٩٢ للميلاد ووجد هناك يومئذ قبائل
 كثيرة في حالة التوحش يشبهون اهل الهند في اللون والصفات ولهذا
 سموا هنوداً . وقد اختلف العلماء في كيفية وصول هذه القبائل الى هناك
 اختلافاً كثيراً ولهم في ذلك اقوال عديدة فعلى حسب رأي بعض
 المدققين ان اول من دخل قارة اميركا قوم الاسكيمو الذين يسكنون
 الجزء الشمالي من اميركا الشمالية وهم قوم من شمالي اوربا سافروا اليها
 بسننهم الصغيرة كما فعل التروجيون في القرن التاسع وقت اكتشافهم
 جزيرتي ايسلاندا وكرينلاندا ولكنهم لم يستوطنوها . ومما يؤيد ذلك
 امتياز الاسكيمو عن هنود اميركا ومشابتهم الكلية بالابلانديين في
 شمالي روسيا في اوربا . اما دخول الهنود فليس هو الا من اسيا التي كما
 تقدم القول تكاد تكون متصلة باميركا فلا يبعد ان قوماً من التتر في
 الاعصر السالفة اتوا اميركا من تلك الجهة القريبة كما يفعل اهل اسيا حتى
 الآن اذ يعبرون هذا المضيق بالقوارب . ويظن ايضاً ان اهل جنوبي اسيا
 قصدوا اميركا عابرين الاوقيانوس الباسيفيكي ومنتقلين من جزيرة الى
 اخرى بسننهم الصغيرة . ومما يؤيد صحة ذلك مشابهة هنود اميركا بعض
 القبائل من اسيا في الهيئة وبعض العوائد

وقد ظن البعض ان القرطبيين اكتشفوا اميركا الشمالية وسكنوها
 ونقشوا بعض الكتابات عند مونتي فيدبو ولكن حقيقة ذلك مجهولة
 وبالاحرى هو وهم لا صحة له . ولكنه امرٌ محقق في هذه الايام ان

الدانماركبين الذين اتوا اولاً الى جزيرة ايسلاندا ثم الى كرينلاندا دخلوا
ايضاً الولايات المتحدة سنة الف لليلاد تقريباً ولم يسكنوها وبقيت اخبار
دخولهم مضموسة الى حين اكتشاف كولبوس القارة

الفصل الثاني

في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت خريستوفورس
كولبوس سنة ١٥٠٦

انه بعد ان بقي نصف العالم الغربي احقاباً عديدة مجهولاً عند اهل



كريستوفورس كولبوس

العالم القديم ونحو خمسة عشر قرناً للتاريخ الحديث ظهر أخيراً بعناية الله
رجل عجيب كشف الحجاب عما استتر من دنيانا ادواراً مستطيلة وهو

خريستوفورس كولبوس . وكانت ولادة هذا الرجل في مدينة جنوا سنة ١٤٣٥ . ولما بلغ سن الخمس عشرة سنة انتظم في سلك الملاحين فامس هذه المهنة واتقنها غاية الاتقان حتى فاق فيها على اقرانه وتعود الاسفار واقحام الاخطار . فاتفق ذات يوم بينما كان في احدى سفرائه وقع بين سفينته وسفينة قرصانية معركة قوية كانت الدائرة بها على سفينته فالتقى نفسه في البحر طالباً النجاة ويده مجداف واخذ في السباحة حتى قطع مسافة طويلة وبعد ان قامى احوالاً كثيرة القته التقادير على شواطئ بلاد البورتوغال فسار قاصداً عاصمة المملكة الى ان وصل الى مدينة ليسبون وكان له يومئذ من العمر نحو ٣٥ سنة . فسكن في تلك المدينة وبعد مدة تزوج هناك بابتة قبطان بورتغالي كان ابوها قد صرف زمانه في الاسفار فاكسب منه كولبوس فوائد كثيرة وبتكرار اسفاره الى جزائر البحار اصبح من احسن ملاحي اوربا وامهرهم . ولكن اذ كان هو وزوجته في حالة فقرية اخذ يشتغل في رسم الخارطات لاجل تحصيل معاشه .

وبينما كان ذات يوم مهموكاً في رسم الخارطات اندهل متجباً عندما افكر بالجهات المتسعة من الكرة الارضية التي لم يكن احد يعرف عنها شيئاً الى ذلك اليوم . ثم اخذ يتحدث نفسه بقوله يا ترى هل الارض مسطحة او كرة فاذا فرضنا انها مسطحة فابن تكون نهايتها وان كانت كرة فما هو حجمها فارتأى اخيراً بعد البحث الدقيق والتأمل الكثير انها كرة وحكم باستدارتها وحجمها وقد استنتج ذلك عقلاً كما يستنتج كل حاذق لبيب ان اوربا واسيا وافريقية ليست الاً قسماً من الكرة الارضية يلزم بالضرورة ان يوازيه قسم اخر يقابله . وبما زاده اقتناعاً وتأكيداً على صحة افكاره ما كان يسمعه من ارباب الملاحة من الملاحظات والتخمينات في هذا الخصوص . من ذلك ان ملاحاً بورتوغالياً حدثه ذات يوم انه

كان قد توغل في بعض اسفاره لجهة الغرب وقطع مسافة طويلة من البحر لم يقطعها احدٌ غيره من اهل ذلك العصر فوجد قطعة خشب منقوشة وعائمة على وجه الماء تدفعها نحو رايح غربية فاستنتج كولبوس من ذلك انها آتية من بعض اراض مجهولة واقعة في تلك الناحية. ثم حدثه اخر انه شاهد على سواحل جزائر اسورة اشجاراً مقلوعة فذفتها الامواج الى تلك الجهة عقب رايح غربية شديدة وبلغه ايضاً انه شوهد مرة جثتا رجلين ميتين لا يشبهان اهل اوربا وافر بقية في هيئتهما. فهذه المعلومات مع ما استفاده من الملاحين الذين كانوا يترددون عليه بعد رجوعهم من اسفارهم البعيدة حققت له وجود اراض جديدة في العالم ذات غنى وبهجة مجهولة عند الناس

واذ كان لا بد لكولبوس ان يستعين بمن يمد له بالمال للوصول الى هذا الامر لاح بفكره اولاً ان يجعل نخار ذلك المشروع عائداً لوطنه فسافر الى جنوا وعرض للحكومة بما في ضميره ملتسماً منها المعاوضة والامداد فلم يجبه المجلس انى طلبه وحميه ضرباً من الجنون فارتد راجعاً الى ليسبون وعرض افكاره على ملك البورتوغال يوحنا الثاني فاجابه الى سؤاله وترحب به الا انه لما اشترط عليه كولبوس ان يكون نائبه على تلك البلاد المزمع ان يكتشفها وان يكون له عشر ايراداتها مكافأة لاتعابه توقف عن الاجابة واحال رؤيته ذلك الى عمدة خصوصية من علماء ليسبون لاجل النظر في هذه المسئلة فاستحسن بعضهم افكار كولبوس لكن الاكثرين رفضوها وحكموا بان ما ذهب اليه انما هو وهم وهذيان فلما لم ينجح كولبوس لافي جنوا ولا في البورتوغال ذهب الى اسبانيا في اواخر سنة ١٤٨٤ ليعرض مشروعه على الملك فردينند والملكة ايزابلا ومع انهما كانا يومئذٍ مشتغلين بقتال العرب وطردهم من اقطار البلاد قابلاه بكل انس وسمعا له باصغاء ولذة ثم فوضا النظر في قضيته الى

معلم ذمة الملكة ايزابله فاخذ يبحث ويستعلم ممن له خبرة في ذلك ويستدعي
 كولبوس لايراد ادلته وبراهينه امامهم فمضى عليه خمس سنوات وهو
 يناقشهم ويبرهن لهم واخيراً حكموا بما لا يوافق غرضه . فازداد بكولبوس
 الحزن والقلق وعزم على التوجه الى انكترا ليعرض افكاره على ملكها
 هنري الرابع فمنعه احد اصدقائه وكان رئيساً على بعض الاديرة ومعلم
 ذمة الملكة ايزابله سابقاً فبعث اليها بكتاب يلتمس به الالتفات العظيم
 الى مقصد كولبوس . فآثر فيها كتابه واذعنت لرايه وارسلت تستدعيه
 اليها فنهض مسرعاً واتى غرناطة حيث كانت الملكة محاصرتها . ولما تمثل
 امامها اقمها بحسن ذلك المشروع فطلبت حضور كولبوس لمقابلتها فحضر
 حالاً واتفق وصوله في الوقت الذي انتصر فيه الاسبانيول على العرب .
 فعند اجتماع الملكة بكولبوس سألته عما يريد فاخبرها بما كان في ضميره
 من ذلك الامر وقال اني التمس من عظمتك ان تاذني لي ببعض السفن
 لاكتشاف اراض جديدة ذات ثروة وغنى واريد مكافأة عن ذلك ان
 اكون نائباً لعظمتك على ما اكتشفه من الاراضي والبلاد وان يكون لي
 عشر ما ينتج من تلك الاكتشافات . فاستعظم الوزراء وارباب الديوان
 هذا الطلب وحسبوه منه وقاحة وجسارة فطلبت الملكة من كولبوس
 تخفيض ما طلبه فلم يقبل وخرج بغضب من وسط الديوان فركب فرسه
 وارتد راجعاً الى الدير في بالوس قاصداً السفر من هناك الى فرنسا
 فانزعجت ايزابله من خروج كولبوس على تلك الكيفية وخافت ان
 تخسر اسبانيا شرف ذلك الاكتشاف اذا تم فكشفت زوجها عما لاح في
 خاطرها من هذا القبيل فقال لها ان الحزينة الآن في عسر لكثرة الاموال
 التي انتقناها في الحروب مع العرب ولا يوجد فيها ما يقوم بمصروف هذا
 المشروع . فاجابته ايزابله قائلة اني اجري ذلك على نفقي الخصوصية
 وسأرهن ما عندي من الجواهر والحلى واستحصل ما يلزم من النقود لهذا

الامر. ثم ارسلت في الحال ساعياً في اثر كولبوس تستدعيه اليها فرجع واجتمع بها فترحبت به كثيراً واجابته الى ما كان قد طلبه من الشروط المذكورة وهكذا وضع فردينند وايزابلة امضاها في السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٤٩٢ على المعاهدة التي عقدت بينهما وبين كولبوس بهذا الصدد

وبعد عقد الشروط بين الطرفين صدر الامر الملكي للحكومة في بالوس بتجهيز سفينتين حربيتين مشحونتين بما يلزم من المؤونة والملاحين للسفر مع كولبوس الى حيثما اراد . وجيز كولبوس سفينة ثلاثة على حساب صديق له اسمه مرتين الوزو . وكان جملة ما صرف على هذه العمارة الحقيمة مائة الف فرنك . وفي اليوم الثالث من شهر آب سنة ١٤٩٢ سافر كولبوس من ميناء بالوس وبعد اسبوع اشرف على جزائر كناري المعروفة بالخالديات التي تبعد نحو الف ميل عن اسبانيا وكان قد تعطل معه سفينة في اثناء الطريق فاقام في تلك الجزائر نحو ثلاثة اسابيع حتى جهز سفينة جديدة مكانها . ثم اقلع من هناك قاصداً تلك الجهات ولما توغل في البحر وصار في وسط لجم المحيط انزعج الملاحون وخافوا خوفاً عظيماً فاخذوا يتذمرون على كولبوس ويلومونه على هذه المخاطرة . وكانت تذمراتهم تزداد يوماً بعد يوم وعزموا ان لم يرجع بهم الى اسبانيا ان يطرحوه في البحر ويتخلصوا منه . واما هو فكان تارة يقوتهم وينشطهم بالكلام ويعددهم ببلوغ المرام وتارة يتهددهم . فلما طال الامر اشتد حنقهم عليه وصمموا على قتله لينجوا من تلك البلية فلم يباغوا منه مرأماً لان ثباته وشجاعته مع صبره ولطفه جعلته يسود عليهم ويقنطهم الى الطاعة واتفق في مساء اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٤٩٢ بينا كان البحر هادئاً والنسيم رائعاً لطيفاً لمخ كولبوس في منتصف الليل نوراً سطع عن بعد ثم اختفى حالاً فانذهل واخذ يقول في نفسه ما

عسى ان يكون هذا النور وبينما هو ذاهل حائر ظهر له النور مرة اخرى . ثم بعد ذلك يبضع ساعات سمع صوتاً من السفينة المسماة بنتا التي كانت لتقدمهم وفاقلاً يقول البر البر . فما جاء النهار حتى اشرقوا على جزيرة هببة المنظر ذات اشجار وغابات فكان التسميم اللطيف يهب عليهم من الشاطئ حاملاً روائح الزهور العطرة . واذ كانوا قد ملوا وضجروا من مشقات المحيط واهوال لجبهه مدة اكثر من شهرين كان ذلك المنظر لديهم كمنظر الفردوس فالقوا مراسيمهم واخذوا يسبحون الله رافعين اصواتهم بالشكر نحوه ثم بكوا من شدة الفرح والتعجب وبعد ذلك خروا على اقدام كولبوس وطلبوا منه الصفح والمسامحة على ما فرط منهم في حقه . ثم انهم عند طلوع الشمس تقلدوا اسلحتهم وانزلوا القوارب فنشروا فيها الرايات الاسبانية وقصدوا البر وكانوا كما دنوا من الشاطئ يزيدهم منظر الجزيرة بهجة وفرحاً لاسبانيا منظر بيوت الاهالي الظرفية المتفرقة بين تلك الغابات الخضراء التي كستها البيعة اجمل حلاها . وعند وصولهم الى البر خرج كولبوس اولاً رافعاً سيفه ثم جثا على ركبته ورفع عينيه نحو السماء وشكر الله تعالى على حفظه اياه وتكليل عمله بالجاح فكان هو اول من وطئ من اهل اوربا ارض الدنيا الجديدة

وقد سمي كولبوس هذه الجزيرة سان سلفادور ومعناه المخلص ثم رفع راية اسبانيا باحتفال عظيم على شاطئها وبعد ذلك حلف له بين الطاعة جميع من كان معه من الملاحين والاتباع . وبينما هم في سرور وانشراح اقبل عليهم اهالي تلك الجزيرة وهم ينظرون اليهم متعجبين من بياض الوانهم وطول لحامهم ومن اسلحتهم الالامعة وراياتهم الحربية . وكان اهالي هذه الجزيرة على جانب عظيم من اللطف وسلامة النية . فصرف كولبوس واصحابه ذلك النهار بالطواف بين الغابات والاحراش وهم يتناولون من ثمارها الشهية ويتعجبون من مظاهرها ثم ذهب بهم الاهالي الى منازلهم

وترحبوا بهم غاية الترحب وكان عندهم ذلك النهار يوم عيد وفرح عظيم .
 وراى كولبوس اكثر سكان تلك المدينة يعلقون في انوفهم اقرطة من
 الذهب فدالم عنها وعن الاماكن التي يستخرجونها منها فاشاروا له الى
 جهة الجنوب . فاخذ معه جماعة منهم وسار قاصداً تلك الجهة المذكورة
 فاكتشف على عدة جزائر صغيرة وارضى واسعة منها جزيرة كوا با فجعل
 فيها وتعب من خصب اراضيها لكنه لم يجد فيها من الذهب ما يشفي
 الغليل . فدلّه اهلها على جزيرة ثانية في الجهة الشرقية تدعى هايقي فقصدها
 كولبوس ووصل اليها في ٦ كانون الاول وسماها اسبانويلا ثم سماها
 النرساويون والانكليز بعد ذلك بسانت دومينيكو ولم تزل الى الآن
 تعرف بهذه الثلاثة الاسماء . واذا وجد كولبوس عند اهالي هذه الجزيرة
 ذهباً كثيراً اقام عندهم بضعة ايام وبادلهم على ذهبهم باشياء لا قيمة لها
 كالجراس وخرزودبايس ومسامير وما اشبه ذلك

ثم اخذ بطوف من جزيرة الى اخرى فانكسرت معهم سفينة ولم
 يبق معه سوى سفينة واحدة صغيرة لان الثالثة كانت قد انفصلت عنه
 عقب هذا الاكتشاف . فارتبك في امره خوفاً من ان يكون رئيسها قد
 عاد الى اسبانيا ليكون اول مبلغ بنجاح مشروعه فكان ذلك سبباً لرجوعه
 الى اسبانيا بدون ابطاء . فترك في الجزيرة جماعة من اصحابه ليتعلموا لغة
 الاهالي ويستميلوهم اليهم وبنى لهم حصناً من خشب السفينة المكسورة
 وحصنه ببعض المدافع ثم ودع اصحابه واخذ معه جماعة من اهالي
 البلاد وارتد راجعاً الى اسبانيا فوصل اليها بعد غياب سبعة اشهر واحد
 عشر يوماً . فالتقى الملكة ايزابلا وزوجها الملك فردينند بالترحاب والاكرام
 وسالاه ان يقص عليهما اخبار سفرته فحدثها بواقعة الحال وما جرى
 له من البداهة الى حين رجوعه واراها ما كان قد جاء به من الذهب
 فنجبا غاية العجب وسراً به فرفعا منزلته وقرّبا به اليهما . ولما شاع في

اوربا خبر نجاح مشروعه استعظمه الناس واستغربوه وكان ذلك موضوع بحثهم ليلاً ونهاراً

وبعد ان اقام كوليبوس مدة وجيزة في دار الملك استاذن الملكة بالرجوع الى اميركا ليقوم بمحق اكتشافات جديدة فاذنت له بذلك وجهزت له سفناً حربية لتسكون في خدمته وتحت طوع او امره . فاخذ معه كثيراً من البضائع واللعب التي يعلم رواج سوقها بين الهنود واصحاب معه بعض المبشرين لينذروا القوم ويهدوهم الى الديانة المسيحية . وكان عدد الذين دخلوا السفن المذكورة ١٥٠٠ نفس . وفي ٣٠ ايلول سنة ١٤٩٣ اقلع كوليبوس من ميناء قادس وفي ٢ من تشرين الثاني من السنة المذكورة اشرف على جزيرة لم تكن معروفة عنده بعد واذا اتفق ان يوم وصوله الى تلك الجزيرة كان يوم الاحد سماها دومينيكا ومعناه يوم الاحد وفي نفس ذلك النهار اكتشف ست جزائر اخرى وكان اهلها من البرابرة الذين ياكلون لحوم البشر . وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني وصل الى جزيرة اسبانيولا فلم يجد بها احداً من الاسبانيوليين الذين كان قد تركهم هناك فاخذه العجب من جرى ذلك وعند خروجه الى البر وجد الحصن خراباً . وكان السبب في ذلك ان الاسبانيوليين بعد ارتحال كوليبوس عنهم سلكوا مع الاهالي مسلك الظلم والمجور فمقتوهم وكرهوهم وبادوهم عن اخرهم

فلما راسه رفاقه كوليبوس ما كان من امر فقد اخوانهم اخذوا يشتمونه ويصفونه بالمكر والخداع فلكي يلهمهم بعث بقوم منهم الى داخلية الجزيرة لكي يبحثوا على معادن الذهب وشرع يبني عوض الحصن مدينة جديدة صغيرة وسماها باسم الملكة ايزابلا وبعد ان فرغ من ذلك مرض مرضاً شديداً آكاد يموت به . ولما شفي اخذ يطوف مقابل شطوط جزيرة كوبا حتى وصل الى جزيرة جامايكا فتمعه اهلها عن الخروج فخرج قهراً

عنهم واذ لم يجد فيها ذهباً انثنى راجعاً الى كوبا . ثم طاف مدة خمسة اشهر واكتشف عدة جزائر وبعد ذلك عاد راجعاً الى جزيرة ايزابله فلما وصل اليها وجد ان جماعة الاسبانيولين قد اثاروا حروباً كثيرة مع قبائل الهنود واذلوم واستعبدهم وعاملوهم بشئ المعاملة

وكان قد رجع الى اسبانيا بعض رفاقه كوليوس فوشوا به الى الملك والملكة وتكلموا عنه بما لا يليق حسداً وبغضاً فبعثنا من طرفها سفراء لاجل الفحص والتحقيق عن ذلك وعند اجتماعهم بكوليوس عاملوه بعنف وقساوة فالزم ان يرجع الى اسبانيا لكي يبرىء نفسه من تهمهم وعند وصوله دخل الى الملكة واقنعها ببطل ما اتهمه به اعداؤه . ثم جهزت له سفناً اخرى فعاد بها الى اميركا وهي السفرة الثالثة . وبعد ان جال جنوبي القارة ليتحقق اجزيرة هي ام لا رجع الى ايزابله في هابتي سنة ٣٠ اب سنة ١٤٩٤ فوجدها في اسوأ حال لان قومه الاسبانيولين بسبب الحروب التي اثاروها على الاهالي حوّلوا تلك الجنة العذبة الى قفر قريياً وامسى الفريقان في اتعس حال

وسنة ١٥٠٠ وشى بكوليوس بعض مبغضيه مرة اخرى الى حكومة اسبانيا فارسلت ماموراً من العائلة الملكية لينظر في تلك التثيكات ورخصت له في عزله والتولي مكانه ان وجد مذنباً . واذ كان لذلك المامور كل الصالح في تجنيح كوليوس لم تعسر عليه الوسائط لتذنيه فامر بوضع الحديد في رجليه وارسله مقيداً الى اسبانيا . فلما بلغ فرديند وايزابله ما لحق بكوليوس من الاساءة والاهانة غضبا لذلك وامرا بفكه من الاغلال وعندما استحضراه اليهما واثبت براءته لدى الديوان امرا بعزل المامور المذكور عن ولاية تلك البلاد ولكنهما لم يعيدا كوليوس الى منصبه بل اقاما مكانه تقولا دي وندو سنة ١٥٠١ ولكن مع كل هذه المظالم والتعديات لم تقهره كوليوس عن مداومة

الاكتشاف بل شرع سنة ١٥٠٢ في رحلة رابعة فكانت مشومة عليه
 وقامى بها من المتاعب والاضطرابات ما تعجز الاقلام عن استيفائه فالتزم
 ان يرجع الى اسبانيا بعد غياب سنتين وعند وصوله اليها بلغه وفاة
 الملكة ايزابله فاتقطع بموتها ما كان يومئذ من مساعدتها وامدادها . ولما
 كان زوجها فرديند لا يلتفت اليه زاده ذلك همماً وغماً . وانتهى الحال
 بموته سنة ١٥٠٦ وهو في حالة الفاقة وله من العمر سبعون سنة . وبعد
 ان دفن في مدينة اشبيلية نقله الاسبانيون الى اميركا وما زالت بقاياها
 موجودة الآن في مدينة هافانا في جزيرة كوبا . فايين عيناه لتتظرا ما
 وصلت اليه الآن تلك البلاد الزاهرة وتلك الشعوب المتقدمة وتنسب تلك
 المخاطر والمناظر المريعة التي صادفتها وذلك السهر الذي حرّم اجفانها
 لذيذ النوم ستين عديدة

اني رايتُ وفي الايام تجربةُ

للصبر عاقبة محمودة الاثري

وقل من جد في امرٍ يحاوله

واستصحب الصبر الأفاض بالوطر

الفصل الثالث

في مداومة اكتشاف الاسبانويولين وسبب تسمية القارة
اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو

وكان لما رأى الاسبانويولين نجاح ما شرع به كولبوس حسدوه
وصار لهم رغبة عظيمة للتوجه الى تلك الاماكن فالتمسوا من الملك ان
يأذن لهم بالسفر على نفقة انفسهم ليكتشفوا ما بقي هناك من البلاد المجهولة
فاذن لهم واخذ يسافر الواحد بعد الآخر بدون رضى كولبوس . وكان
اول من سافر رجل يقال له الونزو احد رفاق كولبوس في سفرته الثانية
فسافر من اسبانيا سنة ١٤٩٩ وبرفته رجل من اعيان فلورنسا يسمى
اميريكوس ثيبوسوس وكان ذا معرفة وخبرة بعلم سلك البحر . فلما رجع
اميركوس الى اوربا ألف كتاباً ضمنه الحوادث التي وقعت له في هذا
السفر وسلك في تأليفه مسلكاً حسناً ونسب به لنفسه فخر ذلك الاكتشاف
فكان اول تخطيط اشتهر في وصف العالم الجديد . فاخذ الناس من ذلك
العهد يتعودون رويداً رويداً على تسمية العالم المذكور باسم اميريكوس
مع انه كان يجب ان يسمى باسم كاشفه الحقيقي . وفي سنة ١٥٠٠ اوصل
البورتوغاليون الى بلاد برازيل فاستولوا عليها
وكان لما وُشي بكولبوس المرة الثانية الى الملكة ايزابلا ارسلت والياً

من طرفها على جزيرة اسبانيولا يقال له اوفاندو فكان ذا همة ونشاط
 واسس عدة مدن في أكثر جهات الجزيرة المذكورة وزرع في اراضيها
 مزارع منسعة من قصب السكر. وفي مدة قصيرة اصبحت هذه الزراعة لمعظم
 شغل اهل اسبانيولا وعلت ثروتهم الا ان الوالي المذكور بقدر ما كان
 محبوباً من الرعايا الاسبانيولين نظراً لحسن تصرفه معهم كان بعكس
 الامر مكروهاً من الهنود لسوء معاملته ايامه . فلما بلغ ايزابله جور
 الاسبانيولين على الهنود صدر امرها برفع المظالم عنهم ومعاملتهم باللطف
 ولم يطل ذلك اذ ماتت هذه الملكة فادخلها الوالي ثانية في الامر والعبودية
 ومن جرى ذلك هلك بعضهم من الاتعاب الشاقة التي كانوا يكابدونها
 وبعضهم قتلوا انفسهم بايديهم ليتخلصوا من تلك الشقاوة . ومن ثم
 صاروا يتناقصون على وجه سريع ولم يمض عليهم ١٥ سنة حتى اصبحوا
 نحو ٦٠ الف نسمة بعد ان كانوا عدداً غفيراً . وسنة ١٥٠٨ عزل ذلك
 الوالي وأقيم مكانه دون ديبغ ابن كولبوس حيث اثبت لنفسه وراثته
 حقوق ابيه فلم يات هذا التغيير بنتيجة حسنة للهنود بل لم تات سنة ١٥١٦
 الا وتناقص عددهم الى ١٤ الفاً فانتصر للهنود جملة من الاسبانيولين
 والمرسلين الذين حضروا من اوربا لتبشير الاهالي وتنصيرهم واعترضوا
 الحكومة في ذلك الامر المنكر وكتبوا الى الدولة في مدريد يعلمونها بواقعة
 الحال فلم تلتفت الى اقوالهم

وبينما كان اهل الرافة والشفقة ينتصرون للهنود بدون نتيجة كان لا
 يزال الاسبانيوليون مستمرين على اكتشافاتهم . ففي سنة ١٥٠٨ توغل
 جوان بونس دي ليون في جوانب جزيرة پورتوريكو واستبعد اهلهما
 وعاملهم كما عامل رفاوة اهل اسبانيولا فلم يمض عليهم الا زمن قليل
 حتى اقرضوا واضمحلوا بالكلية . وفي اثناء ذلك طاف سيباستيان اوكمبو
 حول جزيرة كوبا . وعلم انها ليست ارضاً قارة كما كانوا توهموها قبلاً . وفي

سنة ١٥٠٩ طاف رجلان آخران كانا قد اكتشفا في السنة الماضية اقليم بوكاتان الواسع فجالا في اماكن عديدة حتى وصلا الى الدرجة الاربعين من العرض الجنوبي وعادت رحلتها هذه بالمنافع على الاسبانيولين اذ استنجوا منها في شان امتداد اميركا فوائدا كثيرة اصح مما كانوا استنتجوها سابقاً وعن لم عند ذلك ان يصنعوا لهم منازل ومستعمرات جديدة . وكان اول من انشأ مستعمراً نونيز بالبوا في خليج داريان وترأس عليه . وسنة ١٥١١ قصد دون دييغ كولبوس ادخال جزيرة كوبا تحت الطاعة وقلد رجلاً من اتباعه يدعى فيلاسكيز ادارة هذا المشروع . فلما علم اهل كوبا قدوم الاسبانيولين اليهم نهضوا لمقاومتهم تحت راية رئيسهم هاتوي فهزهم الاسبانيولين وبددوا شملهم واسروا قائدهم المذكور وحكموا عليه بالموت حرقاً بالنار فربطوه الى عمود وجعلوا تحته الحطب . فبينما هو على تلك الحالة اذ وافاه راهب فرنسيسكاني فاخذ يرغبه في الديانة المسيحية ويشجعه على الموت ويطلب اليه ان يتنصر ويعدده بنعيم الفردوس ان مات مسيحياً . فقال له ذلك المسكين هل في الفردوس الذي ذكرت لي لي احد من الاسبانيولين . فقال له الراهب نعم ولكن لا يدخله الا الاخير الصالحون فقط . فاجابه الهندي قائلاً وهل بين الاسبانيولين صالحون ان هذا من المستحيل واما انا فلا اريد قط ان اذهب الى مكان يجمعني بواحد منهم ثم مات وهو في لهيب النار . فمن هنا نرى درجة كراهية سكان اميركا للاسبانيولين

وسنة ١٥١٢ سافر بونس دي ليون بقصد الاكتشاف فلما جاوز جزائر لوكايس قصد الجهة الجنوبية الشرقية واكتشف جزءاً من ارض القارة الشمالية فسماه فلوريدا . وكان قد بلغه من بعض الهنود ان بقرب خليج بهاما في احدى جزائر لوكايس المذكورة عين ماء كل من اغتسل فيها من ذوي الامراض شفي حالاً وان كان شيخاً عاد شاباً . فصدق

يونس هذه الخرافة واستمر مدة طويلة وهو يطوف ويبحث عن تلك العين ولكن مع ان تفتيشه كان على اوام خرافية نتج عنه منافع جسيمة وهي معرفة خليج بهاما على وجه حقيقي فان الملاحين بعد ذلك اخذوا في سلوكه الى اوربا

وسنة ١٥١٣ بلغ بالبوا حاكم داريان من احد مشايخ البلاد انه على مسيرة ستة ايام لجهة الجنوب يوجد محيط آخر يكتنف ولاية عظيمة بكثرت فيها الذهب حتى ان اهلها يستعملونه في الاشياء التي لا طائل تحتها. وكان هذا الخبر اول دليل للاسبانيوليين على وجود بروفادار بالبوا لتأكيد ذلك وسار من يومه بمبتي رجل ولم ييال بكل الصعوبات التي حالت دونه ودون المرغوب. وما برح يتوغل في مسيره حتى اشرف على الاوقيانوس الجنوبي واستولى على اطراف شطوطه وتحقق من هنود هذا الساحل انه يوجد على البعد من الساحل المذكور في الجهة الشرقية مملكة قوية غنية فصمم على افتتاحها ولكنه لم يجسر ان يقتحمها في شزيمة قليلة من الجنود بل اخذ ذلك الى وقت آخر وارتد راجعا الى سنت ماري كرمي ولايته وبعث الى اسبانيا يخبر الدولة في ذلك الشأن طالبا الامداد لانجاز هذا المشروع فبعثت الدولة عمارة بحرية مشحونة بالمعدات والعساكر تحت لواء پدرار ياس وقلدته حكومة داريان. وسنة ١٥١٥ سار جوان دياز بجاناب اميركا الجنوبية وتوغل في تلك الاطراف حتى اشرف على مصب ريودولابلانا وهو نهر عظيم من هذا الجزء فقتله الهنود الذين ياكلون لحوم البشر وقتلوا ايضا بعض اصحابه فارتد من بقي منهم الى اوربا ولم يمتدوا في استكشافاتهم اكثر من ذلك خوفا من العواقب. وسنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيوليون بلاد المكسيك ولزيادة الايضاح سنفتح لها فصلا مخصوصا

الفصل الرابع

في الاستيطان الاوربية

ولما انتشر في اوربا خبر اكتشاف العالم الجديد والمكاسب التي كان
الذاهبون اليه يحصلون عليها اخذ الناس يهاجرون اوطانهم ويقصدونه
افواجا افواجا ويتنون لهم مستعمرات ويستوطنون فيها. فكان اشتهر من
قصد تلك القارة بعد الاسبانويين الفرنسيون والبورغاليون والانكليز
والفلمنكيون واول قسم استوطنوه سواحل اميركا الشمالية . فان احد
الفرنساويين المدعو جيمس كارتيا كان اول من اكتشف بوغاز ونهر
مارلورنس سنة ١٥٤٣ فبنى هناك قلعة عظيمة واقام فيها مع جمهور من
قومه ثم انضم اليهم بالتدريج جماهير كثيرة من فرنسا فاخذوا يمتدنون
ويجولون في تلك الاراضي والاقاليم الواسعة حتى توصلوا الى كندا وسكنوها
ثم الى اسكوتسيا الجديدة واستولوا على جميع اراضيها وبنوا لهم فيها ابنية
وحصونها . وسنة ١٦٠٨ شرعوا في تأسيس مدينة كويك وبنوا فيها قلعة
عظيمة وحصنها بالسلاح والمدافع فاصبحت احصن مستعمرات اميركا .
وعلى نمادي الاوقات صار لهم املاك واسعة وكانت فرنسا ترسل من
طرفها واليا مخصوصا لادارة احكام املاكها ورجالها . وكان الفرنسيون
في وادي وحبية مع سكان اميركا الاصليين فكانوا يتزوجون من نسائهم
ويتعاملون معهم في التجارة ويمجنون خبرات بلادهم ويشتررون منهم
الفراء الثمينة باجنس الاثمان ويرسلونها الى اوربا فيربحون فيها
ارباحا جسيمة

اما الانكليز فلم يبتدئوا ان يهاجروا الا في اواسط القرن السادس عشر واول محل سكنوه مقاطعة فيرجينيا سنة ١٥٨٤ وهم الذين لقبوها بهذا الاسم ومعناه عذراء نسبة الى ملكتهم اليسانبات التي صرفت حياتها بدون زواج . ولكن لم يلبث هذا الاستيطان زمنا حتى اندثر بالكلية بسبب الامراض التي استحوذت على سكانه ولكنه تجدد ثانية سنة ١٦٠٧ بواسطة القبطان كريستفور نيوبورت الذي هو اول من وضع اساسا لمدينة جيمس تاون

وسنة ١٦٠٩ اكتشف نهر هدسون رجل انكليزي يدعى بهذا الاسم وكان يومئذ مستخدما في مراكب الفلمنكيين فوق النزاع بين الفريقين من جهة النهر المذكور وكان كل من الفريقين يدعي حق الشفقة به فلم يقع بينهما اتفاق نهائي في اول الامر الا انه دخل في حيز الانكليز فيما بعد . سنة ١٦١٤ استولى الفلمنكيون على الاراضي المجاورة النهر المذكور واقاموا فيها ابنية فكان ذلك اساسا لمدينتي نيويورك والباني الحالتين . اما نيويورك فدعوها امستردام نسبة الى عاصمة بلادهم في هولندا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٦٤ حين تنازلوا عنها للانكليز بعد وقائع شديدة

وسنة ١٦٢٠ ذهب الى اميركا قوم من الانكليز الاثقياء مع نسايتهم واولادهم وقسومهم في مركب يقال له ميغلاور كانوا قد طردوا من انكلترا بسبب اضطهاد ديني فاستوطنوا في الجهات الشمالية من البلاد المتحدة وبنوا لهم فيها اكواخا وصاروا يتعيشون من الصيد والزراعة ولكن ليس بدون مشقات واكدار شديدة سواء كان من حالة الاحتياج ام من مقاومات الاهالي الموحشين . ثم انضم اليهم شعوب آخرون من اهل الفافة والاحتياج فاخذوا يمتدون في تلك البراري الشاسعة ويقبضون فيها الابنية المختلفة فاصبحوا في برهة وجيزة اربعة جماهير غفيرة متفرقين في

اربعة اما كن مخلقة الاول في بلياوٲ الثاني في ميساشوستس الثالث في
كونكتيكوت والرابع في نيوهاٲن . وكان لكل من هذه المقاطعات
حكومة خصوصية ولاربعهن اتحاد واحد ومجلس عام يجتمع فيه كل سنة
نواب من طرف المقاطعات الاربعة المذكورة لاجل المفاوضة في ما يتعلق
بخير الشعب وسن النظامات المتقتضية لحفظ الراحة العمومية

ولما كان كارلوس الاول ملكاً على انكلترا وهب احد اشراف بلاده
المدعو لورد بالتيور اقليباً من اراضي اميركا الشمالية فاتاها سنة ١٦٣٤
بمٲتي نسمة من الانكايذ الكاثوليكين وعمروها وسموها ولاية ماري لاند
اي ارض ماري نسبة لماري زوجة كارلوس المذكور . ثم سنة ١٦٨١ اشرع
رجل انكليزي يسمى وليم بن في عمار اقليم بنسلفانيا فاخذ يشتري من
الهنود بعض الاراضي ويصلحها للزراعة ويقم فيها الابنية حتى صارت في
وقت قصير من المستعمرات المهمة وهكذا بالتتابع امتلأت تلك الاقاليم
بالعازر والابنية المختلفة . ولكن لم يكن الانكايذ سلم في استيطانهم لان
الفرنسويين والاسبانيولين كانوا يقاومونهم اشد مقاومة ويظهرون لهم
العداوة ويوقعون بهم الضرر اما جهاراً او بواسطة الاهالي . وكان
الفرنساويون كثيراً ما يتحدون مع الهنود على محاربتهم ويقتلون منهم
وياسرون ويحرقون قراهم فكان ذلك يزيد العداوة المتأصلة بين الامتين
ويضيف على الاحقاد القديمة البغض الشديد وروح الانتقام . وبالجملة
كانت المنازعات بينهم متصلة دائمة والخصومات والحروب غير منقطعة
فمن اراد الوقوف على اخبارها وتفاصيل احوالها فعليه بمطولات الاسفار
واذ كانت مدينتا كويك ولويزبورك من احصن وامنع مستملكات
الفرنساويين في اميركا كانت اعين الانكايذ متجهة اليها لاسما كويك
لانها كانت مفتاح كل ولاية كندا . فقصدها سنة ١٦٢٩ السارد اڤيد
كايذ مجمهور من الانكايذ وافتتحها فبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٣٢ حين

التزموا ان يرجعوا . سنة ١٧١١ ارسلت الحكومة الانكليزية عمارة بحرية مع ٧٠٠٠ جندي تحت لواء الاميرال سار هافندن والكر بقصد ضرب كوبيك واستخلاصها من الفرنسيين . فلما وصلت السفن الى فم نهر مارلورانس وشرعت في الدخول غطاها ضبابٌ حالك حجب عنها ضوء النهار ثم هبت ريحٌ عاصفة عقب ذلك القت ثمانياً منها على الصخور فكسرتها وتلفتها فاتى ذلك بخسارة جسيمة على الانكليز اذ فقد منهم في تلك الحادثة نحو الف شخص ما عدا خسارة المراكب وما فيها من المعتمات والمؤونة والتزم الباقون ان يتوقفوا عن سيرهم لآخذ كندا

وسنة ١٧٤٥ اجمع راي الانكليز على ان يستخلصوا من الفرنسيين مدينة لويزبورك الكائنة في راس بريتون فارسلوا اليها فرقة من الجنود يقودها رجل تاجر من مدينة بوستون يقال له وليم بايريل صاحب دراية ونشاط ولكنه عديم الخبرة في فنون الحرب وابواب القتال . وكانت جنوده تجهل ايضاً امر الحرب لانها ماخوذة من وراء المحراث والآت الصنائع غير معتادة على مواقف الاحوال فاحاطت بالمدينة وبعده مهاجمة خمسة عشر يوماً افتحتها عنوة ولكن بعد نهاية الحرب ارجعتها الى الفرنسيين ثم استخلصتها ثانية سنة ١٧٥٨ بمناظرة الجنرال ولف

وفي السنة التالية زحف الجنرال ولف المذكور بمساعره لافتتاح مدينة كوبيك فحالت عدة صعوبات بينه وبين اخذها نظراً لمناعتها وارتفاعها وكثرة عدد محافظيها من داخل ومن خارج اذ كان يحسب امتلاكها امراً مستحيلاً . ولكن اذ كان الجنرال ولف من ذوي الشجاعة ومتعوداً خوض المامع واتحام الاخطار لم يدع تلك الصعوبات تمنعه من نوال المرغوب فعزم على فتح المدينة قوة واقتداراً ولو اضطره الامر الى فقد حياته وصمم على مهاجمتها . فضعده بجنده ليلاً الى جهة مرتفعة وهناك اخذ مركزاً مساوياً لمركز المدينة وعند الصباح اقتحمها بعسكره . فصدمه

الماركيز مونتكا لم يجيوش فرنساوين واشتبك القتال بين الفريقين فكان
 يوماً عظيماً اشند فيه الويل من هجمات الرجال والابطال وسقوط الكرات
 والرصاص المتوالية . هذا والجنرال وانف في مقدمة صفوفه يشدد الرجال
 بالكلام ويحثهم على الهجوم والانتقام . وكان قد جرح في موضعين ولم
 يرض ان يفارق ساحة المعركة حتى اصاب برصاصة ثالثة فالقته طريحاً
 على الارض . ولما يش من السلامة حمله العسكر الى مضربه وبينما كان
 في ألم شديد وهو على آخر ريق سمع رجلاً ينادي ويقول انهزموا انهزموا
 فسأل من هم الذين انهزموا اجابه احد القواد وقال فرنساويون فرّوا
 وانهزموا ونحن انتصرنا وقهرنا فتبسّم وظهرت على وجهه علامات الفرح
 وقال اني اموت الان مسروراً ثم اسلم الروح . وهذا السرور نفسه شمل
 الماركيز مونتكالم ايضاً لانه كان قد اصاب برصاصة قاتلة ولعله بانتصار
 الانكليز قال وهو في حالة النزاع اني اموت فرحاً مسروراً بحيث لا ترى
 عيناى تسل المدينة . وبعد ذلك بايام يسيرة سلت مدينة كويك
 للانكليز . سنة ١٧٦٣ جرت معاهدة الصلح في باريس وتنازلت
 فرنسا للحكومة الانكليزية عن جميع ولايات
 كندا وعن جميع املاكها الشمالية
 وهي باقية الى الان تحت
 تسلطها

الفصل الخامس

في البلاد المتحدة الاميركانية

الباب الاول

في وصف البلاد المتحدة وذكر الاسباب التي هيأت
انفصالها عن انكلترا

يحد هذه البلاد شمالاً الاملاك الانكليزية وشرقاً الاوقيانوس
الاتلنتيكي وجنوباً خليج مكسيكو وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي ومساحتها
مساحة قارة اوربا تقريباً وعدد سكانها بحسب تعداد سنة ١٨٦٠ بلغ
٣٢ مليوناً بما فيه الهنود الذين يبلغون ٣٠٠ الف نسمة تقريباً واما
الان في وقتنا هذا ان عدد الاهالي هو ٥٠ مليوناً ولكن كثير من القسم
الغربي من هذه البلاد اما مهجور او مسكون ببعض الناس المتفرقين بين
قبائل الهنود وكانت البلاد المتحدة تنقسم قبل الان الى ١٣ ولاية واما في
هذه الايام فهي ٣٤ ولاية متحدة اتحاداً واحداً وهذه اسمها الاولى
مين • ثم نيومهمشير • وماسشوستس • وفرمونت • ورودايلند • وكونكتيكت •
ونيو يورك • ونيوجرسي • وبنسيلفانيا • ودلاوار • وماريلاند • وفيرجينيا •
وكرولينا الشمالية • وكرولينا الجنوبية • وجارجيا • وفلوريدا • والاباما •
وتنيسي • وميسيسيبي • ولوزيانا • وتكساس • وويسكونسين • وايوا •

وميسوري . وابلينوي . وانديانا . ومشيكان . واواهايو . وكتوكي .
 واركانساس . وكليفورنيا التي ظهر فيها معدن الذهب ١٨٤٨ ومينسوتا .
 وكانساس . واوريكون . ولكل من هذه الولايات حاكمٌ مخصوصٌ بقيمة
 الشعب بالانتخاب على مدة معينة ما عدا القضاة فانهم ينتخبون على مدة
 حياتهم ولا يعزلون الا تحت جنحة او ذنب وجميع هذه الولايات متحدة
 اتحاداً عاماً تحت نظارة رئيس عام ومجلسين كبيرين في مدينة وشتون
 العاصمة يحضرها وكلاء الولايات المذكورة لتدبير امور البلاد والمخابرة في
 ما يتعلق بالعلاقات الاجنبية . وما عدا الولايات المار ذكرها اقاليم اخرى
 لم تدخل بعد في المعاهدة العمومية لقلّة اهاليها ومقاطعة واحدة لها معاهدة
 خاصة بها يقال لها مقاطعة كولومبيا

وفي هذه البلاد كثيرٌ من الانهر العظيمة والترع الكبيرة والجبال
 المرتفعة مما لا يسبيل الى ذكره هنا . اما تربتها فجيّدة وحواصلها كثيرة
 متنوعة . ومن اعظم واغنى نتائجها القطن والسكر والبن والحبوب المختلفة .
 وفيها كثيرٌ من المعادن اخصها الذهب فانه وُجد منه مقادير وافرة
 سنة ١٨٤٨ في ولاية كليفورنيا ولحد الان يقصدها الناس من جميع
 الجهات ويشغلون في استخراجها

اما الديانة الغالبة في هذه البلاد فهي البروتستانتية . والعلوم فيها
 ناجحة الى الدرجة القصوى ووسائل التعليم كثيرة فان فيها عدداً كبيراً
 من كل رتب المدارس . اما المطابع فيها فتكاد لاتعد لكثرتها وبسبب
 ذلك تتنازل اسعار الكتب والجرائد وتسهل وسائل التنوير . واما اهله
 فيعدون من الرتبة الاولى في التنوير وحسن الصفات . ولم رغبة شديدة
 في التقدم والنجاح وشهرة عظيمة في الحزم وقوة الجنان . وهم بوجه الاجمال
 من اهل اللطف يحبون السلام وخير القريب . ومما يستحق العجب تكاثر
 عددهم ونموهم الى الدرجة التي هم عليها الان في وقت قصير اعني في اقل

الانوس
 ساحتها
 ١٠٠
 بلغ
 واما
 القسم
 بين
 واما في
 الاولى
 كوت
 جينيا
 لا باما
 وايوا

من ٢٠٠ سنة على ان عدد الذاهبين الى تلك البلاد من الانكليز
والفرنك والاسوجيين وغيرهم منذ ارتحلهم اليها الى وقت استقلالية البلاد
لم يزد عن مليوني نسمة فيستبان ان تكاثرهم الى هذه الدرجة ليس من
التسلسل او عقب التربية بل من استدامة انضمام الناس اليهم ولا سيما
من الاملاك الانكليزية المجاورة لهم

اما الاسباب التي اوجبت الاميركانيين ان ينفصلوا عن انكثرا اهمهم
فليست هي الأ جور العمال الانكليز والمظالم التي اجروها عليهم في تلك
الاطراف. فلا يخفى انه عند ما كثرت الاهالي في البلاد المتحدة وصار
لهم فيها املاك واسعة سواء كان بالشرء ام مما اكتسبوه في حروبهم مع
الهنود قسم الحكم الانكليزي البلاد الى اقسام شتى وارسل اليها عمالاً
ليقوموا باشغالها ويدبروا اعمالها. فاخذ هؤلاء العمال بثقلون على الاهالي
ويجورون عليهم حتى الزموم ان يشكوا من سوء معاملتهم ويسترحموا من
الدولة الانكليزية التخفيف عنهم فاجابت طلبهم وصدر حينئذ امرها
بعزل اولئك الولاة وان ينصب غيرهم بانتخاب الاهالي بحيث يبقى
للحكومة الانكليزية التسلط العام فلم يات ذلك بعظيم فائدة ولم يحصل
الشعب من ذلك الامتياز الظاهر على راحة بل بقوا على ما كانوا عليه من
المتاعب والاثقال

وفضلاً عما تقدم لما رأت الحكومة الانكليزية نجاح الشعب وتقدمه
في الثروة قصدت ان تفتطف منه بعض المكاسب لذاتها فسعت في ضرب
المال على الاهالي. وكان اول شيء اجرتة انها اصدرت حكماً مجلسياً سنة
١٧٦٥ لاجل استعمال الطوابع في البلاد المتحدة على جميع صكوك المبيعات
والمضايقات والمعاهدات وغيرها وان كلما كانت محرراً على ورق بغير طوابع
يكون غير صحيح ولا يعمل به واقامت اناساً مخصوصين لهذا العمل وسلمتهم
تلك الاوراق لبيعوها للاهالي بالثمن. فانف الاميركانيون من ذلك

جداً ورفضوا هذه الاجراءات واستعظموها ليس فقط هرباً من دفع ثمن الورق في المستقبل ولكن خوفاً مما سوف يحدث من المنازعات والدعاوى التي لتصدر عليهم من جهة املاكهم المستولين عليها من مدات مستطيلة بحق وضع اليد من دون صكوك شرعية على اوراق اميرية . فلذلك عقد الاهالي جمعية عمومية في مدينة نيويورك استقرت اراؤهم فيها على عدم قبول ما شرع به الحكم الانكليزي ثم قدموا معروضاً للملك والمجلسي الاشراف والعامه في لندن يسترحمون رفع تلك الضريبة ورفضوا من ساعتهم مشترى الورق المذكور وعاملوا من هو منوط في بيعه اسوأ معاملة . فالتزم حينئذ الحكم الانكليزي ان يبطل ذلك القرار

ولكن اذ كان لا بداً للدولة الانكليزية من ان تربط اهالي المستعمرات الاميركانية وتخضعهم لاحكامها لانهم رعاياها اصدرت قراراً بالزام الاميركانيين الى دفع رسم جمر على الشاي الوارد الى بلادهم وتثبتت في اجراء ذلك ولو بالقوة الجبرية . فلم يقبل الاميركانيون ايضاً بهذه الضريبة الجديدة واطهروا النفور وعدم الامتثال فالتزمت حينئذ الحكومة ان تستعمل القوة الغاصبة لاقتيادهم الى الطاعة . فلما كانت سنة ١٧٧٣ اشرف على ميناء مدينة بوسنن ثلاث سفن انكليزية مشحونة بالشاي . فنزل اليها ليلاً بعض الاميركانيين وهم متنكرون في زي الهنود ولقوا كل ما فيها من الشاي الى البحر . فلما بلغ خبر ذلك الى انكلترا استشاطت الحكومة غيظاً وحنقاً من وقاحة اولئك القوم وعدم اقيادهم لاحكامها واذ رأت ان تسلطها عليهم آخذ في الضعف والانحطاط عمدت على اخضاعهم بقوة الاسلحة . فارسلت جيوشاً وقواداً ل حربهم واذلالهم

الباب الثاني

في استقلالية البلاد المتحدة وحوادثها الى هذا اليوم

فلما رأى الاميركانيون ما عزم عليه الحكم الانكليزي من ضربهم
واخضاعهم اخذوا يتجهزون للقتال ويستعدون للنزال ودفع القوة بالقوة .
اما الانكليز فاتوا بمعارتهم الحربية الى مدينة بوستن واذ علم قائد الجيش
بان للاميركانيين بعض المدافع والادوات الحربية في مكان يقال له
كونكورد بالقرب من بوستن بعث ٨٠٠ جندي لاتلاف تلك
التجهيزات . وعند وصولهم الى تلك الجهة نجحوا باتلافها ثم التقام
الاميركانيون وصدومهم صدمة قوية فهزموهم وارجعهم الى المدينة بعد ان
قتلوا منهم ٢٧٠ نفرًا وكان ذلك اول واقعة جرت بين الطرفين . ثم
اخذ الاميركانيون يتجهزون باكثر نشاط وغيره ويتجمعون حتى انه في
برهة وجيزة بلغ عدد المتجمعين حول بوستن وضواحيها عشرين الف مقاتل .
وفي الحال اجتمع الديوان العام في مدينة فيلادلفيا وعقدوا مجاساً لاجراء
التدابير اللازمة فاستقر الراي على مداومة الحرب وتحرير بلادهم من ايدي
الانكليز فقلدوا الجنرال وشتون وكان من شجعان الرجال ادارة الحرب
وولوجوه المعاماة عن الوطن

ولما كان مقصد الاميركانيين طرد الانكليز من بوستن صعدوا ليلاً
على تل عال يقال له تل بنكر يكشف المدينة واخذوا فيه مركزاً محكمًا
وشرعوا في تحصينه واقامة المتاريس فيه . فقاومهم الانكليز اشد مقاومة
وصعد اليهم ثلاثة الاف من العسكر ووقع بينهم قتال مخيف ثم تداركت

بينهم الحملات والهجمات بضرب السيوف وطعن الحراب فانتصر الانكليز في تلك الواقعة على الاميركانيين وطردهم من ذلك المركز ولكنهم خسروا اكثر من ثلث جمهورهم اما الاميركانيون فلم يثن عزمهم من خسارتهم المركز المذكور ولبثوا مشابرين على المناضلة والمقاومة واقام الجنرال واشنتون القائد العام الحصار على بوستن بعد ان كان استولى على المستحكات والقلاع المجاورة لها . وفي ١٧ اذار سنة ١٧٧٦ التزم الانكليزان بتركوا



الجنرال واشنتون

المدينة وينسحبوا الى مراكبهم بعد احراقهم اكثر الاساكل البحرية . وبينما كانت الحرب قائمة على قدم وساق في هذه الاطراف من البلاد ارسل الجنرال كانيون فرقتين من العساكر تحت لواء بعض القواد لافتتاح كندا وضرب الانكليز هناك فلم ينجحوا في مشروعهم وفي اثناء

مهاجمتهم مدينة كويك قتل قائد جيشهم وتفرق شمل جنودهم فرجعوا
بالخبيبة والفشل

ولما كان اليوم الرابع من تموز سنة ١٧٧٦ فرّ الدايوان الكبير
المنعقد في فيلادلفيا بوجوب استقلالية البلاد المتحدة وطرح نير الانكليز.
فنادوا بالحرية بعد ان اخذوا عهداً على معاضدة الجمهور في اتمام ذلك
غير مباليين بالصعوبات والايضار المحدقة بهم فنشروا رايات الحرب
واستعدت جماهيرهم للقتال والنزال وانتشبت الحروب بين الطرفين حتى
لم يعد سبيل لاختاد ناراها لان الاميركانيين كانوا قد صمموا على عدم
الطاعة والالتقياد لاحكام الانكليز مما كلفهم ذلك . وكانت فرنسا
واسبانيا وهولاندا نظراً لما لهن من البغض والنفور لانكليزاً يجرّكن
الاميركانيين على العصيان ويعدنهم بالمساعدة والامداد عند الحاجة واللزوم .
فاستمرت الحروب بين الانكليز والاميركانيين مدة ثمان سنين متوالية
وجرت بينهم عدة مواقع كبيرة وصغيرة يطول شرحها كآث الفوز
والانتصار في اكثرها للانكليز ما عدا واقعتين عظيمتين فانها خسرت بهما
خسارة جسيمة وانتصر عليها الاميركانيون انتصاراً عظيماً . اما الاولى
فجرت في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ وكان قائد جيوش الانكليز الجنرال
بوركون وقائد جيوش الاميركان الجنرال كيتس اشتد فيها القتال وانتهى
الامر بانحصار الانكليز في مراكزهم حتى لم يعودوا قادرين على الانسحاب
فالتزموا ان يسلموا انفسهم للاعداء وكان عدد من قتل وجرح وامر منهم
نحو ٩٠٠٠ نفس . فهذا الانتصار انعش قلوب الاميركان وشدد عزائمهم
وجعل فرنسا تبعث جنوداً ومراكب لمساعدتهم . واما الواقعة الثانية فجرت
سنة ١٧٨١ بين الجنرال وشتون وبين لورد كورنوالس في مدينة بورك
التابعة ولاية فيرجينيا حيث كان اللورد المذكور معسكراً ومنتظراً
الامداد من المعسكر المقيم في نيويورك . فانتهمز وشتون تلك الفرصة

المناسبة واظهر من التدابير ما يدل بان غاية قصده مهاجمة نيويورك .
 فجعل ذلك واليها السار هنري كلينتون يتأهب للدفاعه ويمتنع عن ارسال
 الامداد للورد كورنوالس فأتى ذلك بما رامه وشنتون ولما تم له ما
 اراد حوّل عنان عزمه بسرعة غربية الى مدينة يورك وبعد ان اخلط
 بعسكر فرنسا الذي كان قد حضر في السنة الماضية اقتحم جنود الانكليز
 وامسكت العارة الفرنسية عليهم فم نهر يورك لتمتع عنهم الامداد
 والذخائر فحصل بين الفريقين معركة هائلة وبذل اللورد كورنوالس
 كل الجهد في مدافعة العدو ومصادمته فلم يجده ذلك تنعاً والتزم اخيراً
 ان يسلم في ١٩ اكتوبر سنة ١٧٨١ مع من معه من الجنود وكان عددهم
 سبعة الاف نفس واستولى الفرنسيون على بارجتين حربييتين وعشرين
 سفينة وسقية مشحونة بالمهمات والذخائر

فهذه الضربة مع انها آلت بالانكليز واضعفت املهم لم تمنعهم عن
 مداومة القتال ولم تكن سبباً لانسحابهم من ميدان النزال لانهم لبشوا
 مشارين على عزمهم بعد هذه الحادثة مدة سنتين من الزمان ناشرين الوية
 الحرب غير مباينين بخسائهم ولا مقرين للامير كاتيين باستقلاليتهم . ولم
 يكن امراً صعباً على انكثرا ان تستمر على تلك الحال زماناً طويلاً في مقاومة
 اعدائهم ومصادماتهم ولكنها اذ رأيت من الجهة الواحدة ان التثبت في
 ذلك الامر لا ياتيها بالمرغوب لان الشعب الاميركاني كان مصراً على
 المجاهرة والمناضلة تحت اية كلفة كانت وان انتصاراتها عليهم في
 عدة مواقع مشهورة لم تكسبها الا اراضي خربة ومستعمرات خالية من
 السكان . ومن الجهة الاخرى اذ كانت فرنسا واسبانيا وهولاندا متحدمات
 على محاربتها في اوربا واسيا ومجتهدات في مقاومتها ونزع ما امكن من
 املاكها وسطوتها كان امراً مستحيلاً على انكثرا ان تقابل اعداءها بقوة
 كافية في كل الجهات وتفوز عليهم جميعاً فلذلك عمدت حكومتها على

ترك مشروع اخضاع الاميركانيين والانسحاب من تلك البلاد في صيف سنة ١٧٨٣ ابتدأت جنودها ان ترحل راجعة الى اوطانها وفي شهر ايلول من السنة المذكورة وقع الصلح في باريز وجرت المعاهدة بين الدول المارّة ذكرها على ان انكثرا ترجع لفرنسا اراضي السنيكال الكائنة في غربي افريقية وان ترجع لاسبانيا اقليم فلوريدا في اميركا الشمالية وان تقرّ باستقلالية البلاد المتحدة وعلى هذا الوجه انتهى النزاع وترك الاميركانيون اسلحتهم والتفتوا الى اصلاح بلادهم وترتيبها

وقد اشتهر الجنرال وشتون شهرة عظيمة في اثناء محاربة الانكليز ليس فقط لبسالته ودرايته في فنون الحرب ولكن لتدابيره الحسنة وثباته وحسن مقاصده لانه بحال انفكك الحرب فصد أكثر جماهير الشعب الاميركاني ان يقيموا عليهم ملكاً فلم يقبل . وغب تقديمه دفاتر الحسابات والمصاريف للديوان صرف القواد الذين كانوا تحت رياسته ثم صرف نفسه ايضاً والنسب الى منزله . ومن اشتهر ايضاً في الحروب المذكورة ويعتبره الاميركانيون اعتباراً عظيماً الماركيز لافايت وهو رجل فرناوي ذهب الى اميركا اذ كان عمره ٢٠ سنة بفرقاطة على نفقة نفسه واشترك مع الاميركان على حرب الانكليز واظهر من الخلوص والبسالة ما لا مزيد عليهما ولم تخصص مساعدته في تقديم ذاته فقط ولكنه قدم من امواله ما امكن للوازم الحرب . فكان الشعب الاميركاني ممنوناً له بهذا المقدار حتى انه في سنة ١٨٢٤ عند ما راقبت البلاد واستراحت دعوة من فرنسا لزيارتهم واحتفلوا به احتفالاً عظيماً واهدته الحكومة مبلغاً مقداره ٢٠٠ الف ريال مع قطعة ارض ثمينة في ولاية فلوريدا

ولما استقل الاميركانيون اخذوا يسعون في ترتيب حكومة لبلادهم فنظم علانهم وقضائهم سنة ١٧٨٩ الترتيب الجمهوري الحالي فجعله دستوراً لهم وقانوناً لشرائعهم . وكان اول من انتخبوه ليكون رئيساً عاماً لجمهوريتهم

الجزرال وشتون واقاموا جون ادمس نائباً له فائقنا واجبات ماموريتهما واصلحا احوال البلاد فزادت رغبة الاهالي بهما وانتخبوهما على اربع سنين اخرى . وفي سنة ١٧٩٤ افتتح باب النزاع ثانية بين حكومة البلاد المتحدة وانكلترا . وكان السبب في ذلك ان الاميركانيين كانوا يتعاملون مع فرنسا وبين وبينهم غلات بلادهم بينما كانت انكلترا مشتبكة في حرب معهم . فاغتازت الحكومة الانكليزية من هذا القبيل ونسبت الى الاميركانيين الاشتراك مع خصومها فاصدرت الاوامر لعمارتها البحرية ان تقش كل المراكب الاميركانية حتى اذا وجد منها ما هو مشحون بالحبوب يحجز عليه فهذه المعاملة مع عدم تخليع الانكليز لبعض الاماكن في البلاد المتحدة مما كان يجب تسليمها وتخليتها للاميركانيين بحسب معاهدة سنة ١٧٨٣ اوجبت الحكم الاميركاني ان يحجز كل مراكب الانكليز الموجودة في موافي بلاده مدة ثلاثين يوماً . فادى ذلك الى الخصاص والنزاع ولكن تدورك الامر بالمخابرات والمداولات وارسل الاميركانيون معتمداً من طرفهم الى بلاد الانكليز فعدوا مع حكومتها معاهدة تجارية فيها تجددت الحقوق والشروط التي من شانها ان تمنع بواعث النزاع

وسنة ١٧٩٧ توفي الجزرال وشتون في سن الثماني والستين وترك الحزن والاسف لجميع ابناء وطنه لانهم كانوا يحسبونه رئيساً لاستقلاليتهم واباً لجمهوريتهم . فانتخبوا مكانه جون ادمس الذي كان وكيله ونائبه وجددوا انتخابه عند نهاية مدة الاربع سنين . ثم خلفه توماس جفرسون الذي اشتهرت مدته بمشتراه من فرنسا ولاية لوزيانا الوسيعة بمبلغ خمسة عشر مليون ريال سنة ١٨٠٣

وسنة ١٨١٢ تعكرت السياسة ثالثة بين الامتين المذكورتين وسبب ذلك ان انكلترا عندما كانت في ارتباك عظيم من جهة افتتاحات نابوليون الاول وامتداد سطوة فرنسا في اوربا كانت مجتهدة كل الاجتهاد في توقيف

ذلك التقدم والنجاح جباً بحفظ الميزانية العمومية ولذلك اشتركت في
شهر الحروب ضدها . وكانت تجتهد بانتباه شديد على توقيف كل مامن
شانه ان يودي لتقوية عدوتها ولاجل نوال الغاية المذكورة كانت كلما
عثرت مراكبها بسفينة اجنبية تطاردها وتفششها فان وجدت فيها شيئاً من
الامداد والمهمات المشبوهة تضع يدها عليها وتحجزها . فحدث يوماً ان
البوارج الانكليزية التقت ببعض السفن الاميركانية فقبضت عليها
وفتشتها وبعد ان اخذت ما ارادت منها اشتمت في ان بعض الملاحين
هم من رعاياها فاخذتهم ايضاً ومنعتهم عن خدمة الاجانب ولم تلتفت الى
تاكيد الاميركانيين بان اولئك الرجال هم اميركانيون ومولودون في
البلاد المتحدة . فانف الحكم الاميركاني من هذه المعاملات وحسبها عاراً
واهانة في حقها وفي ١٨ حزيران من سنة ١٨١٢ شهر الحرب على
الانكليز وانتشرت راياتها وزحفت جيوش الاميركانيين على الاملاك
الانكليزية التي في جوارهم واصطلت نيران القتال بين الفريقين ووقع
بينهم عدة وقائع برآ وبجراً كان النصر فيها تارة للفريق الواحد وتارة
للآخر . وقد اشتهر وقتئذ الاميركانيون في معاركهم البحرية لانهم انتصروا
في اكثرها واما في الوقائع البرية فكان النجاح للانكليز لانهم استولوا على
العاصمة الاميركانية واحرقوا ابنتها الفاخرة بعد ان كانوا هزموا جماً غفيراً
من الجيش . واما الواقعة الاخيرة التي جرت بين الفريقين في ٨ ك ٣
سنة ١٨١٥ المعروفة بحرب نيواورلينس فنال فيها الاميركانيون نصراً
عظيماً اذ فازوا على اعدائهم وفتكوا بهم وهزموهم ولكن لم يحصلوا على
مرغوبهم من جهة افتتاح كندا . وبعد قليل وقع الصلح بين الامتين وتمت
شروطه في كيت سنة ١٨١٥ وارجعت كل دولة منهما للآخرى ما
كانت استخلصته منها ولم يعد يقع بينهما قتال ولا نزاع من ذلك الوقت
اما الحكومة الاميركانية فاخذت بعد عقد الصلح المذكور في اجراء

التدابير والتنظيمات الحسنة لاصلاح احوال البلاد وسعت في اقامة المباني
والحصون وتوسيع دائرة التجارة والزراعة والصنائع وساعد على ذلك ميل
الاهالي وجددم وحبهم للوطن . فاقامت البنوك الكبيرة والشركات
التجارية وتأسست المعامل وانشئت الطرق الحديدية وغير ذلك من
وسائط التقدم فانضم اليها اقليم بعد اقليم وولاية بعد ولاية حتى اصبحت
البلاد المتحدة ٣٤ ولاية كما تقدم القول

وسنة ١٨٤٦ وقع الخصام بين البلاد المتحدة ومكسيكو من جهة اقليم
تكساس الذي كان قد انضم للعاهدة الامركانية مع ان مكسيكو كانت
تدعيه لنفسها وتنكر على اهله حق الانضمام للجمهورية . فانتهى الحال
بوقوع الحرب بين الدولتين وتكافح الفريقان في عدة مواقع وانتصر
الامركانيون على المكسيكيين ودخلوا عاصمتهم واذلوم واخيراً عقدوا
معهم صلحاً بعد ان اخذوا منهم نيومكسيكو وكاليفورنيا بمبلغ ١٥ مليون
ريال دفعوه لهم كرمًا وانعاماً خلافاً لعادة الامة الظافرة التي من اصطلاحها
ان تغرم الامة المغلوبة وتضرب عليها المال . فهذه الحادثة تسحق بالحقيقة
ان تورخ في بطون الصحف والتواريخ دلالة على حسن صفات الامركانيين
وصفاء نياتهم

وسنة ١٨٦١ انتشبت الحرب الامركانية الاهلية التي دامت نحو اربع
سنوات وُهرق فيها دماء كثيرة . وسببها ان الحكم الامركاني كان قد صمم على
ابطال التجارة بالعبيد وملاشاتها من البلاد المتحدة فلم يوافق على ذلك
اهالي الولايات الجنوبية اذ كان لهم في تلك التجارة صوالح عظيمة فوقع
النفور والخلاف بين الطرفين واستمرت المنازعة بينهما جملة سنين ثم
انتهى الحال بانفصال احدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب عن
الجمهورية والانتفكاك من عهودها فاشهروا ذلك علناً واقاموا لانقسامهم رئيساً
ونظموا قانوناً ودستوراً فلم تقبل بذلك الولايات الشمالية وحسبته خرقاً

للمهود . فاضطرت الحرب بين الفريقين ثلاث سنين وانتهت بانتصار الشماليين على الجنوبيين واخضاعهم . وكان يومئذ رئيس الجمهورية الامريكانيه البرازيدنت لينكولن وكان رجلاً ممدوحاً ومحبوباً من ابناء وطنه فحدث انه في ساعة الانتصار التام التي خمدت بها نيران الحرب دخل عليه رجل مجنون وطعنه بسكين قتله بها

ومن روساء الجمهورية المشهورين الجنرال غرانت وهو من شجعان الرجال اشتهر في الحرب الاهلية السالف ذكرها موصوف بالاستقامة وحسن الدراية انتخبته الجمهورية سنة ١٨٦٩ وحسن تصرفاته انتخب ثانية عند نهاية مدته الاولى

الفصل السادس

في وصف بلاد مكسيكو وتاريخها

يحد هذه المملكة شمالاً وشرقاً الولايات المتحدة الامريكانية وخليج مكسيكو . وغرباً البحر المحيط . وجنوباً كواتمالا والمحيط ايضاً . وهي عريضة في الجهة الشمالية وضيقة جداً في الجنوبية : اما شطوطها فاكثرها واطئة يخترقها من البر بعض خلجان صغيرة . اما الشطوط التي الى جهة المحيط فهي واسعة جداً ومرتفعة أكثر من غيرها . وتخترق هذه البلاد سلسلة جبال صخرية . وفيها براكين كثيرة يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٢٠ الف قدم . ويحدث فيها زلازل كثيرة . وارضها هذه البلاد جيدة ولكن قلة يعتني الاهالي بها ولذلك تروى اكثرها مهملات . وفيها عدة بحيرات عظيمة واثار ابنية

قديمة . اما هو اؤها تجيد في الاراضي المتوسطة واما في السواحل فيشتد
 الحر زمن الصيف وتكثر امراض الحميات . وفيها كثير من معادن الذهب
 والفضة والزئبق . ونقسم هذه المملكة الى ٢٧ ولاية . ومن مدنها مكسيكو
 وهي كرسي الحكومة وتيبيكو وكيراتيرو وغير ذلك من المدائن . واهلها
 يبالغون بحسب تعداد سنة ١٨٦٨ فوق التسعة ملايين . والديانة العامة
 فيها هي الديانة الكاثوليكية . وحكمها الان جمهوري . واهلها من الاسبانيوليين
 وبينهم اخلاط من سكانها الاصليين

اما شعوب هذه البلاد قبل الاكتشاف فكانت موافقة من قبائل
 مختلفة اشرها قبيلة الازتيكيين . وكانت بينهم عادة وحشية وهي تقدمات
 قرابين بشرية لآلهتهم الوثنية . وكانوا يقتنصون بعضهم بعضاً في الحروب
 والغازي فمن وقع في ايدي الاخرين ذبحوه ضحية ثم اخذوا لحمه وطبخوه
 وعملوا عليه وليمة عظيمة . قيل انه وجد في مكان كومة من جماجم
 المذبوحين على الكيفية المذكورة فاحصيت فبلغت ١٠٠ الف جمجمة

اما تاريخها المعروف فيمتد من سنة ١٥١٨ فقط حينما اكتشفها
 القبطان يوحنا غريجالقا الاسبانيولي . ثم افتتحها الاسبانيول عن يد فرنند
 كورتيز في زمن الامبراطور شارلكان سنة ١٥١٩ بعد عدة وقائع جرت
 بينهم وبين اهاليها القدماء . وكان لما ذهب اليها كورتيز المذكور لم يكن
 معه من العسكر سوى ست مئة نفر وبعض المهمات الحربية . وكان يومئذ
 مونريزوما ملكاً على المكسيك يخاف من قدوم الاسبانيوليين واشتبه في
 كونهم بشراً ام آلهة وتردد بين مقاومتهم او الترحب بهم فاستصوب
 اخيراً ان يخلص منهم بالتي هي احسن . فارسل الى كورتيز هدايا فاخرة
 من جملتها هلال من فضة وشمس مذهبة وعدة برانس ثمينة مشغولة
 ومزخرفة بريش الطيور الجميلة واصحاب هذه الهدايا بجانب من اثمار تلك
 البلاد وزهورها وطلب اليه ان يتحول عن تقومه ولا يقترب لعاصمته .

فهذه الهدايا بدلاً أن تأتي بالمطلوب اهاجت طمع كورتيز وازالت مخاوفه وجعلته يتصلب على عزمه . فكان يقول للمكسيكيين ان الاسبانولييين طالبون ذهباً لا هديةً وانه معتز بهم مرض في القلب لا يشفيه الا الذهب

ثم ان كورتيز لشدة عزمه ولكي يقطع امل اصحابه من الرجوع احرق مراكيه بالنار وتقدم باعوانه من مدينة فيراكروز الى العاصمة فاستقبله الملك بالاكرام وازافته احسن ضيافة فغدر به كورتيز وقبض عليه وسجنه ولما مات في السنة التالية قام مكانه ابن اخيه كواتاموزين الذي وقع هو ايضاً في امر الاسبانولييين فعذبوه عذاباً بالياً وبعد ذلك قتلوه واخضعوا البلاد

وبعد ان تم للاسبانولييين هذا الافتتاح ارسل كورتيز يعلم الامبراطور شارلكان باستخلاصه تلك البلاد فصدر امره بتقليده حكومتها . فاقام في مدينة مكسيكو وجعلها كرسي الولاية ولما استقر له الامر اخذ يرم هذه المدينة ويقم فيها القصور والحصون حتى اصبحت بالتدريج عروساً بين مدائن العالم الجديد . وتسمت تلك المملكة من ذلك اليوم باسم اسبانيا الجديدة . وبقيت خاضعة لاحكام الدولة الاسبانولية حتى استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ ولكنها لم تتوطد فيها الجمهورية كما يجب لاقسام اهلها الى احزاب عديدة

ثم حدثت فيها حروب اهلية اضررت بها كثيراً وكانت دائماً في اضطراب ووقلاقل لاختلاف الاحزاب . وسنة ١٨٤٥ تعكرت السياسة بينها وبين الولايات المتحدة وانتشبت الحرب بين الدولتين سنة ١٨٤٦ ودامت سنتين فانتصرت جيوش الولايات المتحدة في كل وقائعها وافتتحت جملة مدائن واخيراً دخلت مدينة مكسيكو قوةً واقتداراً . فاضطرت حينئذ دولة المكسيك الى المصالحة . وسنة ١٨٤٨ تقرر شروط الصلح

فاخذت الولايات المتحدة منها الاراضي الكائنة شرقي ريونورتى ومكسيكو الجديدة وكاليفورنيا الجديدة واعطتها في مقابلة ذلك ١٥ مليون ريال اميركاني

وسنة ١٨٦٠ بينا كان جوارز رئيس الجمهورية اجتهد بعض الاحزاب في اقامة سلطنة في المكسيك بدل الجمهورية ومن جرى ذلك وقع الاختلال في اطراف البلاد. ولما اشتد الحال انتخب له وزيراً من اهل الشرف والدرابة ليكون له معيناً ومساعداً على توطيد حكومته. ولكن اذ كانت المملكة يومئذ مديونة لانكلترا وفرنسا واسبانيا ديناً باهظاً وكان صندوق الجمهورية في عسر وضرورة الحال تحتاج الى ملافاة الامر وتدبير ما من شأنه ان يسكت طلبات اصحاب الديون لم يتمكن جوارز من نوال اربه بحيث امتست الحكومة في هرج واضطراب حينئذ كتب جوارز الى الدول المذكورة يطلب منها مهلة ليتحقق مقدار الديون المطلوبة وهل في امكان الحكومة دفعها بالمقاسطة ام لا الا ان هذا الطلب لم يناسب ارباب الدين وحسبوه من باب المحاولة. فنشبت حينئذ انكلترا وفرنسا واسبانيا على اجبار الحكومة لدفع الدين المذكور او انها تقدم لهم كفلاء مقتدرين في المال والشرف واذا كان الاوريون القاطنون في المكسيك يشكون من ظلم الحكومة وجورها في معاملتهم وكان لنابوليون الثالث مقصد يامى في ابطال جمهورية المكسيك واقامة الامبراطورية فيها اتفقت فرنسا وانكلترا واسبانيا على ضرب المكسيك بينا كانت الولايات المتحدة مشغلة في محاربة الجنوب. ولكن بعد قليل استصوبت انكلترا الانسحاب من ذلك الاتفاق وتبعها اسبانيا اما نابوليون فلم يثن عن اشرع به وارسل سنة ١٨٦١ العارة البحرية مشحونة بالمهات والجيوش الفرنساوية الى المكسيك تحت قيادة الجنرال بازين فلم تنتصر الراية الفرنساوية كما كان يظن ولم يستول الفرنساويون الا على بعض الاساكل

البحرية بعد خسارة جسيمة

قربت حينئذ في المكسيك حكومة مؤقتة بدل الجمهورية. ثم اجتمع اشراف البلاد وعقدوا مجلساً قرأ عليهم فيه على وجوب اقامة سلطنة عوضاً عن مشيختهم. فوقع اختيارهم على الارشيدوق فرديناند مكسيبيليان شقيق امبراطور النمسا فاسلوا في ٣٠ نيسان سنة ١٨٦٣ سفيراً من طرفهم الى الارشيدوق المشار اليه يطلبون منه قبول هذا الانتخاب فامتنع اولاً ثم اجابهم الى ذلك وسافر مع زوجته الاميرة كارلوتة في بارجة تمسوية فوصلا في ٢٧ ايار سنة ١٨٦٤ الى مينافيراكروز ومنها سافرا براً الى مدينة مكسيكو فاستقبلها الاهالي بالفرح والسرور ودخلا المدينة بموكب عظيم

وكان هذا الامبراطور متخلطاً بجميل الاخلاق فلما تقلد زمام السلطنة اشتغل بتنظيمها وحسن ترتيبها فاصحح قوانين الاحكام ونظم ادارة المالية وسياسة الملكية وبذل همه في كل ما يوقول خير البلاد وباشر عمل طريق حديثة من مكسيكو الى مينافيراكروز. ولكن مع كل هذه المشروعات لم تنجح مساعيه في بلاد نظير هذه خالية من المبادئ الاديية والنظامات السياسية لكثرة تقلبات الاهالي وتمحيزاتهم. وكان جوارز لا يزال مجتهداً غاية الاجتهاد في ان يعيد نفسه ثانية الى رئاسة الجمهورية ولذلك لم يفتر طرفه عين عن اثاره الفتن وتهيج الشعب على حرب الامبراطورية فانحاز اليه جمهور غفير من الاهالي ومن جرته هذه الامور والحركات وقع الاختلال وتظاهرت الاحلاف وامست الامبراطورية في قلق واضطراب. فلما راى مكسيبيليان تلك الاحوال والقلق ناضل بعزم ونشاط بمساعدة العساكر الفرنسية واستظهر على بعض المدائن العاصية بعد حروب شديدة. ولكن عند ذهاب الفرنسيين من مكسيكو سنة ١٨٦٦ ارسلت حكومة البلاد المتحدة الى جوارز رسولا من

طرفها تعده بالمساعدة وثقر له بالرياسة ان ثبت على عزمه فقوي بذلك
ظهوره واشتد ساعده وشهر السلاح واجتمعت اهالي البلاد اليه من كل
فج عميق

فاستعظم مكسييليان هذا الامر وخاف من عواقبه ولذلك ارسل
الامبراطورة الى اوربا لتستعين بالدول الاوربية على نجاته من هذه الورطة .
فانت اولاً فرنسا وبذات فيها غاية الجهد فلم تحصل على مرغوبها من
نابوليون الثالث لان صوت الشعب كان ضده من جهة فتح هذه الحرب
التي لم تورث فرنسا فخراً . ثم قصدت رومية واجتمعت بالبابا وطلبت منه
المساعدة فلم تستفد شيئاً فضاقت عليها الدنيا بما رحبت ومن فرط همها
وحزنها فقدت عقلها وخابت مساعيها

وكان مكسييليان لما اشتد عليه الخطب وراى ان الامر لا ينتهي
بدون حرب شديدة استعد للقتال وسار للملاقاة العدو ولقد كان نجاح
وانتصر على خصمه لولا خيانة احد ارکان حربه الذي اتفق مع الاعداء
على مولاه وسلمه ليلاً اليهم فأخذ اسيراً وسقطت من ذلك اليوم
الامبراطورية وعادت الجمهورية وبمجن الامبراطور في صومعة في احد
اديرة الكيوشيين وكان محلاً قذراً فقامى في مدة مجنحه متاعب كثيرة .
ولما يس من السلامة كتب الى اخيه الامبراطور فرنسيس يوسف والى
انكترا وفرنسا ورومية يعلمهم بواقعة الحال ويطلب منهم المساعدة بنجاته
فبدلوا جميعهم مساعيهم ادبياً لتخليصه فلم يجد ذلك نفعاً واخيراً حكم عليه
بالقتل . وفي ١٩ حزيران سنة ١٨٦٧ قتلوه رمياً بالرصاص مع اثنين من
قواده في مدينة كوارترو . وبعد مكسييليان عاد جوارز فاستولى رياسة
الجمهورية وبقي في الرياسة الى ان توفي سنة ١٨٧٢ فجأة . وكان هذا
الرجل قبيح الصوت كبير الراس قاسي القلب . وكان في اول امره مستخدماً
عند احد المشرعين فتعلم عنده علم الشريعة حتى اتقنه وبهذه الوسطة

ارتقى الى درجة القضوية في العاصمة . ثم سمي معاوناً لرئيس الجمهورية .
وبعد هزيمة كومون فورت سنة ١٨٥٨ استلم رئاسة الجمهورية رغماً
عن مقاوميه

الفصل السابع

في الكلام على الهند الغربية

اعلم ان الهند الغربية عبارة عن ارض خييل يتضمن نحو ست مئة جزيرة
كبيرة وصغيرة واقعة في القسمة الكائنة بين امريكا الجنوبية وامريكا
الشمالية . ويقسمها الجغرافيون الى ثلاثة اقسام فيسمون الاول جزائر بهاما
والثاني جزائر انثيل والثالث جزائر كاربيبي . وكثير من هذه الجزر لا بل
اغلبها وعرة صخرية خالية من السكان وما هو عامر منها هو في ايدي
الاوربيين ما عدا الجانب الغربي من سكان دومينكو فانه مستقل بذاته
تحت حكم جمهورية هايتي . وهذا يبان املاك الدول الاوربية من
جزائر الهند الغربية

الاملاك الاسبانية

كوبا . وپورتوريكو . والجانب الشرقي من سان دومينكو وكل منها تخوي
على عدة مدن ومقاطعات وعدد سكانها يبلغ نحو مليون وسبع مئة الف

الاملاك الانكليزية

جمايكا . جزائر بهاما . جزائر فرجين . باربودا . ماركرستوفر . انتيكو .
مونتسرات . دوالينكا . مارلوسيا . مارفنسان . بازبادوس . غرينادا .

نوباغو . ترينيداد وغيرها . وعدد سكانها يبلغ نحو ٩٥٠ الفاً

الاملاك الفرنسية

كواديلوب . ومارتينيك وملحقاتها . وعدد سكانها ٢٩٢ الفاً

الاملاك الفلمنكية

كوراسوا . بونير . وآروبا وغيرها . وعدد سكانها نحو ٣٣ الفاً

الاملاك الدنيارية

سان توماس . سانتا كروز . سان جان . وعدد سكانها نحو اربعين الفاً

املاك اسوج ونروج

سان بورتولوميد وفيها ٩٠٠ من السكان

واغلب سكان هذه الجزر من جنس العبيد الذين اتى بهم
الاوربيون من افريقية لاجل خدمة الارض ومزروعاتها . ومع ان الدولة
الانكليزية ابطلت الاتجار بالعبيد في سائر املاكها بعد ان حررت ما
كان منهم تحت تسلط رعاياها وسعت في اقتياد باقي الدول الى هذا الفعل
الجليل لم يزل في هذه الجزائر وفي اماكن من امركا الجنوبية عدد كبير
منهم في حالة الامر بايدي الاوربيين . يستخدمونهم في حرث الارض
وزراعتها ويعاملونهم معاملة القساوة التي ينفر منها الطبع البشري

اما هواة هذه الجزر فهو حار جداً حتى ان فصول السنة فيها تعدد
كايام الصيف وذلك لعدم وقوع الثلج والمطر . وتربتهما جيدة بهذا المقدار
بحيث ان اشجارها لاتعري وثمارها لا تنقطع . ومن نتائجها قصب السكر
ويستخرجون منه السكر والدبس ثم البن والقطن والنيلة والتبغ والجوز
الهندي والليمون والبردقان والكباد والبن والموز والصنوبر وجوز الطيب
والفلفل وانواع كثيرة من البهار اخصها القانيل المعروف بالخرنوب
الاميركاني يستعملونه كثيراً في الحلويات الافرنجية لرائحته وغير ذلك
من الاشجار والنباتات التي لا يسعنا ذكرها . وفي بعض هذه الجزر شجر

الحبز وثمارها اشبه بالخبز وهي من المغذيات القوية . وفي غاباتها كثير
من الاخشاب المتنوعة الاجناس منها ذات قيمة كالحشب المعروف
بالمهو كاني . وفيها اجناس من الطيور الطريفة وانواع من القرود
والافاعي المضره . ويكبر فيها الضب بحيث شوهد منه ما طوله ذراعان
ونصف

وهذه الجزائر هي التي جاء اليها كولمبوس اولاً فان اول جزيرة
اكتشفها هي ما سماه سان سلفادور المسماة الآن جزيرة كات ثم كوبا
وسان دومينكو . وقد ذكرنا كيف استولى الاسبانيول على اعظم هذه
الجزائر وكيف كانت معاملتهم للاهالي والقساوة التي اجروها في اهلاكهم
بمبى لم يبق اليوم اثر لسكانها الاصليين

اما جمهورية هايتي فهي في القسم الغربي من جزيرة سان دومينكو
وهذه الجزيرة هي من اكتشاف كولمبوس في سفرته الاولى . وكان
الاهالي يدعونها هايتي . اما الاسبانيوليون فدعوا اسبانيولا كما تقدم
وبقيت تحت تصرف احكامهم زمناً طويلاً الى ان اتى الفرنسيون واستولوا
على القسم الغربي منها فكانت الجزيرة بالاشتراك بين الامتين . وفي سنة
١٨٠٠ كان قد كثر عدد العبيد في تلك الجزيرة وقويت شوكتهم على
سادتهم فنهضوا لمقاومتهم واستخلصوا من ايديهم الجزيرة . فارسلت فرنسا
٢٠ الف مقاتل لحرهم وقتالهم ووقع بينهم عدة حروب تردت النصر فيها
بين الطرفين وانتهى الحال بانتصار العبيد على الفرنسيين وساعدهم على
ذلك وقوع الحيات الخبيثة في جيوش الفرنسيين من الجهة الواحدة
ومحاصرة الانكليز لمرآكهم من الجهة الثانية فالنزم من بقي من الفرنسيين
ان يسلموا انفسهم الى العمارة الانكليزية في ٢٠ ت ٢ سنة ١٨٠٣ بعد ان
قتل الاهالي منهم ومن الاسبانيولين عدداً غفيراً . وحينئذ استقل العبيد
بانفسهم واقاموا عليهم ملكاً ونظموا لانفسهم قوانين واحكاماً . ثم تبدلت

تلك الترتيبات بجمهورية وهم الآن في تقدم ونجاح وكثيرون منهم من ذوي الادراك والبصيرة والزراعة عندهم زامية والمتجر في تقدم عظيم . اما عدد سكان هذه الجمهورية فيبلغ ٥٧٢ الفاً واما القسم الشرقي من سان دومينكو فسكانه من الاسبانويولين وبينهم كثيرون من العبيد . ففي سنة ١٨٢١ نهض العبيد على الحكومة طالبين الاستقلال ولقبوا البلاد تحت اسم جمهورية هايتي الاسبانويولة . ولكن اذ لم يكن هذا المشروع مقبولاً عند الجميع وكان العبيد والجنس المختلط يرغبون الانضمام الى جمهورية هايتي المتقدم ذكرها نهض الهايتيون اضرب الاسبانويولين فقلبوا حكومتهم الجديدة واخضعوهم وضموا الجزيرة كلها تحت حكم واحد مدة ٢١ سنة . ولكن لم يكن هذا الاتحاد اتحاداً مخلصاً فانه في سنة ١٨٦٤ نهض الاسبانويولون وخلعوا عنهم طاعة جمهورية هايتي وقاوموهم واسترجعوا استقلاليتهم ولم يدعوه ان يستملكوا عليهم مرة ثانية . وبعد ان نجح الاسبانويولون في ردع اعدائهم لقبوا بحكومتهم بجمهورية دومينكا وافترت لهم فيها انكاثرا وفرنسا ودينبارك واجرت معهم عهداً . ولكن سنة ١٨٦١ بعد ان جرّب الاهالي حكم هذه الجمهورية مدة ١٧ سنة التمسوا من اسبانيا ان تسترجع زمام احكامها فضممتها اليها وهي الآن في يدها وتُحسب من املاكها وملحقاتها الخارجية

الفصل الثامن

في امركا الوسطى

ان اميركا الوسطى هي الاراضي الواقعة في اواسط القارة بين قسميها الكبيرين يحدها شمالاً مكسيكو وخليج مكسيكو . وشرقاً بحر كاريبيان . وجنوباً اميركا الجنوبية . وغرباً الاوقيانوس الباسيفيكي . ومركزها اشبه بمركز استوائي متصل بجميع اطراف العالم لانها فضلاً عن انها توصل اميركا الشمالية باميركا الجنوبية موافقاً لمتوحة لاوروبا وافريقية من جهة الشرق ولاسيا وجزائر المحيط من جهة الغرب كما ترى بالامعان الى الخارطة وتنضم هذه البلاد ما يتضمنه غيرها من الجبال المرتفعة والانهر والبحيرات الكبيرة . وهوؤها على الاغلب جيد مع انه كثير التغير . واهلها يتقنون الزراعة احسن اتقان لان باقي الصنائع هائلة عندهم وليس لهم معوّل الا على محصولات الارض . اما الديانة العامة فيها فهي الرومانية ووسائل التعليم والتنوير منحصرة في بعض المدن الكبيرة فقط فلا يقال الا انها قليلة وتنقسم هذه البلاد الى خمسة اقسام كبرى وهي

عدد السكان بوجه التقريب

كواتيالا ١,٠٠٠,٠٠٠

سان سلفادور ٥٠٠,٠٠٠

هندوراس ٣٥٠,٠٠٠

نيكاراكوا ٣٥٠,٠٠٠

كوستاريكا ١٥٠,٠٠٠

المجموع ٢,٣٥٠,٠٠٠

واكثر هؤلاء السكان من المنود الاصليين ومن اجناس مختلفة واما
الجنس الابيض فهو قليل بينهم لا يزيد عن ستة في المئة
ولكل من الاقسام المذكورة بلاد وارض واسعة واحكام مستقلة
من نوع الحكم الجمهوري له رئيس ومجالس ونظامات تقارب بعضها البعض
في الترتيب والاصلاح . ولكل منها ايضا قوات عسكرية ونظامات
سياسية ومعاملات وعلاقات خارجية ومتميز متوسط وبعض الدول الاجنبية
وكلاهما وفتايل في هذه الاقاليم

وكانت هذه البلاد قديماً عقب اكتشافها تحت تسلط دولة اسبانيا
ولكنها انسلخت عنها واستقلت بذاتها كما استقلت باقي البلاد وانفرد اهلها
الاسبانيول عن طاعة الدولة ونظموا لهم فيها روابط وضوابط
جمهورية سالكين بمقتضاها . وليس لهذه البلاد حوادث تاريخية
مهمة تستحق الذكر وجل القصد في التكلم عنها انما
هو لاجل معرفة وجودها ومركزها وبيان
عدد اهلها واحوالها تيمناً
للفائدة

الفصل التاسع

في الكلام عن اشهر اقسام اميركا الجنوبية

الباب الاول

في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها

ان اميركا الجنوبية يحدها شمالاً بحر كاريبيان وشرقاً المحيط الاطلنطيكي وغرباً المحيط الباسيفيكي وتتضمن ما تتضمنه باقي القارات من الجبال والسهول والانهر والحيوانات. وهي متسعة الاراضي تقارب مساحتها القسم الشمالي من هذه القارة ولكنها كثيرة الاحراش قليلة السكان لا يزيد عدد اهلها عن ٢١ مليوناً من الشعوب والقبائل المختلفة هذا عدا الهنود الذين الى الآن لم يتمدوا ولم يزالوا في حالة التوحش يجولون بين براريها وصحاريها لانه لا يعلم حقيقة عددهم ولكن بحسب الارجحية يبلغون مليون نسمة

اما الجنس السائد بين شعوب اميركا الجنوبية فهو الجنس الابيض الآتي من اوربا عقب الاكتشاف والجنس المختلط اي الذي اختلط معه الاوريون بواسطة الزواج. واما السكان الاصليون فليس لهم شيء من

السيادة والتسلط . وقد ذكرنا في بداية القسم الرابع عند الكلام على جغرافية هذه القارة ان في اميركا الجنوبية اثنتي عشرة دولة جمهورية كبيرة وصغيرة واذا كان لا يهمل التكلم عن كل واحدة من تلك الجمهوريات بالتفصيل اقتصرنا على ذكر بعضهن مكثفين بوضع الجدول الآتي لتعلم منه اسماء تلك الجمهوريات وقصباتها وعدد شعوبها كما ترى

اسم المملكة	عدد الشعب بوجه التقريب	اسم العاصمة	عدد سكان العاصمة
جمهورية برازيل	٨,٠٠٠,٠٠٠	ريو جنيرو	٣٠٠,٠٠٠
بلاد كولومبيا المتحدة (نيوغرانادا)	٢,٥٠٠,٠٠٠	بوكوتا	٥٠,٠٠٠
جمهورية ايكوادور	١,٢٠٠,٠٠٠	كويتو	٨٠,٠٠٠
فنزويلا	١,٥٦٥,٠٠٠	كاراكاس	٦٠٠,٠٠٠
كوايانا ^(١)	٢٥٠,٠٠٠	جورج تاون	٢٥,٠٠٠
بوليفيا	١,٨٠٠,٠٠٠	سوكرا	٢٥,٠٠٠
بيرو	٢,٢٥٠,٠٠٠	ليما	١٢٠,٠٠٠
شيلي	١,٦٠٠,٠٠٠	سانتياكو	٨٠,٠٠٠
الاتحاد الارجنطيني بما فيه بلاد بوينس ايريس	١,٣٠٠,٠٠٠	بوينس ايريس	١٠١,٠٠٠
باراكواي	١,٣٥٠,٠٠٠	اسونسيون	٤٨,٠٠٠
اوروكواي	٢٤٠,٠٠٠	مونتيفيديو	٣٨,٠٠٠
باتاكونيا شرقي جبال انديس			

١ تنقسم كوايانا الى ثلاثة اقسام . الاول وهو الاكبر تحت تسمات الانكليز . والثاني يختص بالفلبكيين ومحكمة والرفتمهم . والثالث فينتبع فرنسا ومحكمة مجلس بلادي تنقبة الاعالي

الباب الثاني

في جمهورية كولومبيا

ان جمهورية كولومبيا المتحدة المعروفة سابقاً باسم نيوجراندا اي غرناطة الجديدة هي بلاد متسعة ذات اراضٍ فسيحة معظم طولها من الشمال الى الجنوب الف ميل ومن الشرق الى الغرب سبع مئة وستون ميلاً يتبعها عدة جزر صغيرة وخليجان ظريفة ويخترقها جملة جبال وانهر وبحيرات كبيرة وعدد اهلهما نحو مليونين ونصف من اجناس مختلفة وفيها نحو مئة وعشرين الفاً من الهنود الاصليين في حالة التوحش والبربرية منتشرين في اطراف البلاد وصحاريها لم يدخلوا في التمدن والطاعة . وما يستحق الذكر هو انه سنة ١٨١٠ لم يكن عدد اهالي هذه البلاد اكثر من ثمان مئة الف نسمة فقط . فتكون هذه الزيادة قد تمت في ظرف ستين سنة وهذا مما يدل على حسن البلاد ووجود ما يجذب الناس اليها . وينتظم في سلك هذه الجمهورية ثمانية اقاليم او ايالات مستقلة باحكامها واعمالها ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بارتباط عام كارتباط البلاد المتحدة الاميركانية فكل ولاية من الولايات المذكورة ترسل كل سنة ثلاثة نواب من طرفها فيجتمعون في مدينة بوكوتا العاصمة للمفاوضة والمذاكرة في الاصلاحات والتراتب الاقامة اما رئيس الجمهورية فيكون انتخابه باكثرية الاصوات على ست سنوات عوض الاربع اما الديانة العامة في كولومبيا فهي الرومانية ولكنه ليس للعب الروماني تسلط على اعمال تلك الكنائس لانها غير خاضعة له والذي يسوسها ويدبر امورها

الدينية رئيس اساقفة مدينة بوكتونا. ولم يلتفت في السابق الى تقدم العلوم وتهذيب الاهالي في هذه المملكة واما الان فقد تحسنت احوالهم وتقدموا كثيراً في المعارف وانواع الفنون نظراً لرغبتهم واهتمامهم وعندم جملة مدارس بسيطة وكلية لتعليم الصنائع المختلفة وباقي العلوم ويوجد في العاصمة مرصد فلكي لا يوجد له مثيل في العالم في الاتقان والارتفاع . اما تجارة هذه البلاد فلا تذكر لانعكاف الاهالي على الزراعة والصناعة غير المتقنين ايضاً كما يجب

واول من اكتشف نيوغراندا كولبوس في سفرته الثالثة والرابعة فسكنها الاسبانيوليون تحت احكام مختلفة ولكنه اخيراً أُقيم فيها حكمدارية عمومية سنة ١٧٣٢. وكانت اراضيها تمتد الى كل ما يعرف اليوم تحت اسم جمهورية بلاد كولومبيا وجمهورية ايكوادور. وفي سنة ١٨١٠ خلع اهلها طاعة الحكومة الاسبانية وجاهروا بالعصيان ودامت الحرب بين الطرفين الى سنة ١٨٢٤ حينما انتصر الاهالي ولم يبق للعساكر الملكية سبيل للمدافعة. وكان مقدم هذه الثورة ورئيسها رجل يقال له بوليفار كان قد اشار باتحاد فنزويلا مع نيوغرانادا وايكوادور فاستحسن الاهالي رايه واستصوبوه واتحدوا جميعاً وتلقت الجمهوريات الثلاث بجمهورية كولومبيا. ولكن لم يدم ذلك الاتحاد اكثر من عشرين سنة حتى انحل وانسحبت فنزويلا سنة ١٨٣٠ وتبعها ايكوادور وبقيت نيوغرانادا منفردة وحدها مع ولاياتها التابعة لها الى سنة ١٨٦١ حين تحولت تلك الولايات الى بلدان مستقلة وعقدت تحالفاً واتحاداً عاماً تحت اسم بلاد كولومبيا المتحدة

الباب الثالث

في جمهورية برازيل

ان هذه البلاد هي اعظم اقسام اميركا الجنوبية واكبر من البلاد المتحدة مساحة غير ان جانباً عظيماً منها براري واسعة واحراش فسيحة خالية من الانيس والجليس وعدد اهلها ثمانية ملايين والبعض يبالفون في عددهم ويجمعونهم احد عشر مليوناً . وبينهم قبائل هنود متوحشة وكثيرون من العميد يستخدمهم الاهالي غالباً في الزراعة وفي التقاط حجر الماس والياقوت الاصفر من بين رمال انهرها لان هذين المعدنين كثيرا الوجود في تلك البلاد والذهب والفضة لا يتقصان ايضاً اما الزراعة فقلا يعتني الاهالي بها . وبين غاباتها كثير من الاشجار التي لا توجد في غيرها الا نادراً كشجر صمغ المرن والماهوكافي والشوكولاتا . اما تجارتها فاعلمها بيد الاجانب . ومن محاصيلها التي ترسل الى الخارج البن والسكر والقطن والخشب والصمغ والماس والياقوت الاصفر . والحكم فيها من نوع الجمهوري والديانة الغالبة اللاتينية وعاصمة المملكة ريوجنيرو واهلها نحو ثلاث مئة الف نفس

اما تاريخ هذه المملكة فحديث كالا يخفي واول من اكتشفها رجل اسبانيولي يسمى پسنون ولكنه نسب اكتشافها الى رجل بورتوغالي يقال له كابرال ذهب اليها سنة ١٥٠٠ فجال في اراضيها وتوغل في صحاريها وقدم عنها شرحاً مطولاً لم يكن معروفاً عند احد من الناس ولم يكن للبوروتوغاليين في اول الامر ادنى رغبة ولا اعتناء في برازيل ولم يقصدها احد من

الناس الأ من كان مجرمًا فينفيه الحكم اليها وكان يحسب مفقودًا .
 وسنة ١٥٤٨ نفي الى برازيل جمهور من اليهود فاخذوا يزرعون قصب
 السكر ونجحوا فيه فصارت تنوارد اليها الناس وتقيم فيها . ولما رأى ملك
 البورتوغال ان البلاد في تقدم ونجاح اراد ان يشترك في مكاسبها وياخذ
 ما نابه من ايراداتها فارسل حاكمًا من طرفه ليحكم البلاد ويضرب على
 اهله المال . ولما تمكنت احكام البورتغاليين فيها حسدهم عليها الانكابين
 والفرنساويون والفلمنكيون والاسبانيوليون وسعوا في استخلاص البلاد
 منهم فلم يتمكنوا من ذلك لان معاملة البورتوغاليين للاهالي كانت حسنة
 فكانوا يميلون اليهم . ومع ان الفلمنكيين كانوا قد استولوا على اكثر
 اطراف البلاد طردهم الاهالي منها واخذ البورتوغاليون مكاثرهم
 ولما هاجم الفرنسيون مملكة البورتوغال في اوربا سنة ١٨٠٨ هرب
 ملكها يوحنا السادس الى برازيل واقام فيها ولم تكن بعد تدعى مملكة .
 وعند ما سقط نابليون الاول لقب يوحنا المذكور نفسه ملك بورتوغال
 و برازيل وبقي مقيمًا هناك الى سنة ١٨٢١ حينما حدثت الثورة في مملكته
 في اوربا فالتزم ان يذهب الى ليسبون وترك ابنه دون بدور نائبًا
 مكانه . ففي سنة ١٨٢٢ طالب شعب برازيل تحرير البلاد وانفصالها عن
 بورتوغال فانفصلت ونودي باسم دون بدرو المذكور امبراطورًا واقرب له
 الجميع في ذلك . ولما كانت سنة ١٨٣١ اذ لم يكن الشعب مرتضيًا من
 سياسة امبراطورهم تنازل دون بدرو عن تاج السلطنة لابنه ولصغر سنه
 اقيم له وكلاء الى سنة ١٨٤٠ حين نودي بامبراطوريته تحت اسم بدرو
 الثاني ثم خلعوه ونادوا بالجمهورية ثم رجعت امبراطورية ولم تزل كذلك
 الى زمن الثورة التي حدثت في ١٥ تشرين ثاني سنة ١٨٨٩ حين اضطر دون
 بدرو الى ترك البلاد والرجوع الى البورتوغال فنادوا بالجمهورية وسماوا
 رئيسًا عليها المارشال ديودورو دا فونسيكا . اما رئيسها الحالي فهو

فيكتورينو باريرا انخب في ١٢ تشرين ثاني سنة ١٨٩٦

الباب الرابع

بلاد بيرو

اما بلاد بيرو فيجدها شمالاً جمهورية ايكوادور وبرازيل وشرقاً بوليفيا وبرازيل ايضاً وجنوباً احدى ولايات بوليفيا وغرباً المحيط الباسيفيكي وهي واسعة الانطار كثيرة الجبال والانهار وعدد سكانها نحو مليونين ونصف ثلثهم من الهنود والثلث من اصل اوروبي والبقية من جنس مختلط وما عدا هولاء يوجد بعض العبيد في السواحل البحرية وقصة هذه المملكة مدينة ليا واهلها نحو مئة الف نسمة . وتكثر في هذه البلاد معادن الفضة والذهب والنحاس ولاسيما الفضة فانه من سنة ١٦٣٠ الى الان بلغ فيحة ما استخرج منها ١٥٠٠ مليون ريال . اما الزراعة فيها فقلا تذكر وترتبتها تحتاج الى اعاب جزيلة واخص محصولاتها السكر والارز والصوف والجلد وبعض الاصناف الطبية تخرج برسم التجارة . اما نظام الاحكام فهو على النسق الجمهوري والرئيس ينتخب على ست سنوات وقوتها البرية ١٢,٠٠٠ جندي والبحرية ١٤ مركبة تحمل ٧٤ مدفعا . والديانة الغالبة فيها اللاتينية ووسائل التنوير في داخلتها قليلة

اما تاريخ هذه البلاد فيبتدى منذ اكتشافها فرنسيس پيزارو سنة ١٥٣١ وهذا الرجل من جملة قواد الاسبانوليين الذين ذهبوا الى الهند الغربية . وكان في اثناء اقامته هناك قد حصل على بعض المعلومات من جهة هذه المملكة فرجع الى اسبانيا ليطلب الرخصة والوسائل لافتتاح تلك البلاد فاذنت له الحكومة في ذلك ومدته كورتيز الذي اكتشف مكسيكو ببلغ من المال ليستعين به على اتمام تجهيزاته . فجهز ثلاث سفن

صغيرة وجند مئة وثمانين رجلاً وسافر بهم مع رفيق له يدعى الماكرو .
 فلما وصل الى بيرو رأى تمدن الاهالي وحالتهم العمومية ليست باحسن
 حالة من حالة الاهالي مكسيكو وراى بينهم انشفاقاً فانهم كانوا منقسمين
 الى حزبين احدهما مع الملك المستولي والثاني ضده وكانت الحرب قائمة
 بينهما . فسر بيزارو من تلك الحالة واظهر بانه يريد الانضمام الى حزب
 الملك ويعينه على قتال عدوه فقبله الملك وترحب به الجميع وبهذه
 الوسيلة دخل مع جماعته الى داخل البلاد فصادف حسن الاستقبال
 ومزيد اللطف والاکرام من الاهالي . ولما تمكن منهم وعرف حقيقة
 احوالهم غدر بهم فقاتلهم واسر ملكهم وكان اسمه اتاباليا فعرض عليه
 الملك مبلغاً وافراً من المال ليعتقه من الامر فاخذ منه الفدية ثم غدر به
 وقتله وحارب الاهالي فاخضعهم وجار عليهم جوراً عنيفاً . وسنة ١٥٤١
 وقع الخصام بين بيزارو ورفيقه الماركرو المذكور افضى بهما الى القتال
 فانقسم العسكر بين الاثنين وجرت بينهما عدة وقائع كانت الدائرة بها
 على الماكرو فقبض عليه بيزارو وقتله . ولكن لم تذهب تلك المعاملة بدون
 مجازاة فانه بعد تلك الحادثة ببرهة قصيرة اخذ ابن الماكرو بشار ابيه اذ
 وثب على بيزارو وقتله

واستمرت بلاد بيرو تحت تسلط الحكومة الاسبانية نحو ثلاث
 مئة سنة وكانت نامية وناجحة اكثر من باقي البلاد الكائنة في اميركا
 الجنوبية ولم تنفصل عنها الا سنة ١٨٢١ وذلك بمساعدة جمهور يتي شيلي
 وبوينس آيريس فانهما ارسلتا عسكراً الى تلك البلاد تحت قيادة
 الجنرال سان مرتين فحارب الاسبانيولين وهزمهم ونودي باستقلالية
 بيرو في ٢٨ تموز من السنة المذكورة . واذ لم يرضخ الاسبانيوليون الى ذلك
 دام القتال بين الفريقين الى سنة ١٨٤٢ حين حدثت واقعة اياكوشو
 فانتهت النزاع باستقلال البلاد استقلالاً تاماً وابامداد الاسبانيولين

ابعاداً نهائياً

وسنة ١٨٣٦ وقع بين الحكومة والاهاالي خصامٌ ونزاعٌ فاستعانت
 الحكومة بجمهورية بوليفيا التي في جوارها فانها سائقا كروز رئيس
 الجمهورية المذكورة بجيش من الجنود وضرب العصاة فادخلهم تحت الطاعة
 ثم قسم بيرو الى قسمين شمالي وجنوبي وضمهما الى بوليفيا واقام ذاته محامياً
 لها ٠ غير انه في سنة ١٨٣٩ طرد المذكور من بيرو وبطلت المعاهدة
 السالف ذكرها ورجعت كل دولة من بيرو وبوليفيا الى حدودها الاصلية
 ونظامها الاول ومع كل ذلك لم تُتوطد الراحة التامة في بيرو
 وكثيراً ما يتنازعون الرياسة والاحكام الى الان بحيث لم
 يوجد رئيس من رؤسائهم من اكمل مدة احكامه المعينة
 على التام بل خلع الجميع عن كراسيهم بدون استثناء
 قبل نهاية ايامهم ٠ ولكن هذه المنازعات
 لم تمتد في كل البلاد بل هي
 منحصرة في العاصمة فقط
 وحياناً في
 جوارها

الفصل الخامس عشر

في اوسيانيكيا او اوسيانيا

ان هذا القسم يشتمل على عدد وافر من الجزر الكائنة في المحيط
 الباسيفيكي والمحيط الهندي قد اكتشفها الناس في اوقات مختلفة بعد
 اكتشاف قارة اميركا ولذلك يجوز تسميتها بالعالم الجديد . وقد سميت
 اوسيانيا او اوقيانيا نسبة الى الاوقيانوس المحيط بها . وهي جزائر كثيرة
 متفرقة في اماكن مختلفة لوانصقت بعضها ببعض لبلغت مساحتها بين
 اربعة او خمسة ملايين من الاميال المربعة . اما عدد اهلها فثمانية وعشرون
 مليوناً من شعوب وقبائل متنوعة الاجناس كثير منها تحت تسلط
 الاوربيين . وتنقسم هذه الجزر الى ثلاثة اقسام كبرى الاول يقال له
 ماليزيا والثاني اوسترالازيا والثالث بولينيزيا وستنكم عن كل منها
 على حدته

الفصل الاول

في وصف بلاد اسوج ونروج

ان ماليزيا او الارخبيل الماليزي اسم يطلق على عدة جزائر كبيرة

في بحر الهند بالقرب من قارة اسيا دُعيت بهذا الاسم نسبةً الى اهله
فانهم من جنس ماليزي او ماليكازي نظيراً لكثر سكان جزيرة
مداسكر وهذا الجنس هو فرع من العائلة المغولية . واذ لم يكن للاهالي
قيد لتسجيل حوادثهم الماضية فلا يقدر احد ان يهتدي الى معرفة
احوالهم وحوادثهم السابقة الا من زمن الاكتشاف فقط . ويحتوي هذا
القسم على عدة جزائر كبيرة تستحق الاعتبار . منها بورنيو وهي اعظم جزيرة
في العالم بعد اوستراليا تبلغ مساحتها نحو ٣٢٠ الف ميل مربع يخرقها
سلسلة جبال من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي يندر منها جملة
ينابيع فتتكون منها انهر كبيرة . ويكثر بين معادنها الماس والذهب وقد
وُجد مرة بين صحورها حجر من الماس بلغ وزنه ٣٦٧ قيراطاً . وما عدا
ذلك يوجد في اراضيها الفحم الحجري والحديد والنحاس والقصدير
والايتيون . اما هواه هذه الجزيرة فخار لوقوعها تحت خط الاستواء . ومن
حواصلها جوز الهند وقصب السكر وجنس من جوز الطيب لارائحة له
وجنس من القرفة وشجر صمغ المرن وغير ذلك . ومن حيواناتها اجناس
من القروذ والسعادين قلما توجد في غيرها ثم التمر الكاسر وجنس غريب
من الخنزير قبيح المنظر ذولحية كبيرة ثم الجاموس البري واجناس من
الايال . وهذه الجزيرة تحت تسلط الفلنكيين وعدد اهله نحو مليونين
ونصف وهم اجناس مختلفة ينقسمون الى عدة قبائل يترأس عليها شيوخها
وبينهم مئة واربعون الفاً من الصينيين

ومن جزائر ماليزيا ايضاً سوماترا وهي تقارب بورنيو في الكبر
والاتساع ولكنها اكثر منها سكاناً فان عدد اهله يبلغ اربعة ملايين
ونصفاً تقريباً منها ثلاثة ملايين ونصف تحت حكم الفلنكيين والباقي
مستقل بذاته . ولكن عين دولة هولاندا ما زالت متجهة نحو امتلاك كل
الجزيرة وقد وصلت غزواتها الى جوار مدينة اتشين واستولت على جميع

الاساكل البحرية . اما الديانة العامة بين السوماتريين فهي الاسلامية
واللغة الدارجة الماليزية ومع ان التقدم بينهم في تاخر والتهديب يكاد
يكون مفقوداً فهم على جانب عظيم من الانس والطف يحبون السلام
ويتجنبون الاذية والضرر . واما هواؤها فلا يختلف عن هوا جزيرة
بورنيو لانها واقعة تحت خط الاستواء نظيرها . ومن محصولاتها الارز
وجوز الهند وقصب السكر والذرة والفلفل والكافور والقطن وشجر القنب
وفيهما من الحيوانات الفيل والتمر وجنس من الدب الاسود والايل واجناس
من القروذ الغريبة الشكل والاسم وفيها ايضاً الكسلان والقرقدان
والظربان وحيوان الزبد والارمديل والتمساح . ومن اشهر طيورها
الطاووس ومن زحافاتهما الانعى المعروفة بالبواء والحرباء النشابة ويكثر
فيها النحل بحيث يحسب العسل والشمع من جملة صادراتها . ومن معادنها
الذهب والنحاس والحديد والكبريت والنظرون وفيها عدة ينابيع معدنية
ويتبع جزيرة سوماترا عدة جزر صغيرة مجاورة لها يبلغ عدد اهاليها نحو
خمس مئة الف نسمة

ومن جزر هذا القسم ايضاً جزيرة جافا وهي اعمرهن ارضاً واكثرهن
سكاناً واعظهن متجرأ اكتشفها البورتوغاليون سنة ١٥١٠ واخذ
الفلبنكيون بعد ذلك في امتلاكها وهي من جملة املاكهم الشرقية الى هذا
اليوم . وكانت قد استولى عليها الانكليز سنة ١٨١١ ولكنهم ارجعوها
لاصحابها بعد ان بقيت في ايديهم مدة خمس سنين . اما عدد سكان هذه
الجزيرة فليس اقل من ١٤ مليوناً واغلبهم من العائلة الماليكازية ولكنهم
يفوقون عليهم معرفة وتقدمنا ولهم اليد الطولى في انتاج الزراعة وبعض
الصنائع كصناعة التجارة والصباغة والدباغة والغزل وغيرها . ومن اشهر
محصولاتها الارز والبن والسكر والتبغ والقرفة والفلفل والشاي . واكثر
تجارة الاهالي في اوربا هي مع هولاندا وانكلترا وباقي املاك الفلبينك

في الشرق . وعاصمة هذه الجزيرة مدينة باتافيا وهي مركز الحكومة ومحل إقامة الوالي وعدد سكانها بحسب تعديل سنة ١٧٨٠ بلغ ١٦٠ ألفاً واما الآن فلا يزيد عن ١٢٠ ألفاً وسبب هذا النقصان هو مهاجرة الاجانب وعدم رغبتهم في الاستيطان فيها لرداءة هوائها لانها مبنية عند مصب نهر جوكترا على ارض منخفضة وتغرقها مياه كثيرة فتحدث فيها حميات خبيثة قاتلة بحيث شوهد احياناً ان بعض المراكب الراسية في مينائها فقدت كل رجالها بسبب الامراض المذكورة

ثم يتبع هذا القسم من اوسيانيا جزائر الفيليبين الواقعة شمالي الارخبيل يبلغ عددها على الاقل ١٢٠٠ ما بين كبيرة وصغيرة وعدد سكانها نحو خمسة ملايين وهي تحت تسلط الاسبانوليين الذين اكتشفوها سنة ١٥٢٠ واستوطنوها وتحسب من افضل املاكها الخارجية واحسنها نظراً لخصب اراضيها وكثرة محاصيلها ولا حاجة الى وصف هوائها وتعداد اجناس حيواناتها ومنتجاتها لانها لا تختلف عن باقي الجزائر التي ذكرناها . اما سكانها فاجناس مختلفة منهم مليون نفس من الجنس البياواني و ٣,٧٠٠,٠٠٠ من الهنود الماليزيين و ٥٥٠,٠٠٠ من الصينيين و ٢٤٥,٠٠٠ من الجنس الابيض والديانة العامة بينهم الرومانية ولم اليد الطولى في اصطناع بعض الاقمشة الرفيعة والحصر والبرانيط والسيكارات النفيسة المعروفة بسيكارات مينيلاً وهو اسم لعاصمة جزائر الفيليبين ومركز الولاية الاسبانولية . ويتبع اوسيانيا ايضاً سيليب وهي جزيرة كبيرة تحت تسلط الفلمنك يبلغ عدد اهلها ٣٥٠ ألفاً وكثير غيرها اقتصرنا عن ذكرها خوف الاطالة والملل

الفصل الثاني

في أستراليا

إن القسم الثاني من أوسيانيا يدعى أستراليا وهو يتضمن أستراليا وتسمانيا أي أرض فانديمان وغينيا الجديدة وزيلاندا الجديدة . واذ كانت أستراليا من أعظم جزائر هذا القسم وأشهرهن رأينا أن نوجه أكثر كلامنا إليها فنقول

إن أستراليا وتعرف أيضاً باسم هولاندا الجديدة هي أعظم جزيرة في العالم ولذلك يسوغ أن تعد من جملة القارات نظراً لاتساعها فإن مساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأميال المربعة وذلك أكثر من ثلاثة أرباع مساحة قارة أوربا . وموقعها بين بحر الهند والمحيط الباسيفيكي وعدد أهلها بحسب التعداد الأخير يتيف عن مليون ونصف وهي تحت تسلط دولة إنكلترا . وتنقسم هذه الجزيرة إلى ستة أقسام كبرى وهي ويلس الجنوبية الجديدة وفيكتوريا وكوينزلاند وأستراليا الجنوبية وأستراليا الشمالية وأستراليا الغربية ولكل من هذه الأقسام والخاصة وحكومة خاصة من طرف الدولة الإنكليزية

وأول من اكتشف أستراليا الفلمنكيون سنة ١٦١٠ ولم تحتلها الإنكليز حتى سنة ١٧٧٠ بواسطة القبطان جيمس كوك الساحح الشهير الذي جال بين شطوطها الشرقية وكثيرة ما وجد فيها من النباتات المختلفة دعاها بوتاني باي أي بوجاز النبات ولكن تحول ذلك الاسم فيما بعد إلى ويلس الجنوبية الجديدة . وكانت الإنكليز ترسل إليها في أول

الامر على سبيل النفي والقصاص كل المذنبين والمجرمين فجمع فيها في وقت قصير عدد كبير من اوباش الانكليز وصعاليكهم فكانوا يتبعشون بواسطة فلاحه الارض ومتوجاتها . ومع توالي الايام وتردد الناس اليها سواء كان على سبيل النفي ام على سبيل الاستيطان الاختياري نموا وكثروا واستولوا على جميع اطراف الجزيرة واخضعوا الاهالي الاصليين . ثم اخذت الحكومة الانكليزية تعني في ترقية اسباب التقدم واصلاح سيرة القوم فأسست بينهم المعامل والمدارس واقامت المستشفيات والبيمارستانات وانشأت الترع والجسور والطرق الحديدية حتى صارت بلاداً زاهية لا يأنف الاجانب ان يسكنوها . اما المدارس فيها فليست بأقل من ٢٠٠٠ مدرسة بين كلية وبسيطة والحكومة تدفع لهذه المدارس مبالغ جسيمة في كل سنة على سبيل الاعانة

اما هواء هذه الجزيرة فبالاجمال معتدل ومياهها قليلة وليس فيها من الانهر الكبيرة الا قليلاً . واما تربتها فهي عديمة الخصب وثلاثها سباح لا يصلح الا للرعى ولا يرجى اصلاحه للزراعة اصلاً . ولذلك تعد تلك البلاد من الاقاليم القاحلة لقلة محاصيلها ما عدا الخنطة وباقي الحبوب فانها تعطي منها مقادير وافرة . وينتج في اقسامها الجنوبية التبغ الجيد والعنب والزيتون والتوت والبلوط . ويوجد في بعض اراضيها عدة معادن ثمينة اخصها الذهب الذي اكتشف سنة ١٨٥١ وفي مدة عشر سنوات بلغ مقدار ما استخراجته الناس منه ٢٠ مليون اوقية . وما عدا الذهب فيها معادن ثمينة من النحاس والحديد والرصاص والفضة وغير ذلك . ومن العجب انه لا يوجد في هذه الجزيرة حيوان مفترس كالسبع والثور وفرس البحر والفيل حتى ولا الابل والقرود ولكن من الجهة الثانية يدب فيها بعض حيوانات تختص بها لا توجد في غيرها من البلاد كالقنقر والابوسوم وانواع كثيرة من ذوي الاكياس والكلب البري والثعلب الذي يشبه

وغير ذلك من الاجناس المختلفة المجهولة الاسماء . وبين طيورها النسر
والباز والشاهين والبيغاء واليوم . ومن زحافاتهما التمساح والافاعي المنجسة
السامة

اما اهالي أستراليا الاصليون فهم من العائلة السودانية من الجنس
البيوفاني والوانهم شديدة الاسمرار اشبه بلون الشوكولاتا وهم بوجه
الاجمال قصار القامة صغار الرؤوس وشعورهم كثيفة وايديهم وارجلهم
سلعة ولكنهم مع هذه الاوصاف التبيحة اصحاب قوة وحركة خفيفة وما
زال بعضهم الى الآن في حالة البربرية والتوحش يجولون بين صحاري
البلاد المقفرة مع ان كثيرين من رفقاءهم قد دخلوا في سلك التمدن
والمعرفة

ومن جملة ملحقات وتوابع أستراليا جزيرة تزمانيا وكانت تدعى
قديماً ارض فانديمان وهي على مسافة ١٠٠ ميل منها الى جهة الجنوب
يفصل بينهما بوغاز باس وهو اسم ضابط انكليزي تحقق بانها جزيرة .
ثم أطلق عليها اسم تزمانيا نسبة لتزمان الذي اكتشفها سنة ١٨٤٣ وهي
تابعة للدولة الانكليزية وسكانها نحو تسعين الفاً . ويقال في هوائها
وتربتها وحيواناتها واهلها ما قيل في أستراليا . وكان يرسل الى هذه
الجزيرة ايضاً بعض المذنبين المنفيين من بريطانيا ومن أستراليا ولكن من
بعد سنة ١٨٥٣ الغيت تلك العادة . ومن اشهر معادنها الذهب فانه
لغاية سنة ١٨٦١ صار تعديل قيمة المستخرج منه فيبلغت ٧,١٣١,١٥٠
ليرة انكليزية والديانة العامة فيها البروتستانتية

واما غينيا الجديدة فهي الى الشمال من أستراليا لم تزل داخلتها
مجهولة الى الآن لعدم وجود من دخلها وبحث عن احوالها . وتتحصر معرفتها
بالسواحل البحرية فقط . وقد تنازع البورتوغاليون والاسبانيوليون من
جهة اكتشافها وكل منها يدعي حق الاكتشاف لنفسه . وسنة ١٨٢٨

وضع الفلمنكيون ايديهم عليها واستملكوها ولا يوجد فيها الى الآن
 اسطيوانات اوربية . اما اهلها فهم من الجنس البيواني المذكور آنفاً ومن
 جنس ماليزي مختلط . والى الشرق من اوستراليا زيلاندا الجديدة وهي
 جزيرتان كبيرتان تابعتان دولة الانكليز وعدد سكانهما يبلغ ١٤٠ الفاً
 منهم ستون الفاً من الاهالي الاصليين والبقية من الاوربيين اكتشفها
 تزمان المذكور آنفاً سنة ١٦٤٢ ثم قصدها بعد ذلك القبطان كوك
 سنة ١٧٦٩ وجال فيها ولكن لم تتبدى فيها الاستيطان حتى سنة ١٨٣١
 وكانت اذ ذاك تابعة اوستراليا ولكن سنة ١٨٤٥ انفصلت عنها وصارت
 حكومة مستقلة . اما اهالي هاتين الجزيرتين فهم من العائلة المغولية وقد
 دخلت بينهم الديانة المسيحية ولم يبق من عوائد الوثنية الا ما ندر وم
 آخذون الان في التقدم

الفصل الثالث

في بولينيزيا

ان القسم الثالث من اوسيانكا يدعى بولينيزيا وهو اسم مركب من
 كلمتين يونانيتين معناها جزر كثيرة . ويشتمل هذا القسم على جميع جزائر
 المحيط الباسيفيكي الواقعة شرقي اوستراليا وتمتد الى قرب الشاطئ الغربي من
 قارة امريكا . ولكثرة هذه الجزائر لا يعرف لها عدد حقيقي . وتنقسم هذه
 الجزائر الى ثلاث مراتب طبيعية ممتازة الاولى الجزائر ذات الجبال الثانية
 الجزائر ذات التلال الثالثة الجزائر الواطئة المرجانية . اما جزائر الرتبة الاولى
 فهي احسن من منظر وظرفه روتفاً تكسوها الطبيعة جمالاً لا تستطيع يد

الصناعة ان تأتي بمثله وما يزيد بها بهجة بعض جبالها المرتفعة التي تحجب رؤوسها بين السحب المارة بها بينما واسطها مكسوة باحراش متنوعة الاجناس واوديتها مملوءة بشجر ثمر الخبز واشجار اخرى مفيدة . وفي كل هذه الجبال اثار بركانية تنطبخ في داخلها الى ان تنفث فتتقذف الى الخارج وتضر بالاماكن المجاورة . وقد وجد في رؤوس تلك الجبال كثير من الصدف والمرجان ومواد اخرى بحرية تدل على ان تلك الجبال كانت قديما مظافة باليابس . اما جزائر الرتبة الثانية فلا ترتفع جبالها اكثر من خمس مئة قدم وهي اقل ظرفا من تلك وصخورها من كربونات الجير البايوري ومحاصيلها كمحاصيل جزائر الرتبة الاولى . واما جزائر الرتبة الثالثة فهي واطئة جدا لا تعلق عن البحر الا بعض الاقدام فقط ولو طوى تربتها يقل فيها النبات ما عدا جزائر الاصداق فانه ينتج فيها ما ينتج بجزائر الرتبين الاوليين وذلك لعحق تربتها . واما الجزائر المعروفة بجزائر الشركة وكثير غيرها فهي محاطة بصخور مرجانية عرضها من اربع اذرع الى ٣٠ ذراعاً منها على مسافة قريبة من البحر وبعضها على مسافة ميلين وعلى هذه الصخور تلطم امواج المحيط الهجاج بشدة مخيفة

اما اهالي بولينيزيا بوجه الاجمال فهم من اجناس ماليزية مختلفة وبينهم مشابهة كلية تختلف قليلاً بحسب الاقاليم والعوائد وهم على الاغلب قصار القامة معتدلو السمانه اصحما البدن ذوو اوجه مستديرة مجوفة الخدود لارتفاع عظم الخد وعيونهم سود صغيرة كالصينيين . ومن عوائدهم استعمال الوشم على ابدانهم ووجوههم فينقشون عليها اشكالا من الاشباح والاشكال الغريبة بحيث كثيراً ما تخفى صورة الانسان الاصلية . ومن اقبح عوائدهم اكلهم اللحم البشرية واقتراس من وقع في ايديهم وتقدمة الدبايح البشرية لاصنامهم ولكن في هذه الايام قد اصطلح حال بعضهم وتورث كثير من منهم لاسباب اهالي جزائر سندويج بواسطة المبشرين

بالانجيل واعتنق كثيرون منهم الديانة المسيحية

ومن اشهر جزائر هذا القسم جزائر سندويج وهي ١٣ جزيرة ثمانية
منها مسكونة والبقية خالية من السكان واعظمهن جزيرة هاواي المشهورة
بجبالها النارية وفيها جبل ارتفاعه ١٣٦٥٠ قدماً انقذت نيرانه سنة
١٨٥٥ واضرت بكثيرين من الناس وقد اكتشف هذه الجزائر القبطان
كوك الانكليزي سنة ١٧٧٨ فترحب به الاهالي في اول الامر اذ
حسبوه الهماً واكرموه اكراماً فوق العادة الى ان كان ذات يوم فسرق
احدهم له قارباً فنزل اليهم القبطان المذكور في جماعة من اتباعه وكان
قصده ان يقبض على ملكهم ويقيه عنده الى ان ياتوه بالقارب فعند
وصوله الى البر اجتمع اليه عددٌ غفير من الاهالي فارتد راجعاً من امامهم
حتى اشرف على اصحابه الذين كانوا ينتظرونه على الشاطئ فنبهه القوم
بضجيج عظيم ورموه بالحجارة ولما اشتد عليه الامر اطلق بارودته على
احدهم فقتله فعند ذلك انطبقت عليه جماهيرهم من كل ناحية وضربه
رجلٌ منهم بقطعة خشب القاه على الارض ثم طعنه بمجربة انتهت حياته
فاجتهد رجاله على تخليصه من بين ايديهم فلم يستطيعوا وولوا مديريين
وهكذا انتهت حياة هذا الرجل الفاضل الذي ترك ذكراً حميداً على
احتمال المشقات والاطخار في سفراته الثلاثة التي احاط بها الكرة
الارضية ولاكتشافاته العديدة التي لاجلها اصبح العالم مديوناً له . اما
عدد سكان جزائر سندويج الان فيبلغ مئة وخمسين الفا بعد ان كان
اربع مئة الف وليس هذا التناقص ناتجاً الاً من شرور الاهالي وكثرة
قبائحهم التي تجلب طبعاً الامراض والموت فان لم تأت الوسائط المستعملة
الآن بين اولئك القوم بالفوائد المطلوبة فلا بد انهم يمضون من على وجه
الارض وتبقى تلك الجزائر بدون سكان

ثم يتبع بولينيزيا ايضاً جزائر لادروفي وهي نحو ١٨ جزيرة تكثر فيها

البراكين وعدد اهلها ٧٥٠٠ نسمة وهم من الاسبانويولين المنتقلين من مكسيكو واهالي هذه الجزيرة يعيشون في الاكواخ ويقتاتون من محصولات الاراضي المخصبة . وقد اكتشف هذه الجزر رجل بورتوغالي كان في خدمة الاسبانويولين سنة ١٥٢١ ودعاها لادروفي وهي كلمة اسبانويولية معناها لصوص ثم دُعيت فيما بعد جزر مريانا نسبة الى اسم ملكة اسبانيا زوجة فيليب الرابع

ويتبع هذا القسم ايضا جزائر كارولين وهي عدة جزر بعضها خالية من السكان وبعضها يسكنه اجناس من البشر من رتبة مختلفة في التنوير يعيشون من غلات اراضيهم وليس لهم من التجارة الا ما لا يذكر . ومن اخص اشجار تلك الاماكن شجر جوز الهند وله عندم منافع حمة فانهم يستظون بظل اشجاره وياكلون من اثماره ويتعشون من شرب عصيره و يصطنعون من فشره اوعية الماء ومن سلوخ الاعمدة سلا لا ومن القرامي حطباً ومن الوبر جبلاً وخيطاناً لصيد السمك فضلاً عن الخشب الذي يستخدمونه لقيام اكوأخهم ولوازم سفنهم . وقد اكتشف هذه الجزائر احد الاسبانويولين سنة ١٥٤٢ ودُعيت بجزائر كارولين نسبة الى كارلوس الثاني ملك اسبانيا

ومن الجزر التابعة لبولينيزيا جزائر الشركة اعظمهن جزيرة تاهيتي يبلغ طولها ٣٣ ميلاً وعلوها جبال مرتفعة مكسوة بالنبات والاشجار فيرى منظرها من البحر في غاية الحسن والظرف ويكثر فيها شجر الخبز . وقد اكتشف هذه الجزائر في اول الامر كويروس الاسبانويولي سنة ١٦٠٦ فدعا جزيرة تاهيتي لاساجيتاريا ولكن لفقد الكاشف المذكور بقي ذلك الاسم مجهولاً في العالم الى سنة ١٧٦٧ حين ارسلت انكلترا القبطان والبس لبعض اكتشافات في المحيط وعند وصوله الى هذه الجزيرة ظن في نفسه بانه هو اول من اكتشفها فلقبها بجزيرة الملك

جورج نسبةً لاسم ملك انكلترا. ولكن سنة ١٨٦٩ ذهب اليها القبطان كوك مصحوباً ببعض العلماء بقصد ان يرصد مرور الزهرة على قرص الشمس وفي اثناء ذلك جال القبطان المذكور بين تلك الاطراف واكتشف عدة جزائر في جوارها ولقبها جميعاً بجزائر الشركة ولم يزل هذا القلب الى الآن. فصادفت هذه الاكتشافات مزيد السرور في انكلترا وتحركت همة اهل الخير والاحسان فارسلوا لاهالي تلك الجزائر مرسلين لينتروهم ويهدوهم الى معرفة الله فنجحوا نجاحاً كاملاً ومع توالي الايام ترك الوثنيون عبادة اصنامهم وقبلوا الديانة المسيحية قبولاً حقيقياً. فحسد ذلك النجاح مجمع البروباغندا الروماني وارسل قسيسين رومانين للمعارضة كعادتهم فلم يقبلهم الاهالي بل اساءوا معاملتهم فاوجب ذلك وقوع التشكي من طرفهم وتداخلت الحكومة الفرنسية في تحصيل الرضوية وتهديده الخال فسلبت من الاهالي حريتهم واستقلاليتهم واقامت عليهم محامياً بحيث لم يبق للشعب حرية التصرف. اما عدد سكان هذه الجزائر فهو سائر في سبيل التناقص ككثير من جزائر المحيط وقد حسبته القبطان كوك سنة ١٧٧٤ فبلغ ٢٠٠ الف نسمة اما المرسلون فعدلوه سنة ١٧٩٧ فبلغ ١٦٠٥٠ نسمة ولكن بحسب تعداد سنة ١٨٥٧ لم يزد عن ٦٩٠٦ نسمة فقط منه ٥٩٨٠ سكان جزيرة هايتي والباقي سكان باقي الجزائر

ويتعلق بهذه الجزائر حادثة غريبة تستحق الذكر وهي انه في سنة ١٧٨٨ ارسلت الحكومة الانكليزية ابريقاً حرياً الى جزائر الشركة لكي ياخذ منها مقداراً وافراً من شجر الخبز وينقله الى الهند الغربية. فلما وصلت السفينة الى جزيرة تاهيتي استقبل الاهالي رجال المركب بكل بشاشة ولطف وترحبوا بهم غاية الترحب بحيث لم يبق لبعض التوتية ميل ان يفارقوا الجزيرة واختاروا ان بصرفوا حياتهم فيها على ركوب

الابحار . ولكن اذ كان لا بد لهم من السفر امتثالاً لامر القبطان التزموا
 ان يخضعوا فتركوا الجزيرة باسفر شديد وكانوا كلما ابتعدوا ازدادوا
 تأسفاً وشوقاً الى اصحابهم حتى انهم صمموا على الرجوع باي وجه كان .
 وكان بينهم ضابط يقال له كريستيان يكره القبطان ويغضه فينج
 القوم على ان يقوموا عليه ويعصوه ويستولوا زمام السفينة . فوقع بينهم
 الاتفاق على ذلك الامر ونهضوا ذات يوم صباحاً بينما كان القبطان راقداً
 ودخلوا عليه وقيده وتهددوه بالقتل ان اظهر المقاومة ثم طرحوه في
 قارب مع ١٨ شخصاً من رجال السفينة ممن لم يوافقهم على العصيان
 وسلموا لأمواج المحيط وارتدوا راجعين الى جزيرتهم المحبوبة فاقاموا فيها
 اياماً . اما كريستيان رئيس ومقدم تلك الفتنه فلعلمه يجزم وصرامة
 حكومة بلاده وعدم غض نظرها عن امرٍ مثل هذا لم يستصوب الإقامة
 في الجزيرة خوفاً من العقاب فافلح هو واصحابه مع عدد من رجال ونساء
 تلك الجزيرة قاصدين مكاناً آخر يستوطنونه ما عدا اربعة عشر نفر ممن
 جماعته فانهم تخلفوا في الجزيرة ولم يرافقوه . هذا ما كان من امر هولاء .
 واما القبطان فلهعادة حفظه وصل الى انكلترا مع رفقائه في حال
 السلامة واعلم الحكومة بتلك الحادثة فاستعظمت الامر وفي الحال ارسلت
 بارجة حربية تدعى پاندور للتفتيش عن العصاة والقبض عليهم وعند
 وصولها الى الجزيرة المذكورة لم تجد من القوم الا اربعة عشر الذين كانوا
 قد تخلفوا هناك كما تقدم فالت عليهم القبض وارتدت راجعة قاصدة
 انكلترا . وفي اثناء مسيرها صدمت صخرًا كبيراً فانكسرت وفقد بعض
 رجالها من جملتهم اربعة من العصاة اما العشرة الآخرون فنقلوا الى
 انكلترا وهناك شنقت الحكومة منهم ثلاثة . فمضى على تلك الحادثة مدة
 عشرين سنة ولم يسمع احد خبراً لاعن كريستيان ولا عن السفينة حتى
 كان يظن بانهم غرقوا وفقدوا جميعاً . وعلى تمادي الايام تناسى ذلك

الخبر بالكلية حتى لم يعد يخظر على بال احد
وافق سنة ١٨١٣ ان بارجة حرية انكليزية كانت سائرة من
بعض جزائر المحيط فاصدة احدى مواني اميركا الجنوبية فرمت في طريقها
على جزيرة صغيرة كثيرة النبات والاشجار تدعى يتكرت تبعد عن
ناهيتي جملة فراسخ للجنوب الشرقي . فاستحسن القبطان ان يرسو هناك
قليلاً ليرى ما هي تلك الاشجار والمزروعات التي كان يشاهدها من
الركب ومن هم القوم الساكنون في تلك الابنية التي كانت تفوق حسناً
على مساكن شعوب تلك الجهات واكواخهم فبينما كان القبطان وجماعته
يتاملون في ذلك اذراً وارباً مقبلاً من البر وفيه نفران من الملاحين
يجذفان بكل عجلة فاصدين السفينة . فلما اقتربا منها وكان البحر هائجاً
لايسمح لهما ان يدنيا منها صاح احدهما باعلى صوته الى ملاحي الفرقاطة
قائلاً باللغة الانكليزية ألا تلقون لنا جبلاً يا اصحاب . فاندشوا جميعاً
عند ما سمعوا من يتكلم بلغتهم في تلك الاماكن المعجورة وبادروا حالاً
والقوا لها جبلاً فتناولوه واستعانوا به على الصعود الى السفينة ولما تمثلا
امام القبطان سألها عن حالها وقصتهما فاخبراه بانهما من جملة ذرية
كريستيان واصحابه وان كريستيان عندما عصى رئيسه ورجع الى
جزيرة ناهيتي لم يستطع على الاقامة بها خوفاً من قصاص دولته فقصده
هذه الجزيرة مع جماعته وعدد اخر من الاهالي ذكور واثاث سكنوها
بعد ان احرقوا السفينة خوفاً من انكشاف امرهم ثم غرسوا هذه المزروعات
والاشجار التي تزونها وتزوجوا بالنساء اللواتي حضرن معهن وها نحن من
نسلمهم . وقد مات كريستيان وباقي جماعته ولم يبق منهم غير شيخ كبير
يقال له جون ادامس وهو منعك الآن على تهذيب الناس وتعليمهم
قراءة كتاب الله وان يكونوا مستقيمي السيرة والسريرة فتعجب القبطان
ومن حضر من ذلك الاتفاق الغريب واحسنوا الى القوم بما امكن

جدول

يتضمن ملخص الاختراعات والاكتشافات الكلية

الفخار والصيني	<p>الفخار قديم جداً واول ما اصطنع منه الطوب في بناء برج بابل سنة ٢٣٠٠ ق م ولا بد انه كان قبل الطوفان ثم تفنن فيه الناس وعملوا منه الآنية . وكان للفرس والعرب معرفة باصطناع الفخار الشبيه بالصيني وقد اخذه الاوريون عنهم سنة ١٤١٥ م . اما الخزف المعروف بالصيني فكان يصنعه اهل الصين وياپان في القرن الاول للمسيح وادخله البورتوغاليون الى اوربا سنة ١٥١٨</p>
النحاس والحديد	<p>ان وجود هذين المعدنين قديم جداً فقد ذكر في الاصحاح الرابع من سفر التكوين قبل الطوفان حيث قيل ان توبال قابين الضارب كل آلة من نحاس وحديد . واما كيفية استخراجها واصطناع الآنية والآلات منها فمجهولان والمعالم عند المتأخرين انه عند احتراق احراش جبل ايدا في كريت سنة ١٤٠٠ ق م سال بعض تراب هذا المعدن الحديدي وجمد فعرفوه وينسبون الى ذلك اول اكتشاف الحديد غير انه لا ينفي قدميته</p>
الزجاج	<p>الزجاج قديم ايضاً وقد ذكر في الكتاب المقدس في سفر ايوب وامثال سليمان . وينسب بعضهم</p>

اختراعه الى الفينيقيين وبعضهم الى المصريين .
 والمرجح ان المصريين اخترعوه اولاً وتفننوا في اصطناعه
 ووزنوه وذهبوه . وادخله الرومانيون الى بلادهم
 سنة ٢٠٠ ق م واخذ عمله يمتد في اوربا . سنة ٥٥٠
 ليلاد اصطنعوا منه الواحاً للشبايك . سنة ١٣٠
 ب م عمل اهل البندقية المراة الاولى من الزجاج
 وفي اوائل القرن السابع عشر نقش كازبر ليهامان
 الزجاج وخرطه وما زال يتقدم الى هذا اليوم
 لا يعلم يقيناً من اخترع اولاً احرف الهجاء فالبعض
 نسبوه الى ممتون المصري نحو سنة ٢٠٠٠ ق م .
 وظن البعض انه كان قبل ذلك وبعضهم يظن ان
 الفينيقيين اول من اخترعها والامر دائر بين هاتين
 البلادين فاما ان تكون هذه واما تلك والمعروف
 بان كدموس ابن احد ملوك فينيقية وضع لليونانيين
 ستة عشر حرفاً اكملها فيما بعد بلاميدس وسميونيدس
 يقال ان الصينيين اول من استعملها في البر منذ
 نحو ٤٠ جيلاً ولا يوجد دليل لاستعمالها لها بحراً
 الا في القرن التاسع م في اسفارهم الى خليج
 الفرس والبحر الاحمر . وعن الصينيين اخذها الهنود
 وعن هولاء اخذها العرب ثم اخذها عنهم الاوربيون
 في القرن الثاني عشر م وتفننوا في اتقانها ولم
 تستعمل عندهم قبل اواسط القرن الثالث عشر
 ان ضرب النقود ينسب الى اليونانيين . قال
 هيروودتوس في كلامه عن اهل ليديا انهم اول

الاحرف والكتابة

البوصلة

اويت الابرة

ضرب النقود
 والمعاملات

شعب ضربوا النقود ولكن قد اتضح بان ذلك غلط وان اهالي ايجينيا في زمن فيدون ملك ارغوس اول من اخترعه سنة ٨٩٥ ق م ثم تطرق من بلاد اليونانيين الى بلاد الفرس والعرب وغيرها ان لعب الشطرنج قديم العهد وعرف منذ سنة ٦٠٨ ق م فالبعض ينسب اختراعه الى الصينيين والبعض الاخر الى الهنود والارجح ان هولاء اول من اخترعه وقيل ان واضعه الحكيم صصه ويسمونه شاتوراتكا . وادخله الصليبيون الى اوربا بعد خروجهم من فلسطين

الشطرنج

لا يعلم بوجه الحصر بداية وضع الارقام الهندية ولكنه تحقق ان اول استعمالها كان بين اهل الهند وعندهم اخذها الفرس والعرب وهولاء ادوها للاوربيين سنة ٩٩١ ب م

الارقام الهندية

الورق قديم ايضا كان المصريون يصطنعونه من نبات البايروس الذي ينبت على شاطي النيل وكان صالحا لقبول الكتابة عليه . واما الورق الحالي فاول من اخترعه اهل الصين واليابان وكان الصينيون يصطنعونه من الحرير واليابانيون من القطن والكثان وقشر التوت وقشر الارز . وادخل العرب صناعة الورق الى اسبانيا في القرن الحادي عشر ثم اخذه عنهم الاوربيون وتفننوا فيه حتى اوصلوه الى الحالة الراهنة

الورق

كان استعمالها في بلاد اليونان سنة ٤٥٥ ق م

المنافع

الاجراس	ان الاجراس الصغيرة قديمة جداً بدليل ما جاء في سفر الخروج من انها كانت من جملة ما يتزين به رئيس الكهنة . اما الاجراس الكبيرة المستعملة في الكنائس فادل من اختراعها باولينوس اسقف مدينة نولا في ولاية كامبانيا من ايطاليا سنة ٤٠٠ م
الساعة	اول الساعات التي استعملها الناس هي الساعات المائية واول من اختراعها اليونان وهي اشبه بالساعات الرملية المستعملة لحد هذا اليوم . ثم اخذها عن اليونان الرومانيون واستعملت في رومية سنة ١٥٨ ق . م وقد اخذها العرب ايضاً عن اليونان وتفتنوا في صناعتها فان الخليفة هرون الرشيد اهدى الامبراطور شارلمان في اواخر القرن الثامن ب . م ساعة مائية ذات ثقل لم يكن لها مثيل في اوربا . وسنة ١٣٧٠ م اخترعت اول ساعة غير مائية استنبطها رجل الماني يدعى هنري رويك . اما الساعات الصغيرة التي يحملها الناس فلا يعلم يقيناً اول مصطنع لها ولا زمن اختراعها تماماً
التاريخ المسيحي	بداية استعماله في الكتابات والمعاملات كان سنة ٥١٦ م وواضعه ديونيسيوس السكيثي
الطاحون المائية	الطحن بواسطة قوة الماء ينسب اختراعه الى بليساريوس الروماني سنة ٥٥٥ م
الطاحون الهوائية	طواحين الهواء ادخلها من الشرق الصليبيون الى اوربا سنة ١٢٩٩ ولا يعلم بالتحقيق زمان استعمالها

الموشنات	في المشرق اخترعها راهب من مدينة بيزا في ايطاليا يقال له اسبيننا سنة ١٢٩٩ ب م
البارود	المقرر اليوم ان الصينيين استعملوه في بداية التاريخ المسيحي وقيل ان العرب استعملوه في حصار مكة سنة ٦٩٠ ب م . ولكنه لم يعرف في اوربا الى سنة ١٢٥٧ ب م . واول من فطن الى قوة انفجار البارود في اوربا هو روجير باكون احد علماء القرن الثالث عشر ثم اتقن صناعته راهب الماني سنة ١٣٣٦ ب م
النار اليونانية	النار اليونانية كانت بداءة استعمالها في القسطنطينية سنة ٨٧٣ ب م ومخترعها كاليستيكوس السوري . وهذه النار كانت تحرق في وسط الماء والمظنون ان اخترعها كان قبل هذا العهد . يرجحون ذلك لاهل الصين
المدافع	المؤكّد الآن ان اول من اخترع المدافع هم الايطاليون من اهالي فلورنسا سنة ١٣٣٥ ب م واول من استعمالها في الحرب ادورد الثالث ملك الانكليز ضد الفرنسيين وذلك في موقعة كريسي سنة ١٣٤٦ . وكان في المدفع اوسع من اسفله
البرانيط الطباعة	اخترعها رجل سويسري في فرنسا سنة ١٤٠٤ ب م المظنون ان الطباعة قديمة عند اهل الصين تقرأ على الخشب . اما صناعة الطباعة على ما هي عليه الآن فقد اخترعها يوحنا غوتنبرج من مدينة ماينس في

- المانيا سنة ١٤٣٦ وتم اختراعه سنة ١٤٥٠ واول
كتاب طبع هو التوراة
- الليثوغرافية وهي مطبعة الحجر كان اختراعها سنة ١٧٩٩ والمخترع
لها ألويس سنفلدر من مدينة براغ في المانيا
- حفر الصور حفر الصور على النحاس والخشب التي يضعونها في
الكتب اخترعت سنة ١٤٥٢ وواضعها مازو فينيقيراً
من فلورنسا
- النظارات اول نظارة فلكية اخترعها يوحنا ليبرسي من
ميدلبورغ في هولندا سنة ١٦٠٨ ثم تفنن فيها
الفيلسوف اسحق نيوتون والبارون هرشل والامير
روس وغيرهم
- الميكروسكوب الميكروسكوب او النظارة المكبرة اخترع سنة ١٥٩٠
ب. م من هولاندي يدعى زخريا جانسن وقال
بعضهم بل هو كرنيلوس دريبل وهو هولاندي
ايضاً وذلك سنة ١٥٧٢ ولعله فكر فيه
- البارومتر وهو ميزان ثقل الجو او الهواء واول من اهتدى الى
معرفة ثقل الجو تورشيلي تلميذ غاليليو سنة ١٦٣٠ ثم
انجز هذه المأثرة العالم الفرنسي باسكال الشهير
سنة ١٦٤٨ وفي اثائها استعمل اول بارومتر منتظم
- الترمومتر وهو ميزان الحرارة كان اول استعماله في جرمانيا
سنة ١٦٢١ ومخترعه كرنيلوس دريبل الهولاندي
ثم تفنن فيه العلماء نيوتون واموتون وفهرنهيث
وريمور وعم الاشهر
- الكهربائية الكهربية لفظة فارسية معربة ومعناها جاذبة القش

وقد عزف القدماء بعض خصائصها واول اكتشافها في اوربا كان سنة ١٤٦٧. واول آلة اصطنعت منها كانت سنة ١٧٦٠ ب. م من رجل الماني من مدينة مكديبورج اسمه اتودوكيور بك ثم تفنن فيها العلماء فتقدمت كثيراً ونجم عنها فوائد جزيلة كالتلغراف وغيره كما سيأتي

اصطناع الابرة اول اصطناع الابرة كان في انكلترا سنة ١٥٤٥
جواذب الساعة جاذبة او مانعة الساعة اخترعها فرانكلين الاميركاني

الشهير سنة ١٧٥٢ واستعملت سنة ١٧٦٠

معمل نسج الحرير اول معمل لنسج الحرير في مدينة ليون من فرنسا سنة ١٤٦٦

معمل نسج القطن اول معمل لنسج القطن ظهر في انكلترا ثم في فرنسا في القرن السابع عشر

صب الحديد اول معمل لصب الحديد انشئ في انكلترا سنة ١٧٤٠
الساعة البرقية اول ساعة برقية ظهرت هي تلك التي اخترعها

ستاينهل من مونيخ عاصمة بافاريا سنة ١٨٣٩ ثم اتقنها وانستون الانكليزي سنة ١٨٤٠

الآلة البخارية لقد تنازع الانكليز والفرنساويون والاميركانيون من جهة اول مخترع للآلة البخارية وليس هنا مكان لتفصيل مواقع الخلاف ولكن نقول ان اول من

شرع في عمل الآلة البخارية هو طيب برونستانتني فرنساوي الاصل اسمه دبليس پاپين سنة ١٦٩٠ وهو اول من ركب تلك الآلة على سفينة صغيرة في وادي فولدا في كاسل سنة ١٧٠٧. ولكن لسوء

حظه قام على سفينته بعض الاوباش في وادي
الوزير وكسروها له ولم يعد في وسعه تجديدها ثم
اعتنى في هذه الماثرة جسم وات الانكليزي المشهور
وحسن الاختراع وكاد ينجح نجاحاً تاماً في عمل السفينة
البخارية . من ثم تداولت هذا العمل ايادى كثيرة
ولكن لم تات تلك المساعي بتمام المرغوب حتى سنة
١٨٠٣ اذ وضع روبرت فلطن الاميركاني الذي
كان في فرنسا اول سفينة بخارية تامة بدواليب
على نهر السين في باريز ولكن لم يتم انجاز هذه
الماثرة في فرنسا فذهب فلطن الى اميركا وطنه
وهناك صار انجازها وفي ١٠ آب سنة ١٨٠٧ انزل
الى البحر السفينة الاولى البخارية المسماة كلارمون
وسافرت من نيويورك الى فيلادلفيا

آلة الذنب
للقابورات

ان آلة الذنب المسماة عند الافرنج هابيس او آليس
وهي المستعملة الآن في السفن البخارية عوضاً عن
الدواليب فاول من فكر فيها دوكي الفرنسي سنة
١٧٢٧ . ولكن لم يتفق انجازها الا عن يد المهندس
اريكسون من اهل اسوج في البلاد المتحدة
الاميركانية سنة ١٨٤٤ واستعملت في السنة التي
بعدها

تطعم او تلقح
الجدري

اخترعه الطبيب هنري جنر الانكليزي سنة ١٧٧٦
وانعمت عليه الدولة في مقابلة ذلك الاكتشاف
الثمين بثلاثين الف ليرة انكليزية
وهي المعروفة بالايروستا والبالون كان اختراعها سنة

الركبة الهوائية

١٧٨٣ وصانعها الاخوان مونفوقيه وصعدا بها في
الجو تلك السنة

التلغراف

انه بعد ان وقف العلماء على خصائص الكهر بائية
فكر كثيرون منهم بامكان اختراع التلغراف . وسنة
١٧٦٠ اتمسك جورج ليزاج الفرنسي الاصل
باصطناع تلغراف وانهاه سنة ١٧٧٤ ولكن لم يتوفى
العمل به حيث لم يكن مستوفياً الشروط . وما
برحت الايدي تتداوله حتى سنة ١٨٢٣ اذ باشر
العمل به الطبيعي صموئيل مورز الاميركاني وهو
بعد المستنبط الاول للتلغراف . وسنة ١٨٤٤ نصب
السلك الاول بين واشنطن وبالتيمور . واستعمله من
ثم اكثر دول اوربا ما عدا انكلترا فانها لم تستعمل
الا الطريقة التي وضعها المهندس الانكليزي واتستون
وسنة ١٨٥٠ انتظم اول تلغراف بحري بين فرنسا
وانكلترا

آلة النسج الميكانيكية اخترعها جاك كرفرنساوي وهي التي تنسج من

نفسها من دون واسطة الايدي سنة ١٨٠١

الستينوغرافي

الستينوغرافي كلمة يونانية معناها كتابة ضيقة او
مختصرة وهي كيفية تمكن السامع استيعاب كل ما
يتكلمه الخطيب وتدوينه باصطلاح مخصوص .
والواضع لها رمزي من اسكوتلاندا في بريطانيا
سنة ١٦٨١

او تصوير الشمس ان اول من باشر هذا الاختراع

الفوتوغرافية

يوسف نيسيفور ناپس الفرنسي من سنة ١٨١٣

وقم هذا الاختراع بالاشتراك مع داغير الباريزي
 وظهر للوجود سنة ١٨٣٩. وكان هذا الاستنباط
 مقصوراً في اول الامر على الصفائح النحاسية وقد
 سمي داغير بوتيبنسبة الى داغير. اما طريقة اخراج
 الصورة على الورق كما هو جار الان فقد اخترعها
 فوكس نالبوت الانكليزي سنة ١٨٣٩ وظهرت
 للوجود سنة ١٨٤٥

الستيريوسكوب الستير يوسكوب وهي النظارة ذات العينين التي
 تجسم بها الصور وتستعمل في البيوت لاجل الفرجة
 اخترع سنة ١٨٣٨ وواضعه واتستون الانكليزي
 الطريق الحديدية اول طريق حديدية تامة محكمة تجري عليها العربات
 بالبخار تمت سنة ١٨٢٩ وسافرت سنة ١٨٣٠ من
 ليفربول الى منشستر وهي من اختراع جورج
 وروبرت ستيفانسون من انكلترا
 المطبعة الميكانيكية اول مطبعة ميكانيكية اي التي تطبع من نفسها
 اخترعها نيكولسون الانكليزي سنة ١٧٩٠

جدول تاريخي

يتضمن اهم الحوادث العظيمة التي جرت في العالم

	قبل المسيح
الخليقة	٤٠٠٤
الطوفان	٢٣٤٨
تبلبل الالسن	٢٢٤٧
تأسيس اشور المملكة الاشورية و بناء نينوى	٢٢٢٩
تأسيس نمرود لبابل	٢٢٠٤
قيام نيناس ملك الاشوريين بعد امه سميراميس	٢٠٠٠
ولادة ابراهيم	١٩٩٦
دعوة ابراهيم من اور الكلدانيين الى ارض كنعان	١٩٢١
احتراق سدوم وعمورة	١٧٩٩
بيع يوسف للاسمعيليين	١٧٢٩
نزول يعقوب مع عائلته الى مصر	١٧٠٦
موت يعقوب	١٦٨٩
موت يوسف	١٦٣٥
ولادة موسى	١٥٧١
تأسيس سيكروب المصري مملكة اثينا و كدموس الفينيقي	١٥٥٦
مدينة ثيبه اليونانية في هذا القرب	

ق م	ق م
	١٤٩١
٢١	العشر الوصايا
٥	١٤٥٢ موت موسى
١٢	١٤٥١ خلافة يشوع بن نون وتغلب الاسرائيليين على ارض
١٠	كعان واقتسامهم اياها
٦٠	١٤٤٣ موت يشوع بن نون وابتداء حكم القضاة
٧٢	١١٨٤ اخذ اليونانيين تروادة
٢٦	١١٤٨ انتقال ايليا
١٢	١٠٩٥ مسخ شاول ملكاً على اليهود
٠٥	١٠٨٣ حرب الهيراكليدية وموت ملكهم كودروس
٩٤	١٠٥٥ تملك داود النبي على بني اسرائيل
٨	١٠١٤ تملك سليمان ابنه
	١٠٠٤-١٠١٤ بناء هيكل سليمان
٨٥	٩٨٠ موت سليمان
٥٩	٩٧٥ انقسام اليهود مملكتين اعني يهوذا واسرائيل
٤٧	٩٠٠ ولادة هوميروس الشاعر اليوناني
	٨٨٤ اعطاه ليكورغوس شترائه الى اهالي سبارتا
٣٧	٨٥٦ ذهاب يونان النبي ليعظ اهل نينوى
	٨٤٠ تاسيس قرطاجنة وقيل سنة ٨٧٨
٣٦	٧٧٦ الملاعب الاولمبية اليونانية
٢٩	٧٥٩ اقراض مملكة اشور الاولى
٢٥	٧٥٣ تاسيس رومولوس مدينة رومية
٢٥	٧٤٧ تملك نابونصر بن بيليزيس على بابل ووضع التاريخ

	٢٤
الجدید المعروف بالتاريخ الكلداني	
امر شلناصر عشرة اسباط امراييل	٧٢١
موت رومولوس	٧١٥
هلاك جيش سخاريب حول اورشليم	٧١٢
ديجوسيس مؤسس مملكة مادي	٧١٠
اخذ امرحدون اورشليم وضمه مملكة بابل الى مملكة اشور	٨٦٠
حرب الهوراتيين والكورياتيين	٦٧٢
اخذ نابو بولصر بابل	٦٢٦
خراب نينوى من نابو بولصر واستياج بن كيا كسار	٦١٢
تملك نبوخذ نصر الثاني المعروف بالكبير	٦٠٥
شرائع صولون للاثينيين	٥٩٤
اخذ نبوخذ نصر اورشليم وخربه الهيكل وسببه اليهود الى بابل . واخذه صور	٥٨٨
تملك استياج على مادي	٥٨٥
تملك كريسوس ملك ليديا الشهير بالغني	٥٥٩
تغلب كورش ملك فارس ومادي على كريسوس ملك ليديا	٥٤٧
اخذ كورش بابل وجعل مملكتي مادي وفارس مملكة واحدة	٥٣٧
اصداره امراً ببناء الهيكل في اورشليم	٥٣٦
موت كورش وتولي كمبيز ابنه	٥٢٩
تغلب كمبيز بن كورش على الديار المصرية	٥٢٥
اتمام بناء الهيكل في زمن داريوس بن هتاسب	٥٢٥

ق م	
٤٩٦	افتتاح دار يوس الاول بلاد السكيثيين
٤٩٤	اخذ اليونان سارديس من الفرس واحرقها
٤٩٠	تغلب اليونان على جيش دار يوس في ماراثون
٤٨٩	انسحاب كور يولانوس من رومية واتحاده مع الغولثيين
٤٨٥	موت دار يوس الاول
٤٨٠	ظهور هيروودوتوس
٤٨٠	حروب زركسيس بن دار يوس مع اليونان وانكساره وهر به
٤٧٠	قتل اربطانيس زركسيس وتولي ابنه ارتكزارسيس
٤٦٤	التجاء ثيمستوكليس القائد اليوناني المشهور الى ارتكزارسيس
٤٥٧	بناء نحميا اسوار اورشليم باصر ارتكزارسيس
٤٥٠	سينسنانوس مدير في رومية
٤٤٦	قتل فيرجينيا بيد ابيها في رومية
٤٤٠	سوقراط الفيلسوف في اثينا
٣٩٦	موت سوقراط
٤٣١	بداية حرب البوليبونيسوس اي حرب المورة
٤٢٩	موت پريكليس رئيس احكام اثينا
٣٨٩	هجوم الغاليين الاول على رومية واخذهم اباها وحرقها
	تحت قيادة بر بنوس
٣٨٠	تعليم پلاتون في اثينا
٣٨٢	حرب لوكترا بين سبارتا واثينا
٣٣٠	ظهور اريسطوطاليس وتعليمه في اثينا
٣٣٨	تملك فيليب المكدوني على بلاد اليونان
٣٣٦	موت فيليب المكدوني وقيام ابنه اسكندر

تغلب اسکندر الكبير على دار يوس وافتتاحه سورية	٣٢٤
وصور ومصر والهند ثم موته وهو في سن الثلاث والثلاثين	٣٣٤
حرب ايبسوس واقسام مملكة اسکندر بين قواده	٣٠١
الاربعة	
مهاجمة الرومانيين البلاد اليونانية	٢٨٠
اول حرب الرومانيين قرطاجنة	٢٦٤
حرب قرطاجنة الثانية وانتصار هنيبال اولاً وثانياً على	٢١٨
الرومانيين	
تأسيس مجمع اليهود الكنائسي المسمى سنخدريم	١٩٠
تغلب الرومانيين على انتيوخوس الكبير في ثرموبيلي	١٩٢
مقاومة المكابيين لانتيوخوس الكبير ملك سوريا	١٦٦
حرب قرطاجنة الثالثة وخرابها من الرومانيين تحت قيادة	١٤٥
سيبيو او شيبو	١٤٦
حرب كورنثوس وخرابها وتغلب الرومان على بلاد اليونان	١٤٦
وجعلها ولاية رومانية	
استيلاء الرومانيين على اسبانيا وجعلها ولاية رومانية	١٣٣
صيرورة ميتريدات الكبير ملكاً على بنتس	١٢١
تغلب الرومانيين على كل ايطاليا	٩١
حرب ماريوس وسيلا القائدين الرومانيين	٨٦
تغلب بومباي القائد الروماني على ميتريدات ملك بنتس	٦٦
اقامة يوليوس قيصر وبومباي وكراسوس حكماً على	٦٠
المملكة الرومانية وهو الحكم الثلاثي الاول المعروف	
بالترينقرات	

ق م

٣٧	٥٨	مهاجمة يوليوس قيصر فرنسا
٥٠	٥٥	افتتاح يوليوس قيصر بريطانيا
٦٦	٥٤	موت كراسوس القائد في محاربة البارثيين بعد فقد عساكره
٦٦	٤٧	تسمية يوليوس قيصر مديراً عاماً للملكة الرومانية
٦٦	٤٧	صدور امره ببناء قرطاجنة وكورنثوس
٦٨	٤٤	موت يوليوس قيصر قتلاً
٧٠	٤٣	تجديد الحكم الثلاثي الثاني اوكتافيوس وانطونيوس وليبدوس
٧٩	٤٠	افتتاح الرومانيين القدس واقامة انتيباتر الادومي نائباً على المملكة اليهودية
٩٥	٣٧	عزل انتيباتر عن ولاية اليهودية واقامة هيروودس الكبير مكانه
١٠٧	٣١	تقلب اوكتافيوس على رفيقه انطونيوس وكليوباترا واخضاعه بلاد مصر
٣٠	٣٠	اخضاع الرومانيين بلاد مصر وضمها الى الولايات الرومانية
٥١	٢٧	ترقي اوكتافيوس الى لقب اوغسطس وصيرورته امبراطوراً
٦٠		بعد المسيح
٧٢	١	موت هيروودس الكبير وقيام ابنه ارخلاوس مكانه
٧٤	١٤	موت اوغسطس واستخلاف طيباريوس
١٠٦	٣٣	صاب المسيح وقيامته وحلول الروح القدس في يوم الخمسين
١٢	٣٤	استشهاد مار اسطفانوس
٢٦	٣٥	ارتداد بولس

موت طيباريوس واستخلاف كاليغولا الشرير	٣٧	ب ٢٠٠
الثام المجمع المسيحي الاول من الرسل في اورشليم	٥٠	
عصاوة اليهود على المملكة الرومانية ومحاربة نيرون ايام	٦٦	
اضطهاد المسيحيين الاول من الامبراطور نيرون - (ان عدد	٦٦	
اضطهادات المسيحيين في ايام الدولة الرومانية هو عشرة انظر		
تبيان ذلك في وجه ٣٧٧)		
استشهاد مار بولس في رومية	٦٦	
قتل نيرون نفسه	٦٨	
اخذ تيطس اورشليم في سلطنة ايه فسباسيانوس	٧٠	
صيرورة تيطس امبراطوراً على الرومانيين	٧٩	
القاء مار يوحنا في الزيت المغلي ونفيه الى جزيرة بطمس	٩٥	
حيث كتب الرؤيا وانجمله معاً		
استشهاد اغناطيوس اسقف انطاكية	١٠٧	
محاربة الاعجم الفريثيين وطردهم وتولي اردشير اول ملوك	٢٣٠	
الدولة الساسانية		
دخول البرابرة الغوثيين وغيرهم اوربا واستيلاؤهم على بعض	{ ٢٥١	
الولايات الرومانية في ايام الامبراطور ديسيوس	{ ٢٦٠	
قيام فاليريانوس على الفرس وامرهم اياه	٢٦٠	
تغلب اوريليان على زينوبيا ملكة تدمر وتأسيس سطوته	{ ٢٧٢	
في الشرق	{ ٢٧٤	
تملك قسطنطين الكبير	٣٠٦	
تنصر قسطنطين وجعله الديانة المسيحية ديانة المملكة	٣١٢	
الثام المجمع المسكوني الاول بامر قسطنطين في نيقية	٣٢٦	

ب ٢٠

ضد ارا ار يوس

٣٣٠ نقل قسطنطين كرسي السلطنة الرومانية الى مدينة القسطنطينية

٣٣٧ موت قسطنطين بعد ان قسم المملكة بين اولاده الثلاثة قسطنطين و قسطنطيوس و قسطنطس

٣٥٨ مهاجمة قبيلة الافرنك فرنسا واستيطانهم فيها

٣٩٥ قسم ثيودوسيوس السلطنة الرومانية الى غربية وشرقية

٤١٠ اخذ الاريك رومية وموته فيها

٤١٧ عبور جنسريك قائد القندال من اسبانيا الى افريقية وتأسيسه مملكة فيها

٤٢٠ خروج الرومانيين من بريتانيا

٤٤٩ دعوة الانكليز للسكوثيين لاجل اتقاذهم من تعدي

٤٥٢ الاسكوتيين ويعتبر ذلك بداءة اسيطانهم في بريطانيا

٤٥٣ تاسيس مدينة فيس في ايطاليا

٤٥٥ اخذ جنسريك رومية ونهبها غرق امته الميكل والاواني

التي اتى بها تيطس من اورشليم وهي مشحونة الى قرطاجنة

٤٧٦ اتقراض المملكة الرومانية في الغرب واستيلاء اودواكر ملك

المرول على رومية

٤٨١ تاسيس الملكية في فرنسا بواسطة كلوفيس احد العائلة

الميروفنجية

٤٩٦ تنصر الملك كلوفيس المذكور مع عائلته وجنوده

٥٢٧ تولي جوستينيانوس امبراطوراً على السلطنة الشرقية

٥٣٣ اتقراض مملكة القندال من افريقية بواسطة القائد

بليسا ريوس	
ولادة حضرة محمد عليه السلام	٤٧٠
مهاجرة حضرة النبي مكة وذهابه الى المدينة	٦٢٢
حرب الطوائف او الاحزاب ضد النبي	٦٢٦
تغلب عمرو بن العاص على مصر وافتتاحه الاسكندرية	٦٤٠
انقلاب يزيد جرد اخر ملوك الدولة الفارسية الساسانية	٦٥٢
وانضمام بلاده الى المملكة الاملامية في خلافة عثمان	
مهاجمة الخليفة معاوية القسطنطينية	٦٦١
اختراع الحرايق النارية اليونانية وتخليص القسطنطينية	٦٦٧
من مهاجمة المسلمين	
تأسيس بغداد مركز الخلافة	٦٧٢
تغلب المسلمين على المغاربة في افريقية	٧٠٩
دخول طارق الى اسبانيا وتغلبه على الملك رودريك وضم	{ ٧١٢
اسبانيا وبورتوغال الى الخلافة	{ ٧١٣
غلبة شارل مارتل في مدينة تور ومنعه المسلمين عن	٧١٤
تقدمهم لتملك اوربا	
مقاومة الكنيسة الشرقية للكنيسة الرومانية الغربية من	٧٤١
اجل عبادة التماثيل	
جلوس بايين على كرسي فرنسا وهو اول ملوك العائلة	٧٥٢
الكارولنجية	
استخلاص بايين ملك فرنسا رافينا من اللومباردين	٧٥٤
واعطاؤها للبابا وهكذا كانت بداية الباباوية	
اتقراض ملك اللومباردين من ايطاليا بواسطة شارلمان	٧٧٤

ب ٢٠٠

- ٨٠٠ فتويج شارلمان امبراطوراً للغرب وانفصال الكنيسة الغربية عن الشرقية
- ٨٠٩ صيرورة البندقية مستقلة
- ٧٢٧ اتحاد السبع حكومات السكسونية في انكلترا تحت تسلط الملك اغبرت وهو اول ملك للبريتانيين
- ٨٤٣ سقوط سلطنة شارلمان الغربية وانقسامها الى ثلاث ممالك
- ٨٦٠ اكتشاف ايسلاندا للنرويجيين
- ٨٦٥ ابتداء دخول الدنياركيين الى انكلترا واستيلاؤهم عليها
- ٩١٢ بداية السلطنة الجرمانية بالامبراطور كونراد
- ٩٥٥ دخول الديانة المسيحية الى بلاد المسكوب
- ٩٨٧ بداية تملك العائلة الكابتيانية في فرنسا واول ملوكها هو كاييت
- ١٠١٦-١٠٣٩ تغلب كانونت ملك دنيمارك على انكلترا وتوجه عليها ملكاً مع ولديه الذين خلفاه وتعرف هذه المدة بمدة الملكية الدنيماركية
- ١٠٥٦ بداية حرب السيامات الاكليريكية بين هنري الرابع امبراطور جرمانيا وبين اجبار رومية
- ١٠٥٧-١٠٧٤ تملك السلجوقيين على اخص الخلافة الشرقية تحت راية طغرلبيك
- ١٠٦٦ تولي وليم اول ملوك النورمدين على انكلترا
- ١٠٧٦-١٠٧٨ تملك السلجوقيين القدس وير الاناضول وتأسيستهم ولاية قونية
- ١٠٧٧ اذلال البابا غوريجور يوس السابع لهنري الرابع

	امبراطور جرمانيا	١٠٩٩
	الحرب الصليبية الاولى واخذم القدس	١١٦٤
	ظهور جنكيزخان سلطان المغول	١١٧١
	استيلاء الدولة الايوبية على مصر الى سنة ١٢٥٠	١١٨٧
	انتصار صلاح الدين على الصليبيين في طبريا واخذه القدس منهم.	
	حصار الصليبيين عكا واخذها	{ ١١٨٩ ١١٩١
	اضطهاد الولدنسيين والالجنسيين في اوربا	{ ١٢١٠ ١٢٢٣
	الاتحاد الانسياتيكى	١١٤١
	استيلاء المالك اي الدولة الجركسية على البلاد المصرية الى سنة ١٥١٧	١٢٥٠
	استيلاء التتر تحت راية ملكهم هلاكو على بلاد العجم وبغداد وانقراض الدولة العربية في خلافة المستعصم بن المستنصر	١٢٥٨
	اول مجلس شوري ترتب في انكلترا (پارليمنت)	١٢٦٣
	قيام رودولف هابسبورغ امبراطوراً على جرمانيا وهو راس عائلة اوستريا الحالية	١٢٧٣
	قيام بيبرس اشهر ملوك الدولة الجركسية في مصر صاحب الفتوحات الكثيرة	١٢٧٧
	انضمام مقاطعة ولس الى تاج انكلترا	١٢٨٣
	بداية دولة آل عثمان وتأسيسها ببر الاناضول	١٣٠٠

انتقال مركز الباباوية من رومية الى افينيون في فرنسا	١٣٠٥
حيث بقي ٧٠ سنة	
استقلالية اهل سويسرا عن جرمانيا	١٣٥١
بداية حروب الفرنساويين والانكليز المعروفة بحروب	{ ١٣٣٧
المئة سنة	{ ١٤٥٣
ظهور يوحنا وبكليف اول مصلح للديانة المسيحية في انكلترا	١٣٨٤
انضمام نروج الى بلاد دنيمارك	١٣٩٧
اكتشاف الاوريبين يابان	١٤٠٠
تغلب تيمورلنك على السلطان بايزيد في انقره	١٤٠٢
موت تيمورلنك	١٤١٠
معارضة يوحنا هس آراء الكنيسة الرومانية والحكم عليه	١٤١٤
بالحرق في مجمع قسطنطينية	
احراق جروم من مدينة براك لاجل مناداته باصلاح الديانة	١٤١٦
تغلب جان دس لرك (ابنة فرنساوية) على الانكليز	١٤٢٩
وتخليصها بعض اقاليم فرنسا ووقوعها في ايدي الانكليز	
واحراقهم اياها	
تتويج هنري السادس ملك انكلترا ملكاً على الفرنساويين	١٤٣١
وهو في باريس	
افتتاح السلطان محمد الثاني القسطنطينية واتقراض	١٤٥٣
السلطنة الرومانية الشرقية	
اجلاء الانكليز من فرنسا اصالة	١٤٥٣
حروب الورد في انكلترا وهي حروب اهلية بين حزبين	{ ١٤٥٥
كبيرين	{ ١٤٥٨

قيام التنفيس والتجسس الديني في مدينة اشبيلية في اسبانيا	١٤٨٠
بداية التجارة بالعبيد بواسطة البورتوغاليين	١٤٨٢
حروب الاسبانويولين مع عرب الاندلس واجلاوهم في ايام فردينند وايزابله	{ ١٤٨٠ ١٤٩٢
اكتشاف راس الرجاء الصالح لبرنالموس دياس	١٤٨٦
تقي ١٦٠ الفاً من اليهود من اسبانيا	١٤٩٢
اكتشاف كولبوس اميركا	١٤٩٢
مرور البورتوغاليين الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح	١٤٩٨
اكتشاف البورتوغاليين برازيل	١٥٠٠
استخلاص آل عثمان بلاد مصر في ايام السلطان سليم الاول من ايدي المماليك	١٥١٧
ظهور لوثيروس ومناداته بالاصلاح في جرمانيا	{ ١٥١٧ ١٥١٩
وزوينكاكوس في بلاد السويس	{ ١٥١٧ ١٥١٩
مسح شارلكان امبراطوراً على جرمانيا	١٥١٩
افتتاح مكسيكو لفرند كورتيز	١٥٢٠
استفتاح السلطان سليمان جزيرة رودس من انصار بيت المقدس	١٥٢٢
طرد غوستاف واصاكر يستيان من بلاد اسوج	١٥٢٣
انتصار شارلكان على فرنسيس الاول ملك فرنسا وامره اياه	١٥٢٥
مهاجمة جيوش شارلكان رومية ونهبها وقبضهم على البابا اكليمينضوس السابع ومجنه	١٥٢٧
اقامة مسيحيي الاصلاح الحجة على مقاوميههم واطلاق	١٥٢٩

٢٠٦

لقب البروتستانت عليهم من جرى ذلك	
تغلب شارلكان على قرصان المغاربة واخذه تونس	١٥٣٥
تأسيس اغناطيوس لويولا جمعية اليسوعيين	١٥٤٠
التسام المجمع التريدينيني	١٥٤٥
قيام الاتحاد المقدس في فرنسا لاجل ملاشاة المرطقة	١٥٦٦
بداة عصيان الهولانديين على فيليب ملك اسبانيا	١٥٦٧
بسبب تعرضه لمذهبهم	
استفتاح آل عثمان جزيرة قبرس في ايام السلطان سليم الثاني	١٥٧١
مذبحة بروتستانت فرنسا يوم عيد مار برثلماوس	١٥٧٢
استيلاء الدولة العثمانية على تونس	١٥٧٤
بداة الجمهورية الفلمنكية واتحاد سبع ولايات منها	{ ١٥٧٩ ١٥٨٠
ضم البورتوغال الى اسبانيا بواسطة ملكها فيليب الثاني الذي تبوأ تحت اسبانيا سنة ١٥٥٦	١٥٨٠
تملك هنري الرابع على فرنسا بعد جمده الديانة البروتستانتية	١٥٩٣
اتحاد اسكوتلاندا وانكلترا في ايام جمس الاول من عائلة ستوارت	١٦٠٣
اكتشاف هدمس النهر المسمى باسمه في الولايات المتحدة الاميركانية	١٦٠٩
قتل رافاليك اليسوعي هنري الرابع ملك فرنسا	١٦١٠
طرد عدد غفير من المغاربة من اسبانيا في ايام ملكها	١٦١١

فيليب الثالث

- استيطان الفلمنكيين في نيو يورك والباي ١٦١٤
- اثارة الكردينال ريشيو في فرنسا حرباً على البروتستانت ١٦٢١
- وحصرهم في قلعة روشل واخضاعهم
- افتتاح السلطان مراد الرابع مدينة بغداد من الاعجاب ١٦٣٨
- انفصال بورتوغال عن اسبانيا وابتداء تملك عائلة براغانسة فيها ١٦٤٠
- مجاهرة الانكليز ملكهم كارلوس الاول بالعصيان وبداءة الحرب الاهلية بينهم ١٦٤٢
- معاهدة وستفاليا ١٦٤٨
- امر الانكليز كارلوس المذكور وقتله ١٦٤٩
- صيرورة كرومويل محامياً للجمهورية الانكليزية ١٦٥٣
- حروب انكلترا الجبرية مع هولاندا ودوامها الى سنة ١٦٥٤
- ١٦٦٧ حين تم صلح بريدا
- موت الجنرال اوليفر كرومويل ١٦٥٨
- اعادة الملكية الى انكلترا بواسطة الجنرال مونك وتولي كارلوس الثاني وتعرفت هذه المدة عند الانكليز بمدة العود او الاسترجاع ١٦٦٠
- حدوث طاعون مهلك في مدينة لندن مات فيه ١٠٠ الف نفس ١٦٦٥
- حدوث حريقه مرعبة في مدينة لندن خرب فيها ١٣٠٠٠ بناية ١٦٦٦
- اخذ انكلترا مدينة نيو يورك في اميركا من الفلمنكيين ١٦٦٧

م. ب

ووقوع الصلح بين الامتين	
نكث كارلوس الثاني ملك انكلترا معاهدة مع الفلمنكيين	١٦٧٢
ومحاربتة لهم بعد اتحادهم مع فرنسا	
تملك بطرس الاكبر على روسيا	١٦٨٢
ولادة كارلوس الثاني عشر ملك اسوج ونروج	١٦٨٢
انجاد سوياسكي النمساويين ومنع الاتراك عن اخذ فينا	١٦٨٣
اتحاد هولاندا واسبانيا وانكلترا على فرنسا في معاهدة	١٦٨٦
او كسبورج	
حدوث الثورة الانكليزية وتنزيل الملك جيمس الثاني	١٦٨٨
استدعاه الانكليز الامير اورانج الفلمنكي واقامته ملكاً	١٦٨٩
تحت اسم وليم الثالث	
استيلاء الاتراك على مدينة ازوف	١٦٤٣
اخذ الاتراك بلغراد وبلاد المجر العليا وخوف اوربا منهم	١٦٤٩
توصية كارلوس الثاني ملك اسبانيا بملكه الى فيليب	١٧٠٠
دي انجو حفيد لويس الرابع عشر ملك فرنسا ووقوع	
الحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانيولية	
تغلب كارلوس الثاني عشر ملك اسوج على الروسيين	١٧٠١
في نارفا	
تحزب انكلترا وهولاندا والنمسا على فرنسا واسبانيا لمنع	{ ١٧٠١
البوربون عن التملك في اسبانيا وتغلب فرنسا عليهم	{ ١٧٠٣
تأسيس بطرس الاكبر مدينة بطرسبرج	١٧٠٣
انتصار الدول المتحدة على فرنسا بواسطة ملبروك	١٧٠٤
الشمير في حرب بلينهم	

استيلاء الانكليز على حصن جبل طارق	١٧٠٤
انتصار الفرنسيين والاسبانويين على الدول المتحدة	١٧٠٧
انضمام اسكوتلاندا الى انكلترا	١٧٠٧
انتصار بطرس الاكبر على كارلوس الثاني عشر ملك اسوج في بلتوفا	١٧٠٩
تغلب آل عثمان على بطرس الاكبر عند نهر بروث	١٧١١
انتهاء حروب الوراثة الاسبانية بمصالحة اوترخت	١٧١٣
الاتحاد الرباعي بين انكلترا وفرنسا واوستريا وهولاند	١٧١٨
لمقاومة مقاصد اسبانيا لجهة استيلائها على فرنسا وبعض ايطاليا	
تنازل الاتراك عن بلغراد وبعض السرب والفلاخ الى اوستريا واستيلائهم على المورة من مشيخة البندقية	١٧١٨
حروب الوراثة النمساوية ضد الملكة ماريا تيرزيا	١٧٤٠-١٧٤٨
أخذ الانكليز لويزبورج من الفرنسيين في اميركا	١٧٤٥
حدوث زلزلة مهلكة في ليسبون عاصمة البورتوغال خرب فيها اكثر المدينة	١٧٥٥
تولية المالك البحرية على الديار المصرية من طرف الدولة العثمانية في زمن السلطان مصطفى الثالث	١٧٦٥
سيادة الانكليز في الهند بعد حرب پلامي	١٧٥٧
غلبة الانكليز على الفرنسيين في حرب كويك في اميركا واستيلائهم على المدينة	١٧٥٩
صلح باريز بين فرنسا وانكلترا واسبانيا وتنازل فرنسا عن كندا الى الانكليز	١٧٦٣

	ب م
اقتسام بولونيا الاول بين روسيا وروسيا واوستريا	١٧٧١
ابطال عادة ثقيل رجل البابا	١٧٧٣
مزايدة الاميركانيين باستقلاليتهم ووقوع الحروب بينهم وبين الانكليز	١٧٧٦
مصالحة باريز ونهاية حرب اميركا واستقلاليتهم التامة	١٧٨٣
قيام الجنرال واشنطن رئيساً اولاً للجمهورية الاميركانية	١٨٧٩
بداة الثورة الفرنسية العظيمة وسقوط لويس السادس عشر الذي كان قيامه سنة ١٧٧٤	١٨٧٩
اشهار الجمهورية في فرنسا وابطال الملكية و يعتبر ذلك بداءة تاريخ فرنسا الحديث	١٧٩٢
قتل الفرنسيين ملكهم لويس السادس عشر	١٧٩٣
انشاء الجمعية الوطنية الفرنسية والحكومة المديرية	١٧٩٤
وابطال يوم الاحد وترتيب السنين والشهور والاسابيع والمناداة بقلب جميع الاديان ورئيس هذا المذهب وبسبب	
ذهاب نابوليون بوناپارت الى مصر وفتحها واخذة جزيرة مالطة	١٧٩٧
موت واشنطن محر اميركا	١٧٩٧
انتصار الاميرال نلسون الانكليزي وتكسيرة البوارج الفرنسية في ابي قير	١٧٩٨
انضمام مملكة البندقية الى النمسا	١٧٩٨
مجيء نابوليون الى الشرق ومحاصرته عكا ومقاومة السار سدي سميت له ورجوعه عنها	١٧٩٩
رجوع نابوليون الى فرنسا وتغيير الحكومة المديرية	١٧٩٩

وصيرورتها فنصليّة وتبوؤه رياستها	
انضمام ايرلاندا الى انكلترا	١٨٠٠
شيوخ الحرب بين فرنسا وبين النمسا وبين وانتصار نابوليون في مارانكو	١٨٠٠
حرب الانكليز للدينباركيين والاسويجين المعروفة بحرب كوبنهاجن	١٨٠١
موت بولس امبراطور روسيا وتولي ابنه اسكندر الاول	١٨٠١
خروج فرنسا وبين من الديار المصرية	١٨٠١
تسمية نابوليون فصلاً اولاً مدة حياته	١٨٠٣
تتويج نابوليون الاول امبراطوراً لفرنسا وبين	١٨٠٤
معاهدة انكلترا واستر يا وروسيا لمقاومة فرنسا	١٨٠٤
تولي محمد علي باشا خديوي مصر	١٨٠٤
انتصار نابوليون على النمسا وبين والروسين في اوسترليتز في ك ١	١٨٠٥
انتصار الانكليز بحراً على فرنسا وبين والاسبانين في ترافلغار وموت نلسون في المعركة	١٨٠٥
مصالحة اوستر يا وفرنسا المعروفة بصالح بريسبورج في ك ٢٧	١٨٠٥
انشاء معاهدة الرين تحت حماية نابوليون وانحلال السلطنة الجرمانية واتخاذ فرنسيس الثاني لقب امبراطور اوستر يا فقط	١٨٠٦
اتحاد انكلترا وروسيا على فرنسا - انتصار نابوليون على بروسيا في يانا وغيرها ودخوله منتصراً الى برلين	١٨٠٦

م ^٥ ب	
١٨٠٦	استيلاء الانكايز على راس الرجاء الصالح من القلمنكيين
١٨٠٧	انتصار نابوليون على الروسيين لاسبانيا في فريدلند
١٨٠٧	صلح تيلسيت بين نابوليون واسكندر وفصله وستفاليا عن بروسيا واعطاؤها لاختيه جبروم
١٨٠٧-١٨٠٨	مهاجمة الانكايز كوبنهاجن واستيلاؤهم على العمارة الدينماركية لاجل منع استعانة نابوليون الاول بها
١٨٠٧	ارسال نابوليون عسكرياً الى بورتوغال ومهاجرة العائلة الملكية الى برازيل
١٨٠٨	تنازل فردينند ملك اسبانيا عن الملك الى نابوليون
١٨٠٨	قيام بواكيم مورات صهر نابوليون الاول ملكاً على نابولي
١٨٠٨-١٨٠٩	انتصار الانكايز لاسبانيا والبورتوغال لمنع فرنسا عن نوال مآربها
١٨٠٩	انتساب الحرب بين فرنسا واوستراليا وانتصار نابوليون ودخوله فيينا وعقد الصلح وتطبيق نابوليون زوجته وزواجه بماريا لويزا ابنة فرنسيس الاول امبراطور اوستريا
١٨١٠	انضمام بلاد القلمنك الى فرنسا
١٨١٢	شهر الامركان الحرب على الانكايز لاجل بعض التعديات البحرية
١٨١٢	شبوب الحرب بين فرنسا وروسيا . دخول نابوليون منتصراً الى موسكو . احراق الروسيين موسكو . رجوع نابوليون بالخبية وهلاك جيشه
١٨١٢	احضار نابوليون البابا بيوس السابع من رومية وترسيمه عليه في فونتينيو

الاتحاد السادس ضد فرنسا (جميع دول اوربا) ودخول العساكر المتحدة الى باريس تنازل نابوليون الاول عن الملك وذهابه الى جزيرة البها ملكاً عليها واقامة لويس الثامن عشر ملكاً على فرنسا	١٨١٤
ضمّ نروج الى اسوج	١٨١٤
انضمام جينوا الى مملكة سردينيا	١٨١٤
ضمّ بلجيكا وهولاندا وجعلها مملكة واحدة يتراأس عليها غليوم الاول ملك هولاندا	١٨١٤
مصالحة الانكليز والاميركانيين	١٨١٥
رجوع نابوليون من البها وتوليهِ ثانية مدة ١٠٠ يوم . تجديد المتعاهدين الحرب عليه وانغلابه في فين وارتلو وتسليمه نفسه الانكليز وارسلهم اياه الى جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الجنوبي من افر بيقية	١٨١٥
رجوع الملكية الى فرنسا	١٨١٥
انفصال برازيل عن بورتوغال	١٨١٥
الغاء التجسس الديني في بورتوغال	١٨١٥
حدوث ثورة في اسبانيا وبورتوغال والغاء التجسس الديني من اسبانيا	١٨٢٠
وفاة نابوليون الاول في الجزيرة المذكورة	١٨٢١
عصيان اليونان على الدولة العثمانية ومقتلة خيو المهلكة	١٨٢٢
قتل الانكشارية في توركيا	١٨٢٦
حرب نافارين بجزراً بين فرنسا وانكلترا وروسيا من جهة والدولة العثمانية من جهة لاجل تحرير اليونان وحرقتهم	١٨٢٧

ب ٢٠

المارتين العثمانية والمصرية وتسليم الدولة باستقلالية اليونان	
وقوع ثورة فيف باريس وتنزيل كارلوس العاشر وتولية لويس فيليب الاول	١٨٣٠
انتصار فرنسا وبين في الجزائر في الغرب	١٨٣٠
وقوع ثورة في البلاد الواطئة وانفصال بلجيكا عن هولاندا	{ ١٨٣٠
وصيرورة كل من مملكة قائمة بذاتها	{ ١٨٣١
مصالحة ادرنة بين الدولة العلية وروسيا	١٨٣٢
استيلاء ابراهيم باشا على الديار الشامية	١٨٣٢
ابطال الانكليز التجارة بالعبيد في مستملكاتهم	١٨٣٣
حرب الافيون بين الانكليز والصين	١٨٣٣
جلوس فيكتوريا الحالية ملكة على انكلترا بعد وليم الرابع	١٨٣٧
جلوس السلطان عبد المجيد	١٨٤٠
خروج الدولة المصرية من الديار الشامية	١٨٤٠
حروب الامركان على المكسيك وانهزامهم عليها	١٨٤٧-١٨٤٧
غلبة فرنسا وبين الثامنة على جزائر الغرب وتسليم الامير عبد القادر لهم	١٨٤٧
حدوث الثورة الفرنسية الثالثة في ٢٤ شباط وسقوط لويس فيليب وقيام الجمهورية ثم انتخاب لويس نابوليون الثالث رئيسا لها	١٨٤٨
حدوث ثورات في جرمانيا وبروسيا واوستريا وسيف لومبارديا وولايات اخرى ايطالية . هرب البابا الى نابولي واشهار الجمهورية في رومية	١٨٤٨

اكتشاف المعادن الذهبية في كاليفورنيا	١٨٤٨	م. ب
تنازل فرديناند عن تاج اوستريا الى الامبراطور	١٨٤٨	
فرنسيس يوسف الحلبي في ٢ كانون الاول		
تولي ابراهيم باشا خديوي مصر وموته وقيام اخيه	١٨٤٨	
عباس باشا مكانه		
تنازل كارلوس البرتوس ملك سردينيا عن تاج الملك	١٨٤٩	
الى ابنه فيكتور عمانوئيل بعد تغلب النمساويين عليه		
واسنيلاتهم على لومبارديا		
ارسال فرنسا جيشا الى رومية وضربهم المدينة وانحلال	١٨٤٩	
الجمهورية واعادة البابا اليها		
ظهور العصاة في الصين	١٨٥٠	
انشاء اول معرض عام في مدينة لندن	١٨٥١	
انحلال الجمهورية الفرنسية الثانية وارتقاء نابوليون	١٨٥٢	
الثالث الى الامبراطورية		
بداية حرب القرم	١٨٥٣	
تولي سعيد باشا خديوية مصر	١٨٥٤	
موت الامبراطور نيقولا وجلس ابنه اسكندر الثاني	١٨٥٥	
في ٢ اذار		
اخذ الدول المتحدة سيفاستبول وانتهاء حرب القرم	١٨٥٥	
معاهدة باريس من جهة شروط صلح القرم	١٨٥٦	
حرب فرنسا واطاليا ضد اوستريا وتحرير ايطاليا	١٨٥٩	
حادثة لبنان ومذبحة حاصبيا وراشيا ودير القمر ودمشق	١٨٦٠	
ومحبة المساكر الفرنسية الى سوريا وانقصال الجبل		

م. ب

عن حكومة سوريا وترتيب حاكم مسيحي له	
موت السلطان عبد المجيد وتولي السلطان عبد العزيز	١٨٦٠
استيلاء الحكم الانكليزي على الهند من يد الشركة الانكليزية	١٨٦٠
١٨٦١-١٨٦٥ حرب اميركا الاهلية	
حرب فرنسا و بيل في المكسيك واقامة مكسيميليان	{ ١٨٦١
امبراطوراً عليها ثم قتل جوارز اياه واعادة الجمهورية	{ ١٨٦٧
تبوءه اسمعيل باشا السدة الخديوية	١٨٦٣
اتحاد بروسيا واوستريا ومجاريتها دنبارك واخذ بروسيا اقليحي شلسويك وهولستين منها	١٨٦٤
حرب بروسيا واوستريا وانتصار بروسيا في صادوفا	١٨٦٦
انفصال البندقية عن النمسا وانضمامها الى ايطاليا	١٨٦٦
حدوث معرض عام في باريس حضره بعض الملوك	١٨٦٧
وقوع الثورة في اسبانيا وهرب الملكة ايزابلا الى فرنسا	١٨٦٨
فتح خليج السويس بمجفل حافل	١٨٦٩
حرب فرنسا وبروسيا واسر نابوليون الثالث في سيدان وسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية الثالثة	١٨٧٠
الثام مجمع مسكوني في رومية والمناداة بعصمة البابا	١٨٧٠
تتويج غليوم ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا في فرساليا	١٨٧١
دخول الايطاليين رومية وجعلها عاصمة المملكة	١٨٧١
تثبيت الجمهورية الفرنسية في فرنسا وقيامها	١٨٧١
موت نابوليون الثالث في انكلترا	١٨٧٣
تنازل تيرس وقيام المرشال مكماهون رئيساً للجمهورية	١٨٧٢

	م ^٠ ب
الفرنساوية	
حرب تركيا وروسيا	١٨٧٦
موت السلطان عبد العزيز وقيام السلطان مراد	١٨٨٦
قيام السلطان عبد الحميد بدلاً عن السلطان مراد	١٨٧٦
صلح روسيا وروسيا وعقد مؤتمر برلين	١٨٧٨
استيلاء الانكليز على جزيرة قبرس بموجب معاهدة خصوصية	١٨٧٨
تزييل اسماعيل باشا خديوي مصر واقامة ابنه توفيق باشا مكانه	١٨٧٩
دخول فرنسا وبن تونس	١٨٨٠
الثورة العراية في مصر	١٨٨٢
دخول الانكليز بلاد مصر بعد ضمهم مدينة اسكندرية	١٨٨٢
موت توفيق باشا خديوي مصر واقامة ابنه عباس باشا مكانه	١٨٩٢
غرق الدارعة فيكتور يا الانكليزية قبالة طرابلس	١٨٩٣

892.7

Y94

87

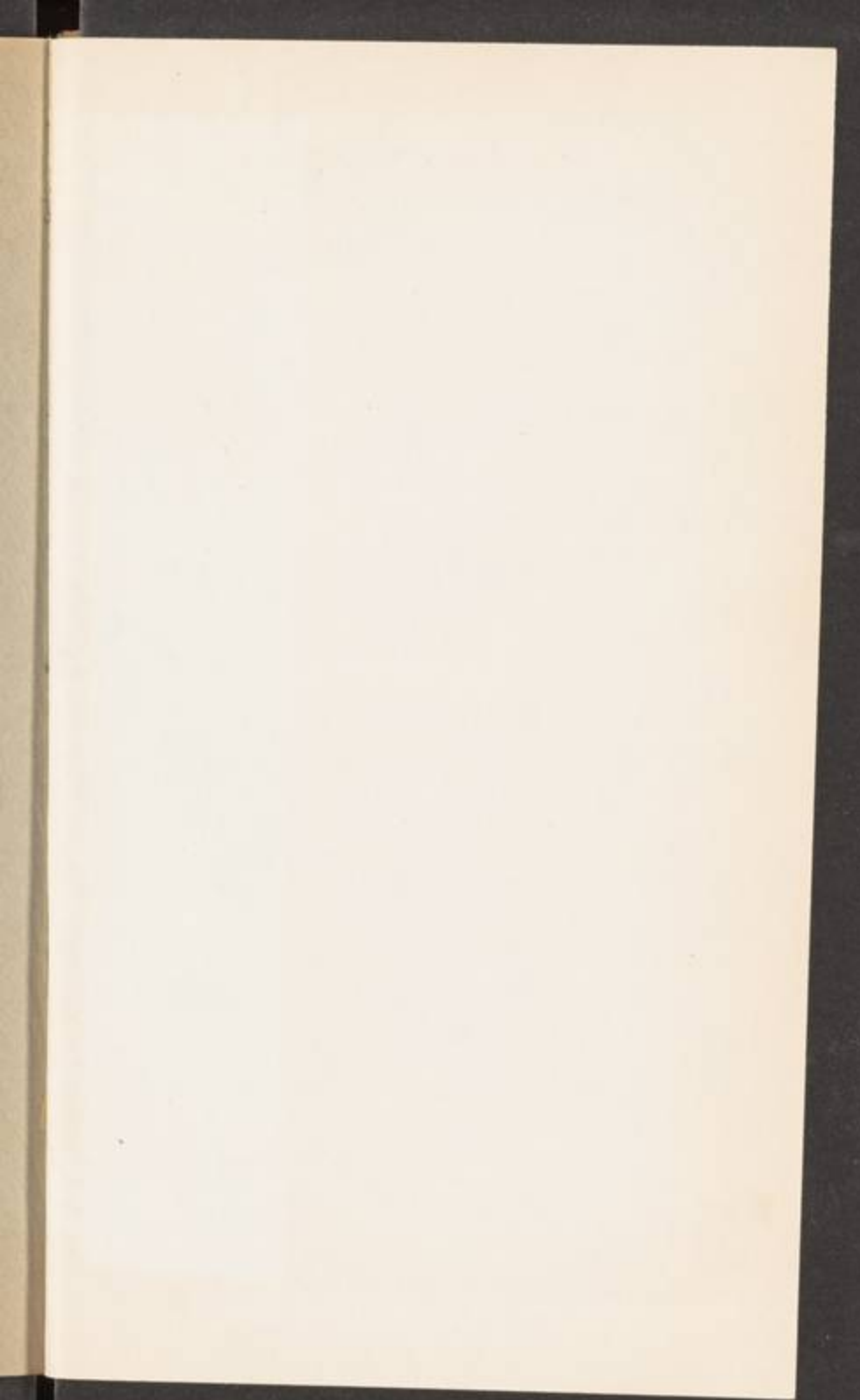
ABOSAMRA KOOREY

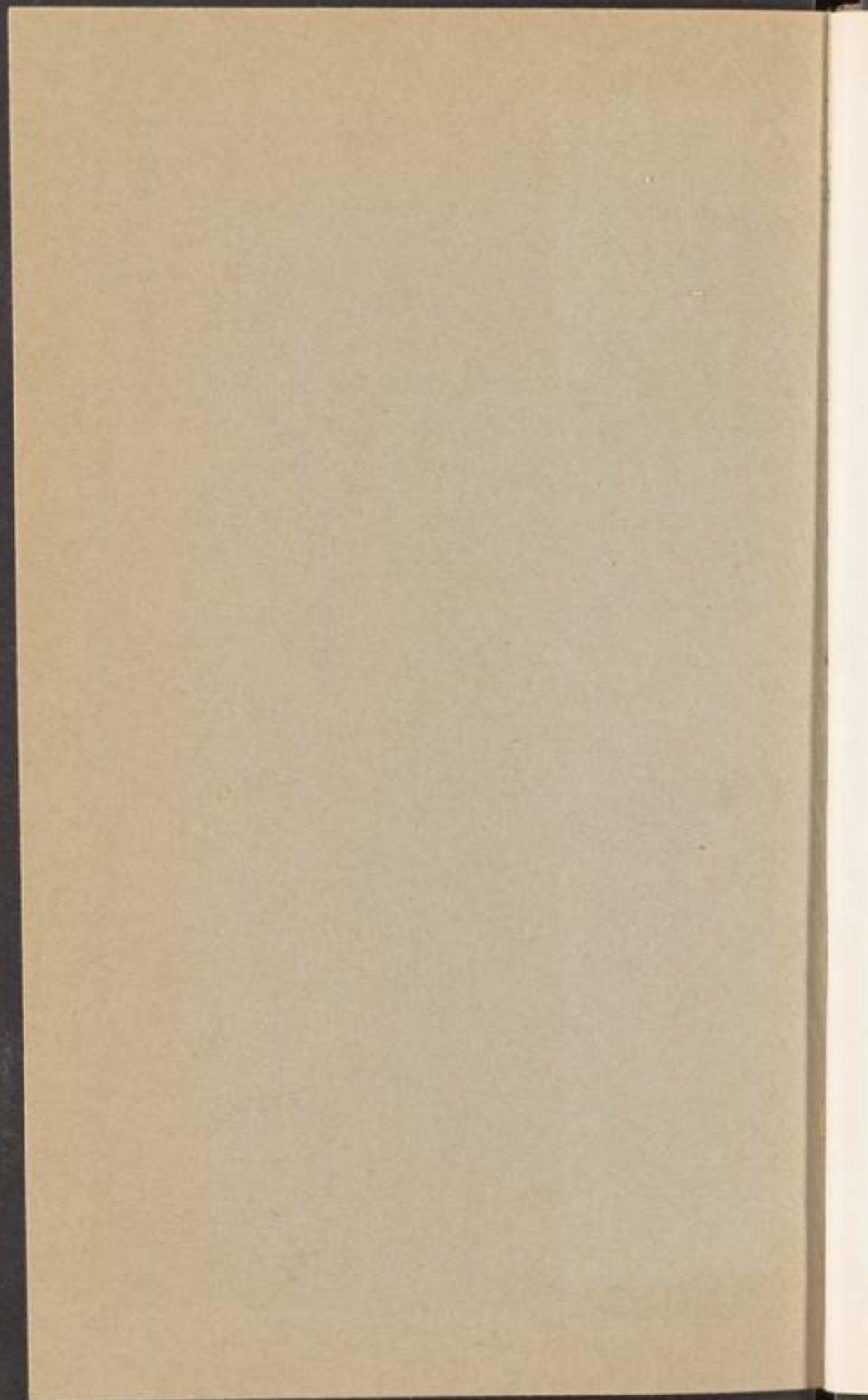
71 650X JAN 92

178523

858-3047

11/19







**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 02824 0821

D22 .A2 1898

Kitab Qasf al-zuhur li tarikh